

الروض الأنف

في تفسير السيرة النبوية لابن هشام

للإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن
أخثعي السهيلي
المتوفى سنة ٥٨١ هـ

ومعه
السيرة النبوية

للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري
المتوفى سنة ٢١٣ هـ

عائق عليه روضه
مجدد به فاض به سيرة الشري

تنبيه

وَضَعْنَا نَصَّ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِبْنِ هِشَامٍ فِي أَعْلَى الصَّفَحَاتِ
وَوَضَعْنَا أَسْفَلَ مِنْهَا نَصَّ الرَّوْضِ الْأَنْفِ
وَفَصَّلْنَا بَيْنَهُمَا بِخَطٍّ

لِلْجُزْءِ الثَّالِثِ

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم

معنى العاقب والسيد والأسقف:

قال ابن إسحاق: وقَدِمَ على رسول الله ﷺ وفدُ نصارى نَجْران، سِتُون راکبًا، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، في الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب، أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يُضدِّرون إلا عن رأيه، واسمُه: عبد المسيح^(١)، والسيد لهم: ثمالهم، وصاحب رَحْلهم ومُجْتَمعهم، واسمُه: الأيَّهم، وأبو حارثة بن علقمة، أحد بني بكر بن وائل، أسقفهم وحبرهم وإمامهم، وصاحب مِذْرَاسِهم.

منزلة أبي حارثة عند ملوك الروم:

وكان أبو حارثة قد شَرُفَ فيهم، ودرَسَ كتبهم، حتى حَسُنَ علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من النصارى قد شَرَفُوهُ ومَوَّلُوهُ وأَخْدَمُوهُ، وَبَنَوْا لَهُ الكنائسَ، وَبَسَطُوا عليه الكراماتَ، لِمَا يَبْلُغُهُمْ عنه من علمه واجتهاده في دينهم.

ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم

قد تقدَّم أن نجرانَ عُرِفَتْ بَنَجْرَانَ بنِ زَيْدِ بنِ يَشْجَبَ بنِ يَغْرُبَ بنِ قَحْطَانَ، وأما أهلها فهم: بنو الحارث بن كعب من مذحج.

(١) لا يجوز أن يقال: عبد المسيح، وكذا عبد الرسول، وكذا عبد العال، وعبد المنصف، وعبد المنتقم، وعبد الوحيد، وعبد اللاه، وعبد الراضي، وعبد النبي... إلى غير ذلك من الأسماء التي فيها تعبيد لغير الله تعالى، أو لما ليس من أسمائه تعالى وعز وجل.

السبب في إسلام كرز بن علقمة:

فلما رجعوا إلى رسول الله - ﷺ - من نَجْرانَ، جَلَسَ أَبُو حارِثَةَ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ مَوْجَّهًا، وَإِلَى جَنْبِهِ أَخٌ لَهُ، يُقَالُ لَهُ: كُوزُ بْنُ عُلْقَمَةَ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: كُرْزُ - فَعَثَرَتْ بَغْلَةُ أَبِي حارِثَةَ، فَقَالَ كُوزُ: تَعَسَّ الْأَبْعَدُ، يَرِيدُ: رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ لَهُ أَبُو حارِثَةَ: بَلْ أَنْتَ تَعَسْتَ! فَقَالَ: وَلِمَ يَا أَخِي؟ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُ، فَقَالَ لَهُ كُوزُ: مَا يَمْنَعُكَ مِنْهُ وَأَنْتَ تَعْلَمُ هَذَا؟ قَالَ: مَا صَنَعَ بَنَاهُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ، شَرَّفُونَا وَمَوَّلُونَا وَأَكْرَمُونَا، وَقَدْ أَبَوْا إِلَّا خِلَافَةَ، فَلَوْ فَعَلْتُ نَزَعُوا مِنَّا كُلَّ مَا تَرَى. فَأَضْمَرَ عَلَيْهَا مِنْهُ أَخُوهُ كُوزُ بْنُ عُلْقَمَةَ، حَتَّى أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ. فَهُوَ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْهُ هَذَا الْحَدِيثَ فِيمَا بَلَغَنِي.

رؤساء نجران وإسلام ابن رئيس منهم:

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَلَغَنِي أَنَّ رُؤَسَاءَ نَجْرانَ كَانُوا يَتَوَارَثُونَ كُتُبًا عَنْدهُمْ. فَكُلَّمَا مَاتَ رَئِيسٌ مِنْهُمْ، فَأَفْضَتِ الرِّيَاسَةُ إِلَى غَيْرِهِ، خَتَمَ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ خَاتَمًا مَعَ الْخَوَاتِمِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهُ وَلَمْ يَكْسِرْهَا، فَخَرَجَ الرَّئِيسُ الَّذِي كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ - ﷺ - يَمْشِي، فَعَثَرَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: تَعَسَّ الْأَبْعَدُ! يَرِيدُ النَّبِيَّ - ﷺ - فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، وَاسْمُهُ فِي الْوَضَائِعِ، يَعْنِي: الْكُتُبِ، فَلَمَّا مَاتَ لَمْ تَكُنْ لَابْنِهِ هِمَّةٌ إِلَّا أَنْ شَدَّ فَكَسَرَ الْخَوَاتِمَ، فَوَجَدَ فِيهَا ذَكَرَ النَّبِيِّ - ﷺ - فَأَسْلَمَ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ وَحَجَّ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ:

إِلَيْكَ تَعْدُو قَلْبًا وَضِيئُهَا مُغْتَرِضًا فِي بَطْنِهَا جَنِيئُهَا
مُخَالَفًا دِينَ النَّصَارَى دِينُهَا

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْوَضِيئُ: الْحَزَامُ، حَزَامُ النَّاقَةِ. وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ: وَزَادَ فِيهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ:

مُغْتَرِضًا فِي بَطْنِهَا جَنِيئُهَا

فَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ فَأَنشَدَنَاهُ فِيهِ.

تأويل كن فيكون:

ذَكَرَ فِيهِ قَوْلُهُمُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَنْ أَبُوهَ يَا مُحَمَّدُ، يَعْنُونَ عِيسَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ وَفِيهَا نُكْتَةٌ، فَإِنْ ظَاهَرَ الْكَلَامُ أَنَّ يَقُولُ: خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ فَكَانَ، فَيَعْطَفُ بِلَفْظِ الْمَاضِي عَلَى الْمَاضِي، وَالْجَوَابُ: أَنَّ الْفَاءَ تَعْطِي التَّغْقِيبَ وَالتَّسْبِيبَ، فَلَوْ قَالَ: فَكَانَ لَمْ تَدُلْ الْفَاءَ إِلَّا عَلَى التَّسْبِيبِ، وَأَنَّ الْقَوْلَ سَبَبٌ لِلْكَوْنِ، فَلَمَّا جَاءَ بِلَفْظِ الْحَالِ ذَلِكَ مَعَ التَّسْبِيبِ عَلَى اسْتِعْقَابِ الْكَوْنِ لِلْأَمْرِ مِنْ غَيْرِ مَهْلٍ، وَأَنَّ

صلاة النصارى إلى المشرق:

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: لما قدموا على رسول الله - ﷺ - المدينة، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر، عليهم ثياب الجبرات، جُبب وأزدية، في جمال رجال بني الحارث بن كعب. قال: يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي ﷺ يومئذ: ما رأينا وفداً مثلهم، وقد حانت صلاتهم، فقاموا في مسجد رسول الله - ﷺ - يصلُّون، فقال رسول الله - ﷺ - دعوهم؛ فصلُّوا إلى المشرق.

أسماء وفد نجران ومعتقدهم ومجادلتهم الرسول ﷺ:

قال ابن إسحاق: فكانت تسمية الأربعة عشر، الذين يؤول إليهم أمرهم: العاقب، وهو عبد المسيح، والسيد وهو الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بني بكر بن وائل، وأوس، والحارث، وزيد، وقيس، ويزيد، ونبيه، وخويلد، وعمرو، وخالد، وعبد الله، ويوحنا، في ستين ركباً، فكلم رسول الله - ﷺ - منهم أبو حارثة بن علقمة، والعاقب عبد المسيح، والأيهم السيد - وهم من النصرانية على دين الملك، مع اختلاف من أمرهم، يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة. وكذلك قول النصرانية.

فهم يحتجون في قولهم: «هو الله» بأنه كان يُحيي الموتى، ويُبرئ الأسقام، ويُخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائراً، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى: ﴿ولنجعله آية للناس﴾.

ويحتجون في قولهم: «إنه ولد الله» بأنهم يقولون: لم يكن له أب يعلم، وقد تكلم في المهد، وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله.

الأمر بين الكاف والنون، قال له: كُنْ فإذا هو كائن، واقتضى لفظُ فعلِ الحالِ كونه في الحال، فإن قيل وهي مسألة أخرى: إن آدم مكث دهرًا طويلاً^(١)، وهو طين صلصال، وقوله للشيء: كن فيكون يقتضي التعقيب، وقد خلق السموات والأرض في ستة أيام، وهي ستة آلاف سنة^(٢)، فأين قوله: كن فيكون من هذا؟

(١) لا دليل صحيح على مكوته دهرًا طويلاً.

(٢) يبدو أنه رحمه الله تعالى أخذ قوله تعالى: ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعبدون﴾ فجعل أيام الله على هذه المدة الزمنية، ومن ثم قال أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام أي ستة آلاف سنة وهو تفسير بعيد جداً كما يبدو.

ويحتجون في قولهم: «إنه ثالث ثلاثة» بقول الله: فَعَلْنَا، وَأَمَرْنَا، وَخَلَقْنَا، وقضينا، فيقولون: لو كان واحداً ما قال إلا فعلتُ، وقضيتُ، وأمرتُ، وخلقْتُ، ولكنه هو وعيسى ومريم. ففي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن - فلَمَّا كَلِمَةُ الْحَبْرَانِ، قال لهما رسولُ الله ﷺ: «أسلمَا»، قالَا: قد أسلمنا، قال: «إنكما لم تُسَلِمَا، فأسلِمَا»، قالَا: بلى، قد أسلمنا قبلك. قال: «كذبْتُمَا، يَمْنَعُكُمَا مِنَ الْإِسْلَامِ دَعَاؤُكُمَا لِلَّهِ وَلَدًا، وَعِبَادَتُكُمَا الصَّلِيبِ، وَأَكْلُكُمَا الْخِنْزِيرِ»؛ قالَا: فَمَنْ أَبَوْهُ يَا مُحَمَّدٌ؟ فَصَمَتَ عَنْهُمَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فلم يُجِبْهُمَا^(١).

تفسير ما نزل من آل عمران في وفد نجران

فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم، واختلاف أمرهم كله، صَدَرَ سُوْرَةُ آلِ عِمْرَانَ إِلَى بَضْعِ وَثْمَانِينَ آيَةٍ مِنْهَا، فَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿الْمَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. فافتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا، وتوحيده إياها بالخلق والأمر، لا شريك له فيه، ردًا عليهم ما ابتدعوا من الكفر، وجعلوا معه من الأنداد، واحتجاجًا بقولهم عليهم في صاحبهم، ليعرفهم بذلك ضلالتهم، فقال: ﴿الْمَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ليس معه غيره شريك في أمره ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الحي الذي لا يموت، وقد مات عيسى وُصِّلَ في قولهم. والقيوم: القائم على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول، وقد زال عيسى في قولهم عن مكانه الذي كان به، وذهب عنه إلى غيره. ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾، أي

فالجواب: ما قال أهل العلم في هذه المسألة، وهو أن قول الباري سبحانه: كن يتوجه إلى المخلوق مطلقًا ومقيّدًا، فإذا كان مطلقًا كان كما أراد لحينه، وإذا كان مقيّدًا بصفة أو بزمان كان كما أراد على حسب ذلك الزمان الذي تقيد الأمر به، فإن قال له: كن في ألف سنة، كان في ألف سنة، وإن قال له: كن فيما دون اللحظة كان كذلك.

تأويل آيات محكمات

فصل: وذكر صَدَرَ سُوْرَةِ آلِ عِمْرَانَ، وفسّر منه كثيرًا، فمنه قوله سبحانه: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ﴾ وهو ما لا يحتمل إلا تأويلاً واحداً، وهو عندي من أَحْكَمْتُ الْفَرَسَ بِحَكْمَتِهِ، أي: منعتَه من العُدُولِ عن طريقه كما قال حسان:

وَنُحْكِمَ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا

(١) حديث وفد نجران أخرجه الطبري في تفسيره (٤٢٨/٢ - ٤٣٠) وانظر تفسير ابن كثير (٤٠/٢).

بالصدق فيما اختلفوا فيه: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾: التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، كما أنزل الكتب على من كان قبله: ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾، أي الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾، أي: إن الله منتقم ممن كفر بآياته، بعد علمه بها، ومعرفة بما جاء منه فيها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾، أي قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يظاهرون بقولهم في عيسى، إذ جعلوه إلها وربا، وعندهم من علمه غير ذلك، غرّة بالله، وكفرا به. ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ أي: قد كان عيسى ممن صور في الأرحام، لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه، كما صور غيره من ولد آدم، فكيف يكون إلها، وقد كان بذلك المنزل؟! ثم قال تعالى إنزاهًا لنفسه، وتوحيدًا لها مما جعلوا معه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، العزيز في انتصاره ممن كفر به إذا شاء، الحكيم في حجته وعذره إلى عباده. ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فيهن حجة الرب، وعظمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لهن تصريح ولا تحريف عما وُضعن عليه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ لهن تصريح وتأويل، ابتلى الله فيهن العباد، كما ابتلاهم في الحلال والحرام، ألا يضرّفن إلى الباطل، ولا يحرفن عن الحق. يقول عز وجل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، أي: ميل عن الهدى ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾، أي ما تصرف منه، ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا؛ لتكون لهم حجة، ولهم على ما قالوا شبهة ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾، أي: اللبس ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾. ذلك على ما ركبوا

أي: نلججه فنمنعه، وكذلك الآية المحكمة لا تتصرف بقارئها التأويلات، ولا تتعارض عليه الاحتمالات، وليس من لفظ الحكمة، لأن القرآن كله حكمة وعلم. والمتشابهة يميل بالناظر فيه إلى وجوه مختلفة، وطرق متباينة، وقوله سبحانه: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ هذا من الحكمة ومن الإحكام الذي هو الإتيان، فالقرآن كله مُحْكَمٌ على هذا، وهو كله من هذا الوجه مُتَشَابِهٌ أيضًا، لأن بعضه يشبه بعضًا في بَرَاةِ اللفظ، وإعجاز النظم، وجزالة المعنى، وبدائع الحكمة، فكله مُتَشَابِهٌ وكله مُحْكَمٌ، وعلى المعنى الأول: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ فأهل الزَيْغِ يَغْطِفُونَ الْمُتَشَابِهَ عَلَى أَهْوَائِهِمْ وَيُجَادِلُونَ بِهِ عَنْ آرَائِهِمْ، والراسخون في العلم يَرُدُّونَ الْمُتَشَابِهَ إِلَى الْمُحْكَمِ أَخْذًا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ وَعِلْمًا بِأَنَّ الْكُلَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَلَا يَخَالَفُ بَعْضُهُ بَعْضًا. روت عائشة عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ قال: إذا رأيتم الذين يُجَادِلُونَ

من الضلالة في قولهم: خلقنا وقضينا. يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾، أي: الذي به أرادوا ما أرادوا ﴿إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ فكيف يختلف وهو قول واحد، من رب واحد؟! ثم ردوا تأويل المُتَشَابِه على ما عرفوا من تأويل المُحْكَمَة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد، واتسق بقولهم الكتاب، وصدق بعضه بعضاً، فنفذت به الحُجَّة، وظهر به العذر، وزاح به الباطل، ودمغ به الكفر. يقول الله تعالى في مثل هذا: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ في مثل هذا ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أي لا تُمل قلوبنا، وإن ملنا بأحداثنا. ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾. ثم قال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ بخلاف ما قالوا: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، أي بالعدل (فيما يريد) ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، أي: ما أنت عليه يا محمد: التوحيد

فيه، فهَم أولئك فاحذروهم^(١): وللسلف في معنى المُحْكَم ومعنى المُتَشَابِه أقوال متقاربة، إلا أن منهم من يرى الوقف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ويروونه تمام الكلام، ويحتجون بقراءة ابن عباس ويقول: الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ^(٢)، وهو قول عمر بن عبد العزيز أن الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ لا يعلمون التأويل، وإن علموا التفسير. والتأويل عند هؤلاء غير التفسير إنما هو عندهم في معنى قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ وطائفة يرون أن قوله: وَالرَّاسِخُونَ مَعْطُوفٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ، وأنهم عالمون بالتأويل، ويحتجون بما يطول ذكره من أثر ونظر، والذي أرتضيه من ذلك مذهب ثالث، وهو الذي قاله ابن إسحق في هذا الكتاب، ومعناه كله أن الكلام قد تَمَّ في قوله: وما يعلم تأويله إلا الله. وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ: مبتدأ، لكن لا نقول: إنهم لا يعلمون تأويله. كما قالت الطائفة الأولى، ولكن نقول: إنهم يَعْلَمُونَهُ بَرَدَ المُتَشَابِه إِلَى المُحْكَم، وبالاستدلال على الخَفِيِّ بِالْجَلِيِّ، وعلى المختلف فيه بِالْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ، فَتَنَفَّذَ بِذَلِكَ الْحُجَّةَ، وَيُزَاحِ الْبَاطِلَ، وَتَعْظُمُ دَرَجَةُ الْعَالَمِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّهُ يَقُولُ: آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّي فكيف يختلف؟! ولما كان الْعِلْمَانِ مُخْتَلِفَيْنِ: عِلْمُ اللَّهِ، وَعِلْمُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ لَمْ يَجْزُ عَطْفُ: «الرَّاسِخُونَ» عَلَى مَا قَبْلَهُ، فَاللَّهُ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ الْعِلْمُ الْقَدِيمُ^(٣).

(١) «صحيح». أخرجه البخاري ومسلم في العلم (١) وأبو داود (٤٥٩٨) بتحقيقي. وابن ماجه (٤٧) والدارمي (٥٥/١).

(٢) قراءة غير متواترة تفتقر إلى السند الصحيح.

(٣) تقدم التنبيه غير مرة على أنه ليس من أسمائه تعالى «القديم»، وكذا لم يرد عن النبي ﷺ ولا في خير القرون وصف علم الله تعالى بأنه علم قديم.

لِلرَّبِّ، وَالتَّصَدِيقَ لِلرَّسْلِ. ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾، أَي: الَّذِي جَاءَكَ، أَي: أَنْ اللَّهَ الْوَاحِدَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ. ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾، أَي: بِمَا يَأْتُونَ بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ مِنْ قَوْلِهِمْ: خَلَقْنَا وَفَعَلْنَا وَأَمَرْنَا، فَإِنَّمَا هِيَ شَبْهَةٌ بَاطِلٌ قَدْ عَرَفُوا مَا فِيهَا مِنَ الْحَقِّ ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾، أَي: وَحْدَهُ. ﴿وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾ الَّذِينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ ﴿أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

ما نزل من القرآن فيما ابتدعته اليهود والنصارى:

ثم جمع أهل الكتابين جميعاً، وذكر ما أحدثوا وما ابتدعوا، من اليهود والنصارى، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ إلى قوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾، أَي: رَبِّ الْعِبَادِ، وَالْمَلِكِ الَّذِي لَا يَقْضِي فِيهِمْ غَيْرُهُ ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾، أَي: لَا إِلَهَ غَيْرُكَ ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أَي: لَا يَقْدِرُ عَلَى هَذَا غَيْرُكَ بِسُلْطَانِكَ وَقُدْرَتِكَ. ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ بتلك القدرة ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُكَ، وَلَا يَصْنَعُهُ إِلَّا أَنْتَ، أَي: فَإِنْ كُنْتُ سَلَّطْتُ عِيسَى عَلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي بِهَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِلَهٌ، مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَإِبْرَاءِ الْأَسْقَامِ وَالْخَلْقِ لِلطَّيْرِ مِنَ الطِّينِ، وَالْإِخْبَارِ عَنِ الْغُيُوبِ، لِأَجْعَلَهُ بِهِ آيَةً لِلنَّاسِ، وَتَصَدِيقًا لَهُ فِي نَبَوْتِهِ الَّتِي بَعَثْتَهُ بِهَا إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنْ مِنْ سُلْطَانِي وَقُدْرَتِي مَا لَمْ أُعْطِهِ تَمْلِيكَ الْمُلُوكِ بِأَمْنِ النُّبُوَّةِ، وَوَضَعَهَا حَيْثُ شِئْتُ، وَإِيلَاجَ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ، وَالنَّهَارِ فِي اللَّيْلِ، وَإِخْرَاجَ الْحَيِّ مِنَ الْمَمِيتِ، وَإِخْرَاجَ الْمَمِيتِ مِنَ الْحَيِّ، وَرَزَقَ مَنْ شِئْتُ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ بِغَيْرِ حِسَابٍ؛ فَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ أَسْلُطْ عِيسَى عَلَيْهِ، وَلَمْ أَمْلِكْهُ إِيَّاهُ، أَفَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ عِبْرَةً وَبَيِّنَةً! أَنْ لَوْ كَانَ إِلَهًا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَيْهِ، وَهُوَ فِي عِلْمِهِمْ يَهْرُبُ مِنَ الْمُلُوكِ، وَيَنْتَقِلُ مِنْهُمْ فِي الْبِلَادِ، مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ.

لَا يَتَذَكَّرُ، وَلَا يَتَفَكَّرُ، وَلَا يَتَدَقِّقُ نَظْرًا، وَلَا يَفْحَصُ عَنْ دَلِيلٍ، فَلَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ هَكَذَا إِلَّا اللَّهُ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ بِالْفَحْصِ عَنِ الدَّلِيلِ، وَبِتَدْقِيقِ النَّظَرِ وَتَشْدِيدِ الْعِبَرِ، فَهَمَّ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ وهذا معنى كلام ابن إسحاق فِي الْآيَةِ.

ما نزل من القرآن في وعظ المؤمنين وتحذيرهم:

ثم وعظ المؤمنين وحذرهم، ثم قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾، أي: إن كان هذا من قولكم حقًا، حبًا لله وتعظيمًا له ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، أي: ما مضى من كفركم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فأنتم تعرفونه وتجدونه في كتابكم ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾، أي: على كفركم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

ما نزل من القرآن في خلق عيسى:

ثم استقبل لهم أمر عيسى: (عليه السلام)، وكيف كان بدء ما أراد الله به، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ثم ذكر أمر امرأة عمران، وقولها: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾، أي: نذرتَه فجعلته عتيقًا، تعبده لله، لا ينتفع به شيء من الدنيا: ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعْتُهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾، أي: ليس الذكر كالأنثى لما جعلتها محررًا لك نذيرة ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾. يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ بعد أبيها وأُمها.

قال ابن هشام: كفَّلها: ضمَّها.

احتجاج القسيسين للتثليث:

فصل: وذكر احتجاج الأخبار والقسيسين من أهل نجران بقوله عز وجل: خَلَقْنَا وَأَمَرْنَا وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ، وقالوا: هذا يدل على أنه ثالث ثلاثة تعالى الله عن قولهم، وهذا من الزينج بالمتشابه، دون رده إلى المُحكَم نحو قوله: ﴿وَالْهُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ و: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والعجب من ضعف عقولهم: كيف احتجوا على محمد بما أنزل على محمد، وهو أعلم بمعنى ما أنزل عليه، لأن هذا اللفظ الذي احتجوا به مجاز عربي، وليس هو لفظ التَّوراة والإنجيل، وأصل هذا المجاز في العربية أن الكتاب إذا صدر عن حَضرة مَلِكٍ كانت العبارة فيه عن الملك بلفظ الجَمْع دلالة على أنه كلام مَلِكٍ مَثْبُوع على أمره، وقوله: فلما خاطبهم الله تعالى بهذا الكتاب العزيز أنزله على مذاهبهم في الكلام، وجاء اللفظ فيه على أسلوب الكلام الصَّادِر عن حَضرة المَلِك، وليس هذا في غير اللسان العربي، ولا يتطرق هذا المجاز في حُكْم العقل إلى الكلام القديم، إنما هو في اللفظ المنزَّل، ولذلك نجده إذا أخبر عن قولٍ قاله لنبي قَبْلَنَا، أو خاطب به غيرنا نحو قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ ولم يقل: خَلَقْنَا بأيدينا، كما قال: مما عملته أيدينا، وقال حكاية عن وخيه لموسى:

آيات عن زكريا ومريم:

قال ابن إسحاق: فذكرها باليتم، ثم قص خبرها وخبر زكريا، وما دعا به، وما أعطاه؛ إذ وهب له يحيى ثم ذكر مريم، وقول الملائكة وطهرتك واضطفاك لها ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ يقول الله عز وجل: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ أي: ما كنت معهم ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: أقلامهم: سهامهم، يعني قداحهم التي استهموا بها عليها، فخرج قدح زكريا فضمها، فيما قال الحسن بن أبي الحسن البصري.

دعوى كفالة جريج الراهب لمريم:

قال ابن إسحاق: كفّلها هاهنا جريج الراهب، رجل من بني إسرائيل نجار، خرج السهم عليه بحملها، فحملها، وكان زكريا قد كفّلها قبل ذلك، فأصابته بني إسرائيل أزمّة شديدة، فعجز زكريا عن حملها، فاستهموا عليها أيهم يكفلها، فخرج السهم على جريج الراهب بكفولها فكفلها. ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾، أي: ما كنت معهم إذ يختصمون فيها. يُخْبِرُهُ بِخَفِيِّ مَا كَتَمُوا مِنْهُ مِنَ الْعِلْمِ عَنْهُمْ، لتحقيق نبوته والحجة عليهم بما يأتيهم به ممّا أخفوا منه.

﴿وَلِتُضْنَعْ عَلَى عَيْنِي﴾ ولم يقل: كما قال في الآية الأخرى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ لأنه أخبر عن قول قاله لم ينزله بهذا اللسان العربي ولم يخك لفظاً أنزله، وإنما أخبر عن المعنى، وليس المجاز في المعنى، وكذلك لا يجوز لعبد أن يقول رب اغفروا، ولا ازحموني، ولا عليكنم توكلت، ولا إليكم أنبت، ولا قالها نبي قط في مناجاته، ولا نبي في دعائه لوجهين، أحدهما: أنه واجب على العبد أن يشعر قلبه التوحيد، حتى يشاكل لفظه عقده^(١). الثاني: ما قدمناه من سائر هذا المجاز، وأن سببه صدور الكلام عن حضرة الملك موافقة للعرب في هذا الأسلوب من كلامها، واختصاصها بعادة ملوكها وأشرافها، ولا ننظر لقول من قال في هذه المسألة، وبذلك روجعوا، يعني: بلفظ الجمع، واحتج بقوله سبحانه خبراً عمّن حضره الموت من الكفار إذ يقول: «رَبِّ ارْزُقُونِي»، فيقال له: هذا خبر عمّن حضرته الشياطين، ألا

(١) أي عقيدته.

ثم قال: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، أي: هكذا كان أمره، لا كما تقولون فيه: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أي عند الله ﴿وَمِنْ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يخبرهم بحالاته التي يتقلب فيها في عُمره، كتقلب بني آدم في أعمارهم، صغارا وكبارا، إلا أن الله خصه بالكلام في مهده آية لنبوته، وتغريفا للعباد بمواقع قدرته. ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، أي يصنع ما أراد، ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ﴾ مما يشاء وكيف يشاء، ﴿فَيَكُونُ﴾ كما أراد.

ما نزل من القرآن في بيان آيات عيسى عليه السلام

ثم أخبرها بما يريد به، فقال: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ﴾ التي كانت فيهم من عهد موسى قبله ﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾، كتابا آخر أحدثه الله عز وجل إليه لم يكن عندهم إلا ذكره أنه كائن من الأنبياء بعده ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، أي يحقق بها نبوتي، أني رسول منه إليكم ﴿أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الذي بعثني إليكم، وهو ربي وربكم ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ﴾.

ترى قبله: «وأعوذ بك رب أن يحضرون»، وإنما جاء هذا حكاية عمن حضرته الشياطين، وحضرته زبانية العذاب وجرى على لسانه في الموت ما كان يعتاده في الحياة من رد الأمر إلى المخلوقين، فلذلك خلط، فقال: رب، ثم قال: ارجعون، وإلا فأنت أيها الرجل المجيز لهذا اللفظ في مخاطبة الرب سبحانه: هل قلت قط في دعائك: ارحموني يا رب، وارزقوني؟! بل لو سمعت غيرك يقولها لسطوت به، وأما قول مالك وغيره من الفقهاء الأمر عندنا، أو رأينا كذا، أو نرى كذا، وإنما ذلك، لأنه قول لم ينفرد به، ولو انفرد به لكان بدعة، ولم يقصد به تعظيما لنفسه، لا هو ولا غيره من أهل الدين والدعة.

احتجاجهم لألوهية عيسى

وأما احتجاج القسيسين بأنه كان يحيي الموتى، ويخلق من الطين كهية الطير فينفخ فيه، فلو تفكروا لأبصروا أنها حجة عليهم، لأن الله تعالى خصه دون الأنبياء بمعجزات تبطل مقالة من كذبه، وتبطل أيضا مقالة من زعم أنه إله أو ابن الإله واستحال عنده أن يكون مخلوقا من غير أب، فكان نفخه في الطين، فيكون طائرا حيا: تنبيهها لهم لو عقلوه على أن مثله كمثل آدم خلق من طين، ثم نفخ فيه الروح، فكان بشرا حيا، فنفخ الروح في الطائر

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الأكمه: الذي يولد أعمى. قال رؤبة بن العجاج:

هَرَجْتُ فارتدَّ ارتدادَ الأكمه

(وجمعه: كمه). قال ابن هشام: هرجت: صحت بالأسد، وجلبت عليه. وهذا البيت في أرجوزة له.

﴿وَأُخِييَ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ﴾ أني رسول الله من الله إليكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَصَدَّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾، أي لما سبقني عنها ﴿وَلِأَحَلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾، أي أخبركم به أنه كان عليكم حرامًا فتركتموه، ثم أحله لكم تخفيفًا عنكم، فتصيرون يسره وتخرجوه من تباعاته ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا إِنْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ أي تبرئًا من الذين يقولون فيه، واحتجاجًا لربه عليهم، ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، أي هذا الذي قد حملتكم عليه وجئتكم به. ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾ والعدوان عليه، ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ هذا قولهم الذي أصابوا به الفضل من ربهم ﴿وَأَشْهَدُ بَأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ لا ما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، أي هكذا كان قولهم وإيمانهم.

الذي خلقه عيسى من طين ليس بأعجب من ذلك، الكلُّ فعل الله، وكذلك إحياءه للموتى، وكلامه في المهد، كلُّ ذلك يدل على أنه مخلوق من نفخة روح القدس في جيب أمه، ولم يُخلَقْ من مَنِيِّ الرجال، فكان معنى الروح فيه - عليه السلام - أقوى منه في غيره، فكانت معجزاته روحانية دالة على قوة المناسبة بينه وبين روح الحياة، ومن ذلك بقاؤه حيًّا إلى قُرب الساعة. ورُوي عن أبي بن كعب أن الروح الذي تمثَّل لها بشرًا هو الروح الذي حملت به، وهو عيسى عليه السلام دخل من فيها إلى جوفها. رواه الكشي بإسناد حسن يرفعه إلى أبي^(١)، وخُصَّ بإبراء الأكمه والأبرص، وفي تخصيصه بإبراء هاتين الآفتين مُشاكلةً لمعناه - عليه السلام - وذلك أن فرقة عميت بصائرهم، فكذبوا نبوته، وهم اليهود وطائفة غلَّوا في تعظيمه بعدما أبيضَّت قلوبهم بالإيمان، ثم أفسدوا إيمانهم بالغلُو، فمثَّلهم كمثل الأبرص أبيضَّ بياضًا فاسدًا، ومثَّل الآخرين مثل الأكمه الأعمى، وقد أعطاه الله من الدلائل على

(١) حديث يضاد صريح القرآن، أن الذي تمثَّل لها قال المفسرون: إنما هو جبريل عليه السلام، الذي خاطبها وبشرها بعيسى عليه السلام، لم يكن هو نفس الروح الذي حملت به.

الفريقين ما يُبطلُ المقاليتين، ودلائل الحُدُوثِ تُثبِتُ لَهُ العُبُودِيَّةَ، وتَنفِي عنه الرُّبُوبِيَّةَ، وخصائصُ مُعْجَزَاتِهِ تَنفِي عن أُمِّهِ الرُّبُوبِيَّةَ وتُثبِتُ لَهُ ولها النُّبُوَّةُ والصُّدُوقِيَّةُ، فكان في مَسِيحِ الْهُدَى من الآياتِ ما يُشَاكِلُ حالَهُ، ومعناه حَكَمَةٌ من الله، كما جَعَلَ في الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ من مَسِيحِ الضَّلَالَةِ، وهو الْأَغُورُ الدَّجَالُ ما يُشَاكِلُ حالَهُ، ويناسبُ صُورَتَهُ الْبَاطِنَةَ، على نحو ما شَرَحْنَا وَبَيَّنَّا في إِمْلَاءِ أَمْلِيْنَاهُ على هذه النُّكْتَةِ في غير هذا الكتاب والحمد لله^(١).

(١) تعقيب: أورد فضيلة الشيخ أحمد القطان في أحد أسفاره بعض من الأسئلة على أحد قساوسة النصارى، البروفيسير المتخصص في مقارنة الأديان - فقال فضيلته سائلاً:

١ - هل سمعت أو رأيت أن هناك إنساناً نكح بقرة - مثلاً - فخرج المولود نصف إنسان ونصف بقرة؟ قال القسيس: لا. فالطبيعة العضوية لكل منهما مخالف للآخر تماماً. قال فضيلته معقّباً: إذن كيف ساغ عندك أن «الله» نكح مريم فأنجب منها «عيسى» فكان نصف إله ونصف بشر؟!!!

٢ - ثم قال له: من المقرر أن الأعلى يحتوي الأدنى - الأكبر يحتوي الأصغر - بمعنى أن الحجرة وهي الأكبر تحتوي من بداخلها وهو الأصغر. فكيف ساغ عندك وفي عقيدتك أن رحم مريم - وهو الأدنى - احتوى الإله - وهو عيسى عليه السلام؟!!!

٣ - ثم قال له: من المقرر عندك أن عيسى - عليه السلام - نصف ناسوت ونصف لاهوت. أي النصفين صُلب على الصليب - كما في زعمكم - إن كان الناسوتي فالنصف اللاهوتي خائن مجرم، إذ من المقرر أن الإله يعلم الغيب، والنصف الإله علم أن النصف الناسوتي سيُصلب على الصليب - كما تزعم - ولم يخبر النصف الناسوتي - فهو خائن له. فهل هذا هو إلهك الذي تعبد؟ وإذا كان النصف اللاهوتي هو الذي صلب، فكيف ساغ عندك أن تعبد إلهًا يصلب على الصليب.

٤ - ثم قال له: هنا أب لسبعة أولاد، ستة منهم أشقياء والسابع مطيع لأبيه حليم به، قال الأب لأبنائه: إذا أردتم عفوي وصفحي ومحبتي لكم فاقتلوا أخاكم السابع. المطيع الرؤوف بأبيه. ترى أي أب هذا، لا بد وأنه مجنون، كيف ساغ عندك وفي عقيدتك أن الله أمكن اليهود من ابنه - المسيح - كما تزعم - فصلبوه وهو الابن المطيع لله تعالى؟!!!

٥ - ثم قال له: إذا كان هناك نصيب من الحق مع عيسى ومحمد فاليهود لا يؤمنون بهما، فقد فاتهم نصيب من الحق، وأنتم أيها النصارى، إذا كان هناك نصيب من الحق مع محمد، فأنتم واليهود لم تؤمنوا منه. أما أنا فإذا كان نصيب من الحق مع موسى فأنا أؤمن به، وإذا كان مع عيسى فأنا أؤمن به، وإذا كان مع محمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فأنا أؤمن به. ويقول العلامة ابن القيم في «إغاثة اللهفان» ردًا على النصارى سائلاً إياهم:

أعْبَادُ الْمَسِيحِ لَنَا سَوَالُ	نريد جوابه ممن وعاه
إذا مات الإله يُصنع قوم	أما توه فما هذا الإله؟!!!
وهل أرضاه ما نالوه منه؟	فبشراهم إذا نالوا رضاه
وإن سخط الذي فعلوه فيه	فَقُوَّتُهُمْ إِذَا أَرْهَقَتْ قَوَاهُ

وضعتها أنثى:

فصل: وذكر في تفسير ما نزل فيهم قول حنة أم مريم، وهي بنت ماثان: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ قال بعض أهل التأويل: أشارت إلى معنى الحيض أن الأنثى تحيض، فلا تخدم المسجد، ولذلك قال: (وليس الذكر كالأنثى) لأن الذكر لا يحيض، فهو أبداً في خدمة المسجد، وهذه إشارة حسنة. فإن قيل: كان القياس في الكلام أن يقال: وليس الأنثى كالذكر، لأنها دونه، فما باله بدأ بالذكر؟ والجواب: أن الأنثى إنما هي دون الذكر في نظر العبد لنفسه؛ لأنه يهوى ذكران البنين، وهم مع الأموال زينة الحياة الدنيا وأقرب إلى فتنة العبد، ونظر الرب للعبد خير من نظره لنفسه، فليس الذكر كالأنثى على هذا، بل الأنثى أفضل في الموهبة، ألا تراه يقول سبحانه: ﴿يَهَبْ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا﴾ فبدأ بذكرهن قبل الذكور،

سميع يستجيب لمن دعاه
ثوى تحت التراب، وقد علاه
يدبرها وقد سُمرت يدها؟
بنصرهم وقد سمعوا بكاه؟
ه الحق شدد على قفاه؟
يخالطه ويلحقه أذاه؟
وطالت حيث قد صفعوا قفاه؟
أم المحيي له رب سواه؟
وأعجب منه بطن قد حواه
لدى الظلمات من حيض غذاه
ضعيفاً فاتحاً للشدي فاه
بلازم ذاك، هل هذا إله؟
سؤال كلهم عما افتر له
يُعظم أو يُقبح من رماه؟
واحراق له ولمن بغاه؟
وقد شدت لتسمير يدها
فدسه، لا تبسه إذ تراه
وتعيده؟ فإنك من عداه
حوى رب العباد وقد علاه
له شكلاً تذكرونا سناء
لضم القبر ربك في حشاه؟
بدايته، وهذا منتهاه

= وهل بقي الوجود بلا إله
وهل خلت الطباق السبع لما
وهل خلت العوالم من إله
وكيف تخلت الأملاك عنه
وكيف أطاقت الخشبان حمل الإل
وكيف دنا الحديد إليه حتى
وكيف تمكنت أيدي عداه
وهل عاد المسيح إلى حياة
ويا عجباً لقبر ضم رباً
أقام هناك تسعاً من شهور
وشق الفرج مولوداً صغيراً
ويأكل ثم يشرب ثم يأتي
تعالى الله عن إفك النصارى
أعباد الصليب لأي معنى
وهل تقضي العقول بغير كسر
إذا ركب الإله عليه كرهاً
فذاك المركب الملعون حقاً
يهان عليه رب الخلق طراً
فإن عظمت من أجل أن قد
وقد فقد الصليب فإن رأينا
فهلاً للقبور سجدت طراً
فيا عبد المسيح أفق فهذا

رفع عيسى عليه السلام:

ثم ذكر (سبحانه وتعالى) رفعه عيسى إليه حين اجتمعوا لقتله، فقال: ﴿وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾. ثم أخبرهم وردّ عليهم فيما أقرّوا لليهود بصلّبه، كيف رفعه وطهره منهم، فقال: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، إذ همّوا منك بما همّوا ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. ثم القصة؛ حتى انتهى إلى قوله: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ القاطع الفاصل الحق، الذي لا يخالطه الباطل، من الخبر عن عيسى، وعمّا اختلفوا فيه من أمره، فلا تقبلن خبراً غيره. ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾ فاستمع ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾، أي ما جاءك من الخبر عن عيسى ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾، أي قد جاءك الحق من ربك فلا تُمترين فيه، وإن قالوا: خلق عيسى من غير ذكر فقد خلقت آدم من تراب، بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر، فكان كما كان عيسى لحماً ودمًا، وشعرًا وبشرًا، فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا. ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، أي من بعد ما قصصْتُ عليك من خبره، وكيف كان أمره، ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

وفي الحديث: ابدؤوا بالإناث، يعني: في الرحمة وإدخال السرور على البنين، وفي الحديث أيضًا: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ دَخَلَتْ أُنَا وَهُوَ الْجَنَّةُ كَهَاتَيْنِ»^(١) فترتب الكلام في التنزيل على حَسَبِ الْأَفْضَلِ فِي نَظَرِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ.

المباهلة:

فصل: وذكر دُعَاءَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَهْلَ نَجْرَانَ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ، وَأَنَّهُمْ رَضُوا بِبَذْلِ الْجَزِيَّةِ وَالصَّغَارِ، وَأَنْ لَا يُلَاعِنُوهُ، وَكَذَلِكَ رُوي أَنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ لِبَعْضٍ: إِنَّ لَاعِثْمُوهُ، وَدَعَوْتُمْ بِاللَّعْنَةِ عَلَى الْكَاذِبِ اضْطَرَمَّ الْوَادِي عَلَيْكُمْ نَارًا، وَفِي تَفْسِيرِ الْكَشِّي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَقَدْ تَدَلَّى إِلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ بَاهَلُونِي لاسْتَوْصِلُوا مِنْ عَلَيَّ جَدِيدِ الْأَرْضِ»^(٢).

نكتة: في قوله: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ بدأ بالأبناء والنساء قبل الأنفس. والجواب: أن أهل التفسير قالوا أنفسنا وأنفسكم، أي لِيَدْعُ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَهَذَا نَحْوُ

(١) «صحيح». أخرجه مسلم في البر والصلة (١٤٩) والبيهقي في الآداب (٢٦) بتحقيقي. والحاكم (١٧٧/٤).

(٢) انظر صحيح البخاري (٢١٧/٥) الفتح (٦٧/٨) وأحمد (٤١٤/١).

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: قال أبو عبيدة: نَبْتَهْل، ندعو باللعنة، قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

لَا تَقْعُدَنَّ وَقَدْ أَكَلَتْهَا حَطْبَا نَعُوذُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وَنَبْتَهْل

وهذا البيت في قصيدة له. يقول: ندعو باللعنة. وتقول العرب: بهل الله فلانًا، أي لعنه، وعليه بهلة الله. (قال ابن هشام): ويقال: بهلة الله، أي لعنة الله، ونبتهل أيضًا: نجتهد، في الدعاء.

قال ابن إسحاق: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي جئت به من الخبر عن عيسى ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ من أمره ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. فدعاهم إلى النصف، وقطع عنهم الحجة.

إبائهم الملائنة:

فلما أتى رسول الله ﷺ الخبر من الله عنه، والفضل من القضاء بينه وبينهم، وأمر بما أمر به من ملاعتهم إن ردوا ذلك عليه، دعاهم إلى ذلك؛ فقالوا له: يا أبا القاسم، دَعْنَا نَنْظُرْ فِي أَمْرِنَا، ثُمَّ نَأْتِيكَ بِمَا نَرِيدُ أَنْ نَفْعَلَ فِيمَا دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ. فانصرفوا عنه، ثم خَلَوْا بِالْعَاقِبِ، وَكَانَ ذَا رَأْيِهِمْ، فَقَالُوا: يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ، مَاذَا تَرَى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عَرَفْتُمْ إِنْ مُحَمَّدًا لِنَبِيِّ مُرْسَلٍ، وَلَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْفَضْلِ مِنْ خَيْرِ صَاحِبِكُمْ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَاعَنَ قَوْمٌ نَبِيًّا قَطُّ فَبَقِيَ كَبِيرُهُمْ، وَلَا نَبَتْ صَغِيرُهُمْ، وَإِنَّهُ لَلِاسْتِثْصَالُ مِنْكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ أَبَيْتُمْ إِلَّا إِلْفَ دِينِكُمْ، وَالْإِقَامَةَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ فِي صَاحِبِكُمْ، فَوَادِعُوا الرَّجُلَ، ثُمَّ انصرفوا إلى بلادكم. فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا أبا القاسم، قَدْ رَأَيْنَا أَلَّا نُلَاعِنَكَ، وَأَنْ نُتْرَكَ عَلَى دِينِكَ وَنَرْجِعَ عَلَى دِينِنَا، وَلَكِنْ ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ تَرْضَاهُ لَنَا، يَحْكُمَ بَيْنَنَا فِي أَشْيَاءِ اخْتَلَفْنَا فِيهَا مِنْ أَمْوَالِنَا، فَإِنْ كُنْمْ عِنْدَنَا رِضًا.

قوله: «فَسَلُّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ» في أحد القولين، أي: يسلم بعضكم على بعض، فبدأ بذكر الأولاد الذين هم فلذ الأكباد، ثم بالنساء التي جعل بيننا وبينهم مودة ورحمة، ثم مَنْ وراءهم مَنْ دُعَاءُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَدْعُو نَفْسَهُ، وَانْتَظَمَ الْكَلَامَ عَلَى الْأَسْلُوبِ الْمُعْتَادِ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ. وفي حديث أهل نجران زيادة كثيرة عن ابن إسحاق من غير رواية ابن هشام،

تولية أبي عبيدة أمورهم:

قال محمد بن جعفر: فقال رسول الله ﷺ: «ائتوني العشيّة أبعث معكم القويّ الأمين» قال: فكان عمر بن الخطاب يقول: ما أحببتُ الإمارة قطُّ حُبِّي إياها يومئذ، رجاء أن أكون صاحبها، فرُخْتُ إلى الظُّهر مهجراً، فلما صُلّي بنا رسولُ الله ﷺ الظُّهر سلّم، ثم نظر عن يمينه وعن يساره، فجعلت أٌطاول له ليراني، فلم يزل يلتبس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح، فدعاه فقال: «اخرج معهم، فاقض بينهم بالحقّ فيما اختلفوا فيه». قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة^(١).

منها أن راهب نَجْرانَ حين رجع الوفدُ وأخبروه الخبر رحل إلى النبي - ﷺ - فسمع منه وأهدى إليه القُضيبَ^(٢) والقَعْبَ^(٣) والبرْدَ^(٤) الذي هو الآن عند خلفاء بني العبّاس يتوارثونه.

(١) انظر التخريج السابق.

(٣) القعب: القدح الضخم.

(٢) القضيبي: السيف.

(٤) البرد: ضرب من الثياب.

نُبذ من ذكر المنافقين

ابن أبي وابن صيفي

قال ابن إسحاق: وقَدِم رسولُ الله ﷺ المدينة - كما حدَّثني عاصمُ بن عمر بن قتادة - وسَيِّدُ أهلها عبدُ الله بن أبي ابن سلول العوفي ثم أحدُ بني الحُبلى، لا يختلف علي في شَرَفه اثنان، لم تجتمع الأوس والخزرج قبْله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين، حتى جاء الإسلام، غيره، ومعه في الأوس رجلٌ، هو في قومه من الأوس شريفٌ مطاع، أبو عامر عبد عمرو بن صَيْفِي بن النُّعْمان، أحدُ بني ضُبَيْعة بن زيد، وهو أبو حَنْظَلَة، الغسيل يومُ أُحُد، وكان قد ترهَّب في الجاهليَّة ولَبِس المُسوح، وكان يُقال له: الراهب. فَشَقِيَا بشرفهما وضرَّهما.

سلول

فصل: وذكر قصة عبد الله بن أبي ابن سلول، وسلول: هي أم أبي، وهي خُزَاعِيَّة، وهو أبي بن مالك من بني الحُبلى، واسم الحُبلى: سالم والنَّسَبُ إليه: حُبْلِيٌّ بضمَّتَيْن، كرهوا أن يقولوا: حُبْلَوِيٌّ أو حُبْلِيٌّ أو حُبْلَاوِيٌّ على قياس النَّسَب، لأن حُبْلَى وسَكْرَى ونحوهما إذا كانا اسما لرجل، لم يَجْر في الجمع على حُكْم التَّأْنِيث، وكذلك فَعْلَاء بالمد تقول في جمع رجل اسمه: سَلَمَى أو وَزْقَاءُ الوَزْقَاوُون والسَّلْمُون، وهذا بخلاف تاء التَّأْنِيث، فإنك تقول في طَلْحَة اسم رجل طَلْحَات، كما كنت تقول في غير العَلَمِيَّة، لأن التاء لا تكون إلا للتَّأْنِيث، والألف تكون للتَّأْنِيث وغيره، فلما كانت ألف التَّأْنِيث بخلاف تاء التَّأْنِيث في الأسماء والأعلام كان النسب إليها مخالفاً للنسب إلى ما فيه ألف التَّأْنِيث في غير الأعلام، غير أن هذا في باب النسب لا يَطْرُد وإن اطرَدَ الجمعُ، كما قدمنا، وكانت النُّكْتَةُ التي خُصَّ بها النسبُ في بني الحُبلى بمخالفة القياس كراهيتهم لحكم التَّأْنِيث فيه لأن الحُبْلَى وصفٌ

إسلام ابن أبي [نفاقاً] (١):

فأما عبد الله بن أبي فكان قومه قد نَظَمُوا له الْخَرْزَ لِيَتَوَجَّوه، ثم يَمْلِكُوهُ عَلَيْهِمْ، فجاءهم الله تعالى برسوله ﷺ، وهم على ذلك. فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن، ورأى أن رسول الله ﷺ قد استلبه مُلْكًا. فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارهاً مُصِرّاً على نفاق وضغن.

للمرأة بالحبل، فليس كراهيتهم لبقاء حكم التأنيث فيمن اسمه سَلَمَى من الرجال ككراهيتهم لبقاء حكم التأنيث فيمن اسمه: حُبْلَى؛ فلذلك غَيَّرُوا النِّسْبَ، حتى كأنهم نَسَبُوا إلى حُبْلٍ والله أعلم.

وأما سَلُولٌ في خِزَاعَةٍ، وقد تقدم عند ذكر حُبْشِيَّةِ ابن سَلُولٍ قَاسِمُ رَجُلٍ مَصْرُوفٍ، وأما بنو سَلُولٍ بن صَغَصَةَ إِخْوَةُ بني عامر فهم: بنو مُرَّةَ بنِ صَغَصَةَ. وسَلُولٌ: أمهم، وهي بنتُ ذُهَلِ بن شَيْبَانَ، فجميع ما وقع لابن إسحاق في السَّيَرِ من سَلُولٍ: ثلاثة: واحد اسم رجل مَصْرُوفٍ، وثنتيان غير مَصْرُوفَتَيْنِ، وهما اللتان ذكرنا.

الملك في العرب:

وذكر أن الأنصار كانوا قد نَظَمُوا الْخَرْزَ لعبد الله بن أبي لِيَتَوَجَّوه وَيَمْلِكُوهُ عَلَيْهِمْ، وذلك أن الأنصار يَمَنُّ، وقد كانت الملوكُ الْمُتَوَجِّحُونَ من اليمَنِ في آلِ قَحْطَانَ، وكان أول من تَتَوَجَّحَ منهم سَبَأُ بنُ يَشْجَبَ بن يَغْرُبَ بن قَحْطَانَ، ولم يَتَوَجَّحْ من الْعَرَبِ إِلَّا قَحْطَانِيٌّ كَذَلِكَ قال أبو عُبَيْدَةَ، ف قيل له: قد تَتَوَجَّحَ هَوْدَةُ بن عَلِيٍّ الْحَنْفِيُّ صَاحِبُ الْيَمَامَةِ، وقال فيه الْأَعَشَى:

من يرى هَوْدَةَ يَسْجُدُ غَيْرَ مَتَّيْبٍ إِذَا تَعَمَّمَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا
وفي الْخَرْزَاتِ الَّتِي بِمَعْنَى التَّاجِ يَقُولُ الشَّاعِرُ: [البَيْدُ يَذْكُرُ الْحَارِثَ بْنَ أَبِي شِمَرَ الْغَسَّانِيَّ].

رَعَى خَرْزَاتِ الْمُلْكِ عِشْرِينَ حِجَّةً وَعِشْرِينَ حَتَّى فَادَ وَالشَّيْبُ شَامِلٌ
وقال أبو عُبَيْدَةَ: لم يَكُنْ تَاجًا، وإنما كانت خَرْزَاتٌ تُنْظَمُ، وكان سَبَبُ تَتَوَجَّحِ هَوْدَةَ أَنَّهُ أَجَارَ لَطِيمَةً لِكُشْرَى مَنَعَهَا مِمَّنْ أَرَادَهَا مِنَ الْعَرَبِ، فلما وفد عليه تَوَجَّهَ لَذَلِكَ وَمَلَّكَه.

(١) ما بين القوسين زيادة رأيتها لازمة.

إصرار ابن صيفي على كفره:

وأما أبو عامر فأبى إلا الكُفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام، فخرج منهم إلى مكة ببضعة عشر رجلاً مفارقاً للإسلام ولرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ - كما حدثني محمد بن أبي أمامة عن بعض آل حنظلة بن أبي عامر: «لا تقولوا الراهب ولكن قولوا: الفاسق».

ما نال ابن صيفي جزاء تعريضه بالرسول ﷺ:

قال ابن إسحاق: وحدثني جعفر بن عبد الله بن أبي الحَكيم، وكان قد أدرك وسمع، وكا راوية: أن أبا عامر أتى رسول الله ﷺ حين قدم المدينة، قبل أن يخرج إلى مكة، فقال: ما هذا الدين الذي جئت به؟ فقال: «جئت بالحنيفية دين إبراهيم»، قال: فأنا عليها؛ فقال له رسول الله ﷺ: «إنك لست عليها»؛ قال: بلى، قال: «إنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها»، قال: ما فعلت، ولكني جئت بها بيضاء نقية؛ قال: «الكاذب أماته الله طريداً غريباً وحيداً - يعرض برسول الله ﷺ - أي أنك جئت بها كذلك». قال رسول الله ﷺ: «أجل، فمن كذب ففعل الله تعالى ذلك به». فكان هو ذلك عدو الله، خرج إلى مكة، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة خرج إلى الطائف. فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام. فمات بها طريداً غريباً وحيداً.

الاحتكام إلى قيصر في ميراثه:

وكان قد خرج معه علقمة بن علاثة بن عوف بن الأخوص بن جعفر بن كلاب، وكنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي، فلما مات اختصما في ميراثه إلى قيصر، صاحب الروم. فقال قيصر: يرث أهل المدر أهل المدر، ويرث أهل الوبر أهل الوبر، فورثه كنانة بن عبد ياليل بالمدر دون علقمة.

هجاء كعب لابن صيفي:

فقال كعب بن مالك لأبي عامر فيما صنع:

مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ عَمَلٍ خَبِيثٍ كَسَعِيكَ فِي الْعَشِيرَةِ عَبْدَ عَمْرٍو
فِيمَا قُلْتَ لِي شَرَفٌ وَنَخْلٌ فَقَدْ مَا بَغْتَ إِيمَانًا بِكُفْرٍ

قال ابن هشام: ويروى:

فإما قلت لي شرف ومال

قال ابن إسحاق: وأما عبد الله بن أبي فأقام على شرفه في قومه متردداً، حتى غلبه الإسلام، فدخل فيه كارهاً.

خروج قوم ابن أبي عليه وشعره في ذلك:

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن مسلم الزُّهري، عن عروة بن الزبير، عن أسامة بن زيد بن حارثة، حب رسول الله ﷺ، قال: ركب رسول الله ﷺ إلى سعد بن عبادَة يعودُه من شكو أصابه على حمار عليه إكاف، فوقه قطيفة فدكية مُخْتَطمة بحبل من ليف، وأزْدَفني رسول الله ﷺ خلفه، قال: فمرّ بعبد الله بن أبي، وهو (في) ظل مُزاحم أطمه.

قال ابن هشام: مزاحم: اسم الأطم.

قال ابن إسحاق: وحوله رجال من قومه. فلما رآه رسول الله ﷺ تَدَمَّ من أن يجاوزَه حتى ينزل فنزل فسلم ثم جلس قليلاً فتلا القرآن ودعا إلى الله عز وجل، وذكر بالله وحذر، وبشر وأنذر قال: وهو زام لا يتكلم، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من مقالته، قال: «يا هذا، إنه لا أحسن من حديثك هذا إن كان حقاً فاجلس في بيتك فمن

مزاحم أطمه:

فصل: وذكر في حديث عبد الله بن أبي أن رسول الله ﷺ مرَّ به، وهو ظلُّ مُزاحم أطمه، وآطام المدينة: سُطُوحٌ، ولها أسماء، فمنها مُزاحم ومنها الزُّوراءُ أطم بني الجُلاح، ومنها معرض أطم بني ساعدة، ومنها: فارغ أطم بني حُدَيْلَة، ومنها مِسْعَط، ومنها: واقم، وفي معرض يقول الشاعر:

ونحن دَفَعْنَا عن بُضَاعَة كُلِّهَا ونحن بنينا معرضاً فهو مُشْرِفٌ
فأصبحَ مَغْمُورًا طَوِيلًا قَذَالُهُ وتَخَرَّبَ آطَامُ بِهَا وتَقَصَّفُ

وبُضَاعَة أرض بني ساعدة، وإليها تُنسَبُ بئرُ بني بُضَاعَة. والأجشُ وكان بَقْبَاءَ، والحميم والنواحان، وهما أطمَانِ لبني أنيف وصِرَار وكان بالجَوَائِيَّة والرِّيَّان والشَّبَعَان وهو في تَمَغ. ورَاتِح والأبيض، ومنها عاصم والرُّغْلُ وكان لَحْضَيْر بن سِمَاكٍ ومنها خَيْطٌ وواسط وخَبِيثش، والأغلب ومنيع، فهذه آطام المدينة ذكر أكثرها الزبير، والأطم: اسم مأخوذ من

جاءك له فحدثه إياه، (و) من لم يأتك فلا تَغْتَه به، ولا تَأْتِه في مجلسه بما يَكْره منه». قال: فقال عبدُ الله بن رَواحة في رجال كانوا عنده من المسلمين: بلى، فَاغْشَنا به، واثنا في مجالسنا ودُورنا وبُيُوتنا، فهو والله مما نحبّ ومما أَكْرَمنا الله به وهدانا له، فقال عبد الله بن أبيّ حين رأى من خلاف قومه ما رأى:

متى ما يَكُنْ مَوْلَاكَ خَصْمُكَ لا تزل تَذِلْ وَيَضْرَعُكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ
وهل يَنْهَضُ البازي بغير جَنَاحه وإنْ جُدَّ يَوْمًا ريشُه فهو واقع
قال ابن هشام: البيت الثاني عن غير ابن إسحق.

غضب الرسول ﷺ من كلام ابن أبيّ:

قال ابن إسحق: وحدثني الزُّهري، عن عُرْوَة بن الزَّبير، عن أسامة، قال: وقام رسولُ الله ﷺ، فدخل على سَعْد بن عُبادة، وفي وجهه ما قال عدوُّ الله ابن أبيّ، فقال: والله يا رسول الله إني لأرى في وَجْهِكَ شيئًا، لكأنك سَمِعْتَ شيئًا تَكْرَهُه؛ قال: «أجل» ثم أخبره بما قال ابن أبيّ: فقال سعد: يا رسولَ الله، ارفُقْ به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإِنَّا لَنَنْظُمُ له الْخَرْزَ لِنَتَوَجَّه، فوالله إنه ليرى أن قد سلبته مُلْكًا.

اِثْتَمَ: إذا ارتفع وعلا، يقال: اِثْتَمَ عَلَيَّ فُلَانٌ إذا غَضِبَ وانتَفَخَ، والأطمات: نيران معروفة في جبال لا تَخْمَدُ فيها، تأخذ بأغنان السماء، فهي أبدًا باقية، لأنها في معادِنِ الكبريت، وقد ذكر المسعودي منها جملة، وذكر مواضعها، وقول عبد الله بن أبيّ:

مَتَى مَا يَكُنْ مَوْلَاكَ خَصْمُكَ لا تَزَلْ تَذِلْ وَيَضْرَعُكَ الَّذِينَ تُصَارِعُ
يقال: إن ابن أبيّ تمثّل بهما، ويقال: إنهما الخُفَافِ ابن نُذْبَة وخُفَافُ هو: ابنُ عَمْرِو بن الشَّرِيد أحدُ غَرْبانِ الْعَرَبِ^(١)، وأُمُّه. نُذْبَة، ويقال فيها: نُذْبَة، ونُذْبَة، وهو سلمى.

وذكر في حديث عبدِ الله أن رسولَ الله - ﷺ - دخل على سَعْد بن عُبَادَة يعودُه، وفي رواية يونس زيادة، فيها فقه قال: كان سعدُ قد دعاه رجلٌ من الليل فخرج إليه فضربه الرجلُ بسيف فأشواه^(٢)، فجاءه النبي ﷺ يعودُه من تلك الضربة، ولامه على خروجه ليلاً، وهذا هو موضع الفقه.

(١) أحد غربان العرب: أي أحد سودانهم.

(٢) أي لم يستطع قتله.

ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله ﷺ

مرض أبي بكر وعامر وبلال وحديث عائشة عنهم

قال ابن إسحاق: وحدثني هشام بن عروة، وعمر بن عبد الله بن عروة، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم، فصرف الله تعالى ذلك عن نبيه ﷺ. قالت فكان أبو بكر، وعامر بن فهيرة، وبلال، مؤلوا أبي بكر، مع أبي بكر في بيت واحد، فأصابتهم الحمى، فدخلت عليهم أعودهم، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوغك فدنوت من أبي بكر فقلت له: كيف تجدك يا أبت؟ فقال:

كل امرئ مصبّح في أهله والموت أذن من شراك نعليه
قالت: فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول. قالت: ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت له: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه
كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يخمي جلده بروقه

وعك أبي بكر وبلال وعامر

فصل: وذكر حديث عائشة حين وعك أبو بكر، وبلال وعامر بن فهيرة، وما أجابوها به من الرجز فيذكر أن قول عامر:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه

يريد: بطاقته، فيما قال ابن هشام: قالت: فقلت: والله ما يدري عامر ما يقول!
قالت: وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت. ثم رفع عقيرته فقال:

ألا ليت شِعري هل أبِيتن ليلةً بفَجٍّ وَحَوْلِي إِذْخِرُ وَجَلِيل
وهل أَرَدَنْ يوماً مِياهَ مَجِئَةٍ وهل يَبْدُونَ لي شامةً وَطَفِيل

قال ابن هشام: شامة وطفيل: جبلان بمكة.

إنه لِعَمْرُو بن مَامة، وفي هذا الخبر وما ذُكِرَ فيه من حَنِينهم إلى مكة ما جُبِلَتْ عليه
النفوسُ من حُبِّ الوطن والحنين إليه، وقد جاء في حديث أُصَيْل الغِفَارِيِّ، ويقال فيه:
الهُدَلِيّ أنه قَدِمَ من مكة، فسأله عائشة: كيف تركت مكة يا أُصَيْل؟ فقال: تركتها حين
ابْيَضَّتْ أَباطِئُهَا، وَأَحْجَنَ ثَمَامُهَا، وَأَغْذَقَ إِذْخِرُهَا، وَأَمْشَرَ سَلْمُهَا، فَاغْرُورَقَتْ عينا رسولِ
الله - ﷺ - وقال: «لا تُشَوِّفُنَا يا أُصَيْل»، وَيُرَوَى أنه قال له: «دَعِ الْقُلُوبَ تَقْرَ»، وقد قال
الأول:

ألا ليت شِعري هل أبِيتن ليلةً بوادي الخُزَامَى حَيْثُ رَيْثُنِي أَهْلِي
بلاد بها نِيطَتْ عَلَيَّ تَمَائِمِي وَقُطِعْنَ عَنِّي حِينَ أَدْرَكَنِي عَقْلِي
وأما قول بلال:

بِفَجٍّ وَحَوْلِي إِذْخِرُ وَجَلِيلُ

فَفَجٍّ موضع خارج مكة به مؤبته يقول فيه الشاعر:

ماذا بِفَجٍّ من الإِشْرَاقِ والطَّيِّبِ وَمِنْ جَوَارِ نَقِيَّاتِ رَعَابِيبِ^(١)

وَبِفَجٍّ اغتسل رسول الله - ﷺ - وهو مُخْرَمٌ، وَالْإِذْخِرُ من نَبَاتِ مكة. قال أحمد بن
داود وهو أبو حَنيفة الدينوري صاحبُ كتاب النبات: الْإِذْخِرُ فيما حكى عن الأعراب الأول
له أَصْلٌ مُنْدِفَقٌ وَقُضْبَانٌ دَفَاقٌ، وهو ذِفَرُ الرِّيحِ، وهو مِثْلُ الْأَضَلِ أَضَلُ الْكَوْلَانِ إِلَّا أَنَّهُ
أَعْرَضُ كُعُوبًا، وله ثمرة كأنها مَكَاسِحُ^(٢) الْقَصَبِ إِلَّا أَنَّهَا أَرْقُ وَأَصْغَرُ. قال أبو زياد، الْإِذْخِرُ
يُشَبَّهُ في نباته بنباتِ الْأَسَلِ الذي تُعْمَلُ منه الْحُضْرُ، وَيُشَبَّهُ نباتُه الْغَرَزُ، وَالْغَرَزُ ضَرْبٌ من
الثَّمَامِ، واحِدَتُهُ: غَرَزَةٌ، وَيُتَّخَذُ من الْغَرَزِ الْغَرَابِيلُ وَالْإِذْخِرُ أَرْقُ مِنْهُ، وَالْإِذْخِرُ يُطَحَنُ فَيَدْخُلُ

(١) رعايب: جارية رعبوب: أي حسناء، وقيل: الرطبة الحلوة، وقيل: هي البيضاء فقط. اللسان (٤٢١/١).

(٢) مكاسح: مكانس.

دعاء الرسول ﷺ بنقل وباء المدينة إلى مهيعة:

قالت عائشة رضي الله عنها: فذكرتُ لرسول الله ﷺ ما سمعتُ منهم، فقلت: إنهم لَيَهْذُونَ وما يَعْقِلُونَ من شدة الحمى. قالت: فقال رسول الله ﷺ: «اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حَبَّبْتَ إلينا مكة، أو أشدَّ، وبارك لنا في مُدَّها وصاعِها وانقل وباءها إلى مَهْيَعَةٍ»^(١)، ومَهْيَعَةٌ: الجُحْفَةُ.

في الطيب، وقال أبو عمرو: وهو من الجَنَبَةِ، وقُلْما تنبت الإِذْخِرَةُ مُنْفَرِدَةً، وقال في الجَلِيل عن أبي نصر: إن أهلَ الحجاز يُسَمُّونَ الثَّمَامَ الجَلِيلَ، ومعنى الجَنَبَةِ التي ذكر أبو عمرو: وهو كل نبات له أصول ثابتة، لا تَذْهَبُ بذهابِ فَرْعِهِ في الغَيْطِ، وتُلْقَحُ في الخريف، وليست كالشَّجَر الذي يَبْقَى أصله وفرعه في الغيط، ولا كالنَّجْم الذي يذهب فرعه وأصله، فلا يعود إلَّا زُرْبَعَتُهُ جانبَ النَّجْم والشَّجَر، فسُمِّيَ جَنَبَةً، ويقال لِلْجَنَبَةِ أيضًا: الطريفة، قاله أبو حنيفة. وَمَجَنَّةٌ سَوْقٌ من أسواق العرب بين عُكَاظٍ وذِي المَجَاز، وكلها، أسواق قد تقدم ذكرها. وَمَجَنَّةٌ يجوز أن تكون مَفْعَلَةٌ وفَعْلَةٌ، فقد قال سيبويه: في المِجَنِّ إن ميمه أصلية، وأنه فعل، وخالفه في ذلك الناس وجعلوه مِفعلاً، من جَنَّ إذا ستر، ومن أسواقهم أيضًا حُبَّاشَةٌ، وهي أبعد من هذه، وأما شَامَةٌ وطَفِيلٌ، فقال الخطابي في كتاب الأعلام في شرح البخاري: كنت أحسبهما جبَليْن، حتى مررتُ بهما، ووقفت عليهما فإذا هما عَيْنَان من ماء، ويقوي قول الخطابي إنهما عَيْنَان قول كثير:

وما أنْسَ م الأشياءِ لا أنْسَ مَوْقِفًا لنا، ولها بالخَبْتِ خَبْتِ طَفِيلٍ والخَبْتُ: مُنْخَفَضُ الأرض.

وذكر قول النبي ﷺ: «اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حَبَّبْتَ إلينا مَكَّةَ، وبارك لنا في مُدَّها وصاعِها» يعني الطَّعَامَ الذي يُكَالُ بالصَّاع، ولذلك قال في حديث آخر: «كيلوا طعامكم يُبَارِكُ لكم فيه»^(٢)، وشكا إليه قومٌ سُزْعَةً فَنَاءٍ طعامهم، فقال: أَتَهِيلُونَ أم تَكِيلُونَ؟ فقالوا: بل نهيل، فقال: كِيلُوا ولا تَهِيلُوا ومن رواه: «قُوتُوا طعامكم يُبَارِكُ لكم فيه»^(٣)، فمعناه عندهم: تصغير الأَرْغَفَةِ، وهكذا رواه البزار من طريق أبي الدَّرْدَاءِ، وذكر في تفسيره ما قلناه، وذكر

(١) أخرجه البخاري (٣٠/٣) ومسلم في الحج (٤٨٠) وأحمد (٥٦/٦).

(٢) أخرجه البخاري (٨٨/٣) وابن ماجه (٢٢٣١/٢٢٣٢) وأحمد (١٣١/٤) والطبراني (١٤٣/٤)، وانظر الفتح (٢٨١/١١).

(٣) «ضعيف جداً». أخرجه الطبراني (١٣٧/٣). وأورده الفتن في التذكرة (١٤٣) وابن الجوزي في اللآلئ (١١٧/٢). وأخرجه البزار (٣٣٣/٣).

ما جهد المسلمون من الوباء:

قال ابن إسحاق: وذكر ابن شهاب الزهري، عن عبد الله بن عمرو بن العاصي: أن رسول الله - ﷺ لما قدم المدينة هو وأصحابه أصابتهم حمى المدينة، حتى جُهدوا مرضاً، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه ﷺ، حتى كانوا ما يصلُّون إلا وهم قعود، قال: فخرج عليهم رسول الله ﷺ وهم يصلُّون كذلك، فقال لهم: «اعلموا أن صلاة القاعد

أبو عبيد: المُدَّ في كتاب الأموال، أعني مُدَّ المدينة فقال: هو رَطلٌ وثُلثٌ، والرَّطلُ: مائةٌ وثمانية وعشرون دِرْهَمًا، والدَّرْهَمُ خمسون حَبَّةً وخُمْسَانِ.

وقوله ﷺ: «وانْقُلْ حُمَاهَا، واجعلها بِمَهْيَعَةٍ»، وهي الجُحْفَةُ، كأنه عليه السلام لم يُرِدْ إِبْعَادَ الحُمَى عن جميع أرض الإسلام، ولو أراد ذلك لقال: انْقُلْ حُمَاهَا، ولم يَخْصُ موضعًا، أو كان يَخْصُ بلادَ الكفر، وذلك - والله أعلم - لأنه قد نَهَى عَنِ سَبِّ الحُمَى وَلَعْنِهَا في حديث أم المُسَيَّب^(١) وأخبر أنها طَهُورٌ^(٢)، وأنها حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ^(٣)، فجمع بين الرِّفْقِ بِأَصْحَابِهِ فَدَعَا لَهُم بِالشِّفَاءِ مِنْهَا، وَبَيَّنَّ أَنَّ لَا يُحْرَمُوا أَيْضًا الْأَجْرَ فِيمَا يُصِيبُوا مِنْهَا، فَلَمْ يُبْعِدْهَا كُلَّ البُعْدِ.

وأما مَهْيَعَةٌ، فقد اشتهر الوباء فيها بسبب هذه الدعوة، حتى قيل: إن الطائر يَمُرُّ بِغْدِيرِ حُمٍّ فَيَسْقَمُ، وَغْدِيرُ حُمٍّ فِيهَا، ويقال: إنها، ما وُلِدَ فِيهَا مَوْلُودٌ فَبَلَغَ الحُلُمَ، وهي أرض بُجْعَةٍ لَا تُسْكَنُ، وَلَا يُقَامُ فِيهَا إِقَامَةٌ دَائِمَةٌ فِيمَا بَلَّغْنِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وذكر تحريم رسول الله ﷺ المدينة، وفي غير هذه الرواية عن ابن إسحاق عن شُرْحَبِيلِ بْنِ سَعْدٍ، قال: كُنْتُ أَصْطَادُ فِي حَرَمِ الْمَدِينَةِ بِالْوَقَاقِصِ، وَهِيَ شِبَاكُ الطَّيْرِ، فَاصْطَدْتُ نُهَسًا، فَأَخَذَهُ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَصَكُّ فِي قَفَايَ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ.

وذكر حديث عبد الله بن عمرو، وقوله عليه السلام: «صلاة القاعد على النُضْفِ مِنْ صَلَاةِ الْقَائِمِ»^(٤) حين رَأَاهُمْ يُصَلُّونَ قُعُودًا مِنَ الْوَعَكِ، قال: فَتَجَسَّمَ النَّاسُ الْقِيَامَ عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ السُّقَمِ، وَهَذَا الْحَدِيثُ بِهَذَا اللَّفْظِ يَقْوِي مَا تَأَوَّلَهُ الْخَطَابِيُّ فِي صَلَاةِ الْقَاعِدِ أَنَّهَا عَلَى

(١) حديث نهى النبي ﷺ عن سب الحُمَى: أخرجه مسلم في البر والصلة (٥٣) والبيهقي في الكبرى (٣٧٧/٣) بلفظ: «لا تسبى الحمى بأنها تذهب خطايا ابن آدم كما يذهب الكير خبث الحديد».

(٢) أخرجه الحاكم (٣٤٦/١) وابن حبان (٧٠٤ - موارد) والبيهقي في الدلائل (١٥٤/٦).

(٣) أخرجه أحمد (٢٦٤/٥) والطبراني في الكبير (١١٠/٨) والطحاوي في المشكل (٦٨/٣) والبيهقي في الآداب (٩٥٠) بتحقيقي.

(٤) أخرجه مسلم في المسافرين (١٢٠) والنسائي (٢٣/٣) وابن ماجه (١٢٢٩/١٢٣٠) وأحمد (١٩٣/٢).

على النُّصْف من صلاة القائم». قال: فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضُّعْف والسُّقْم التماسَ الفضل.

بدء قتال المشركين:

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ تهيأ لحربه، قام فيما أمره الله من جهاد عدوّه، وقاتل مَنْ أمره الله به ممَّن يليه من المُشركين، مُشركي العرب، وذلك بعد أن بعثه الله تعالى بثلاث عشرة سنة.

النُّصْف من صلاة القائم، ثم قال الخطّابي: إنما ذلك للضعيف الذي يستطيع القيام بكُلْفَةٍ، وإن كان عاجزاً عن القيام البتّة، فصلاته مثل صلاة القائم، وهذا كُلُّه في الفريضة، والنافلة، وخالف أبو عبيد في تخصيصه هذا الحديث بصلاة النافلة في حال الصُّحة، واحتجّ الخطّابي بحديث عمران بن حصّين، وفيه: وصلاته قائماً على النُّصْف من صلاته قاعداً، قال: وقد أجمعت الأمة أن لا يُصَلِّي أحدٌ مضطجعا إلا من مَرَضٍ، فدلّ على أنه لم يُرَدّ بهذا الحديث كُلُّه إلا المريض الذي يَقْدِر على القيام بكُلْفَةٍ، أو على القُعود بمشقة، ونسب بعضُ الناس النَّسَوِيَّ إلى التَّضْعِيف في هذا الحديث، وقالوا: إنما هو وصلاته نائماً على النُّصْف من صلاته قاعداً، فتوهمه النَّسَوِيُّ قائماً، أي مضطجعا، فترجم عليه في كتابه: باب صلاة النائم، وليس كما قالوا، فإن في الرواية الثانية: وصلاة النائم على النُّصْف من صلاة القاعد، ومثل هذا لا يَتَصَحَّف، وقول الخطّابي: أجمعت الأمة على أن المضطجع لا يُصَلِّي في حال الصُّحة نافلة ولا غيرها، وافقه أبو عُمر على ادّعاء الإجماع في هذه المسألة، وليست بمسألة إجماع كما زعموا، بل كان من السَّلَف مَنْ يُجِيز للصحيح أن يتنفل مضطجعا، منهم الحسن البصري، ذكر ذلك أبو عيسى الترمذي في مصنفه.

تاريخ الهجرة

بالإسناد المتقدم عن عبد الملك بن هشام، قال: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِي، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمِطْلَبِيِّ، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، حِينَ اشْتَدَّ الضَّحَاءُ، وَكَادَتِ الشَّمْسُ تَعْتَدِلُ، لِثِنْتِي عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ التَّارِيخُ، (فِيمَا) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ.

قال ابن إسحاق: وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ ابْنُ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ بَعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِثَلَاثِ عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَقَامَ بِهَا بَقِيَّةَ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَشَهْرَ رَبِيعِ الْآخِرِ، وَجُمَادَيَيْنِ، وَرَجَبًا، وَشَعْبَانَ، وَشَهْرَ رَمَضَانَ، وَشَوَّالًا، وَذَا الْقَعْدَةِ، وَذَا الْحِجَّةِ - وَوَلِيَ تِلْكَ الْحِجَّةَ الْمُشْرِكُونَ - وَالْمَحَرَّمَ، ثُمَّ خَرَجَ غَازِيًا فِي صَفَرٍ عَلَى رَأْسِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ.

قال ابن هشام: وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ.

غزوة ودّان وهي أول غزواته عليه الصلاة والسلام

موادعة بني ضمرة والرجوع من غير حرب:

قال ابن إسحاق: حَتَّى بَلَغَ وَدَّانَ، وَهِيَ غَزْوَةُ الْأَبْوَاءِ، يَرِيدُ قَرِيشًا وَبَنِي ضَمْرَةَ بْنِ

تاريخ الهجرة، وغزوة ودّان^(١)

ذكر قدوم رسول الله - ﷺ - الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ، وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي

(١) انظر الطبقات لابن سعد (٥٩١/١) الطبري في تاريخه (٢٥٩/٢)، زاد المعاد (١٦٤/٣) ابن =

بُكر بن عبد مَنَاة بن كِنانة، فَوَادَعَتَهُ فِيهَا بَنُو ضَمْرَةَ، وَكَانَ الَّذِي وَاَدَّعَاهُ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ
مَخْشِي بن عمرو الضَّمْرِي، وَكَانَ سَيِّدَهُمْ فِي زَمَانِهِ ذَلِكَ. ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى
الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا، فَأَقَامَ بِهَا بَقِيَّةَ صَفَرٍ، وَصَدَرًا مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ.

قال ابن هشام: وهي أول غزوة غزاها.

باب الهجرة ما قاله ابن الكلبي وغيره في ذلك، وفي أي شهر كان قدومه من شهور
العجم.

وذكر أنه أقام بالمدينة بقية شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر، وجُمَادَيْنِ وَكَانَ الْقِيَاسُ
أَنْ يَقُولَ: وَشَهْرِي جُمَادَى، أَوْ يَقُولَ: وَبَقِيَّةَ رَبِيعٍ وَرَبِيعًا الْآخَرَ، كَمَا قَالَ فِي سَائِرِ الشُّهُورِ،
وَلَكِنْ الشَّهْرُ إِذَا سَمِيَتْهُ بِالْأَسْمِ الْعَلَمِ، لَمْ يَكُنْ ظَرْفًا، وَكَانَتْ الْإِقَامَةُ أَوْ الْعَمَلُ فِيهِ كُلُّهُ إِلَّا أَنْ
تَقُولَ شَهْرُ كَذَا، كَمَا تَقْدُمُ مِنْ كَلَامِنَا عَلَى شَهْرِ رَمَضَانَ فِي حَدِيثِ الْمَبْعَثِ، وَكَذَلِكَ قَالَ
سَيِّبُونَهُ، فَقَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ: جُمَادَيْنِ وَرَجَبًا مُسْتَقِيمٌ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ.

وقوله: بقية شهر ربيع، فلأن العمل والإقامة كان في بعضه: فلذلك لم يقل: بقية ربيع
الأول، لكنه قال: وشهر ربيع الآخر ليزدوج الكلام ويُشاكل ما قبله، وهذا كله من فصاحته
رحمه الله أو من فصاحة مَنْ كَانَ قَبْلَهُ إِنْ كَانَ رَوَاهُ عَلَى اللفظ.

وقوله: وجُمَادَيْنِ وَرَجَبًا. كان القياس أن يقول: والجُمَادَيْنِ بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ، لِأَنَّهُ اسْمٌ
عَلَمٌ، وَلَا يَشْنَى الْعَلَمُ، فَيَكُونُ مَعْرِفَةً إِلَّا أَنْ تُدْخَلَ عَلَيْهِ الْأَلِفُ وَاللَّامُ، فَتَقُولَ: الزَّيْدَانِ
وَالْعُمَرَانِ، لَكِنَّهُ أَجْرَاهُ بِفَصَاحَتِهِ مَجْرَى أَبَانَيْنِ وَقَتَوَيْنِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ اسْمٌ لَجَبَلَيْنِ،
وَلَا تَدْخُلُهُ الْأَلِفُ وَاللَّامُ، لِأَنَّهُ تَعْرِيفُهُ لَمْ يَزُلْ بِالتَّثْنَةِ، لِأَنَّهُمَا أَبَدًا مُتَلَازِمَانِ، فَالتَّثْنَةُ لَازِمَةٌ
لَهُمَا مَعَ الْعِلْمِيَّةِ بِخِلَافِ الْآدَمِيِّينَ، وَلَمَّا كَانَ جُمَادَيَانِ شَهْرَيْنِ مُتَكَارِهَيْنِ جَعَلَهُمَا فِي الزَّمَانِ
كَأَبَانَيْنِ فِي الْمَكَانِ، وَلَمْ يَجْعَلَهُمَا كَالزَّيْدَيْنِ وَالْعُمَرَيْنِ اللَّذَيْنِ لَا تَلَازُمَ بَيْنَهُمَا، وَهَذَا كَلَامُ
العرب. قال الحُطَيْئَةُ:

باتت له بكثيب جربة ليلة وطفاء بين جُمَادَيْنِ دُرُور

فإن قلت: فقد قالوا: السَّمَائِينَ فِي النُّجُومِ، وَهُمَا مُتَلَازِمَانِ، وَكَذَلِكَ السَّرَطَانُ، قُلْنَا:
إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لَوْجُودِ مَعْنَى الصِّفَةِ فِيهِمَا، وَهُوَ عِنْدَهُ مِنْ بَابِ الْحَارِثِ، وَالْعَبَّاسِ فِي
الْآدَمِيِّينَ، وَأَكْشَفَ سِرَّ الْعِلْمِيَّةِ فِي الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ وَتَقْسِيمِ أَنْوَاعِ الْعِلْمِيَّةِ، وَالْمُرَادُ بِهَا فِي

= سَيِّدُ النَّاسِ (٢٢٤/١) شرح المواهب (٣٩٢/١) البداية (٢٤٠/٣) المنتظم (٨٠/٣) البخاري
(٢١٧/٧).

سرية عبدة بن الحارث وهي أول راية عقدها عليه الصلاة والسلام

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ، في مقامه ذلك بالمدينة عبدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي في ستين أو ثمانين راكبًا من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز، بأسفل ثنية المرة، فلقي بها جمعًا عظيمًا من قريش، فلم يكن بينهم قتال، إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم، فكان أول سهم رمي به في الإسلام.

مَنْ فَرَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ:

ثم انصرف القوم عن القوم، وللمسلمين حامية. وفرّ من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهراني، حليف بني زهرة، وعُثبة بن غزوان بن جابر المازني، حليف بني نوفل بن عبد مناف، وكانا مسلمين، ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار. وكان على القوم عكرمة بن أبي جهل.

قال ابن هشام: حدثني ابن أبي عمرو بن العلاء، عن أبي عمرو المدني: أنه كان عليهم مكرز بن حفص بن الأخيف، أحد بني معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر.

موضع غير هذا، وإنما أعجبتني فصاحة ابن إسحاق في قوله: بقية شهر كذا وشهر كذا وجُمادَيْن ورجبًا وشعبان ونزل الألفاظ عند منازلها عند أرباب اللغة الفاهمين لحقائقها، يرحمه الله.

غزوة عبدة بن الحارث^(١)

وذكر في غزوة عبدة ولقاءه المشركين: وعلى المشركين مكرز بن حفص بن الأخيف، هكذا الرواية حيث وقع بكسر الميم. وذكر ابن ماكولا في المؤتلف والمختلف عن أبي عبدة النسابة أنه كان يقول فيه مكرز بفتح الميم، وكأنه مفعّل أو مفعّل من الكريز، وهو الأقط^(٢) وكذلك ذكر هو وغيره في الأخيف ههنا أنه بفتح الهمزة وسكون الخاء، وكان ابن ماكولا وحده يقول في الأخيف من بني أسيد بن عمرو بن تميم، وهو جد الخشخاش التميمي: أخيف بضم الهمزة وفتح الخاء، وقال الدارقطني: أخيف كما قالوا في الأول.

(١) انظر المغازي للواقدي (١٠/١) تاريخ الطبري (٤٠٤/٢) الطبقات لابن سعد (٧/٢) البداية والنهاية (٢٣٤/٣) المنتظم (٨٠/٣) الاكتفاء (٣/٢) الزاد (١٦٣/٣).

(٢) الأقط: اللبن المجفف.

شعر أبي بكر فيها

قال ابن إسحاق: فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، في غزوة عُبيدة بن الحارث - قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه القصيدة لأبي بكر رضي الله عنه:

أَمِنْ طَيْفٍ سَلَمَى بِالْبِطَاحِ الدَّمَائِثِ	أَرِقْتُ وَأَمِرٌ فِي الْعَشِيرَةِ حَادِثِ
تَرَى مِنْ لُؤْيٍ فَرْقَةٍ لَا يَصْدَهَا	عَنِ الْكُفْرِ تَذْكِيرٌ وَلَا بَعْثٌ بَاعِثِ
رَسُولٌ أَتَاهُمْ صَادِقٌ فَتَكْذَبُوا	عَلَيْهِ وَقَالُوا: لَسْتَ فِينَا بِمَآكِثِ
إِذَا مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ أَذْبَرُوا	وَهَرُّوا هَرِيرَ الْمُحْجَرَاتِ اللَّوَاهِثِ
فَكَمْ قَدْ مَتَّئْنَا فِيهِمْ بِقَرَابَةٍ	وَتَرَكْتُ التَّقَى شَيْءٌ لَهُمْ غَيْرُ كَارِثِ
فَإِنْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَعُقُوقِهِمْ	فَمَا طَيِّبَاتُ الْحَلِّ مِثْلُ الْخَبَائِثِ
وَإِنْ يَرْكَبُوا طُغْيَانَهُمْ وَضَلَالَهُمْ	فَلَيْسَ عَذَابُ اللَّهِ عَنْهُمْ بِلَايِثِ
وَنَحْنُ أَنْاسٌ مِنْ ذُؤَابَةِ غَالِبٍ	لَنَا الْعِزُّ مِنْهَا فِي الْفُرُوعِ الْأَثَائِثِ
فَأُولِي بَرَبِ الرَّاقِصَاتِ عَشِيَّةٍ	حَرَا جِيجٌ تَخْذِي فِي السَّرِيحِ الرَّثَائِثِ

شرح القصيدة المنسوبة

إلى أبي بكر وقصيدة ابن الزبعرى وأبي جهل

فصل: وذكر ابن إسحاق القصيدة التي تُعزى إلى أبي بكر، ونقيضتها لابن الزبعرى، والزبعرى في اللغة السَّيِّئُ الخُلُقِ، يقال: رجل زبعرى، وامرأة زبعرأة، والزبعرى أيضاً البعير الأزبُ الكثير شُغْرِ الْأُذُنَيْنِ مع قَصَرٍ، قاله الزبير. وفي هذا الشعر أو الذي بعده ذكر الدُّبَّة وهو الكَثِيبُ مِنَ الرَّمْلِ، وأما الدُّبَّةُ بضم الدال فإنه يقال: جرى فلان على دُبَّة فلان أي على سُنَّتِهِ وطريقته، والدُّبَّةُ أيضاً ظَرْفٌ لِلزَّيْتِ^(١)، قال الراجز:

ليكَ بِالْعَنْفِ عِفَاصُ الدُّبَّةِ

والدُّبَّةُ بكسر الدال هيئةُ الدَّيْبِ، وليس فيها ما يشكل معناه.

وقوله:

... تَخْذِي فِي السَّرِيحِ الرَّثَائِثِ

(١) الدُّبَّةُ: الحال: وَرَكِبْتُ دُبَّةً وَدَبَّهَ: أي لَزِمْتُ حَالَهُ وَطَرِيقَتَهُ، وَعَمِلْتُ عَمَلَهُ، وَدَبَّةُ الرَّجُلِ: طَرِيقَتُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ. اللسان (١/٣٧٢).

كَأَظْمِ ظِبَاءٍ حَوْلَ مَكَّةَ عُكِّفِ
لَشَنِّ لَمْ يُفَيِّقُوا عَاجِلًا مِنْ ضَلَالِهِمْ
لَتَبْتَدِرَنَّاهُمْ غَارَةٌ ذَاتُ مَصْدَقِ
تُغَادِرُ قَتْلَى تَغْصِبُ الطَّيْرُ حَوْلَهُمْ
فَأُبْلَغُ بَنِي سَهْمٍ لَدَيْكَ رِسَالَةً
فَإِنْ تَشَعَّثُوا عِزُّي عَلَى سُوءِ رَأْيِكُمْ
فَأَجَابَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ السَّهْمِي فَقَالَ:

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ أَقْفَرَتْ بِالْعَشَائِثِ
وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ وَالذَّهْرِ كُلِّهِ
لَجَيْشٍ أَتَانَا ذِي عُرَامٍ يَقُودُهُ
لِنَشْرِكِ أَضْنَامًا بِمَكَّةَ عُكِّفَا
فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ بِسُمْرِ رُدَيْنَةٍ
وَبِيضِ كَأَنَّ الْمِلْحَ فَوْقَ مُثُونِهَا
بَكَيْتَ بَعَيْنٍ دَمْعُهَا غَيْرُ لَابِثٍ
لَهُ عَجَبٌ مِنْ سَابِقَاتِ وَحَادِثِ
عُبَيْدَةٍ يُدْعَى فِي الْهَيَاجِ ابْنُ حَارِثِ
مَوَارِيثَ مَوْزُوثٍ كَرِيمٍ لَوَارِثِ
وَجُرْدِ عِتَاقٍ فِي الْعَجَاجِ لَوَاهِثِ
بِأَيْدِي كُفَاةٍ كَاللُّيُوثِ الْعَوَاثِثِ

السريخ: شبه النعل تلبسه أخفاف الإبل، يريد: أن هذه الإبل الحراجيج، وهي الطوال
تخدي أي: تسرع في سريخ قد رث من طول السير. قال الشاعر:

دَوَمَى الْأَيْدِ يَخْبِطُنَ السَّرِيحَا

وذكر العثاعث، واحدها: عَثَثَ، وهو من أكرم منابت العشب، قاله أبو حنيفة، وفي
العين: العَثَثَ ظَهَرُ الْكَيْبِ الَّذِي لَا نَبَاتَ فِيهِ^(١).

وذكر ابن هشام أن قوماً من أهل العلم بالشعر أنكروا أن تكون هذه القصيدة لأبي بكر،
ويشهد لصحة من أنكر له ما روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة
قالت: «كَذَبَ مَنْ أَخْبَرَكَم أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ بَيْتَ شَعْرِ فِي الْإِسْلَامِ»^(٢) رواه محمد البخاري عن
أبي المتوكل عن عبد الرزاق. وقول ابن الزبيري: بَيْنَ نَسَاءٍ وَطَامِثٍ، والنساء: حمل المرأة

(١) العثث: قال أبو حنيفة: العثث من مكارم المنابت، والعثث أيضاً: التراب وعثته: ألقاه
في العثث، وعثث الرجل بالمكان: أقام به، والعثث: الفساد، والعثث: الشدائد. اللسان
(٢/١٦٨).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣/١٣٧).

نقيم بها إضعار مَنْ كان مائلاً
فكفوا على خوف شديد وهَيْبَة
ولو أنهم لم يفعلُوا نَاحَ نِسْوَةٍ
وقد غودرت قَتلى يُخَبِّرُ عنهم
فأبلغ أبا بكرٍ لَدَيْكَ رِسَالَةً
ولمَّا تَجِبَ مني يمينٌ غليظة
ونشفي الدُّخُولَ عاجلاً غيرَ لَابِثٍ
وأعجبهم أَمْرٌ لهم أَمْرٌ رَائِثٍ
أيامى لهم، مِنْ بَيْنِ نَسْءٍ وَطَامِثٍ
حَفِيٍّ بهم أو غافلٌ غيرُ باحثٍ
فما أنت عن أغراضٍ فِهْرٍ بماكثٍ
تُجدد حزباً حَلْفَةً غيرَ حَانِثٍ

قال ابن هشام: تركنا منها بيتاً واحداً، وأكثرُ أهل العلم بالشعر يُنكر هذه القصيدة لابن الزبَعْرَى.

شعر ابن أبي وقاص في رميته:

قال ابن إسحق: وقال سعد بن أبي وقاص في رَمِيته تلك فيما يذكرون:

ألا هل أتى رسول الله أنسى
أذود بها أوائلهم ذِياداً
فَمَا يَغْتَدُّ رامٍ في عَدُوٍّ
وذلك أن دِيْنَكَ دِينُ صِدْقٍ
ينجى المؤمنون به، ويُجزى
فَمَهْلاً قد غَوِيَتْ فلا تَعْبِنِي
حَمِيْتُ صحابتي بصدور نبلي
بكل حُزُونَةٍ وبكل سَهْلٍ
بَسْهُمْ يا رسول الله قَبْلِي
وذو حَقٍّ أَتَيْتَ به وَعَدَل
به الكفار عند مقام مَهْلٍ
غَوِيَّ الحي ويحك يابن جَهْلٍ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لسعد.

في أوله؛ والطَّامِثُ معروفٌ يقال: نُسِئت المرأة [نَسَاءً] إذا تأخر حَيْضُها من أجل الحَمَلِ. من كتاب العين.

وقول أبي بكر: رَأْبَ ابن حارث. يعني: عُبيدة بن الحارث بن عبد المطلب.

أسماء ممنوعة من التنوين:

وقول أبي جهل:

وورّعني مَجْدِي عنهم وضحيتي

أول راية في الإسلام كانت لعبيدة:

قال ابن إسحاق: فكانت رايةً عبيدة بن الحارث - فيما بلغني - أول راية عقدَها رسولُ الله ﷺ في الإسلام، لأحد من المسلمين. وبعضُ العلماء يزعم أن رسولَ الله ﷺ بعثه حين أقبل من غزوة الأُبواء، قبل أن يصل إلى المدينة.

سرية حمزة إلى سيف البحر:

ما جرى بين المسلمين والكفار:

وبعث في مقامه ذلك، حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، إلى سيف البحر، من ناحية العيص، في ثلاثين راكبًا من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد. فلقي أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاث مائة راكب من أهل مكة. فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني. وكان مُوَادِعًا للفریقین جميعًا، فانصرف بعضُ القوم عن بغض، ولم يكن بينهم قتال.

كانت راية حمزة أول راية في الإسلام وشعر حمزة في ذلك:

وبعضُ الناس يقول: كانت رايةً حمزة أول راية عقدَها رسولُ الله ﷺ لأحد من المسلمين. وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معًا، فشبّه ذلك على الناس. وقد زعموا أن حمزة قد قال في ذلك شعرًا يذكر فيه أن رايته أول راية عقدَها رسولُ الله ﷺ، فإن كان حمزة قد قال ذلك، فقد صدق إن شاء الله، لم يكن يقول إلا حقًا، فالله أعلم أي ذلك كان. فأما ما سَمِعنا من أهل العلم عندنا. فعبيدة بن الحارث أول من عُقد له. فقال حمزة في ذلك، فيما يزعمون:

ترك صَرْفَ مَجْدِي^(١)، لأنه علم، وترك التنوين في المعارف كلها أصلًا لا يُنَوَّن مضمَر ولا مُبْهَمٌ، ولا ما فيه الألف واللام ولا مضاف، وكذلك كان القياسُ في العلم، فإذا لم يُنَوَّن في الشَّعر فهو الأصل فيه، لأن دخولَ التنوين في الأسماء إنما هو علامة لانفصالها عن الإضافة، فما لا يُضاف لا يحتاج إلى تنوين، وقد كشفنا سرَّ التنوين وامتناع التنوين والخَفْضِ مما لا يَنْصَرِفُ في مَسْأَلَةٍ أفرَدناها في هذا الباب، وأتينا فيها بالعَجَبِ العُجَابِ، والشواهدُ على حذف التنوين في الشعر من الاسم العلم كثيرة جدًا، فتأملُه في أشعار السَّير والمغازي تجذُّها، وعرضنا في شرح هذه الأشعار الواردة في كتاب السيرة أن نشرح منها ما استغلق لفظه جدًا، أو غمضَ إعرابه على شَرْطِنا في أول الكتاب.

(١) هو: مجدي بن عمرو الجهني. انظر المنتظم (٣/ ٨٠).

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لحمزة رضي الله عنه:

ألا يا لقومي للتحلم والجهل
وللراكيين بالمظالم لم نطأ
كأنا تبلىناهم ولا تبلى عندنا
وأمر بإسلام فلا يقبلونه
فما برحوا حتى انتدبت لغارة
بأمر رسول الله، أول خافق
لواء لذيئه النصر من ذي كرامة
عشيّة ساروا حاشدين وكلنا
فلما تراءينا أناخوا فعقلوا
فقلنا لهم: حبل الإله نصيرنا
فشار أبو جهل هنالك باغيا
وما نحن إلا في ثلاثين راكبا
فيا للوي لا تطيعوا غواتكم
فإني أخاف أن يصب عليكم

وللنقص من رأي الرجال وللعقل
لهم حرّمات من سوام ولا أهل
لهم غير أمر بالعفاف وبالعدل
وينزل منهم مثل منزلة الهزل
لهم حيث حلوا أبتغي راحة الفضل
عليه لواء لم يكن لاح من قبلي
إله عزيز فعله أفضل الفعل
مراجله من غيظ أصحابه تغلي
مطايا وعقلنا مدى غرض النبيل
وما لكم إلا الضلالة من حبل
فخاب ورد الله كيد أبي جهل
وهم مئتان بعد واحدة فضل
وفيئوا إلى الإسلام والمنهج السهل
عذاب فتدعوا بالندامة والثكل

رواية شعر الكفرة:

لكني لا أعرض لشيء من أشعار الكفرة التي نالوا فيها من رسول الله ﷺ إلا شعر من أسلم وتاب كضرار وابن الزبغري، وقد كره كثير من أهل العلم فعل ابن إسحق في إدخاله الشعر الذي نبى فيه من رسول الله - ﷺ - ومن الناس من اعتذر عنه: قال حكاية الكفر ليس بكفر والشعر كلام، ولا فرق أن يروى كلام الكفرة ومحتاجتهم للنبي ﷺ وردهم عليه منشورا وبين أن يروى منظوما، وقد حكى ربنا سبحانه في كتابه العزيز مقالات الأمم لأبيائها، وما طعنوا به عليهم، فما ذكر من هذا على جهة الحكاية نظما أو نثرا وإنما يقصد به الاعتبار بما مضى، وتذكر نعمة الله تعالى على الهدى، والإنقاذ من العمى. وقد قال عليه السلام: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قنحا خيرا له من أن يمتلىء شغرا»^(١) وتأولته عائشة رضي الله عنها في الأشعار

(١) أخرجه البخاري (٤٥/٨) ومسلم في الشعر (١٠/٩/٨/٧) وأبو داود (٥٠٠٩) بتحقيقي. والترمذي (٢٨٥١) وابن ماجه (٣٧٥٩/٣٧٦٠) وأحمد (١٧٥/١/١٧٧).

شعر أبي جهل في الرد على حمزة:

فأجابه أبو جهل بن هشام، فقال:

عَجِبْتُ لِأَسْبَابِ الْحَفِيزَةِ وَالْجَهْلِ
وَلِلتَّارِكِينَ مَا وَجَدْنَا جُدُودَنَا
أَتَوْنَا بِإِفْكَ كَيْ يُضِلُّوا عَقُولَنَا
فَقُلْنَا لَهُمْ: يَا قَوْمَنَا لَا تَخَالِفُوا
فِيئَكُمْ إِنْ تَفَعَّلُوا تَدْعُ نِسْوَةً
وَإِنْ تَرْجِعُوا عَمَّا فَعَلْتُمْ فإِنَّا
فَقَالُوا لَنَا: إِنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّدًا
فَلَمَّا أَبَوْا إِلَّا الْخِلَافَ وَزَيْنُوا
تَيَمَّمَتُهُمْ بِالسَّاحِلَيْنِ بَغَارَةً
فَوَزَّعَنِي مَجْدِي عَنْهُمْ وَصُخْبَتِي
لِإِلِّ عَلَيْنَا وَاجِبٍ لَا نَضِيعُهُ
فَلَوْلَا ابْنُ عَمْرٍو كُنْتُ غَادِرْتُ مِنْهُمْ
وَلَكِنَّهُ أَلَى بِلَالٍ فَقَلَّصْتُ
فَإِنْ تُبْقِنِي الْآيَامُ أَزْجَعُ عَلَيْهِمْ
بِأَيْدِي حُمَاةٍ مِنْ لُؤَيٍّ بَنِ غَالِبٍ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لأبي جهل.

التي هُجِّي بها رسول الله - ﷺ - وأنكرت قولَ مَنْ حمَّله على الغُمووم في جميع الشعر، وإذا قلنا بما رُوِيَ عن عائشة في ذلك، فليس في الحديث إلا عيب امتلاء الجوف منه. وأما رواية اليسير منه على جهة الحكاية، أو الاستشهاد على اللغة، فلم يدخل في النهي، وقد ردَّ أبو عُبَيْدٍ على مَنْ تأوَّل الحديث في الشعر الذي هُجِّي به الإسلام، وقال: رواية نصف بيت من ذلك الشعر حرام، فكيف يُخَصُّ امتلاء الجوف منه بالذم، وعائشة أعلم، فإن البيتَ والبيتين والأبيات من تلك الأشعار على جهة الحكاية بمنزلة الكلام المنشور الذي ذمُّوا به رسول الله - ﷺ - لا فرق وقول عائشة الذي، قدمناه ذكره ابن وهب في جامعهِ، وعلى القول بالإباحة، فإن للنفس تَقَدَّرُ تلك الأشعار وتبغضها وقائلها في الله، فالإعراض عنها خير من الخوض فيها والتبع لمعانيها.

غزوة بواط

قال ابن إسحاق: ثم غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول يريد قريشًا.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون.

قال ابن إسحاق: حتى بلغ بواط، من ناحية رضى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدًا، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر، وبعض جمادى الأولى.

غزوة العشيرة

أبو سلمة على المدينة:

ثم غزا قريشًا، فاستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، فيما قال ابن هشام.

غزوة بواط^(١)

وبواط جبلان فزعان لأضل، وأحدهما: جلسي، والآخر غوري، وفي الجلسي بنو دينار [موالي بني كليب بن كثير] ينسبون إلى دينار مولى عبد الملك بن مروان.

ذكر فيه استخلاف رسول الله - ﷺ - على المدينة السائب بن مظعون، وهو أخو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، شهد بدرًا في قول ابن إسحاق، ولم يذكره موسى بن عقبة في البذريين، وأما السائب بن عثمان وهو ابن أخي هذا، فشهد بدرًا في قول جميعهم إلا ابن الكلبي، وقتل يوم اليمامة شهيدًا.

غزوة العشيرة^(٢)

يقال فيها: العشيرة والعشيرة وبالسین المهملة أيضًا العشيرة والعشيرة، أخبرني بذلك الإمام الحافظ أبو بكر رحمه الله، وفي البخاري: أن قتادة سئل عنها فقال: العشيرة^(٣)، ومعنى العشيرة والعشيرة، أنه اسم مصغر من العشراء والعشيرة، وإذا صغر تصغير الترخيم

(١) انظر المغازي للواقدي (١٢/١) البداية والنهاية (٢٤٦/٣) المنتظم (٨٩/٣) تاريخ الطبري (٤٠٧/٣) الطبقات لابن سعد (٣/١/٢) الاكتفاء (٨/٢) الزاد (١٦٥/٣) ابن سيد الناس (٢٢٦/١).

(٢) انظر المغازي للواقدي (١٣/١٢/١) البداية والنهاية (٢٤٦/٣) تاريخ الطبري (٤٠٨/٢) الاكتفاء (٨/٢) المنتظم (٩٠/٣) الطبقات لابن سعد (٤/١/٢) الدلائل لليهقي (٨/٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٧/٧) معلقًا.

الطريق إلى العشيرة:

قال ابن إسحاق: فسلك على نَقَب بني دينار، ثم على فَيْفَاء الْخَبَار، فنزل تحت شجرة بَبْطَحَاءِ ابْنِ أَزْهَر، يقال لها: ذات الساق، فصلّى عندها. فثَمَّ مَسَّجَدُهُ ﷺ، وَصُنِعَ لَهُ عِنْدَهَا طَعَامٌ، فَأَكَلَ مِنْهُ، وَأَكَلَ النَّاسُ مَعَهُ، فَمَوْضِعُ أَثَافِي الْبُرْمَةِ مَعْلُومٌ هُنَاكَ، وَاسْتَقَى لَهُ مِنْ مَاءٍ بِهِ، يُقَالُ لَهُ: الْمُشْتَرِبُ، ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَرَكَ الْخَلَائِقَ بَيْسَارَ، وَسَلَكَ شُعْبَةً يُقَالُ لَهَا: شُعْبَةُ عَبْدِ اللَّهِ، وَذَلِكَ اسْمُهَا الْيَوْمَ، ثُمَّ صَبَّ لِلْبَيْسَارِ حَتَّى هَبَطَ لَيْلًا، فَنَزَلَ بِمُجْتَمَعِهِ وَمُجْتَمَعَ الضَّبُوعَةِ، وَاسْتَقَى مِنْ بَيْتٍ بِالضَّبُوعَةِ، ثُمَّ سَلَكَ الْفَرْشَ: فَرْشٌ مَلَلٌ، حَتَّى لَقِيَ الطَّرِيقَ بِصُحَيْرَاتِ الْيَمَامِ، ثُمَّ اعْتَدَلَ بِهِ الطَّرِيقَ، حَتَّى نَزَلَ الْعُشَيْرَةَ مِنْ بَطْنِ يَنْبُعٍ. فَأَقَامَ بِهَا جُمَادَى الْأُولَى وَلَيَالِي مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَادَعَ فِيهَا بَنِي مُدَلِجٍ وَحُلَفَاءَهُمْ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا.

قيل: عُشِيرَةٌ، وَهِيَ بَقْلَةٌ تَكُونُ أَذَنَّةً أَيْ عَصِيفَةً، ثُمَّ تَكُونُ سَحَاءً، ثُمَّ يُقَالُ لَهَا: الْعَسْرَى. قال الشاعر:

وَمَا مَنَعَنَا هَا الْمَاءَ إِلَّا ضَنَانَةً بِأَطْرَافِ عَسْرَى شَوْكُهَا قَدْ تَخَذَدَا

ومعنى هذا البيت كمعنى الحديث: «لَا يُمْنَعُ فَضْلُ الْمَاءِ لِيُمْنَعَ بِهِ الْكَلَاءُ»^(١). وأما الْعُشِيرَةُ بِالشَّيْنِ الْمَنْقُوطَةِ، فَوَاحِدَةُ الْعُشْرِ مُصَغَّرَةٌ.

وذكر فيها الضَّبُوعَةُ، وهو: اسم موضع، وهو فَعُولَةٌ مَنْ ضَبَعَتِ الْإِبِلُ: إِذَا أَمَرَتْ أَضْبَاعَهَا فِي السَّيْرِ^(٢) وفي الضَّبُوعَةِ نَزَلَ عِنْدَ شَجَرَةٍ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ السَّاقِ، وَابْتَنَى ثَمَّ مَسْجِدًا، وَاسْتَقَى مِنْ مَاءٍ هُنَاكَ يُقَالُ لَهُ الْمَشِيرِبُ كَذَلِكَ جَاءَ فِي رِوَايَةِ الْبُكَائِيِّ وَغَيْرِهِ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ.

وذكر فيه مَلَلًا، وهو اسم موضع يقال: إِنَّهُ إِنَّمَا سُمِّيَ مَلَلًا؛ لِأَنَّ الْمَاشِيَّ إِلَيْهِ مِنَ الْمَدِينَةِ لَا يَبْلُغُهُ إِلَّا بَعْدَ جَهْدٍ وَمَلَلٍ، وَهُوَ عَلَى عَشْرِينَ مِيلًا مِنَ الْمَدِينَةِ، أَوْ أَكْثَرَ قَلِيلًا وَذَكَرَ الْخَلَائِقَ وَهِيَ آبَارٌ مَعْلُومَةٌ.

ورواه غير أبي الوليد الْخَلَائِقَ بَخَاءً مَنْقُوطَةً، وَفَسَّرَهَا بَعْضُهُمْ: جَمْعُ خَلِيقَةٍ وَهِيَ الْبُثْرُ الَّتِي لَا مَاءَ فِيهَا، وَأَكْثَرُ رِوَايَاتِ الْكِتَابِ عَلَى هَذَا فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) أخرجه البخاري (١٤٤/٣) ومسلم في المساقاة (٣٦) وأبو داود (٣٤٧٣) بتحقيقي. والترمذي (١٢٧٢) وابن ماجه (٢٤٧٨).

(٢) أي أسرع في السير.

تكنية علي بأبي تراب

وفي تلك الغزوة قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام ما قال .

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن محمد بن خيثم المَحَاربي، عن محمد بن كعب القَرَظي، عن محمد بن خيثم أبي يزيد، عن عَمَّار بن ياسر، قال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العَشِيرَة، فلَمَّا نَزَلَهَا رسول الله ﷺ وأقام بها، رأينا أناسًا من بني مُدَلَج يَعْمَلُونَ فِي عَيْنٍ لَهُمْ وَفِي نَخْلٍ، فَقَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ، هَلْ لَكَ فِي أَنْ تَأْتِيَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، فَنَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلُونَ؟ قَالَ: قُلْتُ: إِنْ شِئْتُ، قَالَ: فَجِئْنَاهُمْ، فَنَظَرْنَا إِلَى عَمَلِهِمْ سَاعَةً، ثُمَّ غَشِينَا النَّوْمَ. فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ حَتَّى اضْطَجَعْنَا فِي صُورٍ مِنَ النَّخْلِ، وَفِي دَفْعَاءٍ مِنَ التُّرَابِ فَنَمْنَا، فَوَاللَّهِ مَا أَهْبَنَّا إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يُحَرِّكُنَا بِرِجْلِهِ. وَقَدْ تَتَرَّبْنَا مِنْ تِلْكَ الدَّفْعَاءِ الَّتِي نَمْنَا فِيهَا، فَيَوْمَئِذٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: «مَا لَكَ يَا أَبَا تُرَابٍ؟» لَمَّا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ التُّرَابِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُحَدِّثُكُمَا بِأَشْقَى النَّاسِ رَجُلَيْنِ؟» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَحْيَمِرُ ثُمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذِهِ - وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى قَرْزِهِ - حَتَّى يَبُلَّ مِنْهَا هَذِهِ». وَأَخَذَ بِلُحْيَتِهِ^(١).

وذكر قَرْشٌ مَلَلٌ، وَالْفَرْشُ فِيمَا ذَكَرَ أَبُو حَنِيفَةَ: مَكَانٌ مُسْتَوٍ نَبَتْهُ الْعُرْفُطُ وَالسِّيَالُ وَالسَّمُرُ يَكُونُ نَحْوًا مِنْ مِيلٍ أَوْ قَرْسَخٍ، فَإِنْ أَنْبَتِ الْعُرْفُطُ وَحْدَهُ فَهُوَ وَهْطٌ، وَإِنْ أَنْبَتِ الطَّلَحُ وَحْدَهُ، فَهُوَ غَوْلٌ وَجَمْعُهُ غِيلَانٌ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، وَإِنْ أَنْبَتِ النَّصِيَّ وَالصُّلْيَانَ، وَكَانَ نَحْوًا مِنْ مِيلَيْنِ قِيلَ لَهُ: لُمْعَةٌ.

تكنية علي بأبي تراب

وذكر حديثين فِي تَكْنِيَةِ عَلِيِّ بِأَبِي تَرَابٍ، وَأَصَحُّ مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي جَامِعِهِ: وَهُوَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - وَجَدَهُ فِي الْمَسْجِدِ نَائِمًا وَقَدْ تَرَبَّ جَنْبُهُ، فَجَعَلَ يَحُثُّ التُّرَابَ عَنْ جَنْبِهِ، وَيَقُولُ: قُمْ أَبَا تَرَابٍ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ مَغَاضِبًا لِفَاطِمَةَ^(٢)، وَهَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ، وَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ حَدِيثِ عَمَّارٍ مُخَالَفَ لَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُنَّاهُ بِهَا مَرَّتَيْنِ، مَرَّةً فِي الْمَسْجِدِ، وَمَرَّةً فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

أَشْقَى النَّاسِ:

وذكر أشقى الناس قال: وهو أَحْيَمِرُ ثُمُودَ الَّذِي عَقَرَ نَاقَةَ صَالِحٍ وَاسْمُهُ: قَدَارُ بْنُ

(١) أخرجه الحاكم (١٤١/٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٦/١) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٩).

قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ إنما سَمِيَ عليًّا أبا تراب، أنه كان إذا عَتَبَ على فاطمة في شيء لم يكلمها، ولم يَقُلْ لها شيئًا تَكْرَهه، إلا أنه يأخذ ترابًا فيضعه على رأسه. قال: فكان رسولُ الله ﷺ إذا رأى عليه التراب عَرَفَ أنه عَاتِبٌ على فاطمة، فيقول: ما لك يا أبا تراب؟ فالله أعلم أي ذلك كان.

سرية سعد بن أبي وقاص وذهابه إلى الخرار ورجوعه من غير حرب^(١):

قال ابن إسحاق: وقد كان بعث رسول الله ﷺ فيما بين ذلك من غزوة سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ، في ثمانية رَهْطٍ من المُهاجرين فخرج حتى بلغ الخَرَّارَ من أرض الحجاز، ثم رجع ولم يلق كيدًا.

قال ابن هشام: ذكر بعض أهل العلم أن بَعَثَ سَعْدٌ هذا كان بعد حمزة.

غزوة سفوان وهي غزوة بدر الأولى^(٢):

قال ابن إسحاق: ولم يُقَمِّ رسول الله ﷺ بالمدينة حين قَدِمَ من غَزْوَةِ الْعُشَيْرَةِ إلا ليالي قلائل لا تبلغ العَشرَ، حتى أغار كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الْفَهْرِيُّ عَلَى سَرْحِ الْمَدِينَةِ، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه، واستعمل على المدينة زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: حتى بلغ واديًا، يقال له: سَفْوَانٌ، من ناحية بَدْرٍ، وفاته كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ، فلم يُدْرِكْهُ، وهي غزوة بدر الأولى. ثم رجع رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، فأقام بها بَقِيَّةَ جُمَادَى الْآخِرَةِ وَرَجَبًا وَشَعْبَانَ.

سالف وأُمُّهُ فُذَيْرَةٌ وهو من التسعة رَهْطِ الْمَذْكُورِينَ فِي سُورَةِ النَّمْلِ، وقد ذكرت أسماءهم في كتاب التعريف والإعلام.

موادعة بني ضمرة:

وذكر مُوَادَعَتَهُ لِبَنِي ضَمْرَةَ، وهم بطن من كنانة، ثم من بني لَيْثٍ، وهم بنو غِفَارٍ وَبَنُو نَعِيلَةَ بْنِ مُلَيْلٍ بْنِ ضَمْرَةَ، وكانت نسخة الموادعة فيما ذكر غيرُ ابنِ إِسْحَاقَ «بِسْمِ اللَّهِ

(١) انظر المغازي للواقدي (١١/١) البداية والنهاية (٣٣٤/٣) الكامل (١٠/٢) الطبقات لابن سعد (٣/١/١) تاريخ الطبري (٤٠٣/٢) المنتظم (٨١/٣). والخرار: أبيات عن يسار الجحفة، حين تروح من الجحفة الجامعة. انظر المنتظم.

(٢) انظر المغازي (١٢/١) الطبقات (٤/١/٢) المنتظم (٨٩/٣) تاريخ الطبري (٤٠٧/٢) الدلائل (٨/٣) الاكتفاء (٩/٢).

سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ وَنَزُولُ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ كِتَابُ الرَّسُولِ لَهُ

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ بْنَ رِثَابِ الْأَسَدِيِّ فِي رَجَبٍ، مَقْفَلَهُ مِنْ بَدْرِ الْأُولَى، وَبَعَثَ مَعَهُ ثَمَانِيَةَ رَهْطٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، لَيْسَ فِيهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ أَحَدٌ، وَكُتِبَ لَهُ كِتَابًا وَأَمْرُهُ أَنْ لَا يَنْظُرَ فِيهِ حَتَّى يَسِيرَ يَوْمِينَ ثُمَّ يَنْظُرَ فِيهِ، فَيَمْضِي لِمَا أَمَرَهُ بِهِ، لَا يَسْتَكْرِهُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا.

وَكَانَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ. ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ: أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُثْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ؛ وَمِنْ حَلَفَائِهِمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، وَهُوَ أَمِيرُ الْقَوْمِ، وَعُكَّاشَةُ بْنُ مَخْصَنٍ بْنُ حُرْثَانَ، أَحَدُ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، حَلِيفُ لَهُمْ. وَمِنْ بَنِي ثَوَلٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ: عُثْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بْنِ جَابِرٍ، حَلِيفُ لَهُمْ. وَمِنْ بَنِي زُهْرَةَ بْنِ كِلَابٍ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ. وَمِنْ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، حَلِيفُ لَهُمْ مِنْ عَنَزِ بْنِ وَائِلٍ، وَوَاقدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ عَرِينِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعٍ، أَحَدُ بَنِي تَمِيمٍ، حَلِيفُ لَهُمْ، وَخَالِدُ بْنُ الْبُكَيرِ، أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ لَيْثٍ، حَلِيفُ لَهُمْ. وَمِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فَهْرٍ: سُهَيْلُ بْنُ بَيْضَاءٍ.

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هَذَا كِتَابُ مَنْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ لِبَنِي ضَمْرَةَ، فَإِنَّهُمْ آمَنُوا عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَإِنْ لَهُمُ النَّصْرُ عَلَى مَنْ رَامَهُمْ إِلَّا أَنْ يُحَارِبُوا فِي دِينِ اللَّهِ مَا بَلَ بَحْرُ صُوفَةٍ، وَإِنْ النَّبِيُّ إِذَا دَعَاهُمْ لِنَصْرِهِ، أَجَابُوهُ، عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، وَلَهُمُ النَّصْرُ عَلَى مَنْ بَرَّ مِنْهُمْ وَاتَّقَى».

سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ^(١)

صَحَّةُ الرَّمَايَةِ بِالْمَنَاوِلَةِ:

وَهُوَ الْمُجَدِّعُ فِي اللَّهِ، وَسَيَأْتِي حَدِيثُهُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ وَتَرْجَمِ الْبَخَارِيِّ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ احْتِجَاجًا بِهِ عَلَى صَحَّةِ الرِّوَايَةِ بِالْمَنَاوِلَةِ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - نَاولَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ كِتَابَهُ، فَفَتَحَهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ فَعَمِلَ عَلَى مَا فِيهِ. وَكَذَلِكَ الْعَالَمُ إِذَا نَاولَ

(١) انظر المغازي للواقدي (١٣/١) تاريخ الطبري (٤١٠/٢) البداية والنهاية (٢٤٨/٣) الطبقات (٥/١/٢) الاكتفاء (٩/٢) المنتظم (٩١/٣) الدلائل (١٧/٣) الدرر (٩٩) الزاد (١٦٧/٣) الكامل (١٢/٢).

فلما سار عبد الله بن جَحْش يومين فتح الكتاب، فنظر فيه فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نَخْلَة، بين مكة والطائف، فترصد بها قريشًا وتعلم لنا من أخبارهم. فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب، قال: سمعًا وطاعة؛ ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نَخْلَة، أرصد بها قريشًا، حتى آتيه منهم بخبر؛ وقد نهاني أن أستكره أحدًا منكم. فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فليَنطَلِق، ومن كره ذلك فليَرْجِع، فأما أنا فماضٍ لأمر رسول الله ﷺ، فمضى ومضى معه أصحابه، لم يتخلف عنه منهم أحد.

وسلك على الحجاز، حتى إذا كان بمَعْدَن، فوق الفُرْع، يقال له: بحران، أضلَّ سعدُ بن أبي وقاص، وعُثْبَةُ بن غَزْوَان بغيراً لهما، كانا يَغْتَقِبَانِه. فتخلفا عليه في طلبه. ومضى عبدُ الله بن جَحْش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة، فمرت به عيرٌ لقريش تحمل زبيباً وأدماً، وتجارة من تجارة قريش، فيها عمرو بن الحَضْرَمي.

الخلاف حول نسب الحضرمي

قال ابن هشام: واسم الحضرمي: عبد الله بن عبّاد، ويقال: مالك بن عبّاد أحد

التلميذ كتابًا جاز له أن يزوي عنه ما فيه، وهو فقهٌ صحيح، غير أن الناس جعلوا المناوَلَة اليوم على غير هذه الصورة يأتي الطالبُ الشيخ، فيقول: ناولني كتبك، فيناوله ثم يُمسك متاعه عنده، ثم ينصرف الطالبُ، فيقول: حدّثني فلانٌ مُناوَلَة، وهذه رواية لا تصح على هذا الوجه، حتى يذهب بالكتاب معه، وقد أذن له أن يُحدّث بما فيه عنه، وممّن قال بصحة المناوَلَة على الوجه الذي ذكرناه مالكُ بن أنسٍ، روى إسماعيلُ بن صالح عنه أنه أخرجَ لهم كتبًا مَشْدُودَة، فقال: هذه كتبِي صححتها ورويتها، فازووها عني، فقال له إسماعيل بن صالح: فنقول: حدّثنا مالكٌ؟ قال: نعم، روى قصة إسماعيلَ هذه الدارِ قُطْنِي في كتاب رِوَاة مالك رحمه الله.

أولاد الحضرمي

وذكر عمرو بن الحضرمي، وكانوا ثلاثة: عَمْرًا وعامرًا والعلاء، فأما العلاءُ فمن أفاضل الصحابة، وأختهم الصَّغْبَة أم طَلْحَة بن عُبيد الله، وكانت قبل أبيه عند أبي سُفيان بن خَرْب، وفيها يقول حين فارقتها:

ولاني وصغبةً فيما نرى	بعيّدان والودّ ودّ قريب
فلن لا يكن نَسَبٌ ثاقِبٌ	فعند الفتاة جمالٌ وطيب
فيال قصي ألا تغجبون	إلى الوبر صار الغزال الربيب

الصَّدِف، واسم الصَّدِف: عمرو بن مالك، أحد السُّكُون بن أشرس بن كندة، ويقال: كندي.

قال ابن إسحاق: وعثمان بن عبد الله بن المُغيرة، وأخوه نُوْفَل بن عبد الله المَخْزُومِيَّان، والحكم بن كَيْسَان، مولى هشام بن المُغيرة.

فلما رآهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم، فأشرف لهم عُكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه، فلما رأوه أمنوا، وقالوا عُمَار، لا بأس عليكم منهم. وتشاور القوم فيهم، وذلك في آخر يوم من رجب فقال القومُ والله لئن تركتم القومَ هذه اللَّيْلَةَ ليدخلنَّ الحرم، فليمتنعنَّ منكم به ولئن قتلتموهم لتقتلنَّهم في الشهر الحرام؛ فتردّد القوم، وهابوا الإقدام عليهم، ثم شَجَعُوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل من قَدَرُوا عليه منهم، وأخذ ما معهم. فرمى واقد بن عبد الله التَّمِيمِي عمرو بن الحَضْرَمِي بسهم فقتله، واستأسر عثمان بن عبد الله، والحكم بن كَيْسَان؛ وأفلت القوم نُوْفَل بن عبد الله فأعجزهم. وأقبل عبدُ الله بنُ جَحْش وأصحابه بالعر وبالأسيرين، حتى قَدِمُوا على رسول الله ﷺ المدينة^(١).

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جَحْش: أن عبد الله قال لأصحابه: إن لرسول الله ﷺ مما غَنَمْنَا الخمس وذلك أن يفرض الله تعالى الخمسَ من المغانم - فعزل لرسول الله ﷺ خمس العير، وقسم سائرَها بين أصحابه.

وفي نسب بني الحَضْرَمِي اضطراب، فقد قيل ما قاله ابن إسحاق، وقيل: هو عبد الله بن عماد بن ربيعة، وقيل: ابن عِيَاد، وابن عِبَاد بالباء، والذي ذكره ابن إسحاق أصح، وهم من الصَّدِف، ويقال فيه: الصَّدِف بكسر الدال، قاله ابن دُرَيْد، والصَّدِف: مالك بن مُرْتَع بن ثُور وهو كِنْدَة وقد قدمنا ما قيل في اسم كِنْدَة وفي معناه في المبعث، وقد قيل في الصَّدِف: هو ابن سَمَّال بن دُعَمِي بن زياد بن حَضْرَمَوْت، وقيل في حَضْرَمَوْت: إنه من ولد جَمِير بن سَبَأ، وقيل: هو ابن قُحْطَان بن عابر، والله أعلم.

(١) انظر البيهقي (٥٨/١٢/٩).

الرسول ﷺ يستنكر القتال في الشهر الحرام

قال ابن إسحاق: فلما قَدِمُوا على رسول الله ﷺ المدينة؛ قال: «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام». فوَقَّفَ العِيرَ والأسيرين. وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً؛ فلما قال ذلك رسولُ الله ﷺ سَقَطَ في أيدي القوم، وظنُّوا أنهم قد هَلَكُوا، وعَنَّفَهم إخوانهم من المسلمين فيما صَنَعُوا. وقالت قريش قد استحلَّ محمد وأصحابه الشهرَ الحرام، وسفكوا فيه الدم، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال؛ فقال: من يرد عليهم من المُسلمين ممَّن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان.

وقالت يهود - تفاءل بذلك على رسول الله - ﷺ - عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله، عمرو، عمرت الحرب؛ والحضرمي، حضرت الحرب؛ وواقد بن عبد الله، وقدت الحرب. فجعل الله ذلك عليهم لا لهم.

ما نزل من القرآن في فعل ابن جحش:

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به، وعن المسجد الحرام، وإخراجكم منه وأنتم أهلُه، أكبر عند الله من قتل من قتلتم منهم ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾: أي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه، حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه، فذلك أكبر عند الله من القتل ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ أي ثم هم مقيمون على أخبث ذلك وأعظمه، غير تائبين ولا

حكمة تحريم القتال في الأشهر الحرم

وذكر الشهرَ الحرامَ، وما كان من أهل السَّريَّةِ فيه، وأنه سَقَطَ في أيديهم لِمَا أصابوا فيه من الدَّمِ، وذلك أن تحريمَ القتال في الأشهرِ الحُرُمِ كان حُكْمًا مَعْمُولًا به من عهد إبراهيم وإسماعيل، وكان من حُرُمَاتِ الله، ومما جعله مَصْلَحَةً لأهل مكة، قال الله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٩٧] وذلك لما دعا إبراهيم لذريته بمكة، إذ كانوا بَوَادٍ غيرِ ذي زَرْع أن يجعلَ أَفْئِدَةً من الناس تَهْوِي إليهم، فكان فيما فَرَضَ على الناس من حَجِّ البيتِ قِيَامًا لِمَصْلَحَتِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ، ثم جعل الأشهرَ الحُرُمَ أربعة: ثلاثة سَرَدًا، وواحدًا فرَدًا، وهو رَجَب، أما الثلاثةُ فليَأْمَنَ الحِجَابُ وارِدِينَ إلى مكة، وصَادِرِينَ عنها شَهْرًا قبل شهر الحج، وشَهْرًا بعده قدر ما يصل الراكبُ من أَقْصَى بلاد العرب، ثم يرجع، حِكْمَةٌ من الله، وأما رَجَبٌ فَلِلْعُمَارِ يَأْمَنُونَ فيه مُقْبِلِينَ وراجعين نِصْفُ

نازعين . فلما نزل القرآن بهذا من الأمر ، وفرّج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشَّقِّ قبض رسول الله ﷺ العيرَ والأسيرين ، وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، فقال رسول الله ﷺ : لا تُفديكموها حتى يقدم صاحبانا - يعني سعد بن أبي وقاص ، وعُتبة بن غزوان - فإننا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما ، نقتل صاحبَيْكم . فقدم سعد وعُتبة ، فأفداهما رسول الله ﷺ منهم .

فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قُتل يوم بئر معونة شهيداً . وأما عثمان بن عبد الله فليحق بمكة ، فمات بها كافراً .

فلما تجلّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن ، طمِعُوا في الأجر ، فقالوا : يا رسول الله : أنطمع ، أن تكون لنا غزوة تُعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ، فوضعهم الله عز وجل من ذلك على أعظم الرجاء .

والحديث في هذا عن الزهري ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير .

قال ابن إسحاق : وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش : أن الله عز وجل قسم الفيء حين أحله ، فجعل أربعة أخماس لمن أفاءه الله ، وخمسا إلى الله ورسوله ، فوقع على ما كان عبد الله بن جحش صنع في تلك العير .

قال ابن هشام : وهي أول غنيمة غنمها المسلمون . وعمر بن الحضرمي أول من قتله المسلمون ، وعثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان أول من أسر المسلمون .

ما قيل من شعر في هذه السرية :

قال ابن إسحاق : فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في غزوة عبد الله بن جحش ، ويقال : بل عبد الله جحش قالها ، حين قالت قريش : قد أحل محمد وأصحابه

الشهر للإقبال ، ونصفه للإياب ، إذ لا تكون العُمرة من أقاصي بلاد العرب كما يكون الحج ، ألا ترى أننا لا نغتَمِر من بلاد المغرب ، فإذا أردنا عُمرة فإنما تكون مع الحج ، وأقصى منازل المُغتَمِرِينَ بين مسيرة خمسة عشر يوماً ، فكانت الأقوات تأتيهم في المواسم ، وفي سائر العام تنقطع عنهم دُوبانُ العرب وقُطاعُ السُّبُل ، فكان في رجب أمانٌ للسالكين إليها مصلحةٌ لأهلها ونظرًا من الله لهم دبره وأبقاه من ملة إبراهيم لم يُغيّر حتى جاء الإسلام ، فكان القتال فيه مُحَرَّمًا كذلك صَدْرًا من الإسلام ، ثم أباحت آيةُ السيف ، وبقيت حُرمةُ الأشهر الحُرُم لم

الشَّهر الحرام، وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه المال، وأسروا فيه الرجال - قال ابن هشام: هي لعبد الله بن جحش:

تَعْدُونَ قِتْلًا فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً	وَأَعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرُّشْدَ رَاشِدَ
صَدُودُكُمْ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ	وَكُفْرٌ بِهِ وَاللَّهُ رَءٍ وَشَاهِدَ
وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ أَهْلَهُ	لِيَلَا يُرَى اللَّهُ فِي الْبَيْتِ سَاجِدَ
فَإِنَّا وَإِنْ عَيَّرْتُمُونَا بِقَتْلَةِ	وَأَرْجَفَ بِالْإِسْلَامِ بَاغٍ وَحَاسِدَ
سَقِينَا مِنْ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ رِمَاحَنَا	بِنَخْلَةٍ لَمَّا أَوْقَدَ الْحَرْبَ وَاقِدَ
دَمًا وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَثْمَانُ بَيْنَنَا	يُنَازِعُهُ غُلٌّ مِنَ الْقَدِّ عَانِدَ

صرف القبلة إلى الكعبة^(١):

قال ابن إسحاق: ويقال: صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرًا من مقدّم رسول الله ﷺ المدينة.

تُنسخ، قال الله سبحانه: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ فَلَا تُظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسُكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، فتعظيم حُرمتها باقٍ، وإن أُبيح القتال، وقد رُوي عن عطاء أن تحريم القتال فيها حكم ثابت لم يُنسخ، وقد تقدم في باب نسب النبي - ﷺ - ذكر سَعْدِ رَجَبٍ، وهو أوّل من سنّه للعرب فيما زعموا.

(١) انظر الطبقات (٣/٢/١) تاريخ الطبري (٤١٥/٢) البداية والنهاية (٣٥٢/٣) المنتظم (٩٣/٣) الدلائل (٥٧١/٢) الزاد (٦٦/٣). وانظر حديث تحويل القبلة في البخاري (٤٢١/١) والترمذي (٢٩٦٦).

غزوة بدر الكبرى

عير أبي سفيان:

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حربٍ مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة، فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم وفيها ثلاثون رجلاً من قريش أو أربعون، منهم مخرمة بن نوفل بن أهب بن عبد مناف بن زهرة، وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام.

ندب المسلمين للعير وحذر أبي سفيان:

قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن العاص بن وائل بن هشام.

قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن مسلم الزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس، كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سُقت من حديث بدر، قالوا: لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام، ندب المسلمين إليهم وقال

غزوة بدر^(١)

وبذر: اسم بئر حفرها رجلٌ من غفار، ثم من بني الناز منهم، اسمه: بذر، وقد ذكرنا في هذا الكتاب قول مَنْ قال: هو بذر بن قريش بن يخلد الذي سميت قريش به. وروى يونس عن ابن أبي زكريا عن الشَّعْبِيِّ قال: بدر: اسم رجل كانت له بدر.

(١) الخبر في المغازي للواقدي (١٩/١) الطبقات (٦/١/٢) البداية والنهاية (٢٥٦/٣) تاريخ الطبري (٤٢١/٢) المنتظم (٩٧/٣) الكامل (١٤/٢) الاكتفاء (١٤/٢) الدلائل (٢٥/٣).

هذه عِيرُ قُرَيْشٍ فيها أموالُهم فأخْرَجُوا إليها لعلَّ الله يُنْفِلَكموها. فانتدب الناسُ فخَفَ بعضهم وثَقُلَ بعضهم، وذلك أنهم لم يظنُّوا أن رسولَ الله ﷺ يلقى حَرْبًا، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتَحَسَّسُ الأخبارَ ويسأل مَنْ لَقِيَ من الرُّكبانِ تخوُّفًا على أمرِ الناسِ. حتى أصاب خبرًا من بعض الرُّكبان: أن محمدًا قد استنْفَرَ أصحابَه لك ولعيرك فَحَذِرَ عند ذلك. فاستأجر ضَمْضَمَ بنَ عَمْرٍو الغفاريَّ، فَبَعَثَهُ إلى مكة، وأمره أن يأتي قُرَيْشًا فَيَسْتَنْفِرَهُم إلى أموالهم، ويُخبرهم أنَّ محمدًا قد عرض لها في أصحابه. فخرج ضَمْضَمُ بنُ عَمْرٍو سريعًا إلى مكة.

ذكر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب

قال ابن إسحاق: فأخبرني من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، قالا: وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب، قبل قدوم ضَمْضَمِ مكة بثلاث ليال، رؤيا أفزعتهَا. فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له: يا أخي، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني، وتخوفتُ أن يدخل على قومك منها شرٌّ ومُصيبة، فأكتم عني ما أحدثك به؛ فقال لها: وما رأيت؟ قالت: رأيتُ

تحسُّس الأخبار:

فصل: وذكر أبا سفيان، وأنه حين دنا من الحجاز، كان يتَحَسَّسُ الأخبارَ. التَّحَسُّسُ بالحاء: أن تَتَسَمَّعَ الأخبارَ بنفسك، والتَّجَسُّسُ بالجيم: هو أن تفحص عنها بغيرك، وفي الحديث «لا تجسسوا، ولا تحسسوا»^(١).

رؤيا عاتكة^(٢)

وذكر رؤيا عاتكة والصارخ الذي رآته يصرخ بأعلى صوته: يا لَعْدُرٍ!! هكذا هو بضم الغين والdal جمع غُدُور، ولا تصح رواية من رَوَاه: يا لَعْدُرٍ بفتح الدال مع كسر الراء، ولا فتحها، لأنه لا ينادي واحدًا، ولأن لام الاستغاثة لا تدخل على مثل هذا البناء في النداء، وإنما يقول: يا لَعْدُرُ انْفِرُوا وتَخْرِضًا لهم، أي: إن تَخَلَّفْتُمْ، فأنتم غُدُرٌ لقومكم وفتحت لام الاستغاثة، لأن المنادي قد وقع موقع الاسم المضمر، ولذلك بنى، فلما دخلت عليه لام الاستغاثة وهي لام جر فتحت كما تفتح لام الجر إذا دخلت على المضمرات، هذا قول ابن السراج، ولأبي سعيد السيرافي فيها تعليلٌ غير هذا كرهنا الإطالة بذكره، وهذا القول

(١) أخرجه البخاري (٢٤/١) ومسلم في البر والصلة (٢٨) وأحمد (٢٨٧/٢).

(٢) الطبري (٢٣/٢).

راكبًا أقبل على بَعِير له، حتى وقف بالأبطح، ثم صَرَخ بأعلى صوته: ألا انْفِرُوا يا آل عُذْرُ لمصارِعكم في ثلاث، فأرى الناسَ اجتمعوا إليه: ثم دخلَ المسجدَ والناسُ يَتَّبِعُونَهُ، فبينما هم حوله مَثَل به بَعِيرُهُ على ظهر الكعبة، ثم صَرَخَ بِمِثْلِهَا: ألا انْفِرُوا يا آل عُذْرُ لمصارِعكم في ثلاث: ثم مَثَل به بَعِيرُهُ على رأس أبي قَبَيْسٍ فَصَرَخَ بِمِثْلِهَا. ثم أخذَ صخرةً فأرسلها فأقبلت تَهْوِي، حتى إذا كانت بأسفلِ الجبلِ ارفضت، فما بقي بيتٌ من بيوت مكة، ولا دارٌ إلا دخلتها منها فُلقة؛ قال العباس: والله إن هذه لرؤيا، وأنتِ فاكْتُمِيها، ولا تَذْكُرِيها لأحد.

ذبوع الرؤيا وما أحدثت بين أبي جهل والعباس:

ثم أخرج العباس، فلقي الوليدَ بن عُتْبَةَ بن رَبِيعَةَ، وكان له صديقًا، فذكرها له، واستكتمه إياها. فذكرها الوليدُ لأبيه عُتْبَةَ، ففشا الحديثُ بمكة، حتى تحدّثت به قريش في أنديتها.

قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدّثون برؤيا عاتكة، فلما رأني أبو جهل قال: يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا، فلما فرغتُ أقبلتُ حتى جلستُ معهم، فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب، متى حَدَّثتَ فيكم هذه النبيّة؟ قال: قلت: وما ذاك؟ قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة؛ قال: فقلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبد المطلب، أما رَضِيتُم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم، قد زَعَمَت عاتكةُ في رؤياها أنه قال: انْفِرُوا في ثلاث، فسنترَبِّص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقًا ما تقول فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء، نَكْثُبُ عليكم كتابًا أنكم أكذبُ أهل بيت من العرب. قال العباس: فوالله ما كانَ مني إليه كَبِيرٌ، إلا أني جحدتُ ذلك، وأنكرت أن تكون رأت شيئًا: قال. ثم تفرّقنا.

مبني في شرح يا لَعُذْرُ إنما هو على رواية الشيخ، وما وقع في أصله، وأما أبو عُبَيْدَةَ، فقال في المصنف: تقول يا عُذْرُ، أي: يا غادر، فإذا جمعت قلت: يا آل عُذْرُ، وهكذا والله أعلم. كان الأصل في هذا الخبر، والذي تقدم تغيير.

وقوله: ثم مَثَل به بَعِيرُهُ على أبي قَبَيْسٍ، سُمِّيَ هذا الجبلُ أبا قَبَيْسٍ برجل هلك فيه من جُرْهُم اسمُه قَبَيْسُ بن شالِخ، وقع ذكرُه في حديثِ عَمْرُو بن مُضَاضٍ، كما سُمِّيَ حُنَيْنُ الذي كانت فيه حُنَيْنٌ بِحُنَيْنِ بن قَالِيَةَ بن مِهْلَإِيل، أظنه كان من العَمَالِيق، وقد ذكره البكري في كتاب مُعْجَم ما استعجم.

فلما أمسيتُ، لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أثنتني، فقالت: أقررتُم لهذا الفاسق الخبيث أن يَقَعَ في رجالكم، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع، ثم لم يكن عندك غَيْرُ شيء مما سمعت، قال: قلت: قد والله فعلتُ، ما كان مني إليه من كبير. وأيم الله لأتعرضن له، فإن عاد لأُكفِّينكُنه.

قالت: فغدوتُ في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة، وأنا حديد مُغضب أرى أني قد فاتني منه أمرٌ أحب أن أدركه منه. قال: فدخلتُ المسجدَ فرأيتُه، فوالله إني لأمشي نحوه أتعرضه، ليعودَ لبعض ما قال فأقع به، وكان رجلاً خفيفاً، حديدَ الوجه، حديدَ اللسان، حديدَ النظر. قال: إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ. قال: فقلت في نفسي: ما له لعنة الله، أكل هذا فرق من أن أشاتمَه! قال: وإذا هو قد سَمِع ما لم أسمع: صوت ضَمْضَم بن عمرو الغفاري، وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره، قد جَدَعَ بعيره، وحول رَحله، وشق قميصه، وهو يقول: يا معشر قريش، اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبي سفيان قد عَرَضَ لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تُدركوها، الغوث الغوث. قال: فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر.

قريش تتجهز للخروج:

فتجهّز الناس سِرَاعاً، وقالوا: أیظنّ محمّد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي، كلا والله ليعلمنَّ غيرَ ذلك. فكانوا بين رجلين، إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً. وأوعبت قريش، فلم يتخلف من أشرافها أحد.

إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلف، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة وكان قد لاط له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه، أفلس بها، فاستأجره بها على أن يجزىء عنه، بعثه فخرج عنه، وتخلف أبو لهب.

معنى اللياط:

وذكر حديث أبي لهب، وبعثه العاصي بن هشام، وكان لاط له بأربعة آلاف درهم. لاط له: أي أربى له، وكذلك جاء اللياط مفسراً في غريب الحديث للخطابي، وهو قوله عليه السلام في الكتاب الذي كتبه لثقيف: وما كان لهم من دين لا رهن فيه فهو ليّاط مبرأ من الله. وقال أبو عبيد: وسمي الربا ليّاطاً، لأنه ملصق بالبيع، وليس ببيع، وقيل للربا ليّاطاً لأنه، لاصق بصاحبه لا يقضيه، ولا يوضع عنه، وأصل هذا اللفظ من اللصوق.

خروج عقبة

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نَجِيح: أن أُمَيَّةَ بن خَلْف كان أجمع القُعودَ، وكان شيخًا جليلاً جَسِيمًا ثَقِيلًا، فأتاه عُقْبَةُ بن أبي معيط، وهو جالس في المسجد بين ظَهْرَانِي قومه، بِمِجْمَرَةٍ يحملها، فيها نار ومِجْمَرٌ حتى وضعها بين يديه، ثم قال: يا أبا علي استَجِمِرْ، فإنما أنت من النساء؛ قال: قَبَحَكَ اللهُ وقَبَحَ ما جُثَّتْ به، قال: ثم تَجَهَّز فخرج مع الناس.

ما وقع بين قريش وكنانة:

قال ابن إسحاق: ولما فرغوا من جهازهم، وأجمعوا المسيرَ، ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر بن عبد مَنَاة بن كنانة من الحرب، فقالوا: إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا، وكانت الحربُ التي كانت بين قُريش وبين بني بكر - كما حدثني بعض بني عامر بن لُؤَيٍّ، عن محمد بن سعيد بن المُسيَّب - في ابنِ لِحَفْصِ بن الأَخِيْف، أحد بني مَعِيص بن عامر بن لُؤَيٍّ، خرج يَبْتَغِي ضَالَةً له بَضْجَنَان، وهو غلام حَدَث في رأسه دُؤَابَةٌ، وعليه حُلَّةٌ له، وكان غلامًا وضيئًا نظيفًا، فمرَّ بعامر بن يزيد بن عامر بن المُلُوح، أحد بني يَغْمَر بن عَوْف بن كَعْب بن عامر بن لَيْث بن بكر بن عبد مَنَاة بن كِنانة، وهو بَضْجَنَان، وهو سيدُ بني بكر يومئذ، فرآه فأعجبه؛ فقال: من أنت يا غلام؟ قال: أنا ابنُ لِحَفْصِ بن الأَخِيْف القُرَشِي. فلما وَلَّى الغلام، قال عامر بن زيد: يا بني بكر، ما لكم في قُريش من دم؟ قالوا: بلى والله، إن لنا فيهم لدماء؛ قال: ما كان رجل ليقتل هذا الغلام بِرَجُلِهِ إلا كان قد استوفى دمه. قال: فتبعه رجلٌ من بني بكر فقتله بدم كان له في قُريش؛ فتكلَّمت فيه قُريش، فقال عامر بن يزيد: يا معشر قُريش قد كانت لنا فيكم دماء، فما شِئْتُمْ. إن شِئْتُمْ فأدُّوا علينا مَالَنَا قِبَلَكُمْ، ونؤدِّي مَالَكُمْ قِبَلَنَا، وإن شِئْتُمْ فإنما هي الدماء: رجلٌ برجل، فتجافؤا عمَّا لكم قِبَلَنَا، ونتجافى عمَّا لنا قِبَلَكُمْ، فهان ذلك الغلام على هذا الحَيِّ من قُريش، وقالوا: صدق، رجل برجل. فلهوا عنه، فلم يطلبوا به.

المِجْمَرَةُ والأَلُوءَةُ

وعَزَمَ أُمَيَّةُ بن خَلْفٍ على القُعود، وأنَّ عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ جاءه بِمِجْمَرَةٍ فيها نار ومِجْمَرٌ، وقال: استَجِمِرْ فإنما أنت من النساء. المِجْمَرَةُ: هي الأداة التي يُجَعَلُ فيها البَخُور، والمِجْمَرُ هو البَخُور نفسه، وفي الحديث في صفة أهل الجنة مَجَامِرُهُم الأَلُوءَةُ، فهذا جَمْعُ مِجْمَرٍ لا مِجْمَرَةٍ، والأَلُوءَةُ: هي العُود الرُّطْب، وفيها أَرْبَعُ لُغَاتٍ أَلُوءَةٌ وأَلُوءَةٌ، وَلُوءَةٌ بغير ألف وِلْيَةٍ، قاله أبو حنيفة.

قال: فبينما أخوه مِكرَز بن حَفْص بن الأُخَيْف يسير بِمَرِّ الظَّهْران، إذْ نظر إلى عامر بن يزيد بن عامر المُلَوَّح على جمل له، فلما رآه أقبل إليه حتى أناخ به، وعامر متوشَّح سيفه، فعلاه مِكرَز بسيفه حتى قتله، ثم خاض بَطْنه بسيفه، ثم أتى به مكة، فعَلَّقَه من الليل بأستار الكعبة. فلما أصبحت قريشُ رأوا سيفَ عامر بن يزيد بن عامر معلقًا بأستار الكعبة، فعرفوه، فقالوا: إن هذا لسيفُ عامر بن يزيد، عدا عليه مِكرَز بن حَفْص فقتله، فكان ذلك من أمرهم. فبينما هم في ذلك من حربهم، حَجَز الإسلام بين الناس؛ فتشاغلوا به، حتى أجمعت قريشُ المسير إلى بدر، فذكروا الذي بينهم وبين بني بكر فخافوهم.

وقال مِكرَز بن حَفْص في قتله عامرًا:

لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُ هُوَ عَامِرٌ	تَذَكَّرْتُ أَشْلَاءَ الْحَبِيبِ الْمُلْحَبِ
وَقُلْتُ لِنَفْسِي: إِنَّهُ هُوَ عَامِرٌ	فَلَا تَرْهَبِيهِ، وَانْظُرِي أَيَّ مَرْكَبِ
وَأَيَقَنْتُ أَنِّي إِنْ أُجِلِّلَهُ ضَرْبَةً	مَتَى مَا أَصَبَنَهُ بِالْفُرَافِرِ يَغْطِبِ
خَفَضْتُ لَهُ جَأَشِي وَأَلْقَيْتُ كَلْكَلِي	عَلَى بَطْلِ شَاكِي السِّلَاحِ مُجَرَّبِ
وَلَمْ أَكْ لَمَّا التَفَ رُوعِي وَرُوعَهُ	عُصَارَةً هُجِنٍ مِنْ نِسَاءٍ وَلَا أَبِ
حَلَلْتُ بِهِ وَثَرِي وَلَمْ أَنْسَ دَخْلَهُ	إِذَا مَا تَنَاسَى دَحْلَهُ كُلُّ عَيْهَبِ

وذكر في شعر مِكرَز:

تذكرت أشلاء الحبيب الملحَب

شرح شعر مِكرَز:

الأشلاء: أعضاء مُقَطَّعة، والملحَب من قولهم: لَحَبْتُ اللحم إذا قطعته طولاً ذكره صاحب العين^(١).

وذكر في شعر مُكرَز:

متى ما أُجِلِّلُهُ الْفُرَافِرِ يَغْطِبِ

(١) لَحَب: اللَّحَب: قطعك اللحم طولاً، والملحَب: المقطع، وَلَحَبَهُ وَلَحَبَهُ: ضربه بالسيف، أو جرحه. اللسان (١/٧٣٦).

قال ابن هشام: الفَرافِر في غير هذا الموضع: الرجل الأَضْبَط، وفي هذا الموضع: السيف. والغَيْهَب: الذي لا عقل له، ويقال: تيس الظباء وفحل النعام، قال الخليل: العيهب: الرجل الضعيف عن إدراك وتره.

الشیطان وقريش:

وقال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، قال: لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي كان بينها وبين بني بكر، فكاد ذلك يثنيهم، فتبدى لهم إبليس في صورة سُراقَة بن مالك بن جُعْشُم المَذَلْجِي، وكان من أشرف بني كنانة، فقال لهم: أنا لكم جارٌّ من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيءٍ تكرهونه، فخرجوا سراعًا.

خروجه ﷺ:

قال ابن إسحاق: وخرج رسولُ الله ﷺ في ليالٍ مضت من شهر رمضان في أصحابه - قال ابن هشام: خرج يوم الاثنين لثمان ليالٍ خلون من شهر رمضان - واستعمل عمرو ابن أمّ مكتوم - ويقال اسمه: عبد الله ابن أمّ مكتوم أخا بني عامر بن لُؤَيٍّ، على الصلاة بالناس، ثم ردّ أبا لبابة من الرّوحاء، واستعمله على المدينة.

اللواء والرايتان:

قال ابن إسحاق: ودفع اللواء إلى مُضْعَب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. قال ابن هشام: وكان أبيض.

قال ابن إسحاق: وكان أمام رسول الله ﷺ رايتان سَوْدَاوان، إحداهما مع عليّ بن أبي طالب، يقال لها: العُقَاب، والأخرى مع بعض الأنصار.

إبل المسلمين إلى بدر:

قال ابن إسحاق: وكانت إبل أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ سبعين بعيرًا،

وقد فسر ابن هشام الفَرافِرَ، وقال: هو اسم سيف، وهو عندي من فَرَفَزَ اللحم إذا قطعه أنشد أبو عبيد:

كَكَلَبٍ طَسَمٍ وَقَدْ تَرَبَّبَهُ يَغْلُهُ بِالْحَلِيبِ فِي الْغَلَسِ
أَنْحَى عَلَيْهِ يَوْمًا يُفَرِّقُهُ إِنْ يَلِغُ فِي الدِّمَاءِ يَنْتَهِسُ
وَيُزَوَّى: يُشْرِشِرُهُ. وَالْعَيْهَبُ الَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ، وَيُقَالُ لَذَكَرِ النَّعَمِ عَيْهَبٌ.

فاعتقبوها، فكان رسول الله ﷺ، وعلي بن أبي طالب، ومَرْثَد بن أبي مَرْثَد الغنوي يَغْتَقِبُون بَعِيرًا^(١)، وكان حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة، وأبو كَبْشَة، وأنسَة، مَوْلِيَا رسول الله ﷺ - يَغْتَقِبُون بَعِيرًا، وكان أبو بكر، وعُمر، وعبد الرحمن بن عَوْف يَغْتَقِبُون بَعِيرًا.

قال ابن إسحق: وجعل على السَّاقَة قَيْسَ بن أبي صَعْصَعَة أخا بني مازن بن النَجَّار. وكانت رايَة الأنصار مَعَ سَعْد بن مُعَاذ، فيما قال ابن هشام.

الطريق إلى بدر:

قال ابن إسحق: فسلكت طريقه من المدينة إلى مكة، على ثَقْب المدينة، ثم على العقيق، ثم على ذي الحليفة، ثم على أولات الجَيْش.

قال ابن هشام: ذات الجَيْش.

قال ابن إسحق: ثم مرَّ على تُرْبَان ثم على مَلَل، ثم على غَمَيْس الحَمَام من مَرَيَيْن، ثم على صُخَيْرَات اليمَام، ثم على السَّيَالَة، ثم على فَجِّ الرُّوحَاء، ثم على شُوكَة، وهي الطريق المُعْتَدَلَة، حتى إذا كان بِعِرْقِ الطُّبِيَّة - قال ابن هشام: الطُّبِيَّة: عن غير ابن إسحق - لَقُوا رجلاً من الأعراب، فسألوه عن الناس، فلم يجدوا عنده خبراً، فقال له الناس: سلَّم على رسول الله ﷺ، قال: أفيكم رسول الله؟ قالوا: نعم، فسَلَّم عليه، ثم قال: إن كنت رسول الله فأخبرني عما في بطن ناقتي هذه قال له سَلَمَة بن سَلَامَة بن وَقْش: لا تسأل رسول الله ﷺ، وأقبل عليّ فأنا أخبرك عن ذلك. نزوت عليها، ففي بطنها منك سَخْلَة، فقال رسول الله ﷺ: «مَهْ، أَفَحَشْتَ على الرجل»، ثم أَعْرَضَ عن سَلَمَة.

مواضع نزل فيها الرسول ﷺ:

وذكر عِرْقِ الطُّبِيَّة، والطُّبِيَّة: شجرة شَبَه القَتَادَة يُسْتَتَلُّ بها، وجمعها: طُبيان، وكذلك ذكر السَّيَالَة في طريق بدر، والسَّيَالُ شَجَرٌ، ويقال: هو عِظَامُ السَّلَم، قاله أبو حنيفة.

(١) جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه الله عنا كل خير (٣٩٠١ / ٣٩٦٥): أن أبا لبابة وعلي بن أبي طالب كانا زميلي رسول الله ﷺ. وأخرجه الحاكم أيضاً (٢٠ / ٣) وصححه وأقره الذهبي.

ونزل رسول الله ﷺ سَجَسَج، وهي بئر الرُّوحاء، ثم ارتحل منها، حتى إذا كان بالمنصرف، ترك طريق مكة بيسار، وسلك ذات اليمين على النَّازِيَةِ، يريد بدرًا، فسلك في ناحية منها، حتى جَزَعَ واديًا، يقال له رُحْقَان، بين النازية وبين مَضِيق الصَّفْرَاء، ثم على المضيق، ثم انصب منه، حتى إذا كان قريبًا من الصفراء، بعث بَسْبَس بن عمرو

وذكر النَّازِيَةِ، وهي رَحْبَةٌ واسعة فيها عِضَاءٌ^(١) ومُروج^(٢).

وذكر سَجَسَجًا، وهي بالرُّوحَاء، وسميت سَجَسَجًا، لأنها بين جبَلَيْن، وكلُّ شيء بين شَيْئَيْن، فهو: سَجَسَج. وفي الحديث: إن هواء الجنة سَجَسَج، أي: لا حرَّ ولا برْد، وهو عندي من لفظ السَّجَاج، وهو لَبَنٌ غيرُ خَالِصٍ، وذلك إذا أكثر مزجه بالماء، قال الشاعر:

وَيَشْرَبُهَا مَزْجًا وَيَسْقِي عِيَالَهُ سَجَاجًا كَأَقْرَابِ الثَّعَالِبِ أَوْرَقًا

وهذا القول جارٍ على قياس مَنْ يقول: إن الثَّرَاثِرَةَ من لفظ: الثَّرَّة، ورَقَرْتُ من لفظ: رَقَقْتُ إلى آخر الباب.

وذكر الصَّفْرَاء، وهي واد كبير.

أنساب:

وذكر بَسْبَس بن عَمْرُو الجُهَيْنِي^(٣)، وَعَدِي بن أَبِي الزَّغْبَاء حين بعثهما رسول الله ﷺ يَتَحَسَّسَانِ الْأَخْبَارَ عَنْ عِيرِ قُرَيْشٍ، وفي مُصَنَّفِ أَبِي دَاوُدَ: بَسْبَسَةٌ مَكَانَ بَسْبَسٍ وَبَعْضُ رِوَاةِ أَبِي دَاوُدَ يَقُولُ: بَسْبَسَةٌ بضم الباء: وكذلك وقع في كتاب مسلم ونسبه ابن إسحاق إلى جُهَيْنَةَ، ونسبه غيره إلى ذُبْيَانَ، وقال: هو بَسْبَس بن عَمْرُو بن ثَعْلَبَةَ بن خَرْشَةَ بن عَمْرُو بن سَعْد بن ذُبْيَانَ، وأما عدي بن أَبِي الزَّغْبَاء، واسم أَبِي الزَّغْبَاء: سَنَان بن سُبَيْع بن ثَعْلَبَةَ بن رَبِيعَةَ بن بُذَيْل، وليس في العرب بُذَيْلٌ بالذال المنقوطة غير هذا، قاله الدَّارِقُطْنِي، وهو بُذَيْلُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ كَاهِلٍ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَلِكٍ بْنِ غَطَفَانَ بْنِ قَيْسِ بْنِ جُهَيْنَةَ، وجهينة: وهو ابن سُود بن أَسْلَم بضم اللام ابن الحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ، قال موسى بن عُقْبَةَ: عَدِيٌّ بن أَبِي الزَّغْبَاء حَلِيفُ بَنِي مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ مَاتَ فِي خِلَافَةِ عَمَرٍ، وَكَانَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَأُحُدًا وَالْخَنْدَقَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(١) عِضَاءُ: أعظم الشجر.

(٢) مروج: المرج: الموضع الذي ترعى فيه الدواب.

(٣) انظر ترجمة له في الاستيعاب (١/١٩٠).

الجُهَنِّي، حليف بني ساعدة، وَعَدِيَّ بن أبي الزَّغْبَاء الجُهَنِّي، حليف بني النِّجَار، إلى بدر يَتَحَسَّسان له الأخبار، عن أبي سُفْيَان بن حَرْب وغيره. ثم ارتحل رسولُ الله ﷺ، وقد قَدِمَها. فلما استقبل الصُّفْرَاء، وهي قرية بين جبَلَيْن، سأل عن جَبَلَيْهِمَا ما اسماهما؟ فقالوا: يقال لأحدهما، هذا مُسْلِح، وللآخر: هذا مُخْرِيء وسأل عن أهلِهما، ف قيل: بنو النار وبنو حُرَاق، بطنان من بني غِفَار فكُرهَهما رسولُ الله ﷺ والمُرُور بينهما، وتفاءل بأسمائِهما وأسماء أهلِهما. فتركهما رسولُ الله ﷺ والصُّفْرَاء بيسار، وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له: ذَفْرَان، فجزع فيه، ثم نزل.

التطير^(١) وكراهية الاسم القبيح:

وذكر أنه عليه السلام مرَّ بجَبَلَيْن، فسأل على اسميهما، ف قيل له: أحدهما مُسْلِح والآخر مُخْرِيء، فَعَدَل عن طريقهما، وليس هذا من باب الطَّيْرَة، التي نَهَى عنها رسولُ الله ﷺ - ولكن من باب كراهية الاسم القبيح، فقد كان عليه السلام يكتب إلى امرائه: «إذا أبردْتُم إليَّ بريداً فاجعلوه حَسَنَ الوجْهِ حَسَنَ الاسم»^(٢)، ذكره البزار من طريق بُرَيْدَة، وقد قال في لِحْجَة: من يَخْلُب هذه؟ فقام رجل، فقال: أنا، فقال رسولُ الله ﷺ: «ما اسمك؟» فقال: مُرَّة، فقال: «اقعد»، حتى قال آخرهم: اسمي: يَعِيشُ، قال: احْلُب. اختصرت الحديث وفيه زيادة رواها ابنُ وهب، قال: فقام عمر: فقال: لا أدري أقول أم أسكت؛ فقال له رسولُ الله ﷺ: «قل»، فقال له: قد كنت نَهَيْتُنَا عن التَّطِيرِ، فقال عليه السلام: «ما تَطِيرُ، ولكني آثرتُ الاسمَ الحَسَنَ»، أو كما قال عليه السلام. وقد أُمليتُ في شَرْح حديث المَوْطِئِ في الشُّؤم، وأنه إن كان ففي المرأة والفرس والدار تحقيقاً وبياناً شافياً لمعناه، وكشفاً عن فقهه لم أرَ أحداً - والحمدُ لله - سَبَقَنِي إلى مثله.

جبل مسلح ومخريء:

وهذا الجبلان لتسميتهما بهذين الاسمين سبب، وهو أن عَبْدًا لبني غِفَار كان يَزْعِي بهما غنماً لسيده، فرجع ذات يوم عن المرعى، فقال له سيده: لم رجعت؟ فقال: إن هذا الجبل مسلح للغنم، وإن هذا الآخر مخري، فسُمِّيَا بذلك. وجدت ذلك بخط الشيخ الحافظ فيما نقل عن الوقشي.

(١) التطير: التشاؤم.

(٢) انظر البزار (٤١٢/٢) وابن أبي شيبة (٣٤٩/١٢).

قول أبي بكر وعمر والمقداد في الجهاد:

وأُتاه الخبرُ عن قريش بمسيرهم لِيَمْنَعُوا عِيرَهُمْ، فاستشار الناسَ، وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق، فقال وأحسن. ثم قام عمرُ بن الخطّاب، فقال وأحسن، ثم قام المِقْدَاد بن عمرو، فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون﴾. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مُقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْكِ الْعُمَاد لجالدنا معك من دونه، حتى تَبْلُغَهُ، فقال له رسول الله ﷺ: «خيرًا»، ودعا له به (١).

الرسول ﷺ يستشير الأنصار:

ثم قال رسول الله ﷺ: «أشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ». وإنما يريد الأنصارَ، وذلك أنهم عَدُوُّ النَّاسِ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة، قالوا: يا رسول الله: إنا بُرَاءٌ مِنْ ذِمَامِكَ حتى تَصِلَ إلَى ديارنا، فإذا وَصَلْتَ إلَيْنَا، فَأَنْتَ فِي ذِمَّتِنَا نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا. فكان رسول الله ﷺ يَتَخَوَّفُ أَلَّا تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى عَلَيْهَا نَضْرَهُ إِلَّا مِمَّنْ دَهَمَهُ بِالْمَدِينَةِ مِنْ عَدُوِّهِ، وَأَنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى عَدُوٍّ مِنْ بِلَادِهِمْ. فلما قال ذلك رسول الله ﷺ، قال له سعدُ بن مُعَاذٍ: والله لَكَأَنَّكَ تَرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: أَجَلٌ، قال: لقد آمَنَّا بِكَ وَصَدَقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنْ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاقِفَنَا، عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فامض يا رسول الله لما أردتَ فنحن معك، فوالذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لو استعرضت بنا هذا البحرَ فخَضْتَهُ لَخَضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنْنا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكِرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا، إِنْ لَصُبْرٌ فِي الْحَزْبِ، صُدُقٌ فِي اللَّقَاءِ. لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِمَّا مَا تَقْرَأُ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ. فَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِ سَعْدٍ، وَنَشِطَهُ ذَلِكَ؛ ثُمَّ قَالَ: سِيرُوا وَأَبْشَرُوا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللَّهُ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ.

برك الغماد:

وذكر قول المِقْدَاد: ولو بلغت بنا بَرْكُ الْعُمَادِ، وَجَدْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ التَّفْسِيرِ أَنَّهَا مَدِينَةُ الْحَبَشَةِ.

(١) انظر قول أبو بكر وسعد بن معاذ وعمر والمقداد في البخاري (٢٢٣/٧) ومسلم (١٧٧٩) وأحمد في مسنده (٤٢٨/٣٩٠) والحاكم (٢٤٩/٣). وانظر الفتح (٢٢٤/٧).

تفرّق أخبار قريش:

ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذافِرَانَ، فسلك على ثَنَيا يقال لها الأصافر؛ ثم انحطّ منها إلى بلد يقال له: الدَّبَّة، وترك الحنَّانَ بيمين، وهو كَثِيبٌ عظيم كالجبل العظيم، ثم نزل قريبًا من بَدْر، فركب هو ورجلٌ من أصحابه.

قال ابن هشام: الرجل هو أبو بكر الصديق.

قال ابن إسحاق: كما حدّثني محمد بن يحيى بن حَبَّان: حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قُريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أُخبركما حتى تُخبراني ممَّن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «إذا أخبرتنا أخبرناك»، قال: أذاك بذاك؟ قال: نعم، قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ، وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قُريش. فلما فرغ من خبره، قال: ممَّن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: نحن من ماء، ثم انصرف عنه. قال: يقول الشيخ: ما من ماء، أمن ماء العراق؟

قال ابن هشام: يقال: ذلك الشيخ سُفيان الضُمري.

قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه، فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب، والزُّبَيْر بن العوّام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه، إلى ماء بدر، يلتمسون الخبر له عليه - كما حدّثني يزيد بن رومان؛ عن عروة بن الزُّبير - فأصابوا راويةً لقُريش فيها أسلم غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار، غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما فسألوهما، ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فقالا: نحن سقاة قُريش، بعثونا نسقيهم من الماء. فكّره القوم خبرهما، ورَجَّوا أن يكونا لأبي سُفيان، فضربوهما. فلما أذلقوهما قالا: نحن لأبي سفيان، فتركوهما. ورَكَع رسول الله ﷺ وسجد سجديته، ثم

تعوير قُلُب^(١) المشركين:

وذكر القُلُب التي اختَفَرها المشركون ليَشربوا منها، قال: فأمر بتلك القُلُبِ فَعُورَتْ، وهي كلمة نبيلة، وذلك أن القُلُبَ لما كان عَيْنًا جعلها كَعَيْنِ الإنسان، ويقال في عَيْنِ الإنسان: عُرَتْها فَعَارَتْ، ولا يقال: عَوَزَتْها، وكذلك قال في القُلُبِ عُورَتْ بسكون الواو

(١) قُلُب: جمع قليب.

سَلَّمَ، وَقَالَ: «إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكْتُمُوهُمَا، صَدَقَا وَاللَّهِ إِنَّهُمَا لَقُرَيْشٌ، أَخْبَرَانِي عَنْ قُرَيْشٍ؟» قَالَا: هُم وَاللَّهُ وَرَاءَ هَذَا الْكَثِيبِ الَّذِي تَرَى بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى - وَالْكَثِيبِ: الْعَقَنْقَلُ - فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَمْ الْقَوْمُ؟» قَالَا: كَثِيرٌ، قَالَ: «مَا عِدَّتُهُمْ؟» قَالَا: لَا نَدْرِي، قَالَ: «كَمْ يَنْحَرُونَ كُلَّ يَوْمٍ؟» قَالَا: يَوْمًا تِسْعًا، وَيَوْمًا عَشْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْقَوْمُ فِيمَا بَيْنَ التَّسْعِمَائَةِ وَالْأَلْفِ». ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: «فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ؟» قَالَا: عُثْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ، وَحَكِيمُ بْنُ حَزَامٍ، وَنَوْفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرٍ بْنُ نَوْفَلٍ، وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ بْنُ نَوْفَلٍ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَنُبَيْهٌ، وَمُنْبَهُ ابْنَا الْحَجَّاجِ، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ. فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلَقْتُ إِلَيْكُمْ أَفْلَاحَ كَبْدِهَا».

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ بَسْبَسُ بْنُ عَمْرٍو، وَعَدِيٌّ بْنُ أَبِي الزَّغْبَاءِ قَدْ مَضَى حَتَّى نَزَلَا بَدْرًا، فَأَنَاخَا إِلَى تَلٍّ قَرِيبٍ مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ أَخَذَا شَيْئًا لَهُمَا يَسْتَقِيَانِ فِيهِ، وَمَجْدِيُّ بْنُ عَمْرٍو الْجُهَنِيُّ عَلَى الْمَاءِ. فَسَمِعَ عَدِيٌّ وَبَسْبَسُ جَارِيَتَيْنِ مِنْ جَوَارِي الْحَاضِرِ وَهُمَا يَتَلَازمانِ عَلَى الْمَاءِ، وَالْمَلْزُومَةُ تَقُولُ لِمَا حَبَّتْهَا: إِنَّمَا تَأْتِي الْعَيْرَ غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ، فَأَعْمَلُ لَهُمْ، ثُمَّ أَفْضِيكَ الَّذِي لَكَ. قَالَ مَجْدِيٌّ: صَدَقَتْ ثُمَّ خَلَصَ بَيْنَهُمَا. وَسَمِعَ ذَلِكَ عَدِيٌّ وَبَسْبَسُ، فَجَلَسَا عَلَى بَعِيرَيْهِمَا، ثُمَّ انْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَأَخْبَرَاهُ بِمَا سَمِعَا.

نَجَاةُ أَبِي سَفْيَانَ بِالْعَيْرِ:

وَأَقْبَلَ أَبُو سَفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، حَتَّى تَقَدَّمَ الْعَيْرَ حَذْرًا، حَتَّى وَرَدَ الْمَاءَ، فَقَالَ لِمَجْدِيٍّ بْنِ عَمْرٍو: هَلْ أَحْسَسْتَ أَحَدًا، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَنْكَرَهُ، إِلَّا أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَاكِبِينَ قَدْ أَنَاخَا إِلَى هَذَا التَّلِّ، ثُمَّ اسْتَقِيَا فِي شَيْءٍ لَهُمَا، ثُمَّ انْطَلَقَا. فَأَتَى أَبُو سَفْيَانَ مُنَاخَهَا، فَأَخَذَ مِنْ أَبْعَارِ بَعِيرَيْهِمَا، فَفَتَّهَ، فَإِذَا فِيهِ النَّوَى، فَقَالَ: هَذِهِ وَاللَّهِ عَلَائِفُ يَثْرَبُ. فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ سَرِيعًا، فَضَرَبَ وَجْهَ عَيْرِهِ عَنِ الطَّرِيقِ فَسَاحَلَ بِهَا، وَتَرَكَ بَدْرًا بَيْسَارًا، وَانْطَلَقَ حَتَّى أَسْرَعَ.

وَلَكِنْ لَمَّا رَدَّ الْفَعْلَ لَمَّا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ ضَمَّتِ الْعَيْنُ، فَجَاءَ عَلَى لُغَةٍ مِنْ يَقُولُ: قَوْلُ الْقَوْلِ وَبُوعَ الْمَتَاعِ، وَهِيَ لُغَةُ هُذَيْلٍ وَبَنِي دُبَيْرٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ وَبَنِي فَقْعَسٍ، وَبَنُو دُبَيْرٍ هُوَ تَصْغِيرُ أَذْبَرَ عَلَى التَّرْخِيمِ، وَإِنْ كَانَتْ لُغَةً رَدِيئَةً، فَقَدْ حُسِّنَتْ هُنَا لِلْمَحَافَظَةِ عَلَى لَفْظِ الْوَاوِ، إِذْ لَوْ قَالُوا: عَيْرَتِ فَأَمِيتَتِ الْوَاوِ، لَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُ مِنَ الْعَوَرِ إِلَّا بَعْدَ نَظَرٍ، كَمَا حَافَظُوا فِي جَمْعِ عِيدٍ عَلَى لَفْظِ الْيَاءِ فِي عِيدٍ فَقَالُوا: أَغْيَادُ، وَتَرَكَوا الْقِيَاسَ الَّذِي فِي رِيحٍ وَأَزْوَاحٍ عَلَى أَنَّ أَرْيَاخًا لُغَةُ بَنِي

رؤيا جهيم بن الصلت:

وأقبلت قريش، فلما نزلوا الجُحفة، رأى جُهيم بن الصّلت بن مخرمة بن المطّلب بن عبد مناف رؤيا، فقال: إني رأيتُ فيما يرى النائم، وإني لبين النائم واليقظان. إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف، ومعه بعير له؛ ثم قال: قتل عُتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحَكَم بن هشام، وأمّية بن خلف، وفلان وفلان، فعَدَد رجالاً ممن قتل يوم بدر، من أشراف قريش، ثم رأيتُه ضرب في لَبّة بعيره، ثم أرسله في العسكر، فما بقي خباء من أخبية العسكر إلا أصابه نضح من دمه.

قال: فبلغت أبا جهل، فقال: وهذا أيضًا نبي آخر من بني المطّلب، سيعلم غدا من المَقْتُول إن نحن التقينا.

كان أبو سفيان لا يريد حربًا:

قال ابن إسحق: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أُخِرَزَ عِيرَه، أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لَتَمْنَعُوا عِيرَكُم ورجالكم وأموالكم، فقد نَجَّاهَا اللهُ، فارجعوا، فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نَرْجِعُ حتى نَرِدَ بَدْرًا - وكان بدر مَوْسَمًا من مواسم العرب، يجتمع لهم به سَوْقٌ كُلُّ عام - فنَقِمَ عليه ثلاثًا، فَنَحَرَ الجُزْرَ ونُطِعِمَ الطعام، ونُسْقِيَ الخمر، وتَغَزَفَ علينا القِيَان، وتسمع بنا العربُ وبمسيرنا وجَمْعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدًا بعدها، فامضوا.

رجوع بني زهرة:

وقال الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثَّقَفِي، وكان حَلِيفًا لبني زهرة وهم بالجُحفة: يا بني زهرة، قد نَجَّى اللهُ لكم أموالكم، وخلّص لكم صاحبكم مَخْرَمَةَ بن نَوْفَل، وإنما نَفَرْتُمْ لَتَمْنَعُوهُ وماله، فاجعلوا لي جُبْنَهَا وارجعوا، فإنه لا حاجة لكم بأن تَخْرُجُوا في غير ضَيْعَةٍ، لا ما يقول هذا، يَعْنِي أبا جهل: فرجعوا، فلم يَشْهَدْهَا زُهْرِيّ واحد، أطاعوه وكان فيهم مُطَاعًا. ولم يكن بَقِيَ من قريش بَطْنٌ إلا وقد نَفَر منهم ناس،

أسد كي لا تذهب من اللفظ الدلالة على معنى العين، وإن كان من العَوْدَةِ، وقَسَ على هذا القول، وصحة الواو فيه، وكما حافظوا على الضمة في سُبُوح وقُدُوس، وقياسه: أن يكون على فَعُول بفتح الفاء كَتُّوم وشَبُوط وبابه، ولكن حافظوا على الضمّتين، ليسَلَمَ لفظُ القُدس والسُبُحات وسُبُحان الله يَسْتَشْعِر المتكلمُ بهذين الاسمين معنى القُدس، ومعنى سُبُحان من أول وهلة، ولما ذكرناه كثيرة نظائر يُخرجنا إيرادها عن الغرض.

إلا بني عدي بن كعب، لم يخرج منهم رجلٌ واحد، فرجعت بنو زُهرة مع الأخنس بن شريق، فلم يشهد بدرًا من هاتين القبيلتين أحدًا، ومشى القوم. وكان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين بعض قريش محاورة، فقالوا: والله لقد عرفنا يا بني هاشم، وإن خرجتم معنا، أن هواكم لمع. محمد فرجع طالب إلى مكة مع من رجع. وقال طالب بن أبي طالب:

لَا هُمْ إِمَّا يَغْزُونَ طَالِبَ فِي غُضْبَةٍ مَحَالِفٌ مُحَارِبُ
فِي مِقْنَبٍ مِنْ هَذِهِ الْمَقَانِبِ أَفَلَيْكِنِ الْمَسْلُوبَ غَيْرَ السَّالِبِ
وَلَيْكِنِ الْمَغْلُوبَ غَيْرَ الْغَالِبِ

قال ابن هشام: قوله فليكن المسلوب، وقوله: ولكن المغلوب عن غير واحد من الرواة للشعر.

منزل المسلمين ومنزل قريش:

قال ابن إسحاق: ومضت قريش حتى نزلوا بالعُدوة القُضوى من الوادي، خلف العَقَنَقْل وبطن الوادي، وهو يَلِيل، بين بَذَرٍ وبين العَقَنَقْل، الكثيب الذي خلفه قريش، والْقَلْب بيدر في العُدوة الدنيا من بَطْنِ يَلِيل إلى المدينة. وبعث الله السماء، وكان الودي دَهْسًا، فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لَبَدَ لهم الأرض ولم يمنعهم عن السير، وأصاب قريشًا منها ما لم يَقْدِرُوا على أن يرتحلوا معه. فخرج رسول الله ﷺ يُبَادِرُهُم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماءٍ من بَذَرٍ نزل به.

تفسير كلمات:

وذكر قول أبي جهل: قم فأنشد خُفَرَتَكَ، أي: اطلب من قُرَيْشِ الوفاء بخُفَرَتِهِمْ لك، لأنه كان حليفًا لهم وجارًا، يقال: خَفَرْتُ الرجلَ خُفْرَةً إذا أجزته، والخفير. المُجِير^(١). قال: [عدي بن زيد] العبادي.

مَنْ رَأَيْتَ الْأَيَّامَ خَلَدَنْ أَمْ مَنْ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ

(١) خفر: الخاء والفاء والراء: أصلان: أحدهما الحياء، والآخر: المحافظة أو ضدها. فالأول الخفر: يقال خَفَرَتِ المرأة: استحيت، تخفر خفراء، وهي خِفْرَةٌ. وأما الأصل الآخر فيقال: خَفَرْتُ الرجلَ خِفْرَةً، إذا أجزته وكنت له خفيرًا، وتخفرت بفلان إذا استجرت به، ويقال: أخفرت إذا بعثت معه خفيرًا، وأما خلاف ذلك فأخفرت الرجل: وذلك إذا نقضت عهده بمقاييس اللغة (٢/٢٠٣).

مشورة الحباب:

قال ابن إسحاق: فحدثت عن رجال من بني سلمة، أنهم ذكروا: أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال: يا رسول الله، أرايت هذا المنزل، أمزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نعور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون؛ فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي». فانهض رسول الله ﷺ - ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فعورت، وبني حوضاً على القلب الذي نزل عليه فملئ ماء، ثم قذفوا فيه الآنية.

بناء العريش لرسول الله ﷺ:

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث: أن سعد بن معاذ قال: يا نبي الله، ألا نبني لك عريشاً تكون فيه، نعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى، جلست على ركائبك، فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام، يا نبي الله، ما نحن بأشد لك حبا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجهدون معك: فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير. ثم بُني لرسول الله ﷺ عريش، فكان فيه.

ارتحال قريش:

قال ابن إسحاق: وقد ارتحلت قريش حين أصبحت، فأقبلت، فلما رآها رسول الله ﷺ تصوب من العقنقل، - وهو الكثيب الذي جاءوا منه إلى الوادي - قال: اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها، تحاذك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذي وعدتني، اللهم أجنهم الغداة.

وقد قال رسول الله ﷺ - (وقد) رأى عتبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر -: «إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرضدوا».

وقوله: حَقَبَت الحرب، يقال: حَقَبَ الأمر إذا اشتد، وضاق فيه المسالك، وهو مُسْتَعَارٌ من حَقَبَ البعير إذا اشتد عليه الحَقَب وهو الحزام الأسفل، وراغ حتى يَبْلُغَ ثِيْلَهُ، فضايق عليه مسلك البؤل.

وقد كان خُفاف بن أيماء بن رَحضة الغِفاري، أو أبوه أيماء بن رَحضة الغِفاري، بعث إلى قريش، حين مرؤوا به، ابناً له بجزائره أهذاها لهم، وقال: إن أُخْبِيتُمْ أن نُمَدِّكم بسلاح ورجال فعَلْنَا. قال: فأرسلوا إليه مع ابنه: أن وصلتك رحم، قد قضيت الذي عليك، فلعمري لئن كنّا إنما نُقاتل الناسَ فما بنا من ضَعْف عنهم، ولئن كنّا إنما نُقاتل الله، كما يزعم محمّد، فما لأحد بالله من طاقة.

فلما نزل الناسُ أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا حوضَ رسول الله ﷺ فيهم حَكيم بن حزام؛ فقال رسول الله ﷺ: «دعُوهم». فما شَرِب منه رجلٌ يومئذٍ إلا قُتل، إلا ما كان من حَكيم بن حزام، فإنه لم يُقتل، ثم أسلم بعد ذلك، فحُسِن إسلامه. فكان إذا اجتهد في يمينه، قال: لا والذي نَجَّاني من يوم بدر.

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم، عن أشياخ من الأنصار، قالوا: لما اطمأنَّ القوم، بعثوا عُمير بن وهب الجُمحي فقالوا: اخزُر، لنا أصحابُ محمد، قال: فاستجال بفرسه حولَ العسكر ثم رجع إليهم، فقال ثلاثُ مائة رجل، يزيدون قليلاً أو يَنْقُصُونَ، ولكن أمهلوني حتى أنظر ألقوم كمينٍ أو مَدَد؟ قال: فضرب في الوادي حتى أبعد، فلم يَر شيئاً، فرجع إليهم فقال: ما وجدتُ شيئاً، ولكني قد رأيتُ، يا معشرَ قريش، البَلَايا تحمل المَنَايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس معهم مَنعة ولا مَلْجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يُقتل رجلٌ منهم، حتى يُقتل رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك؟ فرَوا رأيكم.

فلما سمع حَكيم بن حزام ذلك مشى في الناس، فأتى عُتْبَةَ بن ربيعة، فقال: يا أبا الوليد، إنك كبيرُ قُريش وسيِّدُها، والمُطاع فيها، هل لك إلى أن لا تزال تُذكر فيها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك يا حَكيم؟ قال: تَرْجع بالنَّاس، وتَحْمِل أمرَ حليفك عَمْرُو بن الحَضرمي، قال: قد فعلتُ، أنت عليّ بذلك، إنما هو حليفي، فعليّ عَقْلُهُ وما أُصِيبَ من ماله، فأتى ابن الحَنْظَلِيَّة.

وقول عُتْبَةَ في أبي جَهْل: سيعلم مُصَفِّرُ اسْتِه من انتفخ سَخْرُهُ. السَّخْرُ والسُّخْرُ الرَّثَّةُ، والسَّخْرُ أيضاً بفتح الحاء، وهو قياسٌ من كل اسم على فَعْل إذا كانَ عَيْنُ الفَعْل حَرْفَ حَلَقٍ، أن يجوز فيه الفتح، فيقال في الدَّهْر: الدَّهْر، وفي اللحم: اللحم حتى قالوا في النَّحْو النَّحْو، ذكرها ابن جني، ولم يعتمدوا على هذا التحريك الذي من أجل حَرْف الحَلَق لما كان لِعِلَّة، فلم يقلبوا الواو من أجله ألفاً حين قالوا: النَّحْو والزَّهْد، ولو اغتَدُّوا بالفتحة، لقلبوا الواو

قال ابن هشام: والحنظليّة أم أبي جهل، هي أسماء بنت مخربة، أحد بني نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم - فإني لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره، يعني أبا جهل بن هشام. ثم قام عتبة بن ربيعة خطيباً، فقال: يا معشر قريش، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً، والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه، قتل ابن عمّه أو ابن خاله، أو رجلاً من عشيرته، فارجعوا وخلّوا بين محمد وبين سائر العرب، فإن أصابوا فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ألفاكم ولم تعرّضوا منه ما تريدون.

قال حكيم: فانطلقت حتى جئت أبا جهل، وجدته قد نثّل دزعا له من جرابها، فهو يهنئها قال ابن هشام: يهيئها - فقلت له: يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا، للذي قال، فقال: انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه، كلاً والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، وما بعثته ما قال، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابه أكله جزور، وفيهم ابنه، فقد تخوفكم عليه. ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي، فقال: هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس، وقد رأيت ثأرك بعينك، فقم فأنشد خفرتك، ومقتل أخيك.

فقام عامر بن الحضرمي فاكشف ثم صرخ: واعمره، واعمره. فحميت الحرب وحقب الناس، واستوسقوا على ما هم عليه من الشر، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة.

فلما بلغ عتبة قول أبي جهل: «انتفخ والله سحره»، قال: سيعلم مصفر أسنّه من انتفخ سحره، أنا أم هو؟.

قال ابن هشام: السحر: الرئة وما حولها مما يغلق بالحلقوم من فوق السرة. وما كان تحت السرة، فهو القضب، ومنه قوله: رأيت عمرو بن لحي يجرّ قصبه في النار: قال ابن هشام: حدثني بذلك أبو عبيدة.

ألفاً، كما لم يعتدوا بها في: يهب ويضع، إذ كان الفتح فيه من أجل حرف الحلق، ولو اعتدوا به، لرّدوا الواو فقالوا: يوضع ويؤهب، كما قالوا: يؤجل.

(١) انظر الخبر في تاريخ الطبري (٤٤٢/٢) الأغاني (١٨٩/٤) المنتظم (١٠٥/٣).

ثم التمس عُتبة بيضةً ليُدخلها في رأسه، فما وجد في الجَيْش بَيْضَةً تَسَعُهُ من عِظَم هَامَتِهِ، فلما رأى ذلك اغْتَجَرَ على رأسه بِبُرْدٍ له.

مقتل الأسود المخزومي:

قال ابن إسحق: وقد خرج الأسود المخزومي، وكان رجلاً شَرِسًا سَيِّئ الخُلُق، فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمته، أو لأموتنّ دونه، فلما خرج، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطنّ قَدَمَهُ بِنِصْفِ ساقه، وهو دون الحَوْض، فوقع على ظهره تَشْخُب رجله دَمًا نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد (زعم) - أن يُبرّ يمينه، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض.

دعاء عتبة إلى المبارزة:

قال: ثم خرج بعد عُتبة بن ربيعة، بين أخيه شَيْبَةَ بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فصل من الصفّ دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة، وهم: عَوْف، ومُعَوِّذ، ابنا الحارث - وأمهما عَفراء - ورجل آخر يقال: هو عبد الله بن رَواحة، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، قالوا: ما لنا بكم من حاجة، ثم نادى مُناديهم يا محمد، أخرج إلينا أكفأنا من قومنا، فقال رسول الله ﷺ: «قُم يا عُبَيْدَةُ بن الحارث، وقم يا حمزة وقُم يا عليّ»، فلما قاموا دَنَوْا منهم، قالوا: من أنتم؟ قال عبيدة: عُبَيْدَةُ، وقال حمزة: حمزة، وقال عليّ: عليّ، قالوا: نعم، أكفأ كرام. فبارز عُبَيْدَةُ،

من قائل أبي عذرها وما داء أبي جهل:

وقوله: مُصَفَّر اسْتِه، كلمةٌ لم يَخْتَرعها عُتْبَةُ، ولا هو بأبي عذرها، قد قيلت قبله لِقَابُوس بن الثُّعْمَان، أو لقابوس بن المنذر، لأنه كان مُزَفَّها لا يَغْزُو في الحروب، فقليل له: مُصَفَّر اسْتِه، يريدون: صُفْرَةُ الخُلُق والطَّيْب، وقد قال هذه الكلمة قَيْسُ بن زُهَيْرٍ في حُذَيْفَةَ يوم الهَبَاءَةِ، ولم يقل أحدٌ إن حُذَيْفَةَ كان مَسْتُوْها، فإذا لا يَصِحُّ قولُ من قال في أبي جهل مِن قولِ عُتْبَةَ فيه هذه الكلمة: إنه كان مَسْتُوْها والله أعلم.

وسادة العَرَب لا تستعمل الخُلُق والطَّيْب إلا في الدَّعَةِ والخَفْضِ وتَعْيِيهِ في الحرب أَشَدَّ العَيْب، وأحسب أن أبا جَهْل لما سَلِمَت العَيْرُ، وأراد أن يَنْحَرَ الجزورَ، ويشرب الخمر ببدر، وتَغْرِفَ عليه القِيَانُ بها استعمل الطَّيْب أو هَمَّ به، فلذلك قال له عُتْبَةُ هذه المقالة، ألا ترى إلى قول الشاعر في بني مَخْزُوم:

وَمِنْ جَهْلٍ أَبُو جَهْلٍ أَخُوكُمْ غَزَا بَذْرًا بِمَجْمَرَةٍ وَتَوَرَّ

وكان أسنَّ القوم، عتبة (بن) ربيعة، وبارز حمزة شَيْبَةَ بن ربيعة، وبارز عليّ الوليد بن عتبة. فأما حمزة فلم يُمهل شَيْبَةَ أن قتله؛ وأما عليّ فلم يُمهل الوليد أن قتله؛ واختلف عُبيدة وعتبة بينهما ضَرْبَتَيْنِ، كلاهما أثبت صاحبه؛ وكرَّ حمزة وعليّ بأسياهما على عتبة فذَقفا عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه.

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار، حين انتسبوا: أكفاء كرام، إنما نريد قومنا.

التقاء الفريقين:

قال ابن إسحاق: ثم تراحف الناس ودنا بعضهم من بعض، وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم، وقال: «إن أكتنّفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل»، ورسول الله ﷺ في العريش، معه أبو بكر الصديق.

فكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان.

قال ابن إسحاق: كما حدثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين.

ابن غزية وضرب الرسول له في بطنه بالقدح

قال ابن إسحاق: وحدثني حبان بن واسع بن حبان عن أشياخ من قومه: أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح يُعدّل به القوم، فمرّ بسواد بن غزيرة، حليف بني عديّ بن النجار - قال ابن هشام: يقال، سواد؛ مثقلة، وسواد في الأنصار غير هذا، مخفف - وهو مُسْتَنْتِل من الصف - قال ابن هشام: ويقال: مُسْتَنَصِل

يريد: أنه تَبَخَّر وتَطَيَّب في الحرب.

وقوله: مُصَفَّر استه إنما أراد مُصَفَّر بَدَنِهِ، ولكنه قصد المبالغة في الذمّ فخص منه بالذكر ما يسوؤه أن يُذكر.

حول سواد بني غزية

فصل: وذكر قصة سواد بن غزيرة حين مرّ به رسول الله - ﷺ - وهو مُسْتَنْتِلُ أمام الصف، قال ابن هشام: ويقال: مُسْتَنَصِل. قوله: مُسْتَنْتِلُ أمام الصف، يقال: استنتلت واستنصلت وأبرئذغت وأبرئنتيت بالراء المهملة وبالزاي، هكذا تقيّد في الغريب المصنف، كل هذا إذا تقدّمت. سواد هذا بتخفيف الواو، وكل سواد في العرب، فكذلك بتخفيف الواو

من الصف - فطعن في بطنه بالقذح، وقال: استؤ يا سؤاد، فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل، قال: فأقذني. فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه، وقال: «استقِد»، قال: فاغتَنقه فقبَّل بطنه: فقال: «ما حملك على هذا يا سؤاد؟» قال: يا رسول الله، حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدي جلدك. فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له^(١).

مناشدة الرسول ربه النصر

قال ابن إسحق: ثم عدل رسول الله ﷺ الصفوف، ورجع إلى العريش فدخله، ومعه فيه أبو بكر الصديق، ليس معه فيه غيره، ورسول الله - ﷺ يُناشِد رَبَّهُ ما وَعَدَهُ من النصر، ويقول فيما يقول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد»، وأبو بكر يقول: يا نبي الله: بعض مُناشدتك ربك، فإن الله مُنجز لك ما وعدك^(٢).

وفتح السَّين، إلا عمرو بن سؤاد أحد بني عامر بن لؤي من شيوخ الحديث، وسؤاد بضم السين، وتخفيف الواو، هو ابن مري بن إراشة بن قضاة ثم من بلي حلفاء الأنصار، ووقع في الأصل من كلام ابن هشام سؤاد مثقلة ابن غزيرة، إنما الصواب ما تقدم، وسؤاد هذا هو عامل رسول الله - ﷺ - على خيبر الذي جاءه بتمر جنيب، ذكره مالك في الموطأ ولم يُسمه.

وقول ابن هشام: مُستَنصِل، معناه: خارج من الصف من قولك: نصَّيتُ الرمح إذا أخرجت ثعلبة^(٣) من السَّنان.

تفسير بعض مناشدتك

وذكر قول أبي بكر بعض مُناشدتك ربك، فإن الله مُنجز لك ما وعدك، رواه غير ابن إسحق كذلك مُناشدتك، وفسره قاسم في الدلائل، فقال: كذلك قد يُرادُ بها معنى الإغراء والأمر بالكف عن الفعل، وأنشد لجرير:

[تقول وقد ترامحت المطايا] كَذَاكَ القول إنَّ عليك عينا

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٣٢/٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٤/٧) ومسلم (١٧٦٣) وأحمد (٣٢/٣٠/١).

(٣) الثعلب: أي طرف الرمح.

أي: حَسْبُكَ من القول، فدعه، وفي البخاري أن النبي ﷺ قال لأنجشه: «يا أنجشه رُوَيْدُكَ سَوْفَكَ بالقوارير»^(١)، وأورده مرّة أخرى فقال فيه سَوْفَكَ وإنما دخله معنى النصب كما دخل: عليك زَيْدًا معنى النصب، وفي دونك، لأنك إذا قلت دونك زَيْدًا وهو يطلبه فقد أعلمته بمكانه فكأنك قلت: خذه، ومسألة كذاك من هذا الباب لأنك إذا قلت: كذاك القول أو السير، فكأنك قلت: كذاك أَمَرْتُ فَاكْثُفْ وَدَعْ، فأصل البابين واحد وهو ظرف بعده ابتداء، وهو خبر يتضمن معنى الأمر أو الإغراء بالشيء، أو تركه، فنصبوا بما في ضَمَنِ الكلام، وَجَسْنَ ذلك حيث لم يعدلوا عن عامل لفظي إلى مَعْنَوِيٍّ، وإنما عَدَلُوا عن مَعْنَوِيٍّ إلى معنوي، ولو أنهم حين قالوا: دونك زَيْدًا يلفظون بالفعل فيقولون: استقر دونك زيد، وهم يريدون الإغراء به والأمر بأخذه لَمَّا جاز النصب بوجه، لأن الفعل ظاهر لَفْظِيٍّ، فهو أقوى من المعنوي.

معنى مناشدة أبي بكر:

فصل: وفي هذا الحديث من المعاني أن يقال: كيف جعل أبو بكر يأمر رسول الله - ﷺ - بالكف عن الاجتهاد في الدعاء، ويقوي رجاءه ويثبتّه، ومقام رسول الله - ﷺ - هو المقام الأحمَدُ وبقينه فوق يقين كل أحد، فسمعت شيخنا الحافظ^(٢) - رحمه الله - يقول في هذا: كان رسول الله ﷺ في مقام الخوف، وكان صاحبه في مقام الرجاء، وكلا، المقامين سواء في الفضل، لا يريد أن النبي والصديق سواء، ولكن الرجاء والخوف مقامان لا بد للإيمان منهما، فأبو بكر كان في تلك الساعة في مقام الرجاء لله، والنبي عليه السلام كان في مقام الخوف من الله، لأن الله أن يفعل ما شاء، فخاف أن لا يُعْبَدَ الله في الأرض بعدها، فخوفه ذلك عبادة. وأما قاسم بن ثابت، فذهب في معنى الحديث إلى غير هذا، وقال: إنما قال ذلك الصديق مأويةً للنبي عليه السلام ورقّةً عليه، لما رأى من نصبه في الداء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه، فقال له: بعض هذا يا رسول الله، أي: لِمَ تُثَعِّبُ نَفْسَكَ هذا التعب، والله قد وعدك بالنصر، وكان رقيق القلب شديد الإشفاق على النبي ﷺ^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٤٤/٨) ومسلم في الفضائل (٧٠) والدارمي (٢٩٦/٢) وأحمد (١١٧/٣) والبيهقي في الآداب (٨١٩) بتحقيقي.

(٢) يعني القاضي أبا بكر بن العربي - علم من أعلام الحديث وأهله. دليس بن العربي النكرة الصوفي صاحب الرسائل والإشراقات.

(٣) وهذا الرأي الأخير - الأرجح.

وقد خَفَقَ رسولُ الله ﷺ خَفَقَةً وهو في العريش، ثم انتبه فقال: «أُبَشِّرُ يا أبا بكر، أتاك نصرُ الله. هذا جبريل آخِذٌ بعنان فرَسٍ يقوده، على ثَنَياه النَّقْع».

جهاد النبي في المعركة:

قال المؤلف: وأما شِدَّةُ اجتهاد النبي - ﷺ - ونصبه في الدعاء فإنه رأى الملائكة تَنْصَبُ في القتالِ وجبريل على ثَنَياه الغُبَارُ، وأنصارُ الله يخوضون غَمَارَ الموتِ. والجهادُ على ضَرَبَين: جهاد بالسيف، وجهاد بالدُّعَاء، ومن سُنَّةِ الإمام أن يكونَ من وراء الجُنْدِ لا يقاتلُ معهم، فكان الكلُّ في اجتهاد وجِدٍّ، ولم يكن لِيُريحَ نفسَه من أحدِ الجِدِّين والجهاديين، وأنصارُ الله وملائكته يجتهدون، ولا لِيُؤثِّرَ الدُّعَاءُ، وحزبُ الله مع أعدائه يَجْتَلِدُونَ.

المفاعلة:

وقوله: بعضُ مُنَاشِدَتِكَ رَبِّكَ، والمفاعلة لا تكون إلا من اثنين والرَّبُّ لا يَنْشُدُ عَبْدَهُ، فإنما ذلك لأنها مُنَاجَاةٌ للرَّبِّ، ومحاولة لأمرٍ يريده، فلذلك جاءت على بناء المفاعلة، ولا بُدَّ في هذا الباب من فَعْلَين لفاعِلَين، إمَّا مُتَّفَقَين في اللفظ، وإمَّا مُتَّفَقَين في المعنى، وظنُّ أكثرِ أهلِ اللغة أنها قد تكون من واحدٍ نحو: عاقبت العبدَ وطَارَقَتُ النُّعْلَ، وسافرتُ، وعافاه الله، فنقول: إمَّا عاقبتُ العبدَ فهي مُعَامَلَةٌ بينك وبينه، عامَلَك بالذنب، وعاملته بالعقوبة، فأخذ لفظها من العقوبة، ووزنها من المُعَاوَنَةِ، وأما طَارَقَتُ النُّعْلَ، فمن الطرق وهو الفوه، فقد قَوَّيْتَهَا وَقَوَّيْتِكَ على المَشْيِ، فلفظها من الطرق، وبنائها على وزن المُعَاوَنَةِ والمُقَاوَاةِ، فهذا اتِّفَاقٌ في المعنى، وإن لم يكن في اللفظ، وأما سافر الرجلُ فمن سَفَرَتَ: إذا كَشَفْتَ عن وَجْهِكَ، فقد سَفَرَ لقوم، وسَفَرُوا له، فهذه مُوَافَقَةٌ في اللفظ والمعنى، وأما المعافاة، فإن السيد يُعْفِي عبده من بَلَاءٍ فَيُعْفِي العبدُ سيِّدَهُ من الشُّكْوَى والإلحاح، فهذه موافقة في اللفظ، ثم تضاف إلى الله سبحانه اتساعاً في الكلام، ومجازاً حسناً.

عصب وعصم:

فصل: وذكر قول النبي - ﷺ - هذا جبريلُ على ثَنَياه النَّقْعُ، وهو الغُبَارُ وفي حديث آخر أنه قال: رأيته على فرَسٍ له شُفراء، وعليه عِمَامَةٌ حُمْراء، وقد عَصَمَ بِشَنِيَّتِهِ الغُبَارُ؛ قال ابن قتيبة: عَصَمَ وَعَصَبَ بمعنى واحد، يقال: عَصَبَ الرِيْقُ بفيه، إذا يَبَسَ وأنشد:

يَغْصِبُ فاهُ الرِيْقُ أَيَّ عَصَبٍ عَصَبَ الْجُبَابِ بِشَفَاهِ الْوَطْبِ

وخالفه قاسم بن ثابت، وقال: هو عُصَمٌ من العَصِيمِ والعُصَمِ، وهي كالبقية تبقى في اليد وغيرها من لَطَخَ حِثَاءً أو عَرَقَ أو شَيءٍ يَلْصِقُ بِالْعَصْدِ، كما قالت

أول قتيل :

قال ابن إسحاق: وقد رُمي مَهَجَعٌ، مولى عمر بن الخطاب بسهم فُقُتِلَ، فكان أول قتيل من المسلمين، ثم رُمي حارثة بن سُرَاقَة، أحد بني عدي بن النَجَّار، وهو يشرب من الحوض، بسهم فأصاب نحره، فُقُتِلَ.

تحريض المسلمين على القتال

قال: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرّضهم، وقال: «والذي نفس محمد بيده، لا يُقاتلهم اليوم رجلٌ فيُقْتَل صابراً مُحْتَسِباً، مُقْبِلاً غير مُدْبِرٍ، إلا أدخله الله الجنة». فقال عُمير بن الحُمَام، أخو بني سلمة، وفي يده تمرات يأكلهن: بَخْ بَخْ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه، فقاتل القوم حتى قتل^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن عوف بن الحارث، وهو ابن عفراء قال: يا رسول الله، ما يُضحك الربّ من عبده، قال: «غَمَسَه يَدَه في العدو حاسراً». فَنَزَعَ دِرْعاً كانت عليه فقذفها، ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قُتِلَ.

امرأة من العرب لأخرى: أعطني عُصَمَ حِنَائِكَ، أي ما سَلَت من حِنَائِها، وقَشَرَتَه من يدها.

حديث عمير بن الحُمَام

فصل: وذكر حديث عمير بن الحُمَام بن الجُمُوح بن زيد بن حرام حين ألقى التمرات من يده، وقال: بَخْ بَخْ، وهي كلمة، معناها التعجب، وفيها لغات بَخْ بسكون الخاء وبسكرها مع التنوين، وبتشديد هـ مُنَوَّنة، وغير مُنَوَّنة، وفي حديث مسلم والبخاري: أن هذه القصة كانت أيضاً يوم أُحُدٍ لكنه لم يُسم فيها عُميراً، ولا غيره فالله أعلم.

حديث عوف ابن عفراء:

وقول عوف ابن عفراء: ما يُضحك الربّ من عبده يا رسول الله؟ قد قيل في عوف: عَوْذُ بالذال المنقوطة، ويقوى هذا القول أن أخويه: مُعَاذٌ ومُعَوِّذٌ.

(١) انظر مسلم في الإمامة (١٤٥).

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن صَعِير العُذْرِي، حليف بني زُهرة، أنه حدثه: أنه لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض، قال أبو جهل بن هشام: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا يُعرف، فأخيه الغداة. فكان هو المُستَفْتَح.

ضحك الرب:

ويضحك الرب، أي يُرضيه غاية الرضى، وحقيقته أنه رَضِيَ معه تبشيراً وإظهار كرامة، وذلك أن الضَّحِكَ مُضَادٌّ لِلْغَضَبِ، وقد يَغْضَبُ السَّيِّدُ، ولكنه يعفو ويُبْقِي الْعَثْبَ، فإذا رَضِيَ، فذلك أكثر من العفو، فإذا ضَحِكَ فذلك غاية الرضى؛ إذ قد يَرْضَى ولا يُظْهِر ما في نفسه من الرضى، فعَبَّرَ عن الرضى وإظهاره بِالضَّحِكِ في حَقِّ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ مَجَازًا وبِلاغَةً، وتَضَمِينًا لهذه المعاني في لَفْظٍ وَجِيزٍ؛ ولذلك قال عليه السلام في طَلْحَةَ بْنِ الْبَرَاءِ: «اللهم اَلْقَ طَلْحَةَ يَضْحَكُ إِلَيْكَ، وتضحك إليه»^(١)، فمعنى هذا: اَلْقَهُ لِقَاءَ مُتَحَابِّينَ مُظْهِرِينَ لِمَا فِي أَنْفُسِهِمَا مِنْ رَضَى، وَمَحَبَّةٍ، فإذا قِيلَ: ضَحِكَ الرَّبُّ لِفُلَانٍ، فهي كلمة وجيزة تتضمن رَضَى مع محبة وإظهار بِشَرٍ وكرامة، لا مَزِيدَ عَلَيْهِمَا، فهي من جوامع الْكَلِمِ التي أُوتِيَهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٢).

(١) أخرجه الطبري (٧٣/٤) وابن عبد البر في التمهيد (٢٧٣/٦) وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٧٤) وابن سعد في الطبقات (٧٣/٢/٤).

(٢) الضحك: صفة من صفات ربنا جلّ وعلا، نؤمن بها ونعتقد، كما آمنا أن الله تعالى «وجهًا» وكما آمنا أن الله تعالى «ساق» و «قدم» و «أصابع»، وكما آمنا أنه تعالى ينزل في الثلث الأخير من الليل، وأنه تعالى: ﴿مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ﴾، وكما أنه تعالى «يغضب»، وكما أنه تعالى «يفرح». كما صرح بهذا وغيره - من صفات ربنا جلّ وعلا - القرآن والسنة «الصحيحة»، ونعرف كل هذا لله تعالى مؤمنين به كما نؤمن أنه قدمه وساقه وأصابعه ووجهه وضحكه وغضبه وفرحه ونزوله لا يشابه في هذا أحد من خلقه إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. وتفسير ضحك الله بأنه الرضى حيدة عن الحق، وقد فَرَّقَ الْقُرْآنُ بين الرضى والضحك كما فَرَّقَتِ السُّنَّةُ، وإذا ما سُئِلَ الْمُسْلِمُ: كيف هو ضحك ربنا؟! قلنا له: السؤال عن الضحك كالسؤال عن الاستواء على العرش، فهل آمنت أن الله مستوٍ على عرشه كما صرح القرآن في غير آية ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾؟ فإذا آمنت بهذا وأنت لا تدري كيفية الاستواء؛ إلا إذا عاندت وكَيْفَتِ، كذلك القول في الضحك والغضب والرضى والفرح وغير ذلك، ثم إن السؤال عن الصفات فرع عن السؤال عن الذات، فهل تستطيع أن تصف لنا ذات الله عزّ وجلّ؟! وبالطبع سيكون الرد بالنفي، قلنا: السؤال عن الصفات فرع من السؤال بالذات، فإذا انتفى الأول انتفى الثاني. انظر مزيد بيان وإيضاح [لزامًا]: «القواعد المثلى» لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمي - ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ومنها «الرسالة التدمرية»

رمي الرسول للمشركين بالحصباء :

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ أخذ حَفْنَةً من الحَصْبَاءِ فاستقبل قريشاً بها، ثم قال: شاهت الوجوه، ثم نَفَحَهُم بها، وأمر أصحابه، فقال: شُدُّوا، فكانت الهزيمة، فقتل الله تعالى مَنْ قَتَلَ من صناديد قريش، وأسر من أسر من أشرافهم. فلما وضع القوم أيديهم يأسرون ورسول الله ﷺ في العريش، وسعد بن معاذ قائم على باب العريش، الذي فيه رسول الله ﷺ، متوشحاً بالسيف، في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ، يخافون عليه كَرَّةَ العدو، ورأى رسول الله ﷺ - فيما ذكر لي - في وجه سعد بن معاذ الكراهية لما يَصْنَعُ الناسُ، فقال له رسول الله ﷺ: «والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم»، قال: أجل والله يا رسول الله، كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك. فكان الإثخان في القتل بأهل الشرك أحب إلي من استبقاء الرجال.

نهى النبي أصحابه عن قتل ناس من المشركين :

قال ابن إسحاق: وحدثني العباس بن عبد الله بن مغبد، عن بعض أهله، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ: «إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كَرَهًا، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله، ومن لقي أبا البَخْتَرِيِّ بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب، عم رسول الله ﷺ فلا يقتله، فإنه إنما أخرج مُسْتَكْرَهًا». قال: فقال أبو حذيفة: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا. وترك العباس، والله لئن لقيته لألجمته السيف - قال ابن هشام: ويقال: لألجمته (السيف) - قال: فبلغت رسول الله ﷺ، فقال لعمر بن الخطاب: «يا أبا حفص» - قال عمر: والله إنه لأول يوم كُنَّاني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص - أ يضرب وجه عم رسول الله ﷺ بالسيف؟ فقال عمر: يا رسول الله، دعني فلا أضرب عنقه بالسيف، فوالله لقد نافق. فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفاً، إلا أن تكفرها عني الشهادة. فقتل يوم اليمامة شهيداً.

قال ابن إسحاق: وإنما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البَخْتَرِيِّ لأنه كان أكف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكة، وكان لا يؤذيه، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب. فلقية المَجْدَرُ بن ذِيادِ البَلَوِيِّ، حليف الأنصار، ثم من بني سالم بن عوف، فقال المَجْدَرُ لأبي

الْبَخْتَرِيُّ: إِنْ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَدْ نَهَانَا عَنْ قَتْلِكَ - وَمَعَ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ زَمِيلٌ لَهُ قَدْ خَرَجَ مَعَهُ مِنْ مَكَّةَ، وَهُوَ جُنَادَةُ بْنُ مُلَيْحَةَ بِنْتُ زُهَيْرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَسَدٍ: وَجُنَادَةُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ. وَاسْمُ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ: الْعَاصُ - قَالَ: وَزَمِيلِي؟ فَقَالَ لَهُ الْمُجَذَّرُ: لَا وَاللَّهِ، مَا نَحْنُ بِتَارِكِي زَمِيلِكَ، مَا أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَّا بِكَ وَحَدَّكَ؛ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ، إِذْنٌ لَأَمُوتَنَّ أَنَا وَهُوَ جَمِيعًا، لَا تَتَحَدَّثْ عَنِّي نِسَاءَ مَكَّةَ أَنِّي تَرَكْتُ زَمِيلِي حِرْصًا عَلَى الْحَيَاةِ. فَقَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ حِينَ نَازَلَهُ الْمُجَذَّرُ، وَأَبَى إِلَّا الْقِتَالَ، يَرْتَجِزُ:

لَنْ يُسْلِمَ ابْنُ حُرَّةٍ زَمِيلَهُ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ

فَاقْتَتَلَا، فَقَتَلَهُ الْمُجَذَّرُ بْنُ ذِيَادٍ. وَقَالَ الْمُجَذَّرُ بْنُ ذِيَادٍ فِي قَتْلِهِ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ:

إِمَّا جَهِلْتُ أَوْ نَسِيتَ نَسَبِي فَأَثْبِتِ النُّسْبَةَ أَنِّي مِنْ بَلِي

الطَّاعِنِينَ بِرِمَاحِ الْيَزْنِي وَالضَّارِبِينَ الْكَبْشَ حَتَّى يَنْحَنِي

بَشْرَ بَيْتَمٍ مِنْ أَبَوَيْ الْبَخْتَرِيِّ أَوْ بَشْرُنْ بِمِثْلِهَا مِنِّي بَنِي

أَنَا الَّذِي يُقَالُ أَضْلِي مِنْ بَلِي أَطْعُنُ بِالصَّغْدَةِ حَتَّى تَنْثَنِي

وَأَغْبِطُ الْقِرْنَ بِعَضْبٍ مَشْرِفِي أَزِمَ لِلْمَوْتِ كِإِزَامِ الْمَرِي

فَلَا تَرَى مُجَذَّرًا يَفْرِي فَرِي

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: «الْمَرِي» عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ. وَالْمَرِي: النَّاقَةُ الَّتِي يُسْتَنْزَلُ لِبَنِيهَا عَلَى عَسَرٍ.

شرح كلام أبي البختري والمجذر:

فصل: وقول أبي البختري أنا وزميل. الزميل: الرديف، ومنه: ازدمل الرجل الرجل بحمله إذا ألقاه على ظهره، وفي مسند الحارث عن ابن مسعود، قال: «كُنَّا نَتَعَاقِبُ يَوْمَ بَذْرِ ثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ، فَكَانَ عَلِيٌّ وَأَبُو لُبَابَةَ زَمِيلَي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا كَانَتْ عُقْبَتُهُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - قَالَا لَهُ: ازْكَبْ؛ وَلِنَمْشِ عَنْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَيَقُولُ: مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي، وَلَا أَنَا بِأَغْنَى عَنْ الْأَجْرِ مِنْكُمَا»^(١).

وقول المجذر: كإززام المري. المري: الناقة تُمَرَى لِلْحَلَبِ، أَيْ تُمَسَّحُ أَخْلَافُهَا. وَإِزْزَامُهَا: صَوْتُهَا وَهَذْرُهَا، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْفَرْقُ بَيْنَ أَزْزَمْتُ وَرَزَمْتُ.

(١) تقدم تخريجه.

قال ابن إسحاق: ثم إن المجذّر أتى رسول الله ﷺ، فقال: والذي بعثك بالحق لقد جهدتُ عليك أن يَسْتَأْسِرَ فأتيتُك به، (فأبى) إلا أن يقاتلني، فقاتلته فقتلته.

قال ابن هشام: أبو البختري: العاص بن هشام بن الحارث بن أسد.

مقتل أمية بن خلف:

قال ابن إسحاق: حدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال ابن إسحاق: وحدّثني أيضاً عبد الله بن أبي بكر وغيرهما، عن عبد الرحمن بن عوف قال: كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة، وكان اسمي عَبْدَ عمرو، فتسمّيت، حين أسلمت، عَبْدَ الرحمن، ونحن بمكة، فكان يلقاني إذ نحن بمكة فيقول: يا عَبْدَ عمرو، أرغبت عن اسم سَمَّاكَه أبواك؟ فأقول: نعم، فيقول: فإني لا أعرف الرحمن، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به، أمّا أنت فلا تُجيبني باسمك الأوّل، وأمّا أنا فلا أدعوك بما لا أعرف، قال: فكان إذا دعاني: يا عَبْدَ عمرو، لم أجبه. قال: فقلت له: يا أبا عليّ، اجعل ما شئت، قال: فأنت عَبْدُ الإله؛ قال: فقلت: نعم، قال: فكنت إذا مررتُ به قال: يا عبد الإله فأجيبه، فأحدّث معه. حتى إذا كان يومَ بدر، مررتُ به وهو واقفٌ مع ابنه، عليّ بن أميّة، أخذ بيده، ومعي أذراع، قد استلبّتها، فأنا أجملها. فلما رأيته قال لي: يا عَبْدَ عمرو، فلم أجبه؛ فقال: يا عبد الإله؟ فقلت: نعم، قال: هل لك فيّ، فأنا خيرٌ لك من هذه الأذراع التي معك؟ قال: قلت: نعم، ها الله ذا، قال: فطرحْتُ الأذراع من يدي، وأخذت بيده ويد ابنه، وهو يقول: ما رأيت كاليوم قطّ، أما لكم حاجة في اللبن؟ (قال): ثم خرجت أمشي بهما.

قال ابن هشام: يريد باللبن، أن من أسرني افتديتُ منه بإبل كثيرة اللبن.

قال ابن إسحاق: حدّثني عبد الواحد بن أبي عَوْن، عن سعد بن إبراهيم عن أبيه عبد الرحمن بن عوف، قال: قال لي أميّة بن خلف، وأنا بينه وبين ابنه، أخذُ بأيديهما: يا عبد الإله، من الرجل منكم المُعَلَّم بريشة نعامة في صدره؟ قال: قلت: ذاك حمزة بن عبد المطلب؛ قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل؛ قال عبد الرحمن: فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي - وكان هو الذي يعذب بلالاً بمكة على ترك الإسلام، فيُخرجه إلى رَمَضَاء مكة إذا حميت، فيُضجّعه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا أو تُفارق دين محمد، فيقول

بلال: أَحَدٌ أَحَدٌ^(١). قال: فلما رآه، قال: رأس الكُفْر أُمِّيَّةٌ بن خَلْف، لا نجوْثُ إن نجا. قال: قلت: أي بلال، أبأسيرتي قال: لا نجوْثُ إن نجا. قال: قلت: أسمع يا ابن السَّوداء، قال: لا نجوْثُ إن نجا. قال: ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصارَ الله، رأس الكُفْر أُمِّيَّةٌ بن خَلْف، لا نجوْثُ إن نجا. قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المُسْكَة وأنا أذبُّ عنه. قال: فأخلف رجلُ السيف، فضرب رجلَ ابنه فوق، وصاح أُمِّيَّةٌ صيحة ما سمعتُ مثلها قط قال: فقلت: انجُ بنفسك، ولا نجا بك فوالله ما أغني عنك شيئاً. قال: فهبرُوهما بأسيافهم، حتى فرغوا منهما. قال: فكان عبد الرحمن يقول: يرحم الله بلالاً، ذهبت أذراعي وفجعتني بأسيرتي.

تفسير ها الله وهبروه:

وقول عبد الرحمن بن عوف لأُمِّيَّة: هَا الله ذَا. ها: تنبيه، وذا إشارة إلى نفسه، وقال بعضهم: إلى القَسَم، أي: هذا قسمي، وأراها إشارة إلى المُقْسِم، وخَفَضُ اسم الله بحرفِ القَسَم أضمره، وقام التنبيه مقامه، كما يقوم الاستفهام مقامه، فكأنه قال ها أَتَذَا مُقْسِم، وفصل بالاسم المُقْسَم به، بين ها وذا، فعلم أنه هو المُقْسِم فاستُغْنِي عن أنا، وكذلك قول أبي بكر: لا هَا الله ذَا، وقول زُهَيْر:

تَعَلَّمَنْ هَا لَعَمْرُ اللهِ ذَا قَسَمًا

أكد بالمصدر قَسَمَه الذي دلَّ عليه التقدم.

وقوله: هَبْرُوه بأسيافهم من الهَبْرَة وهي القطعة العظيمة من اللحم، أي قَطَعُوهُ.

(١) أَحَدٌ: اسم من أسماء الله تعالى، صرح به القرآن كما في سورة الإخلاص، وهو من الأسماء الحسنی التي لم ترد في القرآن إلا مرة واحدة في الإخلاص كما تقدم آنفاً، واسم الله «الأحد» يدل أكثر ما يدل على القوة والجمع وعدم التفرق والتجزؤ والانفصال، وإنما يُصرف هذا اللفظ «أَحَدٌ» إلى الله عز وجل وحده إذا جاء مفرداً، كما في حديث الباب - قول بلال رضي الله عنه وأرضاه. «أَحَدٌ أَحَدٌ». أيضاً يصرف هذا الاسم لله عز وجل وحده إذا جاء في حالة الإثبات غير مضاف، كما في سورة الإخلاص أيضاً ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾. فالكلام في حالة إثبات، والاسم جاء غير مضاف، أما إذا جاء الاسم في حالة الإثبات ولكنه جاء مضافاً، فإنه لا يعرف لله عز وجل وحده، إنما يُعم ويشمل ويطلق كما في قوله تعالى في سورة الكهف ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ﴾، أيضاً إذا في حالة النقض فهو يعم أيضاً ويشمل ويطلق، كما في نهاية سورة الإخلاص ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وكما في قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ إلى غير ذلك من الآيات. انظر مجموع الفتاوى (ج ١٦) للعلامة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه الله عنا كل خير، وجمعنا الله وإياه في فتنة وتحت لواء نبیه - ﷺ - دون سابقة عذاب - آمين يا رب العالمين يا أرحم الراحمين. وانظر للمحقق «القول الأسني في تفسير أسماء الله الحسنی».

شهود الملائكة وقعة بدر:

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس قال: حدثني رجل من بني غفار، قال: أقبلت أنا وابن عم لي حتى أضعدنا في جبل يُشرف بنا على بذر، ونحن مُشركان، ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة. فننتهب مع من ينتهب. قال: فبينما نحن في الجبل، إذ دنت منا سحابة، فسمعنا فيها حمحمة الخيل، فسمعت قائلاً يقول: أَقْدُم حَيْزُومٌ، فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه، فمات مكانه، وأما أنا فكذت أهلي، ثم تماسكت.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، عن بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة، وكان شهد بدرًا، قال، بعد أن ذهب بصره: لو كنت اليوم ببدر ومعني بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة، لا أشك فيه ولا أتمارى.

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار، عن رجال من بني مازن بن النجار، عن أبي داود المازني، وكان شهد بدرًا، قال: إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي، فعرفت أنه قد قتله غيري.

وذكر قول الغفاري حين سمع حمحمة الخيل في السحابة، وسمع قائلاً يقول: أَقْدُم حَيْزُومٌ. أَقْدُم بضم الدال، أي أَقْدُم الخيل؛ وهو اسم فرس جبريل، وهو فيقول من الحزم، والحيزوم أيضاً على الصدر، فيجوز أن يكون أيضاً سُمي به؛ لأنه صدر لخيول الملائكة، ومتقدم عليها، والحياة أيضاً فرس أخرى لجبريل لا تمس شيئاً إلا حَيَّ، وهي التي قبض من أثرها السامري، فألقاها في العجل الذي صاعه من ذهب، فكان له خوار، ذكره الزجاج^(١).

نسب أبي داود المازني:

فصل: وذكر أبا داود المازني وقوله: لقد أتبعْتُ رجلاً من المشركين، فسقط رأسه قبل أن أصل إليه. اسم أبي داود هذا عَمْرُو، وقيل: عُمَيْر بن عامر، وهذا هو الذي قتل أبا البختري بن هشام، وأخذ سيفه في قول طائفة من أهل السير غير ابن إسحاق وقال ابن إسحاق قتله المُجَدَّر كما تقدم.

(١) انظر مزيد بيان شرح الشافية (٢/٢١٣).

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن مِقْسَم، مولى عبد الله بن الحارث، عن عبد الله بن عباس، قال: كانت سِيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضا قد أرسلوها على ظهورهم، ويوم حُتَيْن عمائم حمرا.

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم: أن علي بن أبي طالب قال: العمائم: تيجان العرب، وكانت سِيما الملائكة يوم بدر تمائم بيضا قد أرزخواها على ظهورهم، إلا جبريل، فإنه كانت عليه عمامة صفراء.

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن مِقْسَم، عن ابن عباس، قال: ولم تُقاتل الملائكة في يوم سوى بدر من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يضربون.

مقتل أبي جهل^(١):

قال ابن إسحاق: وأقبل أبو جهل يومئذ يَرْتَجِز، وهو يقاتل ويقول:

ما تَنْقِمُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ مِنِّي بازل عامين حديث سِنِّي
لمثل هذا وَلَدَتْنِي أُمِّي

شعار المسلمين ببدر:

قال ابن هشام: وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر: أَحَدٌ أَحَدٌ.

لغويات:

وقول مُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو فِي مَقْتَلِ أَبِي جَهْلٍ: مَا شَبَّهَتْ رِجْلَهُ حِينَ طَاحَتْ إِلَّا بِالنَّوَاةِ تَطِيحُ مِنْ تَحْتِ الْمِرْضَخَةِ. طَاحَتْ: ذَهَبَتْ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا ذَهَابَ هَلَاكِ، وَالْمِرْضَخَةُ. كَالْإِرْزَبَةِ^(٢) يُدَقُّ بِهَا النَّوَى لِلْعَلْفِ، وَالرَّضِخُ بِالْحَاءِ مُهْمَلَةٌ: كَسَرُ الْيَاسِ، وَالرَّضِخُ كَسَرُ الرُّطْبِ، وَوَقَعَ فِي أَصْلِ الشَّيْخِ الْمِرْضَخَةُ بِالْحَاءِ وَالْخَاءِ مَعًا، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَسَرَ لَمَّا صَلَبَ، وَأَنْشَدَ قَوْلَ الطَّائِي:

أَتَرْضَخُنِي رَضَخَ النَّوَى وَهِيَ مُضْمَتٌ وَيَأْكُلُنِي أَكْلَ الدُّبَا وَهُوَ جَائِعٌ

(١) الخبر في البخاري (٣١٤١) الفتح (٢٤٦/٦) ومسلم في المغازي (٤) والطبري (٤٥٥/٢) والمنتظم (١١٤/٣) وأحمد (٤٤٤/١).

(٢) الإرزبة: الرزبة: قطعة عظيمة من الحديد.

عود إلى مقتل أبي جهل

قال ابن إسحاق: فلما فرغ رسول الله ﷺ من عدوه، أمر بأبي جهل أن يلتبس في القَتلى.

وكان أول من لقي أبا جهل، كما حدثني ثور بن يزيد عن عكرمة، عن ابن عباس، وعبد الله بن أبي بكر أيضاً قد حدثني ذلك، قالوا: قال مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بن الجموح، أخو بني سلمة: سمعتُ القومَ وأبو جهل في مثل الحَرَجَةِ - قال ابن هشام: الحَرَجَةُ: الشجر الملتف. وفي الحديث عن عمر بن الخطاب: أنه سأل أعرابياً عن الحَرَجَةِ؛ فقال: هي شجرة من الأشجار لا يوصل إليها - وهم يقولون: أبو الحَكَم لا يُخلص إليه. قال: فلما سمعتها جعلته من شأني، فصمذت نحوه، فلما أمكنتني حملتُ عليه، فضربتُه ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه، فوالله ما شبَّهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيحُ من تحت مِرْضَخَةِ النَّوى حين يُضرب بها. قال: وضربني ابنه عِكْرِمَةُ على عاتقي، فطرح يدي فتعلقتُ بجلدة من جنبي، وأجهضني القتالُ عنه، فلقد قاتلتُ عامَّةَ يومي، وإني لأسحبُها خلفي، فلما آذنتني وضعتُ عليها قدمي، ثم تمطيتُ بها عليها حتى طرحتها.

قال ابن إسحاق: ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمانُ عثمان.

ثم مرَّ بأبي جهل وهو عَقِيرٌ، مُعَوِّذُ بْنُ عَفْرَاءَ، فضربه حتى أثبتته، فتركه وبه رمق. وقاتل مُعَوِّذُ حتى قُتل، فمرَّ عبدُ اللهِ بن مَسْعُودٍ بأبي جهل: حين أمرَ رسولُ اللهِ ﷺ أن يلتبس في القَتلى، وقد قال لهم رسولُ اللهِ ﷺ: - فيما بلغني - «انظروا، إن خفي عليكم في القَتلى، إلى أثر جرح في ركبته، فإني ازدحمتُ يوماً أنا وهو على مأذبة لعبد الله بن جُدعان، ونحن غلامان، وكنتُ أشف منه بيسير، فدفعته فوقَ على ركبته، فجحش في

ولإنما نحتجوا بقول الطائي، وهو حبيب بن أوس لعلمه، لا لأنه عربي يُحتج بلغته.

الغلامان اللذان قُتلا أبا جهل

وذكر الغلامين اللذين قُتلا أبا جهل، وأنهما مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بن الجموح ومُعَوِّذُ بْنُ عَفْرَاءَ، وفي صحيح مسلم أنهما مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ ومُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بن الجموح، وعَفْرَاءُ هي بنتُ عُبيد بن ثعلبة بن عُبيد بن غنم بن مالك بن النجار عُرف بها بنو عَفْرَاءَ وأبوهم الحارث بن رِفاعَةَ بن سَوَادٍ على اختلاف في ذلك، ورواية ابن إدريس عن ابن إسحاق، كما في كتاب مسلم، قال أبو عُمَرَ: وأصحُّ من هذا كله حديثُ أنسٍ حين قال النبي ﷺ: «من يأتيني بخبر أبي جهل»، الحديث، وفيه أن ابني عَفْرَاءَ قتلاه.

إحداهما جَحْشًا لم يزل أثره به». قال عبد الله بن مسعود: فوجدته بأخر رَمَقٍ فعرفته، فوضعتُ رِجْلي على عُنقه - قال: وقد كان ضَبْتُ بي مَرَّةً بمكة، فأذاني ولكزني، ثم قلت له: هل أخزأك الله يا عدو الله؟ قال: وبماذا أخزاني، أَعَمَدُ من رجل قتلتموه، أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ قال: قلت: لله ولرسوله.

قال ابن هشام: ضَبْتُ: قبضَ عليه ولزِمه. قال ضابئ بن الحارث البُرْجمي:

فأصبحْتُ ممَّا كان بَيْنِي وبينَكُم من الودِّ مثل الضابئ الماء باليدِ

قال ابن هشام: ويقال: أعارُ على رجل قتلتموه، أخبرني لمن الدائرة اليوم؟

قال ابن إسحق: وزعم رجال من بني مَخْزوم، أن ابن مسعود كان يقول:

قال لي: لقد ارتقيتُ مُرْتَقَى صَغَبًا يا رُوَيْعِي الغنم، قال: ثم احتزرتُ رأسه ثم جئتُ به رسولَ الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، هذا رأسُ عدو الله أبي جهل، قال: فقال رسول الله ﷺ: «الله الذي لا إله غيره» - قال: وكانت يمينَ رسولِ الله ﷺ - قال: قلت: نعم، والله الذي لا إله غيره، ثم ألقى رأسه بين يدي رسولِ الله ﷺ فحمد الله.

وقولُ أبي جهل: أَعَمَدُ من رجل قتلتموه، ويُرْوَى قتله قومه، أي: هل فوق رجل قتله قومه، وهو معنى تفسير ابن هشام، حيث قال: أي ليس عليه عارٌ، والأول: تفسير أبي عبيدٍ في غريب الحديث، وقد [أنشد] شاهدًا عليه:

[تَقَدَّمَ قَيْنَسُ كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَةً وَيُثْنِي عَلَيْهَا فِي الرِّجَاءِ ذُنُوبُهَا]

وَأَعَمَدُ مِنْ قَوْمٍ كَفَّاهُمْ أَخُوهُمْ صِدَامُ الْأَعَادِي حِينَ قُلْتُ نُيُوبُهَا

قال المؤلف رضي الله عنه: وهو عندي من قولهم عَمِدَ البعيرُ يَغْمَدُ: إذا اتَّفَسَّخَ سَنَامُهُ، فهلك، أي أَهْلَكَ من رَجُلٍ قتله قومه، وما ذكره ابن إسحق من قول أبي جهل هذا، وما ذكروه أيضًا من قوله لابن مسعود: لقد ارتقيتُ مُرْتَقَى صَغَبًا يا رُوَيْعِي الغنم. مُرْتَقَى صَغَبًا يعارض ما وقع في سِيرِ ابن شِهَابٍ وفي مغازي ابن عُقْبَةَ أن ابنَ مَسْعُودٍ وجده جالسًا لا يتحرك، ولا يتكلم فسلبه دِرْعَهُ، فإذا في بدنه نُكْتٌ سَوْدٌ، فحَلَّ تَسْبِغَةَ الْبَيْضَةِ، وهو لا يتكلم، واختَرَطَ سَيْفَهُ يعني سيفَ أبي جهل فضرب به عنقه، ثم سأل رسولَ الله ﷺ - حين احتمل رأسه إليه عن تلك النُّكْتِ السُّودِ التي رآها في بدنه، فأخبره عليه السلام أن الملائكة قتلته، وأن تلك آثارُ ضَرْبَاتِ الملائكة، وروى يونس عن أبي العُمَيْسِ، قال: أراني القاسمُ بنُ عبدِ الرحمنِ سَيْفَ عبدِ الله بنِ مسعود، قال: هذا سيفُ أبي جهل حين قتله

قال ابن هشام: وحدثني أبو عُبَيْدة وغيره من أهل العلم بالمغازي: أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص، ومرّ به: إني أراك كأنّ في نفسك شيئاً، أراك تظنّ أني قتلْتُ أباك، إني لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله، ولكني قتلْتُ خالي العاص بن هشام بن المُغيرة، فأما أبوك فإني مررتُ وهو يبحث بحث الثور بروقه فحدث عنه، وقصد له ابنُ عمّه عليّ فقتله.

خبر عكاشة بن محصن

قال ابن إسحاق: وقَاتَلَ عُكَّاشَةُ بن مَحْصَن بن حُزْثَان الأسديّ، حليف بني عبد شمس بن عبد مناف، يومَ بدر بسيفه حتى انقطع في يده، فأتى رسولُ الله ﷺ فأعطاه جِدْلاً من حَظْب، فقال: قاتل بهذا يا عكاشة، فلما أخذه من رسول الله ﷺ هزّه، فعاد سيفاً في يده طويلَ القامة، شديد المثن، أبيض الحديد، فقاتل به حتى فتح الله

فأخذه فإذا سيفٌ قصير عريض فيه قَبَائِعُ فضة^(١) وحَلَقُ فضةٍ قال أبو عُمَيْسٍ، فضرب به القاسمُ عنقَ ثورٍ فقطعه، وثَلَمَ فيه ثَلَمًا، فرأيت القاسمَ جَزَعَ من ثَلَمِهِ جَزَعًا شديدًا.

إضمار حرف الجر:

وقول النبي عليه السلام الذي لا إله إلا هو، بالخفض عند سبويه وغيره، لأن الاستفهام عوض من الخافض عنده، وإذا كنت مُخَيَّرًا قلت: الله بالنصب لا يجيز المُبرّد غيره، وأجاز سبويه الخفض أيضًا لأنه قَسَمٌ، وقد عَرَفَ أن المقسم به مخفوضٌ بالباء أو بالواو، ولا يجوز إضمار حروف الجر إلا في مثل هذا الموضع؛ أو ما كثر استعماله جدًا كما روي أن رُوْبَةَ كان يقول: إذا قيل له كيف أصبحت؟ خَيْرٌ عافاك الله.

وقول النبي - ﷺ - في أبي جهل حين ذكر مزاحمته له في مَأْدُبَةِ عبدِ الله بن جُدْعَانَ، وقد تقدم في المولد التعريف بعبدِ الله بن جُدْعَانَ وذكرنا خبرَ جفنته، وسبب غناه بعد أن كان صُغْلُوكًا بآتم بيان.

خبر عكاشة بن محصن^(٢)

يقال فيه: عُكَّاشَةُ بالتشديد والتخفيف، وهو من عَكَّشَ على القوم إذا حَمَلَ عليهم، قاله صاحبُ العين، وقال غيره لِعُكَّاشَةٍ: [والعُكَّاش] العنكبوت، وأما سَيْفُهُ الذي كان جِزْلًا

(١) قبائع: جمع قبعة: وهي التي تكون على رأس السيف.

(٢) انظر الخبر في البداية (٢٩٠/٣). والحديث أخرجه البيهقي في الدلائل (٩٨/٣).

تعالى على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمى: العَوْن. ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قُتل في الرِّدة، وهو عنده، قَتله طَلِيحَة بن خُوَيْلِد الأسدي، فقال طَلِيحَة في ذلك:

فما ظنُّكم بالقوم إذ تقتلونهم أليسوا وإن لم يُسلموا برجال
فإن تك أذاودُ أصِبن ونسوة فلن تذهبوا قِرْعًا بقتل حِبال
نصبت لهم صدرَ الجمالة إنها معاودةٌ قيلَ الكُماة نزال
فيومًا تراها في الجلال مَصُونَة ويومًا تراها غيرَ ذاتِ جلال
عشيّة غادرتُ ابنَ أقرمِ ثاويًا وعُكَّاشَة الغنميِّ عند حِجال
قال ابن هشام: حِبال: ابن طَلِيحَة بن خُوَيْلِد. وابن أقرم: ثابت بن أقرم الأنصاري.

من حَطَب، فقد قيل: إنه لم يزل مُتَوَارِثًا عند آل عُكَّاشَة، وقد رُوي مثل قول عكاشة في السيف عن عبد الله بن جَحْش، وسيأتي، ذكرها عند غزوة أحد، وأما قوله:

فلن يذهبوا قِرْعًا بقتل حِبال

فالقِرْعُ أن يُطلَّ الدَّم، ولا يطلب بثاره، وحِبال: هو ابن أخي طَلِيحَة لا ابنه، وهو حِبال بن مَسْلَمَة بن خُوَيْلِد، ومَسْلَمَة: أبوه هو الذي قَتَلَ عُكَّاشَة، اعتنقه مَسْلَمَة وضربه طَلِيحَة على فَرَسٍ، يقال لها: اللِّزَام، وكان ثابتٌ على فرس يقال لها: المُخَبَّر، وقصَّته مشهورة في أخبار الرِّدة.

وذكر الواقدي في الرِّدة بعد قوله:

فَيَوْمًا تراها في الجلال مَصُونَة ويومًا تراها في ظلالِ عَوَال
إلى آخر الشعر.

وذكر في الخبر أن عُكَّاشَة وثابت بن أقرم البَلَوِيّ حليفَي الأنصار كانا في جيش خالد حين نَهَد إلى طَلِيحَة، فاستقدما أمام جيش خالد للمسلمين، فوقعا في خيل لَطَلِيحَة، وهو فيهم، فاستشهدا معًا، وذلك في يوم بُزَاخَة^(١)، كذلك قال كل من ألف من السَّيَرِ إِلَّا سُلَيْمَان التَّيْمِي، فإنه ذكر أن عُكَّاشَة قتل في سَرِيَّة بعثها رسولُ الله ﷺ إلى بني أسد، والأول هو المعروف.

(١) بزاخته: موضع ماء لبني أسد، أو لطبيء.

قال ابن إسحاق وعُكَّاشَةُ بن مِخْصَن الذي قال لرسول الله ﷺ حين قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة سبعون ألفاً من أمتي على صورة القمر ليلة البدر»، قال: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم؛ قال: «إنك منهم، أو اللهم اجعله منهم»، فقام رجل من الأنصار. فقال: يا رسول الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عُكَّاشَةُ وبردت الدعوة».

وقال رسولُ الله ﷺ، فيما بلغنا^(١) عن أهله: «مَنَّا خيرُ فارس في العرب»؛ قالوا: ومن هو يا رسول الله؟ قال: «عُكَّاشَةُ بن مِخْصَن»، فقال ضرار بن الأزور الأسدي: ذاك رجل مَنَّا يا رسول الله؛ قال: «ليس منكم ولكنه مَنَّا للحلف».

سبقك بها عكاشة:

وذكر قول النبي ﷺ لعُكَّاشَةَ حين قال: «ادعُ الله يا رسول الله أن يجعلني منهم، فدعا له، ثم قام رجل آخر، فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: سَبَقَكَ بها عُكَّاشَةُ»^(٢). هكذا الحديث في الصحاح، وزاد ابن إسحاق: وبردت الدعوة.

وذكر أبو عمر النَّمَرِيُّ عن بعض أهل العلم، ولم يُسمَّهم أن الرجل الذي قيل له: سَبَقَكَ بها عُكَّاشَةُ كان مُنافِقًا، ولذلك لم يدع له رسولُ الله ﷺ. قال المؤلف: وهذا لا يصح؛ لأن في مُسْنَدِ البَزَّار^(٣) من طريق أبي صالح عن أبي هُرَيْرَةَ في هذا الحديث قال: فقام رجل من خيار المهاجرين، فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم، قال ابن بَطَّال معنى قوله: سبقك بها عكاشة، أي: سبقك بهذه الصفة التي هي صفة السبعين ألفاً، ترك التطير ونحوه، ولم يقل: لست منهم، ولا على أخلاقهم بحسن أدبه عليه السلام، وتلطفه في الكلام [و] لا سيما مع أصحابه الكرام.

قال المؤلف رضي الله عنه - والذي عندي في هذا أنها كانت ساعة إجابة عليمها عليه السلام، فلما انقضت، قال للرجل ما قال، يبين هذا حديثُ أبي سعيد الخُدْرِيِّ، فإنه قال فيه بعد ذكر عُكَّاشَةَ، فقام رجل آخر، فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: اللهم اجعله

(١) فيه مجاهيل.

(٢) أخرجه البخاري (١٧٤/٧) ومسلم في الإيمان (٣٦٧) والترمذي (٢٤٤٦) وأحمد في مسنده

(٢٧١/١) والدارمي (٣٢٨/٢). دون «وبدون الدعوة». وانظر ترجمة عكاشة بن محصن - رضي الله

عنه - في الطبقات (٩٢/٣) الإصابة (٤٩٤/٢) حلية الأولياء (١٢/٢) تاريخ الصحابة (١٤٩)

الاستيعاب (١٨٣٧/٣).

(٣) أخرجه البزار (٨٩/١).

حديث بين أبي بكر وابنه عبد الرحمن يوم بدر:

قال ابن هشام: ونادى أبو بكر الصديق ابنه عبد الرحمن، وهو يومئذ مع المشركين، فقال: أين مالي يا خيث؟ فقال عبد الرحمن:

لم يَبَقْ غيرُ شِكَّةٍ وَيَغْبُوبُ وصارمٌ يَقْتُلُ ضَلالَ الشَّيْبِ
فيما ذكر لي عن عبد العزيز بن محمد الدراوذي.

طرح المشركين في القلب

قال ابن إسحق: وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة، قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يُطرحوا في القلب طرَحوا فيه، إلا ما كان أمية بن خلف، فإنه انتفخ في دِزعه فمَلأها، فذهبوا ليحركوه، فتزائل لحمه، فأقروه، وألقوا عليه ما غيَّبه من التراب والحجارة. فلما ألقاهم في القلب، وقف عليهم رسول الله ﷺ،

منهم، ثم سكتوا ساعة يتحدثون، ثم قام الثالث، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: سَبَقَكَ بها عُكَّاشة، وصاحبه، ولو قلتَ لقلتُ، ولو قلتُ لَوَجَبَتْ، وهي في مسند ابن أبي شَيْبَةَ، وفي مسند البزار أيضًا^(١). ويقوي هذا المعنى رواية ابن إسحق، فإنه زاد، فقال فيها: سبقك به عُكَّاشة وبرَدَتْ الدعوة، فقِف على ما ذكرته في تفسير حديث عكاشة، فإنه من فوائد هذا الكتاب. وممن لم يشهد بدرًا لعُذْر، وهو من النُّقباء سَعْدُ بن عُبَادَةَ سَيْدُ الخَزَرَجِ، لأنه نَهَشَتْهُ حَيَّةٌ، فلم يستطع الخروج هذا قول القُتَيْبِيِّ، ولذلك لم يذكره ابن إسحق، ولا ابن عُقْبَةَ في البَذْرِينِ، وقد ذكره طائفةٌ فيهم، منهم ابن الكلبي وجماعة.

نداء أصحاب القلب^(٢)

مسألة نحوية:

وقوله عليه السلام: يا عُثْبَةُ بن ربيعة، ويا شَيْبَةَ بن ربيعة: الحديث، يجوز يا شَيْبَةَ بن ربيعة، بضم التاء ونصب النون وبنصبهما جميعًا، أما من يقول: جاءني زيدُ ابن فلان بالتنوين، فهو الذي يقول: يا زيدُ ابن بضم الدال، ويكتب ابن بالألف على هذا، ومن يقول: جاءني زيدُ ابنُ بلا تنوين، فهو الذي يقول في النداء: يا زيدُ ابن بنصب الدال،

(١) أخرجه ابن أبي شيبَةَ (٤٢٧/٧) والبزار (٨٩/١).

(٢) انظر خبر أصحاب القلب في البخاري في الجهاد (١٨٤) الفتح (٣٠٠/٧) ومسلم في الجنة (١٤). وانظر تاريخ الطبري (٣٧/٢).

فقال: «يا أهل القليب، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقًا؟» قالت: فقال له أصحابه: يا رسول الله، أتكلّم قومًا موتي؟ فقال لهم: «لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقًا».

قالت عائشة: والناس يقولون: لقد سمعوا ما قلت لهم، وإنما قال لهم رسول الله ﷺ: «لقد علموا».

قال ابن إسحاق: وحديثي حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: سمع أصحاب رسول الله ﷺ، رسول الله ﷺ من جوف الليل وهو يقول: يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبه بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام، فعدّد من كان منهم في القليب: هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقًا؟ فقال المسلمون: يا رسول الله، أئنّادي قومًا قد جيّفوا؟ قال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني».

ويكتب ابنا بغير ألف، لأنه جعل الابن مع ما قبله اسمًا واحدًا، فعلى هذا تقول يا حارث ابن عمرو فتكتبه بألف، لأنك أردت يا حارث بالضم، لأنك لو أردت يا حارث ابن بالنصب لم ترخمه، لأنه قد صار وسط الاسم، وقد جعله سيبويه بمنزلة قولك: امرأ، وكذلك قوله: ويا أبا جهل بن هشام إن نونت اللام من أبي جهل كتبت الابن بألف، وإن لم تنوّه كتبه بغير ألف.

وذكر إنكار عائشة أن يكون عليه السلام قال: لقد سمعوا ما قلت، قالت: وإنما قال: لقد علموا أن الذي كنت أقول حق. قال المؤلف: وعائشة لم تخضر وغيرها ممن حضر أحفظ للفظه عليه السلام، وقد قالوا له: يا رسول الله أتخاطب قومًا قد جيّفوا أو أجيفوا^(١)، فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحال عالمين، جاز أن يكونوا سامعين؛ إما بآذان رؤوسهم إذا قلنا: إن الروح يُعاد إلى الجسد أو إلى بعض الجسد عند المسألة، وهو قول الأكثرين من أهل السُنّة، وإما بإذن القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجه السؤال إلى الروح، من غير رجوع منه إلى الجسد، أو إلى بعضه، وقد روي أن عائشة احتجت بقول الله سبحانه: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(٢) وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾^(٣) أي: إن الله هو الذي يهدي ويوفق ويوصل الموعدة إلى آذان القلوب، لا أنت، وجعل الكفار أمواتًا وضُمًّا على جهة التشبيه بالأموات،

(٢) سورة فاطر آية رقم (٢٢).

(١) أي أنتوا.

(٣) سورة الزخرف آية رقم (٤٠).

قال ابن إسحق: وحَدَّثني بعضُ أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال يوم هذه المقالة: «يا أهل القلب، بئس عَشيرةُ النبيِّ كنتم لنبِيِّكم، كَذَبتموني وصدَّقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني نصرني الناس؛ ثم قال: هل وجدتم ما وعدكم ربُّكم حقًّا؟» للمقالة التي قال.

شعر حسان فيمن ألقوا في القلب

قال ابن إسحق: وقال حسان بن ثابت:

عرفتُ ديارَ زَيْنَب بالكُثيبِ	كَخَطِّ الوَخي في الورقِ القَشيبِ
تَدَاوَلها الرِّياحُ وكلَّ جَوْنِ	من الوَشْمِ مِنْهُمْ سَكوبِ
فأمسى رَسْمُها خَلَقًا وأمستْ	يَبابًا بعد ساكِنها الحَبيبِ
فَدَغَ عنكَ التَّذْكَرُ كلَّ يومٍ	ورْدُ حِراةِ الصَّدْرِ الكُثيبِ
وخَبِرَ بالذي لا عيبَ فيه	بِصِدْقِ غيرِ إخبارِ الكُذوبِ
بما صَنَعَ المليكُ غداةَ بدرٍ	لنا في المُشركين من النُّصيبِ

وبالصُّمِّ، فالله هو الذي يُسمِعهم على الحقيقة، إذا شاء لا نبيُّه، ولا أحدٌ، فإذا لا تَعَلَّقَ بالآية من وجهين، أحدهما: أنها إنما نزلت في دُعاء الكفار إلى الإيمان.

الثاني: أنه إنما نفى عن نبيِّه أن يكون هو المسمِع لهم وصدَّق الله فإنه لا يُسمِعهم إذا شاء إلا هو، ويفعل ما شاء وهو على كل شيء قدير.

من معاني شعر حسان

فصل: وذكر شعر حسان وقال فيه:

كَخَطِّ الوَخي في الورقِ القَشيبِ

القشيبُ في اللغة: الجديدُ، ولا معنى له في هذا البيت، لأنهم إذا وصفوا الرسومَ وشبَّهوها بالكُتُبِ في الورق، فإنما يصفون الخطَّ حينئذ بالدُّروسِ والامِّحاءِ، فإن ذلك أدلُّ عليَّ عَفاءِ الديارِ وطُمُوسِ الآثارِ، وكثرةُ ذلك في الشعر تغني عن الاستِشهادِ عليه، ولكن منه قول النابغة:

[وقفت فيها أَصِيلانًا أسائلها	عيت جوابًا وما بالرَّبع من أحد
إلا الأواري لأياما أبينها	والنَّوي كالحوض بالمظلومة الجلد]

غداة كأن جمعهم حراء
فلاقيناهم منّا بجمع
أمام محمّد قد وازروه
بدت أركائه جنح الغروب
كأشد الغاب مُردانٍ وشيب
على الأعداء في لفح الحروب

وقول زهير:

[وقفت بها من بعد عشرين حجة] فلاّيا عرفت الدار بعد توهم

وقال آخر:

والأُرسوم الدار قفراً كأنها سُطورٌ محاها الباهلي بن أضَمَعَا

ولكن أراد حسان بالقشيب هاهنا الذي خالطه ما يُفسده، إمّا من دنس، وإما من قدم، يقال: طَعَامٌ مُقَشَّب، إذا كان فيه السُّم. وقال الشاعر: [خويلد بن مرة أبو خراش الهذلي]:

[به ندع الكمي على يديه] نحر تخاله نسراً قشيباً

معناه: مَسْمُوم، لأن القشِب هو السمّ قاله ابن قتيبة^(١) في تفسير حديث آخر من يخرج من النار، وفيه قشبي ريحها، وأحرقني ذكاها. وقال أبو حنيفة في القشِب هو: نبات رطب مَسْمُوم يُنْصَب لسباع الطير في لحم، فإذا أكلته ماتت، قال: والعرب يُجَنِّبونه ماشيتهم في المرعى، كي لا تُحَطِّمَه، فيفوح من ريحه ما يقتلها، فقوله في البيت الذي استشهد به القُتَيْبِيُّ: تخاله نسراً قشيباً، أي: نسراً أكل ذلك القشِب في اللحم والله أعلم، قال: والألب أيضاً، ضرب من القشِب، إن وجدت ريحه سباع الطير عميت وصمّت، وإن أكلته ماتت، قال: والضجّاج أيضاً: كل نبات مَسْمُوم.

معنى القائهم في القليب:

فصل: فإن قيل: ما معنى إلقائهم في القليب، وما فيه من الفقه؛ قلنا: كان من سُنَّته عليه السلام في مغازيه إذا مرّ بجيفة إنسانٍ أمر بدفنه لا يسأل عنه مؤمناً، كان أو كافراً، هكذا وقع في السُّنَنِ للدَّارِقُطَنِيِّ، فإلقاؤهم في القليب من هذا الباب، غير أنه كره أن يشقّ على أصحابه لكثرة جيف الكفار أن يأمرهم بدفنهم، فكان جرّهم إلى القليب أيسرَ عليهم، ووافق أن القليب حفرة رجل من بني النار، اسمه: بذر، فكان. فالأ مقدّماً لهم، وهذا على أحد القولين في بدر، والله أعلم.

(١) انظر غريب الحديث لابن قتيبة (ص ٧٣).

بأيديهم صَوَارِمُ مُرْهَفَاتٍ وكلُّ مجرَّبٍ خاطِي الكُعبِ
بنو الأوسِ الغَطَارِفِ وازرَتْهَا بنو النَجَّارِ في الدِّينِ الصَّليبِ
فغَادَزْنَا أبا جَهْلٍ صَرِيْعَا وعُثْبَةَ قد تركنا بالجُبُوبِ

عود إلى شعر حسان:

وفي شعر حسان أيضاً:

بنو الأوسِ الغَطَارِفِ وازرَتْهَا

ولو قال آزرَتْهَا بالهمز لجاز، وكان من الأزر، وفي التنزيل (فآزره) أي: شَدَّ أزره، وقَوَّاه، ولكن أراد حسان معنى الوزير، فإنه سمي وزيراً من الوزر، وهو الثقل، لأنه يحمل عن صاحبه ثِقْلاً ويُعِينه، وقيل: هو من الوزر، وهو الملجأ، لأن الوزير يلجأ إلى رأيه، وقد ألفيته في نسخة الشيخ أبي بحر: آزرَتْهَا مُضْلِحًا بغير واو إلاَّ أنَّ وازرَتْهَا وزنه: فاعَلْتُ، وآزرت وزنه أفعلْتُ.

وقوله:

وعُثْبَةَ قد تركنا بالجُبُوبِ

معنى الجبوب:

الجبوب اسمٌ للأرض، لأنها تُجَبُّ أي تحفر وتُجَبُّ من دُفْنٍ فيها، أي تقطعه، وهذا القول أولى، لأنهم قالوا: جُبُوبٌ مثل: صَبُور وشُكُور في المؤنث، ولم يقولوا: جَبُوبَةٌ، فيكون من باب حَلُوبَةٍ ورَكُوبَةٍ، ويدخلون فيها الألف واللام تارةً، فيقولون: الجبُوب، كما في هذا البيت، وتارةً يجعلونه اسماً علماً، فيقولون: جَبُوبٌ، مثل شُعُوب، قال الشاعر:

بَنَى عَلَى قَلْبِي وَعَيْنِي مَكَانَهُ ثَوَى بَيْنَ أَخْجَارٍ رَهِينَ جَبُوبِ

ومنه قيل: جَبَّانٌ وجَبَّانَةٌ للأرض التي يُدْفَنُ فيها الموتى، فهو فَعْلَانٌ من الجَبِّ والجبُوب، وهو قول الخليل في معنى الجَبَّانِ، وغيره يجعله فَعَّالاً من الجُبْنِ.

مرّة أخرى شعر حسان:

وقوله: خاطِي الكُعبِ، أي: مُكْتَنِز الكُعبِ قَوِيَّهَا [والكُعبُوب: عُقد القناة]، وقولُ حسان: الغَطَارِفِ، أراد: الغَطَارِيفَ كما تقدم في شعر الجُرْهُمِيِّ:

تَطْلُ بِهَا أَمْنَا وَفِيهَا الْعَصَافِرُ

أراد العصافير، وحذف الياء ضرورة.

وَشَيْبَةً قَدْ تَرَكْنَا فِي رَجَالٍ ذَوِي حَسَبٍ إِذَا تُسَبَّوْا حَسِبَ
يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا قَذَفْنَاهُمْ كَبَاكِبَ فِي الْقَلِيبِ
أَلَمْ تَجِدُوا كَلَامِي كَانَ حَقًّا وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ؟
فَمَا نَطَقُوا، وَلَوْ نَطَقُوا لَقَالُوا: صَدَقْتَ وَكَنتَ ذَا رَأْيٍ مُصِيبًا!

قال ابن إسحاق: ولما أمر رسول الله ﷺ أن يُلْقُوا فِي الْقَلِيبِ، أَخَذَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، فَسَجَبَ إِلَى الْقَلِيبِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا بَلَغَنِي - فِي وَجْهِ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ عُتْبَةَ، فَإِذَا هُوَ كَثِيبٌ قَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا حُذَيْفَةَ، لَعَلَّكَ قَدْ دَخَلَكَ مِنْ شَأْنِ أَبِيكَ شَيْءٌ؟» أَوْ كَمَا قَالَ ﷺ؛ فَقَالَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا شَكَكْتُ فِي أَبِي وَلَا فِي مَضْرَعِهِ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ مِنْ أَبِي رَأْيًا وَحِلْمًا وَفَضْلًا، فَكَنتُ أَرْجُو أَنْ يَهْدِيَهُ ذَلِكَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ مَا أَصَابَهُ، وَذَكَرْتُ مَا مَاتَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، بَعْدَ الَّذِي كُنْتُ أَرْجُو لَهُ، أَخْزَنَنِي ذَلِكَ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِخَيْرٍ، وَقَالَ لَهُ: خَيْرًا.

من نزل فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾:

وَكَانَ الْفِتْيَةُ الَّذِينَ قُتِلُوا بِبَدْرٍ، فَنَزَلَ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ، فِيمَا ذَكَرْنَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(١) فِتْيَةٌ مُسَمَّيْنَ. مِنْ بَنِي أَسَدَ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ: الْحَارِثُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدَ.

تفسير قول ابن أبي بكر:

فصل: وذكر قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لابنه يوم بدر أين مالي يا خبيث، فقال:

لَمْ يَبْقَ إِلَّا شِكَّةٌ وَيَغْبُوبُ

الشِّكَّةُ: السِّلَاحُ، وَالْيَغْبُوبُ مِنَ الْخَيْلِ: الشَّدِيدُ الْجَزِي، وَيُقَالُ: الطَّوِيلُ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ، لِأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ عُبَابِ الْمَاءِ، وَهُوَ شِدَّةُ جَزْيِهِ، وَيُقَالُ لِلْجَذْوَلِ الْكَثِيرِ الْمَاءِ: يَغْبُوبُ، وَقَدْ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَرَسٌ اسْمُهُ: السَّكْبُ وَهُوَ مِنْ سَكَبْتُ الْمَاءَ، فَهَذَا يُقْوَى مَعْنَى الْيَغْبُوبِ، وَذَكَرَ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ قَالَ لِأَبِيهِ بَعْدَ مَا أَسْلَمَ: يَا أَبَتِ لَقَدْ

(١) سورة النساء آية رقم (٩٧).

ومن بني مخزوم: أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم،
وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

ومن بني جَمَح: علي بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جَمَح.

ومن بني سَهْم: العاص بن مُنْبه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سَهْم.

وذلك أنهم كانوا أسلموا، ورسول الله ﷺ بمكة، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة
حبسهم آبائهم وعشائره بمكة وفتنهم فافتتنوا، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر فأصيبوا به
جميعاً.

ذكر الفياء بدر

ثم إن رسول الله ﷺ أمر بما في العسكر، مما جمع الناس، فجمع، فاختلف
المسلمون فيه، فقال من جمعه: هو لنا، وقال الذين كانوا يُقاتلون العدو ويطلبونه: والله
لولا نحن ما أصبتموه لنحن شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم؛ وقال الذين كانوا
يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يخالف إليه العدو: والله ما أنتم بأحق به منا، والله لقد
رأينا أن نقتل العدو إذ منحنا الله تعالى أكتافه، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن
دونه من يمنعه ولكننا خفنا على رسول الله ﷺ كره العدو، فقمنا دونه، فما أنتم بأحق به
منا.

أهدفت لي يوم بدر مراراً فصَدَفْتُ^(١) عنك، فقال: والله لو كنت أهدفت لي أنت ما صدفتُ
عنك.

العرش والعريش

فصل: وذكر تنازعهم في النفل، وما احتجبت به الطائفة الذين كانوا يخمون رسول
الله ﷺ في العريش، والعريش: كل ما أظلك وعلاكَ من فوقك، فإن علوته أنت فهو عرشُ
لك، لا عريش، والعريش أيضاً فيما ذكر أبو حنيفة أربع نخلات أو خمس في أصل واحد.

بنو عابد وبنو عائذ:

وذكر قول أبي أسيد: وَجَدْتُ يوم بدر سيف بني عابد الذي يقال له المَرْزُبَان. بنو عابد
في بني مخزوم، وهم بنو عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأما بنو عائذ بالياء والذال

(١) صدفت: أي جلت وابتعدت عنك.

قال ابن إسحاق: وحديثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا عن سليمان بن موسى، عن مكحول، عن أبي أمامة الباهلي - واسمه ضدي بن عجلان فيما قال ابن هشام - قال: سألت عبادة بن الصّامت عن الأنفال، فقال: فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النّفل، وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا، فجعله إلى رسوله، فقسّمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بواء يقول: على السواء.

قال ابن إسحاق: وحديثني عبد الله بن أبي بكر، قال: حدثني بعض بني ساعدة عن أبي أسيد الساعدي مالك بن ربيعة، قال: أصبت سيف بني عائذ المخزوميين الذي يسمّى المَرْزُبَان يوم بدر، فلما أمر رسول الله ﷺ الناس أن يردّوا ما في أيديهم من النّفل، أقبلتُ حتى ألقيته في النّفل. قال: وكان رسول الله ﷺ لا يَمْنَع شيئاً سئل، فعرفه الأرقم بن أبي الأرقم، فسأله رسول الله ﷺ، فأعطاه إياه.

المعجّمة، فهم بنو عائذ بن عمران بن مخزوم رَهْط آل المُسيّب، والأولون رَهْط آل بني السائب.

حول القسم:

وأما قوله: فقسّمها رسول الله - ﷺ - عن بواء يقول: على سَوَاءٍ، فقد رواه أبو عُبَيْدٍ في الأموال، فقال فيه: فقسّمها رسول الله - ﷺ - عن فُؤَاقٍ، وفسّره، فقال: جعل بعضهم فوق بعض، أي فضل في القسم مَنْ رأى تفضيله، وفي غريب الحديث قولاً آخر، وهو أن معنى عن فُؤَاقٍ: السُّرْعَةُ في القسم كَفُؤَاقِ الناقة، ورواه ابن إسحاق أشهر وأثبت عند أهل الحديث.

سبب نزول أول الأنفال:

وفي الحديث الذي ذكره أبو عُبَيْدٍ أن سَعْدَ بن أبي وقاصٍ، قال: قتلت يوم بدر العاصي بن سعيد بن العاصي، وأخذت سيفه، وكان يقال له: ذو الكَتِيفَةِ. فأتيت به رسول الله - ﷺ - وقلت: يا رسول الله نفلني، فأمرني أن أجعله في القَبْضِ^(١)، فأخذني ما لا يعلمه إلا الله، فقلت: قُتِلَ أخي عَمِيرٌ وأَخِذَ سَلْبِي فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾^(٢) الآية، فأعطاني رسول الله ﷺ السيف^(٣)، قال أبو عُبَيْدٍ وأهل السَّيَر يقولون: قَتَلَ العاصي بن سعيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) سورة الأنفال آية رقم (١).

(١) القَبْضُ: أي المقبوض.

(٣) أخرجه مسلم في الجهاد (٤٣/٤٤) والترمذي (٣٠٧٩) وأبو داود (٢٧٤٠) بتحقيقي والنسائي في =

بعث ابن رواحة وزيد بشيرين :

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ عند الفتح عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية، بما فتح الله عز وجل على رسوله ﷺ وعلى المسلمين، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة. قال أسامة بن زيد: فأتانا الخبر - حين سوينا التراب على رقية ابنة رسول الله ﷺ، التي كانت عند عثمان بن عفان. كان رسول الله ﷺ خلفني عليها مع عثمان - أن زيد بن حارث قد قدم. قال: فجئته وهو واقف بالمصلى قد غشيته الناس، وهو يقول: «قُتِلَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو جَهْلُ بْنُ هِشَامٍ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسُودِ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ وَالْعَاصُ بْنُ هِشَامٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَتُبَيْيْهُ وَمُنْبَهُ ابْنَا الْحِجَّاجِ». قال: قلت: يا أبت، أحق هذا. قال: نعم، والله يا بني.

ققول رسول الله من بدر:

ثم أقبل رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة، ومعه الأسارى من المشركين، وفيهم عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، واحتمل رسول الله ﷺ معه النفل الذي أصيب من المشركين، وجعل على النفل عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار؛ فقال راجز من المسلمين - قال ابن هشام: يقال: إنه عدي بن أبي الزغباء:

أَقِمْ لَهَا صُدُورَهَا يَا بَسْبَسْ	أَلَيْسَ بِذِي الطَّلَحِ لَهَا مُعَرَّسْ
وَلَا بِصَخْرَاءٍ غَمِيرٍ مَخْبَسْ	إِنَّ مَطَايَا الْقَوْمِ لَا تُخَيِّسْ
فَحَمَلَهَا عَلَى الطَّرِيقِ أَكْيَسْ	قَدْ نَصَرَ اللَّهُ وَفَرَ الْأَخْنَسْ

ثم أقبل رسول الله ﷺ - حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كتيب بين المضيق وبين النازية - يقال له: سير - إلى سرحة به. فقسّم هنالك النفل الذي أفاء الله على المسلمين من المشركين على السواء ثم ارتحل رسول الله ﷺ، حتى إذا كان بالروحاء لقيه المسلمون يهنئونه بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين، فقال لهم سلمة بن سلامة - كما حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، ويزيد بن رومان: ما الذي

= الكبرى [تفسير سورة الأنفال] وأحمد (١٧٨/١) والطيالسي (٢٠٨) وأبو يعلى (٧٨٢/٧٣٥) وأبو نعيم في الحلية (٣١٢/٨) والبخاري في الآداب (٢٤) وأبو عوانة (١٠٣/٤).

تُهَنِّتُونَنَا بِهِ؟ فَوَاللَّهِ إِنْ لَقِينَا إِلَّا عَجَائِزَ صُلَعًا كَالْبُذْنِ الْمُعَقَّلَةِ، فَنَحْرِنَاهَا، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: أَيُّ ابْنِ أَخِي، أَوْلَيْكَ الْمَلَأُ.

قال ابن هشام: المَلَأُ: الأشراف والرؤساء.

مقتل النضر وعقبة:

قال ابن إسحاق: حتى إذا كان رسول الله ﷺ بالصُّفراء قُتِلَ النُّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، كَمَا أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ.

قال ابن إسحاق: ثم خرج حتى إذا كان بعِرْقِ الظُّبْيَةِ قُتِلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ.

قال ابن هشام: عِرْقُ الظُّبْيَةِ مِنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

قال ابن إسحاق: والذي أَسَرَ عُقْبَةَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلِيمَةَ أَحَدُ بَنِي الْعَجْلَانِ.

قال ابن إسحاق: فَقَالَ عُقْبَةُ حِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِهِ فَمَنْ لِلصَّبِيَةِ يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: النَّارُ. فَقَتَلَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ بْنُ أَبِي الْأَقْلَحِ الْأَنْصَارِيِّ، أَخُو بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ، كَمَا حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عِمَارٍ بْنُ يَاسِرٍ.

قال ابن هشام: وَيُقَالُ قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِيمَا ذَكَرَ لِي ابْنُ شِهَابٍ الزَّهْرِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.

عقبة بن أبي معيط:

فصل: وذكر أن رسول الله - ﷺ - قَتَلَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ، قَالَ: وَكَانَ الَّذِي أَسَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلِيمَةَ، وَسَلِيمَةُ هَذَا بِكَسْرِ اللَّامِ، وَهُوَ سَلِيمَةُ بْنُ مَالِكٍ أَحَدُ بَنِي الْعَجْلَانِ بَلَوِيَّ النَّسَبِ أَنْصَارِي بِالْحِلْفِ، قُتِلَ يَوْمَ أَحَدٍ شَهِيدًا وَأَمَّا عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَاسْمُ أَبِي مُعَيْطٍ أَبَانَ بْنُ أَبِي عَمْرٍو، وَاسْمُهُ ذُكْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، يُقَالُ: كَانَ أُمَيَّةً، قَدْ سَاعَى أُمَةً^(١) أَوْ بَغَتْ أُمَةً لَهُ، فَحَمَلَتْ بِأَبِي عَمْرٍو، فَاسْتَلَحَقَهُ بِحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لِعُقْبَةَ حِينَ قَالَ: أَأَقْتُلُ مِنْ بَيْنِ قُرَيْشٍ صَبْرًا، فَقَالَ عُمَرُ: حَنَّ قَدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا^(٢)، يُعَرِّضُ بِنَسَبِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقَدَاحَ فِي الْمَيْسِرِ رِبْمًا جُعِلَ مَعَهَا قَدْحٌ

(١) سَاعَى أُمَةً: أَيُّ زَنَا بِهَا. وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

(٢) حَنَّ قَدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا: مِثْلُ يُضْرَبُ لِرَجُلٍ يُنْسَبُ إِلَى نَسَبٍ لَيْسَ مِنْهُ.

قال ابن إسحاق: ولقي رسول الله ﷺ بذلك الموضع أبو هند، مولى فزوة بن عمرو البياضي بحميت مملوء خيسًا.

مستعار قد جُرب منه الفلح واليمن فيستعار لذلك، ويسمى: المنيح، فإذا حرك في الربابة مع القداح تميز صوته لمخالفة جوهرة جوهرة القداح، فيقال: حينئذ حن قدح ليس منها، فتمثل عمر بهذا المثل، يريد أن عقبة ليس من قریش، وكذلك روي أن النبي - ﷺ - قال حينئذ: إنما أنت يهودي من أهل صفورية^(١)، لأن الأمة التي ولدت أباه كانت لليهودي من أهل صفورية، واسمها: تزنى، قاله القتيبي، وكذلك قال دغفل بن حنظلة النسابة لمعاوية حين سأل: هل أدركت عبد المطلب؟ فقال نعم أدركته شيخا وسيما قسيما جسيما يخف به عشرة من بنيه كأنهم النجوم، قال: فهل رأيت أمية بن عبد شمس؟ قال: نعم رأيت أخيفش^(٢) أزيرق دميما، يقوده عبده ذكوان، فقال: ويحك ذاك ابنه أبو عمرو، فقال دغفل: أنتم تقولون ذلك.

الطعن في نسب بني أمية:

قال المؤلف:

وهذا الطعن خاص بنسب عقبة من بني أمية، وفي نسب أمية نفسه مقالة أخرى تعم جميع الفصيلة، وهي ما روي عن سفينة^(٣) مولى أم سلمة حين قيل له: إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم، فقال: كذبت استأه بني الزرقاء، بل هم ملوك، ومن شر الملوك، فيقال: إن الزرقاء هذه هي [أم] أمية بن عبد شمس، واسمها أزنب، قاله الأصبهاني في كتاب الأمثال، قال: وكانت في الجاهلية من صواحب الرايات^(٤).

قال المؤلف رضي الله عنه: وقد عفا الله عن أمر الجاهلية، ونهى عن الطعن في الأنساب، ولو لم يجب الكف عن نسب بني أمية إلا لموضع عثمان بن عفان رضي الله عنه، لكان حري بذلك.

(١) صفورية: بلدة بالأردن.

(٢) أخيفش: تصغير أخفش، وهو فساد في العين يضعف نورها.

(٣) هو مهران مولى رسول الله ﷺ.

(٤) صواحب الرايات: كانت البغايا في الجاهلية ينصبن راية تدل على أن هذا البيت هو أحد بيوت البغاء، كحال ما يجري في جاهلية اليوم من تعريف شوارع بعينها كشارع الهرم، فهو محل الرقصات وأهل الزنا والبغاء، وما أكثر شوارع الهرم في الأمصار الإسلامية!!!.

وقال ابن هشام: الحَمِيْتُ: الزَّقُّ، وكان قد تخلف عن بدر، ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو كان حَجَّام رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إنما هو أبو هند امرؤ من الأنصار فأنكحوه، وأنكحوا إليه، ففعلوا».

قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر أن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زُرارة، قال: قدم بالأسارى حين قدم بهم، وسودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ عند آل عفراء، في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب.

قال: تقول سودة: والله إني لعندهم إذ أتينا، ف قيل: هؤلاء الأسارى، قد أتى بهم قالت: فرجعت إلى بيتي، ورسول الله ﷺ فيه، وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة، مجموعة يده إلى عنقه بحبل قالت: فلا والله ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: أي أبا يزيد: أعطيتكم بأيديكم، ألا مُم كرامًا، فوالله ما أنبهنى إلا قول رسول الله ﷺ من البيت: «يا سودة، أعلَى الله ورسوله تحرضين؟» قالت: قلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق، ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يده إلى عنقه أن قلت ما قلت^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني ثبیه بن وهب، أخو بني عبد الدار. أن رسول الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرّقهم بين أصحابه، وقال: استَوْصُوا بالأسارى خيرًا. قال: وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم، أخو مُضْعَب بن عُمَيْر لأبيه وأمه في الأسارى.

أبو هند الحَجَّام:

فصل: وذكر أبا هند الحَجَّام، وأنه لقي رسول الله ﷺ مُنْصَرَفَهُ من بدر. أبو هند اسمه: عبدُ الله، وهو مولى فَرْوَةَ بن عَمْرٍو البَيَّاسِي، وأما طيبة^(٢) الحَجَّام فهو مولى بني حارثة، واسمه: نافع، وقيل: دُنَيْر وقيل: مَيْسَرَةُ، ولم يشهد بدرًا.

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٣٩/٢) والحاكم (٢٢/٣) والبيهقي (٨٩/٩).
(٢) قوله: وأما طيبة، لعله تصحيف صوابه: وأبو طيبة. وهي كنية نافع الحجام.

قال: فقال أبو عزيز: مرّ بي أخي مُضْعَب بن عمير ورجلٌ من الأنصار يأسرني، فقال: شُدَّ يَدُكَ به، فإن أمّه ذاتُ مَتَاعٍ، لعلّها تُفْديهِ منك، قال: وكنت في رَهْطٍ من الأنصار حين أقبلوا بي من بَدْرٍ، فكانوا إذا قَدَمُوا غَدَاءَهُمْ وَعِشَاءَهُمْ خَصَّوْنِي بِالْخُبْزِ، وَأَكَلُوا التَّمْرَ، لوصيّة رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما تَقَعَّ في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نَفَحَنِي بها. قال: فأستحيي فأردّها على أحدهم، فإردّها على ما يمستها.

بلوغ مصاب قريش إلى مكة:

قال ابن هشام: وكان أبو عزيز صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث، فلما قال أخوه مُضْعَب بن عمير لأبي اليسر، وهو الذي أسره، ما قال قال له أبو عزيز: يا أخي، هذه وصاتك بي، فقال له مُضْعَب: إنه أخي دونك. فسألت أمّه عن أغلى ما فُدي به قرشي، فقليل لها: أربعة آلاف درهم، فبعت بأربعة آلاف درهم، ففدته بها.

قال ابن إسحاق: وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحنيسمان بن عبد الله الخزاعي، فقالوا: ما وراءك؟ قال: قُتل عُثْبَةُ بن ربيعة، وشَيْبَةُ بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمّية بن خلف، وزَمْعَةُ بن الأسود، ونُبَيْه ومنبّه ابنا الحجاج، وأبو البختري بن هشام، فلما جعل يُعَدِّدُ أَشْرَافَ قريش؛ قال صَفْوَان بن أمّية، وهو قاعد في الحجر: والله إن يَغْلُقَ هذا فاسألوه عني؛ فقالوا: ما فعل صَفْوَان بن أمّية؟ قال: ها هو ذاك جالسًا في الحجر، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتلا.

أسارى بدر:

ذكر فيهم أبا عزيز بن عُمَيْرٍ حين مرّ به، وهو أسيرٌ على أخيه مُضْعَبٍ، فقال مُضْعَبُ للذي أسره: اشدّدْ يديك به وذكر الحديث.

قال المؤلف رحمه الله: وقد تقدم في باب الهجرة خبرُ إسلام مصعب، وما كانت أمّه تصنع به، وأرجأت التعريف به وبإخوته إلى هذا الموضع، فأما أبو عزيز، فاسمه زُرَّارَةُ، وأمّه التي أرسلت في فدائه أم الحُناس بنت مالك العامرية، وهي أم أخيه مُضْعَبٍ، وأخته هند بن عُمَيْرٍ، وهند هي أم شَيْبَةَ بن عُثْمَانَ حاجِبِ الكعبة، جد بني شَيْبَةَ أسلم أبو عزيز، وروى الحديث، وأسلم أخوه أبو الروم، وأبو يزيد: ولا خفاءً بإسلام مُضْعَبٍ أخيه، وغلط الزُّبَيْر بن بَكَّار، فقال: قُتل أبو عزيز يومَ أُحُدٍ كافرًا، ولم يصح هذا عند أحدٍ من أهل الأخبار، وقد روي عنه نُبَيْه بن وهب وغيره، ولعلّ المقتول بأُحُدٍ كافرًا أخ لهم غيره.

قال ابن إسحاق: وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة مولى ابن عباس، قال: قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلاماً للعبّاس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتُم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه، وكان أبو لهب قد تخلف عن بدر، فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكذلك كانوا صنعوا، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً، فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش، كبتة الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوة وعزاً. قال: وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أعمل الأقداح. أنحتُها في حُجرة زمزم. فوالله إني لجالسُ فيها أنحتُ أقداحي، وعندي أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل أبو لهب يجر رجله بِشَرٍّ، حتى جلس على طُنب الحُجرة، فكان ظهره إلى ظهري، فبينما هو جالسُ إذ قال الناسُ: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب - قال ابن هشام: واسم أبي سفيان المغيرة - قد قدم قال: فقال أبو لهب: هَلُمَّ إِلَيَّ، فعندك لعمري الخبر، قال: فجلس إليه والناسُ قيامٌ عليه، فقال: يا ابن أخي، أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال: والله ما هو إلا أن لقينا القومَ فَمَنَحْنَاهُمْ أَكْتافَنَا يَقُودُونَنَا كَيْفَ شَاءُوا وَيَأْسِرُونَنَا كَيْفَ شَاءُوا، وأيمُ الله مع ذلك ما لُمتُ الناسَ، لقينا رجالاً بيضاً، على خيل بُلُق، بين السماء والأرض، والله ما تُليق شيئاً، ولا يقوم لها شيء. قال أبو رافع: فرفعت طُنب الحُجرة بيدي، ثم قلت: تلك والله الملائكة؛ قال: رفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربةً

خبر أبي رافع حين قدم فل قريش:

اسم أبي رافع: أسلم، وقال ابن مَعِين: اسمه إبراهيم، وقيل: اسمه هُزْمُرُ^(١)، وكان عبداً قَبْطِيًّا للعباس، فوهبه للنبي ﷺ، فلما أسلم العباسُ وبشّر أبو رافع رسول الله - ﷺ - بإسلامه، فأعتقه، فكان مولى رسول الله - ﷺ - وقيل: كان عبداً لبني سعيد بن العاصي، وهم عشرة فأعتقوه إلا خالد بن سعيد، فإنه وَهَبَ حِصَّتَهُ فِيهِ للنبي - ﷺ - فأعتقه النبي - ﷺ - والأول أصح توفي في قول الواقدي قبل مقتل عثمان بيسير.

أم الفضل وضربها لأبي لهب:

وذكر أبا لهب وضربه لأبي رافع حين ذكر الملائكة وانتصار أم الفضل له وضربها لأبي لهب، وأم الفضل هي لُبَابَةُ الْكُبْرَى بنتُ الحارث ابن حَزْن بن بُجَيْر بن الْهَزَم بن رُوَيْبَةَ بن

(١) وقيل: يسار، وقيل صالح، وقيل: عبد الرحمن. وقيل: أسلم وهو أشهر.

شديدة. قال: وثاوزته فاحتملني فضرب بي الأرض، ثم برك عليّ يضربني، وكنت رجلاً ضعيفاً، فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحُجرة، فأخذته فضربته به ضربةً فلعت في رأسه شجّةٌ مُنكرة، وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده فقام، مُولياً ذليلاً، فوالله ما عاش إلا سَبْعَ ليالٍ حتى رماه الله بالعدسة فقتلته.

عبد الله بن هلال بن عامر بن صَغَصَعَة [الهَلَالِيَّةُ] أختُ مَيْمُونَة، وأختها لَبَابَةُ الصُّغْرَى أمُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، ولدت أمُ الفضل من العباس سبعةً نُجَبَاءَ قال الشاعر:

مَا وَلَدَتْ نَحِيبَةً مِنْ فَخْلٍ كَسَبَعَةٍ مِنْ بَطْنِ أُمِّ الْفَضْلِ

وهم عَبْدُ اللَّهِ وَعُبَيْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَالْفَضْلُ، وَمَعْبُدٌ، وَقُثْمٌ، ويقال في السابع: كَثِيرُ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَالْأَصَحُّ فِي كَثِيرٍ أَنَّ أُمَّهُ رُومِيَّةٌ، وَلَمْ تَلِدْ أُمَّ الْفَضْلِ مِنَ الْعَبَّاسِ إِلَّا مَنْ سَمَّيْنَا وَأَخْتًا لَهُمْ، وَهِيَ أُمُّ حَبِيبٍ، وَقَدْ ذَكَرَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ فِي رِوَايَةِ يُونُسَ [ابْنِ بَكِيرٍ]، وَذَكَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - رَأَاهَا وَهِيَ طِفْلَةٌ تَدِبُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «إِنْ بَلَغْتَ هَذِهِ وَأَنَا حَيٌّ تَزَوَّجْتُهَا»، فَقَبِضَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ فَتَزَوَّجَهَا سُفْيَانُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ [ابْنِ هَلَالِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو] الْمَخْزُومِي فَوَلَدَتْ لَهُ رِزْقًا وَلُبَابَةً.

وذكر ابن إسحاق أن أبا لهب حين ضربته أم الفضل بالعمود على رأسه قام منكسراً، ولم يلبث إلا يسيراً، حتى رماه الله بالعدسة فقتله.

وذكر الطبري في كتابه^(١) أن العدسة قرحة كانت العرب تتشاءم بها، ويرون أنها تغدي أشدَّ العدوى، فلما رُمِيَ بها أبو لهب، تباعد عنه بثوه، فبقي ثلاثاً لا تقرب جنازته، ولا يذفن، فلما خافوا السُّبَّةَ دفعوه بعود في حفرة ثم قذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وقال ابن إسحاق في رواية يونس: لم يخفروا له، ولكن أُسِنِدَ إِلَى حَائِطٍ وَقُذِفَتْ عَلَيْهِ الْحَجَارَةُ مِنْ خَلْفِ الْحَائِطِ وَوُورِيَ وَذَكَرَ أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ إِذَا مَرَّتْ بِمَوْضِعِهِ ذَلِكَ غَطَّتْ وَجْهَهَا، وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِهِ رَأَاهُ فِي الْمَنَامِ فِي شَرِّ رَحِيبةٍ^(٢)، وَهِيَ الْحَالَةُ، فَقَالَ: مَا لَقِيتُ بَعْدَكُمْ، يَعْنِي: رَاحَةً، غَيْرَ أَنِّي سَقِيتُ فِي مِثْلِ هَذِهِ بَعِثْتَنِي ثَوْبِيَّةً، هَكَذَا فِي رِوَايَةِ الْأَصِيلِيِّ عَنْ أَبِي زَيْدٍ، وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِهِ، قَالَ: مَا لَقِيتُ بَعْدَكُمْ رَاحَةً، غَيْرَ أَنِّي سَقِيتُ فِي مِثْلِ هَذِهِ، وَأَشَارَ إِلَى الثُّقْرَةِ بَيْنَ السَّبَابَةِ وَالْإِبْهَامِ، بَعِثْتَنِي ثَوْبِيَّةً، وَفِي غَيْرِ الْبُخَارِيِّ أَنَّ الَّذِي رَأَاهُ مِنْ أَهْلِهِ هُوَ أَخُوهُ الْعَبَّاسُ، قَالَ: مَكَثْتُ حَوْلًا بَعْدَ مَوْتِ أَبِي لَهَبٍ لَا

(١) الطبري في تاريخه (٢/٤٠) ط. دار الكتب العلمية. مع اختلاف عما حكاه السهيلي - رحمه الله تعالى - هنا.

(٢) أخرجه البخاري (٣/١٣٧) ومسلم (١٥٣٧). وفيهما «في شرّ خيبة».

نواح قريش على قتلاهم:

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: ناحت قريش على قتلاهم، ثم قالوا: لا تفعلوا فيبلغ محمداً وأصحابه، فيشمتوا بكم؛ ولا تبعثوا في أسراكم حتى تستأنوا بهم لا يارب عليكم محمد وأصحابه في الفداء. قال: وكان الأسود بن المطَّلَب قد أصيب له ثلاثة من ولده، زمعة بن الأسود، وعقيل بن الأسود، والحارث بن زمعة، وكان يحب أن يبكي على بنيهِ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل، فقال لغلام له وقد ذهب بصره: انظر هل أحلَّ النَّخب؛ هل بكث قريش على قتلاها؟ لعلي أبكي على أبي حكيمة، يعني زمعة، فإن جوفي قد احترق قال: فلما رجع إليه الغلام قال: إنما هي امرأة تبكي على بغير لها أضلته. قال: فذاك حين يقول الأسود:

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ	وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ السُّهُودُ
فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرِ وَلَكِنْ	عَلَى بَذْرِ تَقَاصَرَتِ الْجُدُودُ
عَلَى بَذْرِ سَرَاةِ بَنِي هُصَيْنِصٍ	وَمَخْزُومٍ وَرَهْطِ أَبِي الْوَلِيدِ
وَبَكِّي إِنْ بَكَيْتِ عَلَى عَقِيلٍ	وَبَكِّي حَارِثًا أَسَدَ الْأَسُودِ
وَبَكِّيهِمْ وَلَا تَسْمِي جَمِيعًا	وَمَا لِأَبِي حَكِيمَةٍ مِنْ نَدِيدِ
أَلَا قَدْ سَادَ بَغْدَهُمْ رَجَالٌ	وَلَوْلَا يَوْمُ بَذْرِ لَمْ يَسُودُوا ^(١)

أراه في نوم، ثم رأيته في شرِّ حال، فقال: ما لقيتُ بعدكم راحةً إلا أن العذاب يخفف عني كلَّ يوم اثنين، وذلك أن رسول الله ﷺ ولد يوم الاثنين، وكانت ثويبة قد بشرته بمولده، فقالت له: أشعرت أن أمانةً ولدت غلاماً لأخيك عبد الله؟ فقل لها: اذهبي، فأنت حرة، فنفعه ذلك^(٢)، وفي في النار كما نفع أخاه أبا طالب ذبه عن رسول الله - ﷺ - فهو أهون أهل النار عذاباً، وقد تقدم في باب أبي طالب أن هذا النفع إنما هو نقصان من العذاب، وإلا فعمل الكافر كله مُحْبَطٌ بلا خلاف، أي: لا يجده في ميزانه، ولا يدخل به جنة، وقد كان رسول الله - ﷺ - يصل ثويبة من المدينة ويثحفها؛ لأنها كانت أرضعته،

(١) انظر تاريخ الطبري (٢/٤١). وكذا الخبر التالي.

(٢) كل عمل حسن يعملُه العبد كافرًا، فإنه يثاب عليه في الدنيا إما مالا أو صحة أو أولاد أو غير ذلك، حتى إذا جاء يوم القيامة لم يكن له من الحسنات شيئاً. قال تعالى: ﴿وقدما إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾. وقال تعالى: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾. وقال تعالى: ﴿من كان يريد الدنيا وزينتها...﴾ الآيات.

قال ابن هشام: هذا إقواء، وهي مشهور من أشعارهم، وهي عندنا إكفاء. وقد أسقطنا من رواية ابن إسحاق ما هو أشهر من هذا.

قال ابن إسحاق: وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمي، فقال رسول الله - ﷺ: «إنَّ له بمكة كَيْسًا تاجرًا ذا مال، وكأَنَّكم به قد جاءكم في طلب فداء أبيه؛ فلما قالت قريش لا تعجلوا بفداء أسرائكم لا يَأْرَبَ عليكم محمدٌ وأصحابه»، قال الْمُطَّلِبُ بن أبي وداعة - وهو الذي كان رسولُ الله - ﷺ - عني: صدقتم، لا تعجلوا وانسل من الليل فقدم المدينة، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم، فانطلق به.

أمر سهيل بن عمرو وفداؤه:

(قال): ثم بعثت قريش في فداء الأسارى، فقدم مكرز بن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم، أخو بني سالم بن عوف، فقال:

أَسْرْتُ سُهَيْلًا فَلَا أَبْتَغِي أَسِيرًا بِهِ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ
وَحِنْدِفٌ تَعْلَمُ أَنَّ الْفَتَى فَتَاهَا سُهَيْلٌ إِذَا يُظْلَمُ
ضَرَبْتُ بِذِي الشَّفْرِ حَتَّى انْثَنَى وَأَكْرَهْتَ نَفْسِي عَلَى ذِي الْعَلَمِ
وَكَانَ سُهَيْلٌ رَجُلًا أَعْلَمَ مِنْ شَفْتِهِ السُّفْلَى.

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لمالك بن الدخشم.

وأرضعت عمه حمزة، ولما افتتح مكة سأل عنها، وعن ابن لها اسمه: مسروح، فأخبر أنها قد ماتا.

ضبيرة:

وذكر المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة، وقد ذكر الخطابي عن العنبري أنه يقال فيه: ضبيرة بالضاد المعجمة، واسم أبي ضبيرة: عوف.

ابن الدخشم:

وذكر مالك بن الدخشم [بن مرزخة] ويقال فيه: الدخيش، ويقال فيه: ابن الدخيش ويقال: إنه الذي سار رسول الله ﷺ رجل من الأنصار، فلم يدر ما ساره به حتى جهر النبي ﷺ، فإذا هو يستأذنه في قتله، وهو في حديث الموطأ، والذي ساره هو عتب بن

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن عمرو بن عطاء، أخو بني عامر بن لؤي: أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، دغني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو، ويدلغ لسانه، فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: «لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً»^(١).

قال ابن إسحاق: وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لعمر في هذا الحديث: «إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه».

قال ابن هشام: وسأذكر حديث ذلك المقام في موضعه إن شاء الله تعالى.

قال ابن إسحاق: فلما قاولهم فيه مكرز وانتهى إلى رضاهم، قالوا: هات الذي لنا، قال: اجعلوا رجلي مكان رجله، وخلّوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه، فخلّوا سبيل سهيل، وحبسوا مكرزاً مكانه عندهم، فقال مكرز:

فَدَيْتُ بِأَذْوَادِ ثِمَانٍ سَبَاً فَتَى
يَنَالُ الصَّمِيمَ غُرْمُهَا لَا الْمَوَالِيَا

مالك^(٢)، وقد برأ النبي ﷺ مالك بن الدخشم من النفاق، حيث قال: «أليس يشهد أن لا إله إلا الله؟ قالوا: بلى، قال: أليس يُصَلِّي؟ قالوا: بلى»، فقال في حديث الموطأ: «أولئك الذين نهاني الله عنهم»^(٣)، وقال في حديث مسلم: «فإن الله قد حرّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بها وجهه الله»^(٤).

حول شعر مكرز:

وذكر مكرز، وقد تقدم في اسم مكرز أنه يقال بكسر الميم وفتحها، ولكن لا يُزوَى في السيرة إلا بالكسر.

وقول مكرز:

فَدَيْتُ بِأَذْوَادِ ثِمَانٍ سَبَاً فَتَى

بكسر الثاء من ثمان، لأنه جمع ثمين، مثل سمين وسمان.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٨٧/١٤) والطبري في تاريخه (٤١/٢) من طريق ابن إسحاق به.
(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٣٧/١).
(٣) أخرجه مالك (١٣٧/١) والبيهقي (١٩٦/٨) وابن عبد البرقي التمهيد (١٦٢/٤٩/١٠).
وعبد الرزاق (١٨٦٨٨).
(٤) أخرجه البخاري (١١٦/١) ومسلم في المساجد (٢٦٣) والبيهقي (١٢٤/١٠) وابن خزيمة (١٦٥٣) وأبو عوانة (١٣/٢).

رَهَنْتُ يَدِي وَالْمَالُ أُيْسِرُ مِنْ يَدِي عَلِيٌّ، وَلَكِنِّي خَشِيتُ الْمَخَازِيَا
وَقُلْتُ: سُهَيْلٌ خَيْرُنَا فَادْمَبُوا بِهِ لَأَنْتَانَا حَتَّى تُدِيرَ الْأَمَانِيَا
قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا لمكرز.

أسر عمرو بن أبي سفيان وإطلاقه:

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، قال: كان عمرو بن أبي سفيان بن حُزْب، وكان لبنت عُقْبَة بن أبي مُعَيْط - قال ابن هشام: أم عمرو بن أبي سفيان بنت أبي عمرو، وأخت أبي مُعَيْط بن أبي عمرو - أسيرًا في يدي رسول الله ﷺ، من أسرى بَذْر.

قال ابن هشام: أسره علي بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر، قال: فقيّل لأبي سفيان: افْدِ عَمْرًا ابْنَكَ، قال: أُيْجَمِعُ عَلَيَّ دَمِي وَمَالِي! قَتَلُوا حَنْظَلَةَ، وَأَفْدِي عَمْرًا! دَعَوْهُ فِي أَيْدِيهِمْ يُنْسِكُوهُ مَا بَدَا لَهُمْ.

قال: فبينما هو كذلك، مَخْبُوسٌ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ خَرَجَ سَعْدُ بْنُ النُّعْمَانِ بْنِ أَكَّالٍ، أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ثُمَّ أَحَدُ بَنِي مُعَاوِيَةَ مُعْتَمِرًا وَمَعَهُ مُرِيَّةٌ لَهُ، وَكَانَ شَيْخًا مُسْلِمًا، فِي غَنَمٍ لَهُ النَّقِيعُ: فَخَرَجَ مِنْ هُنَالِكَ مُعْتَمِرًا، وَلَا يَخْشَى الَّذِي صُنِعَ بِهِ، لَمْ يَظُنْ أَنَّهُ يُحْبَسُ بِمَكَّةَ، إِنَّمَا جَاءَ مُعْتَمِرًا: وَقَدْ كَانَ عَهْدَ قَرِيشًا لَا يَغْرَضُونَ لِأَحَدٍ جَاءَ حَاجًّا، أَوْ مُعْتَمِرًا إِلَّا بِخَيْرٍ، فَعَدَا عَلَيْهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بِمَكَّةَ فَحَبَسَهُ بِابْنِهِ عَمْرًا، ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ:

أَرْهَطَ ابْنِ أَكَّالٍ أَجِيبُوا دُعَاءَهُ تَعَاقَدْتُمْ لَا تُسَلِّمُوا السَّيِّدَ الْكَهْلَا
فَإِنَّ بَنِي عَمْرِو لِنِئَامٍ أَذْلَةٌ لَنْ لَمْ يَفْكُوا عَنْ أَسِيرِهِمُ الْكَبْلَا
فأجابه حسان بن ثابت فقال:

لو كان سعد يوم مكة مُطْلَقًا لأكثرَ فيكم قبلَ أن يُؤسَرَ القَتْلَا
بِعَضْبِ حُسَامٍ أَوْ بِصَفْرَاءِ نَبْعَةٍ تحنّ إذا ما أنبضت تحفِزُ النَّبْلَا

ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله ﷺ فأخبروه خبره؛ وسألوه أن يعطيهم

عمرو بن أبي سفيان فيفكوا به صاحبهم، ففعل رسول الله - ﷺ - فبعثوا به إلى أبي سفيان، فخلّى سبيل سعد^(١).

أسر أبي العاص ابن الربيع

قال ابن إسحاق: وقد كان في الأسارى أبو العاص ابن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس، ختن رسول الله ﷺ، وزوج ابنته زينب.

قال ابن هشام: أسره خراش بن الصمة، أحد بني حرام.

سبب زواج أبي العاص من زينب:

قال ابن إسحاق: وكان أبو العاص من رجال مكة المغدودين: مالا، وأمانة، وتجارة، وكان لهالة بنت خويلد، وكانت خديجة خالته. فسألت خديجة رسول الله ﷺ أن يزوجه، وكان رسول الله ﷺ لا يخالفها، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي، فزوجه، وكانت تعدّه بمنزلة ولدها. فلما أكرم الله رسوله ﷺ بنبوته آمنت به خديجة وبناته، فصدقته، وشهدن أن ما جاء به الحق، ودين دينه، وثبت أبو العاص على شركه.

أبو العاصي ابن الربيع

وذكر أبا العاصي ابن الربيع بن عبد العزى، واسم أبي العاصي: لقيط، وقيل فيه: هاشم وقيل: مهشم، وقيل: هشيم، وهو الذي يقول في أهله زينب بنت رسول الله - ﷺ - وكان بالشام تاجرًا حين قالها:

ذكرت زينب لما يمت إضمًا^(٢) فقلت: سقيا لشخص يسكن الحرما

بنت الأمين جزاها الله صالحا وكُلُّ بغل سيثني بالذي علما

ولدت له زينب بنت رسول الله ﷺ أمامة وعليا، مات علي وهو صغير، وتزوج أمامة علي بن أبي طالب، وتزوجها بعده المغيرة بن نوفل، وهي التي جاء فيها الحديث رواه عمرو بن سليم الزرقى عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ كان يصلي، وهو حامل أمامة بنت زينب الحديث^(٣) قال عمرو بن سليم: كانت تلك الصلاة صلاة الصبح، هكذا رواه

(١) انظر تاريخ الطبري (٤٢/٢).

(٢) إضمًا: وادٍ دون المدينة، وقيل: موضع ماء بين مكة واليمامة.

(٣) حديثه ﷺ لأمامة في الصلاة أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

سعي قريش في تطليق بنات الرسول من أزواجهن:

وكان رسول الله ﷺ قد زوج عثبة بن أبي لهب رقية، أو أم كلثوم. فلما بادى قريشًا بأمر الله تعالى وبالعداوة، قالوا: إنكم قد فرغتم محمدًا من هممه، فردوا عليه بناته، فاشغلوه بهن. فمشوا إلى أبي العاص فقالوا له: فارق صاحبك ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت، قال: لا والله، إني لا أفارق صاحبتني، وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش. وكان رسول الله ﷺ يشي عليه في صهره خيرًا، فيما بلغني. ثم مشوا إلى عثبة بن أبي لهب، فقالوا له: طلق بنت محمد ونحن نكحك أي امرأة من قريش شئت، فقال: إن زوجتموني بنت أبان بن سعيد بن العاص، أو بنت سعيد بن العاص فارقتها. فزوجوه بنت سعيد بن العاص وفارقها، ولم يكن دخل بها، فأخرجها الله من يده كرامة لها، وهوانًا له، وخلف عليها عثمان بن عفان بعده.

أبو العاص عند الرسول وبعث زينب في فدائه:

وكان رسول الله ﷺ لا يُحَلِّ بِمَكَّة ولا يحرم، مغلوبًا على أمره، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب بنت رسول الله ﷺ حين أسلمت وبين أبي العاص ابن الربيع، إلا أن رسول الله ﷺ كان لا يقدر أن يفرّق بينهما، فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه، حتى هاجر رسول الله ﷺ، فلما صارت قريش إلى بدر، صار فيهم أبو العاص بن الربيع فأصيب في الأسارى يوم بدر، فكان بالمدينة عند رسول الله ﷺ.

[عبد الملك بن عبد العزيز] بن جريج عن ابن عتاب عن عمرو بن سليم، ورواه ابن إسحق في غير السيرة عن المقبري عن عمرو بن سليم، فقال فيه: في إحدى صلاتي الظهر أو العصر، وكان الذي أسر أبا العاصي من الأنصار عبد الله بن جبير، ذكره غير ابن إسحق، وكانت رقية بنت رسول الله ﷺ تحت عثبة بن أبي لهب، وأم كلثوم تحت عثبة، فطلقاهما بعزم أبيهما عليهما وأمهما حين نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾^(١) فأما عثبة، فدعا عليه النبي ﷺ أن يُسلط الله عليه كلبًا من كلابه فافترسه الأسد من بين أصحابه، وهم نيام حوله، وأما عثبة ومعتب ابنا أبي لهب، فأسلما ولهما عقب.

وقوله في خبر هند: فلا تضطني مني. تضطني، أي: لا تنقبضي عني وشاهدته [قول الطرماح بن حكيم]:

إِذَا ذَكَرْتَ مَسْعَاةَ وَالِدِهِ اضْطَنَى وَلَا يَضْطَنِي مِنْ شَمِّ أَهْلِ الْفَضَائِلِ

(١) سورة المسد آية رقم (١).

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، عن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسرائهم، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص ابن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها، قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقّة شديدة وقال: إن رأيتم أن تطلقوها لها أسيرها، وتردوا عليها مالها، فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسول الله. فأطلقوه، وردوا عليها الذي لها.

خروج زينب إلى المدينة تأهبها وإرسال الرسول رجلين ليصحبها

وكان رسول الله ﷺ قد أخذ عليه، أو وعد رسول الله ﷺ ذلك، أن يخلي سبيل زينب إليه، أو كان فيما شرط عليه في إطلاقه، ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله ﷺ فيعلم ما هو، إلا أنه لما خرج أبو العاص إلى مكة وخلي سبيله، بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار مكانه، فقال: كونا بيطن يأجج حتى تمر بكما زينب، فتصحبها حتى تأتياني بها، فخرجا مكانهما، وذلك بعد بذر بشهر أو شيعه، فلما قدم أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها، فخرجت تجهز.

هند تحاول تعرف أمر زينب:

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر، قال: حدثت عن زينب أنها قالت: بينا أنا أتجهز بمكة للحوق بأبي لقيتني هند بنت عتبة، فقالت: يا بنت محمد، ألم يبلغني أنك تريدن اللحوق بأبيك؟ قالت: فقلت: ما أردت ذلك، فقالت: أي ابنة عمي، لا تفعلي، إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك، أو بمال تتبلغين به إلى أبيك، فإن عندي حاجتك، فلا تضطني مني، فإنه لا يدخل بين النساء ما بين الرجال. قالت: والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل، قالت: ولكني خفتها، فأنكرت أن أكون أريد ذلك، وتجهزت.

ما أصاب زينب من قريش عند خروجها ومشورة أبي سفيان

فلما فرغت بنت رسول الله ﷺ من جهازها قدم لها حموها كنانة بن الربيع أخو

هكذا وجدته في حاشية الشيخ، وقد روي هذا البيت في الحماسة: يضني بالضاد المعجمة، وكأنه يفتعل من الضنى وهو الضعف.

اتباع قريش لزينب

فصل: وذكر خروج زينب بنت رسول الله - ﷺ - من مكة، واتباع قريش لها، قال:

زَوْجَهَا بَعِيرًا، فَرَكِبَتْهُ، وَأَخَذَ قَوْسَهُ وَكِنَانَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ بِهَا نَهَارًا يَقُودُ بِهَا، وَهِيَ فِي هَوْدَجٍ لَهَا. وَتَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهَا حَتَّى أَدْرَكُوهَا بِذِي طُوى، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَبَقَ إِلَيْهَا هَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَالْفِهْرِيُّ، فَرَوَّعَهَا هَبَّارٌ بِالرَّمْحِ وَهِيَ فِي هَوْدَجِهَا، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ حَامِلًا - فِيمَا يَزْعُمُونَ - فَلَمَّا رِيَعَتْ طَرَحَتْ ذَا بَطْنِهَا وَبَرَكَ حَمُوهَا كِنَانَةً، وَنَثَرَ كِنَانَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَدْنُو مِنِّي رَجُلٌ إِلَّا وَضَعْتُ فِيهِ سَهْمًا، فَتَكَزَّكَرَ النَّاسُ عَنْهُ. وَأَتَى أَبُو سَفْيَانَ فِي جَلَّةٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، كَفَّ عَنَّا نَبْلَكَ حَتَّى نَكْلُمَكَ، فَكَفَّ؛ فَأَقْبَلَ أَبُو سَفْيَانَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَمْ تُصِيبْ، خَرَجْتَ بِالْمَرْأَةِ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ عَلَانِيَةً، وَقَدْ عَرَفْتَ مُصِيبَتَنَا وَنَكْبَتَنَا، وَمَا دَخَلَ عَلَيْنَا مِنْ مُحَمَّدٍ، فَيُظَنُّ النَّاسُ إِذَا خَرَجْتَ بِابْنَتِهِ إِلَيْهِ عَلَانِيَةً عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا أَنَّ ذَلِكَ عَنْ ذَلِّ أَصَابِنَا عَنْ مُصِيبَتِنَا الَّتِي كَانَتْ، وَأَنَّ ذَلِكَ مَنَّا ضَعْفٌ وَوَهْنٌ، وَلَعَمْرِي مَا لَنَا بِحَبْسِهَا عَنْ أَبِيهَا مِنْ حَاجَةٍ، وَمَا لَنَا فِي ذَلِكَ مِنْ ثُورَةٍ، وَلَكِنْ أَرْجِعْ بِالْمَرْأَةِ، حَتَّى إِذَا هَدَأَتِ الْأَصْوَاتُ، وَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنْ قَدْ رَدَدْنَاها، فَسَلِّهَا سِرًّا، وَأَلْحِقْهَا بِأَبِيهَا؛ قَالَ: فَفَعَلَ. فَأَقَامَتْ لِيَالِي، حَتَّى إِذَا هَدَأَتِ الْأَصْوَاتُ خَرَجَ بِهَا لَيْلًا حَتَّى أَسْلَمَهَا إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَصَاحِبِهِ، فَقَدِمَا بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَسَبَقَ إِلَيْهَا هَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ وَالْفِهْرِيُّ، وَلَمْ يُسَمِّ ابْنُ إِسْحَاقَ الْفِهْرِيَّ، وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ: هُوَ نَافِعُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ، وَفِي غَيْرِ السِّيرَةِ أَنَّهُ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ، هَكَذَا ذَكَرَهُ الْبَزَارُ فِيمَا بَلَغَنِي.

وَذَكَرَ أَنَّ زَيْنَبَ حِينَ رَوَّعَهَا هَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ أَلْقَتْ ذَا بَطْنِهَا، وَزَادَ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّهُ نَخَسَ بِهَا الرَّاحِلَةَ فَسَقَطَتْ عَلَى صَخْرَةٍ، وَهِيَ حَامِلٌ فَهَلَكَ حَنِينُهَا، وَلَمْ تَزَلْ تُهْرِيقُ الدَّمَاءَ حَتَّى مَاتَتْ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ إِسْلَامِ بَغْلِهَا أَبِي الْعَاصِي.

وَذَكَرَ الزَّبِيرُ أَنَّ هَبَّارَ بْنَ الْأَسْوَدِ لَمَّا أَسْلَمَ وَصَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسُبُّونَهُ بِمَا فَعَلَ، حَتَّى شَكَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَقَالَ: «سُبِّ مِنْ سَبِّكَ يَا هَبَّارُ»^(١)، فَكَفَّ النَّاسُ عَنْ سَبِّهِ بَعْدَ. وَلَدَتْ زَيْنَبُ [أُمَامَةً] وَهِيَ الَّتِي جَاءَ فِيهَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ عَمْرُو بْنُ السَّلِيمِ بْنُ خَلْدَةَ بْنِ مَخْلَدٍ بْنُ عَامِرِ بْنِ زُرَيْقٍ الزُّرَقِيُّ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ الْحَدِيثِ. قَالَ عَمْرُو بْنُ سَلِيمٍ إِلَى آخِرِ مَا تَقْدُمُ قَرِيبًا.

(١) لَا أَظُنُّ أَنَّ مِنْ أَخْلَاقِ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَعْبُدُوا مُسْلِمًا بِمَا كَانَ مِنْهُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، فَضْلًا أَنْ يَقُولَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبِّ مِنْ سَبِّكَ مِنَ الصَّحَابَةِ»!!! وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ. وَانْظُرْ تَرْجُمَةَ هَبَّارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْاِسْتِيعَابِ (١٥٣٦/٤).

شعر لأبي خيثمة فيما حدث لزینب

قال ابن إسحاق: فقال عبد الله بن رَوَاحَة، أو أبو خَيْثَمَة، أخو بني سالم بن عوف، في الذي كان من أمر زينب، قال ابن هشام: هي لأبي خَيْثَمَة:

أتاني الذي لا يقدّر الناس قدره	لزينب فيهم من عقوق ومأثم
وأخراجها لم يُخزَ فيها محمّد	على مَاقِطٍ وبيننا عِطرٌ منشّم
وأَمسى أبو سُفيان من حلفِ ضَمضم	ومن حَرَبنا في رَغم أنفٍ ومَندم
فَرئنا ابنه عَمرا ومولى يمينه	بذي حَلَقٍ جَلَد الصَّلاصِل مُحكّم
فأقسمتُ لا تُنفك منّا كَتائبُ	سُراةٌ خَميسٍ في لَهام مُسوم
نزوعُ قَرِيش الكُفَرِ حتى نعلّها	بخاطمةٍ فوق الأنوف بِمِيسَم
نُنزّلهم أَكْفاف نَجِدٍ ونُخله	وإن يُثْهِموا بالخيل والرَّجل نُثْهِم

تفسير قصيدة أبي خيثمة

وذكر شعر ابن رَوَاحَة، وقيل: بل قالها أبو خَيْثَمَة، وفيها:

على مَاقِطٍ وبيننا عِطرٌ منشّم

المَاقِطُ: مُعْتَرِك الحرب، وعِطرٌ منشّم كناية عن شدّة الحرب، وهو مَثَلٌ، وأصله - فيما زعموا - أن منشّم كانت امرأة من خُزاعة تبيع العطر والطيب، فيُشْتَرى منها للموتى، حتى تَشاءموا بها لذلك، وقيل: إن قومًا تحالفوا على الموت، فغمسوا أيديهم في طيب منشّم المذكورة تأكيدًا للحلف، فضربَ طيبها مثلاً في شدّة الحرب، وقيل: منشّم امرأة من غُدانة، وهو بطن من تميم، ثم من بني يربوع بن حَنْظَلَة وأن هذه المرأة هي صاحبة يَسارٍ الذي يقال له: يَسار الواعب، وأنه كان عبدًا لها، وأنه راودها عن نفسها، فقالت له: أمهل حتى أَشْمَكَ طيبَ الحرائر، فلمّا أمكنها من أنفه أنخث عليه بالموسى حتى أوعبته جَدْعًا^(١)، ف قيل في المثل: لاقى الذي لاقى يَسارَ الكَواعِب، ف قيل: عِطرٌ منشّم.

وفي الشعر:

بذي حَلَقٍ جَلَد الصَّلاصِل مُحكّم

يعني: الغُلّ، والصَّلاصِل جمع: صَلَصَلَة، وهي صَلَصَلَة الحديد.

(١) أوعبته جدعًا: استأصلته قطع.

يَدَ الدَّهْرِ حَتَّى لَا يُعَوِّجَ سِرْبُنَا وَتُنْدَمَ قَوْمٌ لَمْ يُطِيعُوا مُحَمَّدًا
عَلَى أَمْرِهِمْ وَأَيَّ حَيْنٍ تَنْدُمُ فَأَبْلُغْ أَبَا سُفْيَانَ إِمَّا لَقِيْتَهُ
لَنْ أَنْتَ لَمْ تُخْلِصْ سَجُودًا وَتُسَلِّمَ فَأَبَشِّرْ بِخَزْيٍ فِي الْحَيَاةِ مُعَجَّلَ
وَسِرْبَالٍ قَارٍ خَالِدًا فِي جَهَنَّمَ

قال ابن هشام: ويروى: وسربال نار.

الخلاف بين ابن إسحاق وابن هشام في مولى يمين أبي سفيان:

قال ابن إسحاق: ومولى يمين أبي سفيان، الذي يعني: عامر بن الحضرمي، كان في الأسارى، وكان حلف الحضرمي إلى حرب بن أمية.

قال ابن هشام: مولى يمين أبي سفيان، الذي يعني: عقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي، فأما عامر بن الحضرمي فقتل يوم بدر.

شعر هند وكنانة في خروج زينب:

ولما انصرف الذين خرجوا إلى زينب لقيتهم هند بنت عتبة، فقالت لهم:
أَفِي السُّلَمِ أَغْيَارًا جَفَاءً وَغِلْظَةً وَفِي الْحَرْبِ أَشْبَاهَ النِّسَاءِ الْعَوَارِكِ

وذكر قول هند بنت عتبة لفل قريش حين رجعوا من بدر.

أَفِي السُّلَمِ أَغْيَارًا جَفَاءً وَغِلْظَةً وَفِي الْحَرْبِ أَشْبَاهَ النِّسَاءِ الْعَوَارِكِ

يقال: عَرَكَتِ الْمَرْأَةُ وَدَرَسَتْ وَطَمِثَتْ إِذَا حَاضَتْ، وَقَدْ قِيلَ أَيْضًا: يَقَالُ: ضَحِكْتُ إِذَا حَاضَتْ، وَتَأَوَّلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسْنَاهَا بِإِسْحَاقٍ﴾^(١) وَقَدْ قِيلَ أَيْضًا: يَقَالُ: أَكْبَرَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا حَاضَتْ، وَحَمَلَ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَكْبَرَتْهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾^(٢) وَالْهَاءُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ مِنْ أَكْبَرَتْهُ عَائِدَةٌ عَلَى الْمَصْدَرِ، وَهُوَ تَأْوِيلٌ ضَعِيفٌ، وَنَصَبَ أَغْيَارًا عَلَى الْحَالِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ فِعْلٌ مُخْتَزَلٌ لِأَنَّهُ أَقَامَ الْأَغْيَارَ مَقَامَ اسْمٍ مُشْتَقٍّ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَفِي السُّلَمِ بُلْدَاءَ جَفَاءَ مِثْلَ الْأَغْيَارِ، وَنَصَبَ جَفَاءَ وَغِلْظَةً نَصَبَ الْمَصْدَرِ الْمَوْضُوعِ مَوْضِعَ الْحَالِ، كَمَا تَقُولُ: زَيْدُ الْأَسَدِ شِدَّةٌ، أَيْ يَمِثُّهُ مِمَّاثِلُهُ شَدِيدَةٌ؛ فَالشَّدَّةُ صِفَةٌ لِلْمِمَّاثِلَةِ، كَمَا أَنَّ الْمَشَافَهَةَ صِفَةٌ لِلْمُكَالِمَةِ، إِذَا قُلْتَ: كَلَّمْتُهُ مُشَافَهَةً فَهَذِهِ حَالٌ مِنَ الْمَصْدَرِ فِي الْحَقِيقَةِ، وَتَعَلَّقَ حَرْفُ الْجَرِّ مِنْ قَوْلِهَا: أَفِي السُّلَمِ، بِمَا أَدَّتْهُ الْأَغْيَارُ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ، فَكَأَنَهَا قَالَتْ:

(١) سورة هود آية رقم (٧١).

(٢) سورة يوسف آية رقم (٣١).

وقال كِنَانَةُ بن الرَّبِيع في أمر زَيْنَب، حين دَفَعَهَا إلى الرَّجُلَيْنِ:

عَجِبْتُ لِهَبَّارٍ وَأَوْبَاشٍ قَوْمِهِ يُرِيدُونَ إِخْفَارِي بِبِنْتِ مُحَمَّدٍ
ولستُ أَبَالِي مَا حَيِّثُ عَدِيدَهُمْ وما استجمعتُ قَبْضًا يَدِي بِالْمُهَنْدِ

الرسول يحلّ دم هبار:

قال ابن إسحاق: حدّثني يزيد بن أبي حبيب، عن بُكَيْر بن عبد الله بن الأشج، عن سليمان بن يسار، عن أبي إسحاق الدؤسي، عن أبي هريرة، قال: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ سرِّيَّةً أنا فيها، فقال لنا: «إن ظفّرتُم بهبَّار بن الأسود، أو الرجل (الآخر) الذي سبقَ معه إلى زينب - قال ابن هشام: وقد سُمي ابن إسحاق الرجل في حديثه (وقال: هو نافع بن عبد قيس) فحرّقوهما بالنار»^(١). قال: فلمّا كان الغدُ بعث إلينا، فقال: إني كنتُ أمرتكم بتخريق هذين الرجلين إن أخذتموهما، ثم رأيتُ أنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا الله، فإن ظفّرتُم بهما فاقتلوهما.

إسلام أبي العاص بن الربيع:

استيلاء المسلمين على تجارة معه وإجارة زينب له:

قال ابن إسحاق: وأقام أبو العاص بمكة، وأقامت زَيْنَب عند رسول الله ﷺ بالمدينة، حين فرّق بينهما الإسلام، حتى إذا كان قبيلَ الفتح خرج أبو العاص تاجرًا إلى الشام، وكان رجلاً مأمونًا، بمال له وأموال لرجال من قريش، أضعوها معه، فلمّا فرغ من تجارته وأقبل قافلًا، لقيته سرِّيَّة لرسول الله ﷺ، فأصابوا ما معه، وأعجزهم هاربًا، فلمّا قَدِمَتِ السَّرِيَّة بما أصابوا من ماله، أقبل أبو العاص تحت الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ، فاستجار بها، فأجارته، وجاء في طلب ماله، فلمّا خرج رسولُ الله ﷺ إلى الصُّبْح - كما حدّثني يزيد بن رومان - فكَبُرَ وكَبُرَ الناس معه، صرخت زينب من صُفَّة النساء: أيها الناس، إني قد أجزتُ أبا العاص بن الربيع. قال: فلما سلّم

أفي السِّلْم تَتَبَلَّدُونَ، وهذا الفعل المختزل الناصب للأعيار لا يجوز إظهاره للسر الذي نبهنا عليه في قول المبرق [عبد الله بن الحارث]:

وَعَائِدًا بِكَ أَنْ يَعْلُوا فَيُطْغُونِي

انظره في الهجرة إلى الحبشة.

(١) أخرجه الدارمي (٢/٢٢٢) وابن أبي شيبة (١٢/٣٨٩).

رسول الله ﷺ من الصلاة أقبل على الناس، فقال: «أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت؟» قالوا: نعم؛ قال: «أما والذي نفس محمد بيده ما علمتُ بشيء من ذلك حتى سمعتُ ما سمعتم، إنه يُجير على المسلمين أذنهم». ثم انصرف رسول الله ﷺ، فدخل على ابنته، فقال: «أي بُنية، أكرمي مثواه، ولا يَخْلُصَنَّ إليك، فإنك لا تحلين له»^(١).

المسلمون يردون عليه ماله ثم يسلم:

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر: أن رسول الله ﷺ بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص، فقال لهم: إن هذا الرجل مئاً حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تُخسِنوا وتردّوا عليه الذي له، فإننا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحقّ به؛ فقالوا: يا رسول الله، بل نردّه عليه، فردّوه عليه، حتى إن الرجل ليأتي بالذلّوا ويأتي الرجل بالشئنة وبالإداوة، حتى إن أحدهم ليأتي بالشظاظ، حتى ردّوا عليه ماله بأسره، لا يفقد منه شيئاً. ثم احتمل إلى مكة، فأدّى إلى كلّ ذي مال من قريش ماله، ومن كان أبضع معه، ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا. فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفياً كريماً قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوّف أن تظنّوا أنني أردت أن آكل أموالكم، فلمّا أذاها الله إليكم وفرغت منها أسلمت. ثم خرج حتى قدّم على رسول الله ﷺ.

زوجته تردّ إليه

قال ابن إسحاق: وحدثني داود بن الحُصَيْن عن عكرمة عن ابن عباس قال: ردّ عليه رسول الله ﷺ زينب على النكاح الأول لم يُحدث شيئاً (بعد ست سنين).

ردّ زينب على زوجها

وذكر عن داود بن الحُصَيْن عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ ردّ زينب على أبي العاصي على النكاح الأول، لم يُحدث شيئاً بعد ست سنين، ويعارض هذا الحديث ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن النبي ﷺ ردّها عليه بنكاح جديد، وهذا الحديث هو الذي عليه العمل، وإن كان حديث داود بن الحُصَيْن أصحَّ إسناداً عند أهل الحديث ولكن لم يُقل به أحد من الفقهاء فيما علمت لأن الإسلام قد كان فرّق بينهما، قال الله تعالى: ﴿لَا هُنَّ

(١) انظر الطبراني (٩/١٨٥).

مثل من أمانة أبي العاص:

قال ابن هشام: وحدثني أبو عُبَيْدة: أن أبا العاص ابن الرِّبيع لما قَدِم من الشام ومعه أموالُ المُشركين، قيل له: هل لك أن تُسَلِّمَ وتأخذ هذه الأموالَ، فإنها أموالُ المُشركين؟ فقال أبو العاص: بئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي.

قال ابن هشام: وحدثني عبدُ الوارث بن سَعِيد التَّنُورِي، عن داود بن أَسَدٍ هِنْد، عن عامر الشَّعْبِي، بنحو من حديث أبي عُبَيْدة، عن أبي العاص.

الذين أطلقوا من غير فداء:

قال ابن إسحاق: فكان ممن سُمِّي لنا من الأسارى مَمَّنْ مَنْ عليه بغير فداء، من بني عَبْدِ شمس بن عبد مناف: أبو العاص ابن الرِّبيع بن عبد العُزَّى بن عبد شمس مَنْ عليه رسول الله ﷺ بعد أن بَعَثت زينب بنت رسول الله ﷺ بفدائه. ومن بني مَخْزُوم بن يَظْظَ: الْمُطَّلِب بن حَنْطَب بن الحارث بن عُبَيْدة بن عُمَر بن مَخْزُوم، كان لبعض بني الحارث بن الْخَزْرَج، فَتَرَكَ في أيديهم حتى خَلُّوا سبيلَه. فَلَحِقَ بقومه.

قال ابن هشام: أسره خالد بن زيد، أبو أَيُّوب الأنصاري، أخو بني النَجَّار.

حَلُّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحْلُونَ لَهُنَّ^(١) وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ قَالَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَعْنَى رَدِّهَا عَلَيْهِ عَلَى النِّكَاحِ الْأَوَّلِ، أَيْ: عَلَى مِثْلِ النِّكَاحِ الْأَوَّلِ، فِي الصَّدَاقِ وَالْحَبَاءِ لَمْ يُخْدَثْ زِيَادَةٌ عَلَى ذَلِكَ مِنْ شَرَطٍ، وَلَا غَيْرِهِ.

شعر بلال في مقتل أمية:

وذكر قتل بلالٍ لأمية بن خلف ولم يذكر شعره في ذلك، وذكره ابن إسحاق في غير هذه الرواية وهو:

فَلَمَّا التَّقِينَا لَمْ نُكْذِبْ بِحَمَلَةٍ	عَلَيْهِمْ بِأَسْيَافٍ لَنَا كَالْعَقَائِقِ
وَمَطْرُورَةٍ حُمْرُ الظُّبَابَةِ كَأَنَّهَا	إِذَا رُفِعَتْ أَشْطَانُ ذَاتِ الْأَبَارِقِ
بَنِي جُمَحٍ قَدْ حُلَّ قَعَصٌ بِشَيْخِكُمْ	عَلَى مَاءٍ بَذَرَ رَأْسَ كُلِّ مُنَافِقٍ
هَجَمْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ وَاشْتَجَرَتْ بِهِ	مَصَالِيْتُ لِالْأَنْصَارِ غَيْرُ زَوَاهِقِ
هَوَى حِينَ لَأَقَانَا وَفُرِّقَ جَمْعُهُ	عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ مِنْ رَأْسٍ حَالِقِ

(١) سورة الممتحنة آية رقم (١٠).

قال ابن إسحاق: وصيقي بن أبي رفاعة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم،
تُرك في أيدي أصحابه، فلمَّا لم يأت أحدٌ في فدائه أخذوا عليه لبيعتهن إليهم بفدائه،
فخلَّوا سبيله، فلم يَفِ لهم بشيء، فقال حسان بن ثابت في ذلك:

وما كان صيقي ليوفي ذمَّةً قفا تُغلبُ أغيا ببعضِ المَواردِ

قال ابن هشام: وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحاق: وأبو عزة، عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن خذافة بن
جُمَح، كان محتاجًا ذا بنات، فكلم رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، لقد عرفتَ
ما لي من مالٍ، وإني لذو حاجة، وذو عيال، فامئن عليّ؛ فمنّ عليه رسول الله ﷺ،
وأخذ عليه ألا يُظاهر عليه أحدًا. فقال أبو عزة في ذلك، يمدح رسول الله ﷺ، ويذكر
فضله في قومه:

مَنْ مُبْلَغُ عَنِّي الرُّسُولَ مُحَمَّدًا	بأنك حق والمليك حميدٌ
وأنت امرؤ وتَدْعُو إلى الحق والهدى	عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤ بُوِّثَ فينا مَبَاءَةٌ	لها درجات سهلة وصعود
فإنك مَنْ حَارَبْتَهُ لُمُحَارَبٌ	شقي ومن سألته لسعيد
ولكن إذا ذُكِرْتُ بدرا وأهلَه	تأوب ما بي: خسرة وقعود

ثمن الفداء:

قال ابن هشام: كان فداء المشركين يومئذ أربعة آلاف درهم للرجل، إلى ألف
درهم، إلا من لا شيء له، فمن رسول الله ﷺ عليه.

وذكر الزبير في هذا الخبر عن ابن سلام عن حماد بن سلمة أن أمية حين أحاطت به
الأنصار، قال: يا أحدُ رأى، أما لكم باللبن حاجة؟ قال: وكان أمية يُذكر بفصاحته، ومعنى
هذا الكلام: هل رأى أحدٌ مثل هذا، ثم قرن الزبير هذا الحديث بحديث أسنده عن مقاتل بن
سُلَيْمان، قال: قال النضر بن الحارث حين نزلت: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ
العابدين﴾ [الزخرف: ٨١] الآية، وكان النضر قد قال: الملائكة بنات الرحمن، فلما سمع
الآية قال: ألا تراه قد صدَّقني، فقال له أمية بن خلف - وكان أفصح منه - لا والله، بل
كذَّبك؛ فقال ما كان للرحمن من ولد، ورؤي عن ثعلب أنه قال في قول أمية، يا أحد: يا
استفتاح، ومعناه يا هؤلاء أجد راء.

إسلام عُمير بن وهب

صفوان يحرضه على قتل الرسول:

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير قال: جلس عُمير بن وهب الجُمحي مع صفوان بن أمية بعد مُصاب أهل بدر من قُريش في الحِجر بيسير، وكان عُمير بن وهب شيطانًا من شياطين قُريش، وممَّن كان يُؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عَناء وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عُمير في أسارى بدر.

قال ابن هشام: أسره رفاعه بن رافع أحد بني زُرَيْق.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: فذكر أصحاب القليب ومُصابهم، فقال صفوان: والله إن في العيش بعدهم خير؛ قال له عُمير: صدقت والله، أمّا والله لولا دين عليّ ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي، لركبتُ إلى محمد حتى أقتله، فإنّ لي قبلهم علة: ابني أسير في أيديهم؛ قال: فاغتنمها صفوان وقال عليّ دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقُوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم، فقال له عُمير: فاكتم شأني وشأنك؛ قال: أفعل.

رؤية عمر له وإخباره الرسول بأمره:

قال: ثم أمر عُميرُ بسيفه، فشجذ له وسُم، ثم انطلق حتى قدِم المدينة؛ فبينما عمرُ بن الخطّاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم من عدوّهم، إذ نظر عمرُ إلى عُمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشّحًا السيف، فقال: هذا الكلب عدوّ الله عُمير بن وهب، والله ما جاء إلا لشرّ، وهو الذي حرّش بيننا، وحزّرتنا للقوم يوم بدر.

إسلام عمير بن وهب^(١)

فصل: وذكر إسلام عُمير بن وهب إلى آخره، وليس فيه ما يُشكّل.

(١) انظر ترجمته في الاستيعاب (١٢٢١/٣). وانظر الخبر في تاريخ الطبري (٤٤/٢) والمنتظم (١٢٥/٣).

ثم دخل عُمر على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه؛ قال: فأدخله عليّ، قال: فأقبل عُمر حتى أخذ بحِمالة سيفه في عنقه فلبّبه بها، وقال لرجال ممّن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غيرُ مأمون؛ ثم دخل به على رسول الله ﷺ.

الرسول يحدثه بما بينه هو وصفوان فيسلم:

فلما رآه رسول الله ﷺ، وعمرُ آخذٌ بحِمالة سيفه في عنقه، قال: أُرسله يا عمر، اذنُ يا عُمر؛ فدنا ثم قال: انعموا صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عُمر، بالسلام: تحية أهل الجنة». فقال: أما والله يا محمد إن كنتُ بها لحديث عهد؛ قال: فما جاء بك يا عُمر؟ قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه؛ قال: فما بالُ السيف في عنقك؟ قال: قبّحها الله من سُيوف، وهل أغنت عناً شيئاً؟ قال: اضدقني، ما الذي جئت له؟ قال: ما جئتُ إلا لذلك، قال: بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دينُ عليّ وعيالٌ عندي لخرجتُ حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بدّينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائلُ بينك وبين ذلك؛ قال عُمر: أشهد أنك رسولُ الله، وقد كنّا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله^(١)، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق. فقال رسولُ الله ﷺ: «فقّهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيرَه»، ففعلوا.

رجوعه إلى مكة يدعو للإسلام:

ثم قال: يا رسول الله، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد للأذى لمن كان على دين الله عزّ وجلّ، وأنا أحبُّ أن تأذن لي، فأقدم مكة، فأدعوهم إلى الله تعالى،

(١) شهد عمير أن الذي أخبر النبي ﷺ الخبر هو الله عزّ وجلّ، وفيه شهادة له ﷺ أنه لا يعلم الغيب كما صرح القرآن والسنة الصحيحة، فقد أخبره تعالى خبر عمير كما في قوله تعالى أيضاً: ﴿قل نبأني العليم الخبير﴾.

وإلى رسوله ﷺ، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم؟ قال: فأذن له رسول الله ﷺ، فلحق بمكة. وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب، يقول: أبشروا بوقعة تأتكم الآن في أيام، تُنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبداً، ولا يتفعه بنفع أبداً.

قال ابن إسحاق: فلما قدم عمير مكة، أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذي من خالفه أذى شديداً، فأسلم على يديه ناس كثير.

هو أو ابن هشام الذي رأى إبليس وما نزل فيه

قال ابن إسحاق: وعمير بن وهب، أو الحارث بن هشام، قد ذكر لي أحدهما، الذي رأى إبليس حين نكص على عقبيه يوم بدر، فقال: أين، أي سراق؟ ومثل عدو الله فذهب، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾^(١). فذكر استدراج إبليس إياهم، وتشبهه بسراقه بن مالك بن جعشم لهم، حين ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة في الحرب التي كانت بينهم. يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ﴾ ونظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة، قد أيد الله بهم رسوله ﷺ والمؤمنين على عدوهم ﴿نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾. وصدق عدو الله، رأى ما لم يروا، وقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. فذكر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقه لا ينكرونه، حتى إذا كان يوم بدر، والتقى الجمعان نكص على عقبيه، فأوردتهم ثم أسلمهم.

هل تجسّد إبليس في غزوة بدر؟

وذكر في آخر الحديث أن عمير بن وهب هو الذي رأى إبليس يوم بدر حين نكص على عقبيه، وذكر غيره أن الحارث بن هشام تشبّث به، وهو يرى أنه سراقه بن مالك، فقال: إني أين سراق أين تفرّ فلکمہ لکمة طرحه على قفاه، ثم قال: إني أخاف الله رب العالمين، وإنما كان تمثّل في صورة سراقه المذلجي، لأنهم خافوا من بني مذلج أن يعرضوا لهم، فيشغلوهم من أجل الدماء التي كانت بينهم، فتمثّل لهم إبليس في صورة سراقه المذلجي، وقال: إني جار لكم من الناس، أي: من بني مذلج، ويروى أنهم رأوا سراقه

(١) سورة الأنفال آية رقم (٤٨) وما وليها.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: نكص: رجع. قال أوس بن حجر، أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم:

نَكَصْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ يَوْمَ جِثْتُمْ تُزْجُونَ أَنْفَالَ الْخَمِيسِ الْعَرْمَرِ
وهذا البيت في قصيدة له.

شعر لحسان في الفخر بقومه وما كان من تغرير إبليس بقریش:

قال ابن إسحق: وقال حسان بن ثابت:

قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ آوَا نَبِيَّهُمْ وَصَدَّقُوهُ وَأَهْلُ الْأَرْضِ كُفَّارُ
إِلَّا خَصَائِصَ أَقْوَامٍ هُمْ سَلَفُ لِلصَّالِحِينَ مَعَ الْأَنْصَارِ أَنْصَارُ

بمكة بعد ذلك، فقالوا له: يا سُرَاقَةُ أَخْرَمْتَ الصَّفَّ، وأوقعت فينا الهزيمة؟ فقال: والله ما علمت بشيء من أمركم، حتى كانت هزيمتكم، وما شهدت، وما علمت فما صدَّقوه، حتى أسلموا وسَمِعُوا ما أنزل الله فعَلِمُوا أنه كان إبليسَ تَمَثَّلَ لهم.

وقول اللَّعِينِ: إني أخافُ الله ربَّ العالمين، لأهل التأويل فيه أقوال أحدها: أنه كذب في قوله: إني أخاف الله، لأن الكافر لا يخاف الله، الثاني: أنه رأى جنودَ الله تنزل من السماء، فخاف أن يكون اليومُ الموعودُ الذي قال الله فيه: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾^(١) وقيل أيضًا: إنما خاف أن تدركه الملائكةُ لما رأى من فعلها بحزبه الكافرين، وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل أن قریشًا حين توجَّهت إلى بدرٍ مرَّ هاتِفٌ من الجنِّ على مكة في اليوم الذي أوقع بهم المسلمون، وهو ينشد بأنفذ صوت، ولا يُرى شخصه:

أَزَارَ الْحَنِيفِيُّونَ بَذْرًا وَقِيعَةً سَيَنْقُضُ مِنْهَا رُكْنٌ كِشْرَى وَقِصْرَا
أَبَادَتْ رِجَالًا مِنْ لُؤْيٍ، وَأَبْرَزَتْ خَرَائِدَ يَضْرِبْنَ الثَّرَائِبَ حُسْرَا
فِيَا وَيْحَ مَنْ أَمْسَى عَدُوَّ مُحَمَّدٍ لَقَدْ جَارَ عَنْ قَضْدِ الْهَدْيِ وَتَحْيَرَا

فقال قائلهم: مَنْ الحنيفيون؟ فقالوا: هم محمد وأصحابه، يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحنيف، ثم لم يلبثوا أن جاءهم الخبرُ اليقين.

(١) سورة الفرقان آية رقم (٢٢).

مُسْتَبْشِرِينَ بِقَسَمِ اللَّهِ قَوْلُهُمْ
أَهْلًا وَسَهْلًا فِي أَمْنٍ وَفِي سَعَةٍ
فَأَنْزَلُوهُ بَدَارَ لَا يُخَافُ بِهَا
وَقَاسَمُوهُ بِهَا الْأَمْوَالَ إِذْ قَدَمُوا
سِرْنَا وَسَارُوا إِلَى بَذَرٍ لِحَيْنِهِمْ
دَلَاهُمْ بِغُرُورٍ ثُمَّ أَشْلَمَهُمْ
وَقَالَ إِنِّي لَكُمْ جَارٌ فَأَوْرَدَهُمْ
ثُمَّ التَّقِينَا فَوَلَّوْا عَنْ سَرَائِهِمْ
لَمَّا أَتَاهُمْ كَرِيمُ الْأَصْلِ مُخْتَارُ
نِعْمِ النَّبِيِّ وَنِعْمِ الْقَسَمِ وَالْجَارِ
مَنْ كَانَ جَارَهُمْ دَارًا هِيَ الدَّارُ
مُهَاجِرِينَ وَقَسَمُ الْجَاحِدِ النَّارُ
لَوْ يَعْلَمُونَ يَقِينَ الْعِلْمِ مَا سَارُوا
إِنَّ الْخَبِيثَ لَمَنْ وَالَاهُ غَرَارُ
شَرُّ الْمَوَارِدِ فِيهِ الْخَزْيُ وَالْعَارُ
مَنْ مُنْجِدِينَ وَمِنْهُمْ فِرْقَةٌ غَارُوا

قال ابن هشام: أنشدني قوله: «لما أتاهم كريم الأصل مختار» أبو زيد الأنصاري.

المطمعون من قريش:

من بني هاشم:

قال ابن إسحاق: وكان المطمعون، من قريش، ثم من بني هاشم بن عبد مناف: العباس بن عبد المطلب بن هاشم.

من بني عبد شمس:

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس.

من بني نوفل:

ومن بني نوفل بن عبد مناف: الحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، يعتقان ذلك.

من بني أسد:

ومن بني أسد بن عبد العزى: أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد، وحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد، يعتقان ذلك.

من بني عبد الدار:

ومن بني عبد الدار بن قُصَيٍّ: النضر بن الحارث بن كَلْدَة بن عَلْقَمَة بن عبد مناف بن عبد الدار.

نسب النضر:

قال ابن هشام: ويقال: النضر بن الحارث بن عَلْقَمَة بن كَلْدَة بن عبد مناف بن عبد الدار.

من بني مخزوم:

قال ابن إسحاق: ومن بني مخزوم بن يَقْظَة: أبا جهل بن هشام بن الْمُغَيَّرَة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم.

من بني جمح:

ومن بني جُمَح: أُمَيَّة بن خَلَف بن وهب بن حُذَافَة بن جُمَح.

من بني سهم:

ومن بني سَهْم بن عمرو: نُبَيْهَة ومُنْبَهَة ابني الحَجَّاج بن عامر بن حُذَيْفَة بن سَعْد بن سَهْم، يَغْتَقِبَان ذلك.

من بني عامر:

ومن بني عامر بن لُؤَيٍّ: سُهَيْل بن عمرو بن عَبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِشَل بن عامر.

أسماء خيل المسلمين يوم بدر:

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم: أنه كان مع المُسلمين يوم بدر من الخيل، فَرَس مَزْثَد بن أبي مَزْثَد الغَنَوِيّ، وكان يقال له: السَّبَل؛ وفَرَس المِقْدَاد بن عمرو البَهْرَانِيّ، وكان يقال له: بَغْزَجَة، ويقال: سَبْحَة؛ وفَرَس الزبير بن العَوَام، وكان يقال له: اليَغْسُوب.

خيل المشركين:

قال ابن هشام: ومع المشركين مائة فرس.

نزول سورة الأنفال

ما نزل في تقسيم الأنفال:

قال ابن إسحاق: فلما انقضى أمر بدر، أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الأنفال بأسرها، فكان مما نزل منها في اختلافهم في النفل حين اختلفوا فيه ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١).

فكان عبادة بن الصّامت - فيما بلغني - إذا سُئل عن الأنفال، قال: فينا معشر أهل بدر نزلت، حين اختلفنا في النفل يوم بدر، فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه

ذكر ما أنزل الله في بدر

أنزل سورة الأنفال بأسرها، والأنفال هي الغنائم، وقال أبو عبيد في كتاب الأموال: النفل، إحسان وتفضل من المنعم فسميت الغنائم أنفالاً، لأن الله تعالى تفضل بها على هذه الأمة، ولم يجعلها لأحد قبلهم. قال المؤلف: أما قوله: إن الله تفضل بها فصحيح، فقال قال عليه السلام: «ما أحلت الغنائم لأحد سود الرؤوس قبلكم، إنما كانت نار تنزل من السماء فتأكلها»^(٢)، وأما قوله: فسميت الغنائم أنفالاً لهذا، فلا أحسبه صحيحاً، فقد كانت العرب في الجاهلية الجهلاء تسميها أنفالاً.

وقد أنشد ابن هشام لأوس بن حجر الأسيدي، وهو جاهلي قديم:

نَكَضْتُمْ عَلَى أَغْقَابِكُمْ يَوْمَ جِثْتُمْ تُزْجُونَ أَنْفَالَ الْخَمِيسِ الْعَرَمَرَمِ

ففي هذا البيت أنها كانت تسمى أنفالاً قبل أن يجعلها الله لمحمد وأمه، فأصل اشتقاقها إذا من النفل، وهو الزيادة لأنها زيادة في أموال الغانمين، وفي بيت أوس بن حجر أيضاً شاهد آخر على أن الجيش كان يسمى: خميساً في الجاهلية، لأن قوماً زعموا أن اسم الخميس من الخمس الذي يؤخذ من المغنم، وهذا لم يكن حتى جاء الإسلام، وإنما كان لصاحب الجيش الربع، وهو المرباع، وسيأتي القول في اشتقاقه فيما بعد إن شاء الله. قرأ ابن مسعود وعطاء «يَسْأَلُونَكَ الْأَنْفَالَ» وقرأت الجماعة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ والمعنى صحيح في القراءتين؛ لأنهم سألوها وسألوا عنها لمن هي.

وقول عبادة بن الصّامت: نزلت فينا أهل بدر: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ لأننا تنازعنا

(١) سورة الأنفال آية رقم (١) وما وليها. (٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٢/١٠).

أَخْلَقْنَا؛ فَرَدَّه عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَسَمَهُ بَيْنَنَا عَنْ بَوَاءٍ - يَقُولُ: عَلَى السَّوَاءِ - وَكَانَ فِي ذَلِكَ تَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتَهُ، وَطَاعَةُ رَسُولِهِ ﷺ، وَصَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ.

ما نزل في خروج القوم مع الرسول لملاقاة قريش:

ثم ذكر القومَ ومسيرَهم مع رسول الله ﷺ حين عرف القومُ أنَّ قريشًا قد ساروا إليهم، وإنما خرجوا يُريدون العيرَ طمعًا في الغنِمة، فقال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى

في النَّفْلِ، وَسَاءَتْ فِيهِ أَخْلَاقُنَا، كَذَلِكَ جَاءَ فِي التفسير لعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ، وَغَيْرِهِ أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ مَعَ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ، وَأَبَا الْيَسْرِ كَعْبُ بْنُ عَمْرٍو فِي طَائِفَةٍ مَعَهُ، وَكَانَ أَبُو الْيَسْرِ قَدْ قَتَلَ قَتِيلَيْنِ، وَأَسْرَ أُسِيرَيْنِ تَنَازَعُوا، فَقَالَ الَّذِينَ حَوَّاهُ الْمَغْنَمَ: نَحْنُ أَحَقُّ بِهِ، وَقَالَ: الَّذِينَ شُغِلُوا بِالْقِتَالِ، وَاتَّبَعَ الْقَوْمُ نَحْنُ أَحَقُّ بِهِ، فَانْتَزَعَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ وَرَدَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ - ﷺ - وَقَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، حِينَ جَاءَ بِالسَّيْفِ، فَأَمَرَ أَنْ يُجْعَلَ فِي الْقَبْضِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَكَانَ السَّيْفُ لِلْعَاصِي بْنِ سَعِيدٍ، يُقَالُ لَهُ: ذُو الْكَنْيْفَةِ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - السَّيْفَ لِسَعْدٍ، وَقَسَمَ الْغَنِيمَةَ عَنْ بَوَاءٍ أَيٍّ: عَلَى سَوَاءٍ، وَقَدْ قَدَّمْنَا الْحَدِيثَ الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ، وَفِيهِ أَنَّهُ قَسَمَهَا عَلَى فَوَاقٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدَ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ الْآيَةَ فَنَسَخَتْ ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ وَهُوَ أَصَحُّ الْأَقْوَالِ أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ^(١). وَأَمَّا مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْأَنْفَالَ مَا شَدَّ مِنَ الْعَدُوِّ إِلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ دَابَّةٍ، أَوْ نَحْوِهَا، فَلَيْسَتْ مَنْسُوخَةٌ عِنْدَهُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ: إِنَّ الْأَنْفَالَ، هِيَ الْخُمْسُ نَفْسُهُ، وَإِنَّمَا تَكُونُ مَنْسُوخَةٌ إِذَا قُلْنَا إِنَّهَا جُمْلَةُ الْغَنَائِمِ، وَهُوَ الْقَوْلُ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ الْأَثَارُ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَالْأَنْفَالُ تَنْقَسِمُ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ نَفْلٌ لَا يُخْمَسُ، وَنَفْلٌ مِنْ رَأْسِ الْغَنِيمَةِ، وَنَفْلٌ مِنَ الْخُمْسِ، وَنَفْلُ السَّرَايَا وَهُوَ بَعْدَ إِخْرَاجِ الْخُمْسِ، وَنَفْلٌ مِنْ خُمْسِ الْخُمْسِ، فَأَمَّا الَّذِي لَيْسَ فِيهِ خُمْسٌ وَلَا يَخْرُجُ مِنْ رَأْسِ الْغَنِيمَةِ، وَلَا مِنَ الْخُمْسِ، فَهُوَ سَلْبُ الْقَتِيلِ يُقْتَلُ فِي غَيْرِ مَعْمَعَةٍ الْحَرْبِ، وَفِي غَيْرِ الرُّخْفِ، فَهُوَ مَلِكٌ لِلْقَاتِلِ، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ قَوْلُ الْأَوْزَاعِيِّ، وَأَهْلُ الشَّامِ، وَقَوْلُ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَفِيهِ قَوْلُ ثَانٍ، وَهُوَ أَنَّ السَّلْبَ مِنْ جُمْلَةِ النَّفْلِ يُخْمَسُ مَعَ الْغَنِيمَةِ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ الَّذِي فِي الْمَوْطَأِ حِينَ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْأَنْفَالِ، فَقَالَ: الْفَرَسُ مِنَ النَّفْلِ وَالْدُّزْعُ مِنَ النَّفْلِ، وَقَالَ فِي غَيْرِ الْمَوْطَأِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: الْفَرَسُ مِنَ النَّفْلِ، وَفِي النَّفْلِ الْخُمْسُ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ

(١) وقيل: ليست بمنسوخة. انظر تفسير ابن كثير لهذه الآية.

الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾: أي كراهية للقاء القوم، وإنكاراً لمسير قُرَيْش، حين ذكروا لهم ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾: أي الغنيمة دون الحرب ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَحِقَّ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾: أي

مسلم روى هذا الحديث، فقال في آخره: يريد أن السَّلْبَ للقاتل، ففسره على مذهب شيخه، ومن حجَّتْهم أيضاً أن عُمَرَ رضي الله عنه خَمَسَ سَلْبَ الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ حين قَتَلَ مَرْزُبَانَ الزُّارَةَ فسلبه سِوَارِيَهُ وَمِنْطَقَتَهُ، وما كان عليه، فبلغ ثمنه ثلاثين ألفاً، وقال أصحابُ القول الأول لا حُجَّةٌ في حديث عمر، لأنه إنما خَمَسَ الْمَرْزُبَانَ، لأنه استكثره، وقال: قد كان السَّلْبُ لا يُخْمَسُ، وإن سَلَبَ الْبَرَاءِ بَلَغَ ثلاثين ألفاً، وأنا خامسه، واحتجوا بحديث سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، إِذْ قَتَلَ قَتِيلًا، فقال رسول الله - ﷺ - له: سَلْبُهُ أَجْمَعُ. ومن حُجَّةُ مَالِكٍ، ومن قال بقوله: عمومُ آيةِ الْخُمْسِ، فإنه قال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ وحديثُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الذي رواه مسلمٌ وأبو داود أن عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ قال: قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمِيرٍ رَجُلًا مِنَ الْعَدُوِّ فَأَرَادَ سَلْبَهُ، فَمَنَعَهُ ذَلِكَ، وَكَانَ وَالِيًا عَلَيْهِمْ، فَأَخْبَرَ عَوْفٌ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فقال لخالد: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلْبَهُ؟ فقال: اسْتَكْثَرْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قال: اذْفَعْهُ إِلَيْهِ، فَلَقِيَ عَوْفٌ خَالِدًا فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ، وَقَالَ: هَلْ أَنْجَزْتُ لَكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - [فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -] فَاسْتَغْضِبَ، فَقَالَ: لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو إِلَيَّ أُمْرَائِي [إِنَّمَا مِثْلُكُمْ وَمِثْلُهُمْ كَمِثْلِ رَجُلٍ اسْتَرَعَى إِبِلًا وَغَنَمًا، فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقِيهَا، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا فَشَرَعَتْ فِيهِ، فَشَرِبَتْ صَفْوَةً وَتَرَكَتْ كَذَرَهُ فَصَفْوُهُ لَكُمْ وَكَذَرُهُ عَلَيْهِمْ. رواه أحمد ومسلم] (١).

ولو كان السَّلْبُ حقًّا له من رأس الغنيمة لما رَدَّه رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، فهذا هو القسم الواحد من الثَّقَلِ.

والْقِسْمُ الثَّانِي: هو من رأس الغنيمة قبل تَخْمِيسِهَا، وهو ما يُعْطَى الْأَدِلَاءُ، الذي يَدُلُّونَ عَلَى عَوْرَةِ الْعَدُوِّ، وَيَدُلُّونَ [عَلَى] الطَّرِيقِ، وما يُعْطَى الدُّعَاةُ وَغَيْرُهُ مِمَّا يُنْتَفَعُ أَهْلُ الْجَيْشِ بِهِ عَامَّةً.

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ ما تُنْقَلُهُ السَّرَايَا، فقد كانت تُنْقَلُ فِي الْبَدَاةِ الرَّبْعُ بَعْدَ الْخُمْسِ، وَفِي الْعَوْدَةِ الثُّلُثُ مِمَّا غَنِمُوهُ؛ كَذَلِكَ جَاءَ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ مَكْحُولٌ عَنْ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ، وَأَخَذَتْ بِهِ طَائِفَةٌ.

(١) أخرجه مسلم (١٣٧٣) وأحمد (١٧٥/٣) وسعيد بن منصور في سننه (٢٦٩٧).

بالوَقعة التي أوقع بَصناديد قريش وقادتهم يومَ بدر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ أي لدعائهم حين نظروا إلى كثرة عدوهم، وقلة عددهم ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ بدعاء رسول الله ﷺ ودعائكم

والقسم الرابع من الثقل: ما يُنفله الإمام من الخمس لأهل الغِناء والمنفعة، لأن ما كان للرسول عليه السلام من الغنيمة، فهو للإمام بعده يَصْرِفُه فيما كان النبي عليه السلام يَصْرِفُه، وهو قول مالك وأكثر العلماء، وقالت طائفة: هو مَقْصُورٌ على الأصناف التي ذُكرت في القرآن، وهم ذُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِين وابن السبيل، وقد أُعْطِيَ الْمُقْدَادُ حِمَارًا من الْخُمْسِ أعطاه له بعضُ الأمراء، فردّه لما لم يكن من هؤلاء الأصناف المذكورين، وأما أَنَسُ بن مالك، فإنه فعل خلاف هذا، أعطاه مُعاوية ثلاثين رأسًا من الغنيمة، فأبى أن يُقبَلها، إلا أن تكون من الْخُمْسِ، وأصح القولين: أن الإمام له النظر في ذلك، فإن رأى صَرَفَ الْخُمْسِ إلى منافع المسلمين، ولم تكن بالأصناف الأربعة حاجة شديدة إليه صَرَفَه؛ وإلا بَدَأَ بهم، وَصَرَفَ بَقِيَّتَه فيما يرى، واختلِفَ في ذَوِي الْقُرْبَى مَنْ هُمْ، فقال ابن عباس: كنا نرى أنهم بَنُو هَاشِمٍ، فأبى ذلك علينا قومنا، وقالوا: هم قريش كلهم، كذلك قال في الكتاب الذي كتبه إلى نَجْدَةَ الْحَرَوْرِيِّ، واختلفوا أيضًا في قَرَابَةِ الإمام بعد النبي ﷺ: «أهم داخلون في الآية أم لا؟» والصحيح: دخولهم من ذَوِي الْقُرْبَى، لقوله عليه السلام: «إذا أطعم الله نبيًا طُعْمَةً، فهي للخليفة بعده»^(١)، أو قال: للقائم بعده. ومما اختلفوا فيه من معنى آية الْخُمْسِ: قسم خمس الْخُمْسِ، فقال أبو العالية في قوله: ﴿إِن لِّلَّ خُمْسَهُ﴾ أي: للكعبة، يخرج لها نصيب من الْخُمْسِ، وللرسول نصيب، وباقي الخمس للأربعة الأصناف، وقالت طائفة: خُمُسُ الْخُمْسِ للرسول، وباقيه للأربعة الأصناف. وقالت طائفة: الخمس كله للرسول يَصْرِفُه في تلك الأصناف وغيرها، وإنما قال الله: ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ تَنْبِيْهَا على شَرَفِ الْمَكْسَبِ وَطِيبِ الْمَغْنَمِ، كذلك قال في الْفَيْءِ، وهو مما أفاء الله على المسلمين من الأرضين التي كانت لأهل الكفر فقال فيه: ﴿لِّلَّ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية، ولم يقل في آيات الصَّدَقَاتِ مثل ذلك، ولا أضافها لنفسه ولا للرسول، لأن الصَّدَقَةَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، فلا تطيب لمحمد، ولا لآل محمد، فقال فيها: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ الآية، أي: ليست لأحد إلا لهؤلاء، وهذا كله قول سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وتفسيره، وسيأتي القول في غَزْوَةِ حُنَيْنٍ فيما أعطى النبي - ﷺ - للمؤلفة قلوبهم، هل كان من رأس الغنيمة أم من الْخُمْسِ أم من خُمُسِ الْخُمْسِ إن شاء الله.

(١) أخرجه البيهقي (٦/٣٠١/٣٠٣).

﴿أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُزْدِفِينَ﴾ ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ﴾: أي أنزلت عليكم الأمانة حين نمتم لا تخافون ﴿وَيُنَزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ للمطر الذي أصلبهم تلك الليلة، فحبس المشركين أن يسبقوا إلى الماء، وخلق سبيل المسلمين إليه ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾: أي ليذهب عنكم شك الشيطان، لتخويفه إياهم عدوهم، واستجلاد الأرض لهم، حتى انتهوا إلى منزلهم الذي سبقوا إليه عدوهم.

عن قتال الملائكة:

فصل: وذكر قوله سبحانه: ﴿بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُزْدِفِينَ﴾ وقد قال في أخرى: ﴿بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ فقل في معناه: إن الألف أزدقهم بثلاثة آلاف، فكان الأكثر مدداً للأقل، وكان الألف مُزْدِفِينَ لمن وراءهم بكسر الدال من مُرْدِفِينَ، وكانوا أيضاً مُزْدِفِينَ بهم بفتح الدال، والألف هم الذين قاتلوا مع المؤمنين، وهم الذين قال الله لهم: ﴿فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وكانوا في صور الرجال، ويقولون: للمؤمنين اثبتوا، فإن عدوكم قليل، وإن الله معكم ونحو هذا، وقول الله سبحانه: ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ جاء في التفسير أنه ما وقعت ضربة يوم بدر إلا في رأس أو مفصل، وكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم، بآثار سود في الأعناق وفي البنان، كذلك ذكر ابن إسحق في غير هذه الرواية، ويقال لمفاصل الأصابع وغيرها بنانٌ وأحدثها بنانة، وهو من أبن بالمكان إذا أقام فيه وثبت، قاله الزجاج.

وقوله: ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ الآية، كان العدو قد أحرزوا الماء دون المؤمنين، وحفروا القلب لأنفسهم، وكان المسلمون قد أحدثوا وأجنب بعضهم، وهم لا يصلون إلى الماء، فوسوس الشيطان لهم أو لبعضهم، وقال: تزعمون أنكم على الحق، وقد سبقكم أعداؤكم إلى الماء، وأنتم عطاش وتصلون بلا وضوء، وما ينتظر أعداؤكم إلا أن يقطع العطش رقابكم، ويذهب قواكم فتحكموا فيكم كيف شاؤوا، فأرسل الله تعالى السماء فحلت عزاليها^(١) فتطهروا وزوا وتلبدت الأرض لأقدامهم وكانت رمالاً وسبخات، فثبتت فيها أقدامهم وذهب عنهم رجز الشيطان، ثم نهضوا إلى أعدائهم فغلبوهم على الماء، وغاروا القلب التي كانت تلي العدو فعطش الكفار، وجاء النصر من عند الله، وقبض النبي ﷺ - قبضة من البطحاء ورماهم بها، فمالت عيون جميع العسكر، وذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ أي: عم

(١) عزلاء: مفرد عزاليها، وهو مصب الماء من الراوية ونحوها.

ما نزل في تبشير المسلمين بالمساعدة والنصر، وتحريضهم:

ثم قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّثُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: أي أزرُوا الذين آمنوا ﴿سَأَلِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّغْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَغْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَلِكَ بَأْنَهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَذْبَارَ وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: أي تحريضا لهم على عدوهم لئلا ينكلوا عنهم إذا لقوهم، وقد وعدهم الله فيهم ما وعدهم.

ما نزل في رمي الرسول للمشركين بالحصباء:

ثم قال تعالى في رمي رسول الله ﷺ إياهم بالحصباء من يده، حين رماهم: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾: أي لم يكن ذلك برمينك، لولا الذي جعل الله فيها من نصرك، وما ألقى في صدور عدوك منها حين هزمهم الله ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾: أي ليعرف المؤمنين من نعمته عليهم في إظهارهم على عدوهم، وقلة عددهم، ليعرفوا بذلك حقه، ويشكروا بذلك نعمته.

جميعهم، ولم يكن في قبضتك إلا ما يبلغ بعضهم، فالله هو الذي رمى سائرهم إذ رميت أنت القليل منهم، فهذا قول، وقال أحمد بن يحيى: معناه: وما رميت قلوبهم بالرغب حين رميت الحصباء، ولكن الله رمى وقال هبة الله بن سلامة: الرمي أخذ وإرسال وإصابة وتبليغ، فالذي أثبت الله لنبيه هو الأخذ والإرسال، والذي نفى عنه هو الإصابة والتبليغ، وأثبتهما لنفسه.

حول التولي يوم الزحف والانتصارات الإسلامية الباهرة:

وقوله: ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَذْبَارَ﴾ الآية قال الحسن: ليس الفرار من الزحف من الكبائر إلا يوم بدر وفي الملحمة الكبرى التي تأتي آخر الزمان^(١). وقال غيره: هو من الكبائر إذا حضر الإمام ولم يتحيز إلى فئة فأما إذا كان الفرار إلى الإمام، فهو متحيز إلى فئة، وقد قال عمر بن الخطاب حين بلغه قتل أبي عبيد بن مسعود، وما أوقع الفرس بالمسلمين: هلا تحيز إلي أبو عبيد بن مسعود، فإني فئة لكل مسلم، ورؤي مثل هذا عن النبي ﷺ - أنه قال لأصحابه الذين رجعوا من غزوة مؤتة، ذلك أنهم قالوا: «نحن الفرارون يا رسول الله، فقال:

(١) بل الأمر على إطلاقه في الفرار من الزحف.

ما نزل في الاستفتاح:

ثم قال: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾: أي لقول أبي جهل: اللهم أقطعنا للرحم، وآتانا بما لا يُعرف، فأجبه الغداة. والاستفتاح: الإنصاف في الدعاء.

يقول الله جل ثناؤه: ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾: أي لقریش: ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ﴾: أي بمثل الوقعة التي أصبناكم بها يوم بدر: ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي أن عددكم وكثرتكم في أنفسكم لن تغني عنكم شيئا، وإني مع المؤمنين، أنصرهم على من خالفهم.

ما نزل في حض المسلمین على طاعة الرسول:

ثم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾: أي لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله، وتزعمون أنكم منه، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: أي كالمنافقين الذي يظهرون له الطاعة، ويسرون له المعصية ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: أي المنافقون الذين نهيتكم أن تكونوا مثلهم، بكم عن الخير، صم عن الحق، لا يعقلون: لا يعرفون ما عليهم في ذلك من النعمة والتباعة ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾، أي لأنفذ لهم الذين قالوا بألسنتهم، ولكن القلوب خالفت ذلك منهم، ولو خرجوا معكم ﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ما وفوا لكم بشيء مما خرجوا عليه. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُخَيِّكُم﴾: أي للحرب التي أعزكم الله بها بعد الذل، وقواكم بها بعد الضعف، ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطُّيَّاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ

بل أنتم العكَّارون، وأنا فئتكم^(١)، وهو حديث مشهور اختصرته، والقدر الذي يحرم معه الفرار الواحد مع الواحد، والواحد مع الاثنين، فإذا كان الواحد للثلاثة، لم يُعَبَّ على الفار فراره، كان متحيزا إلى فئة أو لم يكن. وذكر أبو الوليد بن رُشد في مقدماته عن بعض الفقهاء، قال: إذا كان المسلمون اثنا عشر ألفا لم يَجُزْ لهم الفرار من ثلاثة أمثالهم، ولا من أكثر من ذلك، لقوله عليه السلام: «لَنْ تُغْلِبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قَلَّةٍ، وَقَدْ كَانَ وَقُوفُ الْوَاحِدِ

(١) أخرجه أبو داود (١٣٧٣) بتحقيقي والترمذي (١٧١٦) وأحمد (١١١/٢) والبيهقي (٧٨/٩) والحميدي (٦٨٧) وأبو نعيم في الحلية (٥٧/٩).

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ أَي لَا تُظْهِرُوا لَهُ مِنَ الْحَقِّ مَا يَرْضَى بِهِ مِنْكُمْ، ثُمَّ تُخَالِفُوهُ فِي السِّرِّ إِلَى غَيْرِهِ، فَإِنْ ذَلِكَ هَلَاكٌ لِأَمَانَاتِكُمْ، وَخِيَانَةٌ لَأَنْفُسِكُمْ. ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٢﴾ : أَي فَضْلًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، لِيُظْهِرَ اللَّهُ بِهِ حَقَّكُمْ، وَيُطْفِئَ بِهِ بَاطِلَ مَنْ خَالَفَكُمْ.

ما نزل في ذكر نعمة الله على الرسول:

ثم ذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بنعمته عليه، حِينَ مَكَرَ بِهِ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ أَوْ يُشْبِثُوهُ أَوْ يُخْرِجُوهُ ﴿١٣﴾ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿١٤﴾ : أَي فَمَكَرْتُ بِهِمْ بِكَيْدِي الْمَتِينِ حَتَّى خَلَصْتُكَ مِنْهُمْ.

ما نزل في غرة قريش واستفتاحهم:

ثم ذَكَرَ غِرَّةَ قُرَيْشٍ وَاسْتِفْتَا حَقَّهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، إِذْ قَالُوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ أَي مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ كَمَا أَمْطَرْتَهَا عَلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أَي بَعْضُ مَا عَذَّبْتَ بِهِ الْأُمَمَ قَبْلَنَا، وَكَانُوا يَقُولُونَ: إِنْ اللَّهُ لَا يَعَذِّبُنَا وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُهُ، وَلَمْ يَعَذِّبْ أُمَّةً وَنَبِيِّهَا مَعَهَا حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا. وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ، يَذْكُرُ جَهَالَتَهُمْ وَغُرَّتَهُمْ وَاسْتِفْتَا حَقَّهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، حِينَ نَعَى سُوءَ أَعْمَالِهِمْ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أَي لِقَوْلِهِمْ: إِنَّا نَسْتَغْفِرُ وَمُحَمَّدٌ بَيْنَ أَظْهَرِنَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا لَهُمْ إِلَّا لِيَعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ وَإِنْ كُنْتَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا يَسْتَغْفِرُونَ كَمَا يَقُولُونَ: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: أَي مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَعَبَدَهُ: أَي أَنْتَ وَمَنْ اتَّبَعَكَ، ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ الَّذِينَ يُحَرِّمُونَ حُرْمَتَهُ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ عِنْدَهُ: أَي أَنْتَ وَمَنْ آمَنَ بِكَ ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ﴾ الَّتِي يَزْعَمُونَ أَنَّهُ يُدْفَعُ بِهَا عَنْهُمْ ﴿إِلَّا مَكَاءً وَتَضْدِيَةً﴾.

إِلَى الْعَشْرَةِ حَتْمًا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، ثُمَّ خَفَّفَ اللَّهُ وَنَسَخَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ الْآيَةُ، كَذَلِكَ رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَهُوَ قَوْلُ الْعُلَمَاءِ، وَلَكِنْ لَا يَتَبَيَّنُ فِيهِ النَّسْخُ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ خَبَرٌ، وَالْخَبَرُ لَا يَدْخُلُهُ النَّسْخُ، وَقَوْلُهُ: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ثَمَّ حُكْمًا مَنسُوخًا، وَهُوَ الثُّبُوتُ لِلْعَشْرَةِ، فَإِذَا لِلآيَةِ ظَهَرٌ وَبَطْنٌ، فَظَاهَرُهَا خَبَرٌ، وَوَعْدُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ تَغْلِبَ الْعَشْرَةُ الْمِائَةَ، وَبَاطِنُهَا وَجُوبُ الثُّبُوتِ لِلْمِائَةِ، وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا الْحُكْمِ قَوْلُهُ: ﴿حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ فَتَعَلَّقَ النَّسْخُ بِهَذَا الْحُكْمِ الْبَاطِنِ، وَبَقِيَ الْخَبَرُ وَعَدًا حَقًّا قَدْ أَبْصَرَهُ الْمُؤْمِنُونَ - عِيَانًا فِي زَمَنِ

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: المكاء: الصغير. والتصدية: التصفيق. قال عنتر بن عمرو (بن شداد) العبسي:

ولرُبِّ قِرْنٍ قد تركتُ مَجْدَلًا تَمْكُو فريصته كَشِدْقِ الأَعْلَمِ
يعني: صوت خروج الدم من الطعنة، كأنه الصغير. وهذا البيت في قصيدة له.
وقال الطُّرْمَاحُ بن حَكِيم الطائي:

لها كَلِّمَا رِيْعَتْ صَدَاةٌ وَرَكْدَةٌ بِمُضْدَانِ أَعْلَى ابْنِي شَمَامِ البَوَائِنِ
وهذا البيت في قصيدة له. يعني الأزوئية، يقول: إذا فزعت قرعت بيدها الصُّفَاةُ ثم ركدت تسمع صدى قَزَعِهَا بيدها الصُّفَاةُ مثلُ التَّصْفِيْقِ: والمُضْدَانِ: الحِرْزُ. وابنا شَمَامِ: جبلان.

قال ابن إسحاق: وذلك ما لا يُرضي الله عز وجل ولا يحبه، ولا ما افترض عليهم، ولا ما أمرهم به ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾: أي لما أوقع بهم يوم بدر من القتل.

المدة بين ﴿يا أيها المزمّل﴾ وبدر:

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عبّاد، عن عائشة قالت: ما كان بين نزول: ﴿يا أيها المزمّل﴾، وقول الله تعالى فيها: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ إلا يسير، حتى أصاب الله قُرَيْشًا بالوقعة يوم بدر.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الأنكال: القيود؛ واحدها: نكل. قال رؤبة بن العجاج:

يَكْفِيكَ نِكْلِي بَغْيِي كُلِّ نِكْلٍ

وهذا البيت في أرجوزة له.

عُمَرُ بن الخطّاب، وفي بقية خلافة أبي بكر في مُحاربة الروم وفارس بالعراق والشام، ففي تلك الملاحم هَزَمَتِ المِثُونُ الآلافُ من المشركين، وقد هَزَمَ خَالِدُ بنُ الوليد مائة ألف حين إقباله من العراق إلى الشام ولم يبلغ عسكره خمسة آلاف، بل قد رأيت في بعض فتوح الشام أنه كان يَوْمِيذٍ في ألف فارس، وكان قد أقبل من العراق مَدَدًا للمسلمين الذين بالشام، وكان

ما نزل فيمن عاونوا أبا سُفيان :

قال ابن إسحاق : ثم قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ ﴾ يعني النفر الذين مشوا إلى أبي سُفيان ، وإلى من كان له مالٌ من قريش في تلك التجارة ، فسألوهم أن يقوؤهم بها على حرب رسول الله ﷺ ، ففعلوا .

ثم قال : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا ﴾ لحربك ﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي من قُتل منهم يوم بدر .

الأمر بقتال الكفار :

ثم قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ : أي حتى لا يُفتن مؤمن عن دينه ، ويكون التوحيد لله خالصاً ليس له فيه شريك ، ويُخلع ما دونه من الأنداد ﴿ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ عن أمرك إلى ما هم عليه من كفرهم ﴿ فَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ﴾ الذي أعزكم ونصركم عليهم يوم بدر في كثرة عددهم وقلة عددكم ﴿ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴾ .

ما نزل في تقسيم الفياء :

ثم أعلمهم مقاسم الفياء وحكمه فيه ، حين أحله لهم ، فقال : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي يوم فرقت فيه بين الحق والباطل بقدرتي يوم التقى الجمعان منكم ومنهم ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا ﴾ من الوادي ﴿ وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى ﴾ من الوادي إلى مكة ﴿ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ : أي غير أبي سُفيان التي خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها من غير ميعاد منكم ولا منهم ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ﴾ أي ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم

الرُّومُ في أربعمئة ألف ، فلقى منهم خالد مائة ألفٍ ففضَّ جمعهم وهزمهم ، وقد هزم أهل القَادِسِيَّةَ جيوشَ رُسْتَمٍ وقتلوه وكان رُسْتَمُ في أكثر من مائتي ألفٍ ، ولم يكن المسلمون في عَشْرِ ذلك العدد وجأوا معهم بالفيلة أمثال الحُصُونِ عليها الرجالُ ففرت الفيلة ، وأطاحت ما عليها ، ولم يَرُدَّها شيءٌ دون البلد الذي خرجت منه ، وكذلك ما ظهر من فتح الله ونصره على يَدَيِ موسى بن نُصَيْرٍ بإفريقيَّةَ ، والأندلس ، فقد كان في ذلك أعجبُ العَجَبِ ، فكان وعدُ الله مفعولاً ونصره للمسلمين ناجزاً ، والحمد لله .

ثم بلغكم كثرة عددهم، وقلة عددكم ما لقيتموهم ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أي ليقضي ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الكفر وأهله عن غير بلاء منكم. ففعل ما أراد من ذلك بلطفه، ثم قال: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي ليكفر من كفر بعد الحجّة لما رأى من الآية والعبرة، ويؤمن من آمن على مثل ذلك.

ما نزل في لطف الله بالرسول:

ثم ذكر لطفه به وكَيْدَهُ له، ثم قال: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، فكان ما أراك من ذلك نعمة من نعمه عليهم، شجّعهم بها على عدوّهم، وكفّ بها عنهم ما تُخَوِّف عليهم من ضغفهم، لعلمه بما فيهم.

قال ابن هشام: تُخَوِّف: مبدلة من كلمة ذكرها ابن إسحق ولم أذكرها.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾: أي ليؤلف بينهم على الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه، والإنعام على من أراد إتمام النعمة عليه، من أهل ولايته.

ما نزل في وعظ المسلمين وتعليمهم خطط الحرب:

ثم وعظهم وفهمهم وأعلمهم الذي ينبغي لهم أن يسيروا به في حربهم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ تقاتلونهم في سبيل الله عز وجل: ﴿فَانْهَبُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الذي له بذلتكم أنفسكم، والوفاء له بما أعطيتموه من بيعتكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَعَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا﴾: أي لا تختلفوا فیتفرق أمركم ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي وتذهب حدتكم ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي إني معكم إذا فعلتم ذلك ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ﴾: أي لا تكونوا كأبي جهل وأصحابه، الذين قالوا: لا نرجع حتى نأتي بدرًا فننحر بها الجزر ونُسقى بها

وقال النقاش في معنى قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مَائَتِينَ﴾ معناه: إن يصيروا يغلبوا، وغلبتهم ليس بأن يسلموا كلهم، ولكن من سلم منهم رأى غلبة أهل دينه، وظهورهم على الكفر، ولا يقدح في وعد الله أن يستشهد جملة من الصابرين، وإنما هذا كقوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله﴾ إلى قوله: ﴿حتى يغطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ فقد تُجز الموعود وغلبوا كما وعدوا. هذا معنى كلامه، والذي قدمناه أبين.

الخمير، وتعزف علينا فيها القيآن، وتسمعُ العربُ: أي لا يكون أمرُكم رياءً، ولا سُمعةً، ولا التماسَ ما عند الناس وأخلصوا لله النيةَ والحسبةَ في نَصْرِ دينكم، وموازنة نبيكم، لا تعملوا إلا لذلك ولا تطلبوا غيره.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾.

قال ابن هشام: وقد مضى تفسير هذه الآية.

قال ابن إسحاق: ثم ذكر الله تعالى أهل الكفر، وما يلقون عند موتهم، ووصفهم بصفتهم، وأخبر نبيه ﷺ عنهم، حتى انتهى إلى أن قال: ﴿فَإِذَا تَنَفَّسْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ أي فنكل بهم من ورائهم لعلهم يعقلون ﴿وَأَعَدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: أي لا يضيع لكم عند الله أجره في الآخرة، وعاجل خلفه في الدنيا. ثم قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾: أي إن دَعَوَكَ إلى السَّلم على الإسلام فصالحهم عليه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ إن الله كافيك ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

الذين في قلوبهم مرض في بدر:

وفي هذه السورة قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ نزلت في قوم من أهل مكة آمنوا ولم يُهاجروا، ثم خَرَجُوا مع المشركين إلى بدر، فلما رَأَوْا قِلَّةَ المسلمين شَكُّوا، وقالوا: غَرَّ هؤلاء دينهم، منهم قيسُ بنُ الوليد بن المُغيرة، وقيس بن الفاكه وجماعة سَمَّاهم أبو بكر النَّقَّاشُ^(١)، وهم الذين قُتِلُوا فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم.

رأي الأخنس وأبي جهل في النبي ﷺ:

وَأَخْنَسُ يَوْمَئِذٍ أَبِي بن شَرِيْقٍ بنحو من ثلثمائة من قريش، فسَمِّيَ الْأَخْنَسُ بن شَرِيْقٍ بن عمرو بن وهب بن علاج بن أَبِي سَلَمَةَ بن أَبِي سَلَمَةَ بن عبد العُزَّى بن غِيْرَةَ [وذلك أنه خلا بأبي جهل حين تراءى الجَمْعَانِ، فقال: أترى أن محمداً يكذب؟ فقال أبو جهل: كيف يكذب على الله، وقد كنا نُسَمِّيهِ الْأَمِينِ، لأنه ما كَذَبَ قطُّ، ولكن إذا اجتمعت في بني عبد منافِ السُّقَايَةُ والرَّفَادَةُ والمَشُورَةُ، ثم تكون فيهم النُّبُوءَةُ، فأَيُّ شيء بقي لنا، فحينئذ

(١) منهم: الحارث بن زمعة بن الأسود، والعاص بن منبه بن الحجاج، وعلي بن أمية بن خلف. انظر تفسير ابن كثير للآية.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: جنحوا للسلّم: مالوا إليك للسلّم. الجنوح: الميل. قال لبيد بن ربيعة:

جُنُوحُ الهَالِكِي عَلَى يَدَيْهِ مُكِبًا يَجْتَلِي نُقْبَ النُّصَالِ

انخنس الأخنسُ بني زُهْرَةَ وحشد إبليسُ جميعَ جنوده، وجاء بنفسه، ونزل جبريل بألف من الملائكة في صُورِ الرجال، فكان في خمسمائة من الملائكة من الميمنة، وميكائيل في خمسمائة من الملائكة في الميسرة، ووراءهم مددٌ لم يقاتلوا، وهم الآلاف المذكورون في سورة آل عمران، وكان إسرافيلُ وَسَطَ الصَّفِّ لا يقاتل، كما يقاتل غيره من الملائكة، وكان الرجل يرى المَلَكَ على صورة رجل يعرفه، وهو يُثَبِّتُه ويقول له: ما هُم بِشَيْءٍ، فكَرُّ عليهم^(١)، وهذا في معنى قوله سبحانه: ﴿فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ذكره ابن إسحق في غير رواية ابن هشام، وفي مثل هذا يقول حسان:

مِيكَالُ مَعَكَ وَجِبْرِئِيلُ كِلَاهُمَا مَدَدٌ لِنَضْرِكَ مِنْ عَزِيزٍ قَادِرٍ

ويقال: كان مع المسلمين يومئذ سبْعُونَ مِنَ الْجِنِّ، كانوا قد أسلموا^(٢).

مَنْ الْآخَرُونَ؟:

وذكر قولَ الله تعالى: ﴿تُزْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ ولم يذكر الآخرين مَنْ هُم، وقيل في ذلك أقوالٌ قيل: هم المنافقون، وقيل: هم اليهود وأصح ما في ذلك أنهم الجن، لرواية ابن المُلَيْكِي عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال في آخرين من دونهم قال: هم الجن ثم قال عليه السلام: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَخْبُلُ أَحَدًا فِي دَارٍ فِيهَا فَرَسٌ عَتِيقٌ»^(٣)، ذكره الحارثُ في مُسْنَدِهِ وَأَنشَدَ:

جُنُوحَ الهَالِكِي^(٤) عَلَى يَدَيْهِ مُكِبًا يَجْتَلِي نُقْبَ النُّصَالِ

الهَالِكِي: الصَّيْقَلُ. وَنُقْبُ النُّصَالِ: جَرَبُ الْحَدِيدِ، وَصَدَوُّهُ، وَهُوَ فِي مَعْنَى النُّقْبِ، وَاحِدَتُهَا نُقْبَةٌ.

(١) تفسير من قَبْلِ السَّهْلِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَنْقُصُهُ الدَّلِيلُ «الصَّحِيح».

(٢) انظر التعليق السابق. وقد صَدَّرَ الْكَلَامَ بِقَوْلِهِ: «وَيَقَالُ». فَأَحْسَنَ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْحَارِثُ فِي مُسْنَدِهِ كَمَا فِي الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ لِابْنِ حَجَرٍ (٣٦٣٠). وَالْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٣٨/٨). وَأَوْرَدَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٣١٧/٢) وَأَنْكَرَهُ وَقَالَ: لَا يَصَحُّ إِسْنَادُهُ وَلَا مَتْنُهُ.

(٤) الْهَالِكِي: الْحَدَادُ. وَهُوَ هُنَا كَمَا قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: الصَّيْقَلُ.

وهذا البيت في قصيدة له . والسلم أيضًا : الصلح ، وفي كتاب الله عز وجل : ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْآغْلُونَ﴾ ، ويقرأ : ﴿إِلَى السَّلْمِ﴾ ، وهو ذلك المعنى . قال زهير بن أبي سلمى :

وقد قُلْتما إن نُذرك السَّلْمَ واسعًا بمالٍ ومَعروفٍ من القَوْلِ نَسْلَمَ
وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن هشام : وبلغني عن الحسن بن أبي الحسن البصري ، أنه كان يقول : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ﴾ للإسلام . وفي كتاب الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً﴾ ويقرأ : ﴿فِي السَّلْمِ﴾ ، وهو الإسلام . قال أمية بن أبي الصلت :

فَمَا أَنَابُوا لَسَلْمٍ حِينَ تُنذِرُهُمْ رُسُلُ الْإِلَهِ وَمَا كَانُوا لَهُ عَضْدًا
وهذا البيت في قصيدة له . وتقول العربُ لَدَلُوْ تُعْمَلُ مُسْتَطِيلَةً : السَّلْم . قال طرفة بن العبد ، أحد بني قيس بن ثعلبة ، يصف ناقه له :

لَهَا مِرْفَقَانِ أَفْتَلَانِ كَأَنَّمَا تَمُرُ بِسَلْمَى دَالِحٍ مُتَشَدِّدٍ
وهذا البيت في قصيدة له .

﴿وَإِنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ هو من وراء ذلك . ﴿هُوَ الَّذِي آيَدَكَ بِزُحْرِهِ﴾ بعد الضعف ﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَالْأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ على الهدى الذي بعثك الله به إليهم ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ بدينه الذي جمعهم عليه ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ : أي لا يُقاتلون على نية ولا حق ولا معرفة بخير ولا شر .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح من عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله بن عباس قال : لما نزلت هذه الآية اشتدَّ على المسلمين ، وأعظموا أن يُقاتل عِشْرُونَ مِائَتَيْنِ ، ومائة ألفًا ، فخفف الله عنهم ، فنسختها الآية الأخرى ، فقال : ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ . قال : فكانوا إذا كانوا على الشَّطْرِ

من عدوهم لم يَنْبَغْ لهم أن يفرّوا منهم، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم
وجاز لهم أن يتحوّزوا عنهم.

ما نزل في الأسارى والمغانم

قال ابن إسحاق: ثم عاتبه الله تعالى في الأسارى، وأخذ المغانم، ولم يكن أحد
قبله من الأنبياء يأكل مَغْنَمًا من عدوّ له.

قال ابن إسحاق: حدّثني محمد أبو جعفر بن عليّ بن الحسين، قال: قال رسول
الله ﷺ: «نُصِرْتُ بالرُّعب، وجُعِلَتْ لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأُعْطِيَتْ جوامع
الكلم، وأُحِلَّت لي المغانم ولم تُخلَلْ لِنبيّ كان قبلي، وأُعْطِيَتْ الشِّفَاعَةُ، خمس لم
يؤْتِهَنّ نبيّ قبلي».

قال ابن إسحاق: فقال ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ﴾: أي قبلك ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾ من عدوّه
﴿حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي يشحن عدوّه، حتى يَنْفِيهِ مِنَ الْأَرْضِ ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ
الدُّنْيَا﴾: أي المتاع، الفداء بأخذ الرجال ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾: أي قَتْلَهُمْ لظُهُور الدِّينِ
الذي يريد إظهاره، والذي تُدْرِكُ بِهِ الْآخِرَةُ ﴿لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا

حول غنائم بدر

فصل: وذكر في السورة: ﴿لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ يعني بإحلال الغنائم لمحمد
وأُمَّته لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ، فقال النبي ﷺ -: «لقد عُرِضَ عليّ عذابكم أَدْنَى
من هذه الشجرة»^(١)، وقال: «لو نزل عذاب ما نجا منه إِلَّا عُمَرُ»^(٢)، لأن عُمَرَ كان قد أشار
عليه بقتل الأسارى والإِثْخَانِ فِي الْقَتْلِ، وأشار أبو بكر بالإبقاء، فأخذ رسول الله ﷺ -
بقول أبي بكر، ثم نزلت الآية: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ وروى أبو عُبَيْدٍ مِنْ طَرِيقٍ
عبد الله بن مَسْعُودٍ قال: «لما كان يومُ بدر، وأخذ النبي ﷺ الأسارى، فقال: ماذا تَرَوْنَ؟
فقال عمر: يا رسول الله كَذَّبُوكَ وَأَخْرَجُوكَ، اضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ، وقال عبدُ الله بن رَوَاحَةَ: يا
رسول الله أنتَ بَوَادٍ كَثِيرِ الْحَطَبِ، فَأَضْرِمْهُ نَارًا، ثُمَّ أَلْقِهِمْ فِيهَا، فقال العباس: قَطَعَ اللَّهُ
رَحِمَكَ، فقال أبو بكر: يا رسول الله عَثَرْتُكَ، وَأَصْلُكَ وَقَوْمُكَ تَجَاوَزَ عَنْهُمْ، يَسْتَنْقِذُهُمُ اللَّهُ
بِكَ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَمِنْ قَائِلٍ يَقُولُ الْقَوْلَ مَا قَالَ عُمَرُ، وَمِنْ قَائِلٍ

(١) أخرجه مسلم (٢١٦٣) وأحمد (٣١/١) والطبري في تاريخه (٤٦/٢) والبيهقي في الكبرى (٦٨/٩).

(٢) أخرجه الطبري في تاريخه (٤٧/٢) وفي تفسيره (٣٤/١٠).

أَخَذْتُمْ: أي من الأسارى والمغانم ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي لولا أنه سبق مني أني لا أعذب إلا بعد النّهي ولم يك نهاهم، لعذبتكم فيما صنعتهم، ثم أحلّها له ولهم رحمة منه، وعائدة من الرحمن الرحيم. فقال: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَٰلَهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

يقول القول ما قال أبو بكر، فخرج النبي ﷺ، فقال: ما قولكم في هذين الرجلين، إن مثلهما كمثلي إخوة لكم، كانوا قبلكم، قال نوح: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ الْآيَةَ، وَقَالَ مُوسَى: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ الْآيَةَ، وَقَالَ عِيسَى: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الْآيَةَ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿فَمَنْ تَبْعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ الْآيَةَ. وإن الله يشدّد قلوب رجال، حتى تكون كالْحَجَرِ، ويُلَيِّن قلوب رجال، حتى تكون أَلَيِّنَ مِنَ اللَّيْنِ، ويروى من اللين، وإن بكم عيلة فلا يفلت منهم أحد إلا بفداء أو ضربة عُتْقٍ. قال عبد الله [بن مسعود]: فقتل: إلا سهل ابن بَيْضَاءَ، وقد كنت سمعته يذكر الإسلام، قال: فجعلت أنظر إلى السماء متى تقع عليّ الحجارة فقلت: أقدم القول بين يدي رسول الله فقال النبي - ﷺ - إلا سهل ابن بَيْضَاءَ، ففرحت بذلك^(١)، قال أبو عبيدة: أما أهل المعرفة بالمغازي، فإنهم يقولون: إنما هو سهل ابن بَيْضَاءَ أخو سُهَيْلٍ، فأما، سُهَيْلٌ، فكان من المهاجرين، وقد شهد مع رسول الله - ﷺ - بدرًا، ثم إن النبي - ﷺ - لم يفد بعدها بمالٍ، إنما كان يَمُنُّ أو يُفَادِي أسيرًا بأسير، كذلك قال أبو عُبَيْدٍ: وذلك والله أعلم لقوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ يعني الفداء بالمال، وإن كان قد أحل ذلك وطيبه، ولكن ما فعله الرسول بعد ذلك أفضل من المَنِّ أو المُفَادَاة بالرجال، ألا ترى إلى قوله سبحانه: ﴿فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ﴾ كيف قدّم المَنِّ على الفداء، فلذلك اختاره رسول الله ﷺ وقدمه، وأما مذاهب الفقهاء في هذا، فالأوزاعي وسُفيان ومالك يكرهون أخذ المال في الأسير، لما في ذلك من تقوية العدو بالرجال، واختلفوا في الصغير إذا كان معه أمه، فأجاز فداءه بالمال أهل العراق، واختلف فيه عن مالك، والصحيح منعه، وكان العباس عُم النبي ﷺ في الأسرى، ففدى نفسه، وفدى ابني أخيه، فقال للنبي ﷺ: لقد تركتني أتكفّف قُرَيْشًا فقيرًا مُعْدِمًا، فقال النبي ﷺ: «أين الذهب التي تركتها عند أم الفضل وعددها كذا وكذا، وقلت لها: كَيْتَ وَكَيْتَ، فقال: مَنْ أَعْلَمَكَ بهذا يا ابن أخي؟ فقال: الله، فقال: حديث ما أطلع عليه إلا عالم الأسرار أشهد أنك رسول

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٨٤) والبيهقي (٣٢١/٦) وابن أبي شيبة (٣٧٢/١٤) والطبراني (١٧٧/١٠) والطبري في تفسيره (٣٣/١٠) والبيهقي في الدلائل (١٣٤/٣).

ما نزل في التواصل بين المسلمين :

وحضّ المسلمين على التواصل، وجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض، ثم قال: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ أي يُوالِ المؤمنُ المؤمنَ من دون الكافر، وإن كان ذا رحم به ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾ أي شبهة في الحق والباطل، وظهور الفساد في الأرض بتولي المؤمن الكافر دون المؤمن.

الله^(١)، فحينئذ أسلم العباس، وكان في الأسرى من يكتب، ولم يكن في الأنصار أحدٌ يُحسن الكتابة فكان منهم من لا مال له، فيقبل منه أن يُعَلِّمَ عَشْرَةَ من الغلمان الكتابة، ويخلي سبيله، فيومئذ تعلم الكتابة زيد بن ثابت في جماعة من غلّة الأنصار، وهذه عيون أخبار، وصلتها بما ذكره ابن إسحق في يوم بدر جمعتها من كتب التفاسير والسير ولخصتها.

خيّل بدر:

فصل: وذكر ابن إسحق الخيل التي كانت للمسلمين يوم بدر، فذكر بَغْرَجَةَ فَرَسَ الْمُقْدَادِ، وَالْيَغْبُوبَ فَرَسَ الزُّبَيْرِ، وَفَرَسًا لِمُرْتَدِ الْغَنَوِيِّ، ولم يكن لهم يومئذ خيلٌ إلا هذه، وفي فرس الزبير اختلافٌ، وقد كان للنبي ﷺ خيلٌ بعد هذا اليوم، منها: السَّكْبُ وَاللَّزَازُ وَالْمُرْتَجِزُ وَاللَّحِيفُ، وقد ذكره البخاري من حديث عباس بن سهل عن أبيه، قال: ويقال فيه: اللَّحِيفُ بالخاء المعجمة، وقال القُتَيْبِيُّ: كان المُرْتَجِزُ فَرَسًا اشتراه عليه السلام من أعرابي، ثم أنكر الأعرابي أن يكون باعه منه، فشهِد خُزَيْمَةُ بن ثابت على الأعرابي بالبيع، فقال له النبي ﷺ: «بِمَ تشهد؟» قال: أشهد بصدقك يا رسول الله، فجُعِلَتْ شهادته شهادة رجلين، والحديث مشهور، غير أن في مُسْنَدِ الْحَارِثِ زيادة فيه، وهي أنه، عليه السلام، ردَّ الفَرَسَ على الأعرابي، وقال: لا بارك الله لك فيها، فأصبحت من الغد شائِلةً برجلِها، أي: قد ماتت. قال الطبري: ومن خَيْلِهِ الضَّرِسُ، ومُلاوِخٌ، والوردُ وهو الذي وهبه لعمر، فحمل عليه عمرُ رجلاً في سبيل الله، وحديثه في الموطأ، وكان له عليه السلام من الدروع: ذاتُ الفُضُولِ، وأخرى يقال لها: فضّة، وراية يقال لها العُقَابُ، وقوسان أحدهما: الصُّفراءُ، والأخرى: الزُّوراءُ وسيفه: ذو الفِقَارِ لِفَقَرَاتِ كانت في وَسَطِهِ، وكان لثيّه ومُنْبَهْهُ ابْنِي الْحِجَابِ سُلْبَاهُ يوم بَدْرٍ، ويقال: إن أصله كان من حديدَةٍ وُجِدَتْ مَذْفُونَةٌ عند الكعبة، فصُنِعَ منها ذو

(١) انظر الدرّ المنثور (٢٠٤/٣) وابن الجوزي في زاد المسير (٣٨٣/٣) والقرطبي في تفسيره (٥٣/٨).

ثم رَدَّ المَوَارِيثَ إِلَى الأَرْحَامِ مِمَّنْ أَسْلَمَ بَعْدَ الْوَلَايَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ دُونَهُمْ إِلَى الأَرْحَامِ الَّتِي بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أَيِّ بِالمِيرَاثِ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

الفِقَارُ، وَصَمَامَةُ عَمْرُو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الَّتِي وَهَبَهَا لَخَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، وَكَانَتْ مَشْهُورَةً عِنْدَ الْعَرَبِ، وَكَانَ لَهُ حَزْبَةٌ يُقَالُ لَهَا: النَّبْعَةُ، وَذَكَرَ الْعَقِيلِيُّ فِي كِتَابِ الضُّعَفَاءِ جُمْلَةً مِنْ آلَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثِ أُسْنَدِهِ، فَمِنْهَا الْجَمْعُ اسْمُ كِنَانَتِهِ، وَالْمَدْلَةُ اسْمُ لِمْرَأَةٍ كَانَ يَنْظُرُ فِيهَا، وَقَضِيبٌ يَسْمَى: الْمَمْشُوقُ، وَذَكَرَ الْجَلَمَيْنِ، وَنَسِيتُ مَا قَالَ فِي اسْمِهِ، وَأَمَّا بَغْلَتُهُ دُلْدُلٌ وَحِمَارُهُ عُفَيْرٌ، فَقَدْ ذَكَرْنَاهُمَا فِي كِتَابِ الْأَعْلَامِ، وَذَكَرْنَا مَا كَانَ فِي أَمْرِ الْحِمَارِ مِنَ الْآيَاتِ، وَزَدْنَا هُنَاكَ فِي اسْتِقْصَاءِ هَذَا الْبَابِ، وَرَأَيْنَا أَنْ لَا نُخْلِي هَذَا الْكِتَابَ مِمَّا ذَكَرْنَا هُنَاكَ، أَوْ أَكْثَرَهُ، وَأَمَّا دُلْدُلٌ فَمَاتَتْ فِي زَمَنِ مَعَاوِيَةَ، وَهِيَ الَّتِي أَهْدَاهَا إِلَيْهِ الْمُقَوْقِسُ، وَأَمَّا الْيَغْفُورُ فَطَرَحَ نَفْسَهُ فِي بَثْرِ يَوْمٍ مَاتَ النَّبِيُّ - ﷺ - فَمَاتَ، وَذَكَرَ ابْنُ فُورَكَ فِي كِتَابِ الْفُصُولِ أَنَّهُ كَانَ مِنْ مَغَانِمِ خَيْبَرَ، وَأَنَّهُ كَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا زِيَادُ بْنُ شِهَابٍ، وَقَدْ كَانَ فِي آبَائِي سِتُونَ حِمَارًا كُلُّهُمْ رَكِبَهُ نَبِيٌّ، فَارَكِبْنِي أَنْتَ، وَزَادَ الْجَوِينِيُّ فِي كِتَابِ الشَّامِلِ^(١) أَنْ النَّبِيَّ - ﷺ - كَانَ إِذَا أَرَادَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِ هَذَا الْحِمَارَ، فَيَذْهَبُ حَتَّى يَضْرِبَ بِرَأْسِهِ الْبَابَ، فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، فَيَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ، وَكَانَ لَهُ تُرْسٌ فِيمَا ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ فِيهِ تَمَثَالُ كَرَأْسِ الْكَبْشِ وَكَانَ يَكْرَهُهُ فِيهِ، فَأَصْبَحَ ذَاتَ يَوْمٍ قَدْ انْمَحَى، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ أَثَرٌ، وَأَمَّا رُدَاوُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَانَ يُقَالُ لَهُ: الْحَضْرَمِيُّ، وَبِهِ كَانَ يَشْهَدُ الْعِيدَيْنِ، كَانَ طَوْلُهُ أَزْبَعَ أَذْرُعَ وَعَرْضُهُ ذِرَاعَانِ وَشِبْرٌ، وَكَانَ لَهُ جَفْنَةٌ عَظِيمَةٌ يُقَالُ لَهَا الْغَرَاءُ يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ جَرَى ذِكْرُهَا فِي حَدِيثِ خُرْجِهِ أَبُو دَاوُدَ، فَهَذِهِ جُمْلَةٌ تَشْرِيْبُ إِلَى مَعْرِفَتِهَا أَنْفُسُ الطَّالِبِينَ، وَتُرْتَّاحُ بِالمَذَاكِرَةِ بِهَا قُلُوبُ الْمُتَأَدِّبِينَ، وَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ بَابِ الْمَعْرِفَةِ بِنَبِيِّنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمتصلاً بأخبار سيرته مما يُؤْنِقُ الْأَسْمَاعَ، وَيَهْزِ بِأرواحِ الْمُحِبَّةِ الطَّبَاعِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا عَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ^(٢).

(١) انظر الشامل (١٧٨/٢).

(٢) انظر مزيد بيان «زاد المعاد» لابن القيم (٦٧/١).

من شهد بدرًا من المسلمين

من بني هاشم والمطلب:

قال ابن إسحاق: وهذ تسمية من شهد بدرًا من المسلمين، ثم من (قريش، ثم من) بني هاشم بن عبد مناف وبني المطلب بن عبد مناف بن قُصَي بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النُّضر بن كِنانة.

محمد رسول الله ﷺ سيد المرسلين، ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم؛ وحمزة بن عبد المطلب بن هاشم، أسدُ الله وأسدُ رسوله، عم رسول الله ﷺ، وعليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم؛ وزيد بن حارثة بن شَرَحْبِيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس الكَلبي، أنعم الله عليه ورسوله ﷺ.

قال ابن هشام: زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النُعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كِنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد الله بن رُقيدة بن ثور بن كعب بن وَبرة.

قال ابن إسحاق: وأنسَه مولى رسول الله ﷺ، وأبو كَبْشة مولى رسول الله ﷺ.

تسمية من شهد بدرًا^(١)

قد تقدم التعريف بكثير منهم، ومن غيرهم مِمَّن جرى ذكره في السيرة والتنبيه إلى ما تَشَوَّف إليه نفس الطالب من هذا الفن وسائرهم قد نسبته ابن إسحاق وابن هشام في هذا

(١) انظر المنتظم (١٢٧/٣) البداية والنهاية (٣/٣١٥) جوامع السيرة النبوية لابن حزم (١٤٨) الواقدي في المغازي (١٥١) تلقيح الفهوم لابن الجوزي (٢/٢) وابن سعد (١/١/٣) والبخاري (٨٧/٦).

قال ابن هشام: أنسة: حبشي، وأبو كُبشة: فارسي.

قال ابن إسحاق وأبو مَرثِدٍ كَنَازُ بْنُ حِصْنِ بْنِ يَرْبُوعِ بْنِ عَمْرِو بْنِ يَرْبُوعِ بْنِ خَرْشَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ طَرِيفِ بْنِ جِلَالٍ بْنِ غَنَمِ بْنِ غَنِيٍّ بْنِ يَغْصَرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ.

قال ابن هشام: كَنَازُ بْنُ حُصَيْنِ.

قال ابن إسحاق: وابنه مَرثِدُ بْنُ أَبِي مَرثِدٍ، حَلِيفَا حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ؛ وَأَخُوهُ الطُّفَيْلُ بْنُ الْحَارِثِ، وَالْحُصَيْنُ بْنُ الْحَارِثِ؛ وَمِسْطَحٌ، وَاسْمُهُ: عَوْفُ بْنُ أَثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ. اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا.

من بني عبد شمس:

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، تخلف على امرأته رُقَيْيَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَهْمِهِ، قَالَ: وَأَجْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَأَجْرُكَ؛ وَأَبُو حَذِيفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ؛ وَسَالِمٌ، مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ.

قال ابن هشام: واسم أبي حذيفة مهشم.

نسب سالم:

قال ابن هشام: وسالم، سائبة لثيثة بنت يعار بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، سيبته فانقطع إلى أبي حذيفة فتبناه، ويقال: كانت ثبيته بنت يعار تحت أبي حذيفة بن عتبة، فأعتقت سالمًا سائبة، فقيل: سالم مولى أبي حذيفة.

قال ابن إسحاق: وزعموا أن صبيحًا مولى أبي العاص بن أمية بن عبد شمس تجهر للخروج مع رسول الله ﷺ، ثم مرض، فحمل على بغيره أبا سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ ثم شهد صبيح بعد ذلك المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

الباب، ونسبنا نحن فيما تقدم طائفة لم ينسبهم ابن إسحاق في هذا الباب، منهم: أبو الهيثم [مالك] بن التيهان تقدم التعريف به في بيعة العقبة وأنه من بني إراش في قول ابن إسحاق، وقال ابن هشام: إراشة.

من حلفاء بني عبد شمس:

وشهد بدرًا من حلفاء بني عبد شمس، ثم من بني أسد بن خزيمة: عبد الله بن جحش بن رثاب بن يغمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد؛ وعُكاشة بن مخصن بن حُرثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد؛ وشجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد، وأخوه عتبة بن وهب؛ ويزيد بن رقيش بن رثاب بن يغمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد؛ وأبو سنان بن مخصن بن حُرثان بن قيس، أخو عُكاشة بن مخصن؛ وابنه سنان بن أبي سنان، ومُخرز بن نضلة بن عبد الله بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد، وربيعه بن أكتم بن سخبرة بن عمرو بن لُكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد.

من حلفاء بني كبير:

ومن حلفاء بني كبير بن غنم بن دودان بن أسد: ثقف بن عمرو، وأخواه: مالك بن عمرو، ومذلاج بن عمرو.

قال ابن هشام: مذلاج بن عمرو.

قال ابن إسحق: وهم من بني حَجْر، آل بني سليم. وأبو مخشي، حليف لهم. ستة عشر رجلاً.

قال ابن هشام: أبو مخشي طائي، واسمه: سويد بن مخشي.

من بني نوفل:

قال ابن إسحق: ومن بني نوفل بن عبد مناف: عتبة بن عَزْوان بن جابر بن وهب بن نسيب بن مالك بن الحارث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان: وخبّاب، مولى عتبة بن عَزْوان - رجلاً.

وذكر في بني الحارث بن فهر عِيَاض بن أبي زُهَيْر، هكذا أَلْفَيْتُهُ في نسخة الشيخ أبي بَحر وغيرها من النسخ الصُّحاح، وهو وهم، والصواب: عِيَاض بن زُهَيْر، وليس الوهم في ابن إسحق، لأنه قد ذكره في المهاجرين إلى الحبشة، فقال فيه ابن زهير على الصواب، وكذلك قال في ابن أخيه عمرو بن الحارث بن زُهَيْر، وغنم بن زُهَيْر والد عِيَاض بن غنم صاحب الفتوحات الذي يقول فيه ابن الرُّقَيَات:

وعِيَاضٌ وما عِيَاضٌ بن غنم كان من خير من تُجِنُّ النساءُ

من بني أسد:

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قُصَيٍّ: الزُّبير بن العوّام بن خُوَيْلد بن أسد؛ وحاطب بن أبي بَلْتَعَة، وسَعْد مولى حاطب. ثلاثة نفر.

قال ابن هشام: حاطب بن أبي بَلْتَعَة، واسم أبي بَلْتَعَة: عمرو، لخمِيّ، وسَعْد مولى حاطب، كلبِيّ.

من بني عبد الدار:

قال ابن إسحاق: ومن بني عبد الدار بن قُصَيٍّ: مُضْعَب بن عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيٍّ، وسُوَيْبُط بن سعد بن حُرَيْمَلَة بن مالك بن عُمَيْلَة بن السَّبَّاق بن عبد الدار بن قُصَيٍّ. رجلان.

من بني زهرة:

ومن بني زهرة بن كلاب: عبدُ الرحمن بن عَوْف بن عبد عَوْف بن عبد بن الحارث بن زهرة؛ وسَعْد بن أبي وقَّاص - وأبو وقَّاص مالك بن أهْيَب بن عبد مناف بن زهرة. وأخوه عُمَيْر بن أبي وقَّاص.

ومن حلفائهم: المِقْدَاد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مَطْرُود بن عمرو بن سعد بن زهير بن ثور بن ثعلبة بن مالك بن الشَّريد بن هَزَل بن قائش بن دُرَيْم بن القَيْن بن أهود بن بَهْرَاء بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعَة. قال ابن هشام: ويقال: هزل بن قاس بن ذَرّ - ودَهِير بن ثور.

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن مسعود بن الحارث بن شَمَخ بن مَخْزُوم بن صاهِلَة بن كاهِل بن الحارث بن تَمِيم بن سعد بن هُذَيْل، ومسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حَمَالَة بن غالب بن مُحَلَّم بن عائذَة بن سُبَيْع بن الهون بن خُزَيْمَة، من القارة.

قال ابن هشام: القارة: لقب لهم. ويقال:

قَدْ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مَنْ رَامَاهَا

وكانوا رماة.

والحارث بن زُهَيْر والدُ عَمْرِو بن الحارث بن زُهَيْر، وقد ذكر ابن إسحاق عمرو بن الحارث أيضًا؛ فقال فيه: ابن زهير لا ابن أبي زهير والحمد لله.

قال ابن إسحاق: وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة بن غنشان بن سليم بن ملكان بن أقصى بن حارثة بن عمرو بن عامر، من خزاعة.

قال ابن هشام: وإنما قيل له: ذو الشمالين، لأنه كان أعسر، واسمه عُمير.

قال ابن إسحاق: وخبّاب بن الأرت، ثمانية نفر.

قال ابن هشام: خباب بن الأرت، من بني تميم، وله عقب، وهم بالكوفة؛ ويقال: خباب من خزاعة.

من بني تيم:

قال ابن إسحاق: ومن بني تيم بن مُرة: أبو بكر الصديق، واسمه عتيق بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم.

قال ابن هشام: اسم أبي بكر: عبدُ الله، وعتيق: لقب، لحُسن وجهه وعتقه.

قال ابن إسحاق: وبلال، مولى أبي بكر - وبلال مولد من مولدي بني جُمح، اشتراه أبو بكر من أمية بن خلف، وهو بلال بن رباح، لا عقب له - وعامر بن فُهيرة.

قال ابن هشام: عامر بن فُهيرة، مولد من مولدي الأسد، أسود، اشتراه أبو بكر منهم.

قال ابن إسحاق: وصُهيب بن سنان، من النمر بن قاسط.

نسب النمر:

قال ابن هشام: النمر: بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار؛ ويقال: أفصى بن دُعَمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ويقال: صُهيب، مولى عبد الله بن جذعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، ويقال: إنه

وذكر ابن إسحاق في البدرين عاصم بن عدي لم يشهدا، لأن رسول الله ﷺ رده من الرّوحاء لسبب ذكره موسى بن عتبة وغيره، وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه شيء عن أهل مسجد الضّرار، وكان قد استخلفه على قُبَاء والعالية، فردّه لينظر في ذلك، وضرب له بسهمه مع أهل بدر، وعاصم هو المذكور في حديث اللّعان الذي يقال له: عويمر العجلاني وهو عويمر بن أبيض، ويقال فيه: ابن أشقر: سل لي يا عاصم عن ذلك رسول الله - ﷺ توفي سنة خمس وأربعين، وهو ابن عشرين ومائة يُكنى أبا عمرو، وقيل: أبا عبد الله.

رُومِي. فقال بعض من ذكر إنه من النمر بن قاسط: إنما كان أسيرًا في الروم فاشترى منهم. وجاء في الحديث عن النبي ﷺ: «صُهِيبَ سَابِقُ الرُّومِ»^(١).

قال ابن إسحاق: وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، كان بالشام، فقدم بعد أن رجع رسول الله ﷺ من بدر، فكلّمه، فضرب له بسهمه، فقال: وأجري يا رسول الله؟ قال: وأجرُك. خمسة نفر.

من بني مخزوم:

قال ابن إسحاق: ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة: أبو سلمة بن عبد الأسد، واسم أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ وشماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هزيم بن عامر بن مخزوم.

سبب تسمية الشّماس:

قال ابن هشام: واسم شماس: عثمان، وإنما سمي شماسًا، لأن شماسًا من الشّمامسة قدِم مكة في الجاهليّة، وكان جميلًا، فعجب الناس من جماله. فقال عتبة بن ربيعة، وكان خال شماس: ها أنا آتيكم بشماس أحسن منه، فأتي بابن أخته عثمان بن عثمان فسُمي شماسًا، فيما ذكر ابن شهاب الزهري وغيره.

قال ابن إسحاق: والأرقم بن أبي الأرقم، واسم أبي الأرقم: عبد مناف بن أسد، وكان أسد يُكنى: أبا جندب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ وعمّار بن ياسر:

قال ابن هشام: عمّار بن ياسر، عُسَيّ، من مدحج.

قال ابن إسحاق: ومُعْتَب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب بن حُبَشِيّة ابن سلول بن كعب بن عمرو، حليف، لهم من خُزاعة، وهو الذي يُدعى: عِيْهَامَة، خمسة نفر.

قصة خوات:

وذكر ابن إسحاق فيمن ردّه النبي ﷺ - يوم بدر، وضرب له بسهمه خوات بن جبير، ردّه من الصّفرَاء، وسبب ذلك - فيما ذكر ابن عتبة أن حَجَرًا أصابه في رجله فَوَرِمَتْ عليه،

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١٦١/١/٣) وابن عساكر في تهذيبه (٦٠٩/٣) (٤٠٠/٦) والطبري في تفسيره (٦٦/٢٢).

من بني عدي وحلفائهم:

ومن بني عديّ بن كعب: عمرو بن الخطّاب بن ثُقيل بن عبد العُزّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رِزّاح بن عديّ؛ وأخوه زيد بن الخطّاب؛ ومهجع، مولى عمر بن الخطّاب، من أهل اليمن، وكان أوّل قتيل من المسلمين بين الصّفين يوم بدر، رُمي بسهم.

قال ابن هشام: مهجع، من عكّ بن عدنان.

قال ابن إسحق: وعمرو بن سُراقَة بن المُعْتَمِر بن أنس بن أذاة بن عبد الله بن قُرْط بن رياح بن رِزّاح بن عديّ بن كعب؛ وأخوه عبد الله بن سُراقَة، وواقد بن عبد الله بن عبد مَناف بن عَرِين بن ثُعْلَبَة بن يَزْبوع بن حَنْظَلَة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم، حليف لهم، وخولّيّ بن أبي خولّيّ ومالك بن أبي خولّيّ، حليفان لهم.

قال ابن هشام: أبو خولّيّ، من بني عجل بن لَجِيم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل.

قال ابن إسحق: وعامر بن ربيعة، حليف آل الخطّاب، من عَنز بن وائل.

قال ابن هشام: عنز بن وائل: بن قاسط بن هُنب بن أفصى بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ويقال: أفصى: بن دُعْمَيّ بن جَديلة.

قال ابن إسحق: وعامر بن البُكَيْر بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة، من بني سعد بن ليث؛ وعاقِل بن البُكَيْر؛ وخالد بن البُكَيْر، وإياس بن البُكَيْر، حلفاء بني عديّ بن كعب؛ وسَعِيد بن زيد بن عمرو بن ثُقيل بن عبد العُزّى بن عبد الله بن قُرْط بن رياح بن رِزّاح بن عديّ بن كعب، قَدِم من الشّام بعدما قدّم رسولُ الله ﷺ من بدر، فكلّمه، فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه؛ قال: وأجري يا رسول الله؟ قال: وأجرك. أربعة عشر رجلاً.

واغْتَلَتْ، فردّه النبي ﷺ - لذلك، وهو صاحبُ خَوْلَة ذات النُّخَيْنِ في الجاهلية، وهي امرأة من بني تيم الله بن ثُعْلَبَة بن عُكَّابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل، ويروى أن النبي ﷺ - سأله عنها وتَبَسَّمَ فقال: يا رسول الله قد رَزَق الله خيراً، وأعوذ بالله من الحَوَرِ بعد الكُور^(١)، ويروى أنه قال له: ما فعل بعيرك الشَّارِدُ؟ فقال: قيّده الإسلامُ يا رسول الله،

(١) يعني: من النقصان بعد الزيادة.

من بني جمح وحلفائهم:

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب: عثمان بن مَظْعون بن حَبِيب بن وَهَب بن حُذَافَة بن جُمَح؛ وابنه السائب بن عثمان؛ وأخواه قُدَامة بن مَظْعون؛ وعبدُ الله بن مَظْعون؛ ومُغَمَّر بن الحارث بن مَغَمَّر بن حَبِيب بن وَهَب بن حُذَافَة بن جُمَح. خمسة نفر.

ومن بني سَهم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب بن حُنَيْس بن حُذَافَة بن قَيْس بن عَدِي بن سَعْد بن سَهم. رجل.

من بني عامر:

قال ابن إسحاق: من بني عامر بن لُؤَيٍّ: ثم من بني مالك بن حِجْل بن عامر: أبو سَبْرَة بن أبي رُهم بن عبد العُزَي بن أبي قَيْس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِجْل عبد الله بن مَخْرمة بن عبد العُزَي بن أبي قَيْس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك؛ وعبد الله بن سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وَدّ بن نصر بن مالك بن حِجْل - كَانَ خرج مع أبيه سُهيل بن عمرو، فلما نزل الناسُ بدرًا فرَّ إلى رسول الله ﷺ، فشَهِدَهُ معه - وعُمَيْر بن عَوْف، مولى سُهيل بن عمرو؛ وسعد بن خَوْلَة، حليف لهم. خمسة نفر.

قال ابن هشام: سعد بن خَوْلَة، من اليمن.

من بني الحارث:

قال ابن إسحاق: ومن بني الحارث بن فِهْر: أبو عُبيدة بن الجراح، وهو عامر بن الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضَبَّة بن الحارث وعمرو بن الحارث بن زُهَيْر بن أبي شَدَاد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضَبَّة بن الحارث؛ وسُهيل بن وَهَب بن ربيعة بن هلال بن أبي أهيب بن ضَبَّة بن الحارث؛ وأخوه صَفْوَان بن وَهَب، وهما ابنا بيضاء؛ وعمرو بن أبي سَرْح بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضَبَّة بن الحارث. خمسة نفر.

وقيل: معنى قوله: بعيرك الشارد: أنه مَرَّ في الجاهلية بِنِسْوَةٍ أعجبه حُسْنُهن، فسألهن أن يَفْتِلْنَ له قَيْدًا لبعير له، زعم أنه شارد، وجلس إليهن بهذه العِلَّة، فمَرَّ به النبي ﷺ - وهو يتحدث إليهن، فأعرض عنه وعنهن، فلما أسلم سألَه عن ذلك البعير الشارد، وهو يَتَبَسَّم له، فقال خَوَات: قَيْدُه الإسلامُ يا رسولَ الله، قال الواقدي: يُكْنَى أبا صالح، وَرَوَى الثَّمَرِيُّ في

عدد مَنْ شهد بدرًا من المهاجرين :

فجميع من شهد بدرًا من المهاجرين، ومن ضرب له رسولُ الله ﷺ بسهمه وأجره، ثلاثة وثمانون رجلاً.

قال ابن هشام: كثير من أهل العلم، غير ابن إسحاق، يذكرون في المهاجرين ببدر، في بني عامر بن لؤي: وهب بن سعد بن أبي سرح، وحاطب بن عمرو؛ وفي بني الحارث بن فهر: عياض بن أبي زهير.

الأنصار ومن معهم من بني عبد الأشهل :

قال ابن إسحاق: وشهد بدرًا مع رسول الله ﷺ من المسلمين ثم من الأنصار، ثم من الأوس بن حارث بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل؛ وعمرو بن معاذ بن النعمان، والحارث بن أوس بن معاذ بن النعمان، والحارث بن أنس بن رافع بن امرئ القيس.

من بني عبید بن كعب وحلفائهم :

ومن بني عبید بن كعب بن عبد الأشهل: سعد بن زيد بن مالك بن عبید. ومن بني زُغوراء بن عبد الأشهل - قال ابن هشام: ويقال: زُغوراء - سلمة بن سلامة بن وقش بن زُغبة، وعباد بن بشر بن وقش بن زُغبة بن زُغوراء، وسلمة بن ثابت بن وقش، ورافع بن يزيد بن كُرز بن سکن بن زُغوراء، والحارث بن خزيمة بن عدي بن أبي بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج حليف لهم من بني عوف بن الخزرج ومحمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث حليف لهم من بني حارثة بن الحارث، وسلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث، حليف لهم من بني حارثة بن الحارث.

قال ابن هشام: أسلم بن حريش بن عدي.

قال ابن إسحاق: وأبو الهيثم بن التيهان، وعبيد بن التيهان.

حديث مُسْنَدٌ إلى خَوَاتِ أَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، كُنَّاهُ: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ مَعَهُ فِي رَكْبٍ، فَقَالَ لَهُ: الرَّكْبُ غَنَّا مِنْ شِغْرِ ضِرَارٍ، فَقَالَ عُمَرُ: دَعُوا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَغْنِينَا بُنَيَاتِ فُؤَادِهِ قَالَ: فَأَنْشُدْهُمْ حَتَّى السَّحَرِ، فَقَالَ عُمَرُ: ازْفَعْ لِسَانَكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فَقَدْ أَسْحَرْنَا.

قال ابن هشام: ويقال: عتيك بن التَّيهان.

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن سهل. خمسة عشر رجلاً.

قال ابن هشام: عبدُ الله بن سهل: أخو بني زَعُوراء؛ ويقال: من غَسَّان.

قال ابن إسحاق: ومن بني ظَفَر، ثم من بني سَوَاد بن كَعْب، وكَعْب: هو ظَفَر.
- قال ابن هشام: ظَفَر: بن الخزرج بن عمرو بن مالك الأوس: قتادة بن النُّعْمان بن زيد بن عامر بن سَوَاد؛ وعُبَيْد بن أَوْس بن مالك بن سَوَاد، رجُلان.

سبب تسمية عبيد بمقرن:

قال ابن هشام: عُبَيْد بن أَوْس الذي يُقال له: مقرن، لأنه قرَن أربعة أسرى في يوم بدر. وهو الذي أسر عَقِيل بن أَبِي طالب يومئذ.

من بني عبد بن رزاح وحلفائهم:

قال ابن إسحاق: ومن بني عَبْد بن رِزَاح بن كَعْب: نَضْرُ بن الحارث بن عبد؛ ومَعْتَب بن عبد.

ومن حلفائهم، من بليّ: عبدُ الله بن طارق. ثلاثة نفر.

من بني حارثة:

ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: مسعود بن سَعْد بن عامر بن عديّ بن جُشَم بن مَجْدعة بن حارثة.

قال ابن هشام: ويقال: مسعود بن عبد سعد.

قال ابن إسحاق: وأبو عَبَس بن جَبْر بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن مَجْدعة بن حارثة.

ومن حلفائهم، ثم من بليّ: أبو بُردة بن نيار، واسمه: هانئ بن نيار بن عمرو بن عُبَيْد بن كلاب بن ذُهْمان بن غَنَم بن ذُبْيَان بن هُمَيْم بن كاهل بن ذُهَل بن هُنَيّ بن بليّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة. ثلاثة نفر.

نسب النعمان بن عصر:

وذكر النُّعْمان بن عَصْر، ولم ينسبه، وهو ابن عَصْر ابن الرِّبيع بن الحارث بن أديم البلَوِيّ، وقيل: عَصْر بن عُبَيْد بن وائلة بن حارثة البلَوِيّ، قتل باليمامة.

من بني عمرو:

قال ابن إسحاق: ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، ثم من بني ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف: عاصم بن ثابت بن قيس، وقيس أبو الأقلح بن عزيمة بن مالك بن أمة بن ضبيعة - ومعتب بن قشير بن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة؛ وأبو مليل بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة، وعمرو بن معبد بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضبيعة.

قال ابن هشام: عمير بن معبد.

قال ابن إسحاق: وسهل بن حنيف بن واهب بن الحكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث: بن عمرو، وعمرو الذي يقال له: بخرج بن حنس بن عوف بن عمرو بن عوف. خمسة نفر.

من بني أمية:

ومن بني أمية بن زيد بن مالك: مبشر بن عبد المنذر بن زهير بن زيد بن أمية، ورفاعة بن عبد المنذر بن زهير، وسعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية: وعويم بن ساعدة، ورافع ابن عنجدة - وعنجدة أمه، وفيما قال ابن هشام - وعبيد بن أبي عبيد، وثعلبة بن حاطب.

وزعموا أن أبا لبابة بن عبد المنذر، والحارث بن حاطب خرجا مع رسول الله ﷺ فرجعهما، وأمر أبا لبابة على المدينة، فضرب لهما بسهمين مع أصحاب بدر. تسعة نفر.

قال ابن هشام: ردهما من الروحاء.

قال ابن هشام: وحاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية، واسم أبي لبابة: بشير.

من بني عبيد وحلفائهم:

قال ابن إسحاق: ومن بني عبيد بن زيد بن مالك: أنيس بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن عبيد.

تصويب أنساب:

وذكر في نسب زيد بن وداعة جزء بن عدي.

وذكر أبو بخر أنه قيده عن أبي الوليد جزء بسكون الزاي، وأنه لم يجده عن غيره إلا بكسر الزاي.

ومن حلفائهم من بلي: مَعْن بن عدي بن الجد بن العجلان بن ضبيعة وثابت بن أقرم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان، وعبد الله بن سلمة بن مالك بن الحارث بن عدي بن العجلان، وزيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان؛ وربيعي بن رافع بن زيد بن حارثة بن الجد بن العجلان. وخرج عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان، فردّه رسول الله ﷺ، وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر. سبعة نفر.

من بني ثعلبة:

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف: عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك - واسم البرك: امرؤ القيس بن ثعلبة - وعاصم بن قيس.

قال ابن هشام: عاصم بن قيس: بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: وأبو ضيَّاح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة؛ وأبو حنّة.

قال ابن هشام: وهو أخو أبي ضيَّاح، ويقال: أبو حية. ويقال لامرئ القيس: البرك بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: وسالم بن عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة.

قال ابن هشام: ويقال: ثابت: بن عمرو بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: والحارث بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة وخوات بن جبير بن النعمان، ضرب له رسول الله - ﷺ - سهم مع أصحاب بدر. سبعة نفر.

وذكر رافع ابن عُنْجْدَة، وقال: هي أمه، ولم يذكر أباه، واسمه: عَبْدُ الحارث، والعُنْجْدَة حَبُّ الزَّيْب، ويقال: هو الزَّيْب، وأما عَجْمُ الزَّيْب، فهو الْفِرْصِد [أو الْفِرْصِيدُ أو الْفِرْصَادُ] قاله أبو حنيفة.

وذكر كَعْب بن جَمَّازٍ بالجيم والزاي، كما قال ابن هشام، لا كما قال ابن إسحاق، فإن أهل النسب على ما قال ابن هشام، غير أن الدَّارِقُطْنِي قَيَّد فيه روايةً ثالثة: ابن حِمَّان بنون وحاء مكسورة.

من بني جحجبي وحلفائهم:

ومن بني جَحْجَبِي بن كُلفة بن عَوْف بن عمرو بن عوف: منذر بن محمد بن عُقبَة بن أَحِيحة بن الجلاح بن الحَرِيش بن جَحْجَبِي بن كلفة.

قال ابن هشام: ويقال: الحَرِيس بن جَحْجَبِي.

قال ابن إسحاق: ومن حلفائهم من بني أُثَيْف: أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة بن بَيْحان بن عامر بن الحارث بن مالك بن عامر بن أُثَيْف بن جُشَم بن عبد الله بن تَيْم بن إراش بن عامر بن عُمَيْلة بن قَسْمِيل بن فَرَّان بن بَلِي بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة. رجُلان.

قال ابن هشام: ويقال تَمِيم بن إِرَاشَة، وقَسْمِيل بن فَرَّان.

من بني غنم:

وقال ابن إسحاق: ومن بني غَنَم بن السَّلَم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس سعدُ بن خَيْثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحَّاط بن كعب بن حارثة بن غَنَم؛ ومُنذر بن قُدَّامة بن عَرْفَجة؛ ومالك بن قُدَّامة بن عَرْفَجة.

قال ابن هشام: عرفجة: بن كعب بن النَّحَّاط بن كعب بن حارثة بن غَنَم.

قال ابن إسحاق: والحارث بن عَرْفَجة؛ وتَمِيم، مولى بني غنم. خمسة نفر.

قال ابن هشام: تَمِيم: مولى سَعْد بن خَيْثمة.

من بني معاوية وحلفائهم:

قال ابن إسحاق: ومن بني معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف: جَبْر بن عتيك بن الحارث بن قيس بن هَيْشَة بن الحارث بن أُمَيَّة بن معاوية؛ ومالك بن نُمَيْلة، حليف لهم من مُزينة، والنُّعمان بن عَصْر، حليف لهم من بَلِي. ثلاثة نفر.

وذكر فيهم أبا حُمَيْصَة، واسمه: مَعْبَد بن عَبَّاد: قال أبو عَمْرٍو: كذا قَيَّده إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق، وغيره يقول فيه عن ابن إسحاق يقول فيه: أبو حُمَيْصَة بخاء منقوطة وصاد مهملة.

وذكر في البَلَوِيِّين أبا عقيل، ولم يُسَمَّه وكان اسمه في الجاهلية عَبْدَ العُزَّى، فسماه النبي ﷺ عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَدُوَّ الأوثان ابن عبد الله بن ثعلبة قُتِلَ باليمامة.

عدد من شهد بدرًا من الأوس:

فجميع من شهد بدرًا من الأوس مع رسول الله ﷺ ومن ضرب له بسهمه وأجره،
أحد وستون رجلاً.

من بني امرئ القيس:

قال ابن إسحاق: وشهد بدرًا مع رسول الله ﷺ من المسلمين، ثم من الأنصار، ثم
من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ثم من بني الحارث بن الخزرج، ثم
من بني امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج:
خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس، وسعد بن ربيع بن عمرو بن
أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس، وعبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن
عمرو بن امرئ القيس، وخلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ
القيس، أربعة نفر.

من بني زيد:

ومن بني زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج.
بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاص بن زيد - قال ابن هشام: ويقال: جلاس، وهو عندنا
خطأ - وأخوه سمالك بن سعد. رجلان.

من بني عدي:

ومن بني عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج: سبيع بن قيس
عَيْشَة بن أُمَيَّة بن مالك بن عامر بن عدي، وعباد بن قيس بن عَيْشَة أخوه.

قال ابن هشام: ويقال: قيس: بن عَبْسَة بن أُمَيَّة.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن عَبْس. ثلاثة نفر.

صاحب الصاع:

وأما أبو عقيل صاحب الصاع الذي لَمَزَهُ المنافقون، فاسمه حِثْحَاتٌ، وفيه أُنْزِلَتْ:
﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) وذلك أنه جاء بصاع من تَمُرٍ فَوَضَعَهُ فِي الْعَرَقَةِ
حِينَ حَثَّ النَّبِيُّ - ﷺ - عَلَى النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَضَحِكَ مِنْهُ الْمُنَافِقُونَ وَقَالُوا: إِنْ اللَّهُ لَغَنِيٌّ
عَنْ صَاعِ أَبِي عَقِيلٍ.

(١) سورة التوبة آية رقم (٧٩).

من بني أحمر:

ومن بني أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج: يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر، وهو الذي يُقال له: ابن فُسْحَم رجل. قال ابن هشام: فُسْحَم أمه، وهي امرأة من القَيْن بن جَسْر.

من بني جشم:

قال ابن إسحاق: ومن بني جُشَم بن الحارث بن الخزرج، وزيد بن الحارث بن الخزرج، وهما التوأمان: حُبَيْب بن إساف بن عَتَبَة بن عمرو بن خَدِيج بن عامر بن جُشَم، وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد رَبّه بن زيد، وأخوه حُرَيْث بن زيد بن ثعلبة، زعموا، وسُفْيَان بن بَشْر. أربعة نفر.

قال ابن هشام: سُفْيَان بن نَسْر بن عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد.

من بني جدارة

قال ابن إسحاق: ومن بني جِدَارَة بن عوف بن الحارث بن الخزرج: تَمِيم بن يَعار بن قَيْس بن عدي بن أُمَيَّة بن جِدَارَة، وعبدُ الله بن عُمَيْر من بني حارثة.

قريوش أو قريوس:

وقع في أنساب البَذَرِيِّين ابن قَرِيُوش بكسر القاف والشين المنقوطة وقال ابن هشام: قريوس بالسين المهملة، كذا قيده أبو الوليد، وفي أكثر الروايات قَرَبُوس بفتح القاف والباء المضمومة المنقوطة بواحدة، فقَرِيُوش: فَعْيُول من التَّقْرِش، وهو التَّكْسُب، وبالسين فَعْيُول من القَرَس، وهو البرد، وقَرِيُوش بالشين المنقوطة أصح فيه لأنه من التَّقْرِش وهو التَّكْسُب، كما سُمِّيَتْ قُرَيْشُ به، قاله قُطْرُب. ومِمَّنْ لم يشهد بدرًا لَعُذْر، وهو من النُّقَبَاء سَعْدُ بن عَبَادَة سِيدُ الْخَزْرَج لأنه نَهَشْتَه حَيَّةً، فلم يستطع الخروج، هذا قول القُتَيْبِي، ولذلك لم يذكره ابن إسحاق ولا ابنُ عَقْبَة، وقد ذكرته طائفة فيهم: ابنُ الكلبي وجماعة.

وذكر أبا الضَّيَّاح واسمه النُّعْمَان، وقيل: عُمَيْر بن ثابت بن النُّعْمَان، قَتِل يوم خَيْبَر.

جدارة أو خدارة

وذكر في بني النَجَّار من ينسب إلى جِدَارَة بن الحارث، وجِدَارَة أخو خُذْرَة رهط أبي سعيد الخَدْرَيّ، وغير ابن إسحاق يقول في جِدَارَة خُدَارَة بالخاء المضمومة، قاله ابن

قال ابن هشام: ويقال: عبد الله بن عُمَيْر بن عَدِيّ بن أُمَيَّة بن جِدَارَة.

قال ابن إسحاق: وزيد بن الْمُزَيْن بن قيس بن عَدِيّ بن أُمَيَّة بن جِدَارَة.

قال ابن هشام: زيد بن المُرَيّ.

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن عُزْفَة بن عَدِيّ بن أُمَيَّة بن جِدَارَة. أربعة نفر.

من بني الأبحر:

ومن بني الأبحر، وهم بنو خُذْرَة بن عوف بن الحارث بن الخزرج: عبد الله بن ربيع بن قيس بن عمرو بن عبّاد بن الأبحر. رجل.

من بني عوف:

ومن بني عَوْف بن الخزرج، ثم من بني عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج، وهم بنو الحُبَلَى - قال ابن هشام: الحُبَلَى: سالم بن غنم بن عوف، وإنما سمي الحُبَلَى، لعظم بطنه: عبدُ الله بن عبد الله بن أبيّ بن مالك بن الحارث بن عبيد (المشهور بابن سَلُول)، وإنما سَلُول امرأة، وهي أم أبيّ: وأوس بن خُولَيّ بن عبد الله بن الحارث بن عبيد. رجلان.

من بني جزء وحلفائهم:

ومن بني جَزْء بن عَدِيّ بن مالك بن سالم بن غنم: زيد بن وَدِيعَة بن عمرو بن قَيْس بن جَزْء؛ وعُقْبَة بن وَهْب بن كَلْدَة، حليف لهم من بني عبد الله بن غَطَفَان؛ ورفاعة بن عمرو بن زَيْد بن عمرو بن ثَعْلَبَة بن مالك بن سالم بن غنم؛ وعامر بن سَلَمَة بن عامر، حليف لهم من أهل اليمن. قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن سلمة وهو من بَلِيّ، من قُضَاعَة.

قال ابن إسحاق: وأبو حُمَيْضَة مَغْبَد بن عبّاد بن قُشَيْر بن المُقَدَّم بن سالم بن غنم.

دُرَيْد^(١)، وكذلك قيده الثَّمَرِي، فهما خُذْرَة وخُذَارَة ابنا الحارث بالخاء المنقوطة، وقاله ابن هشام بالخاء المهملة، كذلك قال أبو عمر، وقيده الشيخ أبو بَحر عن أبي الوليد فقال ابن هشام.

(١) انظر الاشتقاق لابن دريد (٤٥٥).

قال ابن هشام: مَعْبِد بن عباد بن قشير بن المقدم، ويقال: عُبادة بن قيس بن القُدَم.

وقال ابن إسحاق: وعامر بن البُكير، حليف لهم. ستة نفر.

قال ابن هشام: عامر بن العُكير، ويقال: عاصم بن العُكير.

من بني سالم:

قال ابن إسحاق: ومن بني سالم بن عَوْف بن عمرو بن الخزرج، ثم من بني العَجْلان بن زَيْد بن غَنَم بن سالم: نوفل بن عبد الله بن نَضْلَة بن مالك بن العجلان بن العجلان. رجل.

من بني أضرم:

ومن بني أضرم بن فِهر بن ثعلبة بن غَنَم بن سالم بن عوف - قال ابن هشام: هذا غَنَم بن عوف، أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عَوْف بن الخزرج، وغَنَم بن سالم، الذي قبله على ما قال ابن إسحاق -: عُبادة بن الصَّامت بن قيس بن أضرم؛ وأخوه أَوْس بن الصَّامت. رجلان.

من بني دعد:

ومن بني دَعْد بن فِهر بن ثعلبة بن غَنَم: النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دَعْد، والنعمان الذي يقال له: قَوقل. رجل.

ومن بني قَرْيُوش بن غَنَم بن أُمَيَّة بن لَوْذان بن سالم - قال ابن هشام: ويقال: قَرْيُوس بن غَنَم - ثابت بن هَزَال بن عمرو بن قَرْيُوش. رجل.

ومن بني مَرْضَخَة بن غَنَم بن سالم: مالك بن الدُّخْشم بن مَرْضَخَة. رجل.

قال ابن هشام: مالك بن الدُّخْشم: بن مالك بن الدُّخْشم بن مَرْضَخَة.

رجيلة أو رخيلة:

وذكر رُجَيْلَة بن ثُعْلَبَة، وقيد في رواية موسى بن عقبة رُخَيْلَة بالخاء المنقوطة، كما وقع في رواية موسى بن عقبة.

من بني لؤذان وحلفائهم:

قال ابن إسحاق: ومن بني لؤذان بن سالم: ربيع بن إياس بن عمرو بن غنم بن أمية بن لؤذان، وأخوه ورقة بن إياس، وعمرو بن إياس، حليف لهم من أهل اليمن. ثلاثة نفر.

قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن إياس، أخو ربيع وورقة.

قال ابن إسحاق ومن حلفائهم من بلي، ثم من بني غصينة - قال ابن هشام: غصينة، أمهم، وأبوهم عمرو بن عمار - المجذر بن زياد بن عمرو بن زفرة بن عمرو بن عمار بن مالك ابن غصينة بن عمرو بن بتيرة بن مشنؤ بن قسرين بن تيم بن أراش بن عامر بن عميلة بن قسيميل بن فاران بن بلي بن عمرو بن الخفاف بن قضاة.

قال ابن هشام: ويقال: قسر بن تميم بن إراشة، وقسيميل بن فاران. واسم المجذرة عبد الله.

قال ابن إسحاق: وعُبادة بن الخشخاش بن عمرو بن زفرة، ونحّاب بن ثعلبة بن حزمة بن أضرم بن عمرو بن عمار.

قال ابن هشام: ويقال بَحّاث بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن ثعلبة بن حزمة بن أضرم. وزعموا أن عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية - حليف لهم - من بهراء، قد شهد بدرًا، خمسة نفر.

قال ابن هشام: عتبة بن بهز، من بني سليم.

من بني ساعدة:

قال ابن إسحاق: ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، ثم من بني ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة: أبو دُجانة، سماك بن خَرْشة.

قال ابن هشام: أبو دُجانة: (سِمَاك) بن أوس بن خَرْشة بن لؤذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة.

تصويب نسب:

وذكر فيهم أبا شيخ بن ثابت، واسمه: أُبَيّ وهو أخو حسان، وقيل: بل هو ابن أُبَيّ بن ثابت وحسان عمه، ووقع في نسخة الشيخ أبي بحر غلطُ أصلحته، وكان قبل الإصلاح أبو شيخ أُبَيّ بن ثابت بن المنذر.

قال ابن إسحاق: والمُنذر بن عمرو بن خُنيس بن حارثة بن لؤذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة. رجلان.

قال ابن هشام: ويقال: المنذر: بن عمرو بن خَنْبَش.

من بني البدي وحلفائهم:

قال ابن إسحاق: ومن بني البدي بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخَزرج بن ساعدة: أبو أسيد مالك بن ربيعة بن البدي، ومالك بن مسعود وهو إلى البدي. رجلان.

قال ابن هشام: مالك بن مسعود: بن البدي، فيما ذكر لي بعض أهل العلم.

من بني طريف وحلفائهم:

قال ابن إسحاق: ومن بني طريف بن الخَزرج بن ساعدة: عبد ربه بن حَق بن أوس بن وقش بن ثعلبة بن طريف. رجل.

ومن حلفائهم، من جُهينة: كعب بن حمار بن ثعلبة.

قال ابن هشام: ويقال: كعب: بن جَمَّار، وهو من غُبشان.

قال ابن إسحاق: وضمرة وزياد وبُسبس، بنو عمرو.

قال ابن هشام: ضمرة وزياد، ابنا بشر.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن عامر، من بلي. خمسة نفر.

من بني جشم:

ومن بني جشم بن الخَزرج، من بني سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تَزِيد بن جشم بن الخَزرج ثم من بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة: خراش بن الصمة بن عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام، والحُبَاب بن المُنذر بن الجَمُوح بن زيد بن حرام، وعُمير بن الحُمَام بن الجَمُوح بن زيد بن حرام، وتميم مولى خراش بن الصمة وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام، ومُعَاذ بن عمرو بن الجَمُوح، ومعوذ بن عمرو بن الجَمُوح بن زيد حرام، وخَلَاد بن عمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام، وعُقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام، وحبيب بن أسود، مولى لهم،

وثابت بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام، وثعلبة الذي يقال له: الجذع، وعمير بن الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن حرام. اثنا عشر رجلاً.

نسب الجموح:

قال ابن هشام: كل ما كان ها هنا الجموح، (فهو الجموح) بن زيد بن حرام، إلا ما كان من جد الصمة (بن عمرو)، فإنه الجموح بن حرام.

قال ابن هشام: عمير بن الحارث: بن لبدة بن ثعلبة.

من بني عبيد وحلفائهم:

قال ابن إسحاق: ومن بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة، ثم من بني خنساء بن سنان بن عبيد: بشر بن البراء بن معرور بن صخر ابن مالك ابن خنساء، والطوفيل بن مالك ابن خنساء، والطوفيل بن النعمان ابن خنساء، وسنان بن صيفي بن صخر ابن خنساء، وعبد الله بن الجد بن قيس بن صخر ابن خنساء، وعتبة بن عبد الله بن صخر ابن خنساء، وجبار بن صخر بن أمية ابن خنساء، وخارجة بن حمير، وعبد الله بن حمير، حليفان لهم من أشجع، من بني دهمان. تسعة نفر.

قال ابن هشام: ويقال: جبار بن صخر بن أمية بن خناس.

من بني خناس:

قال ابن إسحاق: ومن بني خناس بن سنان عبيد: يزيد بن المنذر بن سرح بن خناس، ومعقل بن المنذر بن سرح بن خناس، وعبد الله بن النعمان بن بلدمة.

قال ابن هشام: ويقال: بلدمة وبلدمة.

قال ابن إسحاق: والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد بن عدي، وسواد بن زريق بن ثعلبة بن عبيد بن عدي.

قال ابن هشام: ويقال: سواد: بن رزن بن زيد بن ثعلبة.

قال ابن إسحاق: ومعبد بن قيس بن صخر بن حرام بن ربيعة بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة. ويقال: معبد بن قيس: بن صيفي بن صخر بن حرام بن ربيعة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعبدُ الله بن قَيْس بن صَخْر بن حَرَام بن ربيعة بن عديّ بن غنم. سبعة نفر.

من بني النعمان:

ومن بني النُعمان بن سِنان بن عُبيد: عبدُ الله بن عبد مناف بن النعمان؛ وجابر بن عبد الله بن رِثاب بن النُعمان: وخُلَيْدة بن قَيْس بن النُعمان. والنُعمان بن سِنان، مولى لهم. أربعة نفر.

من بني سواد:

ومن بني سَواد بن غنم بن كَعْب بن سَلِمة، ثم من بني حَدِيدة بن عمرو بن غنم بن سَواد - قال ابن هشام: عمرو بن سَواد، ليس لسَواد ابن يقال له غنم: أبو المُنذر، وهو يَزِيد بن عامر بن حَدِيدة؛ وسُلَيم بن عمرو بن حَدِيدة؛ وقُطَبة بن عامر بن حَدِيدة؛ وعترة مولى سُلَيم بن عمرو. أربعة نفر.

قال ابن هشام: عترة، من بني سُلَيم بن مَنصور، ثم من بني ذَكوان.

من بني عديّ بن نابي:

قال ابن إسحاق: ومن بني عديّ بن نابي بن عمرو بن سَواد بن غنم: عَبَس بن عامر بن عديّ، وثعلبة بن غَنمة بن عديّ، وأبو اليَسَر، وهو كعب بن عمرو بن عَبَّاد بن عمرو بن غنم بن سَواد؛ وسَهْل بن قيس بن أبي كعب بن القَيْن بن كَعْب بن سَواد، وعمرو بن طَلْق بن زيد بن أُمَيّة بن سنان بن كعب بن غنم، ومُعَاذ بن جَبَل بن عمرو بن أَوْس بن عائذ بن عديّ بن كعب بن عديّ بن أَدِيّ بن سعد بن عليّ بن أسد بن سارِدة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر. ستة نفر.

قال ابن هشام: أَوْس: بن عَبَّاد بن عديّ بن كعب بن عمرو بن أَدِيّ بن سعد.

قال ابن هشام: وإنما نَسب بن إسحاق مُعَاذ بن جَبَل في بني سَواد، وليس منهم، لأنه فيهم.

تسمية من كسروا آلهة بني سلمة:

قال ابن إسحاق: والذين كسروا آلهة بني سلمة: مُعَاذُ بن جَبَل، وعبد الله بن أنيس، وثعلبة بن غنمة، وهم في بني سواد بن غنم.

من بني زريق:

قال ابن إسحاق: ومن بني زُرَيْق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج، ثم من بني مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيْق - قال ابن هشام: ويقال: عامر: بن الأزرق: قَيْس بن مُخَصِّن بن خالد بن مُخَلَّد.

قال ابن هشام: ويقال: قيس: بن حَضَن.

قال ابن إسحاق: وأبو خالد وهو الحارث بن قَيْس بن خالد بن مُخَلَّد وَجُبَيْر بن إِيَّاس بن خالد بن مُخَلَّد، وأبو عُبَّادَة، وهو سعد بن عثمان بن خَلْدَة بن مُخَلَّد وأخوه عَقْبَة بن عثمان بن خَلْدَة بن مُخَلَّد؛ وَذَكْوَان بن عبد قَيْس بن خَلْدَة بن مُخَلَّد؛ وَمَسْعُود بن خَلْدَة بن عامر بن مُخَلَّد. سبعة نفر.

من بني خالد:

ومن بني خالد بن عامر بن زُرَيْق: عَبَّاد بن قيس بن عامر بن خالد. رجل.

من بني خلدة:

ومن بني خلدة بن عامر بن زُرَيْق: أَسْعَد بن يَزِيد بن الفاكه بن زيد بن خَلْدَة، والفاكه بن بَشْر بن الفاكه بن زيد بن خَلْدَة.

قال ابن هشام: بَشْر بن الفاكه.

قال ابن إسحاق: وَمِعَاذ بن ماعص بن قيس بن خَلْدَة، وأخوه: عَائِد بن ماعص بن قيس بن خَلْدَة، وَمَسْعُود بن سَعْد بن قيس بن خَلْدَة. خمسة نفر.

من بني العجلان:

ومن بني الْعَجْلَان بن عمرو بن عامر بن زُرَيْق: رِفَاعَة بن رافع بن الْعَجْلَان وأخوه خَلَّاد بن رافع بن مالك بن الْعَجْلَان، وَعُبَيْد بن زيد بن عامر بن الْعَجْلَان. ثلاثة نفر.

من بني بياضة^(١):

ومن بني بياضة بن عامر بن زُرَيْق. زياد بن لَبِيد بن ثعلبة بن سِنان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة، وفَزْوة بن عمرو بن وَذْفَة بن عبيد بن عامر بن بياضة.

قال ابن هشام: ويقال: وَذْفَة.

قال ابن إسحاق: وخالد بن قيس بن مالك بن العَجْلان بن عامر بن بياضة، ورُجَيْلة بن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بياضة.

قال ابن هشام: ويقال: رُخَيْلة.

قال ابن إسحاق: وعَطِيَّة بن نُويرَة بن عامر بن عطية بن عامر بن بياضة، وخليفة بن عدي بن عمرو بن مالك بن عامر بن فهِيرة بن بياضة. ستة نفر.

قال ابن هشام: ويقال: عَلِيفَة.

من بني حبيب:

قال ابن إسحاق: ومن بني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشم بن الخَزرج: رافع بن المُعلّى بن لَوذان بن حارثة بن عدي بن زيد بن ثعلبة بن زيد مناة بن حبيب. رجل.

من بني النجار:

قال ابن إسحاق: ومن بني النجار، وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخَزرج ثم من بني غنم بن مالك بن النجار، ثم من بني ثعلبة بن عبد عوف بن غنم: أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة. رجل.

من بني عسيرة:

ومن بني عسيرة بن عبد عوف بن غنم: ثابت بن خالد بن النعمان بن خُثَاء بن عسيرة. رجل.

(١) بني بياضة وبني حبيب: اختلطت بعض الأوراق في طبعة فضيلة الشيخ: عبد الرحمن الوكيل - رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه الله عنا كل خير. فتغير مكانها.

قال ابن هشام: ويقال: عُسَيْر، وعُشيرة.

من بني عمرو:

قال ابن إسحاق: ومن بني عمرو بن عبد عوف بن غنم: عُمارة بن حَزْم بن زيد بن لَوْذَان بن عمرو، وسُرَاقَة بن كعب بن عبد العزى بن غَزِيَّة بن عمرو. رجُلان.

من بني عبيد بن ثعلبة:

ومن بني عُبيد بن ثعلبة بن غنم: حارثة بن النُعمان بن زيد بن عبيد، وسُلَيم بن قيس بن قَهْد: واسم قَهْد: خالد بن قيس بن عبيد. رجُلان.
قال ابن هشام: حارثة بن النُعمان: بن نَفْع بن زيد.

من بني عائد وحلفائهم:

قال ابن إسحاق: ومن بني عائد بن ثعلبة بن غنم - ويقال عابد فيما قال ابن هشام: سُهَيل بن رافع بن أبي عمرو بن عائد، وعدِيّ بن الزُّغَبَاء، حليف لهم من جُهيْنة. رجُلان.

من بني زيد:

ومن بني زيد بن ثعلبة بن غنم: مَسْعُود بن أَوْس بن زيد، وأبو خُزَيْمة بن أَوْس بن زيد بن أَضْرَم بن زَيْد، ورافع بن الحارث بن سَواد بن زيد. ثلاثة نفر.

من بني سواد وحلفائهم:

ومن بني سَواد بن مالك بن غنم: عوف، ومُعَوِّذ، ومُعَاذ، بنو الحارث بن رفاعَة بن سَواد، وهم بنو عَفْراء.

نسب عَفْراء:

قال ابن هشام: عَفْراء بنت عُبيد بن ثعلبة بن عُبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النَجَّار، ويقال: رفاعَة بن الحارث بن سَواد.

قال ابن إسحاق: والنُعمان بن عمرو بن رفاعَة بن سَواد، ويقال: نُعيْمان، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعامر بن مُخلد بن الحارث بن سَواد، وعبد الله بن قَيْس بن خالد بن خَلدة بن الحارث بن سَواد، وعُصَيمة، حليف لهم من أشجع، ووَدِيعَة بن عمرو، حليف لهم من جُهينة، وثابت بن عمرو بن زيد بن عدي بن سَواد. (و) زعموا أن أبا الحَمراء، مولى الحارث ابن عَفراء، قد شهد بَدْرًا. عشرة نفر.

قال ابن هشام: أبو الحَمراء، مولى الحارث بن رفاعَة.

من بني عامر بن مالك:

قال ابن إسحاق: ومن بني عامر بن مالك بن النَجَّار - وعامر: مَبْذول ثم من بني عتيك بن عمرو بن مَبْذول: ثعلبة بن عمرو بن مَخْصَن بن عمر بن عَتِيك، وسَهْل بن عتيك بن عمرو بن النُّعْمان بن عَتِيك، والحارث بن الصُّمَّة بن عمرو بن عَتِيك، كُسِرَ به بالرُّوحاء فَضْرَبَ له رسول الله ﷺ بِسَهْمِهِ. ثلاثة نفر.

من بني عمرو بن مالك:

ومن بني عمرو بن مالك بن النَجَّار - وهم بنو حُدَيْلة - ثم من بني قَيْس بن عُبيد بن زيد بن مُعاوية بن عمرو بن مالك بن النَجَّار.

نسب حُدَيْلة:

قال ابن هشام: حُدَيْلة بنت مالك بن زيد الله بن حَبِيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضَب بن جُشم بن الخَزرج، وهي أم مُعاوية بن عمرو بن مالك بن النَجَّار، فَبَنُو مُعاوية يَنْتَسِبُونَ إليها.

قال ابن إسحاق: أَبِي بن كَغَب بن قَيْس، وأنس بن مُعاذ بن أنس بن قَيْس. رجُلان.

من بني عدي بن عمرو:

ومن بني عدي بن عمرو بن مالك بن النَجَّار:

قال ابن هشام: وهم بنو مَغالة بنت عوف بن عبد مَنَاة بن عمرو بن مالك بن كِنانة بن خُزَيْمة، ويقال: إنها من بني زُرَيْق، وهي أم عدي بن عمرو بن مالك بن النَجَّار، فَبَنُو عدي يَنْتَسِبُونَ إليها:

أوس بن ثابت بن المُنذر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مَنَاة بن عديّ، وأبو شيخ أبيّ بن ثابت بن المُنذر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مَنَاة بن عديّ.

قال ابن هشام: أبو شيخ أبيّ بن ثابت، أخو حَسَّان بن ثابت.

قال ابن إسحق: وأبو طَلْحَة، وهو زيد بن سَهْل بن الأسود بن حَرَام بن عمرو بن زيد مَنَاة بن عديّ. ثلاثة نفر.

من بني عديّ بن النجار:

ومن بني عديّ بن النجار، ثم من (بني) عديّ بن عامر بن غُثَم بن النجار: حارثُ بن سُراقَة بن الحارث بن عديّ بن مالك بن عديّ بن عامر، وعمرو بن ثُعَلْبَة بن وَهَب بن عديّ بن مالك بن عديّ بن عامر، وهو أبو حَكِيم، وسَلِيط بن قَيْس بن عمرو بن عَتِيك بن مالك بن عديّ بن عامر، وأبو سَلِيط؛ وهو أَسِيرَة بن عمرو؛ وعمرو أبو خارِجَة بن قَيْس بن مالك بن عديّ بن عامر؛ وثابت بن خُنْساء بن عَمْرُو بن مالك بن عديّ بن عامر؛ وعامر بن أُمَيَّة بن زَيْد بن الحَسْحَاس بن مالك بن عديّ بن عامر؛ ومُحْرَز بن عامر بن مالك بن عديّ بن عامر؛ وسواد بن غَزِيَّة بن أَهْيَب، حليف لهم من بَلِيّ. ثمانية نفر.

قال ابن هشام: ويقال: سَوَاد.

من بني حرام بن جندب:

قال ابن إسحق: ومن بني حَرَام بن جُنْدَب بن عامر بن غُثَم بن عديّ بن النجار: أبو زيد، قَيْس بن سَكَن بن قَيْس بن زَعُوراء بن حَرَام، وأبو الأَعُور بن الحارث بن ظالم بن عَبَس بن حَرَام.

قال ابن هشام: ويقال: أبو الأَعُور: الحارث بن ظالم.

قال ابن إسحق: وسَلِيم بن مِلْحان؛ وحَرَام بن مِلْحان - واسم مِلْحان: مالك بن خالد بن زيد بن حرام. أربعة نفر.

من بني مازن بن النجار وحلفائهم:

ومن بني مازن بن النجار، ثم من بني عَوْف بن مَبْدُول بن عمرو بن غُثَم بن

مازن بن النَجَّار: قيسُ بن أبي صَعَصعة - واسم صَعَصعة: عمرو بن زيد بن عوف -
وعبدُ الله بن كَعْب بن عمرو بن عَوْف: وعُصَيمة، حليف لهم من بني أسد بن خُزيمة.
ثلاثة نفر.

من بني خنساء بن مبدول:

ومن بني خَنَساء بن مَبْدُول بن عمرو بن غنم بن مازن: أبو داود عُمير بن عامر بن
مالك بن خَنَساء، وسُرَاقَة بن عَمْرُو بن عطِيَّة بن خَنَساء. رجُلان.

من بني ثعلبة بن مازن:

ومن بني ثعلبة بن مازن بن النَجَّار: قيس بن مُخَلَّد بن ثعلبة بن صَخْر بن
حبيب بن الحارث بن ثعلبة. رجل.

من بني دينار بن النجار:

ومن بني دينار بن النَجَّار، ثم من بني مَسْعُود بن عبد الأشهل بن حارثة بن
دينار بن النَجَّار: الثُّعْمَانُ: بن عبد عمرو بن مَسْعُود، والضَّحَّاك بن عبد عمرو بن
مَسْعُود، وسُلَيم بن الحارث بن ثعلبة بن كَعْب بن حارثة بن دينار، وهو أخو الضَّحَّاك
والثُّعْمَان ابني عبد عمرو، لأُمهما، وجابر بن خالد بن عبد الأشهل بن حارثة، وسعد بن
سُهَيل بن عبد الأشهل. خمسة نفر.

ومن بني قَيْس بن مالك بن كَعْب بن حارثة بن دينار بن النَجَّار: كعب بن زَيْد بن
قَيْس: وبُجَيْر بن أبي بُجَيْر، حليف لهم. رجُلان.

قال ابن هشام: بُجَيْر: من عَبَس بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَان، ثم من بني
جَذِيمة بن رَوَاحَة.

قال ابن إسحق: فجميع من شهد بدرًا من الخَزَرَج مائة وسبعون رجلاً.

من فات ابن إسحق ذكرهم:

قال ابن هشام: وأكثر أهل العِلْم يذكُر في الخَزَرَج ببذر، في بني العَجَلان بن
زَيْد بن غَنَم بن سالم بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف بن الخَزَرَج: عَثِيان بن مالك بن

عمرو بن العجلان؛ ومُليل بن وبرة بن خالد بن العجلان؛ وعِصمة بن الحُصَيْن بن وبرة بن خالد بن العجلان.

وفي بني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غُضْب بن جُشم بن الخزرج، وهم في بني زُرَيْق هلال بن المُعَلَّى بن لؤذان بن حارثة بن عَدِيّ بن زيد بن ثعلبة بن مالك بن زيد مناة بن حبيب.

عدد البدرين جميعاً:

قال ابن إسحاق: فجميع من شهد بَدْرًا من المسلمين، من المُهاجرين والأنصار من شهدها منهم، ومن ضُرب له بشهمه وأجره، ثلاث مائة رجل وأربعة عشر رجلاً؛ من المُهاجرين ثلاثة وثمانون رجلاً، من الأوس واحد وستون رجلاً، ومن الخزرج مائة وسبعون رجلاً.

مَن استشهد من المسلمين يوم بدر

القرشيون من بني عبد المطلب:

واستشهد من المسلمين يوم بدر، مع رسول الله ﷺ، من قُرَيْش؛ ثم من بني المُطَّلِب بن عبد مناف: عُبَيْدة بن الحارث بن المُطَّلِب قتله عُتْبة بن ربيعة، قطع رجله، فمات بالصفراء. رجل.

حول الذين استشهدوا في بدر

فصل: وذكر فيمن استشهد يوم بَدْرٍ: عُمَيْر بن أَبِي وَقَّاصٍ، وذكر الواقدي أن النبي ﷺ، كان قد رَدَّه في ذلك اليوم، لأنه استصغره، فبكى عُمَيْرٌ، فلما رأى النبي ﷺ بكاءه أَذِنَ له في الخروج معه، فقتل وهو ابنُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً، قتله العاصي بن سَعِيد.

وذكر ابن إسحاق حارثة بن سراقه، فيمن قُتل يوم بدر وهو أول قتيل من المسلمين في ذلك اليوم، رماه حبان بن العرقة بسهم فأصاب حنجرتَه فمات، وجاءت أمه وهي الربيع بنت النضر عمّة أنس، فقالت: يا رسول الله قد علمت موضع حارثة مني فإن يكن في الجنة اصبر واحتسب، وإن يكن غير ذلك، فستري ما أصنع، فقال: أو جنة واحدة هي؟ إنما هي جنات وإن ابنك منها لفي الفردوس^(١).

(١) أخرجه البخاري (٩٨/٥) (١٤٢/٨).

من بني زهرة:

ومن بني زهرة بن كلاب. عُمَيْر بن أَبِي وَقَّاص بن أَهْنَب بن عبد مناف بن زهرة، وهو أخو سَعْد بن أَبِي وَقَّاص، فيما قال ابن هشام؛ وذو الشُّمَالَيْن بن عبد عمرو بن نَضْلَة، حليف لهم من خُزَاعَة، ثم من بني غُبْشَان. رجُلَان.

من بني عدي:

ومن بن عَدِي بن كَعْب بن لُؤَيٍّ: عَاقِلُ بن الْبُكَيْر، حليف لهم من بني سَعْد بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَنَاة بن كِنَانَة؛ ومِهْجَع، مولى عمر بن الخطَّاب. رجُلَان.

وذكر فيهم عمير بن الحمام بن الجموح، وقد قدمنا ذكره، وقتله خالد بن الأعلم.

وذكر ذا الشمالين الخزاعي الغباش حليف بني زهرة، وهو الذي ذكره الزهري في حديث التسليم من ركعتين، قال: فقام ذو الشمالين رجل من بني زهرة، فقال: أقصرت الصلاة، أم نسيت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «أصدق ذو اليمين؟» لم يروه أحد هكذا بهذا اللفظ إلا ابن شهاب الزهري، وهو غلط عند أهل الحديث، وإنما هو ذو اليمين السلمي، واسمه: خرباق، وذو الشمالين قتل يوم بدر، وحديث التسليم من ركعتين، شهده أبو هريرة، وكان إسلامه بعد بدر بستين، ومات ذو اليمين السلمي في خلافة معاوية، وروى عنه حديثه في التسليم ابنه مطير بن الخرباق، يرويه عن مطير ابنه شعيب بن مطير^(١).

ولما رأى المبرد حديث الزهري: فقام ذو الشمالين، وفي آخره أصدق ذو اليمين؟ قال: هو ذو الشمالين وذو اليمين، كان يسمى بهما جميعاً، وجهل ما قاله أهل الحديث والسير في ذي الشمالين، ولم يعرف رواية إلا الرواية التي فيها الغلط، قال ذلك في آخر كتاب الكامل في باب الأذواء يوم بدر.

ومن البَدْرِيِّين عُلَيْفَةُ بن عَدِيّ الْبَيَاضِي أيضاً، هكذا اسمه عند أهل السَّيَر، وسماه ابن إسحق فقال: خَلِيفَةُ بن عَدِيّ بِالْخَاء. وممن شهد بدرًا، ولم يذكره ابن هشام عن الْبَكَّائِي، وذكره ابن إسحق في رواية إبراهيم عن سعد عنه: عِيَّاض بن زُهَيْر بن أَبِي شَدَّاد بن رَبِيعَة بن هِلَال بن وَهْنَب بن ضَبَّة بن الْحَارِث بن فِهْرٍ وهو ممن هاجر إلى أرض الحبشة، وقد ذكره في البدرين موسى بن عُقْبَة وَخَلِيفَةُ بن خِيَّاط وَجَمَاعَة. وممن ذُكِرَ في الْبَدْرِيِّين ولم يذكره ابن إسحق يَزِيدُ بن الْأَخْنَس السَّلَمِي، وابنه مَعْن بن يَزِيد وأبوه الْأَخْنَس، ولا

(١) انظر حديث ذو اليمين عن البخاري (١٨٣/٢) ومسلم في المساجد (٩٩) وأبو داود (١٠٨) والنسائي (٢٢/٣) وانظر الفتح (٤٨٣/١٠).

من بني الحارث بن فهر:

ومن بني الحارث بن فهر: صفوان ابن بيضاء رجل. ستة نفر.

ومن الأنصار:

ومن الأنصار، ثم من بني عمرو بن عوف: سعد بن خيثمة، ومبشر بن عبد المنذر بن زئير. رجلان.

من بني الحارث بن الخزرج:

ومن بني الحارث بن الخزرج: يزيد بن الحارث، وهو الذي يقال له: ابن قسح. رجل.

من بني سلمة:

ومن بني سلمة؛ ثم من بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة: عمير بن الحمام. رجل.

من بني حبيب:

ومن بني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم: رافع بن المعلّى. رجل.

من بني النجار:

ومن بني النجار. حارثة بن سراقه بن الحارث. رجل.

من بني غنم:

ومن بني غنم بن مالك بن النجار: عوف ومعوذ، ابنا الحارث بن رفاعه بن سواد، وهما ابنا عفراء. رجلان. ثمانية نفر.

يُعرف مَنْ شهد بدرًا ثلاثة أب وابن وجد إلا هؤلاء، وأكثر أهل العلم بالسيرة لا يُصحّ شهودهم بدرًا لكن شهدوا بيعة الرضوان، ويزيد بن الأخنس هذا هو ابن الأخنس بن حنّاب بن حبيب بن جرّة بضم الجيم ابن زُعْبٍ من بني بُهثة بن سليم. قال ابن ماكولا: لا يُعرف جرّة بضم الجيم إلا هذا، ولا جرّة بكسر الجيم إلا السّوم بنت عمرو بن جرّة من بني ضَمْرَةَ أم الشّدّاخ واسمه يَغْمَرُ بن عَوْف، وقد تقدم ذكره في حديث قُصَيٍّ وَلِمَ سُمَيّ الشّدّاخ. وممن ذكره البخاري في البذريين خديم بن فاتك [بن الأخرم] وأخوه سيرة

من قتل بيدر من المشركين

من بني عبد شمس:

وقُتِلَ من المشركين يومَ بدرٍ من قُريش، ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف: حَنْظَلَةُ بن أبي سُفْيَانَ بن حَرْب بن أُمَيَّة بن عبد شمس، وقتله زيد بن حارثة؛ مولى رسول الله ﷺ فيما قال ابن هشام، ويقال: اشترك فيه حمزة وعليّ وزيد، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: والحرث بن الحُضْرَمي، وعامر بن الحُضْرَمي حليفان لهم قتل عامراً: عَمَّارُ بن ياسر؛ وقتل الحرث: النعمان بن عَصْر، حليف للأوس، فيما قال ابن هشام. وعُمَيْر بن أبي عُمَيْر، وابنه: موليّان لهم. قتل عُمَيْر بن أبي عُمَيْر: سالم، مولى أبي حذيفة؛ فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعُبَيْدَة بن سَعِيد (بن) العاص بن أُمَيَّة بن عبد شمس، قتله الزبير بن العوّام، والعاص بن سعيد بن العاص بن أُمَيَّة قتله عليّ بن أبي طالب. وعُقْبَة بن أبي مُعَيْط بن أبي عمرو بن أُمَيَّة بن عبد شمس، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، أخو بني عمرو بن عوف، صَبْرًا.

الْأَسَدِيَّان. وممن ذكره البخاري في البدرين من بني سَلَمَة جابر بن عبد الله بن عمرو بن حِزَام، وقال أبو عُمر: لا يصح شهوده بَدْرًا، وذكر اختلاف الناس في ذلك، وفي السنن لأبي داود أن جابرًا قال: كنت أَمِيحُ أصحابي الماء يوم بدر، أي: كان صَغِيرًا فلم يُسْهِم له، وزعم بعضهم أن هذه الرواية تَضْحِيفٌ، وأن الصحيح كنتُ مَنِيحُ أصحابي يوم بدر، والمَنِيحُ: السَّهْمُ، يريد أنهم كانوا يُرْسِلُونَهُ في حوائجهم لِصِغَرِ سَنِهِ. وممن شهد بَدْرًا وذكره ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام: طَلَيْبُ بن عُمَيْرٍ من بني عَبْدِ بن قُصَيٍّ، وأمه أَرْوَى عَمَّة رسول الله - ﷺ.

من قتل من المشركين^(١)

فصل: وذكر فيمن قتل من المشركين يوم بدر العاصي بن سعيد بن العاصي، وقد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب الحديث الذي أسنده أبو عُبَيْدٍ إلى سَعْدِ بن أبي وقَّاصٍ، قال: قتلت يومَ بدرٍ العاصي بن سعيد وأخذت سيفه ذا الكَتِيفَةِ، وذكر الحديث، قال أبو

(١) انظر الواقدي (١٤٣) وابن سيّد الناس (٢٨٥) جوامع السيرة النبوية لابن حزم (١٨٢).

قال ابن هشام: ويقال: قتله علي بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: وعُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس، قَتَلَهُ عُبيدة بن الحارث بن المطلب.

قال ابن هشام: اشترك فيه هو وحمزة وعلي.

قال ابن إسحاق: وشيبة بن ربيعة بن عبد شمس، قَتَلَهُ حمزة بن عبد المطلب؛ والوليد بن عُتْبة بن ربيعة، قَتَلَهُ علي بن أبي طالب؛ وعامر بن عبد الله، حليف لهم من بني أنمار بن بغيض، قَتَلَهُ علي بن أبي طالب. اثنا عشر رجلاً.

من بني نوفل:

ومن بني نوفل بن عبد مناف: الحارث بن عامر بن نوفل، قَتَلَهُ - فيما يذكرون - خبيب بن إساف، أخو بني الحارث بن الخزرج؛ وطُعَيْمة بن عدي بن نوفل، قَتَلَهُ علي بن أبي طالب؛ ويقال: حمزة بن عبد المطلب. رجلان.

من بني أسد:

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قُصَيٍّ: زَمْعَةُ بن الأسود بن المطلب بن أسد.

قال ابن هشام: قَتَلَهُ ثابت بن الجذع، أخو بني حرام، فيما قال ابن هشام.

ويقال: اشترك فيه حمزة وعلي بن أبي طالب وثابت.

قال ابن إسحاق: والحارث بن زَمْعَةَ، قَتَلَهُ عَمَّار بن ياسر - فيما قال ابن هشام - وعقيل بن الأسود بن المطلب، قَتَلَهُ حمزة وعلي، اشتركا فيه - فيما قال ابن هشام - وأبو البختري، وهو العاص بن هشام بن الحارث بن أسد قَتَلَهُ الْمُجَذَّر بن زياد البلوي.

قال ابن هشام: أبو البختري: العاص بن هاشم.

قال ابن إسحاق: ونوفل بن خويلد بن أسد، وهو ابن العَدَوِيَّة، عدي خُزاعة، وهو الذي قَرَنَ أبا بكر الصديق، وطلحة بن عبيد الله حين أسلما في حَبْل، فكانا يُسمَّيان: القَرينين لذلك، وكان من شياطين قُريش - قَتَلَهُ علي بن أبي طالب. خمسة نفر.

عُبَيْد: وأهل السَّير يقولون: قَتَلَهُ علي رضي الله عنه. قال المؤلف: وبعض أهل التفسير يقولون: قَتَلَهُ أبو اليَسَر كَعَبْ بنُ عَمْرٍو. وقال أبو عبيد الله الزبير بن أبي بكر القاضي في

من بني عبد الدار:

ومن بني عبد الدار بن قُصي: النَّضرُ بن الحارث بن كَلْدَة بن عَلْقمة بن عبد مناف بن عَبْدِ الدَّار، قَتَلَهُ عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ صَبْرًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْصَّفَرَاءِ، فِيمَا يَذْكُرُونَ.

قال ابن هشام: بالأُثِيلِ. قال ابن هشام: ويقال: النضر بن الحارث: بن علقمة بن كَلْدَة بن عبد مناف.

قال ابن إسحاق: وزيد بن مُلَيْص، مولى عُمَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. رجُلان.

قال ابن هشام: قَتَلَ زَيْدُ بن مُلَيْصُ بِلَالُ بنُ رَبَاحٍ، مولى أَبِي بَكْرٍ، وَزَيْدُ حَلِيفَ لَبْنِي عبد الدار، من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، ويقال: قَتَلَهُ الْمُقْدَادُ بن عمرو.

من بني تيم بن مرة:

قال ابن إسحاق: ومن بني تيم بن مُرَّة: عُمَيْر بن عُثْمَان بن عمرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم.

قال ابن هشام: قَتَلَهُ عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ، ويقال: عبد الرحمن بن عوف.

قال ابن إسحاق: وعُثْمَانُ بن مَالِكِ بن عُيَيْدِ اللَّهِ بن عُثْمَانَ بن عمرو بن كَعْبٍ، قَتَلَهُ صُهَيْبُ بن سِنَان. رجُلان.

من بني مخزوم:

ومن بني مَخْزُومِ بن يَظْظَةَ بن مُرَّة: أَبُو جَهْلُ بن هِشَامٍ - واسمه عَمْرُو بن هِشَامِ بن الْمُغِيرَةِ بن عبد الله بن عمرو بن مَخْزُومٍ - ضَرَبَهُ مُعَاذُ بن عمرو بن الجَمُوحِ، فَقَطَعَ رِجْلَهُ، وَضَرَبَ ابْنَهُ عِكْرَمَةَ يَدَ مُعَاذٍ فَطَرَحَهَا، ثُمَّ ضَرَبَهُ مُعَوِّذُ بن عَفْرَاءٍ حَتَّى أَثْبَتَهُ، ثُمَّ تَرَكَهُ وَبِهِ رَمَقٌ: ثُمَّ ذَفَّفَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ وَاحْتَزَّ رَأْسَهُ، حِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

أَنْسَابُ قَرِيشَ لَهُ: وَالْعَاصِي قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ بَذْرِ كَافِرًا حَدَّثَ إِبْرَاهِيمُ بنَ حَمْزَةَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بنِ سَعْدٍ عَنْ صَالِحِ بنِ كَيْسَانَ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: بَيْنَمَا عُمَرُ بنُ الْخَطَّابِ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ [وَعُمَرُ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ] إِذْ مَرَّ بِهِ سَعِيدُ بنُ الْعَاصِي،

أن يُلتمس في القَتلى - والعاصُ بن هشام بن المُغيرة بن عمر بن مَخْزوم، قتله عمر بن الخطاب ويَزِيد بن عبد الله، حليفُ لهم من بني تميم.

قال ابن هشام: ثم أحدُ بني عمرو بن تيم، وكان شجاعًا، قتله عَمَّار بن ياسر.

قال ابن إسحق: وأبو مُسافع الأشعري، حليف لهم، قتله أبو دُجانة الساعدي - فيما قال ابن هشام - وحرْملة بن عمرو، حليف لهم.

قال ابنُ هشام: قَتله خارجةُ بن زيد بن أبي زُهَيْر، أخو بلحارث بن الخَزْرج، ويقال بلُ عليّ بن أبي طالب - فيما قال ابن هشام - وحرْملة، من الأسد.

قال ابن إسحق: ومَسعود بن أبي أُمَيَّة بن المُغيرة، قتله عليّ بن أبي طالب فيما قال ابن هشام - وأبو قيس بن الوليد بن المُغيرة.

قال ابن هشام: قتله حمزة بن عبد المطلب.

قال ابن إسحق: وأبو قَيس بن الفاكه بن المُغيرة، قتله عليّ بن أبي طالب، ويقال: قتله عَمَّار بن ياسر، فيما قال ابنُ هشام.

قال ابن إسحق: ورِفاعَة بن أبي رِفاعَة بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مَخْزوم قَتله سعدُ بن الرَّبيع، أخو بلحارث بن الخَزْرج، فيما قال ابنُ هشام: والمُنذر بن أبي رِفاعَة بن عابد، قتله مَعْن بن عديّ بن الجَدّ بن العَجْلان حليفُ بني عُبيد بن زيد بن مالك بن عَوْف بن عمرو بن عَوْف فيما قال ابن هشام، وعبد الله بن المُنذر بن أبي رِفاعَة بن عابد، قَتله عليّ بن أبي طالب، فيما قال ابن هشام.

فَسَلَّمَ عليه، فقال له عُمَرُ: إني والله يا ابنَ أخي ما قتلْتَ أباك يَوْمَ بَذرٍ، ولكني قتلْتُ خالِي العاصِي بنَ هِشامٍ، وما بي أن أكونَ أعتذر من قَتْلِ مُشْرِكٍ، قال: فقال له: سَعِيدُ بن العاصي: [وهو يومئذ حديثُ السَّن] لو قَتَلْتَه كنتَ على الحق، وكان على الباطلِ قال: فعجب عُمَرُ من قَوْلِهِ، وَلَوَى كَفِّهِ، وقال: قُرَيْشُ أَفْضَلُ النَّاسِ إِسْلَامًا، وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَمَانَةً، ومن يُرْذِ بِقُرَيْشِ سُوءًا يَكُفُّهُ اللهُ لِفِيهِ، وقال: قال عَمِّي مُضْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: زَعَمُوا أَنَّ عُمَرَ قَالَ: رَأَيْتُهُ يَبْحَثُ التُّرَابَ كَأَنَّهُ ثَوْرٌ، فَصَدَدْتُ عَنْهُ، وَحَمَلُ لَهُ عَلِيٌّ فَقَتَلَهُ^(١).

(١) حمل له علي: أي توجه إليه لقتله. وانظر نسب قريش (١٧٦).

قال ابن إسحاق: والسائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

قال ابن هشام: السائب بن أبي السائب شريك رسول الله ﷺ الذي جاء فيه الحديث عن رسول الله ﷺ: نِعَمَ الشَّرِيكَ السَّائِبُ لَا يُشَارِي وَلَا يُمَارِي، وكان أسلم فحسن إسلامه - فيما بلغنا - والله أعلم.

وذكر ابن شهاب الزهري عن عبيد الله بن عتبة، عن ابن عباس: أن السائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ممن بايع رسول الله ﷺ من قريش، وأعطاه يوم الجعرانة من غنائم حنين.

قال ابن هشام: وذكر غير ابن إسحاق: أن الذي قتله الزبير بن العوام.

السائب بن أبي السائب:

وذكر فيمن قُتِلَ من المشركين: السائب بن أبي السائب، واسم أبي السائب صَيْفِي بن عابد، وأنكر ابن هشام أن يكون السائب قُتِلَ كافرًا قال: وقد أسلم وحسن إسلامه، وذكر أبو عمر عن ابن الزبير أن السائب قُتِلَ كافرًا يوم بدر، قال: وأخسبه اتبع في ذلك قول ابن إسحاق، قال: وقد نَقَضَ الزُّبَيْرُ ذلك في موضعين من كتابه بعد ذلك، فقال: حدثني يَحْيَى بن مُحَمَّد بن عبد الله بن ثوبان عن جَعْفَر بن عَكْرِمَةَ عن يَحْيَى بن كَعْبٍ عن أبيه كَعْبٍ مَوْلَى سَعِيد بن العاصي، قال: مرَّ معاوية وهو يطوف بالبيت، ومعه جُنْدُه، فزحموا السائب بن صَيْفِي بن عابد، فسقط، فوقف عليه معاوية وهو يؤمِّدُ خليفة فقال: ارفعوا الشيخ، فلما قام قال: ما هذا يا معاوية؟ تَصْرَعُونَا حول البيت؟! أما والله لقد أردت أن أتزوج أُمِّكَ، فقال معاوية: ليتك فَعَلْتَ، فجاءت بمثل أبي السائب، يعني عبد الله بن السائب، وهذا واضح في إدراكه الإسلام، وفي طول عُمرِه، وقال في موضع آخر: حدثني أبو ضَمْرَةَ أَنَسُ بن عِيَّاض اللَّيْثِيُّ، قال: حدثني أبو السائب يعني: المُنَاجِزُ، وهو عبد الله بن السائب، قال: كان جدِّي أبو السائب شريك النَّبِيِّ - ﷺ - فقال النَّبِيُّ ﷺ: «نِعَمَ الشَّرِيكَ كَانَ أَبُو السَّائِبِ، لَا يُشَارِي وَلَا يُمَارِي [ولا يُدَارِي]»، وهذا كله من الزبير مُنَاقِضَةٌ فيما ذكر أن السائب بن أبي السائب قُتِلَ يوم بدر كافرًا. وقال ابن هشام: السائب بن أبي السائب الذي جاء فيه الحديث عن رسول الله ﷺ - نِعَمَ الشَّرِيكَ أَبُو السَّائِبِ لَا يُشَارِي^(١) وَلَا يُمَارِي^(٢)، كان قد أسلم فحسن إسلامه فيما بلغنا. قال ابن هشام: وذكر ابن شهاب عن

(١) المشاركة: الملاجة في الأمر.

(٢) يماري: يُجَادِل.

قال ابن إسحاق: والأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، قُتِلَ حَمْزَةُ بن عبد المطلب، وحاجبُ بن السائب بن عُيَيمِر بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم، قال ابن هشام: ويقال: عائذ بن عمران بن مخزوم، ويقال: حاجز بن السائب - والذي قُتِلَ حاجب بن السائب علي بن أبي طالب.

قال ابن إسحاق: وعُيَيمِر بن السائب بن عُيَيمِر، قُتِلَ النُّعْمَان بن مالك القَوْقَلِي مبارزةً، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وعُمرُو بن سُفْيَان، وجابر بن سُفْيَان، حليفان لهم من طييء، قُتِلَ عمرًا يزيدُ بن رُقَيْش، وقُتِلَ جابر أبو بُزْدَة بن نِيَّار، (فيما) قال ابن هشام.
قال ابن إسحاق: سبعة عشر رجلاً.

من بني سَهْم:

ومن بني سَهْم بن عمرو بن هُصَيْنَص بن كَعْب بن لُؤَي: مُنْبَه بن الحَجَّاج بن عامر بن حُذَيْفَة بن سعد بن سَهْم، قُتِلَ أبو اليَسَر، أخو بني سَلِمة، وابنه العاصُ بن مُنْبَه بن الحَجَّاج، قُتِلَ عليُّ بن أبي طالب فيما قال ابن هشام: ونُبَيْه بن الحَجَّاج بن عامر، قُتِلَ حَمْزَةُ بن عبد المطلب وسعدُ بن أبي وقَّاص اشتراكاً فيه، فيما قال ابن هشام، وأبو العاص بن قَيْس بن عدي بن سَعْد بن سَهْم.

قال ابن هشام: قُتِلَ عليُّ بن أبي طالب، ويقال: النعمانُ بن مالك القَوْقَلِي، ويقال: أبو دُجَانَة.

عُبَيْد الله بن عبد الله بن عُثْبَة عن ابن عباس أنَّ السائب بن أبي السائب بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم [بن يَقْظَة بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَي] ممَّن هاجر مع رسول الله - ﷺ - وأعطاه يوم الجِعْرَانَة من غنائم حُثَيْن. قال أبو عمر: هذا أولى ما عُول عليه في هذا الباب، وقد ذكرنا أن الحديثَ فيمن كان شريكَ رسولِ الله - ﷺ - من هؤلاء مُضْطَرِبٌ جداً، منهم من يجعلُ الشُّرْكَه: للسَّائِب، ومنهم من يجعلها لأبي السائب أبيه، كما ذكرنا عن الزُّبَيْر ههنا، ومنهم من يجعلها لقَيْس بن السَّائِب [بن عويمر]، ومنهم من يجعلها لعَبْد بن أبي السَّائِب، وهذا اضْطِرَابٌ لا يَثْبُت به شيءٌ ولا تقوم به حُجَّةٌ والسائب بن أبي السائب من المؤلِّفَة قلوبُهم وممَّن حَسُن إسلامُه. هذا آخر كلام أبي عمر في كتاب الاستيعابِ حَدَّثَنِي به أبو بكر بن طاهر الإشبيلي عن أبي علي الغساني عنه، كذلك اختلفت الروايةُ في هذا الكلام: كان خير شريك لا يُشَارِي ولا يُمارِي، فمنهم من يجعله من قولِ النبي ﷺ في أبي السائب، ومنهم من يجعله من قولِ أبي السائب في النبي ﷺ.

قال ابن إسحاق: وعاصم بن عوف بن ضبيرة بن سَعِيد بن سَعْد بن سَهْم، قَتَلَهُ أَبُو الْيَسَر، أَخُو بَنِي سَلِمْة، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَام. خَمْسَةَ نَفَرٍ.

من بني جُمَح:

وَمِنْ بَنِي جُمَحِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ هُصَيْصِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ: أُمَيَّةُ بْنُ خَلْفِ بْنِ وَهْبِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ، قَتَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي مَازَن.

قال ابن هشام: ويقال: بل قَتَلَهُ مُعَاذُ ابْنِ عَفْرَاءَ وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ وَخَبِيبُ بْنُ إِسَافٍ، اشْتَرَكُوا فِي قَتْلِهِ.

قال ابن إسحاق: وابنه عَلِيُّ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، قَتَلَهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ؛ وَأَوْسُ بْنُ مَغِيرَةَ بْنِ لَوْذَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ جُمَحٍ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَام، وَيُقَالُ: قَتَلَهُ الْحَصَيْنُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ اشْتَرَكَا فِيهِ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَام.

قال ابن إسحاق: ثَلَاثَةَ نَفَرٍ.

من بني عامر:

وَمِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ: مُعَاوِيَةُ بْنُ عَامِرٍ، حَلِيفُ لَهُمْ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. وَيُقَالُ: قَتَلَهُ عُكَّاشَةُ بْنُ مِخْصَنٍ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَام.

قال ابن إسحاق: وَمَعْبُدُ بْنُ وَهْبٍ، حَلِيفُ لَهُمْ مِنْ بَنِي كَلْبِ بْنِ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لَيْثٍ، قَتَلَ مَعْبُدًا خَالِدٌ وَإِيَّاسُ ابْنَا الْبُكَيْرِ، وَيُقَالُ: أَبُو دُجَانَةَ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَام. رَجُلَانِ.

أوس بن خولي:

وَذَكَرَ فِيمَنْ شَهِدَ بَذْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ: أَوْسُ بْنُ خَوْلِيٍّ أَحَدُ بَنِي الْحُبَلَى، يُقَالُ: كَانَ مِنَ الْكَمَلَةِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَخَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ شُجَاعِ بْنِ وَهْبٍ، وَالْخَوْلِيُّ فِي اللُّغَةِ هُوَ الَّذِي يَقُومُ عَلَى الْخَيْلِ، وَيَخْدُمُهَا وَفِي الْخَبَرِ أَنَّ جَمِيلًا الْكَلْبِيَّ، كَانَ خَوْلِيًّا لِمُعَاوِيَةَ، وَفِي هَذَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْيَاءَ فِي الْخَيْلِ أَصْلُهَا الْوَاوُ.

أخو طلحة:

وَذَكَرَ ابْنُ هِشَامٍ فِيمَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِمَّنْ لَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ مَالِكُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ وَهُوَ أَخُو طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ.

عدهم:

قال ابن هشام: فجميع من أخصي لنا من قَتلى قُريش يوم بدر: خمسون رجلاً.

قال ابن هشام: حَدَّثني أبو عُبَيْدة، عن أبي عمرو: أَنَّ قَتلى بدر من المُشركين كانوا سبعين رجلاً، والأسرى كذلك، وهو قول ابن عَبَّاس، وسَعِيد بن المسيَّب. وفي كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾^(١) يقوله لأصحاب أحد - وكان من استشهد منهم سبعين رجلاً - يقول: قد أصبتم يوم بدر مثلي من استشهد منكم يوم أحد، سبعين قتيلاً وسبعين أسيراً. وأنشدني أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك:

فأقام بالعَطْنِ الْمُعَطَّنُ مِنْهُمْ سبعون، عُتْبَةُ مِنْهُمْ وَالْأَسْوَدُ

قال ابن هشام: يعني قَتلى بدر، وهذا البيت في قصيدة له في حديث يوم أحد سأذكرها إن شاء الله تعالى في موضعها.

من فات ابن إسحق ذكرهم:

قال ابن هشام: وممن لم يذكر ابنُ إسحق من هؤلاء السبعين القَتلى.

من بني عبد شمس:

من بني عَبْدِ شَمْس بن عبد مناف: وهبُ بن الحارث، من بني أنمار بن بغيض، حليف لهم، وعامرُ بن زيد، حليف لهم من اليمن. رجлан.

من بني أسد:

من بني أسد بن عبد العزى: عُقبة بن زيد، حليف لهم من اليمن، وعمير مولى لهم. رجлан.

ابن عبد الله بن جذعان:

وذكر عمرو بن عبد الله بن جُذْعَانَ التِّيمي، وعَبْدُ الله بن جُذْعَانَ^(٢) هو الجَوَاد المشهورُ صاحب الجَفْنَةِ العظيمة التي كان يأكل منها الراكبُ على البعير، وكان النبي - ﷺ - يستظل بظلِّها، ووقع فيها إنسان فغرق ومات، وقد ذكرنا في أول هذا الكتاب حديثه، والسبب في غناه بعد أن كان صُغُلُوْكَا، وسؤال عائشة عنه النبي - ﷺ: «هل ينتفع بجوده أم لا».

(٢). الصواب: بالذال.

(١) سورة آل عمران آية رقم (١٦٥).

من بني عبد الدار:

ومن بني عبد الدار بن قُصَيٍّ: نُبَيْه بن زيد بن مُلَيْص، وعَبِيد بن سَلِيط، حليف لهم من قيس. رجُلان.

من بني تيم:

ومن بني تَيْم بن مُرَّة: مالِك بن عُبَيْد الله بن عُثْمَان وهو أخو طَرْحَة بن عُبَيْد الله بن عُثْمَان أُسْر فَمَات فِي الْأَسَارَى، فَعُدَّ فِي الْقَتْلَى، وَيُقَال: وَعَمَرُو بن عبد الله بن جُدْعَان. رجُلان.

من بني مخزوم:

ومن بني مَخْزُوم بن يَقْظَة: حُذَيْفَة بن أَبِي حُذَيْفَة بن الْمُغِيرَة، قَتَلَهُ سَعْد بن أَبِي وَقَّاص، وَهْشَام بن أَبِي حُذَيْفَة بن الْمُغِيرَة، قَتَلَهُ صُهَيْب بن سِنَان، وَزَهِيرُ بن أَبِي رِفَاعَة قَتَلَهُ أَبُو أَسِيد مَالِك بن رَبِيعَة، وَالسَّائِب بن أَبِي رِفَاعَة قَتَلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن عَوْف، وَعَائِذ بن السَّائِب بن عُويمر، أُسْرَ ثُمَّ افْتُدِيَ فَمَات فِي الطَّرِيق مِنْ جِرَاحَةٍ جَرَحَهُ إِيَّاهَا حَمْزَة بن عبد المَطْلَب، وَعُمَيْر حَلِيف لَهُمْ مِنْ طَيِّء، وَخِيَار، حَلِيف لَهُمْ مِنَ الْقَارَة. سَبْعَة نَفَر.

من بني جمح:

ومن بني جَمَح بن عمرو: سَبْرَة بن مَالِك، حَلِيف لَهُمْ. رَجُل.

من بني سهم:

ومن بني سَهْم بن عمرو: الْحَارِث بن مُنْبَه بن الْحَجَّاج، قَتَلَهُ صُهَيْب بن سِنَان، وَعَامر بن عَوْف بن ضُبَيْرَة، أَخُو عَاصِم بن ضُبَيْرَة، قَتَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بن سَلْمَة الْعَجْلَانِي، وَيُقَال: أَبُو دُجَانَة. رَجُلَان.

حذيفة بن أبي حذيفة:

وَذَكَرَ ابْنُ هِشَام فِيهِمْ أَيْضًا حُذَيْفَة بن أَبِي حُذَيْفَة بن الْمُغِيرَة، وَاسْمُ أَبِي حُذَيْفَة هَذَا مُهَشَّم، وَهُوَ أَخُو هِشَام وَهَاشِم [وَبِهِ كَانَ يُكْنَى] ابْنِي الْمُغِيرَة، وَهِشَام: وَالِدُ أَبِي جَهْل، وَهَاشِمٌ جَدُّ عَمْرٍو لَأُمِّهِ، وَمُهَشَّم هُوَ: أَبُو حُذَيْفَة، وَأَمَّا أَبُو حُذَيْفَة بن عُثْبَة فَاسْمُهُ قَيْس، وَلَمْ يَقُلْ ذَلِكَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَلَا ابْنُ هِشَام، وَإِنَّمَا قَالُوا فِيهِ مُهَشَّم، وَهُوَ عِنْدَ أَهْلِ النَّسَبِ غَلَطٌ إِنَّمَا مُهَشَّمُ أَبُو حُذَيْفَة بن عُثْبَة.

ذكر أسرى قريش يوم بدر

من بني هاشم:

قال ابن إسحاق: وأسر من المُشركين من قريش يومَ بدر، من بني هاشم بن عبد مناف: عَقِيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم؛ ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم.

تسمية من أسر من المشركين يوم بدر

لم يُسمَّ ابنُ إسحاق، ولا ابنُ هشام مَنْ أسلم منهم، والحاجةُ ماسَّةٌ بقارىء السيرة إلى معرفة ذلك، فأولهم وأفضلهم العباسُ عمُّ رسول الله - ﷺ - ولا خفاء بإسلامه وفضله، وقد ذكرنا سببَ إسلامه في فضلٍ قبل هذا الفصل، وأن أبا اليسر كعب بن عمرو هو الذي أسره، وكان قصيرًا ذميماً، وفي مُسنَد البزار أنه قيل للعباس: كيف أسرك أبو اليسر، ولو أخذته بكفك لو سغته كفك، فقال: ما هو إلا أن لقيته، فظهر في عيني كالخندمة، والخندمة جبل من جبال مكة.

عقيل بن أبي طالب:

وعقيل بن أبي طالب ممن أسلم وحسن إسلامه، أسلم عام الحديبية، وقال النبي ﷺ: «يا أبا يزيد إني أحبك حُبًّا لقرابتك مني، وحُبًّا لِمَا أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي إِيَّاكَ»^(١)، سكن عقيل البصرة، ومات بالشام في خلافة معاوية. رَوَى عن رسول الله ﷺ حديثاً في الوضوء بالمدِّ والطهورِ بالصاع، وحديثاً آخر أيضاً: «لا تقولوا بالرفاءِ والبنين»^(٢)، وقولوا: بَارَكَ اللهُ لَكَ، وبارك عليك. وكان أَسَنُّ من جَعْفَرٍ بعشرِ سنين، وكان جَعْفَرُ أَسَنُّ من عَلِيٍّ بعشرِ سنين، وكان طالبُ أَسَنُّ من عقيل بمثل ذلك.

نوفل بن الحارث

ومنهم: نَوْفَلُ بن الحارث بن عَبْدِ المطلب، يقال: أسلم عامَ الخندقِ، وهاجر، وقيل: بل أسلم حينَ أسير، وذلك أن النبي ﷺ قال له: «أفدِ نفسك»، قال: ليس لي مال أفندي به، قال: أفدِ نفسك بأرماحك التي بجدة، قال: والله ما علم أحدٌ أن لي بجدة أرماحاً

(١) «مرسل». أخرجه الطبراني (١٩١/١٧) وابن سعد في الطبقات (٣٠/١/٤) والحاكم في مستدركه (٤٥٧٦/٣) عن ابن إسحاق مرسلًا.

(٢) الرفاء: أي الاتفاق والوِءام.

من بني المطلب:

ومن بني المطلب بن عبد مناف: السائب بن عبيد بن يزيد بن هاشم بن المطلب؛
ونعمان بن عمرو بن علقمة بن المطلب. رجлан.

من بني عبد شمس وحلفائهم:

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: عمرو بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن
عبد شمس؛ والحارث بن أبي وجزة بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، ويقال: ابن
أبي وخرة، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحق: وأبو العاص ابن الربيع بن عبد العزى بن (عبد) شمس؛ وأبو
العاص بن نوفل بن عبد شمس.

غير الله، أشهد أنك رسول الله^(١) وهو ممن ثبت مع رسول الله - ﷺ - يوم حنين وأعان
رسول الله - ﷺ - عند الخروج إليها بثلاثة آلاف رُمح فقال له النبي ﷺ: «كأنني أنظر إلى
أزماحك هذه تُقَصِّفُ ظُهورَ المشركين». مات بالمدينة سنة خمس عشرة، وصلى عليه
عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما -.

أبو العاصي ابن الربيع وغيره:

ومنهم أبو العاصي ابن الربيع صهر رسول الله - ﷺ - وقد ذكرنا خبره مع ما ذكر ابن
إسحق من حديثه، وذكرنا الاختلاف في اسمه قبل هذا.

ومنهم أبو عزيز بن عمير العبدي، وقد ذكرنا اسمه واسم أمه وإخوته، في أول خبر
بذر. ومنهم السائب بن أبي حبيش بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، وهو الذي قال فيه
عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: ذاك رجل لا أعلم فيه عيباً، وما أحد إلا وأنا أقدر أن
أعيبه بعد رسول الله - ﷺ - وقد قيل: إن هذه المقالة قالها عمر في ابنه عبد الله بن السائب،
والسائب هذا هو أخو فاطمة بنت أبي حبيش المستحاضة.

ومنهم خالد بن هشام، ذكره بعضهم في المؤلفة قلوبهم.

ومنهم عبد الله بن أبي السائب، واسم أبي السائب: صيفي، وقد تقدم قول عمر فيه،
وفي أبيه، وعنه أخذ أهل مكة القراءة، وعليه قرأ مجاهد وغيره من قراء أهل مكة.

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/١/٣١).

ومن حلفائهم أبو ريشة بن أبي عمرو؛ وعمرو بن الأزرق، وعقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي. سبعة نفر.

من بني نوفل وحلفائهم:

ومن بني نوفل بن عبد مناف: عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل؛ وعثمان بن عبد شمس ابن أخي غزوان بن جابر، حليف لهم من بني مازن بن منصور؛ وأبو ثور، حليف لهم. ثلاثة نفر.

من بني عبد الدار وحلفائهم:

ومن بني عبد الدار بن قصي: أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار؛ والأسود بن عامر، حليف لهم. ويقولون: نحن بنو الأسود بن عامر بن عمرو بن الحارث بن السباق. رجлан.

من بني أسد وحلفائهم:

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي. السائب بن أبي حبيش بن المطلب بن أسد؛ والحويرث بن عباد بن عثمان بن أسد.

قال ابن هشام: هو الحارث بن عائذ بن عثمان بن أسد.

قال ابن إسحق: وسالم بن شماس، حليف لهم. ثلاثة نفر.

من بني مخزوم:

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة: خالد بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ وأمّية بن أبي حذيفة بن المغيرة والوليد بن الوليد بن المغيرة، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ وصيفي بن أبي رفاعه بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ وأبو المنذر بن أبي رفاعه بن عبد الله بن عمير بن مخزوم؛ وأبو عطاء عبد الله بن أبي السائب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، والمطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم؛

ومنهم المطلب بن حنطب بن الحارث بن عبيد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وبنو عمر بن مخزوم ثلاثة: عبد العزى، وعابد، ومن أهل النسب من ذكر فيهم عثمان بن عمر، وبنو مخزوم ثلاثة: عمر والد هؤلاء الثلاثة، وعمران، وعامر، هؤلاء فيهم العدد، ويذكر في بني مخزوم أيضًا عمير وعميرة ولم يعقب عميرة إلا بنتًا اسمها: زينب، ومن حديث المطلب

وخالد بن الأعلم، حليف لهم، وهو كان - فيما يذكرون - أول من ولى فأراً منهزمًا، وهو الذي يقول:

ولسنا على الأدبارِ تَذمي كُلومنا ولكن على أقدامنا يَقْطُر الدَّمُ
تسعة نفر.

قال ابن هشام: ويروى: «لسنا على الأغقاب».

وخالد بن الأعلم، من خُزاعة، ويقال: عُقيلي.

من بني سهم:

قال ابن إسحاق: ومن بني سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب: أبو وداعة بن ضُبيرة بن سعيد بن سَعْد بن سَهْم، كان أول أسير أفتدي من أسرى بدر افتداه ابنه المطلب بن أبي وداعة؛ وفروة بن قيس بن عدي بن حذافة بن سعد بن سهم، وحَنْظلة بن قبيصة بن حذافة بن سَعْد بن سهم، والحجاج بن قيس بن عدي بن سَعْد بن سهم. أربعة نفر.

هذا عن رسول الله - ﷺ - أبو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر من الرأس، وفي إسناده ضَعْفٌ^(١).

الحكم بن عبد المطلب:

ومن ولده الحكم بن عبد المطلب بن عبد الله بن المطلب، وكان أكرم أهل زمانه، وأسخاهم، ثم تَزَهَّد في آخر عُمره، ومات بِمَنْبَج، وفيه يقول [عَبَاءَةُ بن عمر] الرَّاتِجِي يرثيه:

سألوا عن الجود والمعروف ما فعلا فقلت إنهما ماتا من الحكم

مَاتَا مع الرَّجُلِ المُوَفِّي بِدَمَّتِهِ قبل السؤال إذا لم يُوفَ بالذَّم

وذكر الدَّارَقُطْنِيُّ عن حميد بن معروف قال: حضرت وفاة الحكم بن عبد المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حَنْطَب، فأصابته من الموت شِدَّة، فقال قائل في البيت: اللهم هَوِّنْ عليه الموت، فقد كان، وقد كان، يُثْنِي عليه فأفاق الحكم، فقال: مَنْ المتكلم؟ فقال الرجل: أنا، فقال الحكم: يقول، لكَ مَلِكُ الموت أنا بِكُلِّ سَخِيٍّ رَفِيقٍ، ثم كأنما كانت

(١) «حسن». أخرجه الترمذي (٣٦٧١) والحاكم (٦٩/٣) وابن أبي حاتم في العلل (٢٦٦٧).

من بني جمح:

ومن بني جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: عبدُ الله بن أبي بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح؛ وأبو عَزَّة عمرو بن عبد بن عُثمان بن وَهيب بن حُذافة بن جُمَح، والفاكه، مولى أُمَيَّة بن خلف، ادَّعاه بعد ذلك رِبَاح بن المُغترِف، وهو يزعمُ أنه من بني شَمَاح بن مُحارب بن فهر - ويقال: إن الفاكه: بن جَزول بن حِذيم بن عوف بن غَضب بن شَمَاح بن محارب بن فهر - وَوَهْب بن عُمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح، وربيعه بن دَرَّاج بن العَنبس بن أَهْبَان بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح. خمسة نفر.

من بني عامر:

ومن بني عامر بن لُؤَيٍّ: سُهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُد بن نَضْر بن مالك بن حِسل بن عامر، أسره مالك بن الدُّخْشُم، أخو بني سالم بن عَوْف؛ وعبد بن

فَتِيلَةَ فَطَفِئَتْ، وقد ذكر هذا الخبر الزُّبَيْرُ بن أبي بكر أيضًا، وحين سُجِنَ الحكمُ في ولاية وليها، قال فيه شاعر:

خَلِيلِيَّ إِن الْجُودَ فِي السَّجْنِ فَابْكِيَا عَلَى الْجُودِ إِذْ سُدَّتْ عَلَيْهِ مَرَاقِفُهُ
فِي أَبِياتٍ، فَأَعْطَى قَائِلُ هَذَا الشَّعْرَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ.

من الذين أسلموا من أسارى بدر:

ومنهم: أبو وَدَاعَةَ الحارث بن صُبَيْرَةَ بن سَعِيد بن سَعْدِ بن سَهْم أسلم هو وابنه المَطْلُبُ بن أبي وَدَاعَةَ يوم فتح مكة.

ومنهم الْحَجَّاجُ بن الحارث بن قَيْس بن عَدِي بن سَعِيد بن سَهْم، ولم يوافق الواقدي ولا غيره لابن إسحاق على قوله: سَعِيد بن سَهْم، وقالوا: إنما هو سَعْد، وقد تقدم هذا، وأحسب ذكر الحجاج في هذا الموضع، وهما فإنه من مُهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ وقَدِمَ المدينة بعد أحد، فكيف يُعَدُّ في أَسْرَى المُشْرِكِينَ يوم بدر.

ومنهم عبد الله بن أَبِي بن خَلَفِ الْجُمَحِيِّ أسلم يوم الفتح، وقُتِلَ يوم الجمل، ومنهم: وَهْبُ بن عُمَيْرِ الْجُمَحِيِّ أسلم بعد أن جاء أبو عُمَيْرٍ في فِدَائِهِ فَأَسْلَمَا جَمِيعًا، وقد ذكر خبر إسلامه ابنُ إسحاقٍ قَبْلَ هذا.

ومنهم سُهَيْلُ بن عَمْرٍو أسلم ومات بالشام شهيدًا، وهو خطيب قُرَيْشٍ، وأخباره مشهورة في السيرة وغيرها.

زَمْعَةُ بْنُ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ وَدِّ بْنِ نَضَرَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِشْلِ بْنِ عَامِرٍ،
وعبد الرحمن بن مَشْنُوٍّ بن وَقْدَانِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ وَدِّ بْنِ نَضَرَ بْنِ
مَالِكِ بْنِ حِشْلِ بْنِ عَامِرٍ. ثلاثة نفر.

من بني الحارث:

ومن بني الحارث بن فِهْرٍ: الطُّفَيْلُ بْنُ أَبِي قُنَيْعٍ، وَعُتْبَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَخْدَمٍ.
رجلان.

قال ابن إسحاق: فجميع من حُفِظَ لَنَا مِنَ الْأَسَارَى ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعُونَ رَجُلًا.

ما فات ابن إسحاق ذكرهم:

قال ابن هشام: وقع من جملة العدد رجل لم نذكر اسمه.

وممن لم يذكر ابن إسحاق من الأسارى:

من بني هاشم:

من بني هاشم بن عبد مَنَافٍ: عَتْبَةُ، حَلِيفُ لَهُمْ مِنْ بَنِي فِهْرِ. رجل.

من بني المطلب:

ومن بني المطلب بن عبد مناف: عَقِيلُ بْنُ عَمْرِو، حَلِيفُ لَهُمْ، وَأَخُوهُ تَمِيمُ بْنُ
عَمْرِو، وابنه. ثلاثة نفر.

من بني عبد شمس:

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف: خَالِدُ بْنُ أَسِيدِ بْنِ أَبِي الْعِيصِ، وَأَبُو الْعَرِيضِ
يَسَارٍ، مَوْلَى الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ. رجلان.

ومنهم: عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ أَخُو سَوْدَةَ بِنْتُ زَمْعَةَ أَسْلَمَ، وَهُوَ الَّذِي خَاصَمَهُ سَعْدٌ فِي ابْنِ
وَلِيدَةَ زَمْعَةَ، وَاسْمُ الْإِبْنِ الْمَخَاصِمِ فِيهِ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ: «هُوَ
لَكَ يَا عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٧٠/٣) ومسلم في الرضاع (٣٩) والنسائي (١٨٠/٦) وابن ماجه (٢٠٠٤) وأحمد
(١٢٩/٦) والدارقطني (٣١٢/٣) بتحقيقي ومالك (٧٣٩) والشافعي في مسنده (١٨٨) وغيرهم في
غيرهم.

من بني نوفل:

ومن بني نوفل بن عبد مناف: نُبْهان، مولى لهم. رجل.

من بني أسد:

ومن بني أسد بن عبد العزى: عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث. رجل.

من بني عبد الدار:

ومن بني عبد الدار بن قُصَيٍّ: عَقِيل، حليف لهم من اليمن. رجل.

من بني تيم:

ومن بني تيم بن مُرَّة: مُسافع بن عِيَّاض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم، وجابر بن الزبير، حليف لهم. رجلان.

من بني مخزوم:

ومن بني مَخْزُوم بن يَقْظَة: قَيْسُ بن السَّائِب. رجل.

من بني جمح:

ومن بني جمح بن عمرو: عمرو بن أَبِي بن خَلَف، وأبو رُهم بن عبد الله، حليف لهم، وحليف لهم ذهب عني اسمه، ومَوْلَيَانِ لَأُمَيَّةَ بن خَلَف، أحدهما نِسْطَاس، وأبو رافع، غلام أُمَيَّةَ بن خَلَف. ستة نفر.

ومنهم قَيْسُ بنُ السَّائِبِ [بن عُويمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم] المَخْزُومِي، إليه كان وَلَاءٌ مُجَاهِدِ بن جُبَيْر، القَارِي، ويقال: فيه مُجَاهِدِ بن جَبْر، وهو قول ابن إسحق، وكان مُجَاهِدٌ يقول: «في مَوْلَاي قَيْسُ بن السَّائِبِ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةً طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾»^(١) فَأَفْطَرَ وَأَطْعَمَ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا، وهو الذي قال: كان رسول الله ﷺ - في الجاهلية شريكِي، فكان خير شريك لا يُشارِينِي ولا يُمارِينِي»^(٢)، وقيل: إن أباه قال هذه المقالة، وتقدم الاضطرابُ في ذلك والاختلاف، وقوله: يُشارِينِي من شَرِي الأمرُ بينهم إذا تَغَاضَبُوا.

ومنهم نِسْطَاسُ مَوْلَى أُمَيَّةَ بن خَلَفٍ، يقال: إنه أسلم بعد أحد، وكان يُحَدِّثُ عَنْ انْهِزَامِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، ودخول المسلمين عليه في القُبَّةِ وَهُرُوبِ صَفْوَانَ بِخَبَرِ عَجِيبٍ لَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ، فهذه جملة مَنْ أسلم من الْأَسَارَى الَّذِينَ أُسِرُوا يَوْمَ بدر.

(١) سورة البقرة آية رقم (١٨٤).

(٢) أخرجه البخاري في الطبقات (٧٠/٣/١).

من بني سهم:

ومن بني سهم بن عمرو: أسلم، مولى نبيه الحجاج. رجل.

من بني عامر:

ومن بني عامر بن لؤي: حبيب بن جابر، والسائب بن مالك. رجلان.

من بني الحارث:

ومن بني الحارث بن فهر: شافع وشفيع، حليفان لهم من أرض اليمن. رجلان.

ممن لم يسلم من الأسارى:

وذكر فيمن لم يسلم منهم عبد الله بن حميد بن زهير الأسدي، والمعروف فيه عبّيد الله بن حميد، كذلك ذكره ابن قتيبة، وأبو عمر، والكلاباذي أبو نصر، وهو مولى حاطب بن أبي بلتعة.

وما ذكره ابن إسحق في نسب بلي بن قاران بن عمرو، فإنه عند أكثر أهل النسب قران بغير ألف غير أن منهم من يشدد الراء، وهو ابن دريد، وقال: هو فعلان من الفرار.

تاريخ وفاة رقية:

فصل: وذكر في السيرة تخلف عثمان على امرأته رقية فضرب له رسول الله - ﷺ - بسهمه وأجره، كان موتها يوم قدم زيد بن حارثة بشيرا بوقعة بدر، وهذا هو الصحيح في وفاة رقية، وقد روى البخاري في التاريخ حديث أنس أن رسول الله - ﷺ - شهد دفن بنته رقية، وقعد على قبرها، ودمعت عيناه، فقال: «أيكم لم يقارف^(١) الليلة؟ فقال أبو طلحة: أنا، فأمره أن ينزل في قبرها»^(٢)، ثم أنكر البخاري هذه الرواية، وخرجه في كتاب الجامع، فقال فيه: عن أنس شهدنا دفن بنت رسول الله - ﷺ - وذكر الحديث، ولم يسم رقية ولا غيرها ورواه الطبري، فقال فيه: عن أنس شهدنا دفن أم كلثوم بنت رسول الله - ﷺ -، فبين في هذا الحديث، وهو كله حديث واحد، ومن قال: كانت رقية، فقد وهم بلا شك، وقال في الحديث: أيكم يقارف الليلة، فقال: فليخ بن سليمان، وهو راوي الحديث، يعني: الذنب هكذا وقع في الجامع، وهو خطأ لأن رسول الله - ﷺ - كان أولى بهذا، وإنما أراد أيكم لم يقارف أهله، وكذا رواه غيره بهذا اللفظ، قال ابن بطال: أراد النبي - ﷺ - أن يخرم عثمان

(١) يقارف: يجامع.

(٢) أخرجه البخاري (١٣١/٣) معلقا.

ما قيل من الشعر في يوم بدر

قال ابن إسحق: وكان ممّا قيل من الشعر في يوم بدر، وتراذ به القوم بينهم لما كان فيه، قول حمزة بن عبد المطلب يرحمه الله:

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها ونقيضتها:

ألم ترَ أمراً كان من عَجَبِ الدهرِ وللحَيْنِ أسبابٌ مَبِينةُ الأمرِ
وما ذاك إلا أن قَوْمًا أفادَهم فحانوا تواصٍ بالعُقُوق^(١) وبالكُفْرِ

النزول في قبرها، وقد كان أحقّ الناس بذلك، لأنه كان بَعْلَها، وفقد منها عِلْقًا لا عوضَ منه، لأنه حين قال عليه السلام: «أَيُّكُمْ لم يُقَارِفَ اللَّيْلَةَ أَهْلَهُ سَكَتَ عَثْمَانُ»، ولم يقل: أنا، لأنه كان قد قَارَفَ لَيْلَةَ مَاتَتْ بَعْضَ نِسَائِهِ، ولم يَشْغَلْهُ الْهَمُّ بِالْمَصِيبَةِ، وانقطاعَ صِهْرِهِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عن الْمُقَارَفَةِ، فَحُرِّمَ بِذَلِكَ مَا كَانَ حَقًّا لَهُ، وكان أولى به من أَبِي طَلْحَةَ وَغَيْرِهِ، وَهَذَا بَيِّنٌ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ، وَلَعَلَّ النَّبِيَّ ﷺ قد كان علم ذلك بالوحي، فلم يقل له شيئًا، لأنه فعل فِعْلًا حَلَالًا، غير أن المصيبة لم تبلغ منه مَبْلَغًا يَشْغَلُهُ حَتَّى حُرِّمَ مَا حُرِّمَ مِنْ ذَلِكَ بِتَغْرِيزٍ غَيْرِ تَضْرِيحٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

أشعار يوم بدر

وقد قدّمنا في آخر حديث الهجرة: أنّا لا نعرض لشرح شيء من الشعر الذي هُجِيَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ، ونال فيه من رسول الله ﷺ الْمُشْرِكُونَ إِلَّا شِغْرًا أَسْلَمَ صَاحِبُهُ، وتكلّمنا هنالك على ما قيل في تلك الأشعار وذكرنا قول من طعن عن ابن إسحق بسببها هنالك وبيننا الحقّ والحمد لله.

الشعر المنسوب إلى حمزة:

الشعر المنسوب إلى حمزة فيه:

وما ذاك إلا أن قَوْمًا أفادَهم

أفادَهم: أهلكهم، يقال: فاد الرجلُ وفَاطَ، وفَطَسَ، وفَازَ، وفَوَزَ إذا هَلَكَ، ولا يقال: فاض بالضاد، ولا يقال: فاضت نفسه إلا في لغة بني ضَبَّةَ بن أَدّ.
وقوله: تَوَاصٍ هو تَفَاعُلٌ مِنَ الْوَصِيَّةِ، وهو الفاعل بأفادَهم.

(١) العقوق: المخالفة في الأمر.

عَشِيَّةً رَاحُوا نَحْوَ بَذْرٍ بِجَمْعِهِمْ
وَكُنَّا طَلَبْنَا الْعِيرَ لَمْ نَبْغِ غَيْرَهَا
فَلَمَّا التَّقِينَا لَمْ تَكُنْ مَثْنَوِيَّةً
وَضَرْبٍ بِيضٍ يَخْتَلِي الْهَامَ^(٣) حَدُّهَا
وَنَحْنُ تَرَكْنَا عُثْبَةَ الْغَيِّ ثَاوِيَا
وَعَمَرُوا ثَوِيًا فِيمَنْ ثَوَى مِنْ حُمَاتِهِمْ
جُيُوبُ نِسَاءٍ مِنْ لُؤْيٍ بَنِ غَالِبٍ
أُولَئِكَ قَوْمٌ قُتِلُوا فِي ضَلَالِهِمْ
لِوَاءِ ضَلَالٍ قَادَ إِبْلِيسُ أَهْلَهُ
وَقَالَ لَهُمْ، إِذْ عَايَنَ الْأَمْرَ وَاضِحًا
فإِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَإِنِّي
فَقَدَّمَهُمْ لِلْحَيْنِ حَتَّى تَوَرَّطُوا
فَكَانُوا غَدَاةَ الْبِئْرِ أَلْفًا وَجَمْعُنَا
وَفِينَا جُثُودَ اللَّهِ حِينَ يُمَدِّنَا
فَشَدَّ بِهِمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة، فقال:

فَكَانُوا رَهُونًا لِلرَّكِيَّةِ^(١) مِنْ بَذْرٍ
فَسَارُوا إِلَيْنَا فَالتَّقِينَا عَلَى قَدْرِ
لَنَا غَيْرَ طَغْنٍ بِالْمَثَقَفَةِ^(٢) السُّمْرِ
مُشَهَّرَةِ الْأَلْوَانِ بَيِّنَةِ الْأَثَرِ
وَشَيْبَةٍ فِي الْقَتْلَى تَجَزَّجُمُ فِي الْجَفْرِ^(٤)
فَشُقَّتْ جُيُوبُ النَّائِحَاتِ عَلَى عَمَرُوا
كَرَامٍ تَفَرَّعْنَ^(٥) الذَّوَائِبَ^(٦) مِنْ فَهْرٍ^(٧)
وَخَلُّوا لَوَاءً غَيْرَ مُحْتَضِرِ النَّضْرِ
فَخَاسَ^(٨) بِهِمْ، إِنَّ الْخَيْثَ إِلَى غَدْرِ
بَرِئْتُ إِلَيْكُمْ مَا بَيَّ الْيَوْمَ مِنْ صَبْرِ
أَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو قَسْرِ
وَكَانَ بِمَا لَمْ يَخْبُرِ الْقَوْمُ ذَا خُبْرٍ
ثَلَاثُ مِئِينَ كَالْمُسَدِّمَةِ^(٩) الزُّهْرِ
بِهِمْ فِي مَقَامٍ ثُمَّ مُسْتَوْضِحِ الذِّكْرِ
لَدَى مَأْزِقٍ فِيهِ مَنَائِيهِمْ تَجْرِي

وَلِلْحُزْنِ مَنِيَّ وَالْحَرَارَةِ فِي الصَّدْرِ
فَرِيدٌ هَوَى مِنْ سِلْكَ نَاطِمِهِ يَجْرِي
رَهِينَ مَقَامٍ لِلرَّكِيَّةِ مِنْ بَذْرٍ

أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلصَّبَابَةِ وَالْهَجَرِ
وَلِلدَّمْعِ مِنْ عَيْنَيَّ جَوْدًا كَأَنَّهُ
عَلَى الْبَطْلِ الْحُلُو الشَّمَائِلِ إِذْ ثَوَى

وفيه يُجَزَّجُمُ فِي الْجَفْرِ. الْجَفْرُ كُلُّ بَشَرٍ لَمْ تُطَوَّ، وَمِثْلُهَا: الْجَفْرَةُ، وَيُجَزَّجُمُ: يَجْعَلُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ.

(١) الركبة: البئر.

(٣) الهام: القامة.

(٥) تفرعن: جعلتها فروعًا.

(٧) فهر: بطن من قريش.

(٩) المسدمة: بقع في الفضاء تشبه النجوم.

(٢) المثقفة: الرماح.

(٤) الجفر: البئر.

(٦) الذوائب: الشعر المصفور.

(٨) خاس: نكث.

فلا تَبْعُدْنَ يا عمرو من ذي قُرابة
 فإنَّ يَكُ قَوْمٌ صَادَفُوا مِنْكَ دَوْلَةً
 فَقَدْ كُنْتَ فِي صَرْفِ الزَّمانِ الَّذِي مَضَى
 فَإِلَّا أُمْتُ يا عَمْرُو أَتَرَكَكَ ثائِرًا
 وَأَقْطَعُ ظَهْرًا مِنْ رِجالِ بَمَغْشَرِ
 أَغْرَهُمْ ما جَمَعُوا مِنْ وَشِيظَةِ
 فَيَالَ لُؤْيٍ ذَبَّبُو عَنْ حَرِيمِكُمْ
 تَوَارِثُهَا أَبَاؤُكُمْ وَوَرِثُتُمْ
 فَمَا لِحَلِيمٍ قَدْ أَرَادَ هَلَاكَكُمْ
 وَجِدُوا لِمَنْ عَادَيْتُمْ وَتَوَارَزُوا
 لَعَلَّكُمْ أَنْ تَثَارُوا بِأَخِيكُمْ
 بِمَطَرَدَاتٍ فِي الْأَكْفِ كَأَنَّهَا
 كَأَنَّ مَدَبَ الذَّرِّ فَوْقَ مُتُونِهَا

وَمِنْ ذِي نِدَمٍ كَانَ ذَا خُلُقٍ غَمِرَ
 فَلَا بُدَّ لِلْأَيَّامِ مِنْ دُولِ الدَّهْرِ
 هَوَانًا مِنْكَ ذَا سُبُلٍ وَغَرِ
 وَلَا أُبْقِ بُقْيَا فِي إِخَاءٍ وَلَا صَهْرٍ
 كَرَامٍ عَلَيْهِمْ مِثْلُ ما قَطَعُوا ظَهْرِي
 وَنَحْنُ الصَّمِيمُ فِي الْقِبَائِلِ مِنْ فِهْرِ
 وَآلِهَةٍ لَا تَتَرَكُوها لِذِي الْفَخْرِ
 أَوَاسِيَّهَا وَالْبَيْتَ ذَا السَّقْفِ وَالسُّتْرِ
 فَلَا تَغْذِرُوهُ آلَ غَالِبٍ مِنْ عُذْرٍ
 وَكُونُوا جَمِيعًا فِي التَّأْسِي وَفِي الصَّبْرِ
 وَلَا شَيْءَ إِنْ لَمْ تَثَارُوا بِذَوِي عَمْرُو
 وَمِیْضُ تُطِيرُ الْهَامَ بَيْنَهُ الْأَثَرِ
 إِذَا جُرَدْتَ يَوْمًا لِأَعْدَائِهَا الْخُزْرِ

قال ابن هشام: أبدلنا من هذه القصيدة كلمتين مما روى ابنُ إسحاق، وهما «الفخر» في آخر البيت، و «فما لحليم» في أول البيت، لأنه نال فيهما من النبي ﷺ.

قال ابن إسحاق: وقال علي بن أبي طالب في يوم بدر:

قال ابن هشام: ولم أر أحدًا من أهل العلم بالشعر يَعْرِفُهَا وَلَا نَقِيضَتِهَا، وإنما كَتَبْنَاهُمَا لِأَنَّهُ يُقَالُ: إِنْ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي الْقَتْلِ، وَذَكَرَهُ فِي هَذَا الشَّعْرِ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَبْلَى رَسُولَهُ
 بِمَا أَنْزَلَ الْكُفَّارَ دَارَ مَذَلَّةٍ
 فَأَمْسَى رَسُولُ اللَّهِ قَدْ عَزَّ نَصْرُهُ
 فَجَاءَ بِفُرْقَانٍ مِنَ اللَّهِ مُنْزَلٍ
 فَأَمَّنَ أَقْوَامٌ بِذَاكَ وَأَيَقَنُوا
 بَلَاءَ عَزِيزٍ ذِي اقْتِدَارٍ وَذِي فَضْلِ
 فَلَاقُوا هَوَانًا مِنْ إِسَارٍ وَمِنْ قَتْلِ
 وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ أُزْسِلَ بِالْعَدْلِ
 مَبَيَّنَةً آيَاتِهِ لَذَوِي الْعَقْلِ
 فَأَمْسُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مُجْتَمِعِي الشُّمْلِ

فزادهم ذو العرش خبلاً^(١) على خبل
وقوماً غضاباً فغلهم أحسن الفعل
وقد حادّثوها بالجلأ وبالصقل
صريعاً ومن ذي نجدة منهم كهل
تجود بإسبال^(٢) الرشاش^(٣) وبالوبل^(٤)
وشيبة تنعاه وتنعى أبا جهل
مسلبة حرى مبينة الثكل
ذوي نجدات في الحروب وفي المخل
وللغنى أسباب مرمقة الوصل
عن الشغب والعدوان في أشغل الشغل

وأنكر أقوام فزاغت قلوبهم
وأمكن منهم يوم بذر رسوله
بأيديهم بيض خفاف عصوا بها
فكم تركوا من ناشيء ذي حمية
تبيت عيون النائحات عليهم
نوائح تنعى عتبة الغي وابنه
وذا الرجل تنعى وابن جدعان فيهم
ثوى منهم في بئر بدر عصابة
دعا الغي منهم من دعا فأجابه
فأضحوا لدى دار الجحيم بمغزل

فأجابه الحارث بن هشام بن المغيرة، فقال:

بأمر سفاه ذي اعتراض وذو بطل
كرام المساعي من غلام ومن كهل
مطاعين في الهيجا مطاعيم في المخل

عجبت لأقوام تغنى سفيهم
تغنى بقتلى يوم بدر تتابعوا
مصاليت بيض من لؤي بن غالب

شعر علي:

وقال في الشعر الذي يعزى إلى علي:

بأيديهم بيض خفاف عصوا بها

يقال: عصيت بالسيف وعصوت بالعصا، فإذا أخبرت عن جماعة قلت: عصوا بضم الصاد، كما يقال: عموا، ومن العصا تقول: عصوا، كما تقول: غزوا.

وقوله: مسلبة، أي قد لبست السلاب، وهي خرقة سوداء تلبسها الثكلى. قال لبيد:

ومذره الكتيبة الرذاح

في السلب السود وفي الأمساح

وإنني ملأعب الرماح

يضربن حرأوجه صحاح

فالسلب: جمع سلاب.

(٢) إسبال: إرسال الدمع وكثرته.

(٤) الوبل: نزوله مجتمعاً.

(١) خبلاً: فساداً.

(٣) الرشاش: نزوله متفرقاً.

أَصِيبُوا كِرَامًا لَمْ يَبِيعُوا عَشِيرَةً
كَمَا أَصْبَحَتْ غَسَّانُ فَيْكُم بِطَانَةٌ
عُقُوقًا وَإِثْمًا بَيْنَنَا وَقَطِيعَةٌ
فَإِنْ يَكُ قَوْمٌ قَدْ مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ
فَلَا تَفْرَحُوا أَنْ تَقْتُلُوهُمْ فَقَتْلُهُمْ
فَإِنَّكُمْ لَنْ تَبْرَحُوا بَعْدَ قَتْلِهِمْ
بِفَقْدِ ابْنِ جُذْعَانَ الْحَمِيدِ فِعَالُهُ
وَشَيْبَةَ فِيهِمْ وَالْوَلِيدَ وَفِيهِمْ
أُولَئِكَ فَابِكُ ثُمَّ لَا تَبْكُ غَيْرَهُمْ
وَقُولُوا لِأَهْلِ الْمَكْتَنِينَ تَحَاشَدُوا
جَمِيعًا وَحَامُوا آلَ كَعْبٍ وَذُبُّوا
وَالَا فَيِّتُوا خَائِفِينَ وَأَضْبَحُوا
عَلَى أَنْيِ وَاللَّاتِ يَا قَوْمُ فَاعْلَمُوا
سِوَى جَمْعِكُمْ لِلْسَّابِغَاتِ وَلِلْقَنَا

بِقَوْمِ سِوَاهُمْ نَازِحِي الدَّارِ وَالْأَضْلِ
لَكُمْ بَدَلًا مَثًا فَيَا لَكَ مِنْ فِعْلٍ
يَرَى جَوْرَكُمْ فِيهَا ذُووُ الرِّأْيِ وَالْعَقْلِ
وَحَيْرُ الْمَنَآيَا مَا يَكُونُ مِنَ الْقَتْلِ
لَكُمْ كَائِنٌ خَبَلًا مُقِيمًا عَلَى خَبَلٍ
شَتِيًّا هَوَاكُم غَيْرُ مُجْتَمَعِي الشَّمْلِ
وَعُتْبَةَ وَالْمَدْعُوَ فَيْكُم أَبَا جَهْلٍ
أُمِّيَّةَ مَأْوَى الْمُغْتَرِّينَ وَذُو الرِّجْلِ
نَوَائِحُ تَدْعُو بِالرِّزْيَةِ وَالثُّكُلِ
وَسِيرُوا إِلَى آطَامِ يَثْرِبَ ذِي النَّخْلِ
بِخَالِصَةِ الْأَلْوَانِ مُخَدَّثَةِ الصَّقْلِ
أَذَلُّ لَوِطَةٍ الْوَاطِئِينَ مِنَ النَّغْلِ
بَكُمْ وَاثِقُ أَنْ لَا تُقِيمُوا عَلَى تَبَلٍ
وَلِلْبَيْضِ وَالْبَيْضِ الْقَوَاطِعِ وَالنَّبَلِ

وَقَالَ ضِرَارُ بْنُ الْخَطَّابِ بْنِ مِرْدَاسٍ، أَخُو بَنِي مُحَارِبِ بْنِ فِهْرٍ فِي يَوْمِ بَدْرٍ:

عَجِبْتُ لِفَخْرِ الْأَوْسِ وَالْحَيْنِ دَائِرُ
وَفَخْرِ بَنِي النَّجَّارِ وَإِنْ كَانَ مَعَشَرُ
فَإِنْ تَكُ قَتْلَى عُودِرَتْ مِنْ رَجَالِنَا
وَتَرْدِي بِنَا الْجُرْدِ الْعَنَاجِيحُ وَسَطَكُمْ
وَوَسْطَ بَنِي النَّجَّارِ سَوْفَ نَكْرَهَا
فَتَرْكُ صَرْعَى تَغْصِبُ الطَّيْرُ حَوْلَهُمْ
وَتَبْكِيهِمْ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ نِسْوَةٌ
وَذَلِكَ أَنَّا لَا تَزَالُ سُيُوفُنَا
فَإِنْ تَظْفَرُوا فِي يَوْمِ بَذْرِ فَإِنَّمَا
وَبِالنَّفَرِ الْأَخْيَارِ هُمْ أَوْلِيَاؤُهُ

عَلَيْهِمْ غَدَاً وَالْدَّهْرُ فِيهِ بَصَائِرُ
أَصِيبُوا بِبَذْرِ كُلِّهِمْ ثُمَّ صَابِرُ
فَإِنَّا رَجَالُ بَعْدِهِمْ سُنْغَادِرُ
بَنِي الْأَوْسِ حَتَّى يَشْفَى النَّفْسَ ثَائِرُ
لَهَا بِالْقَنَا وَالِدَارَعِينَ زَوَافِرُ
وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْأَمَانِيُّ نَاصِرُ
لَهْنَ بِهَا لَيْلٌ عَلَى النَّوْمِ سَاهِرُ
بِهَنْ دَمٌ مَمَّنْ يَحَارِبُنْ مَائِرُ
بِأَحْمَدَ أَمْسَى جَدُّكُمْ وَهُوَ ظَاهِرُ
يُحَامُونَ فِي اللَّأَوَاءِ وَالْمَوْتُ حَاضِرُ

يُعَدُّ أَبُو بَكْرٍ وَحُمَزَةُ فِيهِمْ
وَيُدْعَى أَبُو حَفْصٍ وَعُثْمَانُ مِنْهُمْ
أُولَئِكَ لَا مَنْ نَتَجَبُ فِي دِيَارِهَا
وَلَكِنْ أَبُوهُمْ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ
هُمْ الطَّاعِنُونَ الْخَيْلَ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ

فَأَجَابَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ:

وَيُدْعَى عَلِيٌّ وَشَطَطُ مَنْ أَنْتَ ذَاكَرُ
وَسَعْدُ إِذَا مَا كَانَ فِي الْحَزْبِ حَاضِرُ
بَنُو الْأَوْسِ وَالنَّجَّارِ حِينَ تُفَاخِرُ
إِذَا عُدَّتِ الْأَنْسَابُ كَغَبٍّ وَعَامِرُ
غَدَاةَ الْهِيَاكِ الْأَطْيَبُونَ الْأَكَاثِرُ

عَجِبْتُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَاللَّهُ قَادِرٌ
قَضَى يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ نَلَاقِيَ مَعَشَرًا
وَقَدْ حَشَدُوا وَاسْتَنْفَرُوا مِنْ يَلِيهِمْ
وَسَارَتْ إِلَيْنَا لَا نُحَاوِلُ غَيْرَنَا
وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ وَالْأَوْسُ حَوْلَهُ
وَجَمْعُ بَنِي النَّجَّارِ تَحْتَ لَوَائِهِ
فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ وَكُلُّ مُجَاهِدٍ
شَهِدَنَا بِأَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرَهُ
وَقَدْ غُرِّتْ بِيضٌ^(٢) خِفَافٌ كَأَنَّهَا
بَهَنٌ أَبَدْنَا جَمْعَهُمْ فَتَبَدَّدُوا
فَكُتِبَ أَوْ جَهِلَ صَرِيحًا لَوَجْهِهِ
وَشَيْبَةً وَالتَّيْمِيُّ غَاذَرَنَ فِي الْوَعْيِ
فَأَمْسَوْا وَقُودَ النَّارِ فِي مُسْتَقَرِّهَا
تَلْظَى عَلَيْهِمْ وَهِيَ قَدْ شَبَّ حَمِيْهَا
وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَالَ أَقْبِلُوا
لِأَمْرِ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْلِكُوا بِهِ

عَلَى مَا أَرَادَ، لَيْسَ اللَّهُ قَاهِرُ
بَغَوْا وَسَبِيلَ الْبَغْيِ بِالنَّاسِ جَائِرُ
مِنَ النَّاسِ حَتَّى جَمَعَهُمْ مُتَكَاثِرُ
بِأَجْمَعِهَا كَعْبُ جَمِيعًا وَعَامِرُ
لَهُ مَغْقَلٌ مِنْهُمْ عَزِيزٌ وَنَاصِرُ
يُمَشُّونَ فِي الْمَآذِي وَالنَّقْعُ ثَائِرُ^(١)
لِأَصْحَابِهِ مُسْتَبْسِلُ النَّفْسِ صَابِرُ
وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بِالْحَقِّ ظَاهِرُ
مَقَائِيسُ يُزْهِيْهَا لَعَيْنَيْكَ شَاهِرُ
وَكَانَ يُلَاقِي الْحَيْنَ مَنْ هُوَ فَاجِرُ
وَعَتْبَةٌ قَدْ غَاذَرْنَهُ وَهُوَ عَائِرُ
وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا بِذِي الْعَرْشِ كَافِرُ
وَكُلَّ كَفُورٍ فِي جَهَنَّمَ صَائِرُ
بِزُبْرِ الْحَدِيدِ وَالْحِجَارَةِ سَاجِرُ^(٣)
فَوَلُّوا وَقَالُوا: إِنَّمَا أَنْتَ سَاجِرُ
وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمٍّ اللَّهُ زَاجِرُ

(١) الثائر: من يلقي الشر على الناس.

(٢) البيض: السيوف.

(٣) ساجر: سيل جارف.

وقال عبد الله بن الزُّبَيْرُ السَّهْمِيُّ يَبْكِي قَتْلَى بَدْرٍ:
 قال ابن هشام: وتروي للأعشى بن زُرارة بن النَّبَّاش، أحد بني أُسَيْد بن عمرو بن
 تميم، حليف بني نُوْفَل بن عبد مناف.

قال ابن إسحق: حليف بني عبد الدار:

ماذا على بَدْر وماذا حَوْلُه من فِثْيَةٍ بِيضِ الوُجُوهِ كِرَامِ
 تركوا نُبْيَهَا خَلْفَهُمْ وَمُنْبَّهَا وابني رَبِيعَةٍ خَيْرَ خَضَمِ فِئَامِ
 والْحَارِثُ الْفَيَّاضُ يَبْرُقُ وَجْهُه كالْبَدْرِ جَلَّى لَيْلَةِ الْإِظْلَامِ
 وَالْعَاصِيَّ بَنَ مُنْبَّهَ ذَا مِرَّةٍ رُمَحًا تَمِيمًا غَيْرَ ذِي أَوْصَامِ
 تَنُمِي بِهِ أَعْرَاقُهُ وَجُدُودُه ومَآثِرُ الْأَخْوَالِ وَالْأَغْمَامِ
 وَإِذَا بَكَى بِأَكِّ فَاغْوَلْ شَجْوَه فعَلَى الرَّئِيسِ الْمَاجِدِ ابْنِ هِشَامِ
 حَيًّا إِلَهَ أَبَا الْوَلِيدِ وَرَهْطَه رَبُّ الْأَنَامِ، وَخَصَّهُمْ بِسَلَامِ

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري، فقال:

إِنَّكَ بَكَتَ عَيْنَاكَ ثُمَّ تَبَادَرَتْ بَدَمٌ تُعَلِّ غُرُوبُهَا سَجَامُ
 مَاذَا بَكَيتَ بِهِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا هَلَا ذَكَرْتَ مَكَارِمَ الْأَقْوَامِ
 وَذَكَرْتَ مَنَا مَا جَدَا ذَا هِمَّةٍ سَمَحَ الْخَلَائِقِ صَادِقِ الْإِقْدَامِ
 أَعْنِي النَّبِيَّ أَخَا الْمَكَارِمِ وَالنُّدَى وَأَبْرُ مِنْ يُولِي عَلَى الْإِقْسَامِ
 فَلِمِثْلِهِ وَلِمِثْلِ مَا يَدْعُو لَهُ كَانَ الْمُمْدَحَ ثُمَّ غَيْرَ كَهَامِ

شعر لحسان في بدر أيضًا

وقال حسان بن ثابت الأنصاري أيضًا:

تَبَلَّتْ فَوَادَكَ فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةٌ^(١) تَشْفِي الضَّجِيعَ بِبَارِدِ بَسَامِ

حول شعر حسان

وفي شِعْرِ حَسَّانِ:

تَبَلَّتْ فَوَادَكَ فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةٌ

(١) خريدة: حسناء بكر.

كَالْمِسْكِ تَخْلِطُهُ بِمَاءِ سَحَابَةٍ أَوْ عَاتِقٍ^(١) كَدَمِ الذَّبِيحِ مُدَامَ
نُفْجِ الْحَقِيبَةِ^(٢) بُؤْصِهَا^(٣) مُتَنَصِّدُ بَلْهَاءٍ غَيْرُ وَشِيكَةِ الْأَقْسَامِ
بُنِيَتْ عَلَى قَطَنِ أَجَمٍّ كَأَنَّهُ فُضْلًا إِذَا قَعَدَتْ مَدَاكُ^(٤) رُخَامِ

يجوز أن يكونَ أرادَ بالمنامِ النَّوْمَ، وموضعُ النومِ، ووقتُ النومِ، لأنَّ مَفْعَلًا يصلحُ في هذا كُلُّه في ذَوَاتِ الواوِ، وقد تُسَمَّى العينُ أيضًا مَنَامًا، لأنها مَوْضِعُ النومِ، وعليه تُؤوَّلُ قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ أي في عَيْنِكَ، وَيَقْوِيهِ قوله سبحانه: ﴿وَيَقْلُلُكُمْ فِي أَغْنِيهِمْ﴾.

الفرق بين مفعل وفعل:

ولا فَرْقَ عند النحويين بينَ مَفْعَلٍ في هذا الباب وفَعْلٍ، نحو مَضْرَبَ ومَضْرَبٌ، وَمَنَامٍ ونَوْمٍ، وكذلك هما في التَّعْدِيَةِ سَوَاءً، نحو ضَرَبُ زَيْدٍ عَمْرًا ومَضْرَبُ زَيْدٍ عَمْرًا، وأما في حُكْمِ الْبَلَاغَةِ والعِلْمِ بِجَوْهَرِ الْكَلَامِ، فلا سَوَاءً، فإن المَصْدَرَ إذا حَدَّثَتْهُ قلتُ: ضَرْبَةٌ ونَوْمَةٌ، ولا يقال: مَضْرِبَةٌ ولا مَنَامَةٌ، فهذا فَرْقٌ، وفَرْقٌ آخر تقول: ما أنتَ إِلَّا نَوْمٌ وَإِلَّا سَيْرٌ إذا قصدت التَّوَكِيدَ، ولا يجوز: ما أنتَ إِلَّا مَنَامٌ وَإِلَّا مَسِيرٌ، ومن جهة النَّظَرِ أَنَّ الميمَ لم تَزِدْ إِلَّا لمعنى زائد كالزوائد الأربع في المضارع، وعلى ما قالوه، تكون زائدة لغير معنى.

فإن قلت: فما ذاك المعنى الذي تُعْطِيهِ الميم؟

قلنا: الْحَدَّثُ يَتَضَمَّنُ زَمَانًا وَمَكَانًا وَحَالًا، فَالْمَذْهَبُ عبارة عن الزمان الذي فيه الذَّهَابُ، وعن المكان أيضًا، فهو يعطي معنى الْحَدَّثِ شيئًا زائدًا عليه، وكذلك إذا أردت الْحَدَّثَ مَقْرُونًا بِالْحَالَةِ وَالْهَيْئَةِ التي يقع عليها، قال الله سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(٥) فَأَحَالَ عَلَى التَّفَكُّرِ في هذه الحالة المُسْتَمِرَّةَ عَلَى الْبَشَرِ، ثم قال في آية أخرى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(٦) ولم يقل: مَنَامٌ لَخُلُوءُ هذا الموطن من تلك الحالة، وتَعَرُّيهِ من ذلك المعنى الزائد في الآية الأخرى، ومن لم يعرف جَوْهَرَ الْكَلَامِ لم يعرف إعجاز القرآن.

عود إلى شعر حسان:

وفي هذا الشَّعْر:

بُنِيَتْ عَلَى قَطَنِ أَجَمٍّ كَأَنَّهُ

(١) عاتق: جيد الشراب.

(٢) نفج الحقيبة: ضخمة العجز.

(٣) البوص: الحرير الأبيض.

(٤) مداك: حجر في رائحة الطيب.

(٥) سورة الروم آية رقم (٢٣).

(٦) سورة البقرة آية رقم (٢٥٥).

وتكاد تَكْسَلُ أَنْ تَجِيءَ فِرَاشَهَا
أَمَّا النَّهَارَ فَلَا أَفْثَرَ ذِكْرَهَا
أَقْسَمْتُ أَنْسَاهَا وَأَتْرُكُ ذِكْرَهَا
يَا مَنْ لِعَاذِلَةٍ تَلُومُ سَفَاهَةً
بَكَرْتُ عَلَيَّ بِسُخْرَةٍ^(٢) بَعْدَ الْكَرَى^(٣)
زَعَمْتُ بِأَنَّ الْمَرْءَ يَكْرُبُ عُمْرَهُ
إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي
تَرَكَ الْأَحَبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ
تَذَرِ الْعَنَاجِيحَ^(٥) الْجِيَادَ بِقَفْرَةٍ

فِي جِسْمِ خَزْعَبَةٍ^(١) وَحُسْنِ قَوَامٍ
وَاللَّيْلَ تُوزِعُنِي بِهَا أَخْلَامِي
حَتَّى تُغَيِّبَ فِي الضَّرِيحِ عِظَامِي
وَلَقَدْ عَصَيْتُ عَلَى الْهَوَى لُؤَامِي
وَتَقَارُبٍ مِنْ حَادِثِ الْإِيَّامِ
عَدَمٍ لِمُغْتَكِرٍ مِنَ الْأَضْرَامِ
فَنَجَوْتُ مَنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ^(٤) وَلِجَامِ
مَرِّ الدَّمُوكِ^(٦) بِمُخَصَّدٍ وَرِجَامِ^(٧)

قَطْنُهَا: تَبَجُّهَا وَوَسَطُهَا، وَأَجَمُّ أَي: لَا عَظَامَ فِيهِ.

وقوله: كَأَنَّهُ فُضْلًا، نَصَبَ فُضْلًا عَلَى الْحَالِ، أَي: كَأَن قَطْنُهَا إِذَا كَانَتْ فُضْلًا، فَهُوَ
حَالٌ مِنَ الْهَاءِ فِي: كَأَنَّهُ، وَإِنْ كَانَ الْفُضْلُ مِنْ صِفَةِ الْمَرْأَةِ لَا مِنْ صِفَةِ الْقَطَنِ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ
الْقَطْنُ بَعْضُهَا صَارَ كَأَنَّهُ حَالٌ مِنْهَا، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ فِي قَعْدَتْ لِاسْتِحَالَةِ
أَنْ يَعْمَلَ مَا بَعْدَ إِذَا فِيمَا قَبْلُهَا، وَالْفُضْلُ مِنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ: الْمُتَوَشَّخُ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ،
وَالْمَدَاكُ صَلَاءُ الطَّيِّبِ^(٨)، وَهُوَ مَفْعَلٌ مِنْ دَكْتُ أَذُوكُ، إِذَا دَقَّقْتَ، وَمِنَ الدُّوَكَةِ وَالِدُّوَكَةُ^(٩).

وقوله: مَرِّ الدَّمُوكِ يُقَالُ: دَمَكَهُ دَمَكًا، إِذَا طَحَنَهُ طَحْنًا سَرِيعًا، وَبَكْرَةُ دَمُوكُ، أَي:
سَرِيعَةُ الْمَرِّ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا: رَحَى دَمُوكُ، وَالْمُخَصَّدُ الْحَبْلُ الْمُحَكَّمُ الْفَتْلُ، وَالرَّجَامُ: وَاحِدُ
الرَّجَامَيْنِ، وَهُمَا الْخَشَبَتَانِ اللَّتَانِ تُلْقَى عَلَيْهِمَا الْبَكْرَةُ، وَالرَّجَامُ أَيْضًا: جَمْعُ رُجْمَةٍ، وَهِيَ
حِجَارَةٌ مَجْتَمِعَةٌ، جَمْعُ رَجَمٍ وَهُوَ الْقَبْرُ، وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ:

تَمَتَّعَ مِنْ رُقَادٍ أَوْ سُهَادٍ وَلَا تَأْمَلُ كَرَى تَحْتَ الرَّجَامِ
فَإِنْ لثَالِثِ الْحَالَيْنِ مَعْنَى سِوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ وَالْمَنَامِ

(١) خزعبة: فتاة حسناء.

(٢) الكرى: النوم.

(٣) العناجيج: صفة للجياذ.

(٤) الطمرة: الإبل الشديدة.

(٥) الرجاء: الحجر الذي يُسَنُّ عَلَيْهِ الطيب.

(٦) الدوكة: الشر.

(٧) السحر: آخر الليل.

(٨) طمرة: الجوار الطويل القوائم.

(٩) الدموك: التي تسير سيرًا بطيئًا.

مَلَأَتْ بِهِ الْفَرْجَيْنِ فَازْمَدَتْ بِهِ
وَبَنُوا أَبِيهِ وَرَهْطُهُ فِي مَعْرَكِ
طَحَنَتْهُمْ، وَاللَّهُ يُنْفِذُ أَمْرَهُ،
لَوْلَا إِلَٰهُ وَجَرِيُّهَا لَتَرَكْنَاهُ
مَنْ بَيْنَ مَأْسُورٍ يُشَدُّ وَثَاقُهُ
وَمَجْدَلٍ لَا يَسْتَجِيبُ لِدَعْوَةٍ
بِالْعَارِ وَالذِّلِّ الْمُبِينِ إِذْ رَأَى
بِيَدِي أَعْرَأَ إِذَا انْتَمَى لَمْ يُخْزِهِ
بِيضٌ إِذَا لَاقَتْ حَدِيدًا صَمَمَتْ
وَتَوَى أَحَبُّهُ بِشَرِّ مَقَامِ
تَصَرَّ إِلَٰهُ بِهِ ذَوِي الْإِسْلَامِ
حَزَبٌ يُشَبُّ سَعِيرُهَا بِضَرَامِ
جَزَرَ السَّبَاعِ وَدُسْنَهُ بِحَوَامِي^(١)
صَقِرَ إِذَا لَاقَى الْأَسِنَّةَ حَامِي
حَتَّى تَزُولَ شَوَامِخُ الْأَعْلَامِ
بِيضَ السُّيُوفِ تَسُوقُ كُلُّ هَمَامِ
نَسَبُ الْقِصَارِ سَمِيدَعٍ^(٢) مِقْدَامِ
كَالْبَرْقِ تَحْتَ ظِلَالِ كُلِّ غَمَامِ

شعر الحارث في الرد على حسان

فأجابه الحارث بن هشام، فيما ذكر ابن هشام، فقال:

الله أعلم ما تركت قتالهم حتى حبوا مهري بأشقر مُزبد

وازقذت: أسرع، ومصدره: ازقذاد، وكذلك ازمدت، وافعل في غير الألوان والخلق عزيز، وأما انقض فليس منه في شيء، لأنك تقول في معناه: تقضض البناء، فالقاف: فاء الفعل، وكذلك تقضى البازي، لأنه منه، وغلط الفسوي في الإيضاح، فجعل يريد أن ينقض من باب أحمز، وإنما هو من باب انقذ وانجر والنون زائدة، ووزنه: انفعل، وكذلك غلط القالي في النوادر فقال في قوله: وجريها انثرار أنه أفعلاَل من النثر، كما قال الفسوي في الانقضاض، وإنما هو انفعل من عنب ثرة أي كثيرة الماء.

ودسنه بحوام يعني: الحوافر، وما حول الحوافر، يقال: الحامية، وجمعه حوام.

حول شعر الحارث بن هشام

وقول الحارث بن هشام:

حتى علوا مهري بأشقر مُزبد

يعني: الدَّم، ومُزبد، قد علاه الزبد.

(٢) السמידع: الشريف الشجاع.

(١) حوام: اسم موضع.

وعرفتُ أنّي إن أقاتلُ واحدًا أقتلُ ولا ينكِي عدوّي مشهدي
فصدّذتُ عنهم والأحبّةُ فيهمُ طمعا لهم بعقاب يوم مُفسد
قال ابن إسحق: قالها الحارثُ يعتذر من فراره يوم بدر.

قال ابن هشام: تركنا من قصيدة حسان ثلاثة أبيات من آخرها، لأنه أقذع فيها.

شعر لحسان فيها أيضًا:

قال ابن إسحق: وقال حسان بن ثابت:

لقد علّمتُ قريشُ يوم بذر غداة الأشر والقتل الشديد
بأنّا حينَ تشّجر العوالي حماة الحزب يوم أبي الوليد
قتلنا ابنِي ربيعة يوم سارا إلينا في مضاعفة الحديد
وفرّ بها حكيمُ يوم جالت بنو النجار تخطُر كالأسود
وولّت عند ذاك جموعُ فُهر وأسلمها الحويرث من بعيد
لقد لاقيئتم ذلاً وقَتلاً جهيزاً نافذاً تحت الوريد
وكلُّ القوم ولّوا جميعاً ولم يَلُوا على الحسب التليد
وقال حسان بن ثابت أيضًا:

يا حار قد عولت غير مُعول عند الهياج وساعة الأخساب
إذ تمتطي سُرْح اليدين نجيبةً مرطى^(١) الجراء طويلة الأقراب
والقوم خلفك قد تركت قتالهم ترجو النجاء وليس حين ذهاب
ألا عطفّت على ابن أمك إذ ثوى قعص^(٢) الأسنة ضائع الأسلاب
عجل المليك له فأهلك جمعه بشنار^(٣) مخزية وسوء عذاب
قال ابن هشام: تركنا منها بيتًا واحدًا أقذع فيه.

وقوله: والأحبةُ فيهم: يعني مَنْ قُتل أو أُسر: من رَهطه وإخوته.

(١) مرطى: الناقة تلقى أولادها غير تامين، ناقص الشعر.

(٢) قعص: مكسر. (٣) بشنار: بأقبح العيب والدم.

قال ابن إسحق: وقال حسان بن ثابت أيضًا:

قال ابن هشام: ويقال: بل قالها عبد الله بن الحارث السهمي:

مُسْتَشْعِرِي حَلَقِ الْمَآذِي يَقْدُمُهُمْ
أَغْنِي رَسُولَ إِلَهِ الْخَلْقِ فَضْلَهُ
وَقَدْ زَعَمْتُمْ بَأْنَ تَحْمُوا ذِمَارَكُمْ^(٢)
ثُمَّ وَرَدْنَا وَلَمْ نَسْمَعْ لِقَوْلِكُمْ
مُسْتَعْصِمِينَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْجِمْ^(٣)
فِينَا الرَّسُولُ وَفِينَا الْحَقُّ نَتَّبِعُهُ
وَإِذَا وَمَاضٍ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ

جَلْدُ النَّحِيزَةِ مَاضٍ غَيْرُ رَغْدِيدٍ^(١)
عَلَى الْبَرِيَّةِ بِالتَّقْوَى وَبِالْجُودِ
وَمَاءُ بَذْرِ زَعَمْتُمْ غَيْرُ مَوْزُودٍ
حَتَّى شَرِبْنَا رَوَاءَ غَيْرِ تَضْرِيدٍ
مُسْتَحْكَمٍ مِنْ حِبَالِ اللَّهِ مَمْدُودٍ
حَتَّى الْمَمَاتِ وَنَضَرُ غَيْرُ مَخْدُودٍ
بَذْرُ أَنْارٍ عَلَى كُلِّ الْأُمَاجِيدِ

قال ابن هشام: بيته: «مُسْتَعْصِمِينَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْجِمْ» عن أبي زيد الأنصاري قال ابن إسحق: وقال حسان بن ثابت أيضًا:

خَابَتْ بَنُو أَسَدٍ وَأَبَ غَزِيَّتِهِمْ
مِنْهُمْ أَبُو الْعَاصِي تَجَدَّلَ مُقْعَصًا
حَيْنًا لَهُ مِنْ مَانِعٍ بِسِلَاحِهِ
وَالْمَرْءُ زَمْعَةٌ قَدْ تَرَكْنَ وَنَحْرُهُ
مُتَوَسِّدًا حُرَّ الْجَبِينِ مُعَفَّرًا
وَنَجَا ابْنُ قَيْسٍ فِي بَقِيَّةِ رَهْطِهِ

يَوْمَ الْقَلِيبِ بِسَوَاءٍ وَفُضُوحٍ
عَنْ ظَهْرِ صَادِقَةِ النَّجَاءِ سَبُوحٍ
لَمَّا ثَوَى بِمَقَامِهِ الْمَذْبُوحِ
يَذْمَى بِعَانِدٍ مُغْبِطٍ مَسْفُوحٍ
قَدْ عُرِّ مَارِنٌ أَنْفِهِ بِقُبُوحٍ
بَشَفَا الرِّمَاقِ مُوَلِيًّا بِجُرُوحٍ

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا:

أَلَا لَيْتَ شِغْرِي هَلْ أَتَى أَهْلَ مَكَّةَ
قَتَلْنَا سَرَاةَ الْقَوْمِ عِنْدَ مَجَالِنَا
قَتَلْنَا أَبَا جَهْلٍ وَعُثْبَةَ قَبْلَهُ

إِبَارَتُنَا الْكُفَّارِ فِي سَاعَةِ الْعُسْرِ
فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَّا بِقَاصِمَةِ الظُّهْرِ
وَشَيْبَةَ يَكْبُو لِلْيَدَيْنِ وَلِلنَّحْرِ

(٢) ذِمَارُكُمْ: الذِّمَارُ كُلُّ مَا يَلْزِمُ حِمَايَتِهِ.

(١) رَغْدِيدٌ: جَبَانٌ.

(٣) مُنْجِمْ: مَنْقُطِعٌ.

قَتَلْنَا سُويْدًا ثم عُثْبَةَ بَعْدَهُ
فَكَمْ قَدْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ مُرْزِيٍّ
تَرْكَنَاهُمْ لِلْعَاوِيَاتِ يَنْبُئُهُمْ
لَعْمَرِكَ مَا حَامَتْ فَوَارِسُ مَالِكٍ
وَطُغْمَةٌ أَيْضًا عِنْدَ ثَائِرَةِ الْقَثَرِ
لَهُ حَسَبٌ فِي قَوْمِهِ نَابِهَ الذِّكْرِ
وَيَضْلَوْنَ نَارًا بَعْدَ حَامِيَةِ الْقَمَرِ
وَأَشْيَاعُهُمْ يَوْمَ التَّقَيْنَا عَلَى بَذَرٍ

قال ابن هشام: أنشدني أبو زيد الأنصاري بيته:

قَتَلْنَا أبا جَهْلٍ وَعُثْبَةَ قَبْلَهُ
وَشَيْبَةَ يَكْبُو لِلْيَدَيْنِ وَلِلنَّحْرِ

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضًا:

نَجَّى حَكِيمًا يَوْمَ بَذَرِ شَدَّةٍ
لَمَّا رَأَى بَذْرًا تَسِيلُ جِلاَّهُ
لَا يَنْكُلُونَ إِذَا لَقُوا أَعْدَاءَهُمْ
كَمْ فِيهِمْ مِنْ مَاجِدٍ ذِي مَنَعَةٍ
وَمُسَوِّدٍ يُغْطِي الْجَزِيلَ بِكَفِّهِ
زَيْنِ النَّدِيِّ مَعَاوِدِ يَوْمِ الْوَعَى
كَنَجَاءِ مُهْرٍ مِنْ بَنَاتِ الْأَعْوَجِ
بَكْتِيْبَةٍ خَضِرَاءٍ مِنْ بَلْخَزْرَجٍ
يَمْشُونَ عَائِدَةَ الطَّرِيقِ الْمَنْهَجِ
بَطْلٍ بِمَهْلَكَةِ الْجَبَانِ الْمُخْرَجِ
حَمَّالِ أَثْقَالِ الدِّيَاتِ مُتَوَجِّ
ضَرْبِ الْكُمَاةِ بِكُلِّ أَبْيَضٍ سَلَجَجِ

عود إلى حسان:

وقول حسان:

بَكْتِيْبَةٍ خَضِرَاءٍ مِنْ بَلْخَزْرَجِ

العرب تجعل الأسود أخضر، فتقول: ليل أخضر كما قال: [ذو الرُّمَّة]:

قَدْ اغْصَفَ النَّازِحُ الْمَجْهُولُ مَغْصَفُهُ
فِي ظِلِّ أَخْضَرَ يَدْعُو هَامَةَ الْبُومِ

وتسمي الأخضر أسود، إذا اشتدت خضرته، وفي التنزيل: (مُذَاهِمَاتَانِ)، قال أهل

التأويل: سَوْدَاوَانِ مِنْ شِدَّةِ الْخُضْرَةِ.

وقوله: بَكْلٍ أَبْيَضٍ سَلَجَجٍ، وهو السيف الماضي الذي يقطع الضربة بسهولة، ومنه

المَثَلُ: الْأَخْذُ سَلْجَانًا^(١) وَالْقَضَاءُ لِيَانًا^(٢)، أي الْأَخْذُ سَهْلٌ يَسُوغُ فِي الْحَلْقِ بِلَا عُسْرِ، كَمَا

قَالُوا: الْأَخْذُ سَخْرِيْطٌ [وَسُرِّيْطَى] وَالْقَضَاءُ ضُرِّيْطٌ [وَضُرِّيْطَى] فَسُرِّيْطٌ مِنْ سَرِطْتَ الشَّيْءَ إِذَا

(١) سلجان: سريع.

(٢) ليان: بطيء.

قال ابن هشام: قوله سَلَجَج، عن غير ابن إسحق.

قال ابن إسحق: وقال حسان أيضًا:

فَمَا نَخْشَى بِحَوْلِ اللَّهِ قَوْمًا	وإن كثروا وأجمعت الزُّخُوفُ
إذا ما أَلْبُوا جَمْعًا عَلَيْنَا	كفانا حَدَّهم رَبُّ رَوْوف
سَمَوْنَا يَوْمَ بَذْرِ بِالْعَوَالِي	سِرَاعًا ما تُضْغِضِعُنَا الحُتُوف
فَلَمْ تَرِ عُضْبَةً فِي النَّاسِ أَنْكَى	لمن عادُوا إذا لَقِحت كَشُوف
ولكنَّا توَكَّلْنَا وَقُلْنَا	مآثرُنَا وَمَغْقِلُنَا السُّيُوف
لَقِينَاهُمْ بِهَا لَمَّا سَمَوْنَا	ونحنُ عِصَابَةٌ وَهُمْ أُلُوف

بَلَعْتَهُ سَهْلًا، فَسَلَجَجُ مِنْ هَذَا، إِلَّا أَنَّهُمْ ضَاعَفُوا الْجِيمَ، كَمَا ضَاعَفُوا الدَّالَّ مِنْ مَهْدَدٍ، وَلَمْ يُدْغِمُوا إِلَّا أَنَّهُمُ الْحَقَوهُ بِجَعْفَرٍ.

وقوله: بَلَخَزَرْج، أراد: بني الْخَزَرْج، فحذف النون لأنها من مَخْرَج اللام، وهم يَحْذِفُونَ اللام في مثل، عِلْمَاءٍ وَظِلْتُ، كراهية اجتماع اللَّامَيْنِ، وكذلك أَحَسْتُ كراهية التضعيف، وفي حديث عائشة - رضي الله عنها - تَرَبَّتْ يَمِينُكَ وَأَلَّتِ، أرادت: أَلَّتِ، أي طَعِنْتَ مِنْ قَوْلِهِمْ: مَالَهُ أَلٌّ وَغُلٌّ، وَيُرْوَى: أَلَّتْ فَتَكُونُ التَّاءُ عِلْمًا لِلتَّائِيثِ، أي أَلَّتْ يَدُكَ، وَعِنْدَنَا فِيهِ رَوَايَةٌ ثَالِثَةٌ فِي كِتَابِ مُسْلِمٍ، وَهِيَ تَرَبَّتْ يَدَاكَ وَأَلَّتِ بِكْسَرِ التَّاءِ وَتَشْدِيدِ اللام وهي عَلَى لُغَةٍ مِنْ يَقُولُ فِي: رَدَدْتَ رَدَّتْ فِيدْغَمَ مَعَ ضَمِيرِ الْفَاعِلِ، وَهِيَ لُغَةٌ حَكَاهَا سِيبَوَيْهِ^(١) [مِنْ أَحْكَامِ الْأَفْعَالِ الْمَبْنِيَةِ عَلَى صِيغَةِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَجْهُولِ]. وَذَكَرَ شَعْرُ كَعْبٍ فِيهِ:

لَعَمْرُ أَبِيكَمَا يَا ابْنَي لُؤْيٍ عَلَى زَهْوٍ لَدَيْنُكُمْ وَانْتِخَاءٍ

الانْتِخَاءُ: افْتِعَالٌ مِنَ النَّخْوَةِ، وَيُقَالُ: نُخِيَ الرَّجُلُ وَانْتَخَى. وَمِنْ الزَّهْوِ: زُهْيٌ وَازْدَهَى، وَلَا يَكُونُ الْأَمْرُ مِنْ مِثْلِ هَذَا إِلَّا بِاللَّامِ، لِأَنَّ الْفِعْلَ فِيهِ لَغِيرِ الْمَخَاطَبِ، وَإِذَا أَمَرَ مَنْ لَيْسَ بِمَخَاطَبٍ، فَإِنَّمَا يُؤْمَرُ بِاللَّامِ كَقَوْلِكَ: لَتَزِهِ يَا فُلَانٌ وَلَتُغْنَى بِحَاجَتِي، وَكَانَ الْقِيَاسُ أَيْضًا أَنْ لَا يُقَالَ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ: مَا أَفْعَلَهُ، وَلَا هُوَ أَفْعَلُ مِنْ كَذَا، كَمَا لَا يُقَالَ فِي الْمَرْكُوبِ: مَا أَزَكَّبَهُ، وَلَا فِي الْمَضْرُوبِ، مَا أَضْرَبَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ: مَا أَزْهَاهُ، وَمَا أَغْنَاهُ بِحَاجَتِي، وَقَالُوا: هُوَ أَشْغَلَ مِنْ ذَاتِ النَّخْيَيْنِ، وَهُوَ أَزْهَى مِنْ غُرَابٍ، وَالْفِعْلُ فِي هَذَا كُلِّهِ زُهْيٌ وَشُغْلٌ فَهُوَ مَشْغُولٌ وَمَزْهُوٌّ. وَقِيلَ فِي الْمَجْنُونِ: مَا أَجَّنَّهُ حَكَاهُ أَبُو

(١) لغة بكر بن وائل وغبههم.

وقال حسان بن ثابت أيضًا، يهجو بني جُمَحَ ومن أُصِيبَ منهم:

جَمَحَتْ بنو جُمَحَ لَشِقْوَةٍ جَدَّهِمْ إِنَّ الذَّلِيلَ مُوَكَّلٌ بِذَلِيلِ
قَتَلَتْ بنو جُمَحَ بِبَذْرِ عَنُوءَةٍ وَتَخَاذَلُوا سَغِيًّا بِكُلِّ سَبِيلِ
جَحَدُوا الْكِتَابَ وَكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ وَاللَّهُ يُظْهِرُ دِينَ كُلِّ رَسُولٍ
لَعَنَ الْإِلَهُ أَبَا خُزَيْمَةَ وَابْنَهُ وَالْخَالِدَيْنِ، وَصَاعِدَ بْنَ عَقِيلِ

شعر عبدة بن الحارث في قطع رجله:

قال ابن إسحق: وقال عبدة بن الحارث بن المُطَّلِبِ في يوم بدر، وفي قَطْعِ رِجْلِهِ حين أُصِيبَ، في مُبارزته هو وحمزة وعلى حين بارزوا عدوهم - قال ابن هشام، وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعبدة:

سَتَبْلُغُ عَنَّا أَهْلَ مَكَّةَ وَقَعَةً يَهْبُ لَهَا مَنْ كَانَ عَنْ ذَاكَ نَائِيَا
بِعُثْبَةٍ إِذْ وَلَّى وَشَيْبَةَ بَغْدَه وَمَا كَانَ فِيهَا بِكُرٍ عُثْبَةَ رَاضِيَا
فَإِنْ تَقَطَّعُوا رِجْلِي فَإِنِّي مُسْلِمٌ أَرْجِي بِهَا عَيْشًا مِنَ اللَّهِ دَانِيَا
مَعَ الْخُورِ أَمْثَالِ التَّمَاثِيلِ أُخْلِصَتْ مَعَ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا لِمَنْ كَانَ عَالِيَا
وَبِغَتْ بِهَا عَيْشًا تَعْرِقْتُ صَفْوَه وَعَالَجْتُهُ حَتَّى فَقَدْتُ الْأَدَانِيَا
فَأَكْرَمَنِي الرَّحْمَنُ مِنْ فَضْلٍ مَنَّهُ بِثَوْبٍ مِنَ الْإِسْلَامِ غَطَّى الْمَسَاوِيَا
وَمَا كَانَ مَكْرُوهًا إِلَيَّ قِتَالُهُمْ غَدَاةَ دَعَا الْأَكْفَاءَ مَنْ كَانَ دَاعِيَا
وَلَمْ يَنْبَغِ إِذْ سَأَلُوا النَّبِيَّ سَوَاءَنَا ثَلَاثَتَنَا حَتَّى خَضَرْنَا الْمَنَادِيَا
لَقِينَاهُمْ كَالْأُسْدِ تَخْطِرُ بِالْقَنَا نُقَاتِلُ فِي الرَّحْمَنِ مَنْ كَانَ عَاصِيَا
فَمَا بَرَحَتْ أَقْدَامُنَا مِنْ مَقَامِنَا ثَلَاثَتَنَا حَتَّى أَزِيرُوا^(١) الْمَنَائِيَا^(٢)

عَمَر [صالح بن إسحق] الجَزْمِي. وقال سيبويه: واعلم أن العرب تقدم في كلامها ما هم به أهم، وهم ببيانهم أغني، وإن كان جميعاً يهملهم، ويُغنيانهم، فقال: أهما وأغني، وهو من همهم وعناهم، فهم به مغنيون! مثل مضروبون، فجاز في هذا الأفعال ما ترى، وسبب جوازه: أن المفعول فيها فاعل في المعنى، فالمرهؤ متكبر وكذا المنخو والمشغول مشتغل وفاعل لشغله، والمعني بالأمر كذلك، والمجنون كالأحمق، فيقال: ما أجته، كما يقال: ما

(٢) المنائيا: المنايا.

(١) أزيروا: أحاطت به.

قال ابن هشام: لما أصيبت رجلُ عُبَيْدة قال: أما والله لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أنني أحقُّ منه بما قال حين يقول:

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ يُبْزَى مُحَمَّدٌ وَلَمَّا نَطَاعَن دُونَهُ وَنُناضِلِ
وَنُسْلِمَهُ حَتَّى نُصْرِعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَن أَبنائِنَا وَالْحَلائِلِ

وهذان البيتان في قصيدة لأبي طالب، وقد ذكرناها فيما مضى من هذا الكتاب.

رثاء كعب لعبيدة بن الحارث:

قال ابن إسحاق: فلما هلك عُبَيْدة بن الحارث من مُصاب رَجُلُه يوم بدر، قال كعب بن مالك الأنصاري يَبْكِيه:

أَيَا عَيْنِ جُودِي وَلَا تَبْخَلِي بَدْمَعِكَ حَقًّا وَلَا تَنْزُرِي
عَلَى سَيِّدِ هَذَا هُلُكُهُ كَرِيمَ الْمَشَاهِدِ وَالْعُنُصُرِ
جَرِيءِ الْمَقْدَمِ شَاكِي السُّلَاحِ كَرِيمِ النَّثَا طَيِّبِ الْمَكْسِرِ
عُبَيْدَةَ أَمْسَى وَلَا نَرْتَجِيهِ لَعُوفِ عَرَانَا وَلَا مُنْكَرِ
وَقَدْ كَانَ يَحْمِي غَدَاةَ الْقِتَا لِحَامِيَةِ الْجَيْشِ بِالْمِبْتَرِ

أَحْمَقَهُ، وليس كذلك مَضْرُوبٌ، ولا مَرْكُوبٌ ولا مَشْتُومٌ، ولا مَمْدُوحٌ، فلا يقال في شيء منه: ما أَفْعَلَهُ، ولا هو أَفْعَلُ من غيره.

فإن قلت: فكان ينبغي على هذا القياس أيضًا أن يُؤمَر فيه بغير اللام، كما يُؤمَر الفاعل إذا، وقد قلتم: إنه فاعل في المعنى فالجواب: أن الأمر إنما هو بلفظ المستقبل، وهو تَضْرِبُ وتَخْرُجُ، فإذا أمرت حذف حرف المضارعة، وبقيت حروف الفعل على بُنْيَتِها، وليس كذلك زُهِيتَ فأنت تُزْهِى، ولا شُغِلْتَ فأنت تُشْغَل، لأنك لو حذفته منه حرف المضارعة لبقى لفظ الفعل على بُنْيَةٍ ليست للغائب، ولا للمخاطب، لأن بُنْيَةَ الأمر للمخاطب أَفْعَلُ، وبُنْيَتُهُ للغائب، فَلْيَفْعَلْ، والبُنْيَةُ التي قَدَرْنَاهَا لا تصلح لواحدٍ منهما، لأنك كنت: تقول أَرْهَى من زُهِيتُ، وكنت تقول: من شُغِلْتُ أَشْغَلْ، فتخرج من باب شُغِلْتَ فأنت مشغول إلى باب شُغِلْتَ غَيْرُكَ، فأنت شَاغِلٌ، فلم يستقيم فيه الأمر إلا باللام.

شعر لكعب في بدر:

وقال كعب بن مالك أيضًا، في يوم بدر:

ألا هل أتى غَسَّانَ في نَأي دارِها
بأن قد رَمَثْنَا عن قِسيّ عداوَةٍ
لأنّا عَبَدْنَا اللهَ لم نَزَجْ غيرَه
نبيّ له في قَوْمِه إِزْثُ عِزّة
فساروا وسِرْنَا فالتَقِينَا كأنّا
ضربناهم حتى هَوَى في مَكْرِنَا
فولّوا ودُسْنَاهم ببيض صِوَارم
وقال كعب بن مالك أيضًا:

لَعَمْرُ أَيْكُمَا يَا ابْنَي لُؤَيٍّ
لَمَّا حَامَتْ فَوَارِسُكُمْ بِبَدْرٍ
ورَدْنَاهُ بنور الله يَجْلُو
رسولُ الله يَفْقَدُنَا بأَمْرٍ
فما ظَفَرَتْ فَوَارِسُكُمْ بِبَدْرٍ
فلا تَغْجَلْ أبا سُفْيَانَ وَاِرْقُبْ
بَنَضْرِ الله رُوحُ الْقُدُسِ فِيهَا
على زَهْوٍ لَدَيْكُمْ وَاِنْتِخَاءٍ
ولا صَبِرُوا به عند اللُّقَاءِ
دُجَى الظُّلُمَاءِ عَنَّا وَالْغِطَاءِ
مِنْ أَمْرِ الله أَحْكَمَ بِالْقَضَاءِ
وما رَجَعُوا إِلَيْكُمْ بِالسَّوَاءِ
جِيَادُ الْخَيْلِ تَطْلُعُ مِنْ كَدَاءِ^(٣)
ومِيكَالٍ، فَيَا طِيبَ الْمَلَاءِ

وقوله:

ومِيكَالٍ فَيَا طِيبَ الْمَلَاءِ

لمراد الملاء، وليس من باب مد المقصور، إذ لا يجوز في عَصَى عَصَاء، ولا في رَحَى: رَحَاء في الشعر، ولا في الكلام، وإن كانوا قد أشبعوا الحركات في الضرورة، فقالوا: في الكَلْكَلِ الكَلْكَاك، وفي الصَّيَارِفِ: الصَّيَارِيف، ولكن مد المقصود أبعد من هذا، لأن زيادة

(٢) كليهما: جريحها.

(١) أرومها: أصولها.

(٣) كدَاء: اسم موضع.

شعر طالب في مدح الرسول وبكاء أصحاب القلب:

وقال طالبُ بن أبي طالب، يمدح رسول الله ﷺ، ويبكي أصحاب القلب من قريش يوم بدر:

ألا إنَّ عَيْنِي أَنْفَدَتْ دُمْعَهَا سَكْبًا
ألا إنَّ كَغَبًا فِي الْحُرُوبِ تَخَاذَلُوا
وعامر تَبْكِي لِلْمُلَمَّاتِ غُدُوءَ
هُمَا أَخَوَايَ لَنْ يُعَدَّاءَ لِغِيَّةٍ
فيا أَخَوَيْنَا عِنْدَ شَمْسٍ وَنُوفَلَا
وَلَا تُضْبِحُوا مِنْ بَعْدِ وَدٍّ وَأَلْفَةٍ
ألم تعلموا ما كان في حَرْبٍ داحسٍ
فَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ
فَمَا إِنْ جَنِينَا فِي أَقْرِيشٍ عَظِيمَةٍ
أَخَا ثِقَةٍ فِي النَّائِبَاتِ مُرَزَّاءٍ^(١)
يُطِيفُ بِهِ الْعَافُونَ يَغْشَوْنَ بَابَهُ
فوالله لَا تَنْفَكُ نَفْسِي حَزِينَةٍ
تُبْكِي عَلَى كَعْبٍ وَمَا إِنْ تَرَى كَعْبًا
وَأَزْدَاهُمْ ذَا الدَّهْرِ وَاجْتَرَحُوا ذَنْبًا
فِيَالَيْتَ شِغْرِي هَلْ أَرَى لَهُمَا قُرْبًا
تُعَدُّ وَلَنْ يُسْتَامَ جَارُهُمَا غَضْبًا
فِدَا لَكُمْ لَا تَبْعَثُوا بَيْنَنَا حَرْبًا
أَحَادِيثَ فِيهَا كُلُّكُمْ يَشْتَكِي النُّكْبَا
وَجِيشَ أَبِي يَكْسُو مَلَأُوا لَيْثُوا الشُّعْبَا
لَا ضَبْحَتُمْ لَا تَمْنَعُونَ لَكُمْ سِرْبًا
سِوَى أَنْ حَمِينَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ التُّرْبَا
كَرِيمًا نَاشًا لَا بِخِيَلًا وَلَا ذَرْبًا^(٢)
يُؤْمُونَ بِحَرًّا لَا نَزُورًا وَلَا صَرْبًا
تَمْلُمُ حَتَّى تَصْدُقُوا الْخَزْرَجَ الضَّرْبَا

شعر ضرار في رثاء أبي جهل:

وقال ضرار بن الخطَّاب الفهري، يرثي أبا جهل:

ألا مَنْ لَعِينٍ بَاتَتْ اللَّيْلُ لَمْ تَنْمِ
كَأَنَّ قَذَى فِيهَا وَلَيْسَ بِهَا قَذَى
فَبَلِّغْ قُرَيْشًا أَنَّ خَيْرَ نَدْبِهَا
تُرَاقِبُ نَجْمَانِ فِي سَوَادٍ مِنَ الظُّلَمِ
سِوَى عِبْرَةٍ مِنْ جَائِلِ الدَّمْعِ تَنْسَجِمِ
وَأَكْرَمَ مَنْ يَمْشِي بِسَاقٍ عَلَى قَدَمِ

الألف تغيير واحد، ومد المقصور تغييران، زيادة ألف وهمز ما ليس بمهموز، غير أنه قد جاء في شعر طرفة:

وَكَشْحَانِ لَمْ يَنْقُصْ طَوَاءَهُمَا الْحَبْلُ

(١) مرزا: مصابا.

(٢) ذربا: الذرب: سلاطة اللسان.

ثَوَى يَوْمَ بَدْرَ رَهْنِ خَوْصَاءَ رَهْنُهَا
فَالَيْتُ لَا تَنْفَكَ عَيْنِي بِعَبْرَةٍ
عَلَى هَالِكِ أَشْجَى لُؤَيٍّ بَنِ غَالِبِ
تَرَى كِسْرَ الْخَطَى فِي نَحْرِ مُهْرِهِ
وَمَا كَانَ لَيْتُ سَاكِنٌ بَطْنِ بَيْشَةٍ
بِأَخْرِ أَمْنُهُ حِينَ تَخْتَلِفُ الْقَنَا
فَلَا تَجْزَعُوا آلَ الْمُغِيرَةِ وَاضْبِرُوا
وَجِدُّوا فَإِنَّ الْمَوْتَ مَكْرُمَةً لَكُمْ
وَقَدْ قُلْتُ إِنَّ الرِّيحَ طَيِّبَةٌ لَكُمْ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يُنْكِرُهَا لِضَرَارِ.

شعر الحارث بن هشام في رثاء أبي جهل:

قال ابن إسحق: وقال الحارث بن هشام، يبكي أخاه أبا جهل:

أَلَا يَا لَهْفَ نَفْسِي بَعْدَ عَمْرٍو
يُخْبِرُنِي الْمُخْبِرُ أَنَّ عَمْرًا
فَقَدَمَا كُنْتُ أَخْسِبُ ذَاكَ حَقًّا
وَكُنْتُ بِنِعْمَةٍ مَا دُمْتُ حَيًّا
كَأَنِّي حِينَ أُمْسِي لَا أَرَاهُ
عَلَى عَمْرٍو إِذَا أُمْسَيْتُ يَوْمًا
وَهَلْ يُغْنِي التَّلَهُّفُ مِنْ قَتِيلِ
أَمَامَ الْقَوْمِ فِي جَفْرِ مُحِيلِ
وَأَنْتَ لِمَا تَقْدَمُ غَيْرُ فِيلِ
فَقَدْ خُلِفْتُ فِي دَرَجِ الْمَسِيلِ
ضَعِيفُ الْعَقْدِ ذُو هَمٍّ طَوِيلِ
وَطَرْفٍ مِنْ تَذْكُرِهِ كَلِيلِ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها للحارث بن هشام؛ وقوله: «في جفر» عن غير ابن إسحق.

لكنه حسنه قليلاً في بيت طَرَفَه في أنه لم يُرد الطَوَى الذي هو مصدر، طَوِيَ يَطْوِي: إذا جاع، وخَوِيَ بطنه، وإنما أراد: رِقَّة الخضر، وذلك جمالاً في المرأة، وكمال في الخلقة، فجاء باللفظ على وزن جَمَال وكمال، وظهر في لفظه، كان في نفسه، والعرب تنحو بالكلمة إلى وزن ما هو في معناها، وقد مضى منه كثيرٌ وسيرد عليك ما هو أكثر.

شعر ابن الأسود في بكاء قتلى بدر:

قال ابن إسحق: وقال أبو بكر بن الأسود بن شعوب الليثي، وهو شَدَاد بن الأسود:

وَهَلْ لِي بَعْدَ قَوْمِي مِنْ سَلَامٍ	تُحْيِي بِالسَّلَامَةِ أُمُّ بَكْرٍ
مِنَ الْقَيْنَاتِ وَالشَّرْبِ الْكَرَامِ	فَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَذْرٍ
مِنَ الشُّيْزَى ^(١) تُكَلِّلُ بِالسَّنَامِ	وَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَذْرٍ
مِنَ الْحَوْمَاتِ ^(٢) وَالنَّعْمِ الْمُسَامِ	وَكَمْ لَكَ بِالطَّوِيِّ طَوِيٍّ بَذْرٍ
مِنَ الْغَايَاتِ وَالْدُّسْعِ ^(٣) الْعَظَامِ	وَكَمْ لَكَ بِالطَّوِيِّ طَوِيٍّ بَذْرٍ
أَخِي الْكَاسِ الْكَرِيمَةِ وَالنُّدَامِ	وَأَصْحَابِ الْكَرِيمِ أَبِي عَلِيٍّ
وَأَصْحَابِ الثَّنِيَّةِ مِنْ نَعَامِ	وَأَنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ أَبَا عَقِيلٍ
كَأُمِّ السَّقْبِ ^(٤) جَائِلَةَ الْمَرَامِ	إِذَنْ لَظَلِلْتُ مِنْ وَجْدٍ عَلَيْهِمِ
وَكَيْفَ لِقَاءِ أَصْدَاءِ وَهَامِ؟	يُخَبِّرُنَا الرَّسُولُ لَسَوْفَ نَحْيَا

قال ابن هشام: أنشدني أبو عبيدة النحوي:

وَكَيْفَ حَيَاةُ أَصْدَاءِ وَهَامِ	يُخَبِّرُنَا الرَّسُولُ بَأَن سَنَحْيَا
	قال: وكان قد أسلم ثم ارتد.

شعر أمية بن أبي الصلت في رثاء قتلى بدر:

وقال ابن إسحق: وقال أمية بن أبي الصلت، يرثي من أصيب من قُرَيْش يوم بدر:

مِ بَنِي الْكَرَامِ أُولِي الْمَمَادِخِ	أَلَا بَكَيْتِ عَلَى الْكَرَا
عِ الْإَيْكَ فِي الْغُصْنِ الْجَوَانِحِ	كَبُكََا الْحَمَامِ عَلَى فُرُو

وأما المَلَأُ وَالْخَطَأُ وَالرَّشَأُ^(٥) وَالْفَرَأُ^(٦) وما كان من هذا الباب، فإن هَمْزَتَهُ تُقْلَبُ أَلِفًا فِي الْوَقْفِ بِإِجْمَاعٍ نَعَمْ، وَفِي الْوَضَلِ فِي بَعْضِ اللَّغَاتِ، فَيَكُونُ الْأَلِفُ عَوْضًا مِنَ الْهَمْزَةِ، وَقَدْ

(١) الشيزى: القطاع المملوءة بالطعام.
 (٢) الحومات: أشد أماكن القتل.
 (٣) الدسع: العطاء الجزيل.
 (٤) السقب: ولد الناقة عند ولادته.
 (٥) الرشا: الظبي إذا قوي واشتد.
 (٦) الفرأ: حمار الوحش:

يَبْكِينَ حَرَى مُسْتَكِي
 أَمْثَالَهُنَّ الْبَاكِيا
 مَنْ يَبْكِيهِمْ يَبْكُ عَلَى
 مَاذَا بَبَذَ فَاَلْعَقْنُ
 فَمَدَافِعَ الْبَرْقَيْنِ فَالْحَ
 شُمُطِ^(٥) وَشُبَّانِ بِهَا
 أَلَا تَرَوْنَ لِمَا أَرَى
 أَنْ قَدْ تَغَيَّرَ بَطْنُ مِ
 مِنْ كُلِّ بِطْرِيقٍ لَطِ
 دُغْمُوصِ^(٨) أَبْوَابِ الْمُلو
 مِنَ السَّرَاطِمَةِ^(٩) الْخَلا
 الْقَائِلِينَ الْفَاعِلِي
 الْمُطْعَمِينَ الشُّخْمَ فَوِ
 نُقْلَ الْجِفَانِ مَعَ الْجِفَا
 لَيْسَتْ بِأَضْفَارِ لِمَنْ
 لِلضَّيْفِ ثُمَّ الضَّيْفِ بَعْدَ

نَاتٍ يَرْخُنَ مَعَ الرِّوَائِحِ
 تِ الْمُعْوَلَاتِ مِنَ النُّوَائِحِ
 حُزْنٍ وَيَصْدُقُ كُلَّ مَادِحِ
 قَلِ^(١) مِنْ مَرَاذِبِ^(٢) جَحَاجِحِ^(٣)
 نَّانٍ مِنْ طَرَفِ الْأَوَاشِحِ^(٤)
 لَيْلٍ مَغَاوِيرٍ وَحَاوِحِ^(٦)
 وَلَقَدْ أَبَانَ لِكُلِّ لَامِحِ
 كَّةً فَهِيَ مُوحِشًا الْأَبَاطِحِ^(٧)
 رِيْقٍ نَقِي الْقَوْنِ وَاضِحِ
 كِ وَجَائِبِ الْخَرْقِ فَاتِحِ
 جِمَةِ^(١٠) الْمَلَاوِثَةِ^(١١) الْمَنَاجِحِ^(١٢)
 يَنْ الْأَمْرَيْنِ بِكُلِّ صَالِحِ
 قِ الْخُبْزِ شَخْمًا كَالْأَنَافِحِ^(١٣)
 نِ إِلَى جِفَانٍ كَالْمَنَاضِحِ
 يَغْفَوُ وَلَا رَحَ^(١٤) رَحَاحِ
 [الضَّيْفِ] وَالْبُسْطِ السَّلَاطِحِ^(١٥)

يَجْمَعُونَ بَيْنَ الْعِوَضِ وَالْمُعَوِّضِ مِنْهُ، كَمَا قَالُوا: هَرَّاقَ الْمَاءِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ الْهَاءُ بَدَلًا مِنْ
 الْهَمْزَةِ، فَجَمَعُوا بَيْنَهُمَا، وَقَالُوا فِي النِّسْبِ إِلَى قِمٍّ: فَمَوِيٍّ، وَقَالُوا: فِي النِّسْبِ إِلَى الْيَمَنِ:

- (١) الْعَقَنْقَلُ: الْوَادِ السَّحِيقُ.
 (٢) مَرَاذِبُ: رُؤُوسَاءُ.
 (٣) جَحَاجِحُ: مَسَارِعِينَ إِلَى الْمَكَارِمِ.
 (٤) أَوَاشِحُ: سِوْفُ.
 (٥) شُمُطُ: شَبُوحُ.
 (٦) وَحَاوِحُ: أَقْوِيَاءُ.
 (٧) أَبَاطِحُ: جَمْعُ أَبْطَحَ. وَهُوَ مِيلٌ فِيهِ رَمْلٌ وَحَصَى.
 (٨) دُغْمُوصُ: بَلْعَطُ.
 (٩) السَّرَاطِمَةُ: جَمْعُ سَرَطَمٍ وَهُوَ الْأَكُولُ.
 (١٠) الْخَلَاجِمَةُ: جَمْعُ خَلَجَمٍ. وَهُوَ صَاحِبُ الْجِسْمِ الطَّوِيلِ الْمَمَشُوقِ.
 (١١) الْمَلَاوِثَةُ: الْأَقْوِيَاءُ.
 (١٢) الْمَنَاجِحُ: الْقَاضُونَ حَاجَتَهُمْ.
 (١٣) الْأَنَافِحُ: اللَّبَنُ الصَّافِي.
 (١٤) الرَّحَ: الْجِفَانُ الْوَاسِعَةُ.
 (١٥) السَّلَاطِحُ: الْعَرِيضَةُ.

وَهَبَ الْمِثِينَ^(١) مِنَ الْمِثِ
سَوَقَ الْمُؤَبِّلَ^(٢) لِلْمُؤَبِّ
لِكِرَامِهِمْ فَوْقَ الْكِرَا
كَتَشَاقِلِ الْأَظْطَالِ بِالْقِ
خَذَلَتْهُمْ فِئَةٌ وَهُمْ
الضَّارِبِينَ التَّقْدُمِيَّ
وَلَقَدْ عَنَانِي صَوْتُهُمْ
لِلَّهِ دَرْ بَنِي عَ—
إِنْ لَمْ يُغَيِّرُوا غَارَةً
بِالْمُقَرَّبَاتِ، الْمُبْعَدَا
مُزْدَا عَلَى جُزْدٍ إِلَى
وِيْلَاقٍ قِرْنُ قِرْنَهُ
بِزُهَاءِ أَلْفٍ ثُمَّ أَلْ—

نَ إِلَى الْمِثِينَ مِنَ اللَّوَاقِحِ
لِ صَادِرَاتٍ عَنْ بِلَادِحِ^(٣)
م مَزِيَّةً وَزْنَ الرِّوَاكِحِ^(٤)
سَطَاسٍ فِي الْأَيْدِي الْمَوَائِحِ^(٥)
يَحْمُونَ عَوْرَاتِ الْفَضَائِحِ
بِالْمُهَنْدَةِ الصَّفَائِحِ
مِنْ بَيْنِ مُسْتَشْقٍ وَصَائِحِ
لِي أَيْمٍ مِنْهُمْ وَنَاكِحِ
شَغَوَاءِ تُخَجِّرُ كُلَّ نَابِحِ
ت، الطَّامِحَاتِ مَعَ الطَّوَامِحِ
أَسْدٍ مُكَالِبَةٍ كَوَالِحِ^(٦)
مَشْيِ الْمُصَافِحِ لِلْمُصَافِحِ
فِي بَيْنِ ذِي بَدَنٍ وَرَامِحِ

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله ﷺ. وأنشدني
غير واحد من أهل العلم بالشعر بيته:

وِيْلَاقٍ قِرْنُ قِرْنَهُ
وَأَنشَدَنِي أَيْضًا:

وَهَبُ الْمِثِينَ مِنَ الْمِثِ
سَوَقَ الْمُؤَبِّلَ لِلْمُؤَبِّ

يَمَنِي، ثُمَّ قَالُوا: يَمَانٍ، فَعَوَّضُوا الْأَلْفَ مِنْ إِحْدَى الْيَاءَيْنِ، ثُمَّ قَالُوا: يَمَانِيَّ بِالتَّشْدِيدِ فَجَمَعُوا
بَيْنَ الْعَوْضِ وَالْمُعَوَّضِ مِنْهُ، فَيَا طَيْبَ الْمَلَأِ مِنْ هَذَا الْبَابِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: الْخَطَاءُ فِي
الْخَطَأِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

فَكُلُّهُمْ مُسْتَقْبِحٌ لَصَوَابٍ مَنْ
يُخَالِفُهُ مُسْتَخْسِنٌ لَخَطَائِهِ

(١) المئين: الماتين.

(٣) بلادح: وادٍ قبل مكة.

(٥) الموائح: التي تغترف الماء غرقاً.

(٢) المؤبل: المكان الكثير الإبل.

(٤) الرواجح: الأشياء الثقيلة.

(٦) كوالح: الذين انكشف شفاههم عن أسنانهم.

قال ابن إسحاق: وقال أمية بن أبي الصلت، يبكي زَمْعَة بن الأسود، وقتلى بني أسد:

عَيْنُ بَكِي بِالْمُسْبِلَاتِ أَبَا الْحَرِ	أَرَاثُ لَا تَذْخِرِي عَلَي زَمْعَة
وَابْكِي عَقِيلَ بْنَ أَسَدٍ أَسَدَ الْب	أَسْ لِيَوْمِ الْهِيَاكِ وَالذَّفْعَة
تِلْكَ بَنُو أَسَدٍ إِخْوَة الْجَو	زَاءٍ لَا خَانَة وَلَا خَدَعَة
هُمُ الْأُسْرَة الْوَسِيطَة مِنْ كَف	بِ وَهُمْ ذِرْوَة السَّانِمِ وَالْقَمْعَة
أَنْبَتُوا مِنْ مَعَاشِرِ شَعَرِ الْ	رَأْسِ وَهُمْ أَلْحَقُوهُمْ الْمَنْعَة
أَمْسَى بَنُو عَمُّهُمْ إِذَا خَضِرَ الْب	أَسْ أَكْبَادُهُمْ عَلَيْهِمْ وَجَعَة
وَهُمُ الْمُطْعَمُونَ إِذْ قَحَطَ الْقَط	رُ وَحَالَتْ فَلَا تَرَى قَزَعَة

قال ابن هشام: هذه الرواية لهذه الشعر مُختلطة، ليست بصحيحة البناء، لكن أنشدني أبو مخرز خلف الأحمر وغيره، روى بعض ما لم يَرَوْ بعض:

عَيْنُ بَكِي بِالْمُسْبِلَاتِ أَبَا الْحَا	رَاثُ لَا تَذْخِرِي عَلَي زَمْعَة
وَعَقِيلَ بْنَ أَسَدٍ أَسَدَ الْبَا	سَ لِيَوْمِ الْهِيَاكِ وَالذَّفْعَة
فَعَلَى مِثْلِ هُلُكِهِمْ خَوَاتِ الْجَو	زَاءٍ، لَا خَانَة وَلَا خَدَعَة
وَهُمُ الْأُسْرَة الْوَسِيطَة مِنْ كَف	بِ، وَفِيهِمْ كَذِرْوَة الْقَمْعَة
أَنْبَتُوا مِنْ مَعَاشِرِ شَعَرِ الرَّأ	سِ، وَهُمْ أَلْحَقُوهُمْ الْمَنْعَة
فَبَنُو عَمُّهُمْ إِذَا خَضِرَ الْبَا	سَ عَلَيْهِمْ أَكْبَادُهُمْ وَجَعَة
وَهُمُ الْمُطْعَمُونَ إِذْ قَحَطَ الْقَط	رُ وَحَالَتْ فَلَا تَرَى قَزَعَة

وقد قال وَرَقَةُ^(١):

إِلَّا مَا غَفَرْتَ خَطَائِيَا

(فإن قيل): فقد أنشد أبو علي في مد المقصور:

يَا لَكَ مِنْ تَمَرٍ وَمِنْ شَيْشَاءٍ يَنْشَبُ فِي الْمَسْعَلِ وَاللَّهَاءِ

(١) الصواب زيد بن عمرو بن نفيل. وهو سهو من السهيلي رحمه الله تعالى.

شعر أبي أسامة

قال ابن إسحاق: وقال أبو أسامة، معاوية بن زهير بن قيس بن الحارث بن سعد بن ضبيعة بن مازن بن عدي بن جشم بن معاوية حليف بني مخزوم قال ابن هشام: وكان مُشركًا وكان مَرَّ بهبيرة بن أبي وهب وهم مُنهزمون يوم بدر، وقد أغيى هبيرة، فقام فألقى عنه دِرْعَه وحمله فمضى به، قال ابن هشام: وهذه أصحُّ أشعار أهل بدر: ولمَّا أن رأيتُ القَومَ خَفُوا وقد شالت نَعَامَتُهُم لِنَفْرِ

أراد: جَمَعَ لَهَاة. قلنا: يحتمل أن يكون كَلَامًا مُوَلَّدًا، وإن كان عربيًا، فلعلَّ الرواية فيه: اللّهاء بكسر اللام، فيكون من باب أَكْمَة وإكّام، وقد ذكرها أبو عبيد في الغريب المصنف بالكسر والفتح.

شرح شعر أبي أسامة

وذكر شعر أبي أسامة بن زهير الجُشمي وفيه:

وقد زالت نَعَامَتُهُم لِنَفْرِ

العربُ تضرب زَوَالِ النِّعَامَةِ مثلاً لِلْفِرَارِ، وتقول: شالت نَعَامَةُ القوم، إذا فرُّوا وهلكوا. قال الشاعر:

يا ليت ما أُمْنَا شَالَتْ نَعَامَتُهَا إمّا إلى جَنَّةٍ إمّا إلى نارٍ
وقال أُميَّة:

اشربَ هنيئًا فقد شالت نَعَامَتُهُم

والنِّعَامَةُ في اللغة: باطن القَدَم، ومن مات فقد شالت رِجلُهُ، أي: ازْتَفَعَتْ، وظهرت نَعَامَتُهُ، والنِّعَامَةُ أيضًا الظُّلْمَةُ، وابنُ النِّعَامَةِ عِرْق في باطن القَدَم، فيجوز أن يكون قوله: زالت نَعَامَتُهُم، كما يقال: زال سَوَادُهُ، وَضَحًا ظَلُهُ إذا مات، وجائز أن يكون ضَرَبَ النِّعَامَةِ مَثَلًا، وهو الظاهر في بيت أبي أسامة؛ لأنه قال: زالت نَعَامَتُهُم لِنَفْرِ، والعرب تقول: أَشْرَدُ من نَعَامَةٍ، وَأَنْفَرُ من نَعَامَةٍ قال الشاعر:

هُم تَرَكَوكَ أَسْلَحَ من حُبَارَى^(١) رَأَتْ صَفَرًا وَأَشْرَدَ من نَعَامِ

(١) الحبارى: نوع من الطيور طويل العنق.

وَأَنْ تُرِكَتْ سَرَاةُ الْقَوْمِ صَرْعَى كَانَ خِيَارَهُمْ أَذْبَاحُ عِثْرِ

وقال آخر:

وَكُنْتُ نَعَامًا عِنْدَ ذَاكَ مُنْفَرًا

فإذا قلت: زالت نعامته، فمعناه: نَفَرَتْ نَفْسُهُ التي هي كالنَّعَامَةِ في شرودها وقوله:

وَأَنْ تُرِكَتْ سَرَاةُ الْقَوْمِ صَرْعَى

سَرَاةُ كُلِّ شَيْءٍ: مَا عَلَا مِنْهُ، وَسَرَاةُ الْفَرَسِ: ظَهْرُهُ لِأَنَّهُ أَعْلَاهُ. قال الشاعر يصف جَمَارًا:

بَسَرَاتِهِ نَدَبٌ لَهَا وَكُلُومٌ

وقولهم: سَرَاةُ الْقَوْمِ، كما تقول: كَاهِلُ الْقَوْمِ، وَذِرْوَةُ الْقَوْمِ، قال معاوية: إِنْ مُضِرَّ كَاهِلُ الْعَرَبِ، وَتَمِيمَ كَاهِلُ مُضَرَ، وَبَنُو سَعْدٍ كَاهِلُ تَمِيمٍ. وقال بعض خطباء بني تميم: لَنَا الْعِزُّ الْأَقْعَسُ، وَالْعَدَدُ الْهَيْضَلُ، وَنَحْنُ فِي الْجَاهِلِيَةِ الْقُدَامُ، وَنَحْنُ الذَّرْوَةُ وَالسَّنَامُ، وَهَذَا مَعْنَى صَحِيحٌ بَيِّنٌ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ فِي الذَّرْوَةِ، وَلَا فِي السَّنَامِ، وَلَا فِي الْكَاهِلِ إِنَّهُ جَمْعُ أَيِّ مِنْ أَبْنِيَةِ الْجَمْعِ، وَلَا اسْمٌ لِلْجَمْعِ، فَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يُقَالَ: فِي سَرَاةِ الْقَوْمِ، إِنَّهُ جَمْعُ سَرِيٍّ، لَا عَلَى الْقِيَاسِ، وَلَا عَلَى غَيْرِ الْقِيَاسِ، كَمَا لَا يُقَالَ: ذَلِكَ فِي كَاهِلِ الْقَوْمِ، وَسَنَامِ الْقَوْمِ، وَالْعَجَبُ كَيْفَ خَفِيَ هَذَا عَلَى النَحْوِيِّينَ، حَتَّى قَلَّدَ الْخَالَفُ مِنْهُمْ السَّالِفَ، فَقَالُوا: سَرَاةُ جَمْعِ سَرِيٍّ^(١)، وَيَا سُبْحَانَ اللَّهِ! كَيْفَ يَكُونُ جَمْعًا لَهُ، وَهُمْ يَقُولُونَ فِي جَمْعِ سَرَاةٍ: سَرَوَاتٍ، مِثْلَ قَطَاةٍ وَقَطَوَاتٍ، يُقَالُ: هَؤُلَاءِ مِنْ سَرَوَاتِ النَّاسِ، كَمَا تَقُولُ: مِنْ رُؤُوسِ النَّاسِ، قَالَ: قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ:

وَعَمْرَةَ مِنْ سَرَوَاتِ النُّسَا تَنْفَخُ بِالْمِسْكِ أَرْذَائُهَا

ولو كان السَّرَاةُ جَمْعًا مَا جُمِعَ لِأَنَّهُ عَلَى وَزْنِ فَعْلَةٍ، وَمِثْلُ هَذَا الْبِنَاءِ فِي الْجُمُوعِ لَا يَجْمَعُ، وَإِنَّمَا سَرِيٌّ فَعِيلٌ مِنَ السَّرْوِ، وَهُوَ الشَّرْفُ، فَإِنْ جُمِعَ عَلَى لَفْظِهِ، قِيلَ سُرَى وَأَسْرِيَاءُ، مِثْلَ غَنِيٍّ وَأَغْنِيَاءَ، وَلَكِنَّهُ قَلِيلٌ وَجُودُهُ وَقِلَّةٌ وَجُودِهِ لَا يَدْفَعُ الْقِيَاسَ فِيهِ، وَقَدْ حَكَاهُ سِيبَوَيْهٌ.

وقوله: أَذْبَاحُ عِثْرِ: جَمْعُ ذَبْحٍ، وَعِثْرٌ بِكَسْرِ الْعَيْنِ: الصَّنَمُ الَّذِي كَانَ يُعْتَرَّ لَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَيِ: تُذْبَحُ لَهُ الْعَتَائِرُ، جَمْعُ: عَتِيرَةٍ، وَهِيَ الرَّجَبِيَّةُ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي نَسَبِ

(١) وفي اللسان جمع سرة: سروات.

وَكَاثَتْ جُمَّةٌ وَافَتْ حِمَامًا
نَصَّدَ عَنِ الطَّرِيقِ وَأَذْرَكُونَا
وَقَالَ الْقَائِلُونَ: مَنْ ابْنُ قَيْسٍ؟
أَنَا الْجُشَمِيُّ كَيْمَا تَعْرِفُونِي
فَإِنْ تَكُ فِي الْغَلَاصِمِ مِنْ قُرَيْشٍ
فَأَبْلُغْ مَالِكًا لَمَّا غُشِينَا
وَأَبْلُغْ إِنْ بَلَغْتَ الْمَرْءَ عَنَّا
بَأَنِّي إِذْ دُعِيتَ إِلَى أَفِيدٍ
عَشِيَّةً لَا يُكْرُ عَلَى مُضَافٍ
فَدُونَكُمْ بَنِي لَايٍ أَخَاكُمْ
وَلَقَيْنَا الْمَنَايَا يَوْمَ بَذْرِ
كَأَنَّ زُهَاءَهُمْ عِيطَانُ بَخْرِ
فَقُلْتُ: أَبُو أُسَامَةَ، غَيْرَ فَخْرٍ
أَبِيْنُ نِسْبَتِي نَقْرًا بِنَقْرِ
فَإِنِّي مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ
وَعِنْدَكَ مَالٌ - إِنْ نَبَأْتُ - خُبْرِي
هُبِيرَةَ، وَهُوَ ذُو عِلْمٍ وَقَدْرٍ
كَرَزْتُ وَلَمْ يَضِقْ بِالْكَرِّ صَدْرِي
وَلَا ذِي نَعْمَةٍ مِنْهُمْ وَصِهْرٍ
وَدُونِكِ مَالِكَا يَا أُمَّ عَمْرُو

النَّبِيِّ - ﷺ - أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْعَتِيرَةَ، وَأَنَّهُ بُورُ بْنُ صَحُورًا، وَأَنَّ أَبَاهُ سَنَّ رَجَبًا لِلْعَرَبِ، فَكَانَ يُقَالُ لَهُ: سَعْدُ رَجَبٍ، وَلَوْ قَالَ: أَذْبَاخَ عَثْرٍ بَفَتْحِ الْعَيْنِ لَجَازَ لِأَنَّهُ مُصَدَّرٌ.

وقوله: وَكَانَتْ جُمَّةٌ. الْجُمَّةُ: السَّوَادُ، وَالْجُمَّةُ: الْفِرْقَةُ، فَإِنْ كَانَ أَرَادَ بِالْجُمَّةِ سَوَادَ الْقَوْمِ وَكَثَرَتِهِمْ، فَلَهُ وَجْهٌ، وَإِنْ كَانَ أَرَادَ الْفِرْقَةَ مِنْهُمْ، فَهُوَ أَوْجَهُ، وَقَدْ ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْعَيْنِ.
وقوله: عَطِيَّانُ بَخْرٍ: قَيْضَانَهُ.

وقوله:

أَبِيْنُ نِسْبَتِي نَقْرًا بِنَقْرِ

النَّقْرُ: الطَّغْنُ فِي النَّسَبِ وَغَيْرِهِ، يَقُولُ: إِنْ طَعَنْتُمْ فِي نَسَبِي، وَعَبَثْتُمُوهُ بَيَّنْتُ الْحَقَّ وَنَقَرْتُ فِي أَنْسَابِكُمْ، أَيِ عِبَثْتُهَا، وَجَازَيْتُ عَلَى النَّقْرِ بِالنَّقْرِ، وَقَالَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْعَرَبِ: مُرُّوا بِي عَلَى بَنِي نَظْرِي يَعْنِي الْفِثْيَانِ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَيَّ وَلَا تَمُرُّوا بِي عَلَى بَنَاتِ نَقْرِي، يَعْنِي النِّسَاءَ اللَّوَاتِي يَنْقُرْنَ أَيِ: يَعْبَنَ.

وقوله: دُعِيتَ إِلَى أَفِيدٍ، تَصْغِيرُ وَفْدٍ، وَهُمْ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ نَاسٍ أَوْ خَيْلٍ أَوْ أَهْلِ، وَهُوَ اسْمٌ لِلْجَمْعِ مِثْلُ: رَكْبٍ، وَلِذَلِكَ جَازَ تَصْغِيرُهُ، وَقِيلَ: أَفِيدٌ: اسْمٌ مُوَضَّعٌ.

وقوله: عَلَى مُضَافٍ. الْمُضَافُ: الْخَائِفُ الْمُضْطَرُّ.

وقوله:

فَدُونَكُمْ بَنِي لَايٍ أَخَاكُمْ

فَلَوْلَا مَشْهَدِي قَامَتْ عَلَيْهِ مُوقِفَةُ الْقَوَائِمِ أُمُّ أَجْرِي
دَفُوعٌ لِلْقُبُورِ بِمَنْكَبَيْهَا كَأَنَّ بَوَاجِهَهَا تَحْمِيمٌ قَذِرٌ
فَأُقْسِمُ بِالَّذِي قَدْ كَانَ رَبِّي وَأَنْصَابُ لَدَى الْجَمَرَاتِ مُغْرٌ
لَسَوْفَ تَرَوْنَ مَا حَسَبِي إِذَا مَا تَبَدَّلَتِ الْجُلُودُ جُلُودَ نَمْرٍ

هذا شاهد لما ذكرناه في نسب النبي - ﷺ - واشتقاق تلك الأسماء، وقلنا في لؤي: إنه تصغير لأي، واخترنا هذا القول على قول ابن الأثيري وقطرب، وحكىنا قوله، وشاهد، وإنما أراد ههنا ببني لأي بني لؤي، فجاء به مكبراً على ما قلناه.

وقوله:

مُوقِفَةُ الْقَوَائِمِ أُمُّ أَجْرٍ

يعني: الضُّبُع، ومُوقِفَةُ من الوقف، وهو الخَلْخَالُ، لأن في قوائمها سَوَادًا. قال الشاعر [أبو وَجْزَةَ السَّعْدِي] (١):

وَحَائِفٍ لِحِمِّ شَاكَا بِرَاشَتِهِ كَأَنَّهُ قَاطِمٌ وَقْفَيْنِ مِنْ عَاجٍ
وَأُمُّ أَجْرٍ: جَمْعُ جَرٍ، وكما نقول: دَلُوْ وَأَذَلِ، وهذا كقول الهذلي (٢):
وَعُودِرَ ثَاوِيَا وَتَأَوَّبَتْهُ مُوقِفَةُ أُمَيْنٍ لَهَا قَلِيلُ
وَالْقَلِيلُ: عُرْفُهَا، وكقول الآخر:

يَا لَهْفَ مَنْ عَرَفَاءَ ذَاتِ قَلِيلَةٍ جَاءَتْ إِلَيَّ عَلَى ثَلَاثِ تَخْمَعٍ
وَتَظَلُّ تَنْشِطُنِي وَتَلْحَمُ أَجْرِيَا وَسَطَ الْعَرِينِ، وليس حيٌّ يدفعُ
لَوْ كَانَ سَيْفِي بِالْيَمِينِ دَفَعْتُهَا عَنِّي وَلَمْ أُوْكَلْ وَجَنَّبِي الْأَضْبَعُ

فوصفها أنها تَخْمَعُ، كما قال ابن المهلب: الضُّبُعَةُ العَرَجَاءُ، وَلَحَنَ في قوله: الضُّبُعَةُ. وقال آخر:

فَلَوْ مَاتَ مِنْهُمْ مَنْ جَرَحْنَا لِأَصْبَحَتْ ضِبَاعٌ بِأَكْنَافِ الشَّرِيفِ عَرَائِيسَا

(١) في اللسان (٤٨٩/١٢): البيت منسوب لأبي وجزة.

(٢) في اللسان (٥٣٢/١١): البيت لساعدة بن جؤية. والفليل: الشعر المجتمع.

فَمَا إِنْ خَادِرٌ مِنْ أَسَدٍ تَرْجُ مُدِلٌ عَنَبَسُ فِي الْغِيلِ مُجْرِي
فَقَدْ أَخْمَى الْأَبَاءَ مِنْ كُلَافٍ فَمَا يَذْنُو لَهُ أَحَدٌ بِنَقْرِ
بِخَلٍ تَغْجِزُ الْحُلَفَاءَ عَنْهُ يُوَاتِبُ كُلَّ هَجْهَجَةٍ وَزَجْرِ
بِأَوْشَكَ سَوْرَةٍ مِنِّي إِذَا مَا حَبَوْتُ لَهُ بِقَرْقَرَةٍ وَهَذَرِ
بَبِيضٍ كَالْأَسِنَّةِ مُرْهَفَاتٍ كَأَنَّ ظَبَاتِهِنَّ جَحِيمُ جَمْرِ

وذلك أن الضَّبْعَ يَقلِبُ القَتِيلَ على قَفَاهُ فيما ذكر، وتَسْتَغْمِلُ كَمَرَتَهُ، لأنها أَشْيَقُ البهائم، ولذلك يقال لها حين تَضْطَادُ: أَبْشِرِي أُمَّ عَامِرٍ بِجَرَادٍ عَضَالٍ وَكَمَرٍ رِجَالٍ، يَخْدَعُونَهَا بذلك، وهي تُكَنَّى أُمَّ عَامِرٍ، وَأُمُّ عَمْرُو، وَأُمُّ الْهَنْبَرِ [وَأُمُّ عِتَابٍ وَأُمُّ طُرَيْقٍ وَأُمُّ نَوْفَلٍ]، وَأُمُّ خَنْوَرٍ وَأُمُّ خَنْوَرٍ مَعًا وتسمى: حَضَاجِرَ وَجَعَارَ [وَالْعَثْوَاءَ وَذِيخَةَ وَعَيْلَمَ وَجَيْعَرَ، وَأُمُّ جَعُورَ] وَقَتَامَ وَجِنَالٌ وَعَيْشُومَ، وَقَتَامٌ أَيْضًا اسْمٌ لِلْغَنِيمَةِ الْكَثِيرَةِ يقال: أَصَابَ الْقَوْمَ قَتَامًا، قاله الزبير، وحيثل وعَيْشُومَ، وأما الذَّكَرُ منها فَعَيْلَامٌ وَعِثْيَانٌ وَذِيخٌ [وَأَبُو كَلْدَةَ وَنَوْفَلٌ وَالْأَعْشَى].

وقوله في وصف الأسد في الغِيلِ: مُجْرِي، أي: ذُو أَجْرَاءَ، وَالْأَبَاءَةُ: الْأَجْمَةُ الَّتِي هُوَ فِيهَا، وَكَذَلِكَ الْغِيلُ وَالْخِذْرُ وَالْعَرِينُ وَالْعَرِيسَةُ.

وقوله: أَخْمَى الْأَبَاءَةَ، أي: حَمَاهَا، وَأَخْمَى لَغَةً فِي حَمَى لَكِنَهَا ضَعِيفَةٌ، وَلَعَلَهُ أَرَادَ: أَخْمَى الْأَبَاءَةَ، أي: جَعَلَهَا كَالنَّارِ الْحَامِيَةِ، يُقَالُ: أَخْمَيْتُ الْحَدِيدَةَ فِي النَّارِ، يَعْنِي: إِنْ أَبَاءَتْهُ قَدْ حُمِيَتْ بِهِ فَلَا تُقَرَّبُ.

وقوله: مِنْ كُلَافٍ، لَعَلَهُ أَرَادَ مِنْ شِدَّةِ كَلْفٍ بِمَا يَخْمِيهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى وَزْنِ، فُعَالٍ، لِأَنَّ الْكَلْفَ إِذَا اشْتَدَّ: كَالْهَيْامِ وَالْعُطَاشِ، وَفِي مَعْنَى الشُّعَارِ، وَلَعَلَّ كُلَافًا اسْمُ مَوْضِعٍ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: الْكُلَافُ: اسْمُ شَجَرٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقوله: بِخَلٍ، هُوَ الطَّرِيقُ فِي الرَّمْلِ، وَالْهَجْهَجَةُ مِنْ قَوْلِكَ: هَجْهَجْتُ بِالذُّبِّ إِذَا زَجَرْتَهُ. قَالَ الشَّاعِرُ^(١):

لَمْ يُنْجِهْ مِنْهَا صِيَاخُ الْهَجْهَجِ

وقوله: بِقَرْقَرَةٍ وَهَذَرٍ. الْقَرْقَرَةُ صَوْتُ شَدِيدٌ مُنْقَطِعٌ، وَجَاءَ فِي صِفَةِ عَامِرِ الْحَدَاءِ أَنَّهُ كَانَ قُرَاقِرِي الصَّوْتِ، فَلَمَّا كَبُرَ وَضَعُفَ صَوْتُهُ، قَالَ:

أَضْبَحَ صَوْتُ عَامِرٍ صَيًّا أَبْكُمْ لَا يُكَلِّمُ الْمَطِيًّا

(١) هو: عمران بن عاصم الغزي. انظر البيان والتبيين للجاحظ (٤٨/١).

وَأَكْلَفَ مُجْنًا مِنْ جِلْدِ ثَوْرٍ وَصَفَرَاءَ الْبُرَايَةِ ذَاتِ أَزْرِ
وَأَبْيَضَ كَالْغَدِيرِ ثَوَى عَلَيْهِ عُمَيْرٌ بِالْمَدَاوِسِ نِصْفَ شَهْرٍ
أَرْقَلَ فِي حَمَائِلِهِ وَأَمَشِي كَمِشِيَّةٍ خَادِرٍ لَيْثٍ سِبْطَرٍ
يَقُولُ لِي الْفَتَى سَعْدُ هَدِيًّا فَقُلْتُ: لَعَلَّهُ تَقْرِبُ غَدْرٍ
وَقُلْتُ أبا عَدِيٍّ لَا تَطْرُ وَذَلِكَ إِنْ أَطَغَتْ الْيَوْمَ أَمْرِي
كَدَائِبِهِمْ بِفَزْوَةٍ إِذْ أَتَا فَظَلَّ يُقَادَ مَكْتُوفًا بَضْفَرٍ

قال ابن هشام: وأنشدني أبو محرز خلف الأحمر:

نَصْدُ عَنِ الطَّرِيقِ وَأَذْرَكُونَا كَأَنَّ سِرَاعَهُمْ تَيَّارُ بَحْرِ
وقوله: مدلَّ عَنَسٌ فِي الْغِيلِ مُجْرِي - عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

قال ابن إسحاق: وقال أبو أسامة أيضًا:

أَلَا مِنْ مَبْلَغٍ عَنِي رَسُولًا مُغْلَغَلَةً يُثَبِّتُهَا نَظِيفُ
أَلَمْ تَغْلَمْ مَرَدِّي يَوْمَ بَذَرٍ وَقَدْ بَرَقَتْ بِجَنْبِكَ الْكُفُوفُ

وهو عامر بن ربيعة الحَدَّاءُ التَّغْلِبِيُّ، وإليه يُنْسَبُ بَنُو الْحَدَّاءِ، وذكر أهل اللغة أن الكَشِيشَ أولُ رُغَاءِ الْجَمَلِ، ثُمَّ الْكَتِيتُ ثُمَّ الْهَذْرُ، ثُمَّ الْقَرْقَرَةُ، ثُمَّ الزُّغْدُ، ويقال: زَغْدٌ يَزْغُدُ ثُمَّ الْقَلَاخُ [أو الْقَلِخُ أو الْقَلِخُ الأخيرة عن سيويه] إذا جعل كأنه يَتَقَلَّعُ.

وقوله: وَأَكْنَفَ مُجْنَاءً، يعني: التُّرْسَ، وهو من أَجْنَأَتِ الشَّيْءِ، إذا جَنَيْتَهُ فهو مُجْنَأٌ، ويعني: بَصْفَرَاءَ الْبُرَايَةِ: الْقَوْسَ، وَبُرَايَتُهَا: مَا يُرَى مِنْهَا، وَجَعَلَهَا صَفَرَاءَ لِحِدَّتَيْهَا وَقُوَّتَيْهَا. وقوله: وَأَبْيَضَ كَالْغَدِيرِ: أَرَادَ السِّيفَ، وَعُمَيْرُ اسْمُ صَانِعٍ، وَالْمَدَاوِسُ: جَمْعُ مِدْوَسٍ، وَهِيَ الْأَلَةُ الَّتِي يَدُوسُ بِهَا الْحَدَّادُ، وَالصِّيقَلُ مَا يَصْنَعُهُ، وَوَصَفَهُ إِيَّاهَا بِالْمُغْرِ، الْمُغْرُ: جَمْعُ أَمْغَرٍ، وَهُوَ الْأَحْمَرُ، وَالْخَادِرُ: الدَّاخِلُ فِي الْخِذْرِ وَمُسَبِّطَرٌ: غَيْرُ مُنْقَبِضٍ.

وقوله:

يَقُولُ لِي الْفَتَى سَعْدُ هَدِيًّا

الْهَدِيُّ: مَا يُهْدَى إِلَى الْبَيْتِ، وَالْهَدِيُّ أَيْضًا الْعَرُوسُ تُهْدَى إِلَى زَوْجِهَا، وَنَصَبَ هَدِيًّا هُنَا عَلَى إِضْمَارِ فِعْلٍ، كَأَنَّهُ أَرَادَ أَهْدِ هَدِيًّا.

وقد تُرِكَت سُراةُ القومِ صَرَغَى كأنْ رُؤوسَهُم حَدَجٌ نَقِيفٌ
وقد مَالَتْ عَلَيْكَ بَبْطُنٌ بِذِرٍ خِلَافَ القَومِ دَاهِيَةٌ خَصِيفٌ
فَنَجَّاهُ مِنَ الغَمَرَاتِ عَزَمِي وَعَوْنُ اللهِ وَالْأَمْرُ الحَصِيفُ
وَمُنْقَلَبِي مِنَ الْأَبْوَاءِ وَجَدِي ودونك جَمْعُ أَعْدَاءِ وَقُوفُ

شرح القصيدة الفاوية لأبي أسامة:

وقوله في الشعر الفاوي:

كَأَنَّ رُؤُوسَهُمْ حَدَجٌ نَقِيفٌ

الحَدَجُ: جمع حَدَجَةٍ، وهي: الحَنْظَلَةُ، والنَّقِيفُ: المُنْقُوفُ، كما قال امرؤ القيس:

[كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُوا لَدَى سَمُرَاتِ الْحَيِّ] نَاتِفٌ حَنْظَلٍ

وهو الْمُسْتَخْرِجُ حَبَّ الحَنْظَلِ.

وقوله: داهية خَصِيفٌ، أي: مُتْرَاكِمةٌ من خَصَفْتُ الثَّغْلَ أو من خَصَفْتُ اللِّيفَ، إذا نَسَجْتَهُ، وقد يقال: كَتِيبَةٌ خَصِيفٌ، أي: مُنْتَسِجَةٌ، بعضها ببعض، مُتَكَاثِفَةٌ، وفي كتاب سيبويه: كَتِيبَةٌ خَصِيفٌ أي: سوداء.

وقوله: وَمُنْقَلَبِي مِنَ الْأَبْوَاءِ، هو: المَوْضِعُ الذي فيه قَبْرُ أَمِينَةٍ أُمِّ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَسُمِّيَ الْأَبْوَاءُ، لِأَنَّ السُّيُولَ تَتَبَوَّأُهُ، وفي الحديث أن رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - زَارَ قَبْرَ أُمِّهِ بِالْأَبْوَاءِ، فِي الْفِ مَقْنَعٌ فَبَكَى وَأَبَكَى^(١)، وَوَجَدَتْ عَلَى الْبَيْتِ الْمَتَقَدِّمَ الَّذِي فِيهِ: حَدَجٌ نَقِيفٌ فِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ الْحَنْظَلُ: مِنَ الْأَعْلَاقِ وَهُوَ يَنْبِتُ شَرِيًّا، كَمَا يَنْبِتُ شَرِي الْقَثَاءِ، وَالشَّرِي: شَجَرُهُ، ثُمَّ يَخْرُجُ فِيهِ زَهْرٌ، ثُمَّ يَخْرُجُ فِي الزَّهْرِ جِرَاءٌ مِثْلَ جِرَاءِ الْبَطِيخِ^(٢)، فَإِذَا ضَخَّمَ وَسَمِنَ حَبُّهُ سَمَّوَهُ الْحَدَجَ وَاحْدَتُهُ حَدَجَةٌ، فَإِذَا وَقَعَتْ فِيهِ الصُّفْرَةُ سَمَّوَهُ: الْخُطْبَانِ، وَزَادَ أَبُو حَنِيفَةَ أَنَّ الْحَنْظَلَةَ إِذَا اسْوَدَّتْ بَعْدَ الْخُضْرَةِ، فَهِيَ: قَهْقَرَةٌ، وَذَكَرَ فِي الْقَثَاءِ الْحَدَجَ وَالْجِرَاءَ كَمَا ذَكَرَ فِي الْحَنْظَلِ، وَكَذَلِكَ الشَّرِيَّةُ اسْمٌ لَشَجَرَتَيْهِمَا، وَفِي الْقَثَاءِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بِطِيخًا الْقَحَّ^(٣)، وَقَبْلَ الْقَحِّ يَكُونُ خَضَفًا، وَأَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ الْقَشْعُرُ^(٤) وَالشُّغْرُورُ^(٥) وَالضُّغْبُوسُ^(٦) وَثَقِيفٌ مَعْنَاهُ: مَكْسُورٌ. لِأَنَّهُ يُقَالُ: نَقَفْتُ رَأْسَهُ عَنْ دِمَاعِهِ، أَي: كَسَرْتَهُ.

(١) أخرجه الحاكم (١٧٣/٢).

(٢) جراء البطيخ: صفاره.

(٣) قال الأزهري: الصواب الفج.

(٤) القشعر: القثاء، بلغة أهل الجوف من اليمن.

(٥) الشعروور: القثاء الصغير.

(٦) الضغبوس: القثاء الصغير أيضًا.

وَأَنْتَ لِمَنْ أَرَادَكَ مُسْتَكِينٌ بَجَنْبِ كُرَاشٍ مَكْلُومٍ نَزِيفٍ
وَكُنْتُ إِذَا دَعَانِي يَوْمَ كَرْبٍ مِنْ الْأَصْحَابِ دَاعٍ مُسْتَضِيفٍ
فَأَسْمَعَنِي وَلَوْ أَخْبَبْتُ نَفْسِي أَخٌ فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَوْ حَلِيفٍ
أُرْدَ فَاكْشِفِ الْغُمَّى وَأَزْمِي إِذَا كَلَّحَ الْمَشَافِرُ وَالْأَنْوُفُ
وَقَرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ عَلَى يَدَيْهِ يَنْوُءُ كَأَنَّهُ غُضْنُ قَصِيفٍ
دَلَفْتُ لَهُ إِذَا اخْتَلَطُوا بِحَرَى مُسَخَّسِحَةٍ لِعَانِدِهَا حَفِيفٍ
فَذَلِكَ كَانَ صُنْعِي يَوْمَ بَذَرٍ وَقَبْلُ أَخُو مَدَارَةِ عَزُوفٍ
أَخُوكُمْ فِي السَّنِينَ كَمَا عَلِمْتُمْ وَحَزْبٍ لَا يَزَالُ لَهَا صَرِيفٍ
وَمُقْدَامٌ لَكُمْ لَا يَزْدَهِيْنِي جَنَانُ اللَّيْلِ وَالْأَنْسُ اللَّفِيفِ
أُخُوضُ الصَّرَّةَ الْحَمَاءَ خَوْضًا إِذَا مَا الْكَلْبُ أَلْجَأَ الشُّفِيفِ

قال ابن هشام: تركت قصيدة لأبي أسامة على اللام، ليس فيها ذكر بذر إلا في أول بيت منها والثاني، كراهية الإكثار.

شعر هند بنت عتبة

قال ابن إسحاق: وقالت هند بنت عتبة بن ربيعة تبكي أباه يوم بدر:

أَعَيْنِي جُودًا بَدَمَعَ سَرِبٌ عَلَى خَيْرِ خُنْدِفٍ لَمْ يَنْقَلِبْ

وقوله: أَخُوضَ الصَّرَّةَ الْحَمَاءَ. الصَّرَّةُ: الجماعة، والصَّرَّةُ: الصَّيَاحُ، والصَّرَّةُ: شِدَّةُ الْبَرْدِ، وإياها عني، لأنه ذكر الشُّفِيفَ في آخر البيت، وهو بَرْدٌ وَرِيحٌ، ويقال له: الشَّفَّانُ أَيْضًا، أنشد ابن الأَثَرِيِّ:

قِلْ لِلشَّمَالِ الَّتِي هَبَّتْ مُزْغَزَعَةً تُذَرِّي مَعَ اللَّيْلِ شَفَّانًا بِصُرَّادٍ
اقْرِي السَّلَامَ عَلَى نَجْدٍ وَسَاكِنِهِ وَحَاضِرٍ بِاللُّوَى إِنْ كَانَ أَوْ بَادٍ
سَلَامٌ مُغْتَرِبٍ فَقَدَانٍ مَنْزِلِهِ إِنْ أُنْجَدَ النَّاسُ لَمْ يَهْمُمْ بِإِنْجَادٍ

شعر هند

وفي شعر هند: جَمِيلَ الْمَرَاةِ، أرادت: مَرَاةَ الْعَيْنِ، فنقلت حركة الهمزة إلى الساكن، فذهبت الهمزة، وإنما تذهب الهمزة إذا نقلت حركتها، لأنها تبقى في تقدير ألف ساكنة، والساكن الذي قبلها باقٍ على حُكْمِ السكون لأن الحركة المنقولة إليه عارضة، فكأنه قد اجتمع ساكنان، فحذفت الألف لذلك، هذا معنى كلام ابن جني.

تَدَاعَى لَهُ رَهْطُهُ غُذْوَةً
يُذِيقُونَهُ حَدَّ أَشْيَافِهِمْ
يَجْرُونَهُ وَعَفِيرُ الثَّرَابِ
وَكَانَ لَنَا جَبَلًا رَاسِيَا
وَأَمَّا بُرَيٌّ فَلَمْ أَغْنِهِ
وَقَالَتْ هِنْدُ أَيْضًا:

بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ
يَعْلُونَهُ بَعْدَ مَا قَدْ عَطِبَ
عَلَى وَجْهِهِ عَارِيًا قَدْ سَلِبَ
جَمِيلَ الْمَرَاةِ كَثِيرَ الْعُشْبِ
فَأَوْتِي مِنْ خَيْرِ مَا يَخْتَسِبُ

يَرِيبُ عَلَيْنَا دَهْرُنَا فَيَسُوؤُنَا
أَبْعَدَ قَتِيلٍ مِنْ لُؤَيٍّ بَنِ غَالِبٍ
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ قَدْ رَزَيْتُ مُرَزًّا
فَأَبْلَغَ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي مَالِكَا
فَقَدْ كَانَ حَرْبٌ يَسْعَرُ الْحَرْبَ إِنَّهُ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يُنْكِرُهَا لَهُنْدُ.

وَيَأْبَى فَمَا نَأْتِي بِشَيْءٍ يُغَالِبُهُ
يُرَاعِ امْرُؤٌ إِنْ مَاتَ أَوْ مَاتَ صَاحِبُهُ
تَرُوحُ وَتَعْدُو بِالْجَزِيلِ مَوَاهِبُهُ
فَإِنْ أَلَقَهُ يَوْمًا فَسَوْفَ أَعَاتِبُهُ
لِكُلِّ امْرِئٍ فِي النَّاسِ مَوْلَى يُطَالِبُهُ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَتْ هِنْدُ أَيْضًا:
لِلَّهِ عَيْنِنَا مَنْ رَأَى
يَا رَبُّ بِإِيَّائِي غَدَا
كَمْ غَادَرُوا يَوْمَ الْقَلْبِ
مَنْ كُلُّ غَيْثٍ فِي السُّنْبِ
قَدْ كُنْتُ أَخْذَرُ مَا أَرَى
قَدْ كُنْتُ أَخْذَرُ مَا أَرَى
يَا رَبُّ قَائِلَةَ غَدَا
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يُنْكِرُهَا لَهُنْدُ.

مُلْكًا كَهُلْكِ رَجَالِيَةٍ
فِي النَّائِبَاتِ وَبَاكِيَةٍ
بِغَدَاةٍ تَلُوكَ الْوَاعِيَةِ
نَ إِذَا الْكَوَاكِبُ خَاوِيَةٍ
فَالْيَوْمُ حَقٌّ حَذَارِيَةٍ
فَأَنَا الْغَدَاةُ مُوَامِيَةٍ
يَا وَيْلَحْ أُمُّ مُعَاوِيَةٍ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يُنْكِرُهَا لَهُنْدُ.

وقول هند:

فَأَمَّا بُرَيٌّ فَلَمْ أَغْنِهِ

فهو تصغير البراء اسم رجلٍ، وقولها:

فَأَنَا الْغَدَاةُ مُوَامِيَةٍ

قَدْ كُنْتُ أَخْذَرُ مَا أَرَى

قال ابن إسحاق: وقالت هند أيضًا:

يا عَيْنُ بَكِّي عُثْبَةً	شِيخًا شَدِيدَ الرُّقْبَةِ
يُطْعِمُ يَوْمَ الْمَسْغَبَةِ	يُدْفِعُ يَوْمَ الْمَغْلَبَةِ
إِنِّي عَلَيْهِ حَرْبَةٌ	مَلْهُوفَةٌ مُسْتَلَبَةٌ
لَنَهْـبِطَنَّ يَثْرِبَةٌ	بَغَارَةٌ مُنْثَعِبَةٌ
فِيهَا الْخِيُولُ مُقْرِبَةٌ	كُلُّ جَوَادٍ سَلْهَبَةٌ

شعر صفية:

وقال صفية بنت مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. تبكي أهل القلب الذين أصيبوا يوم بدر من قریش: (وتذكر مصابهم):

يا مَنْ لِعَيْنٍ قَذَاها عَائِرُ الرَّمْدِ	حَدَّ النَّهَارِ وَقَرْنَ الشَّمْسِ لَمْ يَقْدِ
أُخْبِرْتُ أَنَّ سَرَاةَ الْأَكْرَمِينَ مَعَا	قَدْ أَخْرَزَتْهُمْ مَنَايَاهُمْ إِلَى أَمَدِ
وَفَرَّ بِالْقَوْمِ أَصْحَابُ الرِّكَابِ وَلَمْ	تَغْطِفْ غَدَائِدِ أُمٍّ عَلَى وَلَدِ
قَوْمِي صَفِيٍّ وَلَا تَنْسِيَ قَرَابَتَهُمْ	وَإِنْ بَكَيْتِ فَمَا تَبْكِينَ مِنْ بُعْدِ
كَانُوا سُقُوبَ سَمَاءِ الْبَيْتِ فَانْقَصَفَتْ	فَأَصْبَحَ السَّمَكُ مِنْهَا غَيْرَ ذِي عَمَدِ

قوله: مُوَامِيَة، أي: ذليلة، وهو مُوَامِيَة بهمزة، ولكنها سُهِّلَتْ، فصارت واوًا، وهي من لفظ الأمة، تقول: تَأْمَيْتُ أُمَّةً أي: اتَّخَذْتُهَا، ويجوز أن يكونَ مَقْلُوبًا من المَوَامِيَة، وهي الموافقة، فيكون الأصلُ مُوَامِيَة، ثم قَلِبَ فصار مُوَامِيَة على وزن مُفَاعِلَة، تريد أنها قد ذَلَّتْ، فلا تَأْبَى، بل تُوافِقُ الْعَدُوَّ على كُرْهِه، ومنه اشتقاق التَّوَامِ لأن وَزْنَه فَوْعَلٌ مثل التَّوَلَّجِ والتَّاءُ فيهما جميعًا بَدَلٌ مِنْ: واوٍ، قاله صاحب العين.

وقولها:

مَلْهُوفَةٌ مُسْتَلَبَةٌ

الأجودُ في مُسْتَلَبَةٍ أن يكون بكسر اللام من السُّلَابِ وهي الخِرْقَةُ السوداء التي تَحْمَرُّ بها الثَّكْلَى، ومنه قولُ النَّبِيِّ ﷺ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ حين مات عنها جعفر: «تَسْلُبِي ثَلَاثًا، ثُمَّ اصْنَعِي مَا شِئْتِ»^(١)، وهو حديث منسوخ بالإخْدَادِ، ومُتَأَوَّلٌ، ذكره الطَّبْرِيُّ.

(١) أخرجه البيهقي (٣٤٨/٧) والقرطبي (١٨١/٣).

قال ابن هشام: أنشدني بيتها: «كانوا سقوب» بعض أهل العلم بالشعر.

قال ابن إسحاق: قالت صفية بنت مسافر أيضاً:

ألا يا مَنْ لِعَيْنٍ لِلَّـ	بَكِّي دَمْعُهَا فإنا
كَغَرْنِي دالَجٍ يَسْقِي	خِلَالَ الْغَيْثِ الدَّانِ
وَمَا لَيْتُ غَرِيفِ ذُو	أَظْفِيرٍ وَأَسْنَانِ
أَبُو شِبْلَيْنِ وَثَابٍ	شَدِيدُ الْبَطْشِ غَرِثَانِ
كَحَبِّي إِذْ تَوَلَّى وَ	وَجُوهُ الْقَوْمِ أَلْوَانِ
وَبِالْكَفِّ حُسَامِ صَا	رَمَ أَبْيَضُ ذُكْرَانِ
وَأَنْتَ الطَّاعِنُ النَّجْلَا	ءٍ مِنْهَا مُزِيدُ آنِ

قال ابن هشام: ويرون قولها: «وما لَيْتُ غَرِيفٍ» إلى آخرها مفصلاً من البيتين اللذين قبله.

شعر هند بنت أثاثة:

قال ابن إسحاق: وقالت هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب تزني عبید بن الحارث بن المطلب:

لَقَدْ ضَمَّنَ الصَّفْرَاءُ مَجْدًا وَسُودَدًا	وَحِلْمًا أَصِيلاً وَافِرَ اللَّبِّ وَالْعَقْلِ
عَبِيدَةً فَبَنِيهِ لِأَضْيَافِ غُرْبَةٍ	وَأَرْمَلَةً تَهْوِي لِأَشْعَثَ ^(١) كَالْجِذْلِ ^(٢)
وَبَنِيهِ لِلْأَقْوَامِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ	إِذَا اخْمَرَ آفَاقُ السَّمَاءِ مِنَ الْمَحَلِّ
وَبَنِيهِ لِلْأَيْتَامِ وَالرَّيْحُ زَفَزَفٌ ^(٣)	وَتَشْبِيبُ قِذْرِ طَالِمَا أَزْبَدَتْ تَغْلِي
فَإِنْ تُصْبِحَ الثَّيْرَانِ قَدْ مَاتَ ضَوْؤُهَا	فَقَدْ كَانَ يُذَكِّيهِنَ بِالْحَطَبِ الْجَزْلِ ^(٤)
لِطَارِقِ لَيْلٍ أَوْ لِمُلْتَمَسِ الْقِرَى	وَمُسْتَنْبِحِ أَضْحَى لَدَيْهِ عَلَى رِشْلِ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لهند.

(٢) الجذل: من يلتجأ إليه ويُشار.

(٤) الجزل: الغليظ.

(١) أشعث: مغبر الشعر.

(٣) زفزف: شديدة الهبوب.

شعر قتيلة بنت الحارث

قال ابن إسحاق: وقالت قتيلة بنت الحارث أخت النضر بن الحارث، تبكيه:

يا راكبًا إن الأثيل مَظِنَّة	من صُبْح خَامِسَةٍ وَأَنْتِ مُوَفَّقُ
أُبْلِغُ بِهَا مَينًا بَأَنَّ تَحِيَّةً	مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا النَّجَائِبُ تَخْفُقُ
مِثِّي إِلَيْكَ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ	جَادَتْ بِوَإِكْفِهَا وَأُخْرَى تَخْفُقُ
هَلْ يَسْمَعُنِي النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ	أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مِيتٌ لَا يَنْطِقُ
أُمَحَمَّدٌ يَا خَيْرَ ضَنْءٍ كَرِيمَةٍ	فِي قَوْمِهَا وَالْفَخْلُ فَخْلٌ مُغْرَقُ
مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبَّمَا	مَنْ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُحْنَقُ
أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فَذِيَةٍ فَلْيُنْفِقُنْ	بَاعِزًا مَا يَغْلُو بِهِ مَا يُنْفَقُ
فَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسْرَتْ قَرَابَةً	وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِثْقُ يُغْتَقُ
ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوِشُهُ	لِلَّهِ أَزْحَامٌ هُنَاكَ تُشَقَّقُ
صَبْرًا يُقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتَعَبًا	رَسَفَ الْمُقَيِّدُ وَهُوَ عَانٍ مُوَثَّقُ

شعر قتيلة

وذكر ابن هشام شعر قتيلة بنت الحارث تَرثِي أَخَاهَا النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ، والصحيح أنها بنت النضر لا أخته كذلك قال الزبير^(١) وغيره، وكذلك وقع في كتاب الدلائل، وفتيلة هذه كانت تحت الحارث بن أبي أمية الأصغر، فهي جدة الثريا بنت عبد الله بن الحارث التي يقول فيها عمر بن أبي ربيعة حين خطبها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف:

أَيُّهَا الْمُنَكِّحُ الثَّرِيًّا سُهَيْلًا	عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ	وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِ

وَرَهْطُ الثَّرِيَّا هَذِهِ يُقَالُ لَهُمْ: الْعَبَلَاتُ، لَأَنَّ أُمَّهُمْ عَبْلَةٌ بِنْتُ عُبَيْدِ بْنِ جَاذِبٍ.

وفي شعر قتيلة:

أُمَحَمَّدُ هَا أَنْتِ ضَيْي نَحِيْبَةٌ

(١) انظر نسب قريش (٢٥٥).

قال ابن هشام: فيقال، والله أعلم: إن رسول الله ﷺ لمَّا بلغه هذا الشُّعر، قال: «لو بلغني هذا قبل قتله لمَنُتُ عليه».

تاريخ الفراغ من بدر:

قال ابن إسحاق: وكان فراغُ رسولِ الله ﷺ من بدر في عَقب شهر رمضان أو في شَوَّال.

قال قاسم: أرادت يا مُحَمَّداه على النُّذبة، قال: والضُّئِيُّ الولد، والضُّئِيُّ الأصلُ، يقال: ضُئت المرأة واضئُت وضنت تَضو إذا ولدت.

غزوة بني سليم بالكُدرِ

قال ابن إسحاق: فلما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة لم يُقم بها إلا سبعَ ليالٍ حتى غزا بنفسه، يريد بني سليم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة سبَاع بن عُزْفُطَةَ الغِفَارِيُّ، أو ابن أُم مَكْتُوم.

قال ابن إسحاق: فبلغ ماءً من مياههم؛ يقال له الكُدر، فأقام عليه ثلاثَ ليالٍ ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيدًا، فأقام بها بقيَّةَ شَوالٍ وذا القعدة، وأفدى في إقامته تلك جُلَّ الأسارى من قُرَيْش.

غزوة قرقرة الكدر^(١)

الْقَرْقَرَةُ: أرض مَلَسَاء، والكُدرُ: طير في ألوانها كُدرَةٌ، عرف بها ذلك الموضع، وقد كان عمرُ بنُ الخطَّابِ - رضي الله عنه - يذكر مسيره مع رسول الله ﷺ - في تلك الغزوة، فقال لعِمْران بن سَوَادَةَ حين قال له: إن رعيَّتكَ تشكو منك عُنفَ السِّياق، وقهر الرعيَّة فدقر على الدَّرة، وجعل يَمْسَحُ سُيُورَهَا، ثم قال: قد كنت زَمِيلَ رسول الله ﷺ في قَرْقَرَةَ الكُدر، فكنت أرتع فأشبع وأسقي فأزوي، وأكثرُ الزَّجر، وأقلُّ الضرب، وأرْدُ العُود، وأزجر العَرُوض، وأضمُّ اللُّفُوت، وأشهر العصا، وأضربُ باليد، ولولا ذلك لأغذرتُ [بعض ما أسوق] أي: لضيَّغتُ فتركتُ، يذكر حُسنَ سياسته، فيما ولي من ذلك. والعُود: الخارجُ عن الطريق، والعَرُوضُ المُستَضَعْبُ من الناس والدواب.

(١) انظر البداية والنهاية (٣/٣٤٦) ابن سعد (٢/١/٢٢) الزاد (٣/١٨٩) جوامع السيرة (١٨٨) ابن سيّد الناس (١/٢٩٤) شرح المواهب (١/٤٥٤) المنتظم (٣/١٥٦) الواقدي (١/١٨٢) الكامل (٢/٣٥) تاريخ الطبري (٢/٤٨٢).

قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام: قال: حدّثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق المِطْلبي، قال: ثم غَزَا أبو سُفيان بن حَزْب غَزْوَةَ السَّوِيقِ فِي ذِي الْحِجَّةِ، وَوَلَّى تِلْكَ الْحِجَّةَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ، فَكَانَ أَبُو سُفْيَانٍ كَمَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزَّيْبِرِ، وَيزِيدُ بْنُ رُومَانَ وَمَنْ لَا أَتُهُمْ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَ مِنْ أَعْلَمِ الْأَنْصَارِ، حِينَ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ، وَرَجَعَ فَلُ قُرَيْشٍ مِنْ بَدْرٍ، نَذَرَ أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسَهُ مَاءٌ مِنْ جَنَابَةٍ حَتَّى يَغْزُو مُحَمَّدًا ﷺ، فَخَرَجَ فِي مَائَتِي رَاكِبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، لِيُبْرِّ يَمِينَهُ، فَسَلَكَ النَّجْدِيَّةَ، حَتَّى نَزَلَ بِصَدْرِ قَنَاةٍ إِلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ: ثَيْبٌ، مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى بَرِيدٍ أَوْ نَحْوِهِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ اللَّيْلِ، حَتَّى أَتَى بَنِي النَّضِيرِ تَحْتَ اللَّيْلِ، فَأَتَى حُيَّيَّ بْنَ أَخْطَبٍ، فَضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ، فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ بَابَهُ وَخَافَهُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُ إِلَى سَلَامَ بْنِ مِشْكَمٍ، وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي النَّضِيرِ فِي زَمَانِهِ ذَلِكَ، وَصَاحِبَ كَنْزِهِمْ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَقَرَأَهُ وَسَقَاهُ، وَبَطَّنَ لَهُ مِنْ خَبَرِ النَّاسِ، ثُمَّ خَرَجَ فِي عَقَبِ لَيْلَتِهِ حَتَّى أَتَى أَصْحَابَهُ، فَبَعَثَ رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَتَوْا نَاحِيَةَ مِنْهَا، قَالَ لَهَا: الْغُرَيْضُ، فَحَرَقُوا فِي أَضْوَارٍ مِنْ نَخْلٍ بِهَا، وَوَجَدُوا بِهَا رِجَالًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَحَلِيفًا

وَذَكَرَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ كَانَ نَذَرَ أَلَّا يَمَسَّ رَأْسَهُ مَاءٌ مِنْ جَنَابَةٍ، حَتَّى يَغْزُو مُحَمَّدًا. فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْفُسْلَ مِنَ الْجَنَابَةِ كَانَ مَعْمُولًا بِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بَقِيَّةً مِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، كَمَا بَقِيَ فِيهِمُ الْحُجُّ وَالنِّكَاحُ؛ وَلِذَلِكَ سَمَّوْهَا جَنَابَةً، وَقَالُوا: رَجُلٌ جُنُبٌ وَقَوْمٌ جُنُبٌ، لِمَجَانِبَتِهِمْ فِي تِلْكَ الْحَالِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَمَوَاضِعُ قُرْبَاتِهِمْ، وَلِذَلِكَ عُرِفَ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي الْقُرْآنِ أَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ فَكَانَ الْحَدِيثُ الْأَكْبَرُ مَعْرُوفًا بِهَذَا الْاسْمِ، فَلَمْ يَحْتَاجُوا إِلَى تَفْسِيرِهِ، وَأَمَّا الْحَدِيثُ الْأَصْغَرُ، وَهُوَ الْمَوْجِبُ لِلْوُضُوءِ، فَلَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا قَبْلَ الْإِسْلَامِ؛ فَلِذَلِكَ لَمْ يَقُلْ فِيهِ: وَإِنْ كُنْتُمْ مُخْدَثِينَ، فَتَوَضَّؤُوا كَمَا قَالَ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ بَلْ قَالَ: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ الْآيَةُ [المائدة: ٦] فَبَيَّنَ الْوُضُوءَ وَأَعْضَاءَهُ وَكَيْفِيَّتَهُ، وَالسَّبَبَ الْمَوْجِبَ لَهُ كَالْقِيَامِ مِنَ النَّوْمِ وَالْمَجِيءِ مِنَ الْغَائِطِ، وَمُلَامَسَةِ النِّسَاءِ، وَلَمْ يَحْتَجْ فِي أَمْرِ الْجَنَابَةِ إِلَى بَيَانٍ أَكْثَرَ مِنْ وَجُوبِ الطَّهَارَةِ، مِنْهَا: الصَّلَاةُ.

وقوله: أَضْوَارٌ نَخْلٍ، هِيَ: جَمْعُ صَوْرٍ. وَالصَّوْرُ: نَخْلٌ مُجْتَمِعَةٌ.

(١) انظر البداية (٣/٣٤٤) الواقدي (١/١٨١) ابن سعد (٢/١/٢٠) المنتظم (٣/١٥٦) ابن حزم (١٥٢) السيرة الحلبيّة (٢/٢٧٧) الكامل (٢/٣٦) الاكتفاء (٢/٧٧) تاريخ الطبري (٢/٤٨٣) الدرر (١٣٩) عيون الأثر (١/٣٥٤) النويري (١٧/٧٠) الزاد (٣/١٨٩) ابن سيّد الناس (١/٣٤٤).

له في حَزْثَ لهما، فقتلوهما، ثم انصرفوا راجعين، ونَذَرَ بهم الناسُ. فخرج رسولُ الله ﷺ في طلبهم، واستعملَ على المدينة بَشِيرَ بن عبدِ المُنْذِرِ، وهو أبو لُبَابَةَ، فيما قال ابنُ هِشَامٍ، حتى بلغ قَرْقَرَةَ الكُذْرِ، ثم انصرف راجعًا، وقد فاته أبو سُفْيَانٍ وأصحابه، وقد رأوا أزوادًا من أزواد القوم قد طَرَحوها في الحَزْثِ يتخفُّون منها للنَّجَاءِ، فقال المسلمون، حين رجع بهم رسولُ الله ﷺ: يا رسولَ الله، أَتَطْمَعُ لنا أن تكون غزوة؟ قال: «نعم».

قال ابن هِشَامٍ: وإنما سُمِّيت غزوة السَّوِيقِ، فيما حَدَّثني أبو عُبَيْدة: أن أكثر ما طَرَحَ القومُ من أزوادهم السَّوِيقُ، فَهَجَمَ المسلمون على سَوِيقِ كثير، فسُمِّيت غزوة السَّوِيقِ.

قال ابن إسحاق: وقال أبو سُفْيَانِ بن حَرْبٍ عند مُنْصَرَفِهِ، لما صنع به سَلَامُ بن مِشْكَمٍ:

وَإِنِّي تَخَيَّرْتُ الْمَدِينَةَ وَاحِدًا	لِحِلْفٍ فَلَمْ أَتْلُومْ
سِقَانِي فَرَوَّانِي كُفْمِيًّا مُدَامَةً	عَلَى عَجَلٍ مِنِّي سَلَامُ بْنُ مِشْكَمٍ
وَنَمَّا تَوَلَّى الْجَيْشُ قَلْتُ وَلَمْ أَكُنْ	لِأَفْرِحَهُ: أَبْشَرُ بَعَزَ وَمَغْنَمٍ
تَأْمُلُ فَإِنَّ الْقَوْمَ سَرَّ وَإِنَّهُمْ	صَرِيحُ لُؤْيٍ لَا شَمَاطِيطُ جُزْهُمِ
وَمَا كَانَ إِلَّا بَعْضُ لَيْلَةٍ رَاكِبٍ	أَتَى سَاعِيًّا مِنْ غَيْرِ خَلَّةٍ مُغْدِمِ

سَلَامَةُ بْنُ مِشْكَمٍ:

وذكر سَلَامُ بْنُ مِشْكَمٍ، ويقال: فيه سَلَامٌ، ويقال: إنه ولد شَغْنَاءَ التي يقول فيها حَسَّانُ:

لِشَغْنَاءَ الَّتِي قَدْ تَيَّمَّمْتُهُ فَلَيْسَ لِعَقْلِهِ مِنْهَا شِفَاءُ

وقول أبي سُفْيَانٍ: شَمَاطِيطُ جُزْهُمِ. الشَّمَاطِيطُ: الخيل المتفرقة، ويقال للأخلاق من الناس أيضًا: شَمَاطِيطُ، وأصله من الشَّمِيطِ، وهو اختِلَاطُ الظَّلامِ بالضوء، ومنه الشَّمَطُ في الرأس.

وقوله: ولم أكن لأَفْرِحَهُ، والمُفَرِّحُ: الذي قد أثقله الدَّيْنُ، وقد تقدَّم شرحه.

غزوة ذي أمر^(١):

فلما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق، أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها، ثم غزا نجدًا، يريد غطفان، وهي غزوة ذي أمر، واستعمل على المدينة عثمان بن عفان فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فأقام بنجد صفرًا كله أو قريبًا من ذلك، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيدًا. فلبث بها شهر ربيع الأول كله، أو إلا قليلاً منه.

غزوة الفرع من بحران^(٢):

ثم غز (رسول الله) ﷺ، يريد قريشًا، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: حتى بلغ بحران، مَعْدِنًا بالحجاز من ناحية الفرع، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدًا.

وذكر أن رسول الله - ﷺ - أتى بَحْرَانَ مَعْدِنًا بالحجاز من ناحية الفرع، فأقام به شهر ربيع الآخر، وجمادى الأولى. الفرع بضمّتين، يقال: هي أول قرية مَارَتْ إِسْمَاعِيلَ وَأُمُّهُ التَّمَرُ بِمَكَّةَ، وهي من ناحية المدينة، وفيها عَيْنَانِ يقال لهما: الرُّبُضُ والتَّجْفُ يَسْقِيَانِ عَشْرِينَ أَلْفَ نَخْلَةٍ كَانَتْ لِحَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ. وتفسير الرُّبُضِ: مَنَابِثُ الْأَرَاكِ فِي الرَّمْلِ وَالْفَرْعُ بفتحين موضع بين الكوفة والبصرة. قال سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ:

حَلَّ أَهْلِي حَيْثُ لَا أَطْلُبُهَا جَانِبَ الْحَضَرِ وَحَلَّتْ بِالْفَرَعِ

ثم رجع إلى المدينة. وقول ابن إسحاق: أقام شهر ربيع وجمادى لأن الربيع مُشْتَرَكٌ بين اسم الشهر، وزَمَنِ الربيع، فكان في لفظ الشهر بيان لما أراد. وجمادى اسْمٌ عَلَمٌ ليس فيه اشتراك، وقد قَدَمْنَا قَوْلَ سَيِّبُونِهِ، ومما لا يكون العمل إلا فيه كله المحرّم وصفر يعني هذه الأسماء كلها، وكذلك أسماء الأيام، لا تقول: سِزَتِ الْخَمِيسَ وَلَا مَشِيتِ الْأَرْبَعَاءُ إِلَّا

(١) انظر البداية (٢/٤) الطبقات (٢٣/١/٢) المنتظم (١٥٧/٣) الواقدي (١٩٣/١) الكامل (٣٨/٢) الاكتفاء (٧٨/٢) تاريخ الطبري (٤٨٧/٢) سيرة ابن هشام (٤٥/٢) الدلائل (١٦٧/٣) النويري (٧٧/١٧) عيون الأثر (٣٦٢/١) السيرة الحلبية (٢٧٩/٢) جوامع السيرة (١٨٩).

(٢) انظر الواقدي (١٩٥) ابن سعد (٢٤/١/٢) ابن كثير (٢/٤) جوامع السيرة (١٨٩) الزاد (١٩٠/٣) ابن سيّد الناس (٣٠٤/١) شرح المواهب (١٦/٢).

أمر بني قينقاع

نصيحة الرسول لهم وردهم عليه :

(قال): وقد كان فيما بين ذلك، من غزو رسول الله ﷺ أمر بني قينقاع، وكان من حديث بني قينقاع أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بني قينقاع، ثم قال: «يا معشر يهود، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة، وأسلموا، فإنكم قد عرفتُم أنني نبيُّ مرسلٌ. تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم»، قالوا: يا محمد، إنك ترى أننا قومك! لا يُغرنك أنك لقيت قوماً لا علمَ لهم بالحرب، فأصبتَ منهم فُرصةً، إنا والله لئن حاربناك لتعلمنَّ أننا نحنُ الناسُ.

ما نزل فيهم:

قال ابن إسحق: فحدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير، أو عن

والعملُ فيه كُلُّه حتى تقول يوم الأربعاء، أو يوم كذا، وفي الشهور شهرُ كذا، فحينئذ يكون ظرفاً لا يدلُّ على وقوع العمل فيه كُلُّه.

خبر بني قينقاع^(١)

وقد تقدّم منه طَرَفٌ قبل غزوة بدر.

وفيه أن عبد الله بن أبيّ قال للنبي ﷺ: أحسنُ في مَوَالِي وأن رسول الله ﷺ - غَضِبَ حتى رَأَوْا لَوَجْهَهُ ظِلَالاً، هَكَذَا في نُسخَةِ الشيخ مُصَحَّحاً عليه، وفي غيرها ظِلَالاً جمع ظِلَّة، وقد تُجْمَع فُعْلَةٌ على فِعَال نحو بُزْمَةٍ وبرام وجُفْرَةٍ وجِفَارٍ فمعنى الرّوَائِثِين إذاً واحدٌ، والظُّلَّةُ ما حَجَبَ عنك ضوءُ الشَّمْسِ وصَحْوُ السَّمَاءِ، وكان وجهُ رسول الله ﷺ - مُشْرِقاً بَسَامًا، فإذا غَضِبَ تَلَوَّنَ ألواناً فكانت تلك الألوان حائلةً دون الإِشْرَاقِ والطلاقةِ والضياءِ المُنْشَرِ عند تَبَسُّمِهِ، وقد روي أنه كان يَسْطَعُ على الجِدَارِ نورٌ من ثَغْرِهِ إذا تَبَسَّمَ، أو قال: تكلّم، يُنْظَرُ في الشَّمَائِلِ لِلتَّرْمِذِيِّ^(٢).

وذكر فيه الآية الي نزلت فيهم: ﴿قد كان لكم آيةٌ في فِئَتَيْنِ﴾ الفِئَةُ على وزن فِعَةٍ من

(١) انظر البداية والنهاية (٣/٤) تاريخ الطبري (٤٧٩/٢) المنتظم (١٣٦/٣) الواقدي (١٧٦/١) الكامل

(٢/٣٣) الطبقات (١٩/٢/١) ابن سيد الناس (٢٩٤/١) الاكتفاء (٧٩/٢) ابن حزم (١٥٤) السيرة

الحلبية (٢٧٢/٢) الشامية (٢٦٥/٤) الدلائل (١٧٣/٣) الزاد (١٩٠/٣) شرح المواهب.

(٢) الشمائِل (٣٣).

عكرمة عن ابن عباس، قال: ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُغْلَبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبَشِّرِ الْمِيهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾: أي أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ، وقريش ﴿فِئَةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

كانوا أول من نقض العهد:

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن بني قَيْنُقَاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد.

سبب الحرب بينهم وبين المسلمين:

قال ابن هشام: وذكر عبد الله بن جعفر بن المِسُور بن مَخْرَمَةَ، عن أبي عَوْن، قال: كان من أمر بني قَيْنُقَاع أن امرأة من العرب قَدِمَتْ بِجَلَبٍ لَهَا، فباعته بسوق بني قَيْنُقَاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يُريدونها على كَتَفِ وجهها، فأبَت، فَعَمِد الصائغ إلى طَرَف ثوبها فَعَقَدَه إلى ظَهْرها، فلما قامت انكشفت سَوءَتها، فَضَحِكُوا بها، فصاحت. فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديًا، وشَدَّت اليهود على المُسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المُسلم المسلمين على اليهود، فغَضِب المسلمون، فَوَقَعَ الشر بينهم وبين بني قَيْنُقَاع.

ما كان من أبي مع الرسول:

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال: فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حُكْمِهِ،^٢ فقام إليه عبد الله بن أبي ابن سلُول، حين أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في مَوَالِيٍّ، وكانوا حُلَفَاءَ الْخَزْرَجِ، قال: فأبطأ عليه رسول الله ﷺ؛ فقال: يا محمد أحسن في مَوَالِيٍّ، قال: فأعرض عنه فأدخل يده في جَنِبِ دِرْع رسول الله ﷺ.

فَأَوْتُ رَأْسَهُ بِالْعَصَا إِذَا شَقَّقْتُهُ، أو من الفأو، وهي جِبَالٌ مُجْتَمِعَةٌ، وبينهما فُسْحَةٌ من الأرض، فحقيقة الفِئَةِ الْفِرْقَةُ التي كانت مُجْتَمِعَةً مع الأخرى، فَافْتَرَقَتْ^(١).

(١) فأوا: الفاء والألف والواو أصل صحيح يدل على انفراج في شيء. يقال: فأوت رأسه بالسيف فأوا، أي فلقت. والفأو: فرجه ما بين الجبلين. مقاييس اللغة (٤/٤٦٨).

قال ابن هشام: وكان يقال لها: ذات الفضول.

قال ابن إسحاق: فقال له رسول الله ﷺ: أُرسلني، وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظُللاً، ثم قال: ويحك! أُرسلني؛ قال: لا والله لا أُرسلك حتى تُحسن في موالي، أربع مائة حاسر وثلاث مائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود، تَحْصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: «هُم لك».

مدة حصارهم:

قال ابن هشام: واستعمل رسول الله ﷺ على المدينة في مُحاصرتهم إيَّاهم بشير بن عبد المُنذر، وكانت مُحاصرتهم إيَّاهم خمس عشرة ليلة.

تبرؤ ابن الصامت من حلفهم وما نزل فيه وفي ابن أبي:

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار، عن عُبادة بن الوليد بن عباد بن الصَّامت، قال: لما حاربت بنو قَيْنُقاع رسول الله ﷺ، تشبَّت بأمرهم عبدُ الله بن أبي ابن سلول، وقام دونهم. قال: ومشى عُبادة بن الصَّامت إلى رسول الله ﷺ، وكان أحد بني عوف، لم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ، وتبرأ إلى الله عزَّ وجلَّ، وإلى رسوله ﷺ من حلفهم، وقال: يا رسول الله، أتولى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم. قال: ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت هذه السورة من المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴿أَيُّ لَعْنَةِ اللَّهِ بَنِي أَبِي وَقُولَهُ: إني أخشى الدائر، ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴿ثُمَّ الْقِصَّةُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. وذكر لتولي عُبادة بن الصَّامت الله ورسوله والذين آمنوا، وتبرئه من بني قَيْنُقاع وحلفهم وولايتهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

إصابة زيد للغير وإفلات الرجال:

قال ابن إسحاق: وسريّة زيد بن حارثة التي بعثه رسول الله ﷺ فيها، حين أصاب عير قريش، وفيها أبو سفيان بن حرب، على القردة ماء من مياه نجد. وكان من حديثها: أنّ قريشًا خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام، حين كان من وقعة بدر ما كان، فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجّار، فيهم أبو سفيان بن حرب، ومعه فضّة كثيرة، وهي عظم تجارتهم، واستأجروا رجلاً من بني بكر بن وائل، يقال له: فُرات بن حيّان يذلّهم في ذلك على الطريق.

قال ابن هشام: فُرات بن حيّان، من بني عجل، حليف لبني سَهْم.

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فلقيهم على ذلك الماء، فأصاب تلك العير وما فيها، وأعجزه الرجال، فقدم بها على رسول الله ﷺ.

سرية زيد

ذكر فيها فُرات بن حيّان العجليّ منسوب إلى عجل بن لُجيم بن صَغِب بن عليّ بن بكر بن وائل. واللُجيم: تَصْغِيرُ لُجَم وهي دُوَيْبَةٌ تَطِيرُ بها العَرَبُ، وأنشدوا:

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعَرُو سَ إِلَى سَبَّةٍ مِثْلُ جُحْرِ اللَّجَمِ

وكان عين قريش ودليل أبي سفيان، أسلم فُرات وحسن إسلامه، وقال فيه رسول الله - ﷺ -: «إن منكم رجالاً نكلهم إلى إسلامهم، منهم فُرات»^(١)، وأرسله رسول الله - ﷺ إلى ثَمَامَةَ بن أَثَالٍ في شَأْنِ مُسَيْلَمَةَ، وردّته، ومرّ به رسول الله ﷺ، وهو مع أبي هريرة، والرّجال بن عُنْفُوّة، فقال: ضرس أحدكم في النار مثل أحد، فما زال فُرات وأبو هريرة خائفين حتى بلغتهما ردّة الرّجال، وإيمانه بمُسَيْلَمَةَ، فخراً ساجدين، واسم الرّجال: نَهَارُ بن عُنْفُوّة، والعُنْفُوّة ضرب من النّبت، يقال له: الصُّلَيّان.

(١) «صحيح». أخرجه أبو داود (٢٦٥٢) بتحقيقي. وأحمد (٣٣٦/٤) والبيهقي (١٩٧/٨) والحاكم

(٢/٥١١). وأبو نعيم في الحلية (١٨/٢).

شعر حسان في تأنيب قريش:

فقال حسان بن ثابت بعد أحد في غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشاً لأخذهم تلك الطريق:

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالِ دُونَهَا جَلَادُ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ

وفيها يقول حسان:

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالِ دُونَهَا

الفَلَجَاتُ: جمع فَلَج، وهي العين الجارية، يقال: ماءٌ فَلَجٌ، وعين فَلَجٍ، وذكره أبو حنيفة: فَلَحَاتٍ بالحاء المهملة، وقال: الفَلَحَةُ المزرعة^(١).

حول كلمة المخاضة والملك:

وقوله:

جَلَادُ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ

أي: التي أَكَلَتِ الْأَرَكَ، قَدِمَتْ أَفْوَاهُهَا، وَالْمَخَاضُ واحدُهَا خَلْفَةٌ من غير لفظها، وهي الْحَامِلُ [من التَّوْقِ]، وقد قيل في الواحد: مَاخِضٌ، ومنه قول الطائي:

وَأَخْرَتْهَا عَنْ وَقْتِهَا وَهِيَ مَاخِضٌ

وعندي أن المخاض في الحقيقة ليس بجمع، إنما هو مصدر؛ ولذلك وُصِفَ به الجميع، وفي التنزيل: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾^(٢) وقولهم: ناقة ماخض، كقولهم: حامل، أي: ذات مَخَاضٍ، وذاتُ حَمَلٍ، وقد يقول الرجل لنسائه: أَنْتِ الْطَّلَاقُ، فليس الطَّلَاقُ بجمع، وإنما معناه: ذَوَاتُ طَلَّاقٍ، وكذلك معنى الْمَخَاضِ، أي ذَوَاتُ مَخَاضٍ، غير أنه قيل للواحدة: مَاخِضٌ، ولم يقل: ناقة مَخَاضٍ، أي: ذاتُ مَخَاضٍ، كما يقال: امرأة زَوْرٌ وَصَوْمٌ، لأن المصدر إذا وُصِفَ به فإنما يُراد به الكثير ولا تكثير في حمل الواحدة، ألا ترى أنك تقول هي أَصَوْمُ الناسِ، وما أَصَوْمَهَا، ولا يُقال إذا حَبَلَتْ: ما أَحْبَلَهَا، لأنه شيء

(١) فلج: الفاء واللام والجيم أصلان صحيحان يدل أحدهما على فوز وغلبة، والآخر على فُرْجة بين الشيئين المتساويين. فالأول: قولهم فلج الرجل على خصمه إذا فاز، والسهم الفالَج: الفائز. والأصل الآخر: الفلج في الأسنان، والفلج النهر، سمي بذلك لأنه فلج أي كان الماء شقه شقاً فصار فُرْجة. فأما الفلوجة فالأرض المصلحة للزرع، والجمع فلاليج. السابق (٤٤٨/٤).

(٢) سورة مريم آية رقم (٢٣).

بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقًا وأيدي الملائك
إذا سلكت للغوز من بطن عالج فقولاً لها ليس الطريق هنالك

واحد، كما لا يقال في الموت: ما أموتها، فلما عُدِمَ قصدُ التَّكثِيرِ والمبالغة لم تُوصَف به، كما لا تُوصَف بالسَّيْرِ إذا قلت: ما هي إلا سَيْرٌ، فإذا كانت إبلاً كثيرةً حصل معنى الكثرة، فوصفت بالمخاض، وهو المصدر لذلك، فإن قلت: فقد يقول الرجل: أنتِ الطلاقُ، وأنتِ الفراقُ قلنا: فيه معنى التَّكثِيرِ والمبالغة، ولذلك جاز لأنه شيء يَتِمَادَى ويدوم، لا سيَّما إن أراد بالطلاقِ الطلاقَ كُلَّهُ لا واحدةً، ولي كذلك المَخَاضُ والحَمْلُ، فإن مدَّته معلومةٌ ومقداره مُوقَّتٌ.

وقوله:

بأيدي الملائك، هو جَمَعَ مَلَكٍ على غير لفظه، ولو جمعوه على لفظه لقالوا: أملاك، ولكن الميم من مَلَكٍ زائدة فيما زعموا، وأصله مَالِكٌ من الألوك، وهي الرسالة، قال لبيد:

وغلام أزلَّته أمه بألوك فبذلنا ما سأل

وقال الطائي:

من مبلغ الفتيان عني مألكا أبي متى يتثلُّموا أتهدم

و [أبو تمام حبيب بن أوس] الطائي وإن كان متولِّداً، فإنما يُحتَجُّ به لِتَلَقِّي أهل العربية له بالقبول وإجماعهم على أنه لم يَلْحَن، وإذا كان الأصل فيه مَالِكاً فإنما قلبوه إِرَادَةً إلغاءِ الهمزة، إذ سهَّلوا ولو سهَّلوا مَالِكاً، والهمزة مَقْدَمَةٌ لم تسقط، وإنما تسقط إذا سَكَن قبلها، فقالوا: مَلَكٌ، فإذا جَمَعُوا عادت الهمزة، ولم تعد إلى موضعها لثلاث تَرْجِع كَجَمَعَ مَالِكَةً، وهي الرسالة ولو قيل: إن لفظَ مَلِكٍ مأخوذٌ من المَلَكُوتِ، فلذلك لم يُهَمَز، لأن أكثر الملائكة ليسوا برُسُلٍ، ولو أريد معنى الرسالة لقالوا: مُؤَلِّكٌ، كما تقول: مُرْسَلٌ، ولضُمَّت الميمُ في الواحد، وتكون الهمزة على هذا زائدة في الجميع كما زادوها في شَمَال وهي من شَمَلَت الريحُ، لكان هذا وَجْهًا حَسَنًا، وسِرُّ زيادة الهمزة في شَمَالٍ، وهي من شملت الريح، فأطلعت الهمزة رأسها لذلك، إذ قد اجتمع فيها أنها من عن شمال البيت، وأنها شامية، وكذلك الملائكة هم من مَلَكُوتِ الله، وفيهم رُسُلٌ، ولواحد منهم من مَلَكُوتِ الله فقط، لأنه لا يَتَبَعُضُ كما تَتَبَعُضُ الجُمْلَةُ منهم، فأما قول الشاعر:

فلستُ لإنسي ولكن لمالك تنزل من جو السماء يصبوب

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبيات لحسان بن ثابت، نقضها عليه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وسنذكرها ونقيضتها إن شاء الله (في) موضعها.

مقتل كعب بن الأشرف

استنكاره خبر رسولي الرسول بقتل ناس من المشركين:

قال ابن إسحق وكان من حديث كعب بن الأشرف: أنه لما أصيب أصحاب بدر، وقدم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة، وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بشيرين، بعثهما رسول الله ﷺ إلى مَنْ بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه، وقتل مَنْ قُتل من المشركين، كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة الظفري، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعاصم بن عمر بن قتادة، وصالح بن أبي أمية بن سهل، كل قد حدثني بعض حديثه، قالوا: قال كعب بن الأشرف، وكان رجلاً

فهزم مألُكًا، وهو واحد، والبيت مجهولٌ قائله، وقد نسبته ابن سيدة إلى علقمة، وأنكر ذلك عليه، ومع هذا فقد وصف مألُكًا بالرسالة لقوله: تَنَزَّلَ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ يَصُوبُ، فَحَسُنَ الهمزة لتضمينه معنى الألوكة، كما حَسُنَ في جملة الملائكة، إذ للجُمْلَةِ بغضٌ هم إرسال، والكُلُّ من مَلَكُوتِ الله سبحانه، وليس في الواحد إلا معنى المَلَكُوتِيَّةِ فقط حتى يَتَخَصَّصَ بالرسالة، كما في هذا البيت المذكور، فيتضمن حينئذٍ المَعْنَيْنِ، فَتَطْلُعُ الهمزة في اللفظ، لما في ضمينه معنى الألوكة، وهي الرسالة^(١).

مقتل كعب بن الأشرف^(٢)

ذكر فيه أنه شَبَّبَ بِنِسَاءِ المسلمين، وآذاهم، وكان قد شَبَّبَ بِأُمِّ الْفَضْلِ زَوْجِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ:

أَرَا حِلُّ أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ لِمَنْعَبَتِهِ وَتَارِكُ أَنْتَ أُمَّ الْفَضْلِ بِالْحَرَمِ
في أبيات رواها يونس عن ابن إسحق.

(١) انظر أيضًا تفسير الرازي والقرطبي لقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

(٢) انظر الواقدي (١٨٤/١) البداية والنهاية (٥/٤) تاريخ الطبري (٤٨٧/٢) المنتظم (١٥٨/٣) الاكتفاء (٨٢/٢) الطبقات (٢١/٢/١) الكامل (٣٨/٢) ابن حزم (١٥٤) الدلائل (١٨٧/٣) النويري (٧٢/١٧) عيون الأثر (٣٥٦/١) الزاد (١٩١/٣) جوامع السيرة لابن حزم (١٩٠). وانظر أيضًا الصارم المسلول لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

من طيء، ثم أحد بني نبهان، وكانت أمه من بني النضير، حين بلغه الخبر: أحق هذا؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يُسمي هذان الرجلان - يعني زيذاً وعبد الله بن رواحة - هؤلاء أشراف العرب وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها.

شعره في التحريض على الرسول:

فلما تیقن عدو الله الخبر، خرج حتى قدم مكة، فنزل على عبد المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السهمي، وعنده عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، فأنزلته وأكرمته، وجعل يحرض على رسول الله ﷺ، ويُنشد الأشعار، ويبكي أصحاب القلب من قريش، الذين أصيبوا ببدر، فقال:

طَحَنْتَ رَحَى بَذْرِ لَمَهْلِكِ أَهْلِهِ	ولمثل بذرٍ تَسْتَهْلُ وتَدْمَعُ
قُتِلَتْ سَرَاةُ النَّاسِ حَوْلَ حِيَاظِهِمْ	لَا تَبْعَدُوا إِنَّ الْمُلُوكَ تُصَرِّعُ
كَمْ قَدْ أُصِيبَ بِهِ مَنْ أَبْيَضَ مَا جِدِ	ذِي بَهْجَةٍ يَأْوِي إِلَيْهِ الضُّعِيعُ
طَلَقَ الْيَدَيْنِ إِذَا الْكَوَاكِبُ أَخْلَفَتْ	حَمَّالُ أَثْقَالٍ يَسُودُ وَيُزْبَعُ
وَيَقُولُ أَقْوَامٌ أَسْرُ بِسُخْطِهِمْ	إِنَّ ابْنَ الْأَشْرَفِ ظَلٌّ كَغَبَا يَجْزَعُ
صَدَقُوا فَلَيْتَ الْأَرْضَ سَاعَةً قُتِلُوا	ظَلَّتْ تَسُوحُ بِأَهْلِهَا وَتُصَدِّعُ
صَارَ الَّذِي أَثَرَ الْخَدِيثِ بَطْفَنِهِ	أَوْ عَاشَ أَغْمَى مُرْعَشًا لَا يَسْمَعُ
نُبِّئْتُ أَنَّ بَنِي الْمُغِيرَةِ كُلَّهُم	خَشَعُوا الْقَتْلَ أَبِي الْحَكِيمِ وَجَدَعُوا
وَإِنَّا رَبِيعَةٌ عِنْدَهُ وَمُنْبَةُ	مَا نَالَ مِثْلَ الْمُهْلَكِينَ وَتُبَّعُ
نُبِّئْتُ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامِهِمْ	فِي النَّاسِ يَبْنِي الصَّالِحَاتِ وَيَجْمَعُ
لِيَزُورَ يَثْرِبَ بِالْجُمُوعِ وَإِنَّمَا	يَحْمَى عَلَى الْحَسَبِ الْكَرِيمِ الْأَزْوَاعُ

قال ابن هشام: قوله: «تُبَّع»، «وَأَسْرُ بِسُخْطِهِمْ». عن غير ابن إسحق.

وذكر فيه قوله عليه السلام: «مَنْ لِكَغَبِ [بن الأشرف]، فَقَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(١). فيه من الفقه: وجوب قتل مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ - وإن كان ذا عهد، خلافاً لأبي حنيفة رحمه الله فإنه لا يرى قتل الذمي في مثل هذا، ووقع في كتاب شرف المصطفى أن الذين قتلوا

(١) أخرجه البخاري (١٨٦/٣) ومسلم في الجهاد (١١٩) والطبراني (٧٨/١٩) والحاكم (٤٣٤/٣) والطحاوي في المشكل (٧٦/١٠).

شعر حسان في الرد عليه:

قال ابن إسحاق: فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري، فقال:

أَبَكَى لَكَعْبٍ ثُمَّ عَلَّ بِعَبْرَةٍ مِنْهُ وَعَاشَ مَجْدَعًا لَا يَسْمَعُ
ولقد رأيتُ بَبْطَنَ بَدْرِ مِنْهُمْ قَتَلَى تَسُحَ لَهَا الْعَيُونَ وَتَذْمَعُ
فَأَبَكَى فَقَدْ أَبَكَيْتَ عَبْدًا رَاضِعًا شَبَهَ الْكُلَيْبِ إِلَى الْكُلَيْبَةِ يَتَّبِعُ
ولقد شَفَى الرَّحْمَنُ مِنَّا سَيِّدًا وَأَهَانَ قَوْمًا قَاتَلُوهُ وَصُرْعُوا
وَنَجَا وَأَقْلَيْتَ مِنْهُمْ مَنْ قَلْبُهُ شَغَفُ يَظَلُّ لَخَوْفِهِ يَتَصَدَّعُ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان. وقوله: «أَبَكَى لَكَعْبٍ» عن غير ابن إسحاق.

شعر ميمونة في الرد على كعب:

قال ابن إسحاق: وقالت امرأة من المسلمين من بني مُرَيْدٍ، بطن من بَلِيٍّ كانوا حلفاء في بني أُمَيَّة بن زيد؛ يقال لهم: الجعادرة، تُجيب كعبًا - قال ابن إسحاق: اسمها

كعب بن الأشرف حملوا رأسه في مِخْلَافٍ إلى المدينة، ف قيل: إنه أولُ رأس حُمِلَ في الإسلام، وقيل: بل رأسُ أَبِي عَزَّة الجُمَحِيِّ الذي قال له النبي ﷺ: «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُخْرٍ مَرَّتَيْنِ»^(١)، فَقَتَلَهُ وَاحْتَمَلَ رَأْسُهُ فِي رُمَحٍ إِلَى الْمَدِينَةِ فِيمَا ذَكَرَ، وَأَمَّا أَوَّلُ مُسْلِمٍ حُمِلَ رَأْسُهُ فِي الْإِسْلَامِ، فَعَمْرُو بْنُ الْحَمِقِ، وَلَهُ صُحْبَةٌ.

وفيه من قول حسان في كعب:

بَكَى كَعْبٌ ثُمَّ عَلَّ بِعَبْرَةٍ

فيه دخول زحافٍ على زحافٍ، وذلك أنَّ أولَ الجُزءِ سَبَبٌ ثَقِيلٌ وَسَبَبٌ خَفِيفٌ فإذا دخل فيه الزُّحَافُ الَّذِي يُسَمَّى الْإِضْمَارَ صَارَا سَبَبَيْنِ خَفِيفَيْنِ، فيعود مُتَّفَاعِلُنِ إِلَى وَزْنِ مُسْتَفْعِلُنِ، وَمُسْتَفْعِلُنِ يَدْخُلُهُ الْخَبْنُ وَالطِّيُّ، وَهُوَ حَذْفُ الرَّابِعِ مِنْهُ، فَشَبَهَ حَسَّانُ مُتَّفَاعِلَانِ فِي الْكَامِلِ بِمُسْتَفْعِلُنِ لَمَّا صَارَ إِلَى وَزْنِهِ، فَحَذَفَ الْحَرْفَ السَّاكِنَ وَهُوَ الرَّابِعُ مِنْ مُتَّفَاعِلُنِ إِلَى وَزْنِ مُفْتَعِلُنِ، وَهُوَ غَرِيبٌ فِي الزُّحَافِ فَإِنَّهُ زِحَافٌ سَهْلٌ زِحَافًا آخَرًا، وَلَوْلَا الزُّحَافُ الَّذِي هُوَ الْإِضْمَارُ، مَا جَازَ الْبَيَّةُ حَذْفُ الرَّابِعِ مِنْ مُتَّفَاعِلُنِ.

(١) أخرجه البخاري (٣٨/٨) ومسلم في الزهد (٦٣).

ميمونة بنت عبد الله، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الأبيات لها، وينكر نقيضتها
لكعب بن الأشرف:

تَحْنَنُ هَذَا الْعَبْدُ كُلَّ تَحْنُنٍ يُبْكِي عَلَى قَتْلِي وَلَيْسَ بِنَاصِبٍ
بَكَتْ عَيْنٌ مِنْ يَبْكِي لَبْدَرٍ وَأَهْلِهِ وَعُلَّتْ بِمِثْلِهَا لُؤَيٌّ بْنُ غَالِبٍ
فَلَيْتَ الَّذِينَ ضَرَجُوا بِدِمَائِهِمْ يَرَى مَا بِهِمْ مِنْ كَانَ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ
فَيَعْلَمُ حَقًّا عَنْ يَقِينٍ وَيُبْصِرُوا مَجَرَّهْمَ فَوْقَ اللَّحَى وَالْحَوَاجِبِ

شعر كعب في الرد على ميمونة:

فأجابها كعب بن الأشرف، فقال:

أَلَا فَازَجُرُوا مِنْكُمْ سَفِيهَاً لَتَسْلَمُوا عَنْ الْقَوْلِ يَأْنِي مِنْهُ غَيْرَ مُقَارِبٍ
أَتَشْتُمْنِي أَنْ كُنْتُ أَبْكِي بِعَبْرَةٍ لِقَوْمٍ أَتَانِي وَدُهُمْ غَيْرُ كَاذِبٍ
فإني لباك ما بقيتُ وذاكر مَأْثَرِ قَوْمٍ مَجْدُهُمْ بِالْجَبَاجِبِ
لِعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ مُرِيدٌ بِمَغْزِلٍ عَنْ الشَّرِّ فَاحْتَالَتْ وَجُوهَ الثَّعَالِبِ
فَحَقُّ مُرِيدٍ أَنْ تَجِدَ أَنْوْفَهُمْ بِشَتْمِهِمْ حَيٌّ لُؤَيٌّ بْنُ غَالِبٍ
وَهَبْتُ نَصِيبِي مِنْ مُرِيدٍ لَجَعْدَرٍ وَفَاءً وَبَيْتُ اللَّهِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ

تشبيب كعب بنساء المسلمين والحيلة في قتله:

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشَبَّبَ بنساء المسلمين حتى آذاهم. فقال
رسول الله ﷺ، كما حدَّثني عبدُ الله بن المُغيث بن أبي بُردة مَنْ لِي بِابْنِ الْأَشْرَفِ؟
فقال له محمد بن مَسْلَمَةَ، أخو بني عَبْدِ الْأَشْهَلِ: أُنَا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَقْتُلُهُ؛
قال: فافعل إن قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ. فرجع محمد بن مَسْلَمَةَ فمَكَثَ ثَلَاثًا لَا يَأْكُلُ وَلَا
يَشْرَبُ إِلَّا مَا يُغْلِقُ بِهِ نَفْسَهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فدعاه، فقال له: «لَمْ تَرَكَتْ
الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ؟» فقال يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ لَكَ قَوْلًا لَا أَدْرِي هَلْ أَفِينُ لَكَ بِهِ أَمْ
لَا؟ فقال: «إِنَّمَا عَلَيْكَ الْجَهْدُ»؛ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَا بَدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نَقُولَ،
قال: «قُولُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ، فَأَنْتُمْ فِي حَلٍّ مِنْ ذَلِكَ». فاجتمع في قتله محمد بن
مَسْلَمَةَ، وَسِلْكَانَ بْنِ سَلَامٍ بْنِ وَقْشٍ، وَهُوَ أَبُو نَائِلَةَ، أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَكَانَ

وذكر في الذين قتلوا كعبًا أبا عَبْسٍ بْنُ جَبْرِ، واسمُه: عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وذكر سِلْكَانَ بْنَ
سَلَامَةَ، واسمُه: سَعْدُ.

أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة، وعباد بن بشر بن وقش، أحد بني عبد الأشهل، والحرث من أوس بن معاذ، أحد بني عبد الأشهل، وأبو عابس بن جبر، أحد بني حارثة؛ ثم قَدَّموا إلى عدو الله كعب بن الأشرف، قبل أن يأتوه، سِلْكَان بن سَلَامَة [بن وقش] أبا نائلة، فجاءه، فتحدث معه ساعة، وتناشدوا شعراء، وكان أبو نائلة يقول الشعر، ثم قال: وَيَحَكْ يا ابن الأشرف! إني قد جئتُك لحاجة أريد ذكرها لك، فاکتم عني؛ قال: افعل؛ قال: كان قُدُوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء، عادتُنا به العربُ، ورَمَتْنَا عن قوس واحد، وقَطَعَت عَنَّا السُّبُلَ حتى ضاع العيال، وجُهِدَت الأنفسُ، وأضبحنا قد جُهِدْنَا وجهد عيالُنا؛ فقال كعب: أنا ابنُ الأشرف، أما والله لقد كنتُ أخبرُك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول؛ فقال له سِلْكَان: إني قد أردتُ أن تبيعنا طعامًا ونزَهْنُكَ ونوثقَ لك، ونُحْسِنَ في ذلك؛ فقال: أترهونوني أبناءكم؟ قال: لقد أردتُ أن تفضحننا، إنَّ معي أصحابًا لي على مثل رأيي، وقد أردتُ أن آتيك بهم، فتبيعهم ونُحْسِنَ في ذلك، ونزَهْنُكَ من الحَلَقَةِ ما فيه وفاء، وأراد سِلْكَان أن لا يُنكر السِّلَاح إذا جاءوا بها؛ قال: إن في الحَلَقَةِ لوفاء، قال: فرجع سِلْكَان إلى أصحابه فأخبرهم خبره، وأمرهم أن يأخذوا السِّلَاح، ثم يَنُطْلِقُوا فيجتمعوا إليه، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: ويقال: أترهونوني نساءكم؟ قال: كيف نزَهْنُكَ نساءنا وأنت أشبَّ أهل يَثْرِب وأعطوهم؛ قال: أترهونوني أبناءكم؟

قال ابن إسحاق: فحدثني ثور بن زيد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: مشى معهم رسولُ الله ﷺ إلى بَقِيع الغَرْقَد، ثم وجَّههم، فقال: انطلقوا على اسم الله؛ اللهم أعنهم، ثم رجع رسولُ الله ﷺ إلى بيته، وهو في ليلة مُقَمَّرَة، وأقبلوا حتى انتهوا إلى حِصْنِه، فهتَفَ به أبو نائلة، وكان حديث عهد بعُرس، فوثب في مِلْحَفَتِه، فأخذت امرأته بناحيتها، وقالت: إنك امرؤُ محارب، وإن أصحاب الحَرْب لا ينزلون في هذه السَّاعَة، قال: إنه أبو نائلة، لو وجدني نائمًا لما أيقظني، فقالت: والله إني لأعرف في صَوْتِه الشرَّ؛ قال: يقول لها كعب: لو يُدْعَى الفتى لَطَعْنَة لأجاب. فنزل فتحدث معهم ساعة، وتحدثوا معه، ثم قال: هل لك يا ابن الأشرف أن تتماشى إلى شُعب العَجُوز، فنتحدثُ به بقيَّةَ ليلتنا هذه؟ قال: إن شئتم. فخرجوا يَتَمَاشُونَ، فمَشُوا ساعة، ثم إن أبا نائلة شامَ يده في فؤد رأسه، ثم شمَّ يده فقال: ما رأيت كالليلة طيبًا أعطَرَ قُطً، ثم مَشَى ساعة، ثم عاد لمثلها حتى اطمأنَّ، ثم مشى ساعة، ثم عاد

لمثلها، فأخذ بفؤد رأسه، ثم قال: اضربوا عدو الله، فضربه، فاختلفت عليه أسيافهم، فلم تُغن شيئاً.

قال محمد بن مسلمة: فذكرت مغولاً في سيفي، حين رأيت أسيافاً لا تُغني شيئاً، فأخذته، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا وقد أوقدت عليه ناراً، قال: فوضعت في ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوق عدو الله، وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ، فجرح في رأسه أو في رجله، أصابه بعض أسيافنا. قال: فخرجنا حتى سلكنا على بني أمية بن زيد، ثم على بني قريظة، ثم على بُعات حتى أسندنا في حرّة العريض، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس، ونزف الدم، فوقفنا له ساعة، ثم أتانا يتبع آثارنا. قال: فاحتملناه فجئنا به رسول الله ﷺ آخر الليل، وهو قائم يصلي، فسلمنا عليه، فخرج إلينا، فأخبرناه بقتل عدو الله وتفل على جرح صاحبنا، فرجع ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود لو قعتنا بعدو الله، فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه.

شعر كعب بن مالك في مقتل ابن الأشرف:

قال ابن إسحاق: فقال كعب بن مالك:

فغودر منهم كعبٌ صريعاً	فذلّت بعد مضرعه النضيرُ
على الكفين ثمّ وقد علته	بأيدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد إذ دسّ ليلاً	إلى كعب أخا كعب يسير
فما كرهه فأنزله بمكر	ومحمود أخو ثقة جسور

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له في يوم بني النضير، سآذكرها إن شاء الله في حديث ذلك اليوم.

شعر حسان في قتل ابن الأشرف وابن أبي الحقيق:

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبي الحقيق:

لله درّ عصابة لاقيتهم يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف

يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ إِلَيْكُمْ مَرَحًا كَأَسَدٍ فِي عَرِينٍ مُغْرِفٍ^(١)
 حَتَّى أَتُوكُمْ فِي مَحَلِّ بِلَادِكُمْ فَسَقَّوْكُمْ حَتْفًا بِبَيْضِ دُفْفٍ^(٢)
 مُسْتَنْصِرِينَ لِنَضْرَ دِينَ نَبِيِّهِمْ مُسْتَصْغِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مَجْحَفٍ^(٣)

وذكر في شِعْرِ حَسَّانِ الْفَاوِيّ، وفيه: بِيَيْضٍ دُفْفٍ. الدُّفْفُ: جَمْعُ ذَفِيفٍ وهو الْخَفِيفُ السَّرِيعُ، وهو جَمْعٌ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، وَإِنَّمَا فُعِّلَ جَمْعَ فَاعِلٍ وَلَكِنَّ الدُّفِيفَ مِنَ السُّيُوفِ فِي مَعْنَى الْقَاطِعِ وَالصَّارِمِ.

وفيه: فِي عَرِينٍ مُغْرِفٍ. العَرِينُ: أَجْمَةُ الْأَسَدِ، وهو الْغَرِيفُ أَيْضًا، وَالْغَرِيفُ أَيْضًا الْكَثِيرُ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ أَرَادَ بِمُغْرِفٍ مُكْثِرًا مِنَ الْأَسَدِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ أَرَادَ تَوْكِيدَ مَعْنَى الْغَرِيفِ، كَمَا يُقَالُ: حَيْثُ مُخْبِثٌ.

وذكر قول امرأة كعبٍ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ فِي صَوْتِهِ الشَّرَّ، وَفِي كِتَابِ الْبُخَارِيِّ: إِنِّي لَأَسْمَعُ صَوْتًا يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ.

وفيه: مَا رَأَيْتَ عِطْرًا كَالْيَوْمِ، مَعْنَاهُ: عِنْدَ سَيَبَوِيهِ: مَا رَأَيْتَ كَعِطْرِ أَرَاهُ الْيَوْمَ عِطْرًا: كَذَلِكَ قَالَ فِي قَوْلِ الْعَرَبِ: لَمْ أَرْ كَالْيَوْمِ رَجُلًا، أَيْ: كَرَجُلٍ أَرَاهُ الْيَوْمَ رَجُلًا، فَحُذِفَ مَا دَخَلَ عَلَيْهِ الْكَافُ، وَحُذِفَ الْفِعْلُ، وَهُوَ أَرَى، وَفَاعِلُهُ وَمَفْعُولُهُ، وَهَذَا حَذْفٌ كَثِيرٌ لَا سِيَّما، وَقَدْ يُقَالُ: مَا رَأَيْتَ كَالْيَوْمِ، وَلَا تَذْكُرْ بَعْدَهُ شَيْئًا إِذَا تَعَجَّبْتَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَحْذِفُوا هَذَا الْحَذْفَ الْكَثِيرَ، وَلَكِنَّهُمْ أَوْقَعُوا التَّعَجُّبَ عَلَى الْيَوْمِ، لِأَنَّ الْأَيَّامَ تَأْتِي بِالْأَعَاجِبِ، وَالْعَرَبُ تَذُمُّهَا وَتَمْدَحُهَا فِي نَظْمِهَا وَنَثَرِهَا، وَيَعْلَمُ الْمُخَاطَبُ أَنَّ الْيَوْمَ لَمْ يُذَمَّ لِنَفْسِهِ وَلَا يُعْجَبُ مِنْهُ لِنَفْسِهِ، فَيَلْتَمِسُ مِنْكَ الْبَيَانَ وَالتَّفْسِيرَ لِمَا تَعَجَّبْتَ مِنْهُ، فَتَأْتِي بِالْتَّمِيزِ لِتُبَيِّنَ. فَعِطْرًا مَنْصُوبٌ عَلَى التَّمِيزِ، وَالِدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَخْسُنُ خَفْضُهُ بِمَنْ، لِأَنَّهُ مُتَّعَجَّبٌ مِنْهُ، فَتَقُولُ: لَمْ أَرْ كَالْيَوْمِ مِنْ رَجُلٍ.

ووقع في رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق بعد قوله: فَمَشَوْا سَاعَةً، قَالَ فَجَعَلَ كَغَبٍّ يَنْشُدُ:

رُبُّ خَالٍ لِي لَوْ أَبْصَرْتَهُ سَبِطَ الْمِشْيَةِ أَبَاءَ أَنْفٍ
 لَيْنِ الْجَانِبِ فِي أَقْرَبِهِ وَعَلَى الْأَعْدَاءِ كَالسُّمِّ الدُّعْفُ

(٢) دقف: خفاف سريعة.

(١) مغرف: واسع.

(٣) مجحف: ناقص.

قال ابن هشام: وسأذكر قتلَ سلام بن أبي الحقيق في موضعه إن شاء الله.
وقوله: «ذَفَف» عن غير ابن إسحق.

أمر محيصة وحويصة

لوم حويصة لأخيه محيصة لقتله يهوديًا ثم إسلامه:

قال ابن إسحق: وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ ظَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ رِجَالِ يَهُودٍ فَاقْتُلُوهُ»^(١)،
فوُتت مُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ - قال ابن هشام: ويقال: مُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ بْنُ كَعْبِ بْنِ

وَكِرَامٍ لَمْ يَشْنُهِمْ حَسَبٌ	أَهْلٌ عِزٌّ وَحِفَاطٌ وَشَرَفٌ
يَبْذُلُونَ الْمَالَ فِيمَا نَابَهُمْ	لِحُقُوقٍ تَغْتَرِيهِمْ وَعُورَفٌ
وَلُيُوثٍ حِينَ يَشْتَدُّ الْوَعْيُ	غَيْرِ أَنْكَاسٍ وَلَا مِيلٍ كُشْفٌ
فَهُمْ أَهْلُ سَمَاحٍ وَقِرَى	وَحِفَاطٍ لَمْ يُعَانُوا بِصَلَفٍ
سَكَنُوا مِنْ يَثْرِبَ كُلِّ رُبَى	وَسُهُولٍ حَيْثُ حَلُّوا فِي أُفَى
وَهُمْ أَهْلُ مَشَارِبٍ بِهَا	وَحُصُونٍ وَنَخِيلٍ وَعُورَفٌ
وَلَهَا بِئْرٌ رَوَاءَ جَمَّةٍ	مَنْ يَزِدُّهَا بِنَاءً يَغْتَرِفُ
وَنَخِيلٍ فِي تِلَاعٍ جَمَّةٍ	تُخْرِجُ التَّمَرَ كَأَمْثَالِ الْأَكْفِ
وَصَرِيرٍ مِنْ مَحَالٍ خِلْتَهُ	آخِرَ اللَّيْلِ مَهَارِيجَ نُذْفُ
تَذُلُّجُ الْجُونُ عَلَى أَكْتَافِهَا	بِدِلَالٍ ذَاتِ أَزْكَانٍ صَدْفُ
كُلُّ حَاجَاتِي قَدْ قَضَيْتُهَا	غَيْرَ حَاجَاتِي فِي بَطْنِ الْجُرْفُ

قتل محيصة اليهودي

مُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ كَانَ أَصْغَرَ مِنْ أَخِيهِ حُوَيْصَةَ، لَكِنْ سَبَقَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، كَمَا ذَكَرَ ابْنُ
إِسْحَاقَ، وَشَهِدَ أُحُدًا وَالْخَنْدَقَ، وَأَرْسَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَهْلِ فَدَكٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَهُوَ
الَّذِي اسْتَفْتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - فِي أُجْرَةِ الْحَجَّامِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَمَا أَلْحَ عَلَيْهِ فِي
الْمَسْأَلَةِ: «اغْلُفْهُ نَاضِحَكَ وَاجْعَلْهُ فِي كَرِشِكَ»^(٢)، وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا طَيْبَةَ الْحَجَّامَ، كَانَ عَبْدًا لَهُ،
وَقَدْ تَقَدَّمَ اسْمُ أَبِي طَيْبَةَ.

(١) أخرجه أبو داود (٣٠٠٢) بتحقيقي والبيهقي في الدلائل (٢٠٠/٣) وابن سعد (٢٢/١/٢).

(٢) أخرجه الترمذي (١٢٧٧) وابن ماجه (٢١٦٦) وأحمد (٣٠٧/٣) ومالك (٩٧٤).

عامر بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس - على ابن سنيّة - قال ابن هشام: ويقال سبيّة - رجل من تجار يهود، كان يلبسهم ويبياعهم فقتله، وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم، كان أسن من محيصة، فلما قتله جعل حويصة يضربه، ويقول: أي عدو الله، أقتلته، أما والله لرُب شحم في بطنك في ماله. قال محيصة: فقلت: والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك، قال: فوالله إن كان لأول إسلام حويصة، قال: آو الله لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني؟ قال: نعم، والله لو أمرني بضرب عنقك لضربتها! قال: والله إن دينًا بلغ بك هذا لعجب، فأسلم حويصة.

قال ابن إسحاق: حدثني هذا الحديث مولى لبني حارثة، عن ابنة محيصة، عن أبيها محيصة.

فقال محيصة في ذلك.

يَلُومُ ابْنُ أُمِّي لَوْ أَمَرْتُ بِقَتْلِهِ	لَطَبَّقْتُ ذِفْرَاهُ بِأَبْيَضٍ قَاضٍ
حُسَامٍ كَلَوْنِ الْمَلْحِ أَخْلِصَ صَقْلَهُ	مَتَى مَا أَصَوَّبَهُ فَلَيْسَ بِكَاذِبٍ
وَمَا سَرَنِي أَنِي قَتَلْتُكَ طَائِعًا	وَأَنَّ لَنَا مَا بَيْنَ بُضْرَى وَمَأْرِبٍ

رواية أخرى في إسلام حويصة:

قال ابن هشام: وحدثني أبو عبيدة عن أبي عمرو المدني، قال: لما ظفر رسول الله ﷺ ببني قريظة أخذ منهم نحوًا من أربع مائة رجل من اليهود، وكانوا حلفاء الأوس على الخزرج، فأمر رسول الله ﷺ بأن تضرب أعناقهم، فجعلت الخزرج تضرب أعناقهم ويسرهم ذلك، فنظر رسول الله ﷺ إلى الخزرج ووجوههم مستبشرة، ونظر إلى الأوس فلم ير ذلك فيهم، فظن أن ذلك للخلف الذي بين الأوس وبين بني قريظة ولم يكن بقي من بني قريظة إلا اثنا عشر رجلاً، فدفعهم إلى الأوس، فدفع إلى كل رجلين من الأوس رجلاً من بني قريظة وقال: ليضرب فلان وليذف فلان، فكان ممن دفع إليهم كعب بن يهودا، وكان عظيمًا في بني قريظة، فدفعه إلى محيصة بن مسعود، وإلى أبي بريدة بن

وقوله: ما بين بضري ومأرب. بضري بالشام، ومأرب باليمن، حيث كان السد، ومأرب: اسم قصر كان لسبأ. وقال المسعودي: مأرب اسم كل ملك ولي أمر سبأ، كخاقان في الترك، وكسرى في الفرس، وقنصر في الروم، والنجاشي في الحبشة.

وحويصة: تصغير حوصة من حضت الثوب إذا خطته.

نَيَّار - وأبو بُردة الذي رَخَّص له رسولُ الله ﷺ في أن يذبح جَذَعًا من المَغز في الأَضْحى - وقال: «ليضربه مُحِيصَة وليذْفُف عليه أبو بُردة»، فضربه مُحِيصَة ضربةً لم تَقْطع، وذَفَف أبو بُردة فأَجْهَز عليه. فقال حُوَيْصَة: وكان كافرًا، لأخيه مُحِيصَة: أَقْتَلْتَ كعب بن يهوذا؟ قال: نعم؛ فقال حُوَيْصَة: أما والله لَرُبَّ شَحْمٍ قد نَبَت في بَطْنِكَ من ماله، إِنَّكَ لِلئيم يا مُحِيصَة، فقال له مُحِيصَة: لقد أَمَرَنِي بِقَتْلِهِ من لو أَمَرَنِي بِقَتْلِكَ لَقَتَلْتُكَ فَعَجِب من قوله ثم ذهب عنه متعَجِّبًا. فذَكَرُوا أَنَّهُ جَعَلَ يَتَقَيَّظ من الليل: فَيَعَجِب من قول أخيه مُحِيصَة. حتى أصبح وهو يقول: والله إن هذا لَدِين. ثم أتى النَّبِيَّ ﷺ فأَسْلَمَ، فقال مُحِيصَة في ذلك أَيْبَاتًا قد كَتَبْنَاهَا.

المدة بين قدوم الرسول بحران وغزوة أحد:

قال ابن إسحاق: وكانت إقامة رسولِ الله ﷺ، بعد قدومه من بَحْران، جمادى الآخرة ورجبًا وشعبان وشهر رمضان، وغزته قُريشُ غزوةً أُحُد في شَوَّال سنة ثلاث.

وفي حديثهما ذكر سُنيَّة المَقْتُولِ، كأنه تَصْغِير سِنْ. وقال ابن هشام في اسمه: سُنيَّة بالباء كأنه مصغر تصغير الترحيم من سَبِيَّة، قال صاحب العين: السَّبِيَّة ضَرْبٌ من النبات، وأما سُنيَّة بالشَّين المنقوطة. فوالد صِقْلَابِ بن سُنيَّة قرأ على نافع بن أبي نعيم، وقال: قال لي نافع: يا صِقْلَابُ بين النون عند الحاء والحاء والعَيْنِ والغَيْنِ والهَاءِ والأَلِفِ.

غزوة أُحد

وكان من حديث أُحد، كما حدّثني محمد بن مُسلم الزُّهري ومحمد بن يَحْيَى بن حَبَّان وعاصم بن عمر بن قَتادة والحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعَاذ وغيرهم من علمائنا، كلّهم قد حدّث بعض الحديث عن يوم أُحد، وقد اجتمع حديثهم كلّهم فيما سَقَتْ من هذا الحديث عن يوم أُحد قالوا، أو من قاله منهم:

غزوة أُحد^(١)

فضل أُحد:

وَأُحُدُ الْجَبَلُ المعروف بالمدينة، سُمِّي بهذا الاسم لتوَحُّده وانقِطاعه عن جِبَالِ أُخْرَ هُنَالِكَ، وقال فيه الرسول - ﷺ -: «خِذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»^(٢)، وللعلماء في معنى هذا الحديث أقوالٌ. قيل: أراد أهله، وهم الأنصارُ، وقيل: أراد أنه كان يُبَشِّرُهُ إذا رآه عند القُدوم من أسفاره بالقُرْب من أهله ولقائهم، وذلك فعل المُحِبِّ، وقيل: بل حُبُّه حَقِيقَةً، وُضِعَ الحُبُّ فيه كما وُضِعَ التَّسْبِيحُ فِي الْجِبَالِ المُسَبَّحَةِ مع دَاوُدَ، وكما وُضِعَتْ الخَشْيَةُ فِي الْحِجَارَةِ التي قال الله فيها: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَنْ يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(٣) وفي الآثار المُسَنَّدَةِ أن

(١) انظر الواقدي: (١٩٩/١) البداية (٩/٤) الطبري (٤٩٩/٢) الاكتفاء (٨٧/٢) المنتظم (١٦١/٣) الدلائل (٢٠١/٣) الطبقات (٢٥/٢/١) الكامل (٤٤/٢) ابن سيّد الناس (٢/٢) النويري (٨/١٣) السيرة الحلبيّة (٢٨٤/٢) الشاميّة (٢٧١/٤) الزاد (١٩٢/٣) البخاري (٩٣/٥) مسلم (١٤٧/١٢) - نووي).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٥/٢) ومسلم في الحج (٤٦٢).

(٣) سورة البقرة آية رقم (٧٤).

التحريض على غزو الرسول:

لما أُصيب يوم بدر من كُفَّار قُرَيْش أصحاب القَلْب، وَرَجَعَ فَلَهُمْ إِلَى مَكَّةَ، وَرَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بِعِيرِهِ، مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعِكرمةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ، مِمَّنْ أُصِيبَ آبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخوانُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَكَلَّمُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ فِي تِلْكَ الْعِيرِ مِنْ قُرَيْشٍ تِجَارَةً، فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنْ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكَمُ، وَقَتَلَ خِيَارَكُمُ، فَأَعِينُونَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ، فَلَعَلَّنَا نُذَرِكُ مِنْهُ ثَأْرَنَا بِمَنْ أَصَابَ مَنًّا، ففعلوا.

ما نزل في ذلك من القرآن:

قال ابن إسحاق: ففيهم، كما ذكر لي بعض أهل العلم، أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾^(١).

اجتماع قريش للحرب:

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب وأصحاب العير بأحابيشها، ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة. وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي قد من عليه رسول الله ﷺ يوم بدر، وكان فقيرًا ذا عيال

أحدًا يوم القيامة عند باب الجنة من داخلها، وفي بعضها أنه رُكن لباب الجنة^(٢)، ذكره ابن سلام في تفسيره، وفي المُنسَد من طريق أبي عبيد بن جابر عن رسول الله ﷺ قال: «أُحَدِّثُ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، وَهُوَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، قَالَ: وَغَيْرُ يَنْغِضُنَا وَتُبْغِضُهُ، وَهُوَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ»^(٣)، وَيُقَوِّيه قَوْلُهُ ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»^(٤)، مع قوله: يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، فتناسبت هذه الآثار، وشد بعضها بعضًا.

(١) سورة الأنفال آية رقم (٣٦).

(٢) أخرجه الطبري (١٨٦/٦) ورمز له السيوطي بالضعف وأخرجه ابن عدي في الكامل (١٤٩٧/٤) وابن الجوزي في الموضوعات (١٤٨/١).

(٣) انظر التخريج السابق والميزان (٧٢٤٧) وتنزيه الشريعة (١٩٥/١) والبخاري في تاريخه (١٩٣/٥) والعقيلي في الضعفاء (٣٠٨/٢) والطبراني (١٨/١٧).

(٤) أخرجه البخاري (٤٨/٨) ومسلم في البر والصلة (١٦٥) وأبو داود (٥١٢٧) والترمذي (٢٣٨٦) وأحمد (٣٩٢/١).

وحاجة، وكان في الأسارى فقال: إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتُها فامْنُنْ عليّ صلي الله عليك وسلّم، فَمَنْ عليه رسولُ الله ﷺ. فقال له صفوان بن أمية: يا أبا عزة إنك امرؤ شاعرٌ، فأعِنَّا بلسانك، فاخرج معنا، فقال: إن محمداً قد مَنْ عليّ فلا أريد أن أظاهر عليه، قال: فأعِنَّا بنفسك، فلك الله عليّ إن رجعتُ أن أغنيك، وإن أُصِبتُ أن أجعل بناتك مع بناتي، يُصيبهنّ ما أصابهنّ من عُسر ويُسر. فخرج أبو عزة في تهامة، ويدعو بني كنانة ويقول:

إيها بني عبد مِناة الرُّزَام أنتم حُماة وأبوكم حام
لا تعدوني نَصْرُكم بعدَ العام لا تُسلموني لا يحلّ إسلام

وخرج مُسافع بن عبد مناف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح إلى بني مالك بن كنانة، يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسولِ الله ﷺ، فقال:

يا مال، مالِ الحَسَبِ المُقَدِّم أنشدُ ذا القُرْبَى وذا التَّدْمِ
مَنْ كان ذا رُحْمٍ ومن لم يَرْحَمْ الجِلْفَ وَسَطَ البَلَدِ المُحَرَّم
عند حطيم الكعبة المُعَظَّم

مشاكلة اسم الجبل لأغراض التوحيد:

وقد كان عليه السلام يحب الاسم الحسن ولا أحسن من اسم مُشتَق من الأحديّة، وقد سَمَّى الله هذا الجبل بهذا الاسم، تَقْدِمة لما أرادهُ سُبْحانَهُ من مُشاكلة اسمِهِ، ومعناه، إذ أهله وهم الأنصارُ نَصَرُوا التوحيدَ والمبعوثَ بدين التوحيد، عنده استقرَّ حَيًّا ومَيِّتًا، وكان من عادته عليه السلام أن يَسْتَغْمَلَ الوِثَرَ وَيُجِبُّهُ في شأنه كُلَّهُ استِشعارًا للأحديّة، فقد وافق اسم هذا الجبل لأغراضه عليه السلام ومقاصده في الأسماء، فقد بَدَّل كثيرًا من الأسماء استِقباحًا لها من أسماء البقاع وأسماء الناس، وذلك لا يُخْصِي كَثْرَةً؛ فاسمُ هذا الجبل من أَوْفَق الأسماء له، ومع أنه مُشتَق من الأحديّة، فحركاتُ حُرُوفِهِ الرِّفْعُ، وذلك يُشعرُ بارتفاع دينِ الأَحدِ، وعلوّه، فَتَعَلَّقَ الحُبُّ من النبي ﷺ به اسمًا ومُسَمَّى، فَخُصَّ من بين الجبال بأن يكون معه في الجنة^(١)، إذا بُسِّتَ الجبالُ بَسًّا، فكانت هَبَاءً مُنْبَثًّا وفي أُحدٍ قبرُ هارون أخي موسى عليهما السلام، وفيه قُبُضٌ، وثُمَّ واراها موسى عليه السلام، وكانا قد مَرَّا بأُحدٍ حاجّين، أو

(١) حديث أن أحد مع النبي ﷺ في الجنة لا صحّة لها.

ودعا جُبَيْر بن مُطْعِم غلامًا له حَبَشِيًّا يقال له: وَخْشِي، يَقْذِف بحربة له قَذْف الحَبْشَة، قَلَمًا يُخْطِئ بها، فقال له: اخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة عمَّ محمد بعَمِّي طُعَيْمَة بن عَدِي، فأنت عَتِيق.

خروج قريش معهم نساؤهم:

فخرجت قُرَيْشٌ بِحَدِّهَا وَجَدُّهَا وَحَدِيدِهَا وَأَحَابِيشِهَا، ومن تابعها من بني كنانة، وأهل تهامة، وخرجوا معهم بِالظُّعْنِ، التماس الحَفِظَة، وَالْأَ يَفْرَوَا. فخرج أبو سُفْيَان بنُ حَرْب، وهو قائدُ الناس، بهند بنت عتبة، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المُغيرة وخرج الحارث بن هشام بن المُغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المُغيرة، وخرج صَفْوَان بن أُمَيَّة بَبْرزة بنت مَسْعُود بن عمرو بن عُمير الثَّقَفِيَّة، وهي أم عبد الله بن صَفْوَان بن أُمَيَّة.

قال ابن هشام: ويقال: رَقِيَّة.

قال ابن إسحاق: وخرج عمرو بن العاص برِيْطَة بنت مُنْبَه بن الحَجَّاج وهي أم عبد الله بن عمرو، وخرج طَلْحَة بن أبي طَلْحَة وأبو طَلْحَة عبدُ الله بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدار، بسُلَافَة بنت سَعْد بن شُهَيْد الأنصاريَّة وهي أم بني طَلْحَة: مُسَافِع والجُلَاس وكِلَاب، قَتَلُوا يَوْمئذ (هم) وأبوهم؛ وخرجت خُناص بنت مالك بن المُضرب إحدى نساء بني مالك بن حِسل مع ابنها أبي عزيز بن عُمير، وهي أم مُصعب بن عمير؛ وخرجت عُمرة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة. وكانت هند بنت عُتبة كلَّما مرَّت بوخشي أو مرَّ بها، قالت: وَيْها أبا دَسْمَة اشْف واشتشف، وكان وَخْشِي يُكْنَى بأبي دَسْمَة، فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنَيْن، بجبل بطن السَّبْخَة من قناة على شفير الوادي، مقابل المدينة.

مُعْتَمِرِينَ، رُوي هذا المعنى في حديث أسنده الزُّبَيْرُ عن رسولِ الله - ﷺ - في كتاب فضائل المدينة^(١).

وذكر ابن إسحاق مَسِيرَ قُرَيْشٍ بِالظُّعْنِ التماس الحَفِظَة، والحَفِظَة. الغَضْبُ لِلْحَرَمِ، ويقال: أَحْفِظَ الرَّجُلُ إذا أُغْضِبَ.

(١) لا صحة لقصة دفن موسى لهارون عليهما السلام في أحد.

رؤيا رسول الله ﷺ

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا، قال رسول الله ﷺ للمسلمين: «إني قد رأيت والله خيرًا، رأيت بقرًا، ورأيت في ذباب سَيْفِي ثَلَمًا، ورأيت أني أَدْخَلْتُ يَدِي فِي دَرْعِ حَصِينَةٍ، فَأَوَّلْتُهَا: المدينة».

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم، أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت بقرًا لي تُذْبَح، قال: فأما البقر فهي ناس من أصحابي يُقْتَلُونَ، وأما الثَّلَم الذي رأيت في ذباب سَيْفِي، فهو رَجُلٌ من أهل بَيْتِي يُقْتَلُ».

مشاورة الرسول القوم في الخروج أو البقاء:

قال ابن إسحاق: فإن رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وتَدْعُوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بِشَرِّ مُقَامٍ، وإن هم دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتِلَنَا هُمْ فِيهَا، وكان رأيي عبد الله بن أبي ابن سَلُولَ مع رأي رسول الله ﷺ، يَرَى رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ، وَأَلَّا يَخْرُجَ إِلَيْهِمْ، وكان رسول الله ﷺ يَكْرَهُ الْخُرُوجَ، فقال رجالٌ من المسلمين، ممن أكرم الله بالشَّهادة يوم أُحُدٍ وغيره، مِمَّنْ كان فاتِه بدرًا: يا رسول الله، اخرج بنا إلى أعدائنا، لا يَرَوْنَ أَنَا جَبَنًا عَنْهُمْ وَضَعْفَنَا. فقال عبد الله بن أبي ابن سَلُولَ: يا رسول الله، أَقِمْ بِالْمَدِينَةِ لَا تَخْرُجْ إِلَيْهِمْ،

رؤيا رسول الله ﷺ^(١)

فصل: وذكر رؤيا رسول الله ﷺ حين رأى بقرًا تُنَحَرُ حوله، وثَلَمَةً فِي سَيْفِهِ وفي غير السيرة قال: رأيت بقرًا تُنَحَرُ والله خيرٌ، فأَوَّلْتُ الْخَيْرَ ما جاء الله به من الخير يَوْمَ بَدْرٍ، وقد كانت بَدْرٌ قَبْلَ أُحُدٍ، ولكن نفع الله بذلك الخير الذي كان في يوم بدرٍ، وكان فيه تَأْسِيفَةٌ وَتَغْزِيفَةٌ لَهُمْ، فلذلك تَضَمَّنَتْهُ الرُّؤْيَا بقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ أَصَابِكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾^(٢) وفي البخاري: ما جاء الله به من الخير بعد بدرٍ. وفي مُسْلِمٍ: وإذا الخير ما جاء الله به بعدُ وثولِبُ الصَّدَقِ الذي أتانا الله به يوم بدرٍ، وهذه أَقْلُ الرُّوَايَاتِ إِشْكَالًا.

«قال المؤلف» أبو القاسم [السهيلي]: أمَّا البقرُ فعِبَارَةٌ عن رجال مُسَلِّحِينَ يَتَنَاطَحُونَ وقد رأت عائشة - رضي الله عنها - مثلَ هذا، فكان تأويلُه قتلَ مَنْ قُتِلَ معها يوم الجَمَلِ.

(١) «صحيح» أخرجه أحمد (٢٧١/١) والبيهقي في الدلائل (٢٠٦/٣) والطبراني في الكبير (٣٩٤/١١) وانظر الفتح (٣٤٦/٧).

(٢) سورة آل عمران آية رقم (١٦٥).

فوالله ما خَرَجْنَا مِنْهَا إِلَى عَدُوِّ لَنَا قَطُّ إِلَّا أَصَابَ مَنًّا، وَلَا دَخَلَهَا عَلَيْنَا إِلَّا أَصَبْنَا مِنْهُ، فَدَعَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَخْبِسٍ، وَإِنْ دَخَلُوا قَاتَلَهُمُ الرِّجَالُ فِي وَجْهِهِمْ، وَرَمَاهُمُ النِّسَاءُ وَالصُّبْيَانُ بِالْحِجَارَةِ مِنْ فَوْقَهُمْ، وَإِنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خَائِبِينَ كَمَا جَاءُوا. فَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الَّذِينَ كَانُوا مِنْ أَمْرِهِمْ حُبًّا لِقَاءِ الْقَوْمِ، حَتَّى دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَهُ فَلَبِسَ لَأَمَّتَهُ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ. وَقَدْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: مَالِكُ بْنُ عَمْرٍو، أَحَدُ بَنِي النَّجَّارِ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ نَدِمَ النَّاسُ، وَقَالُوا: اسْتَكَرَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ لَنَا ذَلِكَ. فَلَمَّا خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: اسْتَكَرَّهَا نَاكَ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَنَا، فَإِنْ شِئْتَ فاقْعُدْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَنْبَغِي لِنَبِيِّ إِذَا لَبِسَ لَأَمَّتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ»، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَلْفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ^(١).

قال ابن هشام: واستعمال ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس.

انخدال المنافقين:

قال ابن إسحق: حتى إذا كانوا بالشَّوْطِ بين المدينة وأحد، انخزل عنه عبدُ الله بن أبيّ ابن سلول بثُلثِ الناس، وقال: أطاعهم وعَصَانِي، مَا نَذْرِي عِلَامَ نَقُتْلِ أَنْفُسَنَا هَاهُنَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَجَرَجَ بِمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَهْلِ النُّفَاقِ وَالرَّيْبِ، وَاتَّبَعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ حَرَامٍ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، يَقُولُ: يَا قَوْمُ، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ أَلَّا تَخَذَلُوا قَوْمَكُمْ وَنَبِيَّكُمْ

وقوله: وَاللَّهُ خَيْرٌ، أَي: رَأَيْتَ بَقَرًا تُنَحَّرُ، وَرَأَيْتَ هَذَا الْكَلَامَ، لِأَنَّ الرَّائِيَّ قَدْ يُمَثَّلُ لَهُ كَلَامٌ فِي خَلْدِهِ، فَيَرَاهُ بِوَهْمِهِ، كَمَا يَرَى صُورَةَ الْأَشْيَاءِ، وَمَنْ خَبَرَ أَحْوَالَ الرُّؤْيَا عَرَفَ هَذَا مِنْ نَفْسِهِ، وَمِنْ غَيْرِهِ، لَكِنَّ الصُّورَ الْمَرْتَبِيَّةَ فِي النَّوْمِ تَكُونُ فِي الْغَالِبِ أَمْثَالاً مَضْرُوبَةً، وَقَدْ تَكُونُ عَلَى ظَاهِرِهَا، وَأَمَّا الْكَلَامُ الَّذِي يَسْمَعُهُ بِسَمْعِ الْوَهْمِ مُمَثَّلًا فِي الْخَلْدِ، فَلَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى ظَاهِرِهِ، مِثْلُ أَنْ يَسْمَعَ: أَنْتَ سَالِمٌ أَوْ اللَّهُ خَيْرٌ لَكَ، أَوْ مَا أَشْبَهَ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ، فَلَيْسَ لَهُ مَعْنَى سِوَى ظَاهِرِهِ.

وذكر أن فرساً ذُئِبَ بِذَيْلِهِ، فَأَصَابَ كُلابٌ سَيْفٍ فَاسْتَلَّهُ. قال ابن هشام: كُلابُ السَّيْفِ هِيَ الْحَدِيدَةُ الْعَقْفَاءُ، وَهِيَ الَّتِي تَلِي الْغِمْدَ، وَفِي كِتَابِ الْعَيْنِ: الْكَلْبُ مِسْمَارٌ فِي قَائِمِ السَّيْفِ.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤/١٣) معلقاً بعضه. والدارمي (١٢٩/٢) وأحمد (٣٥١/٣) والحاكم (٢/١٢٨ / ١٢٩ / ٢٩٦ / ٢٩٧) وصححه وأقره الذهبي.

عندما حَضَرَ من عدوّهم؛ فقالوا: لو نعلم أنّكم تُقاتِلون لَمَّا أسلمناكم، ولكنّا لا نرى أنه يكون قتالٌ. قال: فلما اسْتَعْصَمُوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم، قال: أبعدكم الله أعداء الله، فسيُغْنِي الله عنكم نبيّه.

قال ابن هشام: وذكر زياد، محمد بن إسحق عن الزهري: أن الأنصار يوم أحد، قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود؟ فقال: لا حاجة لنا فيهم.

حادثة تفاعل بها الرسول:

قال زياد: حدّثني محمد بن إسحق، قال: ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حرّة بني حارثة، فذَبَ فَرَسٌ بِذَنبِهِ، فأصاب كَلَابَ سيفٍ فاستلّه.

قال ابن هشام: ويقال: كَلَابَ سيف.

قال ابن إسحق: فقال رسول الله ﷺ - وكان يحبّ الفأل ولا يَغْتَفُفُ لصاحب السيف: «سِمَ سَيْفُكَ، فإني أرى السُّيُوفَ سَتُسَلُّ اليوم».

الفأل والطيرة:

قال: وكان رسول الله ﷺ يُحِبُّ الْفَأْلَ، وَلَا يَغْتَفُفُ، يَفْتَالُ يَفْتَعِلُ مِنَ الْعِيَافَةِ. وظاهر كلامه أن العِيَافَةَ فِي الْمَكْرُوهِ خَاصَّةٌ، وَالْفَأْلَ فِي الْمَحْبُوبِ، وقد يكون في المكروه، والطَّيْرَةُ تكون في المحبوب المكروه، وفي الحديث أنه نَهَى عن الطَّيْرَةِ، وقال: خَيْرُهَا الْفَأْلُ، فدلَّ على أنها تكون على وُجُوهِ الْفَأْلِ خَيْرُهَا. ولفظها يُعْطِي أنها تكون في الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، لأنها من الطَّيْرِ، تقول العرب: جرى له الطائر بخير، وجرى له بِشَرٍّ، وفي التنزيل: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾^(١).

وقوله في هذا الحديث: فإني أرى السُّيُوفَ سَتُسَلُّ اليوم، يقوَّى ما قَدَّمَنا من التَّوَسُّمِ وَالزَّجْرِ الْمَصِيبِ، وأنه غير مكروهٍ لكنه غير مَقْطُوعٍ به إلا أن يكون من كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ، وقد قَدَّمَنا فيه قولاً مُقْنِعاً في حديث زَمْزَمَ وَنُقْرَةَ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ، ولله في كلِّ شيءٍ حِكْمَةٌ، وإِعْمَالُ الْفِكْرِ فِي الْوُقُوفِ عَلَى حِكْمَةِ اللَّهِ عِبَادَةٌ.

(١) سورة الإسراء آية رقم (١٣).

ما كان من مربع حين سلك المسلمون حائطه :

ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه : «مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى الْقَوْمِ مِنْ كَثْبٍ : أَيِ مِنْ قَرَبٍ ، مِنْ طَرِيقٍ لَا يَمُرُّ بِنَا عَلَيْهِمْ ؟» فَقَالَ أَبُو خَيْثَمَةَ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَتَفَذَّ بِهِ حَرَّةَ بَنِي حَارِثَةَ ، وَبَيْنَ أَمْوَالِهِمْ حَتَّى سَلَكَ فِي مَالٍ لِمَرْبَعِ بْنِ قَيْظِي ، وَكَانَ رَجُلًا مُنَافِقًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ ، فَلَمَّا سَمِعَ حَسَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، قَامَ يَحْثِي بِي وَجُوهَهُمُ التَّرَابَ ، وَيَقُولُ : إِنْ كُنْتَ رَسُولَ اللَّهِ فَإِنِّي لَا أَحِلُّ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ حَائِطِي . وَقَدْ ذُكِرَ لِي أَنَّهُ أَخَذَ حَفْنَةً مِنْ تَرَابٍ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمَ أَنِّي لَا أُصِيبُ بِهَا غَيْرَكَ يَا مُحَمَّدَ لَضَرَبْتُ بِهَا وَجْهَكَ . فَابْتَدَرَهُ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لَا تَقْتُلُوهُ ، فَهَذَا الْأَعْمَى أَعْمَى الْقَلْبِ ، أَعْمَى الْبَصَرِ» . وَقَدْ بَدَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ، قِيلَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ ، فَضْرِبَهُ بِالْقَوْسِ فِي رَأْسِهِ ، فَشَجَّهُ .

قال : ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد ، في غُدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتلن أحدٌ منكم حتى نأمره بالقتال . وقد سَرَحَتْ قَرِيشُ الظَّهْرَ وَالْكَرَاعَ فِي زُرُوعٍ كَانَتْ بِالصَّمْغَةِ ، مِنْ قَنَاةٍ لِلْمُسْلِمِينَ : فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْقِتَالِ : أَتُرْعَى زُرُوعُ بَنِي قَيْلَةَ وَلَمَّا

المستصغرون يوم أحد :

وذكر المُسْتَضْعَرِينَ يوم أُحُدٍ الَّذِينَ أَرَادُوا الْخُرُوجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَرَدَّ أَصْغَرَهُمْ ، مِنْهُمْ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وَأُسَيْدُ بْنُ ظُهَيْرٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ إِلَى آخِرِهِمْ ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِمْ عَرَابَةَ بْنَ أَوْسٍ بْنِ قَيْظِي ، وَقَدْ ذَكَرْتَهُ طَائِفَةٌ فِيهِمْ ، وَمِمَّنْ ذَكَرَهُ فِيهِمُ الْقُتَيْبِيُّ فِي كِتَابِ الْمَعَارِفِ^(١) ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ الشَّمَاخُ :

إِذَا مَا رَايَةَ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ

وَلِعَرَابَةَ أَخٌ اسْمُهُ : كَبَائَةُ ، لَهُ صُحْبَةٌ . وَمِنَ الْمُسْتَضْعَرِينَ يَوْمَ أُحُدٍ سَعْدُ بْنُ حَبْتَةَ ، عُرِفَ بِأُمِّهِ ، وَهِيَ حَبْتَةُ بِنْتُ مَالِكِ أَنْصَارِيَّةٌ ، وَهُوَ سَعْدُ بْنُ بُجَيْرٍ مِنْ بَجِيلَةَ ، رَدَّهُ النَّبِيُّ - ﷺ - يَوْمَ أُحُدٍ لِصِغَرِ سِنِّهِ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ رَأَاهُ يَقَاتِلُ قِتَالًا شَدِيدًا ، فَدَعَاهُ وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَدَعَا لَهُ بِالْبَرَكَةِ فِي وَلَدِهِ وَنَسَلِهِ ، فَكَانَ عَمًّا لِأَرْبَعِينَ ، وَخَالًا لِأَرْبَعِينَ ، وَأَبَا لِعِشْرِينَ ، وَمِنْ وَلَدِهِ أَبُو يُوسُفَ الْقَاضِي يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ حُبَيْشِ بْنِ سَعْدِ بْنِ حَبْتَةَ .

(١) المعارف (ص ١١٢) .

تضارب! وتعبى رسول الله ﷺ للقتال، وهو في سبع مائة رجل، وأمر على الرُّمّة عبد الله بن جبير، أخا بني عمرو بن عوف وهو مُعلّم يومئذ بثياب بيض، والرُّمّة خمسون رجلاً، فقال: انضح الخيل عناً بالنبل، لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا، فأثبت مكانك لا تُؤتَيْن من قبلك. وظاهر رسول الله ﷺ بين دِزعين ودفع اللّواء إلى مُضعب بن عُمير، أخي بني عبد الدار.

من أجازهم الرسول وهم في الخامسة عشرة:

قال ابن هشام: وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ سَمُرَة بن جُنْدَب الفزاري، ورافع بن خديج، أخا بني حارثة، وهما ابنا خمس عشرة سنة، وكان قد ردهما، ف قيل له: يا رسول الله إن رافعاً رام، فأجازه، فلما أجاز رافعاً، قيل له: يا رسول الله، فإن سَمُرَة يضرع رافعاً، فأجازه. ورد رسول الله ﷺ: أُسامَة بن زَيْد، وعبد الله بن عُمَر بن الخطّاب، وزيد بن ثابت، أحد بني مالك بن النجار، والبراء بن عازب، أحد بني حارثة، وعمرو بن حزم، أحد بني مالك بن النجار، وأُسَيْد بن ظهير، أحد بني حارثة، ثم أجازهم يوم الخندق، وهم أبناء خمس عشرة سنة.

حول شعر هند بنت عتبة:

وذكر قول هند بنت عتبة:

وَيْهًا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ

وَيْهًا كَلِمَةً مَعْنَاهَا الإِغْرَاءُ.

قال الراجز:

وَهُوَ إِذَا قِيلَ لَهُ وَيْهًا قُلْ فَإِنَّهُ مُوَاشِكٌ مُسْتَعْجِلٌ

وَأَمَّا وَاهَا، فإن معناها: التَّعَجُّبُ، وإيها معناها: الأَمْرُ بالكُفِّ.

وقولها: إن تُقْبِلُوا نُعَانِقُ، فيقال: إنها تَمَثَّلَتْ بهذا الرَّجَزِ، وإنه لِهِنْدِ بِنْتِ طَارِقِ بن بَيَاضَةَ الإِيَادِيَّةِ، قالت في حَرْبِ الْفُرْسِ لإِيَادٍ، فعلى هذا يكونُ إنشاده: بِنَاتِ طَارِقِ، بالنصب على الاختصاصه، كما قال:

نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ أَصْحَابُ الْجَمَلِ

وإن كانت أرادت النجم فبنات مَرْفُوعٍ، لأنه خبرٌ مبتدأ أي: نحن شَرِيفَاتُ رَفِيعَاتِ كَالنَّجُومِ، وهذا التأويلُ عِنْدِي بَعِيدٌ، لأن طَارِقًا وَصِفُ لِلنَّجْمِ لَطَرُوقِهِ، فلو أرادته لقلت:

قال ابن إسحاق: وتعبأت قُرَيْشٌ، وهم ثلاثة آلاف رجل، ومعهم مائتا فرس قد جَنَّبُوها، فجعلوا على مَيْمَنَةِ الخيل خالد بن الوليد، وعلى مَيْسَرَتِها عِكرمة بن أبي جهل.

أمر أبي دجانة

وقال رسول الله ﷺ: «من يأخذ هذا السيف بحقه؟» فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دجانة سِمَاكُ بن خَرْشَةَ، أخو بني ساعدة، فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تشرب به العدو حتى ينحني؛ قال: أنا أخذه يا رسول الله بحقه، فأعطاه إياه^(١). وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، إذا كانت، وكان إذا أُغْلِمَ بعصابة له حمراء، فاعتصب بها على الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك، فعصب بها رأسه، وجعل يتبخر بين الصفيين.

بنات الطارق إلا أني وجدت للزبير بن أبي بكر أنه قال في كتاب أنساب قُرَيْشٍ له أول هذا الرجز الذي قالته عند يوم أحد:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقِ مَشْيَ الْقَطَا النُّوَاتِقِ

إلى آخر الرجز، قال: وحدثني يحيى بن عبد الملك الهذلي، قال: جلست ليلة وراء الضحّاك بن عثمان الجذامي في مسجد رسول الله ﷺ - وأنا متقنّع فذكر الضحّاك وأصحابه قول هِنْدِ يَوْمَ أُحُدٍ: نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ، فقالوا: ما طَارِقُ؟ فقلت: النّجم، فالتفت الضحّاك، فقال: أبا زكريّا، وكيف بذلك؟ فقلت: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النّجْمُ الثَّاقِبُ﴾^(٢): فإنها قالت: نحن بنات النّجم، فقال: أحسنت.

أبو دجانة

وذكر أبا دجانة، ولُبْسُهُ الْمُشَهَّرَةُ، وأبو دجانة السّاعدي ممّن دافع عن النبي - ﷺ - وحنا عليه يوم أُحُدٍ وترّس عليه بنفسه، حتى كثرت النّبل في ظهره، واستشهد يوم اليمامة، بعد أن شارك في قتل مُسَيْلِمَةَ، اشترك في قتله هو وَوَحْشِي وَعَبْدُ اللهِ بن زَيْد، وسنذكر ما قاله سيف بن عمّار في قاتل مُسَيْلِمَةَ في آخر الباب إن شاء الله.

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة (١٢٨) وأحمد (١٢٣/٣) والحاكم (٢٣٠/٣) وابن أبي شيبة (٢٠٦/١٢) وابن سعد (١٠١/٢/٣).

(٢) سورة الطارق آية رقم (١ - ٣).

قال ابن إسحاق: فحدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم، مولى عمر بن الخطاب، عن رجل من الأنصار من بني سلمة، قال: قال رسول الله ﷺ، حين رأى أبا دُجانة يتبخر: «إنها لمشية يبغضها الله، إلا في مثل هذا الموطن».

أمر أبي عامر الفاسق:

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن أبا عامر، عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان، أحد بني ضبيعة، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مُباعداً لرسول الله ﷺ، معه خمسون غلاماً من الأوس، وبعض الناس كان يقول: كانوا خمسة عشر رجلاً، وكان يعد قريشاً أن لو قد لقي قومَه لم يختلف عليه منهم رجلان؛ فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر؛ قالوا: فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق - وكان أبو عامر يسمي في الجاهلية: الرَّاهب، فسماه رسول الله ﷺ: الفاسق - فلما سمع ردَّهم عليه قال: لقد أصاب قومي بعدي شرٌّ، ثم قاتلهم قتالاً شديداً، ثم راضخهم بالحجارة.

وذكر قول أبي دُجانة:

إني امرؤ عاهدني خليلي

يغني رسول الله - ﷺ - وكذلك كان أبو هريرة يقول: حدثني خليلي، وأنكره عليه بعض الصحابة، وقال له: متى كان خليلك، وإنما أنكر عليه المنكر هذا لقوله عليه السلام: «لو كنتُ متخذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكن أخوة الإسلام»^(١) وليس في هذا الحديث ما يدفع أن يقول الصحابيُّ حدثني خليلي، لأنهم يريدون به معنى الحبيب، وإنما فيه عليه أن النبي ﷺ لم يكن يقولها لأحدٍ من أصحابه، ولا خصَّ بها أحداً دون أن يمنع غيره من أصحابه أن يقولها له، وما كان في قلوبهم من المحبة له يقتضي هذا، وأكثر منه، ما لم يكن الغلو والقول المكروه، فقد قال عليه السلام: «لا تطروني، كما أطرت النصارى المسيح، وإنما أنا عبدُ الله ورسولُه»^(٢). وقال لرجل قال له: أنت سيدنا وأطولنا طولاً، وأنت الجفنة الغراء، فقال: «قولوا بقولكم، ولا يستجوئكم الشيطان»^(٣) أي: قولوا بقول أهل

(١) أخرجه البخاري (٤/٥) ومسلم في فضائل الصحابة (١ - ٥) والترمذي (٣٦٥٩) وابن ماجه (٩٣) وأحمد (٣٧٧/١) والحميدي (١١٣) وعبد الرزاق (١٩٠٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٤/٤) ومسلم في القدر (٣٤) وأحمد (٢٣/١).

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٩/٣) والنسائي بنحوه. والبيهقي في الدلائل (٣١٨/٥) وفي الصفات (٢٢) بتحقيقي.

أُسلوب أبي سُفيان في تحريض قريش:

قال ابن إسحاق: وقد قال أبو سُفيان لأصحاب اللّواء من بني عبد الدّار يُحرّضهم بذلك على القتال: يا بني عبد الدّار، إنكم قد ولّيتُم لواءنا يوم بدر، فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالأوا، فإما أن تكفّونا لواءنا، وإما أن تُخلّوا بيننا وبينه فنكفيكموه، فهِمّوا به وتواعدّوه، وقالوا: نحن نُسلم إليك لواءنا، ستعلم غدا إذا التقينا كيف نضنع! وذلك أراد أبو سُفيان.

تحريض هند والنسوة معها:

فلما التقى الناس، ودنا بعضهم من بعض، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللاتي معها، وأخذن الدّفوف يَضربن بها خلف الرجال، ويحرّضنهم فقالت هند فيما تقول:

وَيْهَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ وَيْهَا حُمَاةَ الْأَدْبَارِ
ضَرْبًا بِكُلِّ بَثَّارِ

وتقول:

إِنْ تُقْبِلُوا نَعَانِقُ وَنَفْرِشِ النَّمَارِقِ
أَوْ تُذْهِبُوا نَفَارِقُ فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقِ

شعار المسلمين:

وكان شعارُ أصحاب رسول الله ﷺ يوم أُحُدٍ: أمِثْ أمِثْ، فيما قال ابن هشام.

تمام قصة أبي دجانة:

قال ابن إسحاق: فاقتتل الناسُ حتى حَمِيت الحربُ، وقاتل أبو دُجَانَة حتى أمعن في الناس.

دينكم وأهلِ ملَّتِكُم، كذا فسرهُ الخَطَّابِيُّ، ومعناه عندي: قولوا: بقولكم، لا بقول الشيطان، لأنه قد جعلهم جَرِيًّا له، أي: وكيلاً وَرَسُولاً، وإذا كانوا جَرِيًّا له، وقالوا: ما يُرضيه من الغُلُوِّ في المنطق، فقد قالوا بقوله: وَيَسْتَجْرِيَنَّكُمْ من قولهم: جَرَيْتُ جَرِيًّا، أي: وكُلت وكيلاً. وقال له رجل آخر: أنت أشرفنا حَسَبًا وأكرمنا أُمًّا وأبًّا، فقال: كَمْ دُونَ لِسَانِكَ مِنْ طَبَقٍ؟ فقال: أربعة أطباقٍ، فقال: أما كان فيها ما يَزْعُ عني غَرَبَ لِسَانِكَ^(١). رواه ابن وهب في جامعه.

(١) أورده السيوطي في الدر (١١٢/٣) والزبيدي في الإتحاف (٤٩٧/٧).

قال ابن هشام: حدّثني غير واحد، من أهل العلم، أن الزُّبير بن العوّام قال: وَجِدْتُ في نفسي حين سألتُ رسول الله ﷺ السَّيفَ فَمَنَعَنِيه وأعطاه أبا دُجَانَةَ، وقُلْتُ: أنا ابنُ صَفِيَّةَ عَمَّتِهِ، ومن قُرَيْشٍ، وقد قُمْتُ إليه فسألتُهُ إياه قَبْلَهُ، فأعطاه إياه وتركني، والله لأنظرنَ ما يصنع؛ فاتبعته، فأخرج عصاةً له حَمراءَ، فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دُجَانَةَ عِصَابَةَ الموت، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب بها، فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسَّفْحِ لدى النُّخيل
ألاً أقوم الدهرَ في الكَيُول أضرب بسيف الله والرَّسُول
قال ابن هشام: ويروى في الكُبُول.

قال ابن إسحاق: فجعل لا يَلْقَى أحداً إلا قَتَلَهُ. وكان في المُشركين رجل لا يَدَعُ لنا جريحاً إلا ذَفَفَ عليه، فجعل كل واحد منهما يَذْنُو من صاحبه. فدعوتُ الله أن يَجْمَعَ بينهما، فالتَقيا، فاختلفا ضَرْبَتَيْنِ، فَضَرَبَ المُشْرِكُ أبا دُجَانَةَ، فأتقاه بِدَرَقَتِهِ، فَعَضَّتْ بسيفه، وضربه أبو دُجَانَةَ فَقَتَلَهُ ثم رأيتُهُ قد حمل السيفَ على مَفْرِقِ رأسِ هِنْدَ بنتِ عُتْبَةَ، ثم عدل السيفَ عنها. قال الزبير: فقلتُ: الله ورسوله أعلم.

قال ابن إسحاق: وقال أبو دُجَانَةَ سِمَاكُ بن خَرِشَةَ: رأيتُ إنساناً يَخْمِشُ النَّاسَ خَمْشاً شَدِيداً، فصمدتُ له، فلما حملتُ عليه السَّيفَ وَلُولَ فإذا امرأةٌ، فأكرمتُ سيفَ رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأةً.

وقول أبي دجانة:

ألاً أقوم الدهر في الكَيُول

قال أبو عبيد: الكَيُول آخر الصفوف، قال: ولم يسمع إلا في هذا الحديث، وقال الهَرَوِيُّ: مثل ما قال أبو عبيد، وزاد في الشرح، وقال: سُمِّيَ بِكَيُولِ الزُّنْدِ، وهي سَوَادٌ ودُخَانٌ يخرج منه آخراً، بعد القَذْحِ إذا لم يُورِ ناراً، وذلك شيء لا غناء فيه، يقال منه كال الزُّنْدِ يَكُولُ، فالكَيُولُ فَيَنُغُولُ من هذا، وكذلك كَيُولُ الصُّفُوفِ لا يوقد نارَ الحرب، ولا يُزَكِّيها، هذا معنى كلامه لا لفظه. وقال أبو حنيفة نحواً من هذا إلا أنه قال: كال الزند يَكِيلُ بالياء لا غير.

وقوله: رأيت رجلاً يَخْمِشُ النَّاسَ خَمْشاً شَدِيداً، يُروى بالشين وبالسین، فالمعنى بالسین غير مُعْجَمَةٍ في هذا المكان الشَّدَّةُ، كأنه قال: يشدهم ويُسَجِّعُهُم، لأنه يقال: رجل

مقتل حمزة:

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أخطاه بن عبد شريحيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشاني، وكان يكنى بأبي نيار، فقال له حمزة: هلم إلي يا ابن مقطعة البظور - وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي.

(قال ابن هشام: شريق بن الأخنس بن شريق) وكانت ختانة بمكة - فلما التقيا ضربه حمزة فقتله.

قال وحشي، غلام جبير بن مطعم: والله إني لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه ما يليق به شيئاً، مثل الجمل الأورق إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى، فقال له حمزة: هلم إلي يا ابن مقطعة البظور، فضربه ضربة، فكأن ما أخطأ رأسه، وهزرت حزبتى حتى إذا رصيت منها دفعتها عليه، فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجله، فأقبل نحوي، فغلب فوق، وأمهله حتى إذا مات جئت فأخذت حزبتى، ثم تنحيت إلى العسكر، ولم تكن لي بشيء حاجة غيره.

وحشي يحدث الضمري وابن الخيار عن قتله حمزة

قال ابن إسحق: وحدثني عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث عن سليمان بن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت أنا وعبيد الله بن عدي بن الخيار، أخو بني نوفل بن عبد مناف، في زمان معاوية بن أبي سفيان، فأدربنا مع الناس، فلما قفلنا مررنا بحمص - وكان وحشي، مولى جبير بن مطعم، قد سكنها، وأقام بها - فلما قدمناها، قال لي عبيد الله بن عدي: هل لك في أن تأتي وحشياً فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله؟ قال: قلت له: إن شئت. فخرجنا نسأل عنه بحمص، فقال لنا

أحمس، أي: شجاع شديد، والمعنى فيه بالشين مُعْجَمَةً أَلَا يَقَادَ وَالْإِغْضَابَ، لأنه يقال: أحمشت النار أوقدتها وحمشت الرجل، وأحمشته: أغضبته، فيكون أفعلت من ذلك للإيقاد والإغضاب، وفعلت للإغضاب.

حديث وحشي

قال فيه: فإذا شئخ كبير، كالْبَغَاثِ، قال أبو عبيد: الْبَغَاثُ الطَّيْرُ الَّذِي لَا يُصَادُ بِهِ مِثْلُ الرَّخْمِ، وَالْجِدَاءِ، واحداً بِغَاثَةٍ. ويقال: بغاثي وجمعه بَغَاثٌ وَبُغْثَانٌ. وقال ابن إسحق في رواية يونس عند ذكر الْبَغَاثِ الْبَغَاثُ هو ذَكَرَ الرَّخْمِ إِذَا هَرِمَ اسْوَدَّ.

رجل، ونحن نسأل عنه: إنكما ستجدانه بفناء داره، وهو رجلٌ قد غلبت عليه الخمر، فإن تجداه صاحبًا تجدًا رجلًا عربيًا، وتجداه عنده بعض ما تُريدان، وتُصيبا عنده ما شئتما من حديث تسألانه عنه، وإن تجداه وبه بعض ما يكون به، فانصرفا عنه ودعاه. قال: فخرجنا نَمْشِي حتى جئناه، فإذا هو بفناء داره على طنفسة له، فإذا شيخٌ كبيرٌ مثل البُغاث.

- قال ابن هشام: البُغاث: ضرب من الطير إلى السواد.

فإذا هو صاح لا بأس به. قال: فلما انتهينا إليه سلّمنا عليه، فرفع رأسه إلى عُبيد الله بن عديّ، فقال: ابنُ لعديّ بن الخيار أنت؟ قال: نعم، قال: أما والله ما رأيتك منذ ناولتُك أمك السعدية التي أرضعتك بذي طوى، فإني ناولتُكها وهي على بغيرها، فأخذتُك بعرضينك، فلمعت لي قدماك حين رفعتك إليها، فوالله ما هو إلا أن وقفت عليّ فعرفتُهما. قال: فجلسنا إليه، فقلنا له: جئناك لتحدثنا عن قتلِكَ حمزة، كيف قتلتَه؟ فقال: أما إني سأحدثكما كما حدثت رسولَ الله ﷺ حين سألني عن ذلك، كنتُ غلامًا لجُبَيْر بن مطعم، وكان عمُّه طُعَيْمَة بن عديّ قد أُصيب يوم بدر، فلمّا سارت قُريشُ إلى أحد، قال لي جُبَيْر: إن قتلتَ حمزة عمّ محمد بعُمِّي فأنت عتيق. قال: فخرجتُ مع الناس، وكنتُ رجلًا حبشيًا أقذف بالحربة قذف الحبشة، قلّمَا أُخطيء بها شيئًا؛ فلما التقى الناسُ خرجتُ أنظر حمزة وأتبصره، حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق، يهذُّ الناس بسيفه هذا، ما يقوم له شيء، فوالله إني لأتُهيأ له، أريده وأستتر منه

وقول وخشي لعبيد الله: ما رأيته منذ ناولتُك أمك السعدية، ولم يذكُر اسمها، وأمّ عُبيد الله بن عديّ هي أم قتال بنت أبي العيص بن أمية ذكرها البخاري في هذا الخبر، ولم يقل: السعدية فهي إذا قرشية أموية لا سعدية إلا أن يريد بها مُرضعته إن كانت سعدية، وأمّ عُبيد الله بن عديّ، فولد في حياة رسول الله - ﷺ - ومات في خلافة الوليد بن عبد الملك، وله دار بالمدينة عند دار عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - يزوي عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وغيره، وله حديث في الموطأ في كتاب الصلاة.

وقوله: بذي طوى: موضع بمكة، وقد قدّمنا الفرق بينه وبين ذي طوء بالهمز والمد، وبين طوى بالضم والقصر فأغنى عن إعادته هاهنا.

وقول وخشي: بهذُّ الناس بسيفه، ما يليقُ شيئًا، مثل الجمل الأورق، يريد - والله أعلم - وزقة الغبار، وإنه قد نافع به إذ الأورق من الإبل ليس بأقواها، ولكنه أطيبها لحمًا فيما ذكروا.

بشجرة أو حَجَر لِيَذْنُو مِنِّي إِذْ تَقْدَمْنِي إِلَيْهِ سَبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى، فَلَمَّا رَأَاهُ حَمْزَةُ قَالَ لَهُ: هَلُمَّ إِلَيَّ يَا ابْنَ مُقْطَعَةِ الْبُظُورِ. قَالَ: فَضْرِبُهُ ضَرْبَةً كَأَنَّ مَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ. قَالَ: وَهَزَزْتُ حَرْبَتِي، حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا، دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ، فَوَقَعَتْ فِي ثُنْتِهِ، حَتَّى خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ، وَذَهَبَ لِيَنْوِيَ نَحْوِي، فَغَلِبَ، وَتَرَكْتُهُ وَإِيَّاهَا حَتَّى مَاتَ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ حَرْبَتِي، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ، فَقَعَدْتُ فِيهِ، وَلَمْ يَكُنْ لِي بَغِيرُهُ حَاجَةٌ، وَإِنَّمَا قَتَلْتُهُ لِأَعْتَقَ. فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ أُغْتِيقْتُ، ثُمَّ أَقَمْتُ حَتَّى إِذَا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ هَرَبْتُ إِلَى الطَّائِفِ، فَمَكَّثْتُ بِهَا، فَلَمَّا خَرَجَ وَفَدُ الطَّائِفِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُسَلِّمُوا تَعَيَّتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ، فَقُلْتُ: أَلْحَقْ بِالشَّامِ، أَوْ الْيَمَنِ، أَوْ بِبَعْضِ الْبِلَادِ؛ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي ذَلِكَ مِنْ هَمِّي، إِذْ قَالَ لِي رَجُلٌ: وَيْحَكَ! إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا يَقْتُلُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ دَخَلَ فِي دِينِهِ، وَتَشْهَدُ شَهَادَتَهُ.

وحشي بين يدي الرسول يسلم:

فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ، خَرَجْتُ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَلَمْ يَرُعْهُ إِلَّا بِي قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ أَتَشْهَدُ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ؛ فَلَمَّا رَأْنِي قَالَ: «أَوْحَشِي؟» قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «اقْعُدْ فَحَدِّثْنِي كَيْفَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ»، قَالَ: فَحَدَّثْتُهُ كَمَا حَدَّثْتُكُمْ، فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ حَدِيثِي قَالَ: «وَيْحَكَ! غَيَّبَ عَنِّي وَجْهَكَ، فَلَا أَرِيَنَّكَ». قَالَ: فَكُنْتُ أَتَنَكَّبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ كَانَ لئَلَّا يَرَانِي، حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ - ﷺ.

قتل وحشي لمسيلمة:

فَلَمَّا خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ صَاحِبِ الْيَمَامَةِ خَرَجْتُ مَعَهُمْ، وَأَخَذْتُ

وَقَوْلُهُ: يَهْدُ النَّاسَ، هُوَ بِالذَّالِ الْمَنْقُوطَةِ، ذَكَرَهُ صَاحِبُ الدَّلَائِلِ، وَفَسَّرَهُ مِنَ الْهَذِّ وَهِيَ السَّرْعَةُ وَأَمَّا الْهَذْمُ بِالْمِيمِ، فَسُرْعَةُ الْقَطْعِ، يُقَالُ: سَيَفُ مِهْذَمٌ، وَالْهَيْذَامُ: الْكَثِيرُ الْأَكْلِ، وَهُوَ الشُّجَاعُ أَيْضًا، وَفِي الْحَدِيثِ: أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَازِمِ اللَّذَاتِ، يُرْوَى بِالذَّالِ الْمَنْقُوطَةِ أَيْ قَاطِعِهَا، وَمِمَّا ذَكَرَ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي خَبَرٍ وَحْشِي، قَالَ: فَخَرَجْتُ حِينَ قَالَ لَيْسَ سَيِّدِي مَا قَالَ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا رَجُلٌ عَنَبَبٌ عَلَيْهِ دِرْعُ قَضَاءٍ وَإِذَا هُوَ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: لَيْسَ هَذَا مِنْ شَأْنِي، وَإِذَا رَجُلٌ خُلَابِسٌ، أَيْهَمُ غَشْمَشَمٌ يَهْدُ النَّاسَ، كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقٌ، فَكَمَنْتُ لَهُ إِلَى صَخْرَةٍ كَأَنَّهَا قُسْطَاطٌ، وَقُلْتُ: هَذَا الَّذِي أُرِيدُ، وَهَزَزْتُ حَرْبَةً لِي عَرَّاصَةً، فَرَمَيْتُ بِهَا، فَأَصَبْتُ ثُنْتَهُ، وَذَكَرَ بَاقِي الْحَدِيثِ. الْعَبْعَبُ: الشَّابُ، وَالذَّرْعُ الْقَضَاءُ: الْمُحْكَمَةُ النَّسِجِ، وَالْأَيْهَمُ: الَّذِي لَا يَرُدُّهُ شَيْءٌ. وَفِي الْحَدِيثِ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ الْأَيْهَمِينَ، يَعْنِي: السَّيْلَ وَالْحَرِيقَ. وَالْعَرَّاصَةُ: الَّتِي تَضْطَرِبُ مِنَ اللَّيْنِ.

وَقَوْلُهُ فِي قَتْلِ مُسَيْلِمَةَ: سَبَقَنِي إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُ مُسَيْلِمَةَ وَنَسَبِهِ،

حَرْبَتِي الَّتِي قَتَلْتُ بِهَا حَمْزَةً؛ فَلَمَّا التَّقَى الْإِسْرَافُ رَأَيْتُ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَابِ قَائِمًا فِي يَدِهِ السِّيفَ، وَمَا أَعْرَفَهُ، فَتَهَيَّأْتُ لَهُ، وَتَهَيَّأَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى، كِلَانَا يُرِيدُهُ فَهَزَزْتُ حَرْبَتِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفْعَتُهَا عَلَيْهِ، فَوَقَعَتْ فِيهِ، وَشَدَّ عَلَيْهِ الْأَنْصَارِيُّ فَضْرِبَهُ بِالسِّيفِ، فَرُبُّكَ أَعْلَمُ أَيْنَا قَتَلَهُ، فَإِنْ كُنْتَ قَتَلْتَهُ، فَقَدْ قَتَلْتَ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ قَتَلْتَ شَرَّ النَّاسِ.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن الفضل، عن سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَكَانَ قَدْ شَهِدَ الْيَمَامَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ يَوْمَئِذٍ صَارِخًا يَقُولُ: قَتَلَهُ الْعَبْدُ الْأَسْوَدُ.

خَلْعٌ وَحْشِيٍّ مِنَ الدِّيَوَانِ:

قال ابن هشام: فبلغني أن وحشيًا لم يزل يُجَدُّ فِي الْخَمْرِ حَتَّى خُلِعَ مِنَ الدِّيَوَانِ، فَكَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ لِيَدْعَ قَاتِلَ حَمْزَةٍ^(١).

مَقْتَلُ مُصْعَبِ بْنِ عَمِيرٍ:

قال ابن إسحاق: وَقَاتَلَ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قُتِلَ، وَكَانَ

وَطَرَفٌ مِنْ حَدِيثِهِ فِي آخِرِ الْكِتَابِ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي مِنَ الْأَنْصَارِ الَّذِي ذَكَرَهُ وَحْشِيٌّ، وَلَمْ يُسَمِّهِ ابْنُ إِسْحَاقَ، فَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْوَاقِدِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي كِتَابِ الرُّدَّةِ، أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي شَارَكَ وَحْشِيًّا، فِي قَتْلِ مُسَيْلِمَةَ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَاصِمِ الْمَازِنِيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَذَكَرَ سَيْفُ بْنُ عُمَرَ فِي كِتَابِ الْفَتْوحِ أَنَّهُ عَدِيُّ بْنُ سَهْلٍ، وَأَنشَدَ لَهُ:

أَلَمْ تَرَ أَنِي وَوَحْشِيٌّ هُم قَتَلْتُ مُسَيْلِمَةَ الْمُفْتَنِّ
وَيَسْأَلُنِي النَّاسُ عَنْ قَتْلِهِ فَقُلْتُ: ضَرَبْتُ، وَهَذَا طَعْنُ

فِي آيَاتِ لَهُ، وَقَدْ ذَكَرْنَا قَبِيلَ هَذَا الْحَدِيثِ. أَنَّ أَبَا دُجَانَةَ أَيْضًا شَارَكَ فِي قَتْلِ مُسَيْلِمَةَ، وَذَكَرَهُ أَبُو عَمَرَ النَّمِرِيُّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيِّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ أَرَادَ وَحْشِيٌّ. وَفِي رَوَايَةِ يُونُسَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ زِيَادَةً فِي إِسْلَامِ وَحْشِيٍّ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا وَحْشِيٌّ، فَقَالَ: دَعُوهُ فَلِإِسْلَامِ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَتْلِ أَلْفِ رَجُلٍ كَافِرٍ.

(١) قوله في نسبته إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه - نظر - إذ كيف يقول له هذا وهو يعلم أن الإسلام يجب ما قبله، وأن الله غفور رحيم فيقول تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يَغْفِرَ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ وقد فعل عمر الكثير وصدرت منه الأفعال العظام قبل الإسلام وقد غفر الله تعالى له.

الذي قتله ابن قَمِيَّةَ اللَّيْثِي، وهو يَظُنُّ أنه رسولُ الله ﷺ، فرَجَعَ إلى قُرَيْشٍ فقال: قَتَلْتُ مُحَمَّدًا. فلما قُتِلَ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ أُعْطِيَ رسولُ الله ﷺ اللُّوَاءَ عَلِيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وقاتل عليُّ بن أبي طالب ورجال من المسلمين.

قال ابن هشام: وحدثني مَسْلَمَةُ بْنُ عَلْقَمَةَ المازني، قال: لما اشتد القتال يومَ أُحُدٍ، جَلَسَ رسولُ الله ﷺ تحت راية الأنصار، وأرسل رسولُ الله ﷺ إلى عليِّ بن أبي طالب رضوان الله عليه: أن قَدَّمَ الراية. فتقدَّم عليٌّ، فقال: أنا أبو القُصَم، ويقال: أبو القُصَم، فيما قال ابن هشام - فناداه أبو سَعْدُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، وهو صاحب لواء المشركين: أن هل لك يا أبا القُصَم في البراز من حاجة؟ قال: نعم. فبرز بين الصَّفَيْنِ، فاختلفا ضَرْبَتَيْنِ فَضْرَبَهُ عَلِيٌّ فَصَرَعَهُ، ثم انصرف عنه ولم يُجْهَزْ عليه؛ فقال له أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ فقال: إنه استقبلني بعورته، فعطفتني عنه الرَّحِمُ، وعرفتُ أن الله عز وجل قد قتله.

ويقال: إنَّ أبا سعد بن أبي طَلْحَةَ خرج بين الصَّفَيْنِ، فنادى أنا قاصم من يُبارز برازا، فلم يخرج إليه أحدٌ. فقال: يا أصحاب محمد، زعمتم أن قتلاكم في الجنة، وأن قتلانا في النار، كذبتُم واللات! لو تعلمون ذلك حقًا لخرج إليَّ بعضُكم، فخرج إليه عليُّ بن أبي طالب، فاختلفا ضَرْبَتَيْنِ فَضْرَبَهُ عَلِيٌّ فَقَتَلَهُ.

وذكر قول أبي سَعْدِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ: أنا قاصم من يُبارزني، فبرز إليه عليٌّ، فقال أبو القُصَم بالقاف، قاله ابن هشام، وهو أصحُّ، وإنما قال عليٌّ - عليه السلام: أنا أبو القُصَم، لقول أبي سَعْدِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ: أنا قاصم من يُبارزني، فالقُصَم: جَمْعُ قُصَمَةٍ، وهي: العَضَلَةُ المَهْلِكَةُ، ويجوز أن يكون جَمْعُ القُصَمَى، أي: الدَّاهِيَةِ التي تَقْصِمُ. والدَّوَاهِي القُصَم على وزن الكُبر، وهذا المعنى أصحُّ، لأنه لا يعرف قُصَمَةً، ولكنه لما قال أبو سعد: أنا قاصم، قال علي: أنا أقصم منك، بل أنا أبو القُصَم، أي أبو المَغْضِلَاتِ القُصَم والدَّوَاهِي العُظَم، والقُصَم كسر بِيْثُونَةٍ، والقُصَم: كَسَرٌ يَغْيِرُ بِيْثُونَةً كَكَسْرِ الْقَضِيبِ الرُّطْبِ ونحوه، وفي التنزيل: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾^(١) وفيه ﴿لَا أَنْفِصَامَ لَهَا﴾^(٢) وقولُ ابنِ إِسْحَاقَ: قَتَلَ أبا سَعْدِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ، كذلك رَوَاهُ الكَشِّي في تفسيره عن سَعْدٍ، قال: لما كفَّ عنه عَلِيٌّ طَعَنَهُ فِي حَنْجَرَتِهِ، فَدَلَعَ لِسَانَهُ إِلَيَّ، كما يصنع الكلبُ ثم مات.

وذكر ابن إِسْحَاقَ أيضًا هذا في غير رواية ابن هشام، وقول عليٍّ: إنه اتَّقَانِي بِعَوْرَتِهِ، فَادَّكَرَنِي الرَّجِمَ، فَعَطَفْتَنِي عَلَيْهِ الرَّجِمُ، وقد فعلها عَلِيٌّ مرة أخرى يومَ صِفِّينَ، حَمَلَ عَلِيٌّ

(١) سورة الأنبياء آية رقم (١١).

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٥٦).

قال ابن إسحاق: قتل أبا سَعْد بن أبي طلحة سعد بن أبي وقاص.

شأن عاصم بن ثابت:

وقاتل عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح. فقتل مسافع بن طلحة وأخاه الجلاس بن طلحة كلاهما يشعره سَهْمًا. فيأتي أمه سُلَافَة. فيضع رأسه في حجرها فتقول: يا بُنَيَّ. من أصابك؟ فيقول: سمعتُ رجلاً حين رَماني وهو يقول: خُذْها وأنا ابن أبي الأفلح. فنذرتُ إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر. وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمسّ مشركاً أبداً. ولا يمسّه مشرك.

وقال عثمان بن أبي طلحة يومئذ، وهو يحمل لواء المشركين:

إِنَّ عَلَى أَهْلِ اللَّوَاءِ حَقًّا أَنْ يَخْضِبُوا الصَّغْدَةَ أَوْ تَنْدَقًا
فَقَتْلَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ.

حنظلة غسيل الملائكة

والتقى حنظلة بن أبي عامر الغسيل وأبو سفيان، فلما استغلاه حنظلة بن أبي عامر رآه شداد بن الأسود، وهو ابن شعوب، قد علا أبا سفيان. فضربه شداد فقتله. فقال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم، يعني حنظلة لتغسله الملائكة». فسألوا أهله من شأنه؟ فسئلت صاحبه عنه، فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة.

بشر بن أَرْطَاة، فلما رأى أنه مقتول كشف عن عَوْرَتِهِ، فانصرف عنه، ويُرْوَى أيضاً مثل ذلك عن عمرو بن العاصي، مع عَلِيٍّ - رضي الله عنه - يوم صِفِينَ، وفي ذلك يقول الحارث بن النضر السهمي، رواه ابن الكلبي وغيره:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ فَارِسٌ غَيْرُ مُنْتَهٍ وَعَوْرَتُهُ وَسْطَ الْعَجَاجَةِ بَادِيَةٌ
يَكْفُ لَهَا عَنْهُ عَلِيٌّ سِنَانَهُ وَيَضْحَكُ مِنْهُ فِي الْخَلَاءِ مُعَاوِيَةُ

عن مقتل حنظلة

فصل: وذكر مقتل حنظلة بن أبي عامر الغسيل، واسم أبي عامر: عمرو، وقيل: عبد عمرو بن صيفي، وذكر شداد بن الأسود بن شعوب حين قتله، بعدما كان علا حنظلة أبا سفيان ليقتله، وذكر الحميدي في التفسير مكان شداد جفونة بن شعوب اللثي، وهو مولى نافع بن أبي نعيم القاري.

وذكر قول النبي ﷺ - إن صاحبكم لتغسله الملائكة يعني: حنظلة، وفي غير السيرة،

- قال ابن هشام: ويقال: الهائعة. وجاء في الحديث: خيرُ الناس رجلٌ مُمسك بعنان فرسه، كلما سمع هَيْعَةً طار إليها. قال الطرمّاح بن حكيم الطائي، والطرّمّاح: الطويل من الرجال:

أنا ابن حُماة المَجْد من آل مالك إذا جَعَلْتَ خُورَ الرّجال تَهِيْعُ
(والهَيْعَةُ: الصَّيْحَةُ التي فيها الفزع).

قال ابن إسحق: فقال رسول الله ﷺ: «لذلك غسلته الملائكة».

شعر الأسود في قتلها حنظلة وأبا سُفيان:

(قال ابن إسحق): وقال شَداد بن الأسود في قَتله حنظلة:

لأَخْمِيْنَ صاحبي ونَفْسي بَطْعَنَةً مِثْلَ شُعاعِ الشَّمْسِ
وقال أبو سُفيان بن حَرْب، وهو يذكر صَبْرَهُ في ذلك اليوم، ومعاونة ابن شُعوب
إِيَّاه على حَنْظَلَةٍ:

ولو شِئْتُ نَجَّيْتُ كَمَيْتٌ^(١) طِمْرَةً ولم أُحْمِلِ النِّعْماء لابن شُعوبِ
وما زال مُهْرِي مَزْجَرِ الكَلْبِ مِنْهُمْ لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتَّى دَنَتْ لَغُرُوبِ

قال: رَأَيْتُ الملائكة تَغْسِلُهُ في صِخَافِ الفِضَّةِ بِماءِ المُرْنِ بين السَّمَاءِ والأَرْضِ، قال ابن إسحق، فَسُئِلْتُ صاحِبَتَهُ، فقالت: خَرَجَ وهو جُنُبٌ حينَ سَمِعَ الهاتِفَةَ^(٢). صاحِبَتُهُ يعني امرأَتَهُ، وهي جَمِيلَةٌ بنت أبي ابن سَلُولَ أُخْتُ عبدِ الله بن أبيّ، وكان ابْتَنَى بها تلكَ الليلة، فكانت عَرُوسًا عنده، فرأت في النوم تلكَ الليل كأن بابًا في السماءِ فُتِحَ له فدخله، ثم أُغْلِقَ دُونَهُ، فعَلِمْتُ أَنَّهُ مَيِّتٌ من غَدِهِ، فدَعَت رِجَالًا من قومها حينَ أَصْبَحَتْ فَأَشْهَدَتْهُمْ على الدُّخُولِ بها خَشِيَّةً أن يكون في ذلك نَزاعٌ، ذكره الواقدي فيما ذَكَرَ لي، وذَكَرَ غيرُهُ أَنَّهُ التَّمَسَّ في القَتْلِ، فوجدوه يَقْطُرُ رأسُهُ ماءً، وليس بِقُرْبِهِ ماءٌ تَضَدِّيقًا لما قاله الرسول ﷺ، وفي هذا الخبر مُتَعَلِّقٌ لِمَنْ قال من الفُقهاء: إن الشَّهيدَ يُغَسَّلُ إذا كان جُنُبًا، ومن الفُقهاء مَنْ يقول لا يُغَسَّلُ كسائر الشهداء، لأن التَّكْلِيفَ ساقطٌ عنه بالموت.

شعر أبي سُفيان:

وقول أبي سُفيان:

وَمَا زال مُهْرِي مَزْجَرِ الكَلْبِ مِنْهُمْ لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتَّى دَنَتْ لِغُرُوبِ

(٢) الهاتفة: يعني نداء الحرب.

(١) كميته: خمرة.

أَقَاتِلُهُمْ وَأَدَّعِي بِالْغَالِبِ وَأَذْفَعُهُمْ عَنِّي بِرُكْنٍ صَلِيبٍ
فَبِكِّي وَلَا تَزْعِي مَقَالَةً عَاذِلِ وَلَا تَسْأَمِي مِنْ عَبْرَةٍ وَنَحِيبِ
أَبَاكَ وَإِخْوَانًا لَهُ قَدْ تَتَابَعُوا وَحُقَّ لَهُمْ مِنْ عَبْرَةٍ بِنَصِيبِ
وَسَلَّى الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ أَنِّي قَتَلْتُ مِنَ النَّجَّارِ كُلِّ نَجِيبِ
وَمِنْ هَاشِمٍ قَرَمًا كَرِيمًا وَمُضْعَبًا وَكَانَ لَدَى الْهَيْجَاءِ غَيْرَ هَيُوبِ
فَوَلَوْ أَنِّي لَمْ أَشْفِ نَفْسِي مِنْهُمْ لَكَانَتْ شَجَا فِي الْقَلْبِ ذَاتُ نُذُوبِ
فَأَبُوا^(١) وَقَدْ أَوْدَى الْجَلَابِيبُ مِنْهُمْ بِهِمْ خَدَبٌ مِنْ مُعْطَبٍ^(٢) وَكُئِيبِ
أَصَابَهُمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ كِفَاءً وَلَا فِي خُطَّةٍ بِضَرِيبِ

يُروى بخفض غُدْوَةٍ، ونصبها، فمن خفضه فأعرابه بَيِّنٌ، لأن لَدُنْ بمنزلة: عِنْدَ، لا يكون ما بعده إلا مَخْفُوضًا، وأما نصبه فغَرِيبٌ، وشيءٌ خَصَّتْ العربُ به غُدْوَةٌ، ولا يُقَاسُ عليها، وكثيرًا ما يذكرها سِيَبَوِيهِ، وَيُمنَعُ من القياسِ عليها، وذلك أن لَدُنْ يقال فيها: لَدُنْ وَلَدٌ، فلما كانت تارة تُنَوِّنْ، ولا تُنَوِّنْ أُخْرَى، شَبَّهُوهَا إِذَا نُوتَتْ بِاسْمِ الْفَاعِلِ فَنَصَبُوا غُدْوَةً بعدها، تَشْبِيهًا بِالْمَفْعُولِ، ولولا أن غُدْوَةً، تُنَوِّنْ إِذَا نُكِرَتْ، وتُنَوِّنْ ضَرُورَةً إِذَا كَانَتْ مَعْرِفَةً ما عُرِفَ نَصْبُهَا، لأنها اسمٌ غير مُنْصَرِفٍ لِلْعَلَمِيَّةِ والتَّائِيثِ، فَخَفَضُهَا وَنَصْبُهَا سَوَاءٌ، فَإِذَا نُوتَتْ لِلضَّرُورَةِ، كما في بيت أَبِي سُفْيَانَ أَوْ أَرَدْتَ غُدْوَةً مِنْ الْغُدُوات تَبَيَّنَ حِينَئِذٍ أَنَّهُمْ قَصَدُوا النَّصْبَ والتَّشْبِيهَ بِالْمَفْعُولِ، ووجهٌ آخرٌ من الْبَيَانِ، وهو أَنَّهُمْ قَدْ رَفَعُوهَا، فَقَالُوا: لَدُنْ غُدْوَةٌ غَيْرَ مَضْرُوفَةٍ، كما يرفع الاسمُ بعد اسمِ الْفَاعِلِ إِذَا كَانَ فاعلاً وَيُنْصَبُ إِذَا كَانَ مَفْعُولاً إِذَا نُوتَ اسمُ الْفَاعِلِ، كذلك غُدْوَةٌ بعد لَدُنْ، لا يكون هذا فيها إلا إِذَا نُوتَتْ لَدُنْ، فَإِنْ قُلْتَ: لَدِ غُدْوَةٍ، لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْخَفْضُ إِنْ نُوتْتَهَا، وَإِنْ تَرَكْتَ صَرْفَهَا لِلتَّعْرِيفِ، فَالْفَتْحَةُ علامةُ خَفْضِهَا، وَلَا تَكُونُ غُدْوَةٌ عَلَمًا إِلَّا إِذَا أَرَدْتَهَا لِيَوْمٍ بَعِينِهِ، وَبُكْرَةٍ مِثْلَهَا فِي الْعَلَمِيَّةِ، وَلَيْسَتْ مِثْلَهَا مَعَ لَدُنْ وَضَخْوَةٌ وَعَشِيَّةٌ مَضْرُوفَتَانِ، وَإِنْ أَرَدْتَهُمَا لِيَوْمٍ بَعِينِهِ. وَقَدْ فَرَّغْنَا مِنْ كَشْفِ أَسْرَارِ هَذَا الْبَابِ فِي «نَتَائِجِ الْفِكْرِ»^(٣) وَأَوْضَحْنَا هُنَاكَ بَدَائِعَ وَعَجَائِبَ لَمْ يُبَيِّنْهَا أَحَدٌ إِلَّا أَنَّهَا مُنْتَزَعَةٌ مِنْ فَخْوَى كَلَامِ سِيَبَوِيهِ، وَمِنْ قَوَاعِدِهِ الَّتِي أَصَّلَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

وَقَوْلُ أَبِي سُفْيَانَ فِي هَذَا الشَّعْرِ: بِهِمْ خَدَبٌ. الْخَدَبُ الْهَوْجُ: وَفِي الْجَمْهَرَةِ طَغْنَةٌ خَدْبَاءُ إِذَا هَجَمَتْ عَلَى الْجَوْفِ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي أَرَادَ أَبُو سُفْيَانَ بِالْخَدَبِ.

(٢) معطب: في البداية: مغبط.

(١) أبوا: عادوا.

(٣) انظر ص (٣٣).

شعر حسان في الرد على أبي سفيان:

فأجابه حسان بن ثابت، فيما ذكر ابن هشام، فقال:

ذَكَرْتَ الْقُرُومَ^(١) الصَّيْدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَلَسْتُ لَزُورٍ قُلْتَهُ بِمُصِيبٍ
أَتَعْجَبُ أَنْ أَقْصَدْتَ حَمْزَةً مِنْهُمْ نَجِيبًا وَقَدْ سَمَّيْتَهُ بَنَجِيبٍ
أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وَعَثْبَةَ وَابْنَهُ وَشَيْبَةَ وَالْحَجَّاجَ وَابْنَ حَبِيبٍ
غَدَاةً دَعَا الْعَاصِي عَلِيًّا فَرَاغَهُ بِضَرْبَةِ عَضْبٍ بَلَّهَ بِخَضِيبٍ

قال ابن إسحاق: وقال ابن شعوب يذكر يده عند أبي سفيان فيما دفع عنه، فقال:

وَلَوْلَا دِفَاعِي يَا ابْنَ حَرْبٍ وَمَشْهَدِي لِأَلْفَيْتَ يَوْمَ النَّعْفِ^(٢) غَيْرَ مُجِيبٍ
وَلَوْلَا مَكْرِي الْمُهَرَّ بِالنَّعْفِ قَزَقْتَ ضَبَاعٌ عَلَيْهِ أَوْ ضِرَاءُ كَلِيبٍ
قال ابن هشام: قوله: «عليه أو ضراء» عن غير ابن إسحاق.

وَأَمَّا قَوْلُ حَسَّانَ:

إِذَا عَضَلُ سَيَقَتْ إِلَيْنَا كَأَنَّهَا جَدَايَةُ شُرَكَ مُغْلَمَاتِ الْحَوَاجِبِ
شُرَكَ: جَمْعُ شِرَاكِ.

والجداية: جداية السرج، على أن المعروف جدية السرج، لا جدابته في أقرب من هذا المعنى أن يريد الجداية من الوحش، وبالشرك الأشرار التي تُنصب لها، ولذلك قال: دَامِيَاتِ الْحَوَاجِبِ، وهذا أَصَحُّ في معناه، فقد ذكر أبو عبيد أن الجداية يقال للواحد والجميع والذكر والأنثى من أولاد الظباء، ويبعد أن تكون الجداية جمع جدية، وهي جدية السرج والرخل، وإن كان قد يقال في الجمع فعال وفعالة نحو جمال وجمالة، ولكنه هنا بعيد من طريق المعنى والله أعلم.

ويروى شرك بكسر الشين، وأقرب ما يقال في معنى هذا البيت: أنه أراد الجداية من الوحش، وهي أولاد الظباء ونحوها، وقد ذكر أبو عبيد أنه يقال: جداية للواحد والجمع والذكر والأنثى، فيكون الشرك على هذا في معنى الأشرار التي يُصاد بها، وقد قيل: إن شركًا اسم موضع، والله أعلم، وعَضَلُ قَبِيلَةٌ مِنْ خُزَيْمَةِ غَادِرَةٍ، وسيأتي ذكر غدر عضل

(١) القروم: الأسياد.

(٢) النعف: المكان المرتفع.

شعر الحارث في الرد على أبي سُفيان أيضًا:

قال ابن إسحاق: وقال الحارث بن هشام يُجيب أبا سُفيان:

جَزَيْتَهُمْ يَوْمًا بِبَذْرِ كَمِثْلِهِ عَلَى سَابِحِ ذِي مَنِيعةٍ وَشَبِيبِ
لَدَى صَخْنِ بَذْرِ أَوْ أَقَمْتَ نَوَائِحَا عَلَيْكَ وَلَمْ تَخْفَلِ مُصَابِ حَبِيبِ
وَإِنَّكَ لَوْ عَايَنْتَ مَا كَانَ مِنْهُمْ لَأَبْتُ بِقَلْبِ مَا بَقِيَتْ نَخِيبِ
قال ابن هشام: وإنما أجاب الحارث بن هشام أبا سُفيان لأنه ظنَّ أنه عَرَضَ به في قوله:

وما زال مُهري مَزَجَرَ الكلب منهم

لفرار الحارث يوم بدر.

حديث الزبير عن سبب الهزيمة

قال ابن إسحاق: ثم أنزل الله نَصْرَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَصَدَقَهُمْ وَغَدَهُ، فَحَسُّوهُمْ بِالسُّيُوفِ حَتَّى كَشَفُوهُمْ عَنِ الْعَسْكَرِ، وَكَانَتِ الْعَزِيمَةُ لَا شَكَّ فِيهَا.

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتَنِي أَنْظَرُ إِلَى خَدَمِ هِنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ وَصَوَاحِبِهَا مَشْمَرَاتِ هَوَارِبٍ، مَا دُونَ أَخْذِهِنَّ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ إِذْ مَالَتِ الرِّمَاءُ إِلَى الْعَسْكَرِ، حِينَ كَشَفْنَا الْقَوْمَ عَنْهُ وَخَلَّوْا ظَهْرَنَا لِلْخَيْلِ، فَأَتَيْنَا مِنْ خَلْفِنَا، وَصَرَخَ صَارِخٌ: أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ؛ فَاَنْكَفَأْنَا وَأَاْنكَفَأَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ بَعْدَ أَنْ أَصَبْنَا أَصْحَابَ اللَّوَاءِ حَتَّى مَا يَذْنُو مِنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ.

قال ابن هشام: الصارخ: أَرَبُ الْعَقْبَةِ، يَعْنِي الشَّيْطَانَ.

وَالْقَارَةُ. وَقَوْلُهُ: مُعْلَمَاتِ الْحَوَاجِبِ، يَعْنِي: بِالدَّمَاءِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ سَوَادَهَا مَا بَيْنَ أَغْيُنِهَا، كَمَا أَنْشَدَ سَيَبُوه [لِلْأَغْشَى]:

وَكَأَنَّهُ لَهَقُ السَّرَاةِ كَأَنَّهُ مَا حَاجِبِيهِ مُعَيَّنَ بِسَوَادِ

الصارخ يوم أحد

فصل: وذكر الصارخ يوم أُحُدٍ بِقَتْلِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَقَوْلُ ابْنِ هِشَامٍ: الصَارِخُ إِزْبُ الْعَقْبَةِ، هَكَذَا قِيدَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَسُكُونِ الزَّايِ، وَذَكَرْنَا فِي بَيْعَةِ

شجاعة صؤاب وشعر حسان في ذلك:

قال ابن إسحق: وحدثني بعض أهل العلم: أن اللّواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عُمرة بنت علقمة الحارثية، فرفعته لقريش، فلاثوا به. وكان اللّواء مع صؤاب، غلام لبني أبي طلحة، حبشي وكان آخر من أخذه منهم، فقاتل به حتى قُطعت يده، ثم برك عليه، فأخذ اللّواء بصدره وعُنقه حتى قُتل عليه، وهو يقول: اللهم هل أغزرت - يقول: أعذرت - فقال حسان بن ثابت في ذلك:

فَخَرْتُمْ بِاللَّوَاءِ وَشَرُّ فَخْرٍ	لَوَاءٌ حِينَ رُدَّ إِلَى صُؤَابٍ
جَعَلْتُمْ فَخْرَكُمْ فِيهِ بَعْبِدٍ	وَالْأُمُّ مَنْ يَطَا عَفَرَ التَّرَابِ
ظَنَنْتُمْ، وَالسَّفِيهِ لَهُ ظُنُونُ	وَمَا إِنْ ذَاكَ مِنْ أَمْرِ الصُّؤَابِ
بِأَنَّ جِلَادَنَا يَوْمَ التَّقِينَا	بِمَكَّةَ بَيْنَكُمْ حُمْرَ الْعِيَابِ ^(١)
أَقْرَ الْعَيْنِ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهُ	وَمَا إِنْ تُعْصَبَانِ عَلَى خِضَابِ

قال ابن هشام: آخرها بيتاً يروى لأبي خراش الهذلي، وأنشد فيه خلف الأحمر:

أَقْرَ الْعَيْنِ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهَا وَمَا إِنْ تُعْصَبَانِ عَلَى خِضَابِ

في أبيات له. يعني امرأته. في غير حديث أحد. وتروى الأبيات أيضاً لمَعْقِل بن خويلد الهذلي.

العقبة ما قاله ابن مأكولا في أم كُرز بنت الأزب بن عمرو بن بكيل، وأنه قال: لا يُعْرِفُ الأَزْبَ فِي الْعَرَبِ إِلَّا هَذَا، وَأَزْبُ الْعَقْبَةِ، وذكرنا حديث ابن الزبير الذي ذكره القُتَيْبِيُّ إِذْ رَأَى رَجُلًا طَوْلُهُ شَبْرَانِ عَلَى بَرْدَعَةٍ رَحْلِهِ، فَنَفَضَهَا مِنْهُ، ثُمَّ عَادَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا أَزْبٌ، قَالَ: وَمَا أَزْبٌ قَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْجَنِّ وَذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ، فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَزْبٌ مَعَ قَوْلِ يَغْقُوبَ فِي الْأَلْفَاظِ: الْإِزْبُ: الرَّجُلُ الْقَصِيرُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ هَلِ الْإِزْبُ: وَالْأَزْبُ شَيْطَانٌ وَاحِدٌ أَوْ اثْنَانِ، وَيُقَالُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي صَرَخَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ جَبَلُ عَيْنِينَ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَفَرَزْتَ يَوْمَ عَيْنَيْنِ، وَعَيْنَانِ أَيْضًا: بَلَدٌ عِنْدَ الْحِيرَةِ، وَبِهِ عُرِفَ خُلَيْدُ عَيْنَيْنِ الشَّاعِرُ.

(١) العياب: الثياب ملطخة بالدم.

شعر حسان في عمرة الحارثية:

قال ابن إسحق: وقال حسان بن ثابت في شأن عمرة بنت علقمة الحارثية ورفعها اللواء:

إذا عَضَلُ^(١) سَيَقَتْ إِلَيْنَا كَأَنهَا جَدَايَةَ شُرُكِ مُغْلَمَاتِ الْحَوَاجِبِ
أَقَمْنَا لَهُمْ طَعْنًا مُبِيرًا مَنَكْلًا وَحُزْنَاهُمْ بِالضَّرْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
فَلَوْلَا لَوَاءُ الْحَارِثِيَّةِ أَصْبَحُوا يُبَاعُونَ فِي الْأَسْوَاقِ بَيْعَ الْجَلَائِبِ
قال ابن هشام: وهذه الأبيات في أبيات له.

ما لقيه الرسول يوم أحد:

قال ابن إسحق: وانكشف المسلمون، فأصابَ فيهم العدو، وكان يومَ بلاء وتمحيص، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة، حتى خلص العدو إلى رسول الله ﷺ. فذُت بالحجارة حتى وقع لِسْقُهُ، فأصابت رِبَاعِيَّتُهُ، وشُجَّ في وجهه، وكُلِّمَتْ شَفَتُهُ، وكان الذي أصابه عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ.

قال ابن إسحق: فحدثني حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال:

كُسِرَتْ رِبَاعِيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ يومَ أحدٍ، وشُجَّ في وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم وهو يقول: كيف يُفْلَحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ، وهو يدعوهم إلى ربهم! فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٢).

حال من رموا النبي:

فصل: وذكر ابن قميَّة، واسمُه عبدُ الله، وهو الذي قتل مُضْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ، وجَرَحَ وَجْهَ رسولِ الله - ﷺ - وعُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ أَخُو سَعْدٍ، هو الذي كَسَرَ رِبَاعِيَّتَهُ - عليه السلام - ثم لم يولد من نَسْلِهِ وَلَدٌ، فَبَلَغَ الْحُلُمَ إِلَّا وهو أَبْحُرُ أَوْ أَهْتَمُّ يُعْرِفُ ذَلِكَ فِي عَقِبِهِ.

وممن رماه يومئذ عبدُ الله بن شِهَابٍ جَدُّ شَيْخِ مَالِكٍ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ بن عبدِ الله بن شِهَابٍ، وقد قيل لابن شِهَابٍ: أَكَانَ جَدُّكَ عبدُ الله بن شِهَابٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا؟ قال: نعم،

(٢) سورة آل عمران آية رقم (١٢٨).

(١) عضل: رجال دهاء.

قال ابن هشام: وذكر رُبَيْح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخُدْرِي عن أبيه، عن أبي سعيد الخُدْرِي: أن عُتْبَةَ بن أبي وقَّاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ، فَكَسَرَ رَبَاعِيَتَهُ اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجَّه في جَنْهَتِهِ، وأن ابن قَمِيَّة جرح وَجْنَتَهُ فدخلت حَلَقَتَانِ من حَلَقِ المَغْفَرِ في وَجْنَتِهِ، ووقع رسول الله ﷺ في حُفْرَةٍ من الحُفَرِ التي عمل أبو عامر ليقع فيها المُسْلِمُونَ، وهم لا يعلمون؛ فأخذ علي بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ، ورَفَعَهُ طَلْحَةُ بن عُبَيْدِ اللهِ حتى استَوَى قائمًا، ومَصَّ مالِك بن سِنَانٍ، أبو أبي سعيد الخُدْرِي، الدَّم: عن وجه رسول الله ﷺ، ثم ازدرده؛ فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَسَّ دَمِي دَمَهُ لَمْ تُصِبْهُ النَّارُ».

ولكن من ذلك الجانب يعني مع الكُفَّار، وعَبْدُ اللهِ هذا هو عَبْدُ اللهِ الأصغر، وأما عبد الله بن شَهَابٍ، وهو عبد الله الأكبر، فهو من مُهَاجِرَةِ الحَبَشَةِ، تُؤْفَى بِمَكَّةَ قبل الهجرة، وقد اختلف فيهما أيهما كان المهاجرُ إلى أرضِ الحَبَشَةِ، فقليل: الأكبر، وقيل: الأصغر، وكان أحدهما جَدُّ الزُّهْرِيِّ لأبيه، والآخرُ لأمِّه، وقد أسلم الذي شَهِدَ أَحَدًا مع الكُفَّار، وَجَرَحَ رسول الله - ﷺ - فالله ينفعه بإسلامه.

أسماء أجزاء الليل:

وذكر مالِك بن سِنَانٍ والدَ أبي سعيد الخُدْرِي مِنْ بَنِي خُذْرَةَ، وهو الحَارِثُ بن الخَزْرَجِ، والخُذْرَةُ في اللغة: نحو من خُمُسِ اللَّيْلِ، وبعده الِیَغْفُورُ، وهو خُمُسُ آخر من الليل، وبعده الجَهْمَةُ والسُّدُقَةُ، والذي قبل الخُذْرَةَ يقال له: الهَزِيعُ، كل هذا من كتابِ كُرَاعٍ.

عن الدم والبول:

وذكر أن ابن مالِك سِنَانٍ مَصَّ دَمَ رسول الله - ﷺ - وازْدَرَدَهُ، وقد فعل مثل ذلك ابنُ الزُّبَيْرِ، وهو غُلَامٌ خَزَوْرٌ حين أعطاه رسول الله - ﷺ - دَمَ مَحَاجِمِهِ لِيَذْفِنَهُ فَشَرَبَهُ، فقال له النبي ﷺ - كما قال لمالك حين اَزْدَرَدَ دَمَ جُرْحِهِ: «مَنْ مَسَّ دَمُهُ دَمِي، لَمْ تُصِبْهُ النَّارُ»^(١). لكنه قال لابن الزُّبَيْرِ: وَنِلْ لَكَ مِنَ النَّاسِ وَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ. ذكره الدَّارَقُطْنِي في السَّنَنِ، وفي هذا من الفِقْهِ أن دَمَ رسول الله - ﷺ - يَخَالِفُ دَمَ غَيْرِهِ في التَّحْرِيمِ وكذاكَ بَوْلُهُ قد شَرِبَتْهُ أُمَّ أَيْمَنَ حين وجدته في إِنْاءٍ من عِيدَانٍ تحت سَرِيرِهِ، فلم يُنْكِرْ ذلك عليها، وذلك والله أعلم للمعنى الذي بَيَّنَّاهُ في حديث نزول المَلَكَيْنِ عليه حين غَسَلَ جَوْفَهُ بِالثَّلْجِ في

(١) أخرجه ابن عساكر في تهذيبه (١١٢/٦).

قال ابن هشام: وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردي: أن النبي ﷺ قال: «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»^(١).

وذكر، يعني عبد العزيز الدراوردي، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن عيسى بن طلحة، عن عائشة، عن أبي بكر الصديق: أن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ، فسقطت ثنيته، ثم نزع الأخرى، فسقطت ثنيته الأخرى، فكان ساقط الثنيتين.

شعر حسان في عتبة وما أصاب به الرسول:

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت لعتبة بن أبي وقاص:

إذا الله جازى مغشراً بفعالهم	وضرهم الرحمن رب المشارق
فأخزأك ربي يا عتيب بن مالك	ولقاك قبل الموت إحدى الصواعق
بسطت يميناً للنبي تعمداً	فأذميت فاه، قطعت بالبوارق
فهلاً ذكرت الله والمنزل الذي	تصير إليه عند إحدى البوائق

قال ابن هشام: تركنا منها بيتين أقذع فيهما.

ابن السكن وبلاؤه يوم أحد:

قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ، حين غشيه القوم: «من رجل يشري لنا نفسه؟ كما حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن محمود بن عمرو، قال: فقام زياد بن السكن في نفر خمسة من الأنصار - وبعض الناس يقول: إنما هو عمار بن يزيد بن السكن - فقاتلوا دون رسول الله ﷺ، رجلاً ثم رجلاً، يقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد أو عمار، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت فئة من المسلمين، فأجهضوهم عنه، فقال رسول الله ﷺ: «أذنوه مني»، فأذنوه منه، فوسده قدمه، فمات وخذه على قدم رسول الله ﷺ.

طست الذهب، فصار بذلك من المتطهرين، وبيننا أيضاً هنالك أنه من المتطهرين كأمنه لتطهره من الأحداث، والحمد لله، إلا أن أبا عمر النمرى ذكر في الاستيعاب أن رجلاً من الصحابة اسمه: سالم حَجَم رسول الله - ﷺ - ثم اذرد دمه، فقال له رسول الله ﷺ: «أما علمت أن

(١) أخرجه الطبراني (٧٦/١) وابن أبي عاصم (٦١٤/٢) وابن عساكر (٨/٧).

حديث أم سعد عن نصيبها في الجهاد يوم أحد:

قال ابن هشام: وقاتلت أم عُمارة، نُسبية بنت كعب المازنية يوم أحد.

فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري: أن أم سعد بنت سَعْد بن الرَّبيع كانت تقول: دخلتُ على أم عُمارة، فقلت لها: يا خالة، أخبريني خَبْرَكَ، فقالت: خرجتُ أوّل النهار وأنا أنظرُ ما يَصْنَعُ الناس، ومعي سِقَاء فيه ماء، فانتَهيتُ إلى رسول الله ﷺ، وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين. فلما انهزم المسلمون، انحزْتُ إلى رسول الله ﷺ، ففُتتُ أباشِر القتال، وأدبَ عنه بالسيف، وأزْمِي عن القَوْس، حتى خَلَصْتُ الجراحُ إليّ. قالت: فرأيتُ على عاتقها جُرْحًا أَجَوَفَ له غُور، فقلت: من أصابك بهذا؟ قالت: ابن قَمِيَّة، أقماه الله! لما وَلَّى الناسُ عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دَلُونِي على محمد، فلا نَجَوْتُ إن نجا، فاعترضْتُ له أنا ومُضْعَبُ بن عُمَيْر، وأناسٌ مِمَّنْ ثَبَتَ مع رسول الله ﷺ، فضربني هذه الضربة، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدوّ الله كان عليه دِرْعَان.

أبو دجانة وابن أبي وقاص يدفعان عن الرسول:

قال ابن إسحاق: وتَرَسَ دون رسول الله ﷺ أبو دُجَانَة بنفسه، يقع النبلُ في ظهره، وهو مُنْحَنٍ عليه، حتى كُثِرَ فيه النبلُ. ورمى سعدُ بن أبي وقاصٍ دون رسول الله ﷺ. قال سعد: فلقد رأيته يُناولني النبل وهو يقول: ارم، فذاك أبي وأمي، حتى إنه ليناولني السَّهم ما له نَضْل. فيقول: ارم به.

بلاء قتادة وحديث عينه:

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصمُ بن عمر بن قتادة أن رسول الله ﷺ رَمَى عن قَوْسِهِ حتى اندَقَّتْ سِيَّتُهَا، فأخذها قَتَادَةُ بن النُّعْمَانِ، فكانت عنده، وأُصِيبَتْ يومئذ عَيْنُ قَتَادَةَ بن النُّعْمَانِ، حتى وَقَعَتْ على وَجْته.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عُمَرَ بن قَتَادَةَ: أن رسول الله ﷺ رَدَّهَا بيده، فكانت أَحْسَنَ عَيْنِهِ وأَحَدَهُمَا.

الدَّم كُلُّهُ حَرَامٌ؟» غير أنه حديث لا يُعْرَفُ له إِسْنَادٌ والله أعلم وحديث ابن الزُّبَيْر الذي تقدم ذكره روي الزُّبَيْر بن أبي بَكْرٍ ما يَشُدُّهُ وَيُتَمِّمُ معناه. قال في حديث أسنده: لما وُلِدَ عَبْدُ اللَّهِ بن الزُّبَيْرِ نظر إليه رسول الله ﷺ، فقال: هو هو، فلما سمعت بذلك أسماءُ أمُّه،

شأن أنس بن النضر:

قال ابن إسحاق: وحدثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار، قال: انتهى أنس بن النضر، عم أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتل رسول الله ﷺ، قال: فماذا تُصنعون بالحياة بعده؟ (قوموا) فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ، ثم استقبل القوم، فقاتل حتى قُتل، وبه سمي أنس بن مالك.

قال ابن إسحاق: فحدثني حميد الطويل، عن أنس بن مالك، قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة، فما عرفه إلا أخته، عرفته بيناته.

ما أصاب ابن عوف من الجراحات:

قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم: أن عبد الرحمن بن عوف أصيب فوه يومئذ فهُتَم، وجُرح عشرين جراحة أو أكثر، أصابه بعضها في رجله فَعَرَج.

أول من عرف الرسول بعد الهزيمة:

قال ابن إسحاق: وكان أول من عرف رسول الله ﷺ بعد الهزيمة، وقول الناس: قُتل رسول الله ﷺ، كما ذكر لي ابن شهاب الزهري كعب بن مالك، قال: عرفت عينيه تزهزان من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، أبشروا، هذا رسول الله ﷺ، فأشار إلي رسول الله ﷺ: «أن أنصت».

قال ابن إسحاق: فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به، ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، رضوان الله عليهم، والحارث بن الصمة، ورهط من المسلمين.

أمسكت عن إرضاعه، فقال لها - عليه السلام: أَرْضِعِيهِ، ولو بماء عينيك، كَبَشُ بين ذئابٍ، وذئابٌ عليها ثيابٌ لَيَمْنَعَنَّ البيتَ، أو لَيَقْتَلَنَّ دونه^(١).

(١) انظر جامع المسانيد (٢/٨٠٩).

قتل الرسول لأبي بن خلف

(قال): فلما أُسِنِدَ رسولُ الله ﷺ في الشَّعْبِ أدركه أُبَيُّ بْنُ خَلْفٍ وهو يقول: أيُّ محمد، لا نَجَوْتُ إِنْ نَجَوْتُ، فقال القوم: يا رسول الله، أَيْغِطِفُ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَّا؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «دَعُوهُ»؛ فلَمَّا دَنَا، تناول رسولُ الله ﷺ الحَرْبَةَ مِنَ الْحَارِثِ بْنِ الصُّمَّةِ يقول بعضُ القوم، فيما ذُكِرَ لي: فلما أخذها رسولُ الله ﷺ منه انتَفَضَ بها انتِفَاضَةً، تَطَايَرْنَا عَنْهُ، تَطَايَرُ الشَّعْرَاءِ عَنْ ظَهْرِ الْبَعِيرِ إِذَا انتَفَضَ بِهَا - قال ابن هشام: الشعراء: ذباب له لدغ - ثم استقبله فطَعَنَهُ فِي عُنُقِهِ طَعْنَةً تَدَادَأُ مِنْهَا عَنْ فَرَسِهِ مَرَارًا.

قتل الرسول لأبي بن خلف^(١)

فصل: وذكر قتل رسول الله ﷺ لأبي، وفيه: تَطَايَرْنَا عَنْهُ تَطَايَرُ الشَّعْرَاءِ عَنْ ظَهْرِ الْبَعِيرِ. الشَّعْرَاءُ: ذُبَابٌ صَغِيرٌ لَهُ لَدَغٌ، تقول العربُ في أمثالها: قِيلَ لِلذُّبِّ: مَا تقول في غَنِيمَةٍ تَحْرُسُهَا جُؤَيْرِيَّةٌ؟ قال: شُحِيمَةٌ فِي حَلْقِي، قيل: فما تقول في غَنِيمَةٍ يحسرها غُلَيْمٌ؟ قال: شَعْرَاءٌ فِي إِبْطِي أَخْشَى خَطَوَاتِهِ الْخَطَوَاتِ: سِهَامٌ مِنْ قُضْبَانٍ لَيِّنَةٍ يتعلم بها الغِلْمَانُ الرَّمْيَ وهي الْجُمَّاحُ أيضًا قال الشاعر:

أَصَابَتْ حَبَّةَ الْقَلْبِ بِسَهْمٍ غَيْرِ جُمَّاحٍ

من كتاب أبي حنيفة، ورواه القُتَيْبِيُّ: تَطَايَرُ الشُّعْرِ، وقال: هي جَمْعُ شَعْرَاءٍ، وهي ذُبَابٌ أَصْغَرُ مِنَ الْقَمْعِ^(٢)، وفي الحديث من غير رواية ابن إسحاق فَرَجَلَهُ بِالْحَرْبَةِ، أي رَمَاهُ بِهَا.

(١) انظر الخبر في البداية (٣٣/٤) والطبري في تاريخه (٦٧/٢) ط. دار الكتب العلمية. وكلاهما مرسل.

(٢) القمع: جمع قمعة. ضرب من الذباب الصغير.

قال ابن هشام: تدأداً، يقول: تَقَلَّبَ عن فَرَسِهِ، فجعلَ يَتَدَخَّرُجُ.

قال ابن اسحق: وكان أبي بن خلف، كما حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، يَلْقَى رسولَ الله ﷺ بمكة، فيقول: يا محمد إن عندي العوذَ، فَرَسًا أغلفه كلَّ يومَ فَرَقًا من ذرة، أقتلك عليه؛ فيقول رسولُ الله ﷺ: «بل أنا أقتلك إن شاء الله». فلما رجع إلى قُريش وقد خَدَشَهُ في عُنُقِهِ خَدَشًا غيرَ كبير، فاخْتَقَنَ الدَّمَ، فقال: قَتَلَنِي والله محمد! قالوا له: ذهب والله فؤادك! والله إن بك من بأس؛ قال: إنه قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بَصَقَ عليّ لَقَتَلَنِي. فمات عدوُّ الله بِسَرَفٍ وهم قافلون به إلى مكة.

شعر حسان في مقتل أبي بن خلف:

قال ابن إسحق: فقال حسان بن ثابت في ذلك:

لَقَدْ وَرِثَ الضَّلَالَةَ عَنْ أَبِيهِ	أَبِي يَوْمَ بَارَزَهُ الرَّسُولُ
أَتَيْتَ إِلَيْهِ تَحْمِلَ رِمَّ عَظْمٍ ^(١)	وَتُوعِدُهُ وَأَنْتَ بِهِ جَهُولُ
وَقَدْ قَتَلْتَ بَنُو النَّجَّارِ مِنْكُمْ	أُمِّيَّةً إِذْ يَغْوُثُ: يَا عَقِيلُ
وَتَبَّ ابْنَا رَبِيعَةَ إِذْ أَطَاعَا	أَبَا جَهْلٍ، لِأُمَّهُمَا الْهُبُولُ ^(٢)
وَأَفْلَتَ حَارِثٌ لَمَّا شَغَلْنَا	بِأَسْرِ الْقَوْمِ، أَسْرَتَهُ فَلِيلُ

قال ابن هشام: أسرته: قبيلته.

وقال حسان بن ثابت أيضًا في ذلك:

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي أَبِيًّا	لَقَدْ أَلْقَيْتَ فِي سُحْقِ السَّعِيرِ
تَمْنِي بِالضَّلَالَةِ مِنْ بَعِيدٍ	وَتُقْسِمُ إِنْ قَدَرْتَ مَعَ النُّذُورِ
تَمْنِيكَ الْأَمَانِي مِنْ بَعِيدٍ	وَقَوْلُ الْكُفْرِ يَرْجِعُ فِي غُرُورِ
فَقَدْ لَاقَتْكَ طَعْنَةُ ذِي حِفَاظٍ	كَرِيمِ الْبَيْتِ لَيْسَ بِذِي فُجُورِ
لَهُ فَضْلٌ عَلَى الْأَخْيَاءِ طُرًّا ^(٣)	إِذَا نَابَتْ مُلِمَّاتُ الْأُمُورِ

(٢) الهبول: الثكلى.

(١) رِمَّ عظم: أي عظم بالي.

(٣) طُرًّا: جمعًا.

انتهاء الرسول إلى الشعب:

(قال): فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى فَمِ الشَّعْبِ خَرَجَ عَلَيَّ بن أبي طالب، حتى ملأ دوقته ماءً من المِهْرَاسِ، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه، فوجدته له ريحاً، فعافه، فلم يشرب منه، وغسل عن وجهه الدم، وصب على رأسه وهو يقول: اشتدَّ غَضَبُ الله على من دَمَى وجه نبيه^(١).

حرص ابن أبي وقاص على قتل عتبة:

قال ابن إسحاق: فحدثني صالح بن كيسان عَمَّنْ حَدَّثَهُ^(٢) عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يقول: والله ما حرصت على قتل رجل قط كحرصني على قتل عتبة بن أبي وقاص، وإن كان ما علمتُ لسيئء الخلق مَبْغُضًا في قومه، ولقد كفاني منه قول رسول الله ﷺ: «اشتدَّ غضبُ الله على من دَمَى وجه رسوله».

حول عين قتادة:

وذكر قتادة بن النعمان بن زيد، وهو أخو أبي سعيد الخدري لأمه، وهو الرجل الذي سمعه رسول الله ﷺ - يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، يردُّها، فقال: وَجِبْتُ، وحديثه في الموطأ، وذكر أن عينه أصيبت يوم أُحُدٍ. روي عن جابر بن عبد الله، قال: أصيبت عين رجلٍ منّا يوم أُحُدٍ، وهو قتادة بن النعمان، حتى وقعت على وجنته، فأتينا به رسول الله ﷺ - فقال: إن لي امرأة أحبُّها، وأخشى إن رأيتني أن تقذرنني، فأخذها رسول الله ﷺ - بيده وردّها إلى موضعها، وقال: «اللَّهُمَّ اكْسِبْهُ جَمَالًا، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ، وَأَحَدَهُمَا نَظْرًا، وَكَانَتْ لَا تَرْمَدُ إِذَا رَمِدَتِ الْآخَرَى»^(٣)، وقد وفد على عُمر بن عبد العزيز - رحمه الله - رجلٌ من ذُرِّيَّتِهِ، فسأله عمر من أنت؟ فقال:

أنا ابنُ الذي سألت على الخدِّ عينه
فعدت كما كانت لأوّل أمرها
فقال عُمرُ بنُ عبد العزيز رضي الله عنه:

تلك المكارم لا قعبان^(٤) من لبنٍ
شيباً بماءٍ فعاداً بغد أبوالاً

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٦٧/٢) وابن حبان (٢٢١٢) والبيهقي في الدلائل (٢٦٥/٣) والطبراني (٣٦٦/١) وأحمد (٢٨٨/١).

(٢) مجهول. (٣) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢٥٢/٣).

(٤) قعبان: القعب القدح الضخم.

صعود قريش الجبل وقتال عمر لهم:

قال ابن إسحاق: فبينما رسول الله ﷺ بالشعب، معه أولئك النفر من أصحابه، إذ عُلّت عالية من قريش الجبل.

قال ابن هشام: كان على تلك الخيل خالد بن الوليد.

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يغلونا!»^(١) فقاتل عمر بن الخطاب ورهطاً معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل.

ضعف الرسول عن النهوض ومعاونة طلحة له:

قال ابن إسحاق: ونهض رسول الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها، وقد كان بَدَن^(٢) رسول الله ﷺ، وظاهر بين دِرعين، فلما ذهب لينهض ﷺ لم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله، فنهض به، حتى استوى عليها. فقال رسول الله ﷺ، كما حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، عن الزبير، قال: سمعت رسول الله ﷺ يومئذ يقول: «أوجب طلحة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع»^(٣).

قال ابن هشام: وبلغني عن عكرمة عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ لم يبلغ الدرجة المبنية في الشعب.

صلاة الرسول قاعداً:

قال ابن هشام: وذكر عمر مولى غفرة: أن النبي ﷺ صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته، وصلى المسلمون خلفه قعوداً.

فَوَصَلَهُ عُمَرُ، وَأَحْسَنَ جَائِزَتَهُ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَيْنَيْهِ جَمِيعًا سَقَطَتَا، فَرَدَّهُمَا النَّبِيُّ - ﷺ - .
رواه محمد بن أبي عثمان [أبو مَرْوَانَ الْأَمْوِيُّ] عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي صَغَصَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ أَخِيهِ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَ: أُصِيبَتْ عَيْنَايَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَسَقَطَتَا عَلَى وَجْهَتَيَّ، فَأَتَيْتُ بِهِمَا النَّبِيَّ - ﷺ - فَأَعَادَهُمَا النَّبِيُّ - ﷺ - مَكَانَهُمَا، وَبَصَقَ فِيهِمَا

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٩٠/٤) والبيهقي في الدلائل (٢٣٨/٣).

(٢) بَدَن: أي كبر سنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٨٣٨) وأحمد (١٦٥/١) والحاكم (٢٥/٣) والبيهقي في الدلائل (٢٣٨/٣) وابن حبان (٢٢/٢ - موارد) وابن سعد (١٥٥/١/٣) وابن أبي عاصم (٦١٢/٢).

مقتل اليمان وابن وقش :

قال ابن إسحاق: وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضهم إلى المنقى، دون الأغوص.

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد، رفع حَسِيل بن جابر وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان، وثابت بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه، وهما شَيْخَان كَبِيرَان: لا أَبَالِكَ، ما تَنْتَظِر؟ فوالله لا بَقِيَ لواحد مَنَّا من عمره إلا ظِمء حِمَار، إنما نحن هامة اليوم أو غد، أفلا نأخذ أسيافنا، ثم نلحق برسول الله ﷺ، لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله ﷺ؟ فأخذَا أسيافهما ثم خرجا، حتى دخلا في الناس، ولم يُعلم بهما، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حَسِيل بن جابر فاختلفت عليه أسياف المسلمين،

فعادتا تبرقان. قال الدارقطني: هذا الحديث غريب عن مالك، تفرد به عَمَّارُ بن نَضْر، وهو ثقة ورواه الدارقطني عن إبراهيم الحزبي عن عَمَّار بن نَضْر [السَّغْدِي أبو ياسر المَرْوزِي].

حول نسب حذيفة اليماني:

فصل: وذكر ثابت بن وقش، والوقش: الحركة، وحَسِيل بن جابر والد حذيفة بن اليمان، وسُمِّي حَسِيل بن جابر اليماني، لأنه من ولد جزوة بن مازن بن قُطَيْعَة بن عَبْس [ابن بغض] وكان جزوة قد بعد عن أهله في اليمَن زَمَنًا طويلًا، ثم رجع إليهم فسمَّوه اليماني، وحذيفة بن اليمان يُكنى أبا عبد الله حليف بني عبد الأشهل أمه الرَّبَابُ بنتُ كَعْبٍ. قال ابن إسحاق: فاختلفت عليه: يعني اليماني أسياف المسلمين. وفي تفسير ابن عباس: إن الذي قتله منهم خطأ هو عُتْبَة بن مَسْعُودٍ أخو عبد الله بن مَسْعُودٍ، وجدُّ عُبَيْدِ الله بن عبد الله بن عُتْبَة بن مَسْعُودٍ الفقيه، ذكره عبد بن حميد في التفسير، وعُتْبَة هو أول من سَمَّى الْمُضَحَفَ مُضَحَفًا، فيما روى ابن وهب في الجامع.

الهامة والظمء:

وقول ثابت بن وقش وحَسِيل: إنما نحن هامة اليوم أو غد، يريد: الموت، وكان من مذهب العرب في الميت أن رُوحَه تصير هامة، ولذلك قال الآخر:

وكيف حَيَاة أضدَاء وهام

وقوله: لم يَبْقَ من عُمرِنَا إلا ظِمء حِمَارٍ. إنما قال ذلك، لأن الحمار أقصر الدواب ظِمئًا، والإبل أطولها أظِمَاءً.

فَقَتَلُوهُ وَلَا يَعْرِفُونَهُ، فَقَالَ حُذِيفَةُ: أَبِي، فَقَالُوا: وَاللَّهِ إِنَّ عَرَفْنَاهُ، وَصَدَقُوا. قَالَ حُذِيفَةُ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَزْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدِيَهُ؛ فَتَصَدَّقَ حُذِيفَةُ بِدِيَّتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ فَزَادَهُ ذَلِكَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَيْرًا.

مقتل حاطب ومقالة أبيه:

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أن رجلاً منهم كان يُدعى حاطب بن أمية بن رافع، وكان له ابنٌ يقال له: يزيد بن حاطب، أصابته جراحةٌ يوم أحد، فَأَتِي بِهِ إِلَى دَارِ قَوْمِهِ وَهُوَ بِالْمَوْتِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلُ الدَّارِ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَقُولُونَ لَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ: أَبْشُرْ يَا ابْنَ حَاطِبٍ بِالْجَنَّةِ؛ قَالَ: وَكَانَ حَاطِبٌ شَيْخًا قَدْ عَسَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَجَعَلَ يَوْمُئِذٍ نِفَاقُهُ، فَقَالَ: بِأَيِّ شَيْءٍ تَبْشُرُونَهُ؟ بِجَنَّةٍ مِنْ حَرْمَلٍ! غَرَرْتُمْ وَاللَّهِ هَذَا الْغَلَامُ مِنْ نَفْسِهِ.

مقتل قزمان منافقًا كما حدث الرسول بذلك:

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال: كان فينا رجلٌ أَتَيْ لَّا يُدْرَى مِمَّنْ هُوَ، يُقَالُ لَهُ: قُزْمَانٌ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، إِذَا ذُكِرَ لَهُ: إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أَحَدٍ قَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا، فَقَتَلَ وَحْدَهُ ثَمَانِيَةَ أَوْ سَبْعَةَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ ذَا بَأْسٍ، فَأَثْبَتَهُ الْجِرَاحَةُ، فَاحْتُمِلَ إِلَى دَارِ بَنِي ظَفَرٍ، قَالَ: فَجَعَلَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَ لَهُ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَبْلَيْتَ الْيَوْمَ يَا قُزْمَانُ، فَأَبْشُرْ، قَالَ: بِمَاذَا أَبْشُرُ؟ فَوَاللَّهِ إِنْ قَاتَلْتُ إِلَّا عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِي، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا قَاتَلْتُ. قَالَ: فَلَمَّا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ جِرَاحَتُهُ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، فَقَتَلَ بِهِ نَفْسَهُ.

حول بعض رجال أحد:

وذكر قُزْمَانٌ، وَهُوَ اسْمٌ مَأْخُوذٌ مِنَ الْقَزَمِ، وَهُوَ رُدَّالُ الْمَالِ، وَيُقَالُ: الْقُزْمَانُ: الرَّدِيءُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

وذكر الْأَصْنِيرَمَ، وَهُوَ عَمْرُو بْنُ ثَابِتٍ بْنِ وَقْشٍ، وَيُقَالُ فِيهِ: وَقْشٌ بِتَحْرِيكِ الْقَافِ.
وقول حاطب المُنَافِقِ: الْجَنَّةُ مِنْ حَرْمَلٍ، يَرِيدُ الْأَرْضَ الَّتِي دُفِنَ فِيهَا، وَكَانَتْ تُنْبِتُ الْحَرْمَلَ^(١) أَي: لَيْسَ لَهُ جَنَّةٌ إِلَّا ذَاكَ.

(١) الحرمل: ضرب من النبات.

قتل مخيريق:

قال ابن إسحاق: وكان ممن قُتل يوم أُحد مُخِيرِيق، وكان أحد بني ثعلبة بن الفطيون، قال: لما كان يوم أحد، قال: يا مَعْشَرَ يَهُودَ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لَحَقٌّ، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سَبْتُ لكم.

فأخذ سيفه وعُدَّتْه، وقال: إن أُصِبتُ فَمَالِي لمحمد يَضَعُ فيه ما شاء، ثم غدا إلى رسول الله ﷺ، فقاتل معه حتى قُتل؛ فقال رسول الله ﷺ - فيما بلغنا -: «مُخِيرِيق خير يهود».

أمر الحارث بن سويد:

قال ابن إسحاق: وكان الحارث بن سويد بن صامت مُنافِقًا، فخرج يوم أحد مع المسلمين، فلما التقى الناس، عدا على المُجَذَّر بن زياد البلوي، وقيس بن زيد، أحد بني ضبيعة، فقتلها، ثم لحق بمكة بقریش؛ وكان رسول الله ﷺ - فيما يذكرون - قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به، ففاته، فكان بمكة؛ ثم بعث إلى أخيه الجلاس بن سويد يطلب التوبة، ليرجع إلى قومه. فأنزل الله تعالى فيه، فيما بلغني؛ عن ابن عباس: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١) إلى آخر القصة.

تحقيق ابن هشام فيمن قتل المجذر:

قال ابن هشام: حدَّثني مَنْ أثق به من أهل العلم^(٢): أن الحارث بن سويد قتل المُجَذَّر بن زياد، ولم يقتل قيس بن زيد، والدليل على ذلك: أن ابن إسحاق لم يذكره في قَتْلَى أحد؛ وإنما قتل المُجَذَّر لأن المُجَذَّر بن زياد كان قتل أباه سويدًا في بعض الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب.

فبينما رسول الله ﷺ، في نفر من أصحابه، إذ خرج الحارث بن سويد من بعض حواط المدينة، وعليه ثوبان مُضَرَّجان، فأمر به رسول الله ﷺ عثمان بن عفان، فضرب عنقه، ويقال: بعض الأنصار.

(٢) مجهول.

(١) سورة آل عمران آية رقم (٨٦).

قال ابن إسحاق: قتل سويد بن الصّامت معاذ ابن عفراء غيلةً، في غير حرب رماه بسهم فقتله قبل يوم بُعث.

أمر أصيرم:

قال ابن إسحاق: وحدثني الحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سَعْد بن معاذ عن أبي سُفيان، مولى ابن أبي أحمد، عن أبي هُرَيْرَةَ قال: كان يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يُصل قط، فإذا لم يعرفه الناس سألوه: من هو؟ فيقول: أصيرم، بني عبد الأشهل، عمرو بن ثابت بن وقش. قال الحُصَيْن: فقلت لمحمود بن أسد: كيف كان شأن الأصيرم؟ قال: كان يابى الإسلام على قومه. فلما كان يوم خرج رسول الله ﷺ إلى أحد، بدا له في الإسلام فأسلم، ثم أخذ سيفه، فعدا حتى دخل في عرض الناس، فقاتل حتى أثبتته الجراحة. قال: فبينما رجال من بني عبد الأشهل يَلْتَمِسُونَ قَتْلَهُمْ فِي المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا للأصيرم، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمُنْكَرٌ لِهَذَا الحديث، فسألوه ما جاء به، فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أَحَدَبٌ عَلَى قومك أم رَغْبَةٌ فِي الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمتُ، ثم أخذت سَيْفِي، فغَدَوْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثم قَاتَلْتُ حَتَّى أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم. فذكروه لرسول الله ﷺ، فقال: «إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

مقتل عمرو بن الجموح

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار، عن أشياخ من بني سلمة: أن عمرو بن الجَمُوح كان رجلاً أغرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأسد، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، فلما كان يوم أحد أرادوا حَبْسَهُ، وقالوا له: إن الله

ابن الجموح

فصل: وذكر خبر عمرو بن الجَمُوح حين أراد بنوه أن يمنعوه من الخروج إلى آخر القصة، وزاد غير ابن إسحاق أنه لما خَرَجَ قال: اللَّهُمَّ لَا تُرَدَّنِي، فاستشهد، فجعلوه بنوه على بَعِيرٍ، ليحملوه إلى المدينة، فاستَضَعَبَ عَلَيْهِمُ البَعِيرُ، فكان إذا وَجَّهوه إلى كُلِّ جِهَةٍ سارع إلا جِهَةَ المدينة، فكان يابى الرجوع إليها، فلما لم يقدرُوا عَلَيْهِ ذَكَرُوا قَوْلَهُ: اللَّهُمَّ لَا تُرَدَّنِي إِلَيْهَا، فدفنوه في مَضْرَعِهِ^(١).

(١) لا صحة لقصة البعير.

عَزَّ وَجَلَّ: قَدْ عَذَرَكَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنْ بَنِي يَرِيدُونَ أَنْ يَخْبِسُونِي عَنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَالْخُرُوجِ مَعَكَ فِيهِ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بَعْرَجَتِي هَذِهِ فِي الْجَنَّةِ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللَّهُ فَلَا جِهَادَ عَلَيْكَ، وَقَالَ لَبْنِيهِ: مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَمْنَعُوهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ، فَخَرَجَ مَعَهُ فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ».

هند وتمثيلها بحمزة:

قال ابن إسحاق: ووقعت هند بنت عتبة، كما حدثني صالح بن كيسان، والنسوة اللاتي معها، يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ، يجذعن الأذان والأنف، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وأنفهم خدماً وقلائد، وأعطت خدماً وقلائدها وقرطتها وخشياً، غلام جبير بن مطعم، وبقرت عن كبد حمزة، فلاكتها، فلم تستطع أن تُسيغها، فلَفَظَتِها، ثم عَلَت على صخرة مشرفة، فَصَرَخَتْ بأعلى صوتها فقالت:

نَحْنُ جَزَيْنَاكُمْ بِيَوْمِ بَذَرٍ	وَالْحَرْبُ بَعْدَ الْحَرْبِ ذَاتُ سُغَرٍ
مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرٍ	وَلَا أَخِي وَعَمِّهِ وَبَكْرِي
شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَضَيْتُ نَذْرِي	شَفَيْتُ وَخَشِي غَلِيلَ صَدْرِي
فَشُكِرَ وَخَشِي عَلَيَّ عُمْرِي	حَتَّى تَرَمَّ أَعْظَمِي فِي قَبْرِي

شعر هند بنت أثاثة في الرد على هند بنت عتبة:

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عَبَّاد بن الْمُطَّلِب، فقالت:

خَزِيَّتٍ فِي بَدْرٍ وَبَعْدَ بَذَرٍ	يَا بِنْتَ وَقَاعٍ عَظِيمِ الْكُفْرِ
صَبَّحَكَ اللَّهُ غَدَاةَ الْفَجْرِ	مِلْهَا شِمَائِينَ الطُّوَالِ الزُّهْرِ

حكم (من) والساكن بعدها:

فصل: وقول هند بنت أثاثة:

مِلْ هَاشِمِيَّيْنِ الطُّوَالِ الزُّهْرِ

يَحذفُ الثُّونُ مِنْ حَرْفٍ مِنْ لِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ إِلَّا فِي مَنْ وَخِذَهَا لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهَا، كَمَا خُصِّتْ ثُونُهَا بِالْفَتْحِ إِذَا التَقَتْ مَعَ لَامِ التَّعْرِيفِ، وَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي ثُونِ سَاكِنَةٍ غَيْرِهَا، كَرَهُوا تَوَالِي الْكَسْرَتَيْنِ مَعَ تَوَالِي الاسْتِعْمَالِ، فَإِنْ التَقَتْ مَعَ سَاكِنٍ غَيْرِ لَامِ التَّعْرِيفِ نَحْوَ مِنْ ابْنِكَ، وَمِنْ اسْمِكَ، كَسَرَتْ عَلَى الْأَصْلِ، وَالْقِيَاسُ الْمُسْتَبَبُّ. قَالَ سَيِّوْنَةُ: وَقَدْ فَتَحَهَا قَوْمٌ فَصَحَاءُ يَعْنِي مَعَ غَيْرِ لَامِ التَّعْرِيفِ.

بِكَلِّ قُطَّاعِ حُسَامٍ يَفْرِي حَمْزَةُ لَيْثِي وَعَلِيٍّ صَقْرِي
إِذَا رَامَ شَيْبٌ وَأَبُوكَ غَذْرِي فَخَضْبًا مِنْهُ ضَوَاحِي النَّخْرِ
وَنَذْرُكَ السُّوءِ فَشَرَّ نَذْرِ

قال ابن هشام: تركنا منها ثلاثة أبيات أقذعت فيها.

شعر لهند بنت عتبة أيضًا:

قال ابن إسحاق: وقالت هند بنت عتبة أيضًا:

شَفِيتُ مِنْ حَمْزَةِ نَفْسِي بِأَحَدٍ حَتَّى بَقَرْتُ بَطْنَهُ عَنِ الْكَيْدِ
أَذْهَبَ عَنِّي ذَاكَ مَا كُنْتُ أَجِدُ مِنْ لَذَّةِ الْحُزْنِ الشَّدِيدِ الْمُعْتَمِدِ
وَالْحَرْبِ تَغْلُوكُمْ بِشُؤْبُوبِ بَرْدٍ تُقَدِّمُ إِقْدَامًا عَلَيْكُمْ كَالْأَسَدِ

تحريض عمر لحسان على هجو هند بنت عتبة:

قال ابن إسحاق: فحدثني صالح بن كيسان أنه حدث: أن عمر بن الخطاب قال لحسان بن ثابت: يا ابن الفريعة - قال ابن هشام: الفريعة بنت خالد بن خنيس، ويقال: خنيس: بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج - لو سمعت ما تقول هند، وأريت أشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا، وتذكر ما صنعت بحمزة؟ قال له حسان: والله إني لأنظر إلى الحزبة تهوي وأنا على رأس فارع - يعني أطمه - فقلت: والله إن هذه لسلّاح ما هي بسلّاح العرب، وكأنها إنما تهوي إلى حمزة ولا أذري، لكن أسمعني بعض قولها أكفكموها؛ قال: فأنشده عمر بن الخطاب بعض ما قالت؛ فقال حسان بن ثابت:

أَشْرَتْ لَكَاعٍ وَكَانَ عَادَتُهَا لَوْمًا إِذَا أَشْرَتْ مَعَ الْكُفْرِ

قال ابن هشام: وهذا البيت في أبيات له تركناها، وأبياتًا أيضًا له على الدال. وأبياتًا أخر على الذال، لأنه أقذع فيها.

لكاع ولكع:

وقول حسان في هند: أَشْرَتْ لَكَاعٍ، جعله اسمًا لها في غير النداء، وذلك جائز، وإن كان في النداء أكثر، نحو يا غَدَارِ ويا فَسَاقٍ، وكذلك لُكْعٌ، قد استعمل في غير النداء، نحو

استنكار الحليس على أبي سفيان تمثيله بحمزة:

قال ابن إسحاق: وقد كان الحليس بن زبَّان، أخو بني الحارث بن عبد مناة، وهو يومئذ سيّد الأبيش، قد مرّ بأبي سفيان، وهو يضرب في شذق حمزة بن عبد المطلب بزُجّ الرمح ويقول: ذُقْ عُقْقُ؛ فقال الحليس: يا بني كِنانة، هذا سيّد قُريش يصنع بابن عمّه ما تَرَوْنَ لحمًا؟ فقال: ويحك!! اكْتُمها عني، فإنها كانت زَلَّةً.

شماته أبي سفيان بالمسلمين بعد أحد وحديثه مع عمر:

ثم إن أبا سفيان بن حرب، حين أراد الانصراف، أشرف على الجبل، ثم صَرَخ بأعلى صوته فقال: أَنْعَمْتَ فعَال، وإن الحرب سِجال يوم بيوم، أَغْلِ هُبَل، أي أظهر دينك، فقال رسول الله ﷺ: قُمْ يا عُمَرُ فَأَجِبْهُ، فقل: الله أعلى وأَجَل، لا سَوَاءَ، قَتَلْنَا فِي الْجَنَّةِ، وَقَتَلَاكُمْ فِي النَّارِ. فلما أجاب عُمَرُ أبا سفيان، قال له أبو سفيان: هَلُمَّ إِلَيَّ يا عُمَرُ، فقال رسول الله ﷺ لعُمَرُ: «ائتِه فانظر ما شَأْنُهُ؛ فجاءه، فقال له أبو سفيان: أَنْشِدْكَ اللهُ يا عُمَرُ، أَقَتَلْنَا مُحَمَّدًا؟ قال عمر: اللَّهُمَّ لَا، وإِنَّه لَيَسْمَعُ كَلَامَكَ الْآنَ، قال: أَنْتَ أَصْدَقُ عِنْدِي مِنْ ابْنِ قِمَّةٍ وَأَبْرُ؛ لقول ابن قِمَّةٍ لهم: إني قد قتلْتُ مُحَمَّدًا.

قال ابن هشام: واسم ابن قِمَّةٍ عَبْدُ اللهِ.

قوله عليه السلام: «أَيْنَ لُكْعُ»^(١) يعني: الْحَسَنُ أَوْ الْحُسَيْنُ مُمَارِحًا لَهُمَا. فإن قيل: إن النبي ﷺ - كان يَمْزَحُ، وَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا، فكيف يقول: أَيْنَ لُكْعُ وقد سَمَاهُ سَيِّدًا في حديث آخر؟ فالجواب: أَنَّهُ أَرَادَ التَّشْبِيهَ بِاللُّكْعِ الَّذِي هُوَ الْفُلُّ أَوْ الْمُهْرُ لِأَنَّهُ طِفْلٌ كَمَا أَنَّ الْفُلَّ وَالْمُهْرَ كَذَلِكَ، وَإِذَا قُصِدَ بِالْكَلَامِ قُضْدُ التَّشْبِيهِ، لَمْ يَكُنْ كَذِبًا، وَنَحْوَهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا لُكْعُ بْنُ لُكْعٍ»^(٢)، وَاللُّكْعُ فِي اللُّغَةِ: وَسَخُ الْغُرْلَةِ، وَهُوَ أَيْضًا الْفُلُّ الصَّغِيرُ، فَمَنْ أَجَلَ هَذَا جَازَ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي غَيْرِ النَّدَاءِ، لِأَنَّهُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ غَيْرُ مَعْدُولٍ كَمَا عُدِلَ خُبْتُ عَنْ خَبِيثٍ، وَفُسِّقَ عَنْ فَاسِقٍ، وَقَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ فِي الزَّاهِرِ: اشْتِقَاقُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَهُوَ مَا يَخْرُجُ مَعَ الْمَوْلُودِ مِنْ مَاءِ الرَّجْمِ وَدَمِهَا، وَأَنْشَدَ:

رَمَتِ الْفَلَاةُ بِمُغْجَلٍ مُتَسَرِّبِلٍ غَرَسَ السَّلَى وَمَلَائِكُ الْأَمْشَاجِ

(١) أخرجه البخاري (٢٠٥/٧) ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٢٢) وأحمد (٥٣٢/٢) والبخاري في الأدب (١١٨٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٢٠٩) وأحمد (٣٨٩/٥) والبخاري في تاريخه (٩٦/٧).

توعد أبي سفيان المسلمين :

قال ابن إسحاق: ثم نادى أبو سفيان: إنه قد كان في قتلاكُم مثل، والله ما رَضِيتُ، وما سَخِطْتُ، وما نَهَيْتُ، وما أَمَرْتُ.

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه، نادى: إن موعدكم بدر للعام القابل، فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه: قل: نعم، هو بيننا وبينكم موعد.

خروج علي في آثار المشركين :

ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، فقال: اخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كانوا قد جئوا الخيل، وامتطوا الإبل، فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل، فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها، ثم لأناجزنهم. قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون؛ فجئوا الخيل، وامتطوا الإبل، ووجهوا إلى مكة.

قال: ويُقال في الواحد يا لُكْعُ، وفي الاثنين يا ذَوِي لَكِيعَةٍ، وَلَكَاعَةٍ، ولا تُضَرَفُ لَكِيعَةٌ، ولكن تُضَرَفُ لَكَاعَةٌ لأنه مَضَرٌّ وفي الجميع، يا ذَوِي لَكِيعَةٍ وَلَكَاعَةٍ وفي المؤنث على هذا القياس.

قال المؤلف: ولا يقال: يا لَكَاعَانِ، ولا فَسَقَانِ، لِسِرِّ شرحناه في غير هذا الكتاب. وتلخيص معناه: أن العَرَبَ قَصَدَتْ بهذا الثَّبَاتِ من النداء قَصْدَ الْعَلَمِ، لأن الاسمَ الْعَلَمَ أَلَزَمَ لِلْمُسَمَّى من الوَصْفِ الْمُشْتَقِّ من الفعل نحو فَاسِقٌ وَغَادِرٌ، كما قالوا: عُمَرُ، وعدلوا عن عَامِرِ الذي هو وصف في الأصل تحقيقاً منهم للْعَلَمِيَّةِ، ثم إن الاسمَ الْعَلَمَ لا يُثَنَّى ولا يُجْمَع وهو عَلَمٌ، فإذا ثَنِيَ زال عنه تعريف الْعَلَمِيَّةِ، فَمَنْ أَجَلَ ذلك لم يُثَنِّوا يا فَسَقُ ويا غُدَرُ، لأن في ذلك نَقْضاً لما قَصَدُوهُ من تَنْزِيلِهِ مَنَزِلَةَ الاسمِ الْعَلَمِ، أي: إنه مُسْتَحِقٌّ لأن يُسَمَّى بهذا الاسم، فهذا أبلغ من أن يقولوا: يا فَاسِقُ، فيجيئوا بالاسم، الذي يجري مَجْرَى الفعل والفعل غير لازِمٍ، والعَلَمُ أَلَزَمُ منه، والتَّثْنِيَةُ وَالْجَمْعُ تُبْطِلُ الْعَلَمِيَّةَ كما ذكرنا فافهمه، ووقع في الموطأ من رواية يحيى في حديث عبد الله بن عمر أنه قال لمولاة له: اقْعُدِي لُكْعُ، وقد عَيَّبَتْ هذه الرواية على يحيى، لأن المرأة إنما يقال لها: لَكَاعُ، وقد وجدت الحديث كما رواه يحيى في كتاب الدارقطني، وَوَجْهُهُ في الْعَرَبِيَّةِ أنه مَنَقُولٌ غير مَعْدُولٍ فجائز أن يقال لِلْأَمَةِ يا لُكْعُ كما يقال لها إذا سَبَتْ: يا زَيْلُ ويا وَسَخُ إذ اللكع ضَرْبٌ من الوَسَخِ، كما قدمناه وهو في كتاب العين.

أمر القتلى بأحد

وفرغ الناس لقتلهم، فقال رسول الله ﷺ كما حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صغصة المازني، أخو بني النجار: «مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ ابْنِ الرَّبِيعِ؟ أَفِي الْأَحْيَاءِ هُوَ أَمْ فِي الْأَمْوَاتِ؟» فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد، فنظر فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق. قال: فقلت له: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر، أفي الأحياء أنت أم في الأموات؟ قال: أنا في الأموات فأبلغ رسول الله ﷺ عني السلام، وقل له: إن سعد ابن الربيع يقول لك: جزاك الله عناً خير ما جرى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم: إن سعد ابن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم ﷺ ومنكم عينٌ تطرف. قال: ثم لم أبرح حتى مات؛ قال: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره.

قال ابن هشام: وحدثني أبو بكر الزبيري: أن رجلاً دخل على أبي بكر الصديق وبنّت لسعد ابن الربيع جارية صغيرة على صدره يرشفها ويقبلها؛ فقال له الرجل: مَنْ هذه؟ قال: هذه بنتُ رجل خير مني، سعد ابن الربيع، كان من الثقباء يوم العقبة، وشهد بدرًا، واستشهد يوم أحد.

الرسول يسأل عن ابن الربيع

فصل: وذكر قول النبي ﷺ: «مَنْ رَجُلٌ يَنْظُرُ لِي مَا فَعَلَ سَعْدُ ابْنِ الرَّبِيعِ؟» فقال رجل من الأنصار: أنا^(١)، وذكر الحديث. الرجل: هو محمد بن مسلمة، ذكره الواقدي، وذكر أنه نادى في القتلى: يا سعد ابن الربيع مرّة بعد مرّة، فلم يُجبه أحدٌ، حتى قال: يا سعد إن رسول الله - ﷺ - أرسلني أنظر ما صنعت، فأجابه حينئذٍ بصوت ضعيف، وذكر الحديث، وهذا خلاف ما ذكره أبو عمر في كتاب الصحابة، فإنه ذكر فيه من طريق رُبَيْح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده أن الرجل الذي التمس سعداً في القتلى هو أبيُّ بن كعب.

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٢٨٥/٣) والحاكم (٢٠١/٣).

حزن الرسول على حمزة وتوعده المشركين بالمثلثة:

قال ابن إسحاق: وخرج رسول الله ﷺ، فيما بلغني يتلمس حمزة بن عبد المطلب، فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده، ومثل به، فجذع أنفه وأذناه.

فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير: أن رسول الله ﷺ قال حين رأى ما رأى: «لولا أن تحزن صفيّة، ويكون سنة من بعدي لتركته، حتى يكون في بطون السباع، وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم»، فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغَيظه على مَنْ فعل بعمّه ما فعل، قالوا: والله لئن أظفرنّا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثله لم يُمثلها أحد من العرب.

قال ابن هشام: ولما وقف رسول الله ﷺ على حمزة قال: «لن أصاب بمثلك أبداً؟ ما وقفت موقفاً قط أغيظ إليّ من هذا!» ثم قال: «جاءني جبريل فأخبرني أنّ حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب، أسد الله، وأسد رسوله».

وكان رسول الله ﷺ وحمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد، إخوة من الرضاعة، أرضعتهم مولاة لأبي لهب.

ما نزل في النهي عن المثلثة

قال ابن إسحاق: وحدثني بريدة بن سفيان بن فزوة الأسلمي، عن محمد بن كعب القرظي، وحدثني من لا أتهم، عن ابن عباس: إن الله عز وجل أنزل في ذلك، من قول رسول الله ﷺ، وقول أصحابه: «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ»^(١) فعفا رسول الله ﷺ، وصبر ونهى عن المثلثة.

قال ابن إسحاق: وحدثني حميد الطويل، عن الحسن، عن سمرة بن جندب،

حميد الطويل وطلحة الطلحات

وذكر عن حميد الطويل عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ - في النهي عن المثلثة، وحميد الطويل هو حميد بن تيرويه، ويقال: ابن تيري يكنى أبا حميدة مولى طلحة

(١) سورة النحل آية رقم (١٢٦).

قال: «ما قام رسولُ الله ﷺ في مقام قط. ففارقهُ، حتَّى يأمرنا بالصَّدقة، ويَنهانا عن المُثْلَة»^(١).

صلاة الرسول على حمزة والقتلى

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم^(٢) عن مِقْسَم، مولى عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، قال: أمر رسولُ الله ﷺ بِحَمْزَة فَسُجِّي بِبَرْدَة ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ، فَكَبَّرَ سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ أُتِيَ بِالْقَتْلَى فَيُوضَعُونَ إِلَى حَمْزَة، فَصَلَّى عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِمْ مَعَهُمْ، حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ ثَنِينَ وَسَبْعِينَ صَلَاةً.

الطلحات، وهو حديث صحيح في النهي عن المُثْلَة. فإن قيل: فقد مثل رسولُ الله ﷺ - بالعَرَنِيِّينَ فَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ، وَتَرَكَهُمْ بِالْحَرَّةِ^(٣).

قلنا: في ذلك جَوَابَانِ: أحدهما: أنه فعل ذلك قِصَاصًا لَأَنَّهُمْ قَطَّعُوا أَيْدِيَ الرُّعَاءِ وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَلُوا أَعْيُنَهُمْ، رُوي ذلك في حديث أنس، وقيل: إن ذلك قبل تحريم المُثْلَة. فإن قيل: فقد تركهم يَسْتَسْقُونَ، فلا يُسْقَوْنَ، حتى ماتوا عَطْشًا، قلنا: عَطَشَهُمْ لَأَنَّهُمْ عَطَّشُوا أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ - تلك الليلة، روي في حديث مرفوع أنه عليه السلام لما بقي وأهله تلك الليلة بِلَا لَبَنٍ، قال: «اللَّهُمَّ عَطِّشْ مَنْ عَطَّشَ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكَ»^(٤). وقع هذا في شرح ابن بَطَّال، وقد خَرَّجَهُ النَّسَوِيُّ.

الصلاة على الشهداء

وروى ابن إسحاق عَمَّنْ لَا يُتَّهَمُ عَنْ مِقْسَمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - صَلَّى عَلَى حَمْزَة، وَعَلَى شُهَدَاءِ يَوْمِ أُحُدٍ، وَلَمْ يَأْخُذْ بِهَذَا الْحَدِيثِ فَقَهَاءُ الْحِجَازِ، وَلَا الْأَوْزَاعِيُّ لَوْجَهَيْنِ، أَحَدُهُمَا ضَعْفُ إِسْنَادِ هَذَا الْحَدِيثِ، فَإِنْ ابْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَّهَمُ، يَعْنِي: الْحَسَنَ بْنَ عِمَارَةَ - فِيمَا ذَكَرُوا - وَلَا خِلَافَ فِي ضَعْفِ الْحَسَنِ بْنِ عِمَارَةَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَرَوْنَهُ شَيْئًا، وَإِنْ كَانَ الَّذِي قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَّهَمُ غَيْرَ الْحَسَنِ، فَهُوَ مَجْهُولٌ، وَالْجَهْلُ يُؤَبِّقُهُ.

والوجه الثاني: أنه حديثٌ لم يصحبه العمل، ولا يُروى عن رسول الله ﷺ - أنه صَلَّى عَلَى شَهِيدٍ فِي شَيْءٍ مِنْ مَغَازِيهِ إِلَّا هَذِهِ الرِّوَايَةُ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ، وَكَذَلِكَ فِي مَدَّةِ

(١) أخرجه ابن عدي (١١٦٩/٣). (٢) مجهول.

(٣) حديث العرنين أخرجه الترمذي ومسلم وغيرهما.

(٤) أخرجه النسائي (٩٩/٧).

صفية وحزنها على حمزة:

قال ابن إسحاق: وقد أقبلت فيما بلغني، صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه وكان أخاها لأبيها وأُمُّها، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: القها فأزجعهما، لا ترى ما بأخيها، فقال لها: يا أُمُّه، إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن ترجعي، قالت: ولم؟ وقد بلغني أن قد مثل بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسبن ولأضبرن إن شاء الله. فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، قال: خل سبيلها، فأتته، فنظرت إليه، فصلت عليه واسترجعت، واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله ﷺ فدفن.

دفن عبد الله بن جحش مع حمزة

قال: فزعم لي آل عبد الله بن جحش - وكان لأُميمة بنت عبد المطلب، حمزة خاله، وقد كان مثل به كما مثل بحمزة، إلا أنه لم يُنقَر عن كِبده - أن رسول الله ﷺ دَفَنه مع حمزة في قبره، ولم أسمع ذلك إلا عن أهله.

الخليفتين إلا أن يكون الشهيد مُرتَّباً^(١) من المعركة، وأما ترك غسله، فقد أجمعوا عليه، وإن اختلفوا في الصلاة إلا رواية شاذة عند بعض التابعين، والمعنى في ذلك - والله أعلم - تحقيق حياة الشهداء وتصديق قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾^(٢) الآية مع أن في ترك غسله معنى آخر، وهو أن دمه أثر عبادة، وهو يجيء يوم القيامة وجرحه يشعب دماً، وريحه ریح المسك، فكيف يطهر منه وهو طيب وأثر عبادة، ومن هذا الأصل انتزع بعض العلماء كراهية تخفيف الوجه من ماء الوضوء، وهو قول الزهري، قال الزهري: وبلغني أنه يوزن، ومن هذا الأصل انتزع كراهية السواك بالعشي للصائم لئلا يذهب خلوف فيه، وهو أثر عبادة، وجاء فيه ما جاء في دم الشهداء أنه أطيب عند الله من ریح المسك، ويروى أطيب يوم القيامة من ریح المسك. رواه مسلم باللفظين جميعاً، والمعنى واحد، وجاءت الكراهية للسواك بالعشي للصائم عن علي وأبي هريرة، ذكر ذلك الدارقطني.

عبد الله بن جحش المجدع

وذكر عبد الله بن جحش ابن أخت حمزة، وأنه مثل به كما مثل بحمزة، وعبد الله هذا يُعرف بالمُجدع في الله، لأنه جُدِع أنفه وأذناه يومئذ، وكان سعد بن أبي وقاص يحدث أنه لقيه يوم أحد أول النهار، فخلاً به، وقال له عبد الله: يا سعد هلُم فلندع الله وليذكر كل

(١) مرتب: جريح.

(٢) سورة آل عمران آية رقم (١٦٩).

دفن الشهداء:

قال ابن إسحاق: وكان قد احتمل ناسٌ من المسلمين قَتْلَهم إلى المَدِينَةِ، فدَفَنوهم بها، ثم نَهَى رسولُ الله ﷺ عن ذلك، وقال: «ادفنوهم حيث صُرِعُوا»^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مُسلم الزُّهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر العُدري، حليف بني زُهرة: أن رسولَ الله ﷺ لَمَّا أُشْرِفَ على القَتْلِ يومَ أُحُدٍ، قال: «أنا شهيد على هؤلاء، إنه ما من جريح يُجرح في الله، إلَّا والله يَبْعَثُهُ يومَ القيامةَ يَذْمِي جرحَهُ، اللُّونُ لونُ دَمٍ والريحُ يرح مسك، وانظروا أَكْثَرَ هؤلاء جَمْعًا للقرآن، فاجعلوه أمامَ أصحابه في القَبْرِ - وكانوا يَدْفِنُونَ الاثنين والثلاثة في القبر الواحد»^(٢).

قال: وحدثني عمِّي موسى بن يسار، أنه سمع أبا هُريرة يقول: قال أبو القاسم ﷺ: «ما من جريح يُجرح في الله إلَّا والله يبعثه يومَ القيامةَ وَجُرحه يَذْمِي، اللُّون لون دم، والريحُ ريح مسك».

واحدٌ منا حاجتَه في دعائه، وليؤمِّن الآخرُ، قال سعد: فدَعَوْتُ الله أن أَلْقَى فارسًا شديدًا بأُسِهِ شديدًا حَزْدُهُ^(٣) من المُشْرِكِينَ فأَقْتُلْهُ، وآخِذْ سَلْبَهُ، فقال عبدُ الله: آمين، ثم استقبل عبدُ الله القِبْلَةَ، ورفع يديه إلى السَّمَاءِ، وقال: اللهم لَقِّنِي اليومَ فارسًا شديدًا بأُسِهِ شديدًا حَزْدُهُ، يَقتُلْنِي وَيَجْدِعُ أنْفِي وَأُذُنِي، فإذا لَقِيتُكَ غَدًا تقول لي: يا عَبدِي: فيم جُدِعَ أنْفُكَ وأُذُنُكَ، فأقول: فيكَ يا رب، وفي رسولِكَ، فتقول لي: صَدَقْتَ، قل يا سَعْدُ: آمين، قال: فقلت: آمين، ثم مررت به آخرَ النهار قَتِيلًا مَجْدُوعَ الأنفِ والأُذُنَيْنِ، وأن أُذُنَيْهِ وأنفَهُ معلقان بِخَيْطٍ، ولقيتُ أنا فلانًا من المُشْرِكِينَ، فَقَتَلْتُهُ، وأخذتُ سَلْبَهُ، وذكر الزُّبَيْرُ أن سَيْفَ عبدِ الله بن جَحْشٍ انقطع يومَ أُحُدٍ فأعطاه رسولُ الله ﷺ - عَزَّوَجَلَّ، فعاد في يده سيفًا، فقاتل له، فكان يسمي ذلك السيفُ العُزْجُونَ، ولم يزل يُتَوَارَثُ حتى بيع من بغاء التركي^(٤) بمائتي دينار، وهذا نحو من حديث عُكَّاشَةَ الذي تقدَّم إلَّا سَيْفَ عُكَّاشَةَ، كان يُسَمَّى العَوْنُ، وكانت قصَّةُ عُكَّاشَةَ يومَ بَذْرِ، وكان الذي قَتَلَ عبدَ الله بن جَحْشٍ أبو الحَكَمِ بن الأَخْشَسِ بن شَرِيقٍ وكان عبدُ الله حين قُتِلَ ابنُ بَضْعٍ وأربعين سنةً، فيما ذكروا ودُفِنَ مع حَمْزَةٍ في قَبْرِ واحد.

(١) أخرجه الطبري في تاريخه (٧٣/٢) والبيهقي في الدلائل (٢٩/٣) والنسائي (٧٩/٤) وابن سعد (١٠٥/٢/٣).

(٢) أخرجه البخاري (١١٤/٢) والنسائي (٦٢/٤) والترمذي (١٠٣٦) وأبو داود (٣٠٣٨) والدارقطني (١٧٧/٤) بتحقيقي. وابن الجارود في المتقى (٥٥٢) كلام بنحوه.

(٣) حرده: غضبه. (٤) بغاء التركي: أحد أمراء المعتصم بالله.

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاق بن يسار، عن أشياخ من بني سلمة^(١): أن رسول الله ﷺ، قال يومئذ، حين أمر بدفن القتلى: «انظروا إلى عمرو بن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام، فإنهما كانا مُتصافيين في الدنيا، فاجعلوهما في قبر واحد».

حزن حمزة على حمزة:

قال ابن إسحاق: ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة، فلقيته حمزة بنت جحش، كما ذكر لي، فلما لقيت الناس نعي إليها أخوها عبد الله بن جحش، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعي لها زوجها مضعب بن عمير، فصاحت وولولت! فقال رسول الله ﷺ: «إن زوج المرأة منها لكان! لِمَا رأى من تثبتها عند أخيها وخالها، وصياحها على زوجها».

بكاء نساء الأنصار على حمزة:

قال ابن إسحاق: ومرّ رسول الله ﷺ بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظفر، فسَمِعَ الكباء والنوائح على قتلاهم، فذرفت عينا رسول الله ﷺ، فبكى، ثم قال: «لكن حمزة لا بواكي له!» فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزمن، ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: حدثني حكيم بن حكيم عن عباد بن حنيفة، عن بعض رجال بني عبد الأشهل، قال: لما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهنّ على باب مسجده يبكين عليه، فقال: «ارجعن يرحمكن الله، فقد آسيتن بأنفسكن»^(٢).

قال ابن هشام: ونهي يومئذ عن النوح.

حديث عمر وأبي سفيان:

فصل: ومما وقع في هذه الغزوة من الكلم الذي يُسأل عنه قول أبي سفيان حين قال: اغلّ هبل، أي زد علواً، ثم قال: أنعمت، فعال، قالوا: معناه الأزلأم، وكان استقسم بها حين خرج إلى أحد، فخرج الذي يحب وقوله: فعال: أمر أي عال عنها وأقصر عن لومها، تقول العرب: اغلّ عني، وعال عني بمعنى: أي ارتفع عني، ودعني. ويروى أن الزبير قال لأبي سفيان يوم الفتح: أين قولك: أنعمت، فعال؟ فقال: قد صنع الله خيراً، وذهب أمر الجاهلية.

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل (٣/٣٠٢).

(١) مجاهيل.

إني نذيرٌ لأهل البَسلِ ضاحيةٌ لكلّ ذي إزبةٍ منهم ومعقول
من جيشٍ أحمد لا وخشٍ^(١) تنابِلةٌ وليس يُوصَف ما أنذرتُ بالقيِل
فثنى ذلك أبا سُفيان ومن معه .

رسالة أبي سُفيان إلى الرسول على لسان ركب :

ومرّ به ركبٌ من عبد القيس ، فقال : أين تريدون؟ قالوا : نريد المدينة؟ قال :
ولم؟ قالوا : نريد الميرة؛ قال : فهل أنتم مُبلغون عني محمدًا رسالةً أُرسلكم بها إليه ،
وأحمّل لكم هذه غداً زبيباً بعُكاظ إذا وافيتُموها؟ قالوا : نعم؛ قال : فإذا وافيتُموه
فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لِنَسْتَأْصِلَ بقيّتهم ، فمرّ الركبُ برسولِ
الله ﷺ وهو بحَمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبو سُفيان ؛ فقال : ﴿حَسْبنا الله ونعم
الوكيل﴾ .

كفّ صفوان لأبي سُفيان عن معاودة الكرّة :

قال ابن هشام : حدّثنا أبو عبيدة : أنّ أبا سُفيان بن حَرْبٍ لَمَّا انصرف يوم أحد ،
أراد الرُّجوع إلى المدينة ، لِنَسْتَأْصِلَ بقيّة أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال لهم صفوان بن
أميّة بن خلف : لا تَفْعَلُوا ، فإنّ القوم قد حَرَبُوا ، وقد خَشِينَا أن يكون لهم قتال غير الذي
كان ، فارْجِعُوا ، فَرَجَعُوا . فقال النبي ﷺ ، وهو بحَمراء الأسد ، حين بلغه أنهم هَمُّوا
بالرُّجعة : والذي نَفْسِي بيده ، لقد سُوِّمَت لهم حجارة ، لو صُبَّحُوا بها لكانوا كَأَمْسِ
الذاهب .

وتسمية هذا سِنَادٍ عَرَبِيَّة لا صِنَاعِيَّة ، قال عَدِيُّ بن الرُّقَاع :

وقَصِيدَةٌ قد بَتُّ أَجْمَعَ بَيْنَهَا حتّى أَقْوَمَ مَيْلَهَا وَسِنَادَهَا
نظر المُثَقَّفِ في كُغُوبِ قَنَاتِهِ كيما يَقِيمُ ثِقَافَهُ مُنَادَهَا
وقوله : لا تَنَابِلَةٌ . التَّنَابِلَةُ : القِصَارُ ، وأحذهم : تَنَبَّأَ ، تَفَعَّالٌ من النَّبْلِ ، وهي صِغَارُ
الحَصَى .

(١) وخش : رديء .

مقتل أبي عزة ومعاوية بن المغيرة

قال أبو عبيدة: وأخذ رسول الله ﷺ في جهة ذلك، قبل رجوعه إلى المدينة، معاوية بن المغيرة بن العاص بن أمية بن عبد شمس، وهو جد عبد الملك بن مروان، أبو أمه عائشة بنت معاوية، وأبا عزة الجمحي، وكان رسول الله ﷺ أسره ببدر، ثم من عليه، فقال: يا رسول الله، أقلني، فقال رسول الله ﷺ: «والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: خدعتُ محمدًا مرتين، اضرب عنقه يا زبير». فضرب عنقه.

قال ابن هشام: وبلغني عن سعيد بن المسيب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين»^(١)، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت، فضرب عنقه.

مقتل معاوية بن المغيرة:

قال ابن هشام: ويقال: إن زيد بن حارثة وعمار بن ياسر قتلَا معاوية بن المغيرة بعد حمراء الأسد، كان لجأ إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله ﷺ فأمنه، على أنه إن وجد بعد ثلاث قُتل، فأقام بعد ثلاث وتواري، فبعثهما النبي ﷺ، وقال: إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا، فوجداه فقتلاه.

أبو عزة الجمحي

وذكر أبا عزة، وكان الذي أسره عُمَيْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، كذا ذكر بعضهم، وأحسبه عبد الله بن عُمَيْرٍ أَحَدُ بَنِي خُدَّارَةَ، أَوْ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عُمَيْرٍ الْخَطْمِي. ومن خبر أبي عزة ما ذكر الزُّبَيْرُ عَنْ ابْنِ جُعْدَبَةَ وَالضُّحَّاكِ بْنِ عُثْمَانَ. والجُعْدَبَةُ فِي اللُّغَةِ وَاحِدَةُ الْجَعَادِبِ، وَهِيَ النَّفَّاحَاتُ الَّتِي تَكُونُ فِي الْمَاءِ. قَالَا: بَرِصَ أَبُو عَزَّةَ الْجُمَحِيُّ، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ لَا تُؤَاكِلُهُ وَلَا تُجَالِسُهُ فَقَالَ: الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ هَذَا، فَأَخَذَ حَدِيدَةً، وَدَخَلَ بَعْضَ شِعَابِ مَكَّةَ فَطَعَنَ بِهَا فِي مَعَدِّهِ، وَالْمَعْدُ مَوْضِعُ عَقَبِ الرَّكِبِ مِنَ الدَّابَّةِ، وَقَالَ ابْنُ جُعْدَبَةَ: فَمَارَتِ الْحَدِيدَةُ، وَقَالَ الضُّحَّاكُ: بَيْنَ الْجِلْدِ وَالصُّفَاقِ فَسَالَ مِنْهُ أَصْفَرُ قَبْرِيءَ، فَقَالَ:

والتَّهَمَاتِ وَالْجِبَالِ الْجَزْدِ	اللَّهُمَّ رَبِّ وَايِلٍ وَنَهْدِ
أَصْبَحْتُ عَبْدًا لَكَ وَابْنُ عَبْدِ	وَرَبِّ مَنْ يَزْعَى بِأَرْضِ نَجْدِ
مِنْ بَعْدِ مَا طَعَنْتُ فِي مَعْدِي	أَبْرَأْتَنِي مِنْ وَضَحِ بَجْلِدِ

(١) تقدم تخريجه. والمسند فيه انقطاع.

شأن عبد الله بن أبي بعد ذلك

قال ابن إسحاق: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان عبد الله بن أبي ابن سلول، كما حدثني ابن شهاب الزهري، له مقام يقومه كل جمعة لا يُنكر، شرقاً له في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفاً، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس، قام فقال: أيها الناس، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزكم به، فانصروه وعزروه، واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس، حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع، ورجع بالناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه، وقالوا: اجلس، أي عدو الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بَجْرًا أن قمت أشد أمره. فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد، فقال: ما لك؟ ويلك! قال: قمت أشد أمره، فوثب علي رجال من أصحابه يجذبونني ويعتفونني، لكأنما قلت بَجْرًا أن قمت أشد أمره، قال: ويلك! ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ، قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي.

كان يوم أحد يوم محنة:

قال ابن إسحاق: كان يوم أحد يوم بلاء ومُصيبة وتمحيص، اختبر الله به المؤمنين، ومحن به المنافقين ممن كان يظهر الإيمان بلسانه، وهو مُستخف بالكفر في قلبه، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته.

موصل مقالة أبي سفيان:

وذكر إرسال أبي سفيان مع الركب بالوعيد، وكان الموصول مقالته للمؤمنين نعيم بن مسعود، ﴿فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾، كذلك جاء في التفسير.

قول لعبد الله بن أبي

وذكر قول عبد الله بن أبي حين أخرج من المسجد: لكأنما قلت: بَجْرًا. البَجْر: الأمر العظيم والبَجاري: الدواهي، وفي وصية أبي بكر: يا هادي الطريق جُرْتُ، إنما هو الفَجْر أو البَجْر، قال الخطابي: معناه الداهية.

وذكر ابن إسحاق في غير هذه الرواية قول النبي ﷺ في قتلى أحد: «يا ليتني غودرت مع أصحاب نخس الجبال». نخس الجبل: أسفله، قاله صاحب العين.

ذكر ما أنزل الله في أحد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدّثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبلي، قال: فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران، فيها صفة ما كان في يومهم ذلك، ومُعاتبة من عاتب منهم، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١].

قال ابن هشام: تبوّئ المؤمنون: تتخذ لهم مقاعد ومنازل. قال الكُميت بن زيد:

لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَهُ قَدْ تَبَوَّأْتُ مَضْجَعَا

وهذا البيت في أبيات له.

أي: سميع بما تقولون، عليم بما تخفون.

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾: أن تتخاذلا، والطائفتان: بنو سلمة بن جُشم بن الخزرج، وبنو حارثة بن النبيت من الأوس، وهما الجناحان. يقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: أي المدافع عنهما ما همتا به من فشلهما، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن أصابهما غير شك في دينهما، فتولّى دفع ذلك عنهما برحمته وعائده، حتى سلّمتا من وهنهما وضعفهما، ولحقّتا بنبيهما ﷺ.

قال ابن هشام: حدّثني رجل من الأسد من أهل العلم، قال: قالت الطائفتان: ما نحب أنّا لم نهمّ بما هممنا به، لتولى الله إيانا في ذلك.

قال ابن إسحاق: يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: أي من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل على، وليستعن بي، أعنه على أمره، وأدفع عنه، حتى أبلغ به، وأدفع عنه، وأقويه على نيّته. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي فاتقوني، فإنه شكر نعمتي. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ وأنتم أقل عددا

تفسير ما نزل من القرآن في أحد

بعض من آمن رغم الدعاء عليهم:

قد ذكر ابن إسحاق ما يحتاج إليه قارئ السيرة من تفسير ذلك، وذكر قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية لم يزد على ما في الكتاب منه. وفي تفسير

إني نذيرٌ لأهل البَسلِ ضاحيةٌ لكلّ ذي إزبةٍ منهم ومعقول
من جيشِ أحمد لا وخشٍ^(١) تنابِلةٌ وليس يُوصَف ما أنذرتُ بالقيِل
فثنى ذلك أبا سُفيان ومن معه.

رسالة أبي سُفيان إلى الرسول على لسان ركب:

ومرَّ به ركبٌ من عبد القيس، فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة؟ قال: ولم؟ قالوا: نريد الميرة؟ قال: فهل أنتم مُبلغون عني محمدًا رسالةً أُرسلكم بها إليه، وأحمّل لكم هذه غداً زبيباً بعُكاظ إذا وافيتُموها؟ قالوا: نعم؛ قال: فإذا وافيتُموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم، فمرَّ الركبُ برسول الله ﷺ وهو بحَمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سُفيان؛ فقال: ﴿حَسْبنا الله ونعم الوكيل﴾.

كف صفوان لأبي سُفيان عن معاودة الكرة:

قال ابن هشام: حدّثنا أبو عبيدة: أنّ أبا سُفيان بن حَرْب لما انصرف يوم أحد، أراد الرجوع إلى المدينة، ليستأصل بقيّة أصحاب رسول الله ﷺ، فقال لهم صفوان بن أميّة بن خلف: لا تفعلوا، فإنّ القوم قد حاربوا، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذي كان، فارجعوا، فرجعوا. فقال النبي ﷺ، وهو بحَمراء الأسد، حين بلغه أنهم همّوا بالرجعة: والذي نفسي بيده، لقد سُومت لهم حجارة، لو صُبّحوا بها لكانوا كأمس الذاهب.

وتسمية هذا سِناد عَرَبية لا صِناعية، قال عَدِيُّ بن الرُّقَاع:

وقَصيدةٌ قد بِتُ أجمعَ بَينَها حتى أقومَ مَيلَها وسِنادَها
نظر المُثَقِّفِ في كُعُوبِ قَناتِهِ كيما يقيمَ ثِقافَهُ مُنادَها
وقوله: لا تنابِلة. التَّنابِلة: القِصار، وأحدُهم: تَنبَالٌ، تَفَعَالٌ من التَّبَلِ، وهي صِغارُ الحَصَى.

(١) وخش: رديء.

مقتل أبي عزة ومعاوية بن المغيرة

قال أبو عبيدة: وأخذ رسولُ الله ﷺ في جهة ذلك، قبل رُجوعه إلى المدينة، معاوية بن المُغيرة بن العاص بن أمية بن عبد شمس، وهو جدُّ عبد الملك بن مروان، أبو أمه عائشة بنت معاوية، وأبا عزة الجمحي، وكان رسول الله ﷺ أسره ببدر، ثم منَّ عليه، فقال: يا رسولَ الله، أِقْلني، فقال رسول الله ﷺ: «والله لا تَمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول: خَدَعْتُ محمدًا مرتين، اضرب عنقه يا زُبَيْر». فضرب عنقه.

قال ابن هشام: وبلغني عن سعيد بن المسيَّب أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ المؤمن لا يُلْدَغ من جُحرِ مرتين»^(١)، اضرب عنقه يا عاصمُ بن ثابت، فضرب عنقه.

مقتل معاوية بن المغيرة:

قال ابن هشام: ويقال: إن زيد بن حارثة وعمَّار بن ياسر قتلا معاوية بن المُغيرة بعد حَمراء الأسد، كان لجا إلى عثمان بن عفَّان فاستأمن له رسول الله ﷺ فأمنه، على أنه إن وُجد بعد ثلاث قُتل، فأقام بعد ثلاث وتواري، فبعثهما النبي ﷺ، وقال: إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا، فوجداه فقتلاه.

أبو عزة الجمحي

وذكر أبا عزة، وكان الذي أسره عُمَيْرُ بنُ عَبْدِ الله، كذا ذكر بعضهم، وأحسبه عبد الله بن عُمَيْرٍ أحد بني خُذارة، أو عبد الله بن عُمَيْرٍ الخطمي. ومن خبر أبي عزة ما ذكر الزُّبَيْر عن ابن جُعْدَبَةَ والضُّحَّاك بن عثمان. والجُعْدَبَةُ في اللغة واحدة الجَعَادِبِ، وهي الثُّفَاخَاتُ التي تكون في الماء. قالوا: برِصَ أبو عزة الجمحي، فكانت قُرَيْشٌ لا تُؤاكله ولا تُجالسه فقال: الموت خيرٌ من هذا، فأخذ حديدَةً، ودخل بعضَ شِعَابِ مَكَّة فَطَعَنَ بها في مَعَدِّهِ، والمَعَدُّ مَوْضِعُ عَقِبِ الرَّاكِبِ من الدَّابَّةِ، وقال ابن جُعْدَبَةَ: فمارت الحديدَةُ، وقال الضُّحَّاك: بين الجِلْدِ والصِّفَاقِ فسال منه أصفرُ فَبَرِيءٍ، فقال:

والتَّهَمَاتِ والجِبَالِ الجُرْدِ	اللَّهُمَّ رَبِّ وَايِلِ وَنَهْدِ
أصبحْتُ عبدًا لك وابنَ عبدِ	وَرَبِّ مَنْ يَرْغَى بِأَرْضِ نَجْدِ
مِنْ بعد ما طَعَنْتُ في مَعَدِّي	أَبْرَأْتَنِي مِنْ وَضَحِ بَجْلِدِ

(١) تقدم تخريجه. والمسند فيه انقطاع.

شأن عبد الله بن أبي بعد ذلك

قال ابن إسحاق: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، وكان عبد الله بن أبي ابن سلول، كما حدثني ابن شهاب الزهري، له مقام يقومه كل جمعة لا يُنكر، شرفاً له في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفاً، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس، قام فقال: أيها الناس، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم، أكرمكم الله وأعزكم به، فانصروه وعزروه، واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس، حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع، ورجع بالناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه، وقالوا: اجلس، أي عدو الله، لست لذلك بأهل، وقد صنعت ما صنعت، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكانما قلت بجرًا أن قمت أشدد أمره. فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد، فقال: ما لك؟ ويلك! قال: قمت أشدد أمره، فوثب علي رجل من أصحابه يجذبونني ويعنفونني، لكانما قلت بجرًا أن قمت أشدد أمره، قال: ويلك! ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ، قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي.

كان يوم أحد يوم محنة:

قال ابن إسحاق: كان يوم أحد يوم بلاء ومُصيبة وتمحيص، اختبر الله به المؤمنين، ومحن به المنافقين ممن كان يظهر الإيمان بلسانه، وهو مُستخف بالكفر في قلبه، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته.

موصل مقالة أبي سفيان:

وذكر إرسال أبي سفيان مع الركب بالوعيد، وكان الموصّل مقالته للمؤمنين نعيم بن مسعود، ﴿فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾، كذلك جاء في التفسير.

قول لعبد الله بن أبي

وذكر قول عبد الله بن أبي حين أُخرج من المسجد: لكانما قلت: بجرًا. البجر: الأمر العظيم والنجاري: الدّواهي، وفي وصية أبي بكر: يا هادي الطريق جرت، إنما هو الفجر أو البجر، قال الخطابي: معناه الداهية.

وذكر ابن إسحاق في غير هذه الرواية قول النبي ﷺ في قتلى أحد: «يا ليتني غودرت مع أصحاب نخس الجبال». نخس الجبل: أسفله، قاله صاحب العين.

ذكر ما أنزل الله في أحد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبلي، قال: فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران، فيها صفة ما كان في يومهم ذلك، ومُعَاتِبَةٌ من عَاتَبَ منهم، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٢١].

قال ابن هشام: تبوؤ المؤمنین: تتخذ لهم مقاعد ومنازل. قال الكُميت بن زيد:

لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَهُ قَدْ تَبَوَّأْتُ مَضْجَعَا
وهذا البيت في أبيات له.

أي: سمیع بما تقولون، علیم بما تخفون.

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾: أن تتخاذلا، والطائفتان: بنو سلمة بن جشم بن الخزرج، وبنو حارثة بن النبيت من الأوس، وهما الجناحان. يقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: أي المدافع عنهما ما همتا به من فشلهما، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن أصابهما غير شك في دينهما، فتولّى دفع ذلك عنهما برحمته وعائده، حتى سلّمتا من وهونهما وضعفهما، ولحقنا بنبيهما ﷺ.

قال ابن هشام: حدثني رجل من الأسد من أهل العلم، قال: قالت الطائفتان: ما نحب أنّا لم نهمّ بما هممنا به، لتولى الله إيانا في ذلك.

قال ابن إسحاق: يقول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: أي من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل على، وليستعن بي، أعنه على أمره، وأدفع عنه، حتى أبلغ به، وأدفع عنه، وأقويه على نيته. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أي فاتقوني، فإنه شكر نعمتي. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ وأنتم أقل عدداً

تفسير ما نزل من القرآن في أحد

بعض من آمن رغم الدعاء عليهم:

قد ذكر ابن إسحاق ما يحتاج إليه قارئ السيرة من تفسير ذلك، وذكر قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ الآية لم يزد على ما في الكتاب منه. وفي تفسير

وَأَضْعَفُ قُوَّةً ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ بَلَى إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾: أَي إِنْ تَصَبَّرُوا لِعَدُوِّي، وَتَطِيعُوا أَمْرِي، وَيَأْتُوكُمْ مِنْ وَجْهِهِمْ هَذَا، أَمَدَّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: مُسَوِّمِينَ: مُعَلِّمِينَ. بلغنا عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه قال: أَعْلَمُوا عَلَى أَذْنَابِ خَيْلِهِمْ وَنَوَاصِيهَا بِصُوفٍ أَبْيَضٍ. فَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ فَقَالَ: كَانَتْ سِيْمَاهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ عَمَائِمَ بَيْضًا. وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ بَدْرٍ. وَالسِّيْمَا: الْعَلَامَةُ. وَفِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سِيْمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾: أَي عَلَامَتُهُمْ. وَ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنُضُودٍ مُسَوِّمَةً﴾ يَقُولُ: مُعَلِّمَةً. بَلَّغْنَا عَنْ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: عَلَيْهَا عَلَامَةٌ، أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ حِجَارَةِ الدُّنْيَا، وَأَنَّهَا مِنْ حِجَارَةِ الْعَذَابِ. قَالَ رُؤْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ:

فَالآنَ تُبْلَى بِي الْجِيَادُ السَّهْمُ وَلَا تُجَارِينِي إِذَا مَا سَوُّمُوا

وَشَخَّصْتَ أَبْصَارَهُمْ وَأَجْذَمُوا

[أَجْذَمُوا «بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ»: أَي أَسْرَعُوا: وَأَجْذَمُوا «بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ»: أَقْطَعُوا].

وهذه الأبيات في أرجوزة له: وَالْمُسَوِّمَةُ (أَيْضًا) الْمَرْعِيَّةُ. وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ﴾ وَ﴿شَجَرٍ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾. تَقُولُ الْعَرَبُ: سَوَّمَ خَيْلَهُ وَإِبْلَهُ، وَأَسَامَهَا: إِذَا رَعَاهَا. قَالَ الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ:

رَاعِيَا كَانَ مُسَجِّحًا فَفَقَدْنَا هُ وَفَقَدُ الْمُسِيمِ هُلُكَ السَّوَامِ

قال ابن هشام: مُسَجِّحًا: سَلِسَ السِّيَاسَةَ مُحَسِّنَ (إِلَى الْغَنَمِ). وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾: أَي مَا سَمَّيْتُ لَكُمْ مِنْ سَمِيٍّ مِنْ جُنُودِ مَلَائِكَتِي إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ، وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ، لَمَّا أَعْرَفَ مِنْ ضَعْفِكُمْ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِي، لِسُلْطَانِي وَقُدْرَتِي، وَذَلِكَ أَنَّ الْعِزَّ وَالْحُكْمَ إِلَيَّ، لَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِي. ثُمَّ قَالَ: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾: أَي لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِقَتْلِ يَنْتَقِمُ بِهِ

الترمذي حديث مرفوع أن رسول الله - ﷺ - كان يدعو على أبي سفيان والحارث بن هشام

منهم، أو يردّهم خائبين: أي ويَزْجَع مَنْ بَقِيَ منهم فلا خائبين، لم ينالوا شيئاً مما كانوا يأملون.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: يَكْتِبُهُمْ: يَغْمُهُمْ أَشَدَّ الْغَمِّ، ويمنعهم ما أرادوا. قال ذو الرُّمَّة:
ما أَنَسَ مِنْ شَجَنِ لا أَنَسَ مَوْقِفَنَا في خَيْرَةٍ بَيْنَ مَسْرُورٍ وَمَكْبُوتٍ
ويَكْتِبُهُمْ (أيضاً) يصرعهم لوجوههم.

قال ابن إسحاق: ثم قال لمحمد رسول الله ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾: أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي، إلا ما أمرتك به فيهم، أو أثوب عليهم برحمتي، فإن شئت فعلت، أو أعذبهم بذنوبهم فبحقِّي ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾: أي قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إياي ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: أي يغفر الذنب ويَرْحَمُ العباد، على ما فيهم.

وعمر بن العاصي، حتى أنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ قال: فَتَابُوا وَأَمْلَمُوا، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ، وهذا حديث ثابت في حسن إسلام أبي سفيان خلافاً لمن زعم غير ذلك، وأما الحارث بن هشام فلا خلاف في حُسن إسلامه، وفي موته شهيداً بالشام، وأما عمرو بن العاصي، فقد قال فيه النبي عليه السلام: «أَسْلَمَ النَّاسُ وَأَمَّنَ عَمْرُو»^(١)، وقال في حديث جرى: ما كانت هِجْرَتِي لِلْمَالِ، وإنما كانت لله ورسوله، فقال له النبي - ﷺ -: «نِعِمَّا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ»^(٢)، فسماه: رجلاً صالحاً، والحديث الذي جرى: أنه كان قال له: إني أريد أن أبعثك وَجْهًا يُسَلِّمُكَ اللهُ فِيهِ، وَيُعْظِمُكَ، وَأَزْعَبُ^(٣) لَكَ زَعْبَةً مِنَ الْمَالِ، وستأتي نُكْتُ وَغُيُونٌ من أخبار الحارث، وأبي سفيان - فيما بعد - إن شاء الله.

معنى اتخذ:

وذكر قوله سبحانه: ﴿وَيَتَّخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ وفيه فضل عظيم للشهداء وتنبية على حُبِّ الله إياهم حيث قال: ﴿وَيَتَّخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ ولا يقال: اتَّخَذْتُ وَلَا اتَّخِذْ إِلَّا فِي مُضْطَفَى

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٢٤) وأحمد (١٥٥/٤) والطبراني في الكبير (٣٠٧/١٧).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٢/٤) والحاكم (٢٣٦/٢) وابن أبي شيبة (١٨/٧).

(٣) أزعب: أذفع.

النهي عن الربا:

ثم قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾؛ أي لا تأكلوا في الإسلام، إذ هداكم الله به ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره، مما لا يحل لكم في دينكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: أي فاطيعوا الله لعلكم تنجون مما حذرکم الله من عذابه، وتذركون ما رغبكم الله فيه من ثوابه، ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾: أي التي جعلت دارًا لمن كفر بي.

الحض على الطاعة:

ثم قال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ معاتبَةً للذين عصوا رسول الله ﷺ حين أمرهم بما أمرهم به في ذلك اليوم وفي غيره. ثم قال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي دارًا لمن أطاعني وأطاع رسولي: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾: أي وذلك هو الإحسان، وأنا أحب من عمل به، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أي إن أتوا فاحشة، أو ظلموا أنفسهم بمغصية ذكروا نهي الله عنها، وما حرم عليهم، فاستغفروه لها، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو. ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أي لم يقيموا على مغصيتي كفعل من أشرك بي فيما غلوا به في كفرهم، وهم يعلمون ما حرمت عليهم من عبادة غيري.

مخبوب، قال الله سبحانه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ وقال: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ فالاتخاذ إنما هو اقتناء واجتباء، وهو افتعال من الأخذ، فإذا قلت: اتَّخَذْتُ كَذَا، فمعناه: أخذته لنفسي، واخترته لها، فالتاء الأولى بدل من ياء، وتلك الياء بدل من همزة أخذ، فقلبت تاء إذ كانت الواو تنقلب تاء في مثل هذا البناء، نحو اتعد واتزر والياء أخت الواو، فقلبت في هذا الموضع تاء، وكثر استعمالهم لهذه الكلمة، حتى قالوا: تَخَذْتُ بحذف إحدى التاءين اكتفاءً بأحديهما عن الأخرى، ولا يكون هذا الحذف إلا في الماضي خاصة، لا يقال: تَتَّخِذُ كما يقال: تَخِذْ، لأن المستقبل ليس فيه همزة وصل، وإنما فرّوا في الماضي من ثقل الهمزة في الابتداء، واستغنوا بحركة التاء عنها، وكسروا الخاء من تَخَذْتُ لأنه لا مستقبل له مع الحذف، فحركوا عين الفعل بالحركة التي كانت له في المستقبل. وكلامنا هذا على اللغة المشهورة، وإلا فقد حكي يتخذ في لغة ضعيفة ذكرها أبو عبيد، وذكرها النحاس في إعراب القرآن.

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ : أي ثواب الْمُطِيعِينَ .

ذكر ما أصابهم وتعزيتهم عنه :

ثم استقبل ذكر المصيبة التي نزلت بهم ، والبلاء الذي أصابهم ، والتمحيص لما كان فيهم ، واتخاذ الشهداء منهم ، فقال : تعزية لهم ، وتعريفاً لهم فيما صنعوا ، وفيما هو صانع بهم : ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ : أي قد مضت مني وقائع نكمة في أهل التكذيب لرُسلي والشرك بي : عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ، فرأوا مثلات قد مضت مني فيهم ، ولمن هو على مثل ما هم عليه من ذلك مني ، فإني أمليت لهم : أي لئلا يظنوا أن نقمتي انقطعت عن عدوكم وعدوي للدولة التي أدلتهم بها عليكم ، ليتليكم بذلك ، ليُعلمكم ما عندكم .

ثم قال تعالى : ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ : أي هذا تفسير للناس إن قبلوا الهدى ﴿وهُدًى وَمَوْعِظَةٌ﴾ : أي نور وأدب ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي لمن أطاعني وعرف أمري ، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ : أي لا تضعفوا ولا تبتسوا على ما أصابكم ، ﴿وَأَنْتُمْ الْأَغْلَوْنَ﴾ أي لكم تكون العاقبة والظهور ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي إن كنتم صدقتم نبي بما جاءكم به عني . ﴿إِنْ يَمَسُّنْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ : أي جراح مثلها ، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ : أي نُصَرَفُهَا بَيْنَ النَّاسِ لِلْبَلَاءِ وَالتَّمْحِصِ ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ : أي لِيُمَيِّزَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ، وَلِيُكْرِمَ مِنْ أَكْرَمِ مَنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِالشَّهَادَةِ ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ : أي المنافقين الذي يُظْهِرُونَ بِالسُّنْتِهِمُ الطَّاعَةَ وَقُلُوبُهُمْ مُصِرَّةٌ عَلَى الْمَعْصِيَةِ ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذي نزل بهم ،

أدلة على صحة خلافة أبي بكر :

وذكر قوله سبحانه : ﴿أَفِإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ إلى قوله : ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ ظهر تأويل هذه الآية حين انقلب أهل الردة على أعقابهم ، فلم يضر ذلك دين الله ، ولا أمة نبيه ، وكان أبو بكر يُسمَّى : أمير الشاكرين لذلك ، وفي هذه الآية دليل على صحة خلافته ، لأنه الذي قاتل المنقلبين على أعقابهم حين ردهم إلى الدين الذي خرجوا منه ، وكان في قوله سبحانه : ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ دليل على أنهم سَيُظْفَرُونَ بِمَنْ ارْتَدَّ ، وَتَكْمُلُ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةُ ، فَيُشْكِرُونَ ، فَتَحْرِيطُهُ إِيَّاهُمْ عَلَى الشُّكْرِ - وَالشُّكْرُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى نِعْمَةٍ - دليل على أن بلاء الردة لا يطول ، وأن الظفر بهم سريع ، كما كان .

وكيف صبرهم ويقينهم ﴿وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ﴾: أي يُبطل من المنافقين قولهم بألستهم ما ليس في قلوبهم، حتى يظهر منهم كفرهم الذي يَستترون به.

دعوة الجنة للمجاهدين:

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾: أي حسبتم أن تدخلوا الجنة، فتصيبوا من ثوابي الكرامة، ولم أختبركم بالشدة، وأبتليكم بالمكاره، حتى أعلم صدق ذلك منكم بالإيمان بي، والصبر على ما أصابكم في، ولقد كنتم تَمْنُونَ الشَّهَادَةَ عَلَى الذي أنتم عليه من الحق قبل أن تلقوا عدوكم، يعني الذين استنهضوا رسول الله ﷺ إلى خروجه بهم إلى عدوهم، لما فاتهم من حضور اليوم الذي كان قبله ببدر، ورغبة في الشهادة التي فاتتهم بها، فقال: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمْنُونَ الْوَيْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ يقول: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾: أي الموت بالسيوف في أيدي الرجال قد خلى بينكم وبينهم وأنتم تنظرون إليهم، ثم صدهم عنكم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾: أي لقول الناس: قتل محمد ﷺ، وانهزامهم عند ذلك، وانصرافهم عن عدوهم ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ رجعت عن دينكم كفارًا كما كنتم، وتركتم جهاد عدوكم، وكتاب الله. وما خلف نبيه ﷺ من دينه معكم وعندهم وقد بين لكم فيما جاءكم به عني أنه ميت ومفارقكم، ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾: أي يرجع عن دينه ﴿فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾: أي ليس ينقص ذلك عز الله تعالى ولا ملكه ولا سلطانه ولا قدرته، ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾: أي من أطاعه وعمل بأمره.

وكذلك قوله سبحانه: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ فيه أيضًا: التصحيح لخلافة أبي بكر، لأنه الذي دعا الأعراب إلى جهاد حنيفة، وكانوا أولي بأس شديد، ولم يُقاتلوا لجزية، وإنما قُوتلوا لِيُسْلِمُوا، وكان قتالهم بأمر أبي بكر، وفي سلطانه، ثم قال: ﴿إِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ فأوجب عليهم الطاعة لأبي بكر، فكان في الآية كالنص على خلافته.

وكذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكَانُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ وقد بين في سورة الحشر من الصادقون، وهم المهاجرون بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ فأمر الذين تبوءوا الدار والإيمان أن يكونوا معهم، أي: تبعًا لهم، فحصلت الخلافة في الصادقين بهذه الآية، فاستحقوها بهذا الاسم، ولم يكن في الصادقين من سواه الله الصديق إلا أبو بكر، فكانت له خاصة، ثم للصادقين بعده.

ذكره أن الموت بإذن الله :

ثم قال : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ : أي أن لمحمد ﷺ أجلاً هو بالغه، فإذا أذن الله عز وجل في ذلك كان. ﴿أَمَنْ يُرِذْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِذْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ : أي من كان منكم يريد الدنيا، ليست له رغبة في الآخرة، نُؤْتِهِ مِنْهَا ما قُسم له من رزق، ولا يَغدوه فيها، وليس له في الآخرة من حظ ﴿وَمَنْ يُرِذْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ ما وُعد به، مع ما يُجزى عليه من رزقه في دُنياءه، وذلك جزاء الشَّاكرين، أي المَثقين.

ذكر شجاعة المجاهدين من قبل مع الأنبياء

ثم قال : ﴿وَكَايُنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ أي وكأين من نبي أُصابه القتل، ومعه ربِّيون كثير: أي جماعة، فما وَهَنُوا لَفَقْدِ نَبِيِّهِمْ، وما ضَعُفُوا عَنْ عَدُوِّهِمْ؛ وما اسْتَكَانُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي الْجِهَادِ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنْ دِينِهِمْ، وذلك الصبر، والله يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

رَبِّيُونَ ورفعها في الآية

وذكر قوله تعالى : ﴿وَكَايُنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ^(١) مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ﴾ ارتفع رَبِّيُونَ على تفسير ابن إسحق بالابتداء، والجملة في موضع الحال من الضمير في قُتِلَ، وهذا أصح التفسيرين، لأنه قال: فما وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ، ولو كانوا هم المقتولين ما قال فيهم: ما وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ أي: ما ضَعُفُوا، وقد يُخَرَّجُ أيضًا قول من قال: رَبِّيُونَ مفعول لم يُسَمَّ فاعله بقتل على أن يكون معنى قوله: فما وَهَنُوا أي ما وَهَنَ الباقيون منهم، لما أُصِيبُوا به مِنْ قَتْلِ إخوانهم، وهذا وَجْهٌ، ولكن سبب نزول الآية يدل على صحة التفسير الأول.

وقوله: رَبِّيُونَ، وهم الجماعات في قول أهل اللغة، وقال ابن مسعود: رَبِّيُونَ أُلُوفٌ، وقال أَبَانُ بْنُ تَغْلِبٍ: الرَّبِّيُّ: عشرة آلاف^(٢).

(١) في مصحف عثمان الذي بين أيدينا «قاتل».

(٢) وقيل: الربِّيون: المُعَبِّدون للرب، العابدون له تعالى.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: واحد: الرِّبِّيْن: رَبِّي؛ وقولهم: الرِّبَاب، لولد عبد مناة بن أَد بن طابخة بن إلياس، ولضبة، لأنهم تَجَمَّعُوا وتحالفوا، من هذا، يريدون الجماعات. وواحدة الرِّبَاب: رَبَّة (وربابة) وهي جماعات قِداح أو عصي ونحوها، فشيَّهوها بها. قال أبو ذؤيب الهذلي:

وَكَأَنَّهِنَّ رِبَابَةٌ وَكَأَنَّهُ يَسَرُّ يَفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَضْدَعُ
وهذا البيت في أبيات له. وقال أُمَيَّة بن أَبِي الصَّلْت:

حَوْلَ شَيَاطِينِهِمْ أَبَابِيلُ رَبِّ يُونَ شَدُّوا سَنَوْرًا مَذْسُورًا
وهذا البيت في قصيدة له:

قال ابن هشام: والرِّبَابَة (أيضًا) الخِرقة التي تُلَفَّ فيها القِداح.

قال ابن هشام: والسَّنَوْر: الدروع. والدُّسْر: هي المسامير التي في الحِلَق، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾^(١).

قال الشاعر، وهو أبو الأَخْزَر الجَمَّاني، من تميم:

دَسَرًا بِأَطْرَافِ الْقَنَا الْمَقُومِ

قال ابن إسحق: أي فقولوا مثل ما قالوا، واعلموا إنما ذلك بذنوب منكم، واستغفروه كما استغفروه، وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم، ولا تَرْتَدُّوا على أعقابكم راجعين، واسألوه كما سألوه أن يُثَبَّتَ أقدامكم، واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين، فكل هذا من قولهم قد كان؛ وَقَدْ قُتِلَ نَبِيُّهُمْ، فلم يفعلوا كما فعلتم، فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا بالظُّهور على عدوهم، وحُسنَ ثواب الآخرة وما وَعَدَ اللهُ فيها، والله يحبُّ المحسنين.

من تفسير آيات أحد:

وقوله تعالى: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ وعلى: تفسير ابن إسحق غَمًّا بعد غَمِّ الباء متعلقة بمحذوف، التقدير: غَمٌّ مقرون بغَمٍّ، وعلى تفسير آخر متعلقة: بأثابكم، أي: أثابكم غَمًّا بما غَمَّمْتُمْ نَبِيَّه حين خالفتُم أمره.

(١) سورة القمر آية رقم (١٣).

تحذيره إياهم من إطاعة الكفار:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾: أي عن عدوكم، فتذهب دُنياكم وآخرتكم ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾، فإن كان ما تقولون بألسنتكم صدقًا في قلوبكم فاعتصموا به، ولا تَسْتَنْصِرُوا بغيره، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدين عن دينه. ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّغْبَ﴾: أي الذي به كنتُ أنصركم عليهم بما أشركوا بي ما لم أجعل لهم من حجة، أي فلا تظنوا أن لهم عاقبة نُضر ولا ظُهور عليكم ما اعتصمتُم بي، واتبعتُم أمري، للمُصيبة التي أصابتكم منهم بذُنوب قدَّمتموها لأنفسكم، خالفتُم بها أمري للمعصية، وعصيتُم بها النبي ﷺ. ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي وقد وُفِّت لكم بما وَعَدْتكم من النصر على عدوكم، إذ تحسُّونهم بالسُّيوف، أي القتل، بإذني وتسلطي أيديكم عليهم، وكفِّي أيديهم عنكم.

قال ابن هشام: الحسن: الاستئصال: يقال: حَسَسْتُ الشيء: أي استأصلته بالسَّيف وغيره. قال جرير:

تحسُّهم السُّيوفُ كما تَسَامَى حريقُ النَّارِ في الأَجَمِ الحَصِيدِ

وهذا البيت في قصيدة له. وقال رُؤبة بن العجاج:

إِذَا شَكُونَا سَنَةً حَسُوسَا

تَأْكُلُ بَعْدَ الْأَخْضَرِ الْيَبِيسَا

وهذان البيتان في أرجوزة له.

وقوله: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ قال ابن عباس: هو عَبْدُ اللَّهِ بن جُبَيْر الذي كان أميرًا على الرُّمَّة، وكان أمرهم أن يُلْزَمُوا مكانهم، وألَّا يُخَالِفُوا أَمْرَ نَبِيِّهِمْ، فثبتت معه طائفة، فاستشهدوا، واستشهدوا، وهم الذين أرادوا الآخرة، وأقبلت طائفة على المَعْنَم، وأخذ السَّلْب، فكَرَّ عليهم العدو، وكانت المصيبة، وفي الخبر: لقد رأيت خَدَمَ هِنْدٍ وصَوَاحِبَهَا، وهُنَّ مُشْمَرَاتٌ فِي الْحَرْبِ. والخَدَمُ: الخلاخيلُ، وكذلك قوله حين ذكر هِنْدًا، وأنها اتخذت من آذَانِ الشُّهَدَاءِ وَأَنْفِهِمْ خَدَمًا وَقَلَائِدَ، وَأَعْطَتْ خَدَمَهَا وَقَلَائِدَهَا وَقِرَطَتَهَا وَخَشِيًّا، معناه: الخلاخل أيضًا.

قال ابن إسحاق: ﴿حتى إذا فشلتم﴾: أي تخاذلتم ﴿وتنازعتم في الأمر﴾ أي اختلفتم في أمري، أي تركتم أمر نبيكم وما عهد إليكم، يعني الرماة ﴿وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون﴾: أي الفتح، لا شك فيه، وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم، ﴿منكم من يريد الدنيا﴾: أي الذين أرادوا النهب في الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التي عليها ثواب الآخرة ﴿ومنكم من يريد الآخرة﴾: أي الذين جاهدوا في الله، ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه لعارض من الدنيا، رغبة فيها، رجاء ما عند الله من ثوابه في الآخرة؛ أي الذين جاهدوا في الدين ولم يخالفوا إلى ما نهوا عنه، لعارض من الدنيا، ليختبركم، وذلك ببعض ذنوبكم، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك، أن لا يهلككم بما أتيتهم من مغصية نبيكم، ولكني عدت بفضلتي عليكم، وكذلك ﴿من الله على المؤمنين﴾ أن عاقب ببعض الذنوب في عاجل الدنيا أدباً وموعظة، فإنه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم، بما أصابوا من مغصيته، رحمة لهم، وعائدة عليهم، لما فيهم من الإيمان.

تأنيبه إياهم لفرارهم عن نبيهم:

ثم أنبهم بالفرار عن نبيهم ﷺ، وهم يدعون لا يغطفون عليه لدعائه إياهم، فقال: ﴿إذ تضرعوا ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غمًا بغمًا لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم﴾: أي كزبًا بعد كرب، بقتل من قتل من إخوانكم، وعلو عدوكم عليكم، وبما وقع في أنفسكم من قول من قال: قتل نبيكم، فكان ذلك مما تتابع عليكم غمًا بغمًا؛ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم؛ من ظهوركم على عدوكم، بعد أن رأيتموه بأعينكم، ولا ما أصابكم من قتل إخوانكم، حتى فرجت ذلك الكرب عنكم ﴿والله خير بما تعملون﴾. وكان الذي فرج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذي أصابهم، أن الله عز وجل رد عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم ﷺ، فلما رأوا رسول الله ﷺ حيًا بين أظهرهم، هان عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم، والمصيبة التي أصابتهم في إخوانهم، حين صرّف الله القتل عن نبيهم ﷺ: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسًا يغشى طائفةً منكم وطائفةً قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبنون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في يوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في

وقوله سبحانه: ﴿لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا﴾ في صحيح التفسير أن عتاب بن قشير هو قائل هذه المقالة، وكان منبوءًا بالنفاق.

قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١﴾ ، فأنزل الله النعاس أمانةً منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لا يخافون ، وأهل النفاق قد أهتمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظنَّ الجاهليَّة ، تخوَّف القتل ، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة ، فذكر الله عزَّ وجلَّ تلاؤمهم وحسرتهم على ما أصابهم . ثم قال الله سبحانه لنبيه ﷺ : ﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ لم تحضروا هذا الموطن الذي أظهر الله فيه منكم ما أظهر من سرائركم ﴿ لَبَرَزَ ﴾ لأخرج ﴿ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ﴾ إلى موطن غيره يُصرعون فيه ، حتى يبتلي به ما في صدورهم ﴿ وَلِيَمْحُصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ : أي لا يخفى عليه ما في صدورهم ممَّا استخفوا به منكم .

تحذيرهم أن يكونوا ممن يخشون الموت في الله :

ثم قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ : أي لا تكونوا كالمنافقين الذين ينهون إخوانهم عن الجهاد في سبيل الله ، والضرب في الأرض في طاعة الله عزَّ وجلَّ ، وطاعة رسوله ﷺ ، ويقولون إذا ماتوا أو قتلوا : لو أطاعونا ما ماتوا وما قتلوا ﴿ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ لقلة اليقين بربهم ، ﴿ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ ﴾ : أي يُعجل ما يشاء ويؤخر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقدرته . قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ : أي إن الموت لكائن لا بدَّ منه ، فموت في سبيل الله ، أو قتل ، خير لو علموا وأيقنوا مما يجمعون من الدنيا التي لها يتأخرون عن الجهاد ، تخوف الموت والقتل لما جمعوا من زهرة الدنيا زهادة في الآخرة ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ﴾ أي ذلك كان ﴿ لِإِلَى اللَّهِ تُخْشَرُونَ ﴾ : أي أن إلى الله المرجع ، فلا تغرَّنكم الدنيا ، ولا تغتروا بها ، وليكن الجهاد وما رغبكم الله فيه من ثوابه أثر عندكم منها .

ذكره رحمة الرسول عليهم :

ثم قال تبارك وتعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ : أي لتركوك ﴿ فَاغْفُ عَنْهُمْ ﴾ : أي فتجاوز عنهم ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ فذكر لنبيه ﷺ

وقوله : ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ أي : يظنون أن الله خاذل دينه ونبيه .

وقوله : ﴿ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ أي : أهل الجاهلية كأبي سفيان وأصحابه .

لِيَنَّهُ لَهِمْ، وَصَبْرَهُ عَلَيْهِمْ، لَضَعْفِهِمْ، وَقَلَّةَ صَبْرِهِمْ عَلَى الْغُلْظَةِ لَوْ كَانَتْ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ مَا خَالَفُوا عَنْهُ مِمَّا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ. ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَاغْفُ عَنْهُمْ﴾: أَيِ تَجَاوَزْ عَنْهُمْ ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذُنُوبَهُمْ، مَنْ قَارَفَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ مِنْهُمْ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾: أَيِ لَتَرِيهِمْ أَنَّكَ تَسْمَعُ مِنْهُمْ، وَتَسْتَعِينُ بِهِمْ، وَإِنْ كُنْتَ غَنِيًّا عَنْهُمْ، تَأَلَّفَا لَهُمْ بِذَلِكَ عَلَى دِينِهِمْ ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾: أَيِ عَلَى أَمْرِ جِئَاكَ مِنِّي وَأَمْرٍ مِنْ دِينِكَ فِي جِهَادِ عَدُوِّكَ لَا يُصْلِحُكَ وَلَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا ذَلِكَ، فَامْضِ عَلَى مَا أَمَرْتُ بِهِ، عَلَى خِلَافٍ مِنْ خَالَفَكَ، وَمُوَافَقَةٍ مِنْ وَافَقَكَ، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، أَيِ ارْضَ بِهِ مِنَ الْعِبَادِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ: أَيِ لَوْلَا تَتْرَكَ أَمْرِي لِلنَّاسِ، وَارْفُضْ أَمْرَ النَّاسِ إِلَى أَمْرِي، وَعَلَى اللَّهِ لَا عَلَى النَّاسِ، فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ.

ما نزل في الغلول

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَ وَمَنْ يَعْلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: أَيِ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكْتُمَ النَّاسَ مَا بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِمْ، عَنْ رَهْبَةٍ مِنَ النَّاسِ وَلَا رَغْبَةٍ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَأْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِهِ، ثُمَّ يُجْزَى بِكَسْبِهِ، غَيْرَ مَظْلُومٍ وَلَا مُعْتَدِي عَلَيْهِ ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ عَلَى مَا أَحَبَّ النَّاسُ أَوْ سَخَطُوا ﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ لَرِضَا النَّاسِ أَوْ لِسَخَطِهِمْ. يَقُولُ: أَفَمَنْ كَانَ عَلَى طَاعَتِي، فَثَوَابَهُ الْجَنَّةِ وَرِضْوَانِ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَاسْتَوْجِبَ سَخَطَهُ، فَكَانَ ﴿مَأْوَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أَسْوَأُ الْمَثَلَانِ! فَاعْرِفُوا. ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ لِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ: أَيِ إِنْ اللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَهْلُ طَاعَتِهِ مِنْ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ.

وَذَكَرَ قَوْلَهُ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ وَفَسَّرَهُ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ أَمَرَ بِمَشَاوَرَتِهِمَا.

حكم الغلول

وَذَكَرَ قَوْلَهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَ﴾ وَفَسَّرَهُ أَنْ يَكْتُمَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَأَكْثَرُ الْمَفْسِّرِينَ يَقُولُونَ: نَزَلَتْ فِي الْغُلُولِ، وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ أَنَّهُمْ فَقَدُوا قَطِيفَةً مِنَ الْمَغْنَمِ، فَقَالَ قَائِلٌ: لَعَلَّ النَّبِيَّ - ﷺ - أَخَذَهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ، وَمَنْ قَرَأَ يُعْلَ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الْغَيْنِ فَمَعْنَاهُ أَنْ يُلْقَى غَالًا، تَقُولُ: أَجْبَنْتُ الرَّجُلَ إِذَا أَلْفَيْتَهُ جَبَانًا، وَكَذَلِكَ أَغْلَلْتُهُ: إِذَا وَجَدْتَهُ. غَالًا، وَقَدْ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدٍ يَكْرِبُ لِبَنِي سَلِيمٍ: قَاتِلْنَاكُمْ، فَمَا أَجْبَنَّاكُمْ، وَسَلَّانَاكُمْ فَمَا أَبْخَلْنَاكُمْ وَتَفْسِيرُ ابْنِ

فضل الله على الناس يبعث الرسل :

ثم قال : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ : أي لقد من الله عليكم يا أهل الإيمان، إذ بعث فيكم رسولاً من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثتكم، وفيما عملتكم، فيعلمكم الخير والشر، لتعرفوا الخير فتعملوا به، والشر فتتقوه، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته، لتتخلصوا بذلك من نقمته، وتذكروا بذلك ثوابه من جنته ﴿وَإِنْ﴾ كُنْتُمْ ﴿مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ : أي لفي عمياء من الجاهلية، أي لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة، صم عن الخير، بكم عن الحق، غمي عن الهدى.

ذكره المصيبة التي أصابتهم :

ثم ذكر المصيبة التي أصابتهم، فقال : ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ : أي إن تك قد أصابتكم مصيبة في إخوانكم بذنوبكم فقد أصبتم مثليها قبل من عدوتكم، في اليوم الذي كان قبله بدر، قتلاً وأسرًا ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم ﷺ، أنتم أحللتكم ذلك بأنفسكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ : أي إن الله على ما أراد بعباده من نعمة أو عفو قدير ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَبَاذِنِ اللَّهَ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ : أي ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فباذني، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نضري، وصدقتم وعدي، ليميز بين المؤمنين والمنافقين، ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ منكم : أي ليظهر ما فيهم. ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اذْفَعُوا﴾ : يعني عبد الله بن أبي وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله ﷺ، حين سار إلى عدوه من المشركين بأحد، وقولهم : لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم، ولدفعنا عنكم، ولكننا لا نظن أنه يكون قتال. فأظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم. يقول الله عز وجل : ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي يظهرون لك الإيمان وليس في قلوبهم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ أي ما يخفون ﴿الَّذِينَ قَالُوا

إسحق [غير] خارج عن مقتضى اللغة. فمن كتم فقد غل، أي : ستر، وكذلك من خان في شيء وأخذه خفية، فقد ستره وكتمه، وأصل الكلمة : الستر والإخفاء، ومنه الغلالة والغلل للماء الذي يغطيه الشجر والنبات، وقد أمر النبي - ﷺ - في بعض المغازي بإحراق متاع الغال، وأخذت به طائفة من الفقهاء، منهم أحمد وإسحق.

لَاخْوَانِهِمْ﴾ الَّذِينَ أُصِيبُوا مَعَكُمْ مِنْ عَشَائِرِهِمْ وَقَوْمِهِمْ: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أَيُّ أَنَّهُ لَا بَدْءَ مِنَ الْمَوْتِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَذْفَعُوهُ عَنْ أَنْفُسِكُمْ فافْعَلُوا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا نَافَقُوا وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَزَبًا عَلَى الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا، وَفِرَارًا مِنَ الْمَوْتِ.

الترغيب في الجهاد

ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ، يَرْغُبُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجِهَادِ، وَيَهْوَنُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: أَيُّ لَا تَظَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا: أَيُّ قَدْ أَحْيَيْتَهُمْ، فَهُمْ عِنْدِي يُرْزَقُونَ فِي رَوْحِ الْجَنَّةِ وَفَضْلِهَا، مَسْرُورِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى جِهَادِهِمْ عَنْهُ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ، أَيُّ وَيُسْرُونَ بِلُحُوقِ مَنْ لِحَقَهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمْ عَلَى مَا مَضَوْا عَلَيْهِ مِنْ جِهَادِهِمْ، لِيَشْرِكُوهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاهُمْ، قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْخَوْفَ وَالْحُزْنَ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لَمَّا عَايَنُوا مِنْ وَفَاءِ الْمَوْعُودِ، وَعَظِيمِ الثَّوَابِ.

الشهادة والشهداء

فَصْلٌ: وَذَكَرَ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الْآيَاتِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ اللَّهُ شُهَدَاءَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَتَّخِذْ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ وَهَذَا الْاسْمُ مَأْخُوذٌ مِنَ الشَّهَادَةِ أَوْ مِنَ الْمُشَاهَدَةِ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الشَّهَادَةِ فَهُوَ شَهِيدٌ بِمَعْنَى مَشْهُودٍ، أَيُّ مَشْهُودٌ عَلَيْهِ، وَمَشْهُودٌ لَهُ بِالْجَنَّةِ، أَمَّا مَشْهُودٌ عَلَيْهِ، فَلَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - حِينَ وَقَفَ عَلَى قَتْلِ أَحَدٍ، قَالَ: «هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَشْهَدُ عَلَيْهِمْ، أَيُّ: أَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِالْوَفَاءِ»، وَقَالَ: عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَقُلْ: لَهُمْ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: أَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ، وَهِيَ وَلايَةُ وَقِيَادَةُ، فَوَصَلْتُ بِحَرْفِ عَلَى، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الشَّهَادَةِ وَتَكُونَ فَعِيلًا بِمَعْنَى فَاعِلٍ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أَيُّ: تَشْهَدُونَ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا، وَإِنْ كَانَ عَامًّا فِي جَمِيعِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فَالشُّهَدَاءُ أَوْلَى بِهَذَا الْاسْمِ، إِذْ هُمْ تَبَعَ لِلصَّادِقِينَ وَالنَّبِيِّينَ. قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ فَهَذَانِ وَجْهَانِ فِي مَعْنَى الشَّهِيدِ، إِذَا جَعَلَتْهُ مُشْتَقًّا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمُشَاهَدَةِ، فَهُوَ فَعِيلٌ بِمَعْنَى: فَاعِلٌ أَيْضًا، لِأَنَّهُ يَشَاهِدُ مِنْ مَلَكُوتِ اللَّهِ، وَيَعَايِنُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ مَا لَا يُشَاهِدُ غَيْرُهُ، وَيَكُونُ أَيْضًا بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، وَهُوَ مِنَ الْمَشَاهِدَةِ؛ أَيُّ: إِنْ الْمَلَائِكَةُ تَشَاهَدُ قَبْضَهُ، وَالْعُرُوجُ بِرُوحِهِ، وَنَحْوُ

مصير قتلى أحد:

قال ابن إسحاق: وحدثني إسماعيل بن أمية، عن أبي الزبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ، جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خَضِرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثَمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَشْرِبِهِمْ وَمَأْكُلِهِمْ، وَحُسْنَ مَقِيلِهِمْ، قَالُوا: يَا لَيْتَ إِخْوَانُنَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ اللَّهُ بِنَا، لئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكَلُوا عَنِ الْحَرْبِ»؛ فقال الله تعالى: فَأَنَا أَبْلَغُهُمْ عَنْكُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِ ﷺ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ﴾...

ذلك، فيكون فعلاً بمعنى مفعول. وأولى هذه الوجوه كلها بالصحة أن يكون فعلاً بمعنى مفعول، ويكون معناه. مَشْهُودًا له بالجنة، أو يشهد عليه النبي عليه السلام كما قال: «هؤلاء أنا شهيد عليهم»، أي: قِيمَ عليهم بالشهادة لهم، وإذا حُشِرُوا تحت لوائه، فهو والٍ عليهم، وإن كان شَاهِدًا لهم، فَمِنْ هَاهُنَا اتَّصَلَ الْفِعْلُ بِعَلَيٍّ، فَتَقَوَّى هَذَا الْوَجْهُ مِنْ جِهَةِ الْخَبَرِ، وَمِنْ وَجْهِ آخَرٍ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ، وَهُوَ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - حِينَ ذَكَرَ الشَّهَدَاءَ قَالَ: «وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمُعٍ»^(١) شَهِيدٌ، وَلَمْ يَقُلْ: شَهِيدَةٌ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى قَالَ: «وَالنَّفْسَاءُ شَهِيدٌ يَجْرُهَا جَنِينُهَا بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ»^(٢)، وَلَمْ يَقُلْ: شَهِيدَةٌ وَفَعِيلٌ إِذَا كَانَ صِفَةً لِمَوْثُوثٍ كَانَ بِغَيْرِ هَاءٍ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، نَحْوُ: امْرَأَةٌ قَتِيلٌ وَجَرِيحٌ، وَإِنْ كَانَ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، كَانَ بِالْهَاءِ كَقَوْلِهِمْ: امْرَأَةٌ عَلِيمَةٌ وَرَجِيمَةٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الشَّهِيدَ مَشْهُودٌ لَهُ، وَمَشْهُودٌ عَلَيْهِ، وَهَذَا اسْتِثْنَاءٌ مِنَ اللُّغَةِ صَحِيحٌ، وَاسْتِثْنَاءٌ مِنَ الْحَدِيثِ بَدِيعٌ، فَقِفْ عَلَيْهِ.

وذكر ابن إسحاق حديث ابن عباس المرفوع، وفيه أن الله جعل أرواحهم في أجواف طير خضر، وعن قتادة قال: ذكر لنا أن أرواح الشهداء نتعارف عند السدرة في أجواف طير بيض، وقد أنكر هذه الرواية قوم، وقالوا: لا يكون روحان في جسد واحد، وإن ذلك مُحَالٌ، وَهَذَا جَهْلٌ بِالْحَقَائِقِ، فَإِنْ مَعْنَى الْكَلَامِ بَيِّنٌ، فَإِنَّ رُوحَ الشَّهِيدِ الَّذِي كَانَ فِي جَسَدِهِ فِي الدُّنْيَا، يُجْعَلُ فِي جَسَدٍ آخَرَ كَأَنَّهُ صُورَةٌ طَائِرٍ، فَيَكُونُ فِي هَذَا الْجَسَدِ الْآخِرِ، كَمَا كَانَ فِي الْأَوَّلِ، إِلَى أَنْ يُعِيدَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا خَلَقَهُ، وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ لَا تُعَارِضُ مَا رَوَاهُ مِنْ قَوْلِهِ: فِي صُورِ طَيْرٍ خَضِرٍ، وَالشَّهَدَاءُ طَيْرٌ خَضِرٌ، وَجَمِيعُ الرِّوَايَاتِ كُلُّهَا مُتَّفَقَةٌ الْمَعْنَى، وَإِنَّمَا الَّذِي يَسْتَحِيلُ فِي الْعَقْلِ قِيَامُ حَيَاتَيْنِ بِجَوْهَرٍ وَاحِدٍ، فَيَخِيَا الْجَوْهَرُ بِهِمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا رُوحَانِ فِي جَسَدٍ فَلَيْسَ بِمُحَالٍ إِذَا لَمْ تَقُلْ بِتَدَاخُلِ الْأَجْسَامِ، فَهَذَا الْجَنِينُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَرُوحُهُ غَيْرُ

(٢) أخرجه الطبراني (٨٧/١٨).

(١) بجمع: أي حاملًا.

رُوحِهَا، وقد اشتمل عليهما جَسَدُ واحد، وهذا أن لو قيل لهم: إن الطائر له رُوحٌ غيرُ رُوحِ الشَّهِيدِ، وهما في جَسَدٍ واحد، فكيف، وإنما قال: في أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضِرٍ، أي: في صورة طَيْرٍ خُضِرٍ، كما تقول: رأيت مَلَكًا في صورة إنسانٍ، وكذلك قوله عليه السلام: «إنما نَسَمَةُ المؤمن طائر يَغْلَقُ في ثَمَرِ الْجَنَّةِ»^(١) تأوَّله بعضهم مَخْصُوصًا بالشَّهِيد، وقال بعضهم: إنما الشَّهِيد في الْجَنَّةِ يأكل منها حيث شاء، ثم يأوي إلى قناديل مُعَلَّقة في العَرْشِ، وغير الشَّهِيد من المؤمنين نَسَمَتُهُ، أي: رُوحه طائر، لا أن رُوحه جُعِلَ في جَوْفِ طائر، ليأكل ويشرب، كما فُعِلَ بالشَّهِيد لكن الروح نفسه طائرٌ يَغْلَقُ بِشَجَرِ الْجَنَّةِ، يَغْلَقُ بفتح اللام يُنْشَبُ بها، وَيَرَى مَقْعَدَهُ منها، ومن رواه: يَغْلَقُ فمعناه يُصِيبُ العُلُقَةَ، أي: ينال منها ما هو دون نَيْلِ الشَّهِيد، فضرب العُلُقَةَ مثلاً، لأن من أصاب العُلُقَةَ من الطعام والشراب فقد أصاب دون ما أصاب غيره ممَّن أدرك الرِّغْدَ، فهو مَثَلٌ مَضْرُوبٌ يُفْهَمُ منه هذا المعنى.

وإن كان أراد يَغْلَقُ الأكل نفسه، فهو مخصوص بالشَّهِيد، فتكون رواية من رواه بالضم للشهداء، ورواية الفتح لمن دونهم، فالله أعلم بما أراد رسوله من ذلك.

وقوله: ثم تأوي إلى قناديل يُصَدِّقُه قوله تعالى عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٩]. وإنما تأوي إلى تلك القناديل ليلاً، وتَسْرُحُ نهاراً، فتعلم بذلك الليل من النهار، وبعد دخول الجنة في الآخرة، لا تأوي إلى تلك القناديل - والله أعلم - وإنما ذلك مُدَّةُ الْبَرْزَخِ هذا ما يدل عليه ظاهر الحديث. وقال مجاهد: الشهداء يأكلون من ثَمَرِ الْجَنَّةِ وليسوا فيها، وقد أنكر أبو عمر قول مجاهد، وردّه وليس بمنكر عندي، ويشهد له ما وقع في مُسْنَدِ ابن أبي شَيْبَةَ وغيره عن النبي - ﷺ - قال: «الشهداء بِنَهَرٍ» أو «على نَهَرٍ» يقال له: «بارقٌ عند باب الجنة في قَبَابِ خُضِرٍ يأتيهم رزقهم منها بُكْرَةً وَعَشِيًّا»^(٢)، فهذا يبين ما أراد مجاهد، والله أعلم.

ومما وقع السِّيرة أيضاً، ولم يذكره ابنُ هِشَامٍ حديث رواه ابن إسحاق، قال: حدَّثني إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، قال: حدَّثني بعضُ أهلِ العلم أن رسول الله - ﷺ - قال: «الشهداء ثلاثة، فأدنى الشهداء عند الله منزلة رَجُلٍ خرج مسوداً بنفسه ورَحْلِهِ، لا يريد أن

(١) أخرجه النسائي (١٠٨/٤) وابن ماجه (٤٢٧١) وأحمد (٤٥٥/٣) وأبو نعيم في الحلية (١٥٦/٩) ومالك في الموطأ (٢٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٦/١) وابن أبي شيبه (٢٩٠/٥) والحاكم (٧٤/٢) والطبراني (٤٠٥/١٠) وابن حبان (١٦١١ - موارد).

قال ابن إسحاق: وحدثني الحارث بن الفضيل، عن محمود بن لبيد الأنصاري عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيًا».

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن هؤلاء الآيات: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فقال: أما إننا قد سألنا عنها فقيل لنا: إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فيطلع الله عز وجل عليهم إطلاعة فيقول: يا عبادي، ما تشتهون فأزيدكم؟ قال: فيقولون: ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا! قال: ثم يطلع الله عليهم إطلاعة، فيقول: يا عبادي، ما تشتهون، فأزيدكم؟ فيقولون: ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا! قال: ثم يطلع عليهم إطلاعة، فيقول: يا عبادي، ما تشتهون فأزيدكم؟ فيقولون: ربنا لا فوق ما أعطيتنا، الجنة نأكل منها حيث شئنا. إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا، ثم نرد إلى الدنيا، فنقاتل فيك، حتى نقتل مرة أخرى.

يقتل ولا يقتل أتاه سهم غرّب فأصابه، قال: فأول قطرة تقطر من دمه، يغفر الله بها ما تقدم من ذنبه، ثم يهبط الله إليه جسدا من السماء، فيجعل فيه روحه، ثم يصعد به إلى الله، فما يمرّ بسماء من السموات إلا شيعته الملائكة، حتى ينتهي به إلى الله، فإذا انتهى به إليه وقع ساجدا، ثم يؤمر به فيكسى سبعين زوجا من الاستبرق، ثم يقول رسول الله ﷺ: «كأحسن ما رأيتم من شقائق النعمان». وحدث كعب الأخبار عن قول رسول الله عليه السلام - فقال كعب الأخبار: أجل كأحسن ما رأيتم من شقائق النعمان، ثم يقول: اذهبوا به إلى إخوانه من الشهداء، فاجعلوه معهم، فيؤتى به إليهم من قبة خضراء، في روضة خضراء عند باب الجنة يخرج عليهم حوث ونور من الجنة لغدائهم، فيلعبانهم، حتى إذا كثر عجبهم منها طعن الثور الحوث بقرنه، فبقره لهم عما يدعون. ثم يروحان عليهم لعشائهم، فيلعبانهم، حتى إذا كثر عجبهم منهما ضرب الحوث الثور بذنبه فبقره لهم عما يدعون، فإذا انتهى إلى إخوانه سألوهم تسألوا الراكب يقدم عليكم بلادكم، فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقول: أفلس، فيقولون: فما أهلك ماله فوالله إن كان لكيسا جموعا تاجرا، فيقال لهم: إننا لا نعد الفلّس ما تعدّون، وإنما نعدّ الفلّس من الأعمال، فما فعل فلان وامرأته فلانة؟ فيقول: طلقها، فيقولون: فما الذي نزل بينهما، حتى طلقها، فوالله إن كان بها لمعجبا؟ فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقولون: مات أيّهات قبل بزمان، فيقولون: هلك والله ما سمعنا له بذكر، إن الله طريقين، أحدهما: علينا،

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أصحابنا، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أبشرك يا جابر؟» قال: قلت: بلى يا نبي الله؛ قال: «إن أباك حيث أصيب بأحد أحياء الله عز وجل»، ثم قال له: ما تحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك؟ قال: أي رب، أحب أن تردني إلى الدنيا فأقاتل فيك، فأقتل مرة أخرى»^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني عمرو بن عبيد، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما من مؤمن يفارق الدنيا يحب أن يرجع إليها ساعة من نهار، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد، فإنه يحب أن يرد إلى الدنيا، فيقاتل في سبيل الله، فيقتل مرة أخرى».

ذكر من خرجوا على الرسول إلى حمراء الأسد:

قال ابن إسحاق: ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ أي الجراح، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله ﷺ الغد من يوم أحد إلى حمراء الأسد على ما بهم من ألم الجراح: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاحشواهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، والناس الذين قالوا لهم ما قالوا، النفر من عبد القيس، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال، قالوا إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم. يقول الله عز وجل: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى ديارهم فَأُخْذُوا فِي السَّيْرِ﴾ فأنقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم، لما صرف الله عنهم من لقاء عدوهم ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ﴾، أي لأولئك الرهط وما ألقى الشيطان على أفواههم ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾: أي يرهبك بأوليائه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا أَنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾: أي المنافقون ﴿إِنَّهُمْ لَنْ

والآخر، يخالف بها عنا، فإذا أراد الله بعبد خيراً أمر به علينا، فعرفناه، وعرفنا متى مات، وإذا أراد الله بعبد شراً خولف به عنا، فلم نسمع له بذكر، هلك والله فلان، فإن هذا لأذنى الشهداء عند الله نزلة، وإن الآخر رجل خرج مسوداً بنفسه ورخله يحب أن يقتل، ولا يقتل، أتاه سهم عذب فأصابه، فذلك رفيق إبراهيم خليل الرحمن يوم القيامة يحك ركبته ركبته، وأفضل الشهداء: رجل خرج مسوداً بنفسه ورخله يحب أن يقتل وأن يقتل، وقاتل حتى قتل قعصاً فذلك يبعثه الله يوم القيامة شاهراً سيفه، يتمنى على الله، لا يسأله شيئاً إلا أعطاه

(١) أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصفهان (١٩٣/٢).

يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَا يَخْسِبُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴿١﴾ أَيُّ الْمُنَافِقِينَ ﴿٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴿٣﴾ أَيُّ فِيمَا يُرِيدُ أَنْ يَتْلِيَكُمْ بِهِ، لَتَحْذَرُوا مَا يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ فِيهِ ﴿٤﴾ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴿٥﴾ أَيُّ يَعْلَمُهُ ذَلِكَ ﴿٦﴾ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا ﴿٧﴾ أَيُّ تَرْجِعُوا وَتَتُوبُوا ﴿٨﴾ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾.

ذَكَرَ مَنْ اسْتَشْهَدَ بِأَحَدٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ^(١):

مِنْ بَنِي هَاشِمٍ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَاسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أَحَدٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ بَنُ عَبْدِ مَنْفٍ: حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَتْلَهُ وَخَشْيَتِي، غَلَامُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ.

مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ:

وَمِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بَنُ عَبْدِ شَمْسٍ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ، حَلِيفُ لَهُمْ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُرَيْمَةَ.

إِيَّاهُ ^(٢). وَقَعَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ذِكْرُ الْحَوْتِ وَلَعِبِهِ مَعَ الثَّورِ وَقَدْ خَرَّجَهُ هَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ فِي كِتَابِ الرِّقَاقِ لَهُ بِأَكْثَرِ مِمَّا وَقَعَ هَا هُنَا، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْهُ ذِكْرُ أَكْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ كَبِدِ أَوَّلِ مَا يَأْكُلُونَ، ثُمَّ يُنْخَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ بَابِ التَّفَكُّرِ وَالِاعْتِبَارِ أَنَّ الْحَوْتَ لَمَّا كَانَ عَلَيْهِ قَرَرُ هَذِهِ الْأَرْضِ، وَهُوَ حَيَوَانٌ سَابِحٌ لَيْسَتْ شَعِيرَةُ أَهْلِ هَذِهِ الدَّارِ أَنَّهُمْ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ، وَلَيْسَ بِدَارٍ قَرَارٍ، فَإِذَا نُجِرَ لَهُمْ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَأَكَلُوا مِنْ كَبِدِهِ، كَانَ فِي ذَلِكَ إِشْعَارٌ لَهُمْ بِالرَّاحَةِ مِنْ دَارِ الزَّوَالِ، وَأَنَّهُمْ قَدْ صَارُوا إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، كَمَا يُذْبَحُ لَهُمْ الْكَبْشُ الْأَمْلَحُ عَلَى الصُّرَاطِ، وَهُوَ صُورَةُ الْمَوْتِ لَيْسَتْ شَعِيرَةً أَنْ لَا مَوْتَ، وَأَمَّا الثَّورُ فَهُوَ آلَةُ الْحَرْثِ، وَأَهْلُ الدُّنْيَا لَا يَخْلُونَ مِنْ أَحَدِ الْحَرْثَيْنِ، حَرْثِ الدُّنْيَاهُمْ، وَحَرْثِ الْآخِرَاهُمْ، فَفِي نَخْرِ الثَّوْرِ لَهُمْ هُنَاكَ إِشْعَارٌ بِإِرَاحَتِهِمْ مِنَ الْكَدِّينِ وَثَرَفِهِمْ مِنْ نَصَبِ الْحَرْثَيْنِ، فَاعْتَبِرْ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

(١) انظر الواقدي (٢٩١) ابن سعد (٢/١/٢٩) تلقيح الفهوم (٢٢٤) البداية والنهاية (٤/٤٦) جوامع السيرة لابن حزم (٢٠٤).

(٢) أورده ابن حجر في المطالب (١٨٧٤) والهيثمي في المجمع (٥/٢٩١) والسيوطي في الدرر المشور (٢/٩٨). وقصة النور الذي يحمل الأرض - موضوعة - وكذلك قصة لعبه مع الحوت.

من بني عبد الدار:

ومن بني عبد الدار بن قُصَيٍّ: مُصعب بن عُمير، قتله ابنُ قَمِئَةَ اللَّيْثِيِّ.

من بني مخزوم:

ومن بني مخزوم بن يَقْظَةَ: شَمَّاس بن عُثْمان. أربعة نفر.

من الأنصار:

ومن الأنصار، ثم من بني عبد الأشهل: عمرو بن مُعَاذ بن النُّعْمان، والحارث بن أنس بن رافع، وعُمارَة بن زياد بن السَّكَن.

قال ابن هشام: السَّكَن: بنُ رافع بن امرئ القيس؛ ويقال: السَّكَن.

قال ابن إسحاق: وسَلَمَة بن ثابت بن وَقْش، وعمرو بن ثابت بن وَقْش. رجلان.

قال ابن إسحاق: وقد زعم لي عاصم بن عمر بن قتادة: أن أباهما ثابتًا قُتل يومئذ. ورفاعة بن وَقْش. وحُسَيْن بن جابر، أبو حُذيفة وهو اليَمان، أصابه المسلمون في المعركة ولا يدرون، قتصدَّق حُذيفة بديته على مَنْ أصابه؛ وصَيْفِي بن قَيْظِي. وحَبَاب بن قَيْظِي. وعَبَّاد بن سَهْل، والحارث بن أَوْس بن مُعَاذ. اثنا عشر رجلاً.

من راتج:

ومن أهل راتج: إِيَّاس بن أَوْس بن عَتِيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن زَعُوراء بن جُشم بن عبد الأشهل؛ وعُبَيْد بن التَّيْهان.

قال ابن هشام: ويقال: عَتِيك بن التَّيْهان.

وحبيب بن يَزِيد بن تَيْم. ثلاثة نفر.

إغفال ابن إسحاق نسب عبید بن التيهان:

فصل: وذكر ابن إسحاق فيمن استشهد يوم أحد عُبَيْد بن التَّيْهان. واسم التَّيْهان: مالِك، ولم يرفع نَسَبَه، وكذلك فعل في هذا النسب حيث وقع في هذا الكتاب، وهو نَسَبٌ مختلف فيه، وقد رفعناه عند ذكر أبي الهيثم، وذكرنا الخلاف فيه هنالك.

وقول كعب بن مالك:

ولا مثل أضياف الأراشي مَعْشَرا

من بني ظفر:

ومن بني ظفر: يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع. رجل.

من بني ضبيعة:

ومن بني عمرو بن عوف، ثم من بني ضبيعة بن زيد: أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد، وحَنْظَلَة بن أبي عامر بن صيفي بن نعمان بن مالك بن أمة، هو غَسِيل الملائكة، قتله شَدَاد بن الأسود بن شعوب الليثي. رجلان.

قال ابن هشام: قيس: بن زيد بن ضبيعة، ومالك: بن أمة بن ضبيعة.

من بني عبيد:

قال ابن إسحاق: ومن بني عبيد بن زيد: أنيس بن قتادة. رجل.

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف: أبو حَيَّة، وهو أخو سعد بن خيثمة لأمه.

قال ابن هشام: أبو حَيَّة: بن عمرو بن ثابت.

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن جبير بن النعمان، وهو أمير الرماة. رجلان.

من بني السلم:

ومن بني السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس: خَيْثَمَة أبو سعد بن خيثمة. رجل.

من بني العجلان:

ومن حلفائهم من بني العجلان: عبدُ الله بن سَلَمَة: رجل.

من بني معاوية:

ومن بني معاوية بن مالك: سَبِيع بن حاطب بن الحارث بن قيس بن هَيْشَة. رجل.

يعني: أبا الهيثم، فجعله إرَاشِيًا، وليست إراشة من الأنصار، ونسبه موسى بن عُقْبَة في جماعة معه إلى بَلِيٍّ، وقالوا: هو خَلِيفُ الأنصار، وليس من أنفسهم، وقال ابن إسحاق والواقدي في المستهشد يوم أحد: عُبَيْد بن التَّيْهَان، وقال ابنُ عُقْبَة، وأبو مغشّر، وابنُ عمارة: هو عَتِيكُ بن التَّيْهَان.

من بني النَجَّار:

قال ابن هشام: ويقال: سُويِّق بن الحارث بن حاطب بن هَيْشَة.

قال ابن إسحاق: ومن بني النَجَّار، ثم من بني سَوَاد بن مالك بن غَنِي: عمرو بن قَيْس، وابنه قيس بن عمرو.

قال ابن هشام: عمرو بن قيس: بنُ زيد بن سواد.

قال ابن إسحاق: وثابت بن عمرو بن زيد، وعامر بن مَخْلَد. أربعة نفر.

من بني مَبْذُول:

ومن بني مَبْذُول: أبو هُبَيْرَة بن الحارث بن عَلْقَمَة بن عمرو بن ثَقَف بن مالك بن مَبْذُول، وعمرو بن مُطَرَف بن عَلْقَمَة بن عمرو. رجلان.

من بني عمرو:

ومن بني عمرو بن مالك: أوس بن ثابت بن المُنْذِر. رجل.

قال ابن هشام: أوس بن ثابت، أخو حَسَّان بن ثابت.

من بني عَدِي:

قال ابن إسحاق: ومن بني عَدِي بن النَجَّار: أنس بن النُّضْر بن ضَمُضَم بن زيد بن حَرَام بن جُنْدَب بن عامر بن غَنَم بن عَدِي بن النَجَّار. رجل.

قال ابن هشام: أنس بن النضر، عم أنس بن مالك: خادم رسول الله ﷺ.

من بني مازن:

ومن بني مازن بن النَجَّار: قَيْس بن مُخَلَّد، وكيسان، عبد لهن. رجلان.

من بني دينار:

ومن بني دينار بن النَجَّار: سُليم بن الحارث، ونعمان بن عبد عمرو. رجلان.

أبو حَنَّة أو حَبَّة:

وذكر فيهم أبا حَبَّة الأنصاري البَذْرِي، وقال ابن هشام: أبو حَنَّة بن ثابت بالنون، وكذلك قال الواقدي، قال: ليس فيمن شهد يوم بدرٍ مَنْ اسمه أبو حَبَّة بالباء، وكذلك رَوَى موسى بن عُقْبَة عن ابن شهاب: أبو حَنَّة بالنون شهد بدرًا، واستشهد يوم أحد، وهو من

من بني الحارث:

ومن بني الحارث بن الخزرج خارجة بن زيد بن أبي زهير، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير، دفنا في قبر واحد، وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب. ثلاثة نفر.

من بني الأبحر:

ومن بني الأبحر، وهم بنو خذرة: مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبحر، وهو أبو أبي سعيد الخدري.

قال ابن هشام: اسم أبي سعيد الخدري: سنان، ويقال: سعد.

قال ابن إسحاق: وسعيد بن سويد بن قيس بن عامر بن عبادة بن الأبحر، وعتبة بن ربيع بن رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبحر. ثلاثة نفر.

من بني ساعدة:

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج: ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة، وثقف بن قزوة بن البدي. رجلان.

من بني طريف:

ومن بني طريف، رَهْط سعد بن عبادة: عبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة بن وقش بن ثعلبة بن طريف، وضَمْرَة، حليف لهم من بني جُهينة. رجلان.

من بني عوف:

ومن بني عوف بن الخزرج، ثم من بني سالم، ثم من بني مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم: نوفل بن عبد الله، وعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان، ونعمان بن مالك بن ثعلبة بن فهر بن غنم بن سالم، والمُجَذَّر بن زياد، حليف لهم من بلي، وعبادة بن الحسحاس.

دفن النعمان بن مالك، والمُجَذَّر، وعبادة في قبر واحد. خمسة نفر.

الأوس، واسمه ثابت، وقيل: عمرو بن ثابت، والاختلاف في اسمه، وفي كُنْيَتِهِ كثير. وأما أبو حبة المستشهد يوم اليمامة، فهو أبو حبة بن غزيرة بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل، ولم

من بني الحُبلى:

ومن بني الحُبلى: رِفاعَة بن عَمْرُو. رجل.

من بني سلمة:

ومن بني سَلَمَة، ثم من بني حَرَام: عبد الله بن عمرو بن حَرَام بن ثعلبة بن حرام، وعمرو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام، دُفنا في قبر واحد، وخلاد بن عَمْرُو بن الجَمُوح بن زيد بن حرام، وأبو أيمن، مولى عَمْرُو بن الجَمُوح. أربعة نفر.

من بني سواد:

ومن بني سَوَاد بن غَنَم: سُليم بن عمرو بن حَديدة، ومولاه عَنترَة، وسهل بن قَيْس بن أبي كعب بن القين. ثلاثة نفر.

من بني زريق:

ومن بني زُرَيْق بن عامر: ذُكْوَان بن عبد قَيْس، وعُبَيْد بن المُعَلَّى بن لَوْذَان. رجلان.

قال ابن هشام: عُبَيْد بن المُعَلَّى، من بني حبيب.

عدد الشهداء:

قال ابن إسحاق: فجميع من استشهد من المُسلمين مع رسول الله ﷺ من المُهاجرين والأنصار، خمسة وستون رجلاً.

من بني معاوية:

قال ابن هشام: وممَّن لم يذكر ابن إسحاق من السَّبعين الشهداء الذين ذكرنا، من الأوس، ثم من بني مُعاوية بن مالك: مالك بن نُمَيْلة، حليف لهم من مزينة.

من بني خزيمة:

ومن بني خَظْمة - واسم خَظْمة: عبد الله بن جُشم بن مالك بن الأوس - الحارث بن عَدِي بن خَرْشة بن أُمَيَّة بن عامر بن خَظْمة.

يخالف في ذلك إلا من لا يؤبه بقوله، واسمه: زَيْد بن غُزَيَّة بن عَمْرُو، وهو من الخَزْرج، والأوّل من الأوس، وقد قيل في الأوّل: أَوْحِيَّة بياء معجمة باثنتين، فالله أعلم.

من بني الخزرج:

ومن الخزرج، ثم من بني سواد بن مالك: مالك بن إياس.

من بني عمرو:

ومن بني عمرو بن مالك بن النجار: إياس بن عدي.

من بني سالم:

ومن بني سالم بن عوف: عمرو بن إياس.

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد:

من بني عبد الدار:

قال ابن إسحق: وقتل من المشركين يوم أحد من قريش، ثم من بني عبد الدار بن قُصَيٍّ من أصحاب اللواء: طلحة بن أبي طلحة، واسم أبي طلحة: عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، قتله علي بن أبي طالب، (و) أبو سعيد بن أبي طلحة، قتله سعد بن أبي وقاص.

قال ابن هشام: ويقال: قتله علي بن أبي طالب.

قال ابن إسحق: وعثمان بن أبي طلحة، قتله حمزة بن عبد المطلب، ومسافع بن طلحة، والجلاس بن طلحة، قتلها عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وكلاب بن طلحة، والحارث بن طلحة، قتلها قُزَمان، حليف لبني ظفر.

قال ابن هشام: ويقال: قتل كلاباً عبد الرحمن بن عوف.

قال ابن إسحق: وأرطاة بن عبد شريحيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، قتله حمزة بن عبد المطلب، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، قتله قُزَمان، وضَوَّاب: غلام له حبشي، قتله قُزَمان.

وَحَنَّةُ بالنون: دَيْرُ حَنَّةَ معروف بالشام، وَحَنَّةُ أُمُّ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَحَنَّةُ بخاء منقوطة بِنْتُ يَحْيَى بن أَكْثَمَ الْقَاضِي، وَهِيَ أُمُّ مُحَمَّدٍ بن نَصْرِ الْمَرْوَزِيِّ الْفَقِيهِ وَحَنَّةُ بِالْجِيمِ لَا يَعْرِفُ إِلَّا أَبُو جَنَّةَ خَالُ ذِي الرُّمَّةِ الشَّاعِرِ، قَالَ ابْنُ مَكُولَا.

قال ابن هشام: ويقال: قَتله عليُّ بن أبي طالب، ويقال: سعد بن أبي وقَّاص،
ويقال: أبو دُجانة.

قال ابن إسحاق: والقاسط بن شريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار قَتله
قُزَمان. أحد عشر رجلاً.

من بني أسد:

ومن بني أسد بن عبد العزى بن قُصَيٍّ: عبدُ الله بن حُميد بن زهير بن الحارث بن
أسد. قَتله عليُّ بن أبي طالب. رجل.

من بني زهرة:

ومن بني زهرة بن كلاب: أبو الحَكَم بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب
الثَّقفي، حليف لهم، قَتله علي بن أبي طالب، وسباع بنُ عبد العزى - واسم
عبد العزى: عمرو بن نَضلة بن غُبشان بن سليم بن مَلْكان بن أفضى - حليف لهم من
خُزاعة، قَتله حمزة بن عبد المطلب. رجلان.

من بني مخزوم:

ومن بني مخزوم بن يَقْظة، هشام بن أبي أُمَيَّة بن المُغيرة، قَتله قُزَمان، والوليد بن
العاص بن هشام بن المغيرة، قَتله قُزَمان، وأبو أُمَيَّة بن أبي حُذيفة بن المغيرة، قَتله
علي بن أبي طالب، وخالد بن الأعلم، حليف لهم، قَتله قُزَمان. أربعة نفر.

من بني جمح:

ومن بني جَمَح بن عمرو: عمرو بن عبد الله بن عُمير بن وهب بن حُذافة بن
جمَح، وهو أبو عَزَّة قَتله رسولُ الله ﷺ صَبْرًا، وأُبَي بن خَلَف بن وهب بن حذافة بن
جُمَح، قَتله رسول الله ﷺ بيده. رجلان.

من بني عامر:

ومن بني عامر بن لُؤَيٍّ: عُبيدة بن جابر، وشيبة بن مالك بن المَضَرَّب، قَتلهما
قُزَمان. رجلان.

قال ابن هشام: ويقال: قَتل عُبيدة بن جابر عبدُ الله بن مسعود.

وذكر فيمن استشهد يوم أحد عبدُ الله بن سَلَمَة العَجَلَانِي، سَلَمَة بفتح اللام تقيد في
الأصل، وفي الأصول الصُّحاح من رواية ابن هشام، وذكره الدَّارِقُطْنِي في باب سَلِمَة بكسر

عدد قتلى المشركين:

قال ابن إسحاق: فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أحد من المشركين، اثنان وعشرون رجلاً.

اللام، وأخبر أنها رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق، وكذلك ذكر أبو عُمَر أيضاً أنها رواية إبراهيم بن سعد، والله أعلم.

ذكر ما قيل من الشعر يوم أُحُد

شعر هبيرة:

قال ابن إسحق: وكان مما قيل من الشعر في يوم أُحُد، قولُ هُبَيْرَةَ بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم - قال ابن هشام: عائذ بن عمران بن مخزوم:

ما بال هَمِّ عَمِيدٍ باتَ يَطْرُقني	بالوَدِّ من هُنْدٍ إذ تَغْدو عَوادِيها
باتَتْ تُعَاتِبني هُنْدٌ وتَغْذُلني	والحَرْبُ قد شَغَلت عني موالِيها
مَهلاً فلا تَغْذُلني إنَّ من خُلُقِي	ما قد عَلِمَتْ وما إن لَسْتُ أُخْفِيها
مُساعِفٌ لبني كَغِبٍ بما كَلِفُوا	حَمالُ عِبٍّ وأثقالُ أَعانِيها
وقد حملتُ سِلاحِي فوق مُشْتَرَفٍ ^(١)	ساطِ ^(٢) سَبوح ^(٣) إذا تَجَرِي يُبارِيها
كأنَّه إذ جَرى عَيرٌ بِفَدْفَدَةٍ ^(٤)	مُكَدَّمٌ ^(٥) لاجِقٌ بِالْعُونِ يَخْمِيها
من آلِ أَعوجَ يَرْتاحُ النَّدِي له	كجذعِ شَغراءِ مُسْتَغَلٍ مَراقِيها
أَعَدَّتهُ ورِقاقَ الحَدِّ مُنْتَخِلا	ومارِئاً ^(٦) لخطوبٍ ^(٧) قَدْ أَلاقِيها

شرح ما وقع في هذه الغزوة من الأشعار

وقد شرطنا الإضراب عن شرح شِعر الكَفَرَةِ والمفاخرين بقتال النبي - ﷺ - إلا مَنْ

- | | |
|--------------------------------------|--------------------------------|
| (١) مشترف: ترس كبير. | (٢) ساط: بعيد الخطو. |
| (٣) سبوح: سريع غير مضطرب في جريه. | (٤) فدفة: ضرب البعير بأقدامها. |
| (٥) مكدم: كثير العض متمرس في القتال. | (٦) مارئاً: رمح صلب. |
| (٧) الخطوب: الأمور العظام. | |

هذا وَبَيْضَاءَ مِثْلِ النَّهْيِ مُحْكَمَةً
سُقْنَا كِنَانَةً مِنْ أَطْرَافِ ذِي يَمَنٍ
قَالَتْ كِنَانَةٌ: أَنَى تَذْهَبُونَ بِنَا؟
نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْجَرِّ مِنْ أَحَدٍ
هَابُوا ضِرَابًا وَطَعْنَا صَادِقًا خَذَمًا^(٢)
ثُمَّتْ رُحْنًا كَأَنَّا عَارِضٌ بِرِدٍّ
كَأَنَّ هَامَهُمْ عِنْدَ الْوَعْيِ فَلَقُوا
أَوْ حَنْظَلَ ذَعْدَعَتَهُ الرِّيحُ فِي غُصْنٍ
قَدْ نَبَذَ الْمَالَ سَحًّا^(٦) لَا حِسَابَ لَهُ
وَلَيْلَةً يَضْطَلِي بِالْفَرَثِ جَارِزُهَا^(٧)
وَلَيْلَةً مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أُنْدِيَةِ

نِطِطُ^(١) عَلَيَّ فَمَا تَبْدُو مَسَاوِيَهَا
عُرْضُ الْبِلَادِ عَلَى مَا كَانَ يُزْجِيهَا
قُلْنَا: النَّخِيلُ، فَأَمُّوْهَا وَمَنْ فِيهَا
هَابَتْ مَعَدُّ فَقُلْنَا نَحْنُ نَأْتِيهَا
مِمَّا يَرَوْنَ وَقَدْ ضُمَّتْ قَوَاصِيهَا
وَقَامَ هَامُ بَنِي النَّجَّارِ يَبْكِيهَا
مَنْ قَيْضُ رُبْدٍ^(٣) نَفَثَهُ عَنْ أَدَاجِيهَا
بِالِ تَعَاوَرِهِ^(٤) مِنْهَا سَوَافِيهَا^(٥)
وَنَطَعْنَ الْخَيْلَ شَزْرًا فِي مَاقِيهَا
يَخْتَصُّ بِالنَّقْرِ^(٨) الْمُثْرِينَ دَاعِيَهَا
جَرَبًا جُمَادِيَّةً قَدْ بَتَّ أُسْرِيهَا

أَمَّنَ مِنْهُمْ، لَكِنَّهُ ذَكَرَ فِي شَعْرِ هُبَيْرَةَ الَّذِي بَدَأَ بِهِ بَيْتَيْنِ لَيْسَا مِنْ شَعْرِهِ، فَلِذَلِكَ ذَكَرْتَهُمَا، وَهُمَا:

وَلَيْلَةً يَضْطَلِي بِالْفَرَثِ جَارِزُهَا
فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أُنْدِيَةِ
يَخْتَصُّ بِالنَّقْرِ الْمُثْرِينَ دَاعِيَهَا
جَرَبًا جُمَادِيَّةً قَدْ بَتَّ أُسْرِيهَا
قَوْلُهُ: يَضْطَلِي بِالْفَرَثِ، أَيُّ: يَسْتَدْفِيءُ بِهِ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ.

حول جمع ندى وأسماء الشهور:

وقوله: يَخْتَصُّ بِالنَّقْرِ الْمُثْرِينَ، يريد يَخْتَصُّ الْأَغْنِيَاءَ طَلَبًا لِمَكَافَأَتِهِمْ، وَلِيَأْكُلَ عَنْدهُمْ، يَصِفُ شِدَّةَ الزَّمَانِ، قَالَهُ يَعْقُوبُ فِي الْأَلْفَاظِ، وَنَسَبَهُمَا لِلْهُذَلِيِّ، وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ أَنَّهُمَا لَيْسَا لَهُبَيْرَةَ وَنَسَبَهُمَا لَجَنْوَبَ أُخْتِ عَمْرِو ذِي الْكَلْبِ الْهُذَلِيِّ.

وقوله: ذَاتِ أُنْدِيَةِ^(٩): جَمْعُ نَدَى عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ جَمْعُ الْجَمْعِ كَأَنَّهُ

- (١) نِطِطُ: حَث.
(٢) خَذَمًا: قَاطَعًا.
(٣) رِبْدٌ: غِبَارٌ.
(٤) تَعَاوَرَهُ: تَدَاوَلَهُ.
(٥) السَّوَافِي: الْإِبِلُ الرِّيْضَةُ.
(٦) سَحًّا: مُسْتَمِرًّا دُونَ انْقِطَاعٍ.
(٧) جَارِزُهَا: مَا يُجْزَرُ مِنَ النَّوْقِ.
(٨) النَّقْرَى: الْعَيْبُ.
(٩) انْظُرْ شَرْحَ الشَّافِيَةِ (٢٧٧/٤).

لا يَنْبَحُ الكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ من القَرِيسِ^(١) ولا تَشْرِي أَفَاعِيهَا
أَوْقَدَتْ فِيهَا لَذِي الضَّرَاءِ جَاحِمَةٌ^(٢) كالْبَرْقِ ذَاكِيَّةَ الْأَرْكَانِ أَحْمِيهَا
أَوْزَنْتَنِي ذَاكُمَ عَمُرُو وَوَالِدُهُ من قَبْلِهِ كَانَ بِالْمِثْنَى يُغَالِيهَا
كَانُوا يُبَارُونَ أَنْوَاءَ النُّجُومِ فَمَا دَنَتْ عَنِ السَّوْرَةِ الْعُلْيَا مَسَاعِيهَا

شعر حسان في الرد على هبيرة:

قال ابن إسحاق: فأجابه حسان بن ثابت، فقال:

سُقْتُمْ كِنَانَةَ جَهْلًا مِنْ سَفَاهَتِكُمْ إِلَى الرَّسُولِ فَجُنْدُ اللَّهِ مُخْزِيهَا
أُورِدْتُمُوهَا حِيَاضَ الْمَوْتِ صَاحِيَةٍ فَالنَّارُ مَوْعِدُهَا، وَالْقَتْلُ لَاقِيهَا
جَمَعْتُمُوهَا أَحَابِيشًا بِلَا حَسَبٍ أئِمَّةَ الْكُفْرِ غَرَّتْكُمْ طَوَاغِيهَا
أَلَا اغْتَبَرْتُمْ بِخَيْلِ اللَّهِ إِذْ قَتَلْتُمْ أَهْلَ الْقَلِيبِ وَمَنْ أَلْقَيْنَاهُ فِيهَا
كَمْ مِنْ أَسِيرٍ فَكَكْنَاهُ بِلَا ثَمَنِ وَجَزَّ نَاصِيَةَ كُنَّا مَوَالِيهَا

قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك:

قال ابن هشام: وبيت هبيرة بن أبي وهب الذي يقول فيه:

وَلَيْلَةٌ يَضْطَلِّي بِالْفَرَثِ جَارِزُهَا يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الْمُثْرِينَ دَاعِيهَا

يروى لجنوب، أخت عمرو ذي الكلب الهذلي، في أبيات لها في غير يوم

أحد.

جمع نَدَى على نداء مثل جَمَلٍ وَجَمَالٍ، ثم جمع الجمع على أَفْعَلَةٍ، وهذا بعيد في القياس، لأن الجمع الكثير لا يُجْمَعُ، وفِعَالٌ من أبنية الجمع الكثير، وقد قيل: هو جَمْعُ نَدِيٍّ وَالنَّدِيُّ المجلس، وهذا لا يُشَبِّهُ معنى البيت، ولكنه جمع جاء على مثال أَفْعَلَةٍ، لأنه في معنى الأَهْوِيَةِ وَالْأَشْتِيَةِ ونحو ذلك، وأقرب من ذلك أنه في معنى الرِّذَازِ وَالرَّشَاشِ، وهما يجمعان على أَفْعَلَةٍ، وأراد بِجُمَادَى الشَّهْرَ، وكان هذا الاسم قد وقع على هذا الشهر في زمن جُمُودِ الماء، ثم انتقل بِالْأَهْلَةِ وبقي الاسم عليه، وإن كان في الصَّيْفِ وَالْقَيْظِ، وكذلك أكثر هذه الشهور العربية سَمِيَتْ بِأَسْمَاءِ مَأْخُودَةٍ من أحوال السَّنَةِ الشَّمْسِيَةِ، ثم لَزِمَتْهَا، وإن خَرَجَتْ عَنْ تِلْكَ الْأَوْقَاتِ.

(٢) جاحمة: جمر شديد الاشتعال.

(١) القريس: البرد الشديد.

شعر كعب في الرد على هبيرة

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يُجيب هُبيرة بن أبي وهب أيضًا:

ألا هل أتى غَسَّانَ عَنَّا ودُونهم	مِنَ الْأَرْضِ خَرَقَ سَيْرُهُ مُتَنَغِّعِ
صَحَارٍ وَأَغْلَامٍ كَأَنَّ قَتَامَهَا ^(١)	مِنَ الْبُعْدِ نَقَعَ هَامِدٌ مُتَقَطِّعِ
تَظَلَّ بِهِ الْبُزْلُ الْعَرَامِيسُ ^(٢) رُزَّحَا	وَيَخْلُو بِهِ غَيْثُ السُّنَيْنِ فَيُمرِّعِ
بِهِ جَيْفُ الْحَسْرَى يَلُوحُ صَلِيبُهَا	كَمَا لَاحَ كَثَّانُ التَّجَارِ الْمُوَضِّعِ
بِهِ الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ ^(٣) يَمْشِينَ خَلْفَةً	وَيَبْئِضُ نَعَامٌ قَيْنُضُهُ يَتَقَلِّعِ
مَجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا كُلِّ فَخْمَةٍ	مُذَرَّبَةٍ ^(٤) فِيهَا الْقَوَانِسُ ^(٥) تَلْمَعِ
وَكُلِّ صَمُوتٍ فِي الصُّوَانِ كَأَنَّهَا	إِذَا لُبِسَتْ تَهَيَّ مِنْ الْمَاءِ مُتَرَعٌ ^(٦)

شرح شعر كعب

وذكر شعر كعب بن مالك يجيب هُبيرةَ وأوله: ألا هل أتى غَسَّانَ. وقد افتتح قصيدة أخرى في أشعار بدر بهذا اللفظ، فقال:

ألا هل أتى غَسَّانَ فِي نَائِي دَارِهَا

وإنما يذكر غَسَّانَ لأنهم بَنُو عَمِّ الْأَنْصَارِ، وَالْأَنْصَارُ بَنُو حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ.

وَالَّذِينَ بِالشَّامِ بَنُو جَفْنَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ، وَالْكُلُّ غَسَّانُ، لِأَنَّ غَسَّانَ مَاءٌ شَرِبُوا مِنْهُ حِينَ ارْتَحَالِهِمْ مِنَ الْيَمَنِ فَسُمُّوا بِهِ.

وَقَوْلُهُ: سَيْرُهُ مُتَنَغِّعٌ، أَي: مُضْطَرِبٌ. وَقَوْلُهُ: الْعَرَامِيسُ: جَمْعُ عَرْمِيسَ، وَهِيَ النَّاقَةُ الْقَوِيَّةُ عَلَى السَّيْرِ.

وَقَوْلُهُ: قَيْنُضُهُ يَتَقَلِّعُ، أَي: يَتَشَقَّقُ، وَالْقَيْنُضُ: قُشُورُ الْبَيْضِ، وَالْقَوَانِسُ: جَمْعُ قَوْنَسٍ، وَهِيَ: بَيْضَةُ السَّلَاحِ.

وَقَوْلُهُ: وَكُلِّ صَمُوتٍ فِي الصُّوَانِ، يَعْنِي: الدَّرْعَ جَعَلَهَا صَمُوتًا لَشِدَّةِ نَسْجِهَا وَإِحْكَامِ

(٢) البزل العراميس: نوع من الوعول.

(٤) مذربة: الذرب: هدة اللسان.

(٦) مترع: مليء.

(١) قتامها: غبارها.

(٣) الأرام: حجارة تُنصب لِيَهْتَدَى بِهَا.

(٥) القوانس: كالقلنصوة على الرأس.

ولكن ببذر سائلوا مَنْ لَقِيتُمْ
وإنَّا بأرض الخوف لو كان أهلها
إذا جاء مِنَّا ركبٌ كان قوله
فمهما يهيمُ النَّاسُ مما يَكِيدُنَا
فلو غيرُنَا كانت جميعًا: تكيده الـ
نَجَالِد لا تَبْقَى عَلَيْنَا قَبِيلَةٌ
ولمَّا ابْتَنَوْا بِالْعَرْضِ قال سَرَاتُنَا
وفينا رسولُ الله نَتَّبِعُ أَمْرَهُ
تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ
نُشَاوِرُهُ فِيمَا نُرِيدُ وَقَضَرُنَا
وقال رسولُ الله لَمَّا بَدَّوْا لَنَا
وَكُونُوا كَمَنْ يَشْرِي الْحَيَاةَ تَقَرُّبًا
ولكن خُذُوا أَسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوا
فَسِرْنَا إِلَيْهِمْ جَهْرَةً^(١) فِي رِحَالِهِمْ
بِمَلْمُومَةٍ فِيهَا السَّنُورُ^(٢) وَالْقَنَا
فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَهُ
ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيَّةٌ
نُغَاوِرُهُمْ تَجْرِي الْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا
تَهَادَى قَسِي النَّبْعِ فِينَا وَفِيهِمْ
وَمَنْجُوفَةٌ^(٣) حِرْمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ

مِنَ النَّاسِ وَالْأَنْبَاءُ بِالْغَيْبِ تَذْفَعُ
سَوَانَا لَقَدْ أَجَلُّوا بَلِيلٌ فَأَقْشَعُوا
أَعَدُّوا لَمَّا يُزْجِي ابْنُ حَرْبٍ وَيَجْمَعُ
فَنَحْنُ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ أَوْسَعُ
بَرِيَّةٌ قَدْ أَغْطَوْا يَدًا وَتَوَزَّعُوا
مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَهَابُوا وَيَقْظَعُوا
عَلَامَ إِذَا لَمْ تَمْنَعِ الْعِرْضَ نَزْرَعُ؟
إِذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلُ لَا نَتَطَّلَعُ
يُنَزَّلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ وَيُزْفَعُ
إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَا نَطِيعٌ وَنَسْمَعُ
ذَرُّوا عَنْكُمْ هَؤُلَ الْمَنِيَّاتِ وَاطْمَعُوا
إِلَى مَلِكٍ يُخَيَّا لَدَيْهِ وَيُزْجَعُ
عَلَى اللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ أَجْمَعُ
ضَحِيًّا عَلَيْنَا الْبَيْضُ^(٤) لَا نَتَخَشَّعُ^(٥)
إِذَا ضَرَبُوا أَقْدَامَهَا لَا تَوَرَّعُ
أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ
ثَلَاثُ مِائِينَ إِنْ كَثُرْنَا وَأَرْبَعُ
نُشَارِعُهُمْ حَوْضَ الْمَنَايَا وَنُشْرِعُ
وَمَا هُوَ إِلَّا الْيَثْرَبِيُّ الْمُقَطَّعُ
يُذَرُّ عَلَيْهَا السَّمُّ سَاعَةً تُضْنَعُ

صَنَعَتِهَا، وَالنَّهْيُ وَالنَّهْيُ: الْغَدِيرُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ، لِأَن مَاءَهُ قَدْ مُنِعَ مِنَ الْجَرْيَانِ بَارْتِفَاعِ
الْأَرْضِ، فغادره السَّيْلُ، فَسُمِّيَ غَدِيرًا، وَنَهَتْهُ الْأَرْضُ فَسُمِّيَ نَهْيًا.

وقوله: وَمَنْجُوفَةٌ، مَفْعُولَةٌ مِنْ نَجَفْتُ: إِذَا حَفَرْتُ، وَيَكُونُ أَيْضًا مِنْ نَجَفَتِ الْعَنَزُ إِذَا

(١) جهرة: علناً.

(٢) البيض: السيوف.

(٣) نتخشع: نخاف ونضطرب.

(٤) السنور: كل سلاح من حديد.

(٥) منجوفة: سهم له نصاء عريض.

تَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرُّجَالِ وَتَارَةً
وَحَيْلُ تَرَاهَا بِالْفَضَاءِ كَأَنَّهَا
فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَدَارَتْ بِنَا الرِّحَى
ضَرَبْنَاهُمْ حَتَّى تَرَكْنَا سَرَائِهِمْ
لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى اسْتَفَقْنَا عَشِيَّةً
وَرَاكُوا سِرَاعًا مُوجِفِينَ كَأَنَّهُمْ
وَرُحْنَا وَأُخْرَانَا بِطَاءٍ كَأَنَّنا
فَنَلْنَا وَنَالَ الْقَوْمُ مِنَّا وَرَبِمَا
وَدَارَتْ رَحَانَا وَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ
وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
جِلَادٌ عَلَى رَيْبِ الْحَوَادِثِ لَا نَرَى
بَنُو الْحَرْبِ لَا نَغْيَا بِشَيْءٍ نَقُولُهُ
بَنُو الْحَرْبِ إِنْ نَظْفَرْ فَلَسْنَا بِفُحْشٍ
وَكُنَّا شِهَابًا يَتَّقِي النَّاسُ حَرَّهُ

تَمُرُّ بِأَغْرَاضِ الْبِصَارِ تَقْعَقَعُ^(١)
جَرَادٌ صَبَا فِي قَرَّةٍ يَتَرَيِّعُ
وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمِّهِ اللَّهُ مَذْفَعُ
كَأَنَّهُمْ بِالْقَاعِ خُشْبٌ مُصَرَّعُ
كَأَنَّ ذَكَانَا حَرًّا نَارٌ تَلْفَعُ
جَهَامُ^(٢) هَرَاقَتْ مَاءَهُ الرِّيحُ مُقْلَعُ
أَسْوَدٌ عَلَى لَحْمٍ بَبِيشَةٍ^(٣) ظَلَعُ
فَعَلْنَا وَلَكِنْ مَا لَدَى اللَّهِ أَوْسَعُ
وَقَدْ جُعِلُوا كُلُّ مِنَ الشَّرِّ يَشْبَعُ
عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْمِي الذَّمَارَ^(٤) وَيَمْنَعُ
عَلَى هَالِكٍ عَيْنًا لَنَا الدَّهْرَ تَدْمَعُ
وَلَا نَحْنُ بِمَا جَرَّتِ الْحَرْبُ نَجْزَعُ
وَلَا نَحْنُ مِنْ أَظْفَارِهَا نَتَوَجَّعُ
وَيَفْرُجُ عَنْهُ مِنْ يَلِيهِ وَيَسْفَعُ

شَدَدَتَهَا بِالنَّجَافِ، وَهُوَ الْحَبْلُ، فَإِنْ كَانَ أَرَادَ الرُّمَاحَ، فَمَعْنَى قَوْلِهِ: مَنُجُوفَةٌ، أَي: مَشْدُودَةٌ
مُثَقَّفَةٌ، وَإِنْ كَانَ أَرَادَ أَسِنَّتَهَا، فَهِيَ أَيْضًا مَنُجُوفَةٌ، مِنْ نَجَفْتُ إِذَا حَفَرْتُ، لِأَنَّ ثَغْلَبَ الرُّمَحِ
دَاخِلٌ فِي الْحَدِيدَةِ، فَهِيَ مَنُجُوفَةٌ لَهُ، وَإِنْ كَانَ أَرَادَ السِّيُوفَ، فَمَنُجُوفَةٌ، أَي: كَالْمَحْفُورَةِ،
لِأَنَّ مُتُونَهَا مَدُوسَةٌ مَضْرُوبَةٌ بِمِطَارِقِ الْحَدِيدِ، فَهِيَ كَالْمَحْفُورَةِ.

وقوله:

تَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرُّجَالِ وَتَارَةً تَمُرُّ بِأَغْرَاضِ الْبِصَارِ تَقْعَقَعُ

يَقُولُ: تَشُقُّ أَبْدَانُ الرُّجَالِ حَتَّى تَبْلُغَ الْبِصَارَ فَتَقْعَقَعُ فِيهَا، وَهِيَ جَمْعُ بَضْرَةٍ، وَهِيَ
حِجَارَةٌ لَيِّنَةٌ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ جَمْعَ بَصِيرَةٍ، مِثْلَ كَرِيمَةٍ، وَكِرَامٍ، وَالْبَصِيرَةُ الدُّرْعُ،
وَقِيلَ: التُّرْسُ، وَالْبَصِيرَةُ أَيْضًا: طَرِيقَةُ الدَّمِّ فِي الْأَرْضِ، فَإِنْ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ، فَهِيَ جَدِيَّةٌ،
وَلَا مَعْنَى لَهَا فِي هَذَا الْبَيْتِ.

(١) تقعقع: تضطرب..

(٣) بيشة: نبات فيه سم.

(٢) جهام: سحاب لا ماء فيه.

(٤) الذمار: كل ما يُحمى ويُحافظ عليه.

فَخَزَتْ عَلَيَّ ابْنَ الزَّبْعَرَى وَقَدْ سَرَى
فَسَلُّ عَنْكَ فِي عَلِيَا مَعْدٌ وَغَيْرَهَا
وَمَنْ هُوَ لَمْ تَتْرَكْ لَهُ الْحَرْبُ مَفْخَرًا
شَدَدْنَا بِحَوْلِ اللَّهِ وَالنُّصْرِ شَدَّةً
تَكْرَرُ الْقَنَا فِيكُمْ كَأَنَّ فُرُوعَهَا
عَمَدْنَا إِلَى أَهْلِ اللُّوَاءِ وَمَنْ يَطْرُ
فَخَانُوا وَقَدْ أَعْطَوْا يَدًا وَتَخَاذَلُوا
لَكُمْ طَلَبٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُتَّبِعٌ
مَنْ النَّاسَ مَنْ أَحْزَى مَقَامًا وَأَشْنَعُ
وَمَنْ حَدَّهُ يَوْمَ الْكَرْبِهَا أَضْرَعَ
عَلَيْكُمْ وَأَطْرَافُ الْأَسِنَّةِ سُرْعُ
عَزَّ إِلَى مَزَادِ مَاؤُهَا يَتَهَزَّعُ
بِذِكْرِ اللُّوَاءِ فَهُوَ فِي الْحَمْدِ أَسْرَعَ
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَمْرَهُ وَهُوَ أَضْنَعُ

قال ابن هشام: وكان كعب بن مالك قد قال:

مُجَالِدُنَا عَنْ جِذْمِنَا كُلِّ فَخْمَةٍ

فقال رسول الله ﷺ: «أصلح أن تقول: مجالدنا عن ديننا؟» فقال كعب: نعم؛
فقال رسول الله ﷺ: «فهو أحسن»؛ فقال كعب: مجالدنا عن ديننا.

شعر لابن الزبعرى

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزبعرى في يوم أحد:
يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ فَقُلْ إِنَّمَا تَنْطِقُ شَيْئًا قَدْ فَعِلْ

شرح شعر ابن الزبعرى

وقول ابن الزبعرى:

يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ، فَقُلْ إِنَّمَا تَنْطِقُ شَيْئًا قَدْ فَعِلْ

إقرار الجاهلية بالقدر:

قوله: قد فعل: أي: قد فرغ منه، وقد كانوا في الجاهلية يقرؤون بالقدر، وقال لبيد في
الجاهلية:

إِنْ تَقْوَى رَبُّنَا خَيْرٌ نَفَلْ وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَيْثِي وَالْعَجَلْ
مَنْ هَدَاهُ سَبِيلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلْ
وقال راجزهم:

يَا أَيُّهَا اللَّائِمُ لُمْنِي، أَوْ قَذَرْ إِنْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَا الْقَدَرُ

إِنَّ لِلْخَيْرِ وَلِلشَّرِّ مَدًى
وَالْعَطِيَّاتُ خِسَاسٌ^(١) بَيْنَهُمْ
كُلُّ عَيْشٍ وَنَعِيمٍ زَائِلٌ
أُبْلِغْنَ حَسَّانَ عَنِّي آيَةً
كَمْ تَرَى بِالْجَرِّ مِنْ جُمُجْمَةٍ
وَسَرَابِيلَ حِسَانٍ سُرَيْثٍ
كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدٍ
صَادِقِ النَّجْدَةِ قَرْمٍ بَارِعٍ
فَسَلَ الْمِهْرَاسَ مَنْ سَاكِنُهُ؟
لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَذْرِ شَهْدُوا
حِينَ حَكَّتْ بِقُبَاءٍ بَرْكَهَا
ثُمَّ خَفُّوا عِنْدَ ذَاكُم رُقَصَا
فَقَتَلْنَا الضُّعْفَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ
لَا أُلُومَ النَّفْسَ إِلَّا أَنَّنَا
بَسُيُوفِ الْهِنْدِ تَغْلُو هَامَهُمْ

وَكِلَا وَجْهٍ وَقَبَلٍ
وَسَوَاءَ قَبْرِ مُثَرٍّ وَمُقِلٍ
وَبِنَاتُ الدَّهْرِ يَلْعَبْنَ بِكُلِّ
فَقَرِيضِ الشَّعْرِ يَشْفِي ذَا الْغُلَلِ
وَأَكْفٌ قَدْ أُتِرَتْ وَرِجْلٌ
عَنْ كُמَاءٍ أَهْلَكُوا فِي الْمُتَنَزَّلِ
مَاجِدِ الْجَدِّينِ مِقْدَامِ بَاطِلِ
غَيْرِ مُلْتَاثٍ^(٢) لَدَى وَقَعِ الْأَسَلِ^(٣)
بَيْنَ أَقْحَافٍ وَهَامٍ كَالْحَجَلِ
جَزَعِ الْخَزْرَجِ مَنْ وَقَعِ الْأَسَلِ
وَاسْتَحَرَ الْقَتْلَ فِي عَبْدِ الْأَسَلِ
رَقَصَ الْحَفَّانِ يعلو فِي الْجَبَلِ
وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَذْرِ فَاعْتَدَلِ
لَوْ كَرَزْنَا لَفَعَلْنَا الْمُفْتَعَلَ
عَلَّا تَغْلُوهُمْ بَعْدَ نَهْلِ

وقوله: غَيْرُ مُلْتَاثٍ، هو مُفْتَعَلٌ مِنَ اللَّوْثَةِ كَمَا قَالَ الضَّبِّي:

عِنْدَ الْحَفِیْظَةِ إِنْ ذِي لَوْثَةٍ لَانَا

وَالْمِهْرَاسُ: حَجَرٌ مَنْقُورٌ يُمْسِكُ الْمَاءَ، فَيَتَوَضَّأُ مِنْهُ، شُبَّهُ بِالْمِهْرَاسِ الَّذِي هُوَ الْهَآؤُونُ،
وَوَهُمُ الْمُبَرَّدُ، فَجَعَلَ الْمِهْرَاسَ اسْمًا عَلَمًا لِلْمِهْرَاسِ الَّذِي بِأُحْدٍ خَاصَّةً، وَإِنَّمَا هُوَ اسْمٌ لِكُلِّ
حَجَرٍ يُقَرِّ فَاْمَسَكَ الْمَاءَ. وَرَوَى ابْنُ عُيَيْنٍ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ يَمُرُّ بِمِهْرَاسٍ فِي
أَرْضٍ فَلَاةٍ كَيْفَ يَغْتَسِلُ مِنْهُ؟ فَقَالَ مَالِكٌ: هَلَّا قُلْتَ مَرٌّ بِغَدِيرٍ، وَمَنْ يَجْعَلُ لَهُ مِهْرَاسًا فِي
أَرْضٍ فَلَاةٍ؟ فَهَذَا يَبَيِّنُ لَكَ أَنَّ الْمِهْرَاسَ لَيْسَ مَخْصُوصًا بِالْمِهْرَاسِ، الَّذِي كَانَ بِأُحْدٍ، وَكَذَلِكَ
وَقَعَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - مَرَّ بِقَوْمٍ يَتَجَادُونَ مِهْرَاسًا أَي: يَرْفَعُونَهُ.

(٢) ملتاث: بطيء.

(١) خساسة: ناقصات.

(٣) الأسل: الرماح.

ردّ حسان على ابن الزبعرى

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، قال:

ذهبَتْ يا ابن الزُبَيْرِ وَقَعَةٌ	كان مِنَّا الْفَضْلُ فِيهَا لو عَدَلْ
ولقد نلّتم ونلنا منكم	وكذلك الحربُ أحياناً دُولْ
نضع الأسياف في أكتافكم	حيثُ نَهْوِي عِللاً بعد نَهْلْ
نُخْرِجُ الْأَصْبَحَ من أَسْتَاهِكُم	كسلاح النّيب يأكلُن العَصَلْ
إذ تُولُّونَ عَلَى أَغْقَابِكُم	هُرَباً من الشُّغْبِ أَشْبَاهِ الرِّسَلْ
إذ شَدَدْنَا شِدَّةً صَادِقَةً	فأجأناكم إلى سَفْحِ الْجَبَلْ
بَخْناطِيلٍ ^(١) كأشْرافِ الْمَلَا	مَنْ يُلاقِوه مِنَ النَّاسِ يُهْلْ
ضاقَ عَنَّا الشُّغْبُ إذ يَجْزَعُهُ	ومَلَأْنَا الْفَرْطَ ^(٢) مِنْهُ وَالرَّجْلْ

شعر حسان يردّ به على ابن الزبعرى

قول حسان يجيبه:

هُرَبًا فِي الشُّغْبِ أَشْبَاهِ الرِّسَلْ

يعني: الغنم إذا أرسلها الراعي، يقال لها حينئذ: رَسَلْ.

وقوله: كأشْرافِ الْمَلَا، الْأَشْرَافُ: جمع شَرَفٍ، وهو الشَّخْصُ، والملا: ما اتَّسع من الأرض، ويريد بالأشْرافِ هاهنا أَشْخَاصَ الشَّجَرِ وَأَصُولَهَا.

وقوله: يُهْلٌ، أراد: فِيْهَالٍ ثم جزم للشرط، فأنحذفت الألفُ لالتقاء الساكنين، وهو من الهَوْلِ، يقال: هالني الأمر يَهُولُني هَوْلًا إذا أَفْرَعَكَ.

وقوله: ومَلَأْنَا الْفَرْطَ، أراد: الْفَرْطُ بتحريك الراء، وهي الْأَكْمَةُ، وما ارتفع من الأرض، وَالرَّجْلُ: جمع رَجَلَةٍ، وهو الْمُطْمَسُ من الأرض، وَالرَّجْلَةُ أيضًا في معنى الرَّجْلِ من الجَرَادِ، قال الشاعر:

وتحت نُحُورِ الْخَيْلِ حَرْشَفُ رَجَلَةٍ

يريد بِالْحَرْشَفِ جَمَاعَةَ الرُّبَا، وهم صِغارُ الْجَرَادِ، ضَرَبَهُمْ مَثَلًا لِلرَّجَالَةِ وَالرُّمَامَةِ، وجمع الْفَرْطِ: أَفْرَاطٌ.

(٢) الْفَرْطُ: الصغير.

(١) خناتيل: دواهي.

برجالٍ لَسْتُمْ أَمْثَالَهُمْ أَيْدُوا جَبْرِيلَ نَضْرًا فَتَنْزَلْ
 وَعَلَوْنَا يَوْمَ بَذْرِ بِالتَّقَى طَاعَةِ اللَّهِ وَتَضَدِّقَ الرُّسُلْ
 وَقَتَلْنَا كُلَّ رَأْسٍ مِنْهُمْ وَقَتَلْنَا كُلَّ جَحْجَاحٍ^(١) رِفْلْ
 وَتَرَكْنَا فِي قُرَيْشٍ عَوْرَةً يَوْمَ بَذْرِ وَأَحَادِيثَ الْمَثَلْ
 وَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا شَاهِدٌ يَوْمَ بَذْرِ وَالتَّنَابِيلِ الْهَبْلْ
 فِي قُرَيْشٍ مِنْ جُمُوعٍ جُمِعُوا مِثْلَ مَا يُجْمَعُ فِي الْخِضْبِ الْهَمْلُ^(٢)
 نَحْنُ لَا أَمْثَالَكُمْ وَلَدًا اسْتِهَا نَخْضُرُ النَّاسَ إِذَا الْبَاسُ نَزَلَ

وقوله: وَلَدًا اسْتِهَا: كلمةٌ تقولها العربُ عند السَّبِّ، تقول: يَا بَنِي اسْتِهَا، والوُلْدُ: بمعنى الأولاد. وكتب أهل دِمَشَقَ إلى أهلِ مِزَّةَ وهي على فَرْسَخٍ مِنْ دِمَشَقَ وكانوا أَمْسَكُوا عنهم الماءَ فكتبوا إليهم: مِنْ أَهْلِ دِمَشَقَ إِلَى بَنِي اسْتِهَا. وبعد: فَأَمَّا إِنْ يُمَسِّينَا الْمَاءَ وَإِلَّا صَبَّحْتُمْ الْخَيْلُ. ذكره الجاحظ^(٣).

متى يضر حذف حرف الجر؟:

وقوله في المؤمنين: أَيْدُوا جَبْرِيلَ، أي: أَيْدُوا بِجَبْرِيلَ، وحذف الجار فتعدى الفعلُ فَنَصَبَ، وَلَا يَضُرُّ هَذَا الْحَذْفُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ الْمُتَعَدِّي بِحَرْفِ جَرٍّ مُتَضَمِّنًا لِمَعْنَى فِعْلٍ آخَرَ نَاصِبٍ، كَقَوْلِهِمْ: أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ أَيْ كَلَّفْتُكَ الْخَيْرَ وَالزَّمَمْتُكَهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ نَهَيْتُكَ الشَّرَّ إِذْ لَيْسَ فِي مَعْنَى نَهَيْتُكَ فِعْلٌ. نَاصِبٌ وَقَوْلُهُ: أَيْدُوا جَبْرِيلَ، أي: أَضْحِبُوهُ، ونحو هذا، فَحُسِّنَ حَذْفُ الْبَاءِ لِهَذَا.

عود إلى شعر حسان:

وقول حسان:

نُخْرِجُ الْأَضْبَحَ مِنْ اسْتِهَاكُمُ

رواه أبو حنيفة: نخرج الأضيّاح، وهو اللبن الممزوج بالماء، وهو في معنى الأضْبَحِ، لأنَّ الصُّبْحَةَ بِيَاضٍ غَيْرِ خَالِصٍ، فَجَعَلَهُ وَضْفًا لِلْبَنِّ الْمَمْدُوقِ الْمُخْرَجِ مِنْ بُطُونِهِمْ.

وقوله:

كسلاح النّيب يأكلن العَصْلُ

(٢) الهمل: الماء السائل.

(١) جحجاح: بطل كريم.

(٣) انظر البيان والتبيين (١/٢٠١).

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زيد الأنصاري: «وأحاديث المثل» والبيت الذي قبله.
وقوله: «في قريش من جموع جَمَعُوا» عن غير ابن إسحق.

شعر كعب في بكاء حمزة وقتلى أحد

قال ابن إسحق: وقال كعب بن مالك يكي حمزة بن عبد المطلب وقتلى أحد من المسلمين:

نَشَجْتُ ^(١) وهل لك من منْشَجِ	وكنْتَ متى تَذَكِّرُ تَلْجَجِ
تَذَكَّرَ قَوْمِ أَتَانِي لَهُم	أَحَادِيثُ فِي الزَّمَنِ الْأَعْوَجِ
فَقَلْبُكَ مَنْ ذَكَرَهُمْ خَافَقُ	مَنْ الشُّوقِ وَالْحَزَنِ الْمُنْضِجِ ^(٢)
وَقَتْلَاهُمْ فِي جَنَانِ النَّعِيمِ	كَرَامُ الْمَدَاخِلِ وَالْمَخْرَجِ
بِمَا صَبَرُوا تَحْتَ ظِلِّ اللُّوَاءِ	لِوَاءِ الرَّسُولِ بِذِي الْأَضْوَجِ
غَدَاةَ أَجَابَتْ بِأَسْيَافِهَا	جَمِيعًا بَنُو الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ
وَأَشْيَاعُ أَحْمَدَ إِذْ شَايَعُوا	عَلَى الْحَقِّ الثُّورِ وَالْمَنْهَجِ
فَمَا بَرَحُوا يَضْرِبُونَ الْكُمَاةَ	وَيَمْضُونَ فِي الْقَسْطِلِ الْمُرْهَجِ
كَذَلِكَ حَتَّى دَعَاهُمْ مَلِيكَ	إِلَى جَنَّةِ دَوْحَةِ الْمَوْلِجِ

العَصَلُ: نبات كالرفلين يُضْلَح الإِبِلُ إذا أَكَلَتْهُ، وَيُكْثَرُ شَرْبُهَا لِلْمَاءِ، وَهُوَ مِنَ الْحَمْضِ،
وَيَنْبَتُ فِي السَّبَاخِ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ.

شعر كعب بن مالك

وقول كعب بن مالك:

لِوَاءِ الرَّسُولِ بِذِي الْأَضْوَجِ

الأَضْوَجُ: جمع ضَوْجٍ، وَالضَّوْجُ: جانب الوادي.

وقوله: فِي الْقَسْطِلِ الْمُرْهَجِ. الْقَسْطَلُ: الغُبارُ، وَكَذَلِكَ الرَّهْجُ، وَقَدْ شَرَحْنَا السَّلْجَجَ
فِيمَا مَضَى، وَالْجَمْلُ الْأَذْعَجُ: يَعْنِي الْأَسْوَدَ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ فِي صِفَةِ النَّبِيِّ - ﷺ - فِي عَيْنَيْهِ
دَعَجٌ، وَفِي أَشْفَارِهِ وَطَفٌ.

(٢) المنضج: القديم.

(١) نشجت: بكيت.

فَكُلُّهُمْ مَاتَ حُرَّ الْبَلَاءِ عَلَى مَلَّةِ اللَّهِ لَمْ يَخْرَجْ
كَحَمْزَةٍ لَمَّا وَفَى صَادِقًا بِذِي هَبَّةٍ صَارِمٍ سَلَجَجٍ^(١)
فَلَاقَاهُ عَبْدُ بَنِي نَوْفَلٍ يُبْرِزُ كَالْجَمَلِ الْأَذْعَجِ
فَأَوْجَرَهُ حَزْبَةً كَالشَّهَابِ تَلَهَّبُ فِي اللَّهَبِ الْمُوهَجِ
وَنُغْمَانُ أَوْفَى بِمِيشَاقِهِ وَحَنَظَلَةُ الْخَيْرِ لَمْ يُخْنَجِ^(٢)
عَنِ الْحَقِّ حَتَّى غَدَتْ رُوحُهُ إِلَى مَنْزِلٍ فَآخِرِ الزُّبُرِجِ
أُولَئِكَ لَا مَنْ ثَوَى مِنْكُمْ مِنَ النَّارِ فِي الدَّرَكِ الْمُزْتَجِ

وقوله:

وَحَنَظَلَةُ الْخَيْرِ لَمْ يُخْنَجِ

أي: لم يُنَمَلْه شيءٌ عن الطريق المستقيم يقال: حَنَجْتُ الشيء إذا أَمَلْتُهُ وَعَدَلْتُهُ عن وجهه، ويقال أيضًا: أَخْنَجْتُهُ فهو مُخْنَجٌ، وسيأتي في الشعر بعد هذا ما يدل عليه.

وقوله:

عَنِ الْحَقِّ حَتَّى غَدَتْ رُوحُهُ

أَنْتَ الرُّوحَ لَأَنَّهُ فِي مَعْنَى النَّفْسِ، وَهِيَ لُغَةٌ مَشْهُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ. أَمْرٌ ذُو الرُّمَّةِ عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ يُكْتَبَ عَلَى قَبْرِهِ:

يَا نَازِعَ الرُّوحِ مِنْ جِسْمِي إِذَا قُبِضْتُ وَفَارِجَ الْكَرْبِ أَنْقِذْنِي مِنَ النَّارِ
فَكَانَ ذَلِكَ مَكْتُوبًا عَلَى قَبْرِهِ.

وقوله: فَآخِرِ الزُّبُرِجِ، أي: فَآخِرِ الزَّيْنَةِ، أي: ظَاهِرَهَا.

وقوله: فِي الدَّرَكِ الْمُزْتَجِ، أي: الْمُغْلَقِ، يُقَالُ: ازْتَجْتُ الْبَابَ إِذَا أَغْلَقْتَهُ، وَهُوَ مِنَ الرُّتَاجِ، قَالَتْ جَارِيَةٌ مِنَ الْعَرَبِ مَاتَتْ أُمُّهَا، وَتَزَوَّجَ أَبُوهَا:

وَلَكِنْ قَدْ أَتَى مِنْ دُونِ وَدِّي وَبَيْنَ فَوَادِهِ غَلَقَ الرُّتَاجِ
وَمَنْ لَمْ يُؤْذِهِ أَلَمٌ بِرَأْسِي وَمَا الرُّثْمَانُ إِلَّا بِالنُّتَاجِ
وَمِنْهُ قِيلَ: ازْتَجَ عَلَى الْخَطِيبِ، إِذَا أُغْلِقَ عَلَيْهِ بَابُ الْقَوْلِ.

(١) سَلَجَج: صَارِم.

(٢) يُخْنَج: يَمِيلُ.

شعر ضرار في الرد على كعب:

فأجابه ضرار بن الخطاب الفهري، فقال:

أَيَجْزَعُ كَغَبِّ لَأَشْيَاعِهِ
عَجِيجَ الْمُذَكِّي رَأَى إِلْفَهُ
فَرَّاحَ الرُّوَايَا وَغَادِرَ نَفْسِهِ
فَقُولَا لَكَغِبٍ يُثْنِي الْبُكَاءُ
لِمِضْرَعِ إِخْوَانِهِ فِي مَكْرٍ
فِيَا لَيْتَ عَمْرًا وَأَشْيَاعَهُ
فَيَشْفُوا النُّفُوسَ بِأَوْتَارِهَا
وَقَتْلَى مِنَ الْأَوْسِ فِي مَغْرِكٍ
وَمَقْتَلِ حَمْزَةٍ تَحْتَ اللَّوَاءِ
وَحَيْثُ انْتَنَى مُضْعَبُ ثَاوِيَا
بِأَحَدٍ وَأَشْيَافُنَا فِيهِمْ
غَدَاةَ لَقِينَاكُمُ فِي الْحَدِيدِ
بِكُلِّ مَجْلُحَةٍ كَالْعُقَابِ
فَدُسْنَاهُمْ ثُمَّ حَتَّى انْتَنَوْا

وَيَبْكِي مِنَ الزَّمَنِ الْأَعْوَجِ
تَرْوُحٍ فِي صَادِرِ مُخَنَجٍ
يُعْجَعَجُ قَسْرًا وَلَمْ يُخَدَجِ
وَلِلْنِيِّ مِنْ لَحْمِهِ يَنْضَجِ
مِنَ الْخَيْلِ ذِي قَسْطِلٍ مُزْهَجِ
وَعُتْبَةٍ فِي جَمْعِنَا السَّوْرَجِ
بِقَتْلَى أُصِيبَتْ مِنَ الْخَزْرَجِ
أُصِيبُوا جَمِيعًا بِذِي الْأَضْوَجِ
بِمُطَرِدٍ، مَازِنٍ، مُخَلَجِ
بِضَرْبَةٍ ذِي هَبَّةٍ سَلَجَجِ
تَلْهَبُ كَاللَّهَبِ الْمُوَهَجِ
كَأُسْدِ الْبَرَّاحِ فَلَمْ تُغْنَجِ
وَأَجْرَدِ ذِي مَيْعَةٍ مُسْرَجِ
سَوَى زَاهِقِ النَّفْسِ أَوْ مُخْرَجِ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار. وقول كعب: «ذي النور والمنهج» عن أبي زيد الأنصاري.

شعر ابن الزبيري في يوم أحد:

قال ابن إسحق: وقال عبد الله بن الزبيري في يوم أحد، يبكي القتلى:

أَلَا ذَرَفْتَ مِنْ مُقْلَتَيْكَ دُمُوعُ
وَشَطَّ بِمَنْ تَهْوَى الْمَزَارُ وَفَرَّقْتَ
وَلَيْسَ لِمَا وَلَّى عَلَى ذِي حَرَارَةٍ
فَذَرِذَا وَلَكِنْ هَلْ أَتَى أُمَّ مَالِكِ
وَمُجَنَّبِنَا جُرْذَا إِلَى أَهْلِ يَثْرِبِ

وَقَدْ بَانَ مِنْ حَبْلِ الشَّابَابِ قُطُوعُ
نَوَى الْحَيِّ دَارًا بِالْحَبِيبِ فَجُوعُ
وَإِنْ طَالَ تَذَرَا فُ الدَّمُوعِ رُجُوعُ
أَحَادِيثُ قَوْمِي وَالْحَدِيثُ يَشِيعُ
عَنَاجِجَ مِنْهَا مُثَلَّدٌ وَنَزِيعُ

وفي شعر ضرار: من جَمْعِنَا السَّوْرَجِ، وهو فَوْعَلٌ من السَّرَاجِ يريد المَضِيءَ.

ضُرُورُ الْأَعَادِي لِلصَّدِيقِ نَفُوعُ
غَدِيرٍ بِضُجُجِ الْوَادِيَيْنِ نَقِيعُ
وَعَايِنَهُمْ أَمْرٌ هُنَاكَ فَظِيعُ
بِهِمْ وَصَبُورِ الْقَوْمِ ثُمَّ جَزُوعُ
حَرِيقِ تَرْقَى فِي الْأَبَاءِ سَرِيعُ
وَمِنْهَا سِمَامٌ لِلْعَدُوِّ ذَرِيعُ
ضِبَاعٍ وَطَيْرٍ يَعْتَقِينَ وَقُوعُ
بَأْبَدَانِهِمْ مِنْ وَقْعِهِنَّ نَجِيعُ
وَلَكِنْ عَلَا وَالسَّمْهَرِيُّ شُرُوعُ
وَفِي صَدْرِهِ مَاضِي الشَّبَابِ وَقِيعُ
عَلَى لَحْمِهِ طَيْرٌ يَجْفَنُ وَقُوعُ
كَمَا غَالَ أَشْطَانُ الدَّلَاءِ نَزُوعُ

عَشِيَّةٌ سِرْنَا فِي لِهَامٍ يَقُودُنَا
نَشْدُ عَلَيْنَا كُلَّ زَغْفٍ كَأَنَّهَا
فَلَمَّا رَأَوْنَا خَالَطَتْهُمْ مَهَابَةٌ
وَوَدُّوا لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ يَنْشَقُّ ظَهْرُهَا
وَقَدْ عُرِّيتَ بَيْضٌ كَأَنَّ وَمِیْضَهَا
بَأَيْمَانِنَا نَغْلُو بِهَا كُلَّ هَامَةٍ
فَغَادَرْنَ قَتْلَى الْأَوْسِ غَاصِبَةً بِهِمْ
وَجَمَعَ بَنِي النَّجَّارِ فِي كُلِّ تَلْعَةٍ
وَلَوْلَا غُلُوُّ الشُّعْبِ غَادَرْنَ أَحْمَدًا
كَمَا غَادَرَتْ فِي الْكَرِّ حَمْزَةٌ ثَاوِيَا
وَنَعْمَانٌ قَدْ غَادَرْنَ تَحْتَ لَوَائِهِ
بِأَخْدٍ وَأَرْمَاحِ الْكِمَاةِ يُرِذْنَهُمْ

شعر حسان في الرد على ابن الزبير

فأجابه حسان بن ثابت، فقال:

بَلَاقِعُ مَا مِنْ أَهْلِيهِنَّ جَمِيعُ
مِنَ الدَّلْوِ رَجَافُ السَّحَابِ هُمُوعُ
رَوَاكِدُ أَمْثَالِ الْحَمَامِ كُثُوعُ
نَوَى لِمَتِينَاتِ الْجِبَالِ قَطُوعُ
سَفِيهَةٌ فَإِنَّ الْحَقَّ سَوْفَ يَشِيعُ
وَكَانَ لَهُمْ ذِكْرٌ هُنَاكَ رَفِيعُ
وَمَا كَانَ مِنْهُمْ فِي اللَّقَاءِ جَزُوعُ
لَهُمْ نَاصِرٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَشَفِيعُ
وَلَا يَسْتَوِي عَبْدٌ وَقَى وَمُضِيعُ

أَشَاقِكُ مِنْ أُمِّ الْوَلِيدِ رُبُوعُ
عَفَاهُنَّ صَنِيفِي الرِّيحِ وَوَائِكُفُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَوْقِدُ النَّارِ حَوْلَهُ
فَدَغَ ذِكْرَ دَارٍ بَدَّدَتْ بَيْنَ أَهْلِهَا
وَقُلْ إِنْ يَكُنْ يَوْمٌ بِأَخْدٍ يَعْدُ
فَقَدْ صَابَرَتْ فِيهِ بَنُو الْأَوْسِ كُلُّهُمْ
وَحَامَى بَنُو النَّجَّارِ فِيهِ وَصَابَرُوا
أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ لَا يَخْذُلُونَهُ
وَقَوْا إِذْ كَفَرْتُمْ يَا سَخِينِ بَرَبُكُمْ

من شعر حسان

وفي شعر حسان:

وَقَوْا إِذْ كَفَرْتُمْ يَا سَخِينِ بَرَبُكُمْ

بأيديهم بيض إذا حمش الوغى
كما غادرت في النقع عتبة ثاويًا
وقد غادرت تحت العناجة مُسندًا
يكف رسول الله حيث تنضبت
أولئك قوم سادة من فروعكم
بهن نعر الله حتى يعزنا
فلا تذكروا قتلى وحمزة فيهم
فإن جنان الخلد منزلة له
وقتلاكم في النار أفضل رزقهم

فلا بُد أن يزدى لهن صريع
وسعدًا صريعًا والوشيجُ شروع
أبيًا وقد بلّ القميص نجيع
على القوم ممًا قد يثرن نُقوع
وفي كل قوم سادة وفروع
وإن كان أمرًا يسخين فطيع
قتيل ثوى لله وهو مطيع
وأمر الذي يقضي الأمور سريع
حميم معًا في جوفها وصريع

أَرَادَ سَخِينَةً، فَرَخِمَ وَعَنِ قُرَيْشًا لَأَنهَا كَانَتْ تُلَقَّبُ بِذَلِكَ [لَمَدَاوَمَتُهُمْ عَلَى ضَرْبِ هَذَا الْحِسَاءِ الْمَتَّخِذِ مِنَ الدَّقِيقِ الَّذِي يُسَمَّى: سَخِينَةً]، وَفِي أَشْعَارِ ضِرَارٍ فِي الْعَيْنِيَّةِ مِنْهَا أَمْرُهَا شَاعَ، أَرَادَ: شَائِعَ، فَقَلِبْتُ، كَمَا قَالَ الْآخَرُ:

لَاثٍ بِهِ الْأَشَاءُ^(١) وَالْعُبْرِيُّ^(٢)

أَرَادَ: لَاِثٌ، وَكَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «لَا يَخْتَكِرُ الطَّعَامَ إِلَّا طَاغٍ»^(٣) أَوْ بَاغٍ أَوْ زَاغٍ أَرَادَ: زَائِعٌ.

وَفِي شَعْرِهِ الْقَافِي:

رَشَاشُ الطُّغْنِ وَالْوَرَقِ

الْوَرَقِ: مَا تَعَقَّدَ مِنَ الدَّمِ، قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ وَغَيْرُهُ، وَفِيهِ مَا بِهِ رَهَقٌ، أَي: عَيْبٌ، وَالْمُرَهَّقُ مِنَ الرُّجَالِ الْمَعِيبُ.

(١) الْأَشَاءُ: صِغَارُ النَّخْلِ.

(٢) الْعُبْرِيُّ: سِدْرٌ يَنْبِتُ ضِفَافَ النَّهْرِ.

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْمَسَاقَاةِ (١٣٠) وَأَبُو دَاوُدَ (٣٤٤٧) وَالتِّرْمِذِيُّ (١٢٦٧) وَابْنُ مَاجَةَ (١٢٥٣) وَأَحْمَدُ (٤٠٠/٦) بَلَفَظَ «لَا يَخْتَكِرُ إِلَّا خَاطِيءٌ».

شعر عمرو بن العاص في يوم أحد:

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرهما لحسان وابن الزبغري وقوله: «ماضي الشبابة، وطير يجفن» عن غير ابن إسحق.

وقال ابن إسحق: وقال عمرو بن العاصي (في) يوم أحد:

خَرَجْنَا مِنَ الْفَيْفَا عَلَيْهِمْ كَأَنَّا	مع الصُّبْحِ مِنْ رَضْوَى الْحَبِيكَ الْمُنْطَقِ
تَمَنَّتْ بَنُو النَّجَّارِ جَهْلًا لِقَاءَنَا	لَدَى جَنْبِ سَلْعٍ وَالْأَمَانِي تَضْدُقُ
فَمَا رَاعَهُمْ بِالْشَّرِّ إِلَّا فُجَاءَةٌ	كَرَادِيْسٍ خَيْلٍ فِي الْأَزْقَةِ تَمْرُقُ
أَرَادُوا لَكَيْمًا يَسْتَبِيحُوا قِبَابَنَا	وَدُونَ الْقِيَابِ الْيَوْمَ ضَرْبٌ مُحَرَّقُ
وَكَانَتْ قِيَابًا أُوْمِنْتَ قَبْلَ مَا تَرَى	إِذْ رَامَهَا قَوْمٌ أُبِيحُوا وَأُخْنِقُوا
كَأَنَّ رُؤُوسَ الْخَزَرَجِيِّينَ غَدَوَةٌ	وَأَيْمَانُهُمْ بِالْمُشْرِقِيَّةِ بَرْوَقُ

شعر كعب في الرد على ابن العاصي:

فأجابه كعب بن مالك، فيما ذكر ابن هشام، فقال:

أَلَا أَبْلَغَا فِهْرًا عَلَى نَأْيِ دَارِهَا	وَعِنْدَهُمْ مِنْ عَلَمِنَا الْيَوْمَ مَصْدَقُ
بَأْنَا غَدَاةَ السَّفْحِ مِنْ بَطْنٍ يَثْرِبُ	صَبَرْنَا وَرَايَاتُ الْمَنِيَّةِ تَخْفِقُ
صَبَرْنَا لَهُمْ وَالصَّبْرُ مَنَا سَجِيَّةٌ	إِذَا طَارَتْ الْأَبْرَامُ نَسْمُوا وَنَزْتُقُ
عَلَى عَادَةٍ تِلْكَمُ جَرَيْنَا بِصَبْرِنَا	وَقَدَمًا لَدَى الْغَايَاتِ نَجْرِي فَتَسْبِقُ
لَهَا حَوْمَةٌ لَا تُسْتَطَاعُ يَقُودُهَا	نَبِيٌّ أَتَى بِالْحَقِّ عَفٌّ مُصَدِّقُ
أَلَا هَلْ أَتَى أَفْنَاءُ فِهْرٍ بَنَ مَالِكُ	مُقَطَّعُ أَطْرَافٍ وَهَامٌ مُفْلَقُ

شعر ضرار في يوم أحد:

قال ابن إسحق: وقال ضرار بن الخطاب:

إِنِّي وَجَدَكَ لَوْلَا مُقَدَّمِي فَرَسِي	إِذْ جَالَتْ الْخَيْلُ بَيْنَ الْجِزْعِ وَالْقَاعِ
مَا زَالَ مِنْكُمْ بِجَنْبِ الْجِزْعِ مِنْ أَحَدٍ	أَصْوَاتُ هَامٍ تَزَاقِي أَمْرَهَا شَاعِي
وَفَارِسٌ قَدْ أَصَابَ السِّيفُ مَفْرِقَهُ	أَفْلَاقُ هَامَتِهِ كَفَرُوةِ الرَّاعِي

إني وجدك لا أنفك مُنتطِقًا
على رِحالةِ ملُواحٍ مُثابرة
وما انْتَمَيْتُ إلى خُورٍ ولا كُشفٍ
بل ضارِبين حَبِيكَ البيض إذ لِحِقُوا
شُمَّ بهاليلٍ مسترخٍ حمائلهم
وقال ضرار بن الخطَّاب أيضًا:

لَمَّا أَتَتْ مِنْ بَنِي كَغَبٍ مُزَيَّنَةٌ
وَجَرَّدُوا مَشْرِفِيَّاتٍ مُهَنَّدَةٌ
فَقُلْتُ يَوْمَ بَأْيَامٍ وَمَغْرَكَةٍ
قَدْ عُوِدُوا كُلُّ يَوْمٍ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ
خَيْرُ نَفْسِي عَلَى مَا كَانَ مِنْ وَجَلٍ
أَكْرَهْتُ مُهْرِي حَتَّى خَاضَ غَمْرَتَهُمْ
فَظَلَّ مُهْرِي وَسِزْبَالِي جَسِيدُهُمَا
أَيَقَنْتُ أَنِّي مُقِيمٌ فِي دِيَارِهِمْ
لَا تَجْزَعُوا يَا بَنِي مَخْزُومٍ إِنَّ لَكُمْ
صَبْرًا فِدَى لَكُمْ أُمِّي وَمَا وَلَدَتْ

بصارٍ مثل لُونِ المِلْحِ قَطَّاعٍ
نحو الصَّريخِ إذا ما ثَوَّبَ الدَّاعي
ولا لِيئامِ غداةِ البأسِ أَوْرَاعٍ
شُمَّ العَرانِينِ عِنْدَ المَوْتِ لُذَّاعٍ
يَسْعَوْنَ للموتِ سَعْيًا غيرَ دَغْدَاعٍ

وَالخَزْرَجِيَّةُ فِيهَا البَيْضُ تَأْتَلِقُ
وَرَايَةً كَجَنَاحِ النَّسْرِ تَخْتَفِقُ
تُنْسَى لَمَّا خَلَفَهَا مَا هُزْهَزَ الورقُ
رِيحُ القِتَالِ وَأَسْلَابُ الَّذِينَ لَقُوا
مِنْهَا وَأَيَقَنْتُ أَنَّ المَجْدَ مُسْتَبَقُ
وَبَلَّهَ مِنْ نَجِيعِ عَائِنِكَ عَلَقُ
نَفْخِ العُرُوقِ رِشَاشُ الطَّعْنِ وَالورقُ
حَتَّى يُفَارِقَ مَا فِي جَوْفِهِ الحَدَقُ
مِثْلَ المُغِيرَةِ فِيكُمْ مَا بِهِ زَهَقُ
تَعَاوَرُوا الضَّرْبَ حَتَّى يُذْبِرَ الشَّفَقُ

شعر عمرو في يوم أُحُد

وقال عمرو بن العاصي:

لَمَّا رَأَيْتُ الحَرْبَ يَنْـ
وَتَنَاوَلَتْ شَهْبَاءُ تَلْحُـ
أَيَقَنْتُ أَنَّ المَوْتَ حَقُّ
حَمَلْتُ أَثْوَابِي عَلَى
سَلِسٍ إِذَا تُكَبَّنُ فِي الـ

زُو شَرَّهَا بِالرَّضْفِ نَزْرًا
وَالنَّاسَ بِالضُّرَاءِ لَخْوًا
وَالْحَيَاةَ تَكُونُ لَغْوًا
عَتَبِ يَبْدُ الخَيْلِ رَهْوًا
بَيْنَاءٍ يَغْلُو الطَّرْفَ عُلوًا

في شعر عمرو بن العاص

وفي شعر عمرو بن العاصي: يَمْشُونَ قَطُورًا. القَطُورُ والأَقْطِيطَاءُ: مَشْيُ القَطَا.

وَإِذَا تَنَزَّلَ مَآؤُهُ مِنْ عِطْفِهِ يَزْدَادُ زَهْوًا
رَبِذٍ كَيْغْفُورِ الصَّريِّ مِمَّا رَآعَهُ الرَّأْمُونَ دَخْوًا
شَنِجٍ نَسَاهُ ضَابِطُ لِلْخَيْلِ إِزْخَاءٌ وَعَذْوًا
فَفِدَى لَهُمْ أُمِّي غَدَا عِةَ الرَّوْعِ إِذْ يَمْشُونَ قَطْوًا
سَيْرًا إِلَى كَبْشِ الْكَتِي بَةِ إِذْ جَلَسَتْهُ الشَّمْسُ جَلْوًا

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعمره.

شعر كعب في الرد على عمرو بن العاصي

قال ابن إسحاق: فأجابهما كعب بن مالك، فقال:

أُبْلِغُ قُرَيْشًا وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ وَالصَّدْقُ عِنْدَ ذَوِي الْأَبَابِ مَقْبُولُ
أَنْ قَدْ قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا سَرَاتَكُمْ أَهْلَ اللَّوَاءِ فَفِيمَا يَكْثُرُ الْقِيلُ
وَيَوْمَ بَدِرٍ لَقِينَاكُمْ لَنَا مَدَدُ فِيهِ مَعَ النَّصْرِ مِيكَالُ وَجَبْرِيلُ
إِنْ تَقْتُلُونَا فِدَيْنُ الْحَقِّ فِطْرَتُنَا وَالْقَتْلُ فِي الْحَقِّ عِنْدَ اللَّهِ تَفْضِيلُ
وَإِنْ تَرَوْا أَمْرَنَا فِي رَأْيِكُمْ سَفَهًا فَرَأَيْ مَنْ خَالَفَ الْإِسْلَامَ تَضْلِيلُ
فَلَا تَمْنُوا لِقَاحَ الْحَرْبِ وَاقْتَعِدُوا إِنَّ أَخَا الْحَرْبِ أَصْدَى اللَّوْنِ مَشْغُولُ
إِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا ضَرْبًا تَرَاخُ لَهُ عُرْجُ الضَّبَاعِ لَهُ خَذَمُ رَعَابِيلُ
إِنَّا بَنُو الْحَرْبِ نَمْرِیْهَا وَنَنْتُجُهَا وَعِنْدَنَا لَذَوِي الْأَضْغَانِ تَنْكِيلُ
إِنْ يَنْجُ مِنْهَا ابْنُ حَرْبٍ بَعْدَمَا بَلَغَتْ مِنْهُ التَّرَاقِي، وَأَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولُ
فَقَدْ أَفَادَتْ لَهُ حِلْمًا وَمَوْعِظَةً لِمَنْ يَكُونُ لَهُ لُبٌّ وَمَعْقُولُ

شعر كعب

وفي شعر كعب: خَذَمُ رَعَابِيلَ. الخَذَمُ: القطع بالأسنان. ورَعَابِيلُ: قِطْعٌ مُتَمَرِّقَةٌ، يقال: خَبَاءُ مُرْغَبِلٍ، أي: مُتَمَرِّقٍ.

وقوله:

إِنَّا بَنُو الْحَرْبِ نَمْرِیْهَا وَنَنْتُجُهَا

مُسْتَعَارٌ مِنْ مَرِيئِ النَّاقَةِ إِذَا اسْتَدْرَرَتْ لَبْنَهَا، وَنَتَجَتْهَا إِذَا اسْتَخْرَجَتْ مِنْهَا وَلَدًا، يقال: نَتَجَتِ النَّاقَةُ، وَنَتَجَهَا أَهْلُهَا، وَأَمَّا أَنْتَجَتِ تُنْتَجُ فَإِذَا دَنَا نَتَاجُهَا.

ولو هَبَطْتُمْ بِبَطْنِ السَّيْلِ كَافَحَكُمْ
تَلْقَاكُمْ غَضَبُ حَوْلِ النَّبِيِّ لَهُمْ
مِنْ جِذْمِ غَسَّانٍ مُسْتَرِخٍ حَمَائِلُهُمْ
يَمْشُونَ تَحْتَ عَمَايَاتِ الْقِتَالِ كَمَا
أَوْ مِثْلُ مَشْيِ أَسْوَدِ الظِّلِّ أَلْثَقَهَا
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ كَالنَّهْيِ مُحْكَمَةٍ
تَرْدٌ حَدِّ قِرَامِ النَّبْلِ خَاسِئَةٌ
وَلَوْ قَذَفْتُمْ بِسَلْعٍ عَنْ ظُهُورِكُمْ
مَا زَالَ فِي الْقَوْمِ وَثَرٌ مِنْكُمْ أَبَدًا
عَبْدٌ وَحُرٌّ كَرِيمٌ مُوثِقٌ قَنْصَا
كُنَّا نُوْمِلُ أَخْرَاكُم فَاعْجَلَكُمْ
إِذَا جَنَى فِيهِمُ الْجَانِي فَقَدْ عَلِمُوا
مَا نَحْنُ لَا نَحْنُ مِنْ إِثْمٍ مُجَاهِرَةٍ

ضَرَبْتُ بِشَاكِلَةِ الْبَطْحَاءِ تَرْعِيلَ
مِمَّا يُعِدُّونَ لِلْهَيْجَا سَرَابِيلَ
لَا جُبْنَاءَ وَلَا مِيلَ مَعَاذِيلَ
تَمْشِي الْمَصَاعِبَةُ الْأُذْمُ الْمَرَاثِيلَ
يَوْمُ رَذَاذٍ مِنَ الْجَوَزَاءِ مَشْمُولِ
قِيَامِهَا فَلَجَ كَالسَّيْفِ بُهْلُولِ
وَيَرْجِعُ السَّيْفُ عَنْهَا وَهُوَ مَقْلُولِ
وَلِلْحَيَاةِ وَدَفْعِ الْمَوْتِ تَأْجِيلِ
تَغْفُو السَّلَامُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَطْلُولِ
شَطْرَعِ الْمَدِينَةِ مَأْسُورٍ وَمَقْتُولِ
مِنَّا فَوَارِسُ لَا عُزْلٌ وَلَا مِيلِ
حَقًّا بِأَنَّ الَّذِي قَدْ جَرَّ مَحْمُولِ
وَلَا مَلُومٌ وَلَا فِي الْغُرْمِ مَخْذُولِ

شعر حسان في أصحاب اللواء

وقال حسان بن ثابت، يذكر عدة أصحاب اللواء يوم أحد:

- قال ابن هشام: هذه أحسن ما قيل -.

وقوله:

يَوْمُ رَذَاذٍ مِنَ الْجَوَزَاءِ مَشْمُولُ

يريد: من أيام أنواء الجوزاء، وهو نوء الهفعة، أو الهنعة، وذلك في الشتاء في شهر
كانون الأول ومشمول من الرّيح الشمال.

وقوله: الثّقها من اللّثقي، وهو البَلَلُ والطّينُ اليسير، والرّذاذُ معروف، وهو أكثر من
الطّشّ والبغشّ، والطلّ نحو منه، أو أقوى منه قليلاً، يقال: أرضٌ مَطْلُولَةٌ ومَبْغُوشَةٌ، ولا
يقال: مَرْدُودَةٌ، ولكن يُقال: مُرْدَّةٌ ومُرْدٌ عليها قاله الخطابي.

أجود ما قال حسان

وذكر شعر حسان. قال ابن هشام: هذه أجود ما قال، وهذه القصيدة التي قالها حسان

مَنَعَ النَّوْمَ بِالْعِشَاءِ الْهُمُومُ
 مِنْ حَبِيبٍ أَضَافَ قَلْبَكَ مِنْهُ
 يَا لَقَوْمِي هَلْ يَقْتُلُ الْمَرْءَ مِثْلِي
 لَوْ يَدِبُّ الْحَوْلِيَّ مِنْ وَلَدِ الذِّ
 شَأْنُهَا الْعِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَيَغْلُو
 لَمْ تَفُتْهَا شَمْسُ النَّهَارِ بِشَيْءٍ
 إِنْ خَالِي خَطِيبُ جَابِيَةِ الْجَوْ
 وَأَنَا الصَّقْرُ عِنْدَ بَابِ ابْنِ سَلَمَى
 وَأَبِيَّ وَوَقَدْ أَطْلِقَا لِي
 وَرَهْنْتُ الْيَدَيْنِ عَنْهُمْ جَمِيعًا
 وَسَطَّتْ نِسْبَتِي الذَّوَابَّ مِنْهُمْ
 ، وَأَبِي فِي سُمَيْحَةِ الْقَائِلِ الْفَا
 تِلْكَ أَفْعَالُنَا وَفِعْلُ الزَّبْعَرَى
 رَبِّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا

وَحَيَالٌ إِذَا تَغُورُ النُّجُومُ
 سَقَمَ فَهُوَ دَاخِلٌ مَكْتُومُ
 وَاهِنُ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سَوْومُ
 رَ عَلَيْهَا لَا تَدْبَثُهَا الْكُلُومُ
 هَا لُجَيْنٌ وَلَوْلَوْ مَنْظُومُ
 غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ يَذُومُ
 لِأَنَّ عِنْدَ النُّعْمَانِ حِينَ يَقُومُ
 يَوْمَ نُعْمَانٍ فِي الْكُبُولِ سَقِيمُ
 يَوْمَ رَاحَا وَكَبَلَهُمْ مَخْطُومُ
 كُلُّ كَفٍّ جُزْءٌ لَهَا مَقْسُومُ
 كُلُّ دَارٍ فِيهَا أَبٌ لِي عَظِيمُ
 صَلَّ يَوْمَ التَّقَتِّ عَلَيْهِ الْخُصُومُ
 خَامِلٌ فِي صَدِيقِهِ مَذْمُومُ
 لِي وَجْهٌ غَطَا عَلَيْهِ النُّعِيمُ

ليلاً، ونادى قومه أنا أبو الحُسام، أنا أبو الوليد، وهما كُنَيَّانِ له، ثم أمرهم أن يزُودوها عنه قبل النهار، مخافة أن يعوقه عائقٌ، فخرَ فيها على ابن الزُبْعَرَى بِمَقَامَاتٍ له عند ملوك الشام من أبناء جَفَنَةَ، افتكَّ فيها عُنَاةً من قومه.

وذكر مقام خالد عند النُّعْمَانِ الْغَسَانِيِّ من آلِ جَفَنَةَ، وليس بالنُّعْمَانِ بنِ الْمُنْدِرِ، وقال فيها:

رُبَّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا لِي وَجْهٌ غَطَا عَلَيْهِ النُّعِيمُ
 غَطَاً بِتَخْفِيفِ الطَّاءِ أَنَشَدَهُ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ، وَهَكَذَا كَانَ فِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ مَذْكُورًا عَنْ
 يُونُسَ، وَغَطَاً ارْتَفَعَ وَعَلَا، وَأَنَشَدَ الْقُتَيْبِيُّ:

وَمِنْ تَعَاجِيبِ خَلْقِ اللَّهِ غَاطِيَةٌ يُغْصَى مِنْهَا مُلَاحِيٌّ وَغَرْبِيبُ
 مُلَاحِيٌّ بِتَخْفِيفِ اللَّامِ، وَيُقَالُ: مُلَاحِيٌّ كَمَا قَالَ:

كَعَنْقُودِ مُلَاحِيَّةٍ^(١) حِينَ نَوَّرَا

(١) مَلَا حِيَّةٌ: عَنَبٌ.

إِن دَهْرًا يَبُورُ فِيهِ ذَوُو الْعِدِّ لَمْ لَدَهْرٌ هُوَ الْعَثْوُ الزَنِيمُ
 لَا تُسَبِّئُنِي فَلَسْتُ بِسَبْيٍ إِنَّ سَبْيَ مَنْ الرِّجَالِ الْكَرِيمِ
 مَا أَبَالِي أَنْبَ بِالْحَزَنِ تَيْسُ أَمْ لِحَانِي بظَهْرٍ غَيْبٍ لَّئِيمِ
 وَلِي الْبَأْسُ مِنْكُمْ إِذْ رَحَلْتُمْ أَسْرَةً مِنْ بَنِي قُصَيِّ صَمِيمِ
 تِسْعَةً تَحْمِلُ اللَّوَاءَ وَطَارَتْ فِي رَعَاعٍ مِنَ الْقَنَا مَخْزُومِ
 وَأَقَامُوا حَتَّى أُبِيحُوا جَمِيعًا فِي مَقَامٍ وَكُلُّهُمْ مَذْمُومِ
 بَدَمٍ عَانِكَ وَكَانَ حِفَاطًا أَنْ يُقِيمُوا إِنْ الْكَرِيمِ كَرِيمِ
 وَأَقَامُوا حَتَّى أَزِيرُوا شَعُوبًا وَالْقَنَا فِي نَحُورِهِمْ مَخْطُومِ
 وَقُرَيْشٌ تَفِرُّ مِنَّا لِوَإِذَا أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَ مِنْهَا الْحُلُومِ
 لَمْ تُطِقْ حَمْلَهُ الْعَوَاتِقُ مِنْهُمْ إِنَّمَا يَحْمِلُ اللَّوَاءَ النَّجُومِ

قال ابن هشام: قال حسان هذه القصيدة:

منع النوم بالعشاء الهموم

ليلاً، فدعا قومه، فقال لهم: خَشِيتُ أَنْ يُذْرِكُنِي أَجَلِي قَبْلَ أَنْ أَصْبِحَ، فَلَا تَرَوْوْهَا عَنِّي.

وقال أبو حنيفة: مَنْ قَالَ مُلَاجِيَةً بِالتَّشْدِيدِ شَبَّهَ بِالْمُلَاحِ وَهُوَ ثَمَرُ الْأَرَاكِ وَفِيهِ مُلُوحَةٌ، وَقَالَ: وَالْغَرِيبُ اسْمٌ لِنَوْعٍ مِنَ الْعِنَبِ، وَلَيْسَ بِنَعْتٍ. قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَإِذَا ثَبَتَ هَذَا فَلَعَلَّكَ أَنْ تَفْهَمَ مِنْهُ مَعْنَى قَوْلِهِ سَبَّحَانَهُ: ﴿وَعَرَابِيْبُ سُودٍ﴾ [فاطر: ٢٧]. حِينَ وَصَفَ الْجُدَدَ، وَسُودٌ عِنْدِي بَدَلٌ، لَا نَعْتُ، وَإِنَّمَا يَتِمُّ شَرْحُ الْآيَةِ لَمَنْ لَحِظَهُ مِنْ هَذَا الْمَطْلَعِ، فَإِنْ أَبَا حَنِيفَةَ زَعَمَ أَنَّ الْغَرِيبَ إِذَا أُطْلِقَ لَفْظُهُ، وَلَمْ يَقَيَّدْ بِشَيْءٍ مَوْصُوفٍ بِهِ، فَإِنَّمَا يَفْهَمُ مِنَ الْعِنَبِ الَّذِي هَذَا اسْمُهُ خَاصَّةً، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ وَفْهَمُ الْكِتَابِ.

وذكر فيه حُمَاةَ اللَّوَاءِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَأَنَّهُمْ صُرِعُوا حَوْلَهُ حَتَّى أَخَذَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْهُمْ وَهِيَ عَمْرَةُ بِنْتُ عُلَقَمَةَ، فَلِذَلِكَ قَالَ:

لَمْ تَطُقْ حَمْلَهُ الْعَوَاتِقُ مِنْهُمْ إِنَّمَا يَحْمِلُ اللَّوَاءَ النَّجُومُ

قال ابن هشام: أنشدني أبو عُبَيْدة لِلْحَجَّاجِ بنِ عِلَاطٍ السُّلَمي يَمْدَحُ أبا الحسن أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب، ويذكر قَتْلَهُ طَلْحَةَ بن أبي طَلْحَةَ بن عبد العُزَّى بن عثمان بن عبد الدَّار، صاحب لواء المشركين يوم أُحُد:

لِلَّهِ أَيُّ مُذَبِّبٍ عَنْ حُرْمَةٍ أَغْنِي ابْنَ فَاطِمَةَ الْمُعَمَّ الْمُخُولَا
سَبَقَتْ يَدَاكَ لَهُ بِعَاجِلِ طَغْنَةٍ تَرَكْتُ طَلِيحَةَ لِلجَبِينِ مُجَدَّلَا
وَشَدَذَتْ شِدَّةً بِاسِلٍ فَكَشَفْتَهُمْ بِالْجَرِّ إِذْ يَهُوُونَ أَخْوَالَ أَخُولَا

شعر ابن عِلَاط:

وقال في شعر حَجَّاجِ بنِ عِلَاطٍ يمدح عليًّا رضي الله عنه.

لِلَّهِ أَيُّ مُذَبِّبٍ عَنْ حُرْمَةٍ

أَلْفَيْتُ فِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ أَبِي بَخْرٍ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ يَعْنِي أَضِلُّ أَبِي الْوَلِيدِ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَيُّ نَصَبٍ لِأَنَّهُ مَدِيحٌ وَالْمَدِيحُ نَصَبٌ فِي أَيِّ حَالِهِ، فَأَمَّا ابْنُ هِشَامٍ فَرَفَعَ أَيُّ. قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ مِنْ نَصَبِ أَيُّ عَلَى الْمَدِيحِ، لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا أَنْ تُقَدَّرَ حَذْفَ الْمَبْتَدَأِ قَبْلَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ اللَّهُ أَنْتَ لِأَنَّهُ لَا يُنْصَبُ عَلَى الْمَدْحِ إِلَّا بَعْدَ جُمْلَةٍ تَامَةٍ، وَأَمَّا الرِّفْعُ عَلَى أَنْ تَجْعَلَ خَبْرَهُ اللَّهُ: فَقَبِيحٌ لِأَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ خَبْرًا، فَأَصْلُهَا الْاسْتِفْهَامُ فَلَهَا صَدْرُ الْكَلَامِ كَمَا كَانَ ذَلِكَ فِي كَمْ خَبَرِيَّةٍ كَانَتْ، أَوْ اسْتِفْهَامِيَّةٍ، فَالتَّقديرُ إِذَا: اللَّهُ ذَرُّهُ أَيُّ مُذَبِّبٍ عَنْ حُرْمَةٍ هُوَ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَقْبَحُ أَنْ يَقُولَ: جَاءَنِي أَيُّ فَتَى، فَإِنْ جَعَلْتَهُ وَصْفًا جَارِيًا عَلَى مَا قَبْلَهَا، فَقُلْتُ: جَارَتِي رَجُلٌ أَيُّ رَجُلٌ جَازَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ وَصْفًا لَمْ تَلِهَ الْعَوَامِلُ اللَّفْظِيَّةَ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ أَصْلِهِ، إِذَا الْمَبْتَدَأُ لَا تَلِيهِ الْعَوَامِلُ اللَّفْظِيَّةُ.

وقوله: أَخُولُ أَخُولَا، أَيُّ: مُتَفَرِّقِينَ، وَوَقَعَ تَفْسِيرُهُ فِي بَعْضِ النُّسخِ مِنْ قَوْلِ ابْنِ هِشَامٍ، وَكَانَ أَصْلُهُ مِنَ الْخَالِ، وَهُوَ الْخِيَلَاءُ وَالْكِبَرُ، تَقُولُ: فَلَانُ أَخُولُ مِنْ فَلَانٍ، أَيُّ: أَشَدُّ كِبَرًا مِنْهُ، وَاخْتِيَالًا، فَمَعْنَى قَوْلِهِمْ: إِذَا جَاءَ الْقَوْمُ أَخُولَ أَخُولَا، أَيُّ: انْفَرَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِنَفْسِهِ، وَازْدَهَاهُ الْخَالُ أَنْ يَكُونَ تَابِعًا لِغَيْرِهِ، فَكَلِمَا رَأَيْتَ أَحَدًا مِنْهُمْ، قُلْتُ: هَذَا أَخُولُ مِنَ الْآخَرِ، هَذَا هُوَ الْأَضْلُ، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى اسْتَعْمَلَ فِي التَّفَرُّقِ مَثَلًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مِنْ مَعْنَى الْخَالِ شَيْءٌ، وَقَدْ قِيلَ فِي أَخُولٍ: إِنَّهُ مِنْ تَخَوَّلْتُ بِالْمَوْعِظَةِ، وَنَحْوُهَا إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَفِي الْحَدِيثِ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ، مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا^(١).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧/١) وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابِ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ (٨٢/٨٣) وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٨٥٥) وَأَحْمَدُ (٣٧٧/١) وَالْحَمِيدِيُّ (١٠٧).

شعر حسان في قتلى يوم أحد

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يَبْكِي حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَمَنْ أُصِيبَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ:

يَا مَيِّ قُومِي فَاذْبِينِ	بُسْحِيرَةَ شَجَوَ النَّوَائِحِ
كَالْحَامِلَاتِ الْوَقْرِ ^(١) بِالْـ	ثُقُلِ الْمُلِحَّاتِ الدَّوَالِحِ ^(٢)
الْمُغُولَاتِ الْخَامِشَاتِ	تُ وَجْوهَ حُرَّاتِ صَحَائِحِ
وَكَأَنَّ سَيْلَ دُمُوعِهَا الـ	أَنْصَابُ تَخَضَّبُ بِالذَّبَائِحِ
يَنْقُضْنَ أَشْعَارًا لَهْنَ	هُنَاكَ بَادِيَةَ الْمَسَائِحِ
وَكَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْـ	لٍ بِالضُّحَى شُمْسٍ رَوَاسِحِ
مِنْ بَيْنِ مَشْرُورٍ وَمَجْـ	زُورٍ يُذْغِذَعُ ^(٣) بِالْبَوَارِحِ
يَبْكِينَ شَجَوًا مُسْلَبَا	تِ كَدَحْتِهِنَّ الْكَوَادِحِ
وَلَقَدْ أَصَابَ قُلُوبَهَا	مَجَلٌّ لَهُ جُلَبٌ قَوَارِحِ

شعر حسان الحائي

وذكر شعر حسان الحائي وقال فيه:

كَالْحَامِلَاتِ الْوَقْرِ بِالْـ
ثُقُلِ الْمُلِحَّاتِ الدَّوَالِحِ
الدَّوَالِحُ: جمع دَالِحَةٍ وهي الْمُثْقَلَةُ، وكذلك الدَّلُوحُ من السَّحَابِ، وهي الْمُثْقَلَةُ بِالماءِ وفيه.

يَنْقُضْنَ أَشْعَارًا لَهْنَ
هُنَاكَ بَادِيَةَ الْمَسَائِحِ
المسائِح: جميع: مَسِيحَةٌ، وهو ما لم يُمَشَّطْ من الشعر بذهنٍ، ولا شَيْءٍ، والمَسِيحَةُ أيضًا الْقِطْعَةُ مِنَ الْفِضَّةِ، والمَسِيحَةُ الْفَرَسُ.

وقوله: مِنْ بَيْنِ مَشْرُورٍ، أَي: مُفَرَّقٍ، وَيُقَالُ: شَرَزْتُ الْمِلْحَ إِذَا فَرَقْتَهُ، وَالْمَجَلُّ كَالْجُرْحِ، تَقُولُ: مَجَلَّتْ يَدِي مِنَ الْعَمَلِ.

(٢) الدوالح: البطيئات المشي.

(١) الوقر: الحمل الثقيل.

(٣) يذغذع: يبدد.

إِذْ أَقْصَدِ الْجِذْثَانِ مَنْ
 أَصْحَابَ أَخْدِ غَالَهُمْ
 مَنْ كَانَ فَارَسَنَا وَحَا
 يَا حَمَزَ، لَا وَاللَّهِ لَا
 لِمُنَاخِ أَيْتَامٍ وَأَضْ
 وَلِمَا يَثُوبُ الدَّهْرُ فِي
 يَا فَارَسًا يَا مِذْرَهَا^(٤)
 عَنَّا شَدِيدَاتِ الْخُطُوبِ
 ذَكَّرْتَنِي أَسَدَ الرَّسُوبِ
 عَنَّا وَكَانَ يُعَدُّ إِذْ
 يَغْلُو الْقَمَاقِمُ^(٦) جَهْرَةً
 لَا طَائِشَ رَعِشَ وَلَا
 بَحْرَ فَلَيْسَ يُغِبُّ جَا
 كُنَّا نَرْجِي إِذْ نُشَايَحُ^(١)
 دَهْرُ أَلَمَ لَهُ جَوَارِحُ
 مِينَا إِذَا بُعِثَ الْمَسَالِحُ^(٢)
 أَنْسَاكَ مَا ضَرَّ اللَّقَائِحُ
 يَافِ وَأَزْمَلَةَ تُلَامِحِ
 حَزْبٍ لِحَزْبٍ وَهِيَ لَافِحُ^(٣)
 يَا حَمَزَ قَدْ كُنْتَ الْمُصَامِحُ^(٥)
 بَ إِذَا يَثُوبُ لَهَنَ فَادِخُ
 لَ، وَذَاكَ مِذْرَهْنَا الْمُنَافِخُ
 عُدَّ الشَّرِيفُونَ الْجَحَاجِخُ
 سَبَطَ الْيَدَيْنِ أَغْرَ وَاضِخُ
 ذُو عِلَّةٍ بِالْحِمْلِ آنِخُ^(٧)
 رَا مِنْهُ بَسَيْبُ^(٨) أَوْ مَنَادِخُ^(٩)

وقوله: نُشَايَحُ، أي: نَحَاذِرُ، كما قال الآخر:

وَشَايَحْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ إِنَّكَ شَيْخُ

وقوله: قَدْ كُنْتَ الْمُصَامِحُ، وفي الحاشية عند الشيخ المصافح بالفاء في رواية أخرى،
 وأما الْمُصَامِحُ بالميم، فيجوز أن يكون من صَمَخْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَذْبَتُهُ، قاله صاحب العين،
 قال: وَالصَّمَخْمُخُ مِنَ الرُّجَالِ: الشَّدِيدُ الْعَصَبِ، وَسِنَّهُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِينَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ،
 وَالصُّمَاحُ فِيمَا ذَكَرَ أَبُو حَنِيفَةَ الرِّيحُ الْمُتَنَبِّهَةُ.

وقوله: سَبَبٌ أَوْ مَنَادِحُ، يجوز أن يكون جَمْعُ: مَنْدُوحَةٍ، وهي السَّعَةُ، وقياسه: مَنَادِيحُ
 بالياء، وحذفها ضرورة، ويجوز أن يكون من التَّنْدَحِ، فيكون مُفَاعِلًا بضم الميم، أي:

(١) نشايح: نفادي:

(٣) لافح: محرقة.

(٥) المصامح: أي قاطع رؤوس الأبصال.

(٧) آنح: عاجز.

(٩) المنادح: مجرى الماء الكبير أو الواسع.

(٢) المسالحي: حاملوا السلاح.

(٤) يا مدرها: يا سيد، يا زعيم.

(٦) القماقم: العدد الكثير.

(٨) السيب: مجرى الماء الضيق أو الصغير.

أَوْدَى شَبَابُ أُولَى الْحَفَا
 الْمُطْعَمُونَ إِذَا الْمَشَا
 لَحْمَ الْجِلَادِ وَقَوْفَهُ
 لِيَدَافِعُو عَنْ جَارِهِمْ
 لَهْفِي لِشُبَّانِ رَزِئْتُ
 شُمًّا، بَطَارِقَةً، غَطَا
 الْمُشْتَرُونَ الْحَمْدَ بِالْـ
 وَالْجَامِزُونَ^(٢) بِلُجْمِهِمْ^(٣)
 مَنْ كَانَ يُزْمَى بِالنُّوَا
 مَا إِنْ تَزَالَ رِكَابُهُ
 رَاخَتْ تَبَارَى وَهُوَ فِي
 حَتَّى تَثُوبَ لَهُ الْمَعَا
 نَظَ وَالثَّقِيلُونَ الْمَرَا جِخ
 تِي مَا يُصَفَّقُهُنَّ نَاضِخ
 مِنْ شَخْمِهِ شُطْبُ شَرَائِخ
 مَا رَامَ ذُو الضَّغْنِ الْمُكَاشِخ^(١)
 نَاهُمْ كَأَنَّهُمْ الْمَصَابِخ
 رِفَةً، خَضَارِمَةً، مَسَامِخ
 أَمْوَالِ إِنْ الْحَمْدَ رَابِح
 يَوْمًا إِذَا مَا صَاحَ صَائِح
 قِرِ^(٤) مِنْ زَمَانٍ غَيْرِ صَالِح
 يَرْسِمَنَّ فِي غُبْرِ صَحَاصِح^(٥)
 رَكِبَ صُدُورُهُمْ رَوَاشِح
 لِي لَيْسَ مِنْ قَوْزِ السَّفَائِح^(٦)

مُكَاشِرًا، وَيَكُونُ بَفَتْحِ الْمِيمِ فَيَكُونُ جَمْعُ مَنْدُوحَةٍ مَفْعَلَةٌ مِنَ الْكَثْرَةِ وَالسَّعَةِ، وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: أَنَا فِي مَنْدُوحَةٍ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ، فَهِيَ مَفْعُولَةٌ مِنَ النَّدَحِ، وَوَهُم أَبُو عُبَيْدٍ، فَجَعَلَهُ مِنْ ائْدَاحَ بَطْنُهُ إِذَا اتَّسَعَ، وَالنُّونُ فِي مَنْدُوحَةٍ أَصْلٌ، وَهِيَ فِي ائْدَاحَ زَائِدَةٌ، لِأَنَّ وَزَنَهُ ائْفَعْلُ، وَالْأَلْفُ فِي ائْدَاحَ أَصْلٌ وَهِيَ بَدَلٌ مِنْ وَاوٍ كَأَنَّهُ مَنْدُوحَةُ الشَّجِ، وَالْمِيمُ فِي مَنْدُوحَةٍ زَائِدَةٌ، وَالْدَالُ عَيْنُ الْفَعْلِ، وَهُوَ فِي ائْدَاحَ فَاءُ الْفَعْلِ، وَمَنْ هَاهُنَا قَالَ الْخَطَّابِيُّ: يَا عَجَبًا لَابْنِ قُتَيْبَةَ يَتْرَكَ مِثْلَ هَذَا مِنْ غَلَطِ أَبِي عُبَيْدٍ، وَيَعْتَفُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ، فِيمَا لَا بَالَ لَهُ مِنَ الْغَلَطِ.

وقوله: خَضَارِمَةً: جَمْعُ خَضَرَمٍ، وَهُوَ الْكَثِيرُ الْعَطَاءِ.

وقوله: يَرْسِمَنَّ مِنَ الرَّسِيمِ فِي السَّيْرِ، وَالصَّحَاصِيخُ: جَمْعُ صَخَصِيحٍ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْمَلْسَاءُ.

وقوله: لَيْسَ مِنْ قَوْزِ السَّفَائِحِ، السَّفَائِحُ: جَمْعُ سَفِيحَةٍ، وَهِيَ كَالْجَوَالِقِ^(٧) وَنَحْوِهِ.

(١) الْمُكَاشِخُ: بَاطِنُ الْعِدَاوَةِ وَالْكَرْهِ.

(٢) الْجَامِزُونَ: الْمُسْرِعُونَ.

(٣) بِلُجْمِهِمْ: مِنَ اللَّجْمِ وَهُوَ الْكَفُّ.

(٤) النُّوَاقرُ: الْوَهَادُ.

(٥) صَحَاصِيحُ: مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ أَجْرَدَ.

(٦) السَّفَائِحُ: السَّهُولَةُ.

(٧) الْجَوَالِقُ: وَعَاءٌ مِنْ صُوفٍ وَنَحْوِهِ.

يَا حَمَزَ قَدْ أَوْحَدْتَنِي
أَشْكُو إِلَيْكَ وَفَوْقَكَ الـ
مِنْ جَنْدَلٍ^(٣) نُلْقِيهِ فَوْ
فِي وَاسِعٍ يَحْشُونَهُ
فَعَزَاؤُنَا أَنَا نَقُـ
مَنْ كَانَ أَمْسَى وَهُوَ عَمَّ
فَلْيَأْتِنَا فَلْتَبْكِ عَيْنُ
الْقَائِلِينَ الْفَاعِلِينَ
مَنْ لَا يَزَالُ نَدَى يَدِيْـ

كَالْعُودِ شَدَّ بِهِ^(١) الْكَوَافِحُ^(٢)
تُزْبُ الْمُكَوَّرُ وَالصَّفَائِحُ
قَكَ إِذْ أَجَادَ الضَّرْحُ ضَارِحُ
بِالتُّزْبِ سَوَّثَهُ الْمَمَاسِحُ
لَ وَقَوْلُنَا بَرْحُ بَوَارِحُ
لَا أَوْقَعَ الْجِدْثَانُ جَانِحُ
نَاهُ لَهْلُكَانَا النَّوَافِحُ^(٤)
ذَوِي السَّمَاحَةِ وَالْمَمَادِحُ
لَهُ طَوَالُ الدَّهْرِ مَائِحُ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكرها لحسان، وبيته: «المطعمون إذا المشاتي» وبيته: «الجامزون بلُجْمِهِمْ»، وبيته: «من كان يُرْمَى بالنواقر» عن غير ابن إسحق.

شعر حسان في بكاء حمزة

قال ابن إسحق: وقال حسان بن ثابت أيضًا يبكي حمزة بن عبد المطلب:

أَتَعْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَسْمُهَا
بَيْنَ السَّرَادِيحِ فَأَذْمَانِـ
سَاءَ لَثُهَا عَنْ ذَاكَ فَاسْتَعْجَمْتُ
دَغَ عَنْكَ دَارًا قَدْ عَفَا رَسْمُهَا
الْمَالِيَّ الشَّيْزِي إِذَا أَغْصَفْتُ
وَالتَّارِكِ الْقِرْنَ لَدَى لِبْدِـ
بَعْدَكَ صَوْبُ الْمُسْبِلِ الْهَاطِلِ
فَمَذْفَعُ الرُّوحَاءِ فِي حَائِلِ
لَمْ تَذِرْ مَا مَرَجُوعَةُ السَّائِلِ؟
وَابِكِ عَلَى حَمْزَةِ ذِي النَّائِلِ
غَبْرَاءُ فِي ذِي الشَّيْمِ الْمَاحِلِ
يَعْثُرُ فِي ذِي الْخُرْصِ الذَّابِلِ

شعر حسان اللامي^(٥)

وقال في القصيدة الَلَامِيَّة: ذِي الْخُرْصِ الذَّابِلِ، يريد: الرُّمَحَ، وَالْخُرْصُ سِنَانُهُ

(٢) الكوافح: الأعداد.

(٤) نوافح: الطيبو الروائح.

(٥) شعر حسان هو اللامي. أي منتهي باللام. وليس حسان هو اللامي.

(١) شَدَّ بِهِ: ابتعد.

(٣) جندل: صخر عظيم.

كَالْلَيْثِ فِي غَابَتِهِ الْبَاسِلِ
لَمْ يَمِرْ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ
شُلَّتْ يَدَا وَخْشِيٍّ مِنْ قَاتِلِ
مَطْرُورَةٍ مَارِنَةِ الْعَامِلِ
وَأَسْوَدَ نُورِ الْقَمَرِ النَّاصِلِ
عَالِيَةِ مُكْرَمَةِ الدَّاخِلِ
فِي كُلِّ أَمْرٍ نَابِنَا نَازِلِ
يَكْفِيكَ فَقْدَ الْقَاعِدِ الْخَازِلِ
دَمْعًا وَأَذْرَى عُبْرَةِ الثَّائِلِ
بِالسَّيْفِ تَحْتَ الرَّهْجِ الْجَائِلِ
مِنْ كُلِّ عَاتٍ قَلْتُهُ جَاهِلِ
يَمْشُونَ تَحْتَ الْحَلَقِ الْفَاضِلِ
نِعْمَ وَزِيرُ الْفَارِسِ الْحَامِلِ

وَاللَّابِسِ الْخَيْلِ إِذْ أُجْحِمَتْ
أَبْيَضُ فِي الذَّرْوَةِ مِنْ هَاشِمِ
مَالٍ شَهِيدًا بَيْنَ أَسْيَافِكُمْ
أَيُّ أَمْرٍ غَادَرَ فِي أَلَّةِ
أُظْلِمَتِ الْأَرْضُ لِفَقْدَانِهِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فِي جَنَّةِ
كُنَّا نَرَى حَمْزَةَ حِرْزًا لَنَا
وَكَانَ فِي الْإِسْلَامِ ذَا تُذْرٍ
لَا تَفْرَحِي يَا هِنْدُ وَاسْتَخْلَبِي
وَأَبْكِي عَلَى عُثْبَةٍ إِذْ قَطَّه
إِذَا خَرَّ فِي مَشِيخَةٍ مِنْكُمْ
أَزْدَاهُمْ حَمْزَةً فِي أُسْرَةٍ
غَدَاةَ جَبْرِيلَ وَزِيرًا لَهُ

وجمعه خُرْصَان. وفيه:

شُلَّتْ يَدَا وَخْشِيٍّ مِنْ قَاتِلِ

ترك تنوين العلم للضرورة:

ترك التنوين للضرورة لما كان اسماً علماً، والعلم قد يترك صرْفُه كثيراً، ومنع من ذلك البصريُّون، واحتجَّ الكوفيون في إجازته بأن الشاعر قد يحذف الحرف والحرفين نحو قول علقمة [بن عبدة]:

كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَنِّي عَلَى شَرَفٍ مَقْدَمٌ بِسَبَا الْكَثَّانِ مَلُئُومٌ
أي بسبائب، وقول لبيد:

كَالْحَمَالِيَجِ^(١) بِأَيْدِي التَّلَامِ

أي التلاميذ.

وقال ابن السراج محتجاً عليهم: ليس التنوين من هذا في شيءٍ لأنه زائدٌ لمعنى، وما زيد معنى لا يحذف.

(١) الحماليج: منافع الصائغ والحداد.

شعر كعب في بكاء حمزة

وقال كعب بن مالك ينيكي حمزة بن عبد المطلب:

طَرَقْتُ هُمُومُكَ فَالرُّقَادُ مُسَهَّدُ
وَدَعْتُ فَوَادَكَ لِلْهَوَى ضَمِيرِيَّةُ
فَدَعَ التَّمَادِي فِي الْغَوَايَةِ سَادِرًا^(٢)
وَلَقَدْ أَتَى لَكَ أَنْ تَنَاهَى طَائِعًا
وَلَقَدْ هُدِدْتُ لَفَقْدِ حَمْزَةِ هَدَّةُ
وَلَوْ أَنَّهُ فُجِعَتْ حِرَاءُ بِمِثْلِهِ
قَرْمٌ تَمَكَّنَ فِي ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ
وَالْعَاقِرُ الْكُومُ^(٥) الْجِلَادُ إِذَا غَدَتْ
وَالتَّارِكُ الْقِرْنَ الْكَمِيَّ^(٦) مُجَدَّلًا
وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ
عَمُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَصَفِيَّةُ
وَأَتَى الْمَنِيَّةَ مُغْلِمًا فِي أُسْرَةٍ
وَجَزَعْتَ أَنْ سُلِّخَ الشَّبَابُ الْأَغِيدُ
فَهَوَاكَ غُورِيَّ^(١) وَصَحُوكَ مُنْجِدُ
قَدْ كُنْتَ فِي طَلَبِ الْغَوَايَةِ تُفْنِدُ
أَوْ تَسْتَفِيقُ إِذَا نَهَاكَ الْمُرْشِدُ
ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجَوْفِ^(٣) مِنْهَا تَزْعَدُ
لِرَأْيِكَ رَأْسِي صَخْرَهَا يَتَبَدَّدُ
حَيْثُ الثُّبُوءُ وَالنَّدَى وَالسُّودَدُ^(٤)
رِيحٌ يَكَادُ الْمَاءُ مِنْهَا يَجْمُدُ
يَوْمَ الْكَرِيهَةِ وَالْقَنَا يَتَقَصَّدُ
ذُو لِبْدَةٍ شَثْنُ الْبِرَاثِنِ^(٧) أَزِيدُ
وَرَدَ الْحِمَامَ فطاب ذاك المَورِدُ
نَصَرُوا النَّبِيَّ وَمِنْهُمْ الْمُسْتَشْهَدُ

شعر كعب

وفي شعر كعب:

طَرَقْتُ هُمُومُكَ فَالرُّقَادُ مُسَهَّدُ

أراد الرُّقَادُ مُسَهَّدُ صَاحِبَهُ، فَحَذَفَ الْمَضَافَ، وَأَقَامَ الْمَضَافَ إِلَيْهِ مُقَامَهُ، وَهُوَ الضَّمِيرُ الْمَخْفُوضُ، فَصَارَ الضَّمِيرُ مَفْعُولًا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، فَاسْتَرَّ فِي الْمُسَهَّدِ. وَمِنْهُ:

وَجَزَعْتَ أَنْ سُلِّخَ الشَّبَابُ الْأَغِيدُ

أَي: الْأَغِيدُ صَاحِبُهُ، وَهُوَ النَّاعِمُ.

(١) غوري: نسبة إلى الغور.

(٣) الجوف: الطعان.

(٥) الكوم: الأشراف.

(٧) البراثن: الأسود.

(٢) سادر: غير متيقن.

(٤) السودد: السيادة.

(٦) الكمي: صاحب السلاح.

ولقد إخالُ بذاك هنداً بُشِرت
مما صَبَحْنَا بِالْعَقْنَقْلِ^(١) قَوْمَهَا
وبِشْرِ بَذْرِ إِذْ يَرُدُّ وُجُوهَهُمْ
حَتَّى رَأَيْتُ لَدَى النَّبِيِّ سَرَاتَهُمْ
فَأَقَامَ بِالْعَطْنِ الْمُعْطَنُ مِنْهُمْ
وَابْنُ الْمَغِيرَةِ قَدْ ضَرَبَنَا ضَرْبَةً
وَأُمِّيَّةُ الْجُمَحِيِّ قَوْمَ مَيْلِهِ
فَاتَاكَ فُلُ الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ
شَتَانٌ مَنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ ثَاوِيَا
وَقَالَ كَعْبٌ أَيْضًا يَبْكِي حَمْزَةً:

صَفِيَّةُ قُومِي وَلَا تَغْجِزِي
وَلَا تَسْأَمِي أَنْ تُطِيلِي الْبُكََا
فَقَدْ كَانَ عِزًّا لِأَيْتَامِنَا
يَرِيدُ بِذَاكَ رِضًا أَحْمَدُ
وَبَكِّي النِّسَاءَ عَلَى حَمْزَةٍ
عَلَى أَسَدِ اللَّهِ فِي الْهِزَّةِ
وَلَيْتَ الْمَلَا حِمَّ فِي الْبِرَّةِ
وَرِضْوَانَ ذِي الْعَرْشِ وَالْعِزَّةِ

وقوله: والخيْلُ تَثْفِنُهُمْ، أي: تتبع آثارهم، وأصله من ثَفَنَاتِ الْبَعِيرِ، وهو ما حول الخُفِّ منه.

قصيدة كعب الزائية:

وقول كعب في الشعر الزائي:

وَلَيْتَ الْمَلَا حِمَّ فِي الْبِرَّةِ

الْبِرَّةُ: الشَّارَةُ الْحَسَنَةُ، وَالْبِرَّةُ السِّلَاحُ أَيْضًا، وَهُوَ مَنْ بَزَزْتُ الرَّجُلَ، إِذَا سَلَبْتَهُ بَزَّتَهُ، يُقَالُ: مَنْ عَزَّ بَزًّا، أَي: مَنْ غَلَبَ سَلَبًا، وَالْبِرَابِزُ: الرَّجُلُ الشَّدِيدُ.

(١) العَقْنَقْلُ: الْوَادُ السَّحِيقُ.

(٢) تَثْفِنُهُمْ: تَلْقِيَهُمْ.

شعر كعب في أحد

وقال كعب أيضًا في أحد:

إنيك عَمَرَ أبِيكَ الْكَرِيـ	م أن تَسْأَلِي عَنكَ من يَجْتَدِينَا
فإن تَسْأَلِي ثَمَّ لا تُكْذِبِي	يُخْبِرُكَ مَنْ قد سَأَلَتِ الْيَقِينَا
بأنا لِيَالِي ذَاتِ الْعِظَا	م كِنَّا ثَمَالاً لِمَنْ يَغْتَرِينَا
تَلُوذُ الْبُجُودُ بِأَذْرَائِنَا	من الضَّرِّ في أَزْمَاتِ السُّنِينَا
بَجَذَوِي فُضُولِ أُولِي وَجْدِنَا	وبالضُّبْرِ وَالْبَذْلِ في الْمُعْدَمِينَا
وَأَبَقْتُ لَنَا جَلَمَاتِ الْحُرُو	ب مَمَّنْ نَوَازِي لَدُنْ أن بُرِينَا
مَعَاظِنَ تَهْوِي إِلَيْهَا الْحُقُو	ق يَحْسِبُهَا من رَأَاهَا الْفَتِينَا
نُخَيْسَ فِيهَا عِتَاقُ الْجَمَا	ل صُخْمًا دَوَاجِنَ حُمْرًا وَجُونَا

نونية كعب

وقال أيضًا في القصيدة النونية:

تَلُوذُ الْبُجُودُ، بِأَذْرَائِنَا

الْبُجُودُ: جمع بَجْدٍ، وهم جماعة من الناس، ويُرْوَى النَّجُودُ بالنون، وهي المرأة المَكْرُوبَةُ. والنَّجُودُ من الإبل: الْقَوِيَّةُ وقوله: بأذرائنا، جمع ذَرَا من قولهم: أنا في ذَرَا فلانٍ، أي في سِتْرِهِ، وتقول العرب: ليس في الشجر أذرى من السَّلم، أي: أذفا ذَرَا منه، لأنه يقال: ما مات أَحَدٌ صَرْدًا قَطُّ في ذَرَا سَلَمَةٍ.

وقوله: جَلَمَاتِ الْحُرُوبِ. من قولك: جَلَمْتُ الشيءَ، وَجَرَشْتُهُ إذا قطعته، ومنه: الْجَلَمَانِ. وقوله: لَدُنْ أن بُرِينَا أي خُلِقْنَا، والباري: الخالق سبحانه، أي هذا حالنا من لَدُنْ خُلِقْنَا.

وقوله: يحسبها من رَأَاهَا الْفَتِينَا، هي الصَّخُورُ السُّودُ، سُمِّيَتْ بذلك لأنها تشبه ما فُتِنَ بالنار، أي: أُحْرِقَ. وفي التنزيل: ﴿عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣] وأصل الْفَتْنِ الاختِبَارُ، وإنما قيل: فَتِنْتُ الْحَدِيدَةَ بالنار، لأنك تختبر طَيِّبَهَا من خَبِيثِهَا.

وقوله: دَوَاجِنَ^(١) حُمْرًا وَجُونًا، أي: حُمْرًا وَسُودًا، وقوله: جَأَوَاءَ، أي: كَتِيبَةً لَوْنُهَا لَوْنُ الْحَدِيدِ.

(١) الدواجن: المقيمة.

وَذُفَاعَ رَجُلٍ كَمَوْجِ الْفُرا
تَرى لَوْنَهَا مِثْلَ لَوْنِ النُّجُورِ
فَإِنْ كُنْتَ عَنْ شَأْنِنَا جَاهِلًا
بِنَا كَيْفَ نَفْعَلُ إِنْ قَلَّصْتَ
أَلْسِنَا نَشْدُ عَلَيْهَا الْعِصَا
وَيَوْمٌ لَهُ رَهَجٌ دَائِمٌ
تَ يَقْدُمُ جَأَوَاءَ جَوْلًا طَحُونَا
مَ رَجْرَاجَةً تُبْرِقُ النَّاظِرِينَ
فَسَلْ عَنْهُ ذَا الْعِلْمِ مِمَّنْ يَلِينَا
عَوَانًا ضَرُوسًا عَضُوضًا جَحُونَا
بَ حَتَّى تَذُرَّ وَحَتَّى تَلِينَا
شَدِيدَ التَّهَاوُلِ حَامِي الْأَرِينَا

وقوله: جَوْلًا طَحُونًا: الجَوْلُ: جانبُ البئر.

وقوله: إِنْ قَلَّصْتَ^(١)، يعني الحرب، ثم وصفها فقال: عَضُوضًا جَحُونًا من العَضِّ، وَحَجُونًا من حَجَنْتُ العُودَ إِذَا لَوِيْتَهُ، وقوله:

أَلْسِنَا نَشْدُ عَلَيْهَا الْعِصَا بَ حَتَّى تَذُرَّ وَحَتَّى تَلِينَا

هذا كله من صِفَةِ الحرب، شبهها بِنَاقَةٍ صَغْبَةٍ قَلَّصْتَ، أَي صَارَتْ قَلُوصًا، أَي: إِنَّا نَذَلُّ صَغْبَهَا، وتلين من ضِرَاسِهَا. وقوله: ويوم له رَهَجٌ دائم الرهج: الغبار.

وقوله: شَدِيدَ التَّهَاوُلِ: جمع تَهْوِيلٍ، والتَّهَاوِيلُ: ألوان مختلفة، قال الشاعر [عبد المسيح بن عَسَلَةَ] يصف روضًا:

وعازب قد علا التَّهْوِيلُ جَنْبَتَهُ لَا تَنْفَعُ التُّغْلُ فِي رَفَاقِهِ الْحَافِي

وقوله: حَامِي الْأَرِينَا: جمع إِرَةٍ، وهو مُسْتَوْقَدُ النَّارِ، يجوز أن يكون وَزْنُهَا عِلَّةٌ من الْأَوَارِ، وهو الحرّ، فحذفت الهمزة، وهمزت الواو لانكسارها، وجائز أن يكون وزنها فِعْلَةٌ من تَأَرَّيْتُ بِالْمَكَانِ، لأنهم يَتَأَرَّوْنَ حَوْلَهَا، وهذا الوجه هو الصحيح، لأنهم جَمَعُوهَا على إرين مثل سنين، ولا يُجْمَعُ هذا الجمع المسلم كجمع مَنْ يَعْقِلُ إِلَّا إِذَا حُذِفَتْ لَامُهُ، وكان مُؤَنَّثًا، وكان لَامُ الْفِعْلِ حَرْفَ عِلَّةٍ، ولم يكن له مذكر كالأمة، إِذَا اجْتَمَعَتْ فِيهِ هَذِهِ الشَّرُوطُ الأربعةُ جُمِعَ بِالْوَاوِ وَالنُّونِ فِي الرَّفْعِ. والياء والنون في الخفض والنصب، كسِنِينَ وَعِصِينَ، غير أنهم قد قالوا: رِقِينَ فِي جَمْعِ الرِّقَّةِ وَهِيَ الْوَرَقُ^(٢) وقد تكلّمنا على سِرِّ هذا الجمع وسِرِّ أَرْضِينَ فِي «نتائج الفكر»^(٣) بما فيه جَلَاءٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

(٢) الْوَرَقُ: النُّضَّة.

(١) قَلَّصْتُ: انْقَبَضْتُ.

(٣) انظره ص (٣١).

طَوِيلٌ شَدِيدُ أَوَارِ الْقِتَا لَ تَنْفِي قَوَاجِزُهُ الْمُقْرِفِينَا
تَخَالُ الْكُمَاةَ بِأَعْرَاضِهِ ثِمَالاً عَلَى لَذَّةٍ مُنْزِفِينَا
تَعَاوَزُ أَيْمَانُهُمْ بَيْنَهُمْ كُؤُوسَ الْمَنَايَا بَحْدَ الظُّبِينَا
شَهِدْنَا كُكْنًا أُولَى بِأَسِهِ وَتَحْتَ الْعَمَايَةِ وَالْمُعْلِمِينَا
بُخْرَسَ الْحَسِيسِ حِسَانِ رِوَاءِ وَبُضْرِيَّةٍ قَدْ أَجْمَنَ الْجُفُونَا

وقوله:

كنار أبي حَبَاجِبَ والضَّبِينَا

يقال: أبو حَبَاجِبَ ذُبَابٌ يَلْمَعُ بِاللَّيْلِ، وقيل: كان رجلاً لثيماً لا يرفع ناره خَشْيَةَ الأضياف، ولا يوقدها إلا ضَعِيفَةً، وترك صَرْفَهُ ولم يَخْفِضْ، وهو في موضع الخفض، لما قَدَّمناه من أن الاسم إذا تَرَكَ صَرْفَهُ ضرورةً أو غير ضرورة، لم يدخله الخفض كما لا يدخله التَّثْوِينُ، لثَلَا يُشَبِّه ما يُضِيفُهُ المتكلم إلى نفسه، وقال أبو حنيفة: لا أدري ما حَبَاجِبٌ ولا أبو حَبَاجِبٌ، ولا بلغني عن العرب فيه شيء، وقال في الإِرة عن قوم حكى قولهم: هو من أَرَيْتُ الشيء إذا علمته، وقال: الأَرِيُّ هو عمل النحل وفعلها، ثم سَمِيَ العسل أَرِيًّا لهذا كما يُسَمَّى مَرْجًا وأنشد [لأبي ذؤيب الهذلي]:

وَجَاءُوا بِمَرْجٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ هُوَ الضَّخْكَ إِلَّا أَنَّهُ عَمَلُ النَّحْلِ

قال: والضَّخْكَ: الزُّبْدُ الأَبْيَضُ، وقيل: الثَّغَرُ، وقيل: الطَّلْعُ، وقيل: العَجَبُ.

وقوله: وَالظُّبِينَا: جمع ظُبَّةٍ، جَمَعَهَا على هذا الجمع المسلم، لما قَدَّمناه في الأَرِينِ والسُّنِينِ، غير أنه لم يكسِر أَوَّلَ الكلمة كما كُسِرَتِ السُّنِينُ من سِنِينٍ إِشْعَارًا بِالْجَمْعِ، لأن ظُبِينَ لا يُشَبِّه أن يكون واحدًا، إذ ليس في الأسماء فُعِيلٌ، وكَسَرُوا أَوَّلَ سِنِينٍ إِيْذَانًا بِأَنَّهُ جَمْعٌ كي لا يُتَوَهَّم أنه اسم على فُعُولٍ، إذ ليس في الأسماء فُعُولٌ ولا فِعِيلٌ ولم يبلغ سيبويه أن ظُبَّةً تجمع على ظُبِينٍ، وقد جاء في هذا الشعر، وفي غيره كما تراه.

وقوله: قَوَاجِزُهُ: جمع قَاجِزٍ وهو الوَثَابُ القَلِيقُ، يقال: قَحَزَ قَحَزَانَا [وَقَحَزَا وَقَحُوزَا]، إِذَا وَثَبَ وَقَلِقَ. وقوله: بُخْرَسِ الْحَسِيسِ، يصف السُّيُوفَ بِالْخَرَسِ لَوُقُوعِهَا فِي الدَّمِ وَاللَّحْمِ.

وقوله: حِسَانِ رِوَاءِ: من الدَّمِ، وقوله: بُضْرِيَّةٍ: منسوبة إلى بُضْرَى من أرض الشام، كما أن المَشْرِفِيَّةَ منسوبة إلى مَشَارِفَ من أرضِ الشام، لأنها تُصْنَعُ فيها.

وقوله: قَدْ أَجْمَنَ الْجُفُونَا، أي: كَرِهْنَ الْمَقَامَ فِيهَا، وَمَلَلْنَهُ، ومنه قولُ هِشَامٍ لِسَالِمِ بْنِ

فَمَا يَنْفَلِلْنَ وَمَا يَنْحَنِينَ
كَبْرُقَ الْخَرِيفِ بِأَيْدِي الْكُماةِ
وَعَلَّمَنَا الضَّرْبَ آبَاؤُنَا
جِلَادَ الْكُماةِ وَبَذَلَ الثَّلَا
إِذَا مَرَّ قَرْنٌ كَفَى نَسْلُهُ
نَشِبٌ وَتَهْلِكَ آبَاؤُنَا
سَأَلْتُ بِكَ ابْنَ الزَّبَعْرِىَ فَلَمْ
خَبِيثًا تُطِيفُ بِكَ الْمُنْدِيَاتِ
تَبَجَّسْتَ تَهْجُو رَسُولَ الْمَلِىِّ
تَقُولُ الْخَنَائِمُ تَرْمِي بِهِ
وَمَا يَنْتَهِينِ إِذَا مَا نُهِينَا
يُفْجَعْنَ بِالظِّلِّ هَامًا سُكُونًا
وَسَوْفَ نُعَلِّمُ أَيضًا بَنِينَا
دِ عَنْ جُلِّ أَحْسَابِنَا مَا بَقِينَا
وَأُورِثُهُ بَغْدَهُ آخِرِينَا
وَبَيْنَا نُرَبِّي بَنِينَا فَنِينَا
أُنْبَأُكَ فِي الْقَوْمِ إِلَّا هَجِينَا
مُقِيمًا عَلَى اللَّؤْمِ حِينًا فَحِينَا
كَ قَاتَلَكَ اللَّهُ جِلْفًا لَعِينَا
نَقِيَّ الثِّيَابِ تَقِيًّا أَمِينَا

قال ابن هشام: أنشدني بيته: «بنا كيف نفعل»، والبيت الذي يليه والبيت الثالث منه، وصدر الرابع منه، وقوله: «نشبت وتهلك آبأؤنا» والبيت الذي يليه، والبيت الثالث منه، أبو زيد الأنصاري.

قال ابن إسحق: وقال كعب بن مالك أيضًا، في يوم أحد:
سَائِلُ قُرَيْشًا غَدَاةَ السَّفْحِ مِنْ أَحَدٍ
كُنَّا الْأَسْوَدَ وَكَانُوا الثُّمَرَ إِذَا زَحَفُوا
فَكَمْ تَرَكْنَا بِهَا مِنْ سَيِّدٍ بَطَلٍ
مَاذَا لَقِينَا وَمَا لَاقَوْا مِنَ الْهَرَبِ
مَا إِنْ تُرَاقِبُ مِنْ آلٍ وَلَا نَسِبِ
حَامِي الذَّمَارِ كَرِيمِ الْجَدِّ وَالْحَسَبِ

عَبْدُ اللَّهِ: مَا طَعَامُكَ! قَالَ: الْخُبْزُ بِالزَّيْتِ، قَالَ: أَمَا تَأْجِمُهُمَا؟ قَالَ: إِذَا أَجِمْتُهُمَا تَرَكَتُهُمَا حَتَّى أَشْتَهِيَهُمَا.

وقوله:

وتحت العَمَاية والمُعْلِمِينَا

بإسقاط الواو من أول القَسِيمِ الثاني وقع في الأصل وفي الحاشية، وتحت العَمَاية بواو العطف وقع في الأصلين، وبها يَكْمُلُ الوزن ولا يجوز إسقاطها إلا على مذهب الأخفش الذي يُجِيزُ الْخَزْمَ فِي أَوَّلِ الْقَسِيمِ الثاني من البيت، كما يجيزه العَرُوضِيُّونَ فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ.

وقوله: تطيف بك المُنْدِيَاتِ: أي الأمور الشَّيْعة.

وقوله: تَبَجَّسْتَ، من تَبَجَّسَ الْمَاءُ، إِذَا انْفَجَرَ.

فِينَا الرَّسُولُ شِهَابٌ ثُمَّ يَتَّبِعُهُ
الْحَقُّ مَنْطِقَهُ وَالْعَدْلُ سِيرَتَهُ
نَجِدُ الْمُقَدَّمَ، مَاضِي الْهَمِّ، مُعْتَزِمٌ
بِمَاضِي وَيَذْمُرُنَا عَنْ غَيْرِ مَغْصِيَةٍ
بَدَا لَنَا فَاتَّبَعْنَاهُ نُصَدِّقَهُ
جَالُوا وَجُلْنَا فَمَا فَاؤُوا وَمَا رَجَعُوا
لَيْسَ سِوَاءَ وَشَتَّى بَيْنَ أَمْرِهِمَا

نُورٌ مُضِيٌّ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الشُّهْبِ
فَمَنْ يُجِبُّهُ إِلَيْهِ يَنْجُ مِنْ تَبَبٍ
حِينَ الْقُلُوبُ عَلَى رَجْفٍ مِنَ الرُّعْبِ
كَأَنَّهُ الْبَدْرُ لَمْ يُطْبِعْ عَلَى الْكَذِبِ
وَكَذَّبُوهُ فَكُنَّا أَسْعَدَ الْعَرَبِ
وَنَحْنُ نَثْقِنُهُمْ لَمْ نَأُلْ فِي الطَّلَبِ
حِزْبُ الْإِلَهِ وَأَهْلُ الشُّرْكِ وَالتُّصْبِ

قال ابن هشام: أنشدني من قوله: «يمضي ويذمرنا» إلى آخرها، أبو زيد الأنصاري.

شعر ابن رواحة في بكاء حمزة:

قال ابن إسحق: وقال عبد الله بن رَوَاحَةَ يَبْكِي حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك:

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا بُكَاهَا
عَلَى أَسَدِ الْإِلَهِ غَدَاةً قَالُوا
أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعًا
أَبَا يَنْغَلَى لَكَ الْأَزْكَانُ هُدَّتْ
عَلَيْكَ سَلَامٌ رَبُّكَ فِي جَنَانٍ
أَلَا يَا هَاشِمَ الْأَخْيَارِ صَبْرًا
رَسُولُ اللَّهِ مُضْطَبِّرُ كَرِيمٍ
أَلَا مَنْ مَبْلَغَ عَنِّي لَوْيَا
وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا عَرَفُوا وَذَاقُوا
نَسِيتُمْ ضَرْبَنَا بِقَلِيلِ بَذَرٍ
غَدَاةٍ ثَوَى أَبُو جَهْلٍ صَرِيعًا

وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ
أَحْمَزَةُ ذَاكُمُ الرَّجُلُ الْقَتِيلُ
هُنَاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ
وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرُّ الْوَصُولُ
مُخَالِطُهَا نَعِيمٌ لَا يَزُولُ
فَكُلُّ فِعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلُ
بِأَمْرِ اللَّهِ يَنْطِقُ إِذْ يَقُولُ
فَبَعْدَ الْيَوْمِ دَائِلَةٌ^(١) تَدُولُ
وَقَائِعُنَا بِهَا يُشْفَى الْغَلِيلُ
غَدَاةً أَتَاكُمُ الْمَوْتُ الْعَجِيلُ
عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَائِمَةٌ تَجُولُ

(١) دائلة: منقلب.

وَعُثْبَةُ وَابْنُهُ خَرَّا جَمِيعًا
وَمَتْرَكُنَا أُمِّيَّةً مُجْلَعِبًا^(١)
وَهَامَ بَنِي رَبِيعَةَ سَائِلُوهَا
أَلَا يَا هِنْدُ فَاكِتِي لَا تَمَلِّي
أَلَا يَا هِنْدُ لَا تُبْدِي شِمَاتًا

شعر كعب في أحد:

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك:

أَبْلَغُ قُرَيْشًا عَلَى نَأْيِهَا
فَخَرْتُمْ بِقَتْلِي أَصَابَتْهُمْ
فَحَلُّوا جَنَانًا وَأَبَقُوا لَكُمْ
تُقَاتِلُ عَنْ دِينِهَا وَسَطَهَا
رَمَتْهُ مَعْدُ بَعُورِ الْكَلَامِ
أَتَفْخَرُ مِنَّا بِمَا لَمْ تَلِي
فَوَاضِلُ مِنْ نَعَمِ الْمُفْضِلِ
أَسُودًا تُحَامِي عَنِ الْأَشْبُلِ
نَبِيٍّ عَنِ الْحَقِّ لَمْ يَنْكُلِ
وَنَبِلَ الْعَدَاوَةَ لَا تَأْتَلِي

قال ابن هشام: أنشدني قوله: «لم تلي»، وقوله: «من نعم المفضل» أبو زيد الأنصاري.

شعر ضرار في أحد

قال ابن إسحاق: وقال ضرار بن الخطاب في يوم أحد:

مَا بَالُ عَيْنِكَ قَدْ أَزْرَى بِهَا السُّهُدُ
أَمِنْ فِرَاقِ حَبِيبٍ كُنْتَ تَأْلَفُهُ
أَمْ ذَاكَ مِنْ شَغْبِ قَوْمٍ لَا جَدَاءَ بِهِمْ
مَا يَنْتَهُونَ عَنِ الْغَيِّ الَّذِي رَكِبُوا
وَقَدْ نَشَدْنَاهُمْ بِاللَّهِ قَاطِبَةً
كَأَنَّمَا جَالَ فِي أَجْفَانِهَا الرَّمْدُ
قَدْ حَالَ مِنْ دُونِهِ الْأَعْدَاءُ وَالْبُعْدُ
إِذِ الْحُرُوبُ تَلْظَّتْ نَارُهَا تَقْدُ
وَمَا لَهُمْ مِنْ لُؤْيٍ وَيَنْحَهُمْ عَضْدُ
فَمَا تَرَدُّهُمْ الْأَرْحَامُ وَالنُّشْدُ

شعر ضرار

وقول ضرار في قصيدته الدالية يكبو في جديته، أي: في دمه.

(١) مجلعبًا: مضطجعًا.

(٢) الحيزوم: وسط الدار.

حتى إذا ما أبوا إلا مُحاربةً
سَرْنَا إِلَيْهِمْ بِجَيْشٍ فِي جَوَانِبِهِ
وَالْجُرْدُ تَزْفُلُ بِالْأَيْطَالِ شَاذِيَةً
جَيْشٌ يَقُودُهُمْ صَخْرٌ وَيُرَاسُهُمْ
فَأَبْرَزَ الْحَيْنَ قَوْمًا مِنْ مَنَازِلِهِمْ
فَغَوِذَتْ مِنْهُمْ قَتْلَى مُجَدَّلَةٌ
قَتْلَى كِرَامٌ بَنُو النَّجَّارِ وَشَطْهَمُ
وَحَمْزَةُ الْقَرْمِ مَضْرُوعٌ تُطِيفُ بِهِ
كَأَنَّهُ حِينَ يَكْبُو فِي جَدِيَّتِهِ
حُورًا نَابٍ وَقَدْ وَلَّى صَحَابَتُهُ
مَجْلُحِينَ وَلَا يَلُوونَ قَدْ مُلِئُوا
تَبْكِي عَلَيْهِمْ نِسَاءٌ لَا يَعُولَ لَهَا
وَقَدْ تَرَكَنَاهُمْ لِلطَّيْرِ مَلْحَمَةٌ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار.

رجز أبي زعنة يوم أحد:

قال ابن إسحق: وقال أبو زعنة بن عبد الله بن عمرو بن عتبة، أخو بني جُشم بن الخزرج، يوم أحد:

أنا أبو زعنة يعدو بي الهُزَمُ لم تُمنع المَخْزاة إلا بالألم
يحمي الذمارَ خُزرجي من جُشم

وقوله: ثَغْلَبُ جَسَدُ، يريد ثَغْلَبَ الرُّمَحِ، وجَسَدُ من الجِسَاد وهو الدم.

وقوله: الأَضْغَانُ والحِقْدُ، حَرَّكَ الْقَافَ بالكسر ضَرْوَرَةً، ولو وقف على الدال بالسكون، وكان الاسمُ مخفوضًا كان الكسر أحسنَ في الوقف، كما قال: واضْطِطَّافًا بِالرَّجْلِ، أي: الرَّجْل.

وقوله: الْعَوْصَاءُ وَالْكُودُ، يريد الرُّمْلَةَ الْعَوِيصَ مَسْلُكُهَا، وَالْكُودُ جمع عَقَبَةٍ كُؤُودٍ وهي الشَّاقَّة.

رجز ينسب لعلّي في يوم أحد:

قال ابن إسحاق: وقال علي بن أبي طالب - قال ابن هشام: قالها رجل من المسلمين يوم أحد غير علي، فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالشعر، ولم أر أحدا منهم يعرفها لعلّي:

لا هُمَّ إنَّ الحارث بن الصِّمَّةَ كان وفياً وبنا ذا ذِمَّةُ
أَقْبَلُ في مَهَامِهِ مُهِمَّةُ كَلِيلَةُ ظُلُمَاءِ مُذْلِهِمَّةُ
بَيْنَ سُيُوفٍ وَرِمَاحٍ جَمَّةُ يَبْغِي رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا نَمَّةُ
قال ابن هشام: قوله: «كليلة» عن غير ابن إسحاق.

رجز عكرمة في يوم أحد

قال ابن إسحاق: وقال عكرمة بن أبي جهل في يوم أحد:

كُلُّهُمْ يَزْجِرُهُ أَزْحَبٌ هَلَا وَلَنْ يَرَوْهُ الْيَوْمَ إِلَّا مُقْبِلَا
يَخْمَلُ رُمَحًا وَرِئِيسًا جَخْفَلَا

شعر الأعشى التميمي في بكاء قتلى بني عبد الدار يوم أحد:

وقال الأعشى بن زُرارة بن النَّبَّاش التَّمِيمِي . قال ابن هشام: ثم أحد بني أسد بن عمرو بن تميم - يبكي قَتْلَى بَنِي عَبْدِ الدَّارِ يَوْمَ أَوَّلِ:

حَيِّي مِنْ حَيِّ عَلِيٍّ نَأْيُهُمْ بَنُو أَبِي طَلْحَةَ لَا تُصَرِّفُ
يَمُرُّ سَاقِيَهُمْ عَلَيْهِمْ بِهَا وَكُلُّ سَاقٍ لَهُمْ يَعْرِفُ
لَا جَارُهُمْ يَشْكُو وَلَا ضَيْفُهُمْ مِنْ دُونِهِ بَابُ لَهُمْ يَصْرِفُ
وقال عبد الله بن الزُّبَيْرِ يوم أحد:
قَتَلْنَا ابْنَ جَحْشٍ فَاعْتَبَطْنَا بِقَتْلِهِ وَحَمْزَةً فِي فُرْسَانِهِ وَابْنَ قَوْقُلٍ
وَأَفْلَتْنَا مِنْهُمْ رِجَالًا فَأَسْرَعُوا فَلَيْتَهُمْ عَاجُوا وَلَمْ نَتَعَجَّلْ
أَقَامُوا لَنَا حَتَّى تَعُضَ سُيُوفُنَا سَرَاتَهُمْ وَكُلُّنَا غَيْرُ عَزَلٍ

رجز عكرمة

وقول عِكْرِمَةَ: أَزْحَبٌ هَلَا، هو من زَجَرَ الْخَيْلَ، وكذلك هَقِطُ وَهَقِطُ وَهَبْتُ وَسَقَبْتُ. وذكر قول نعيم:

وحتى يكون القتلُ فينا وفيهمُ ويلقُوا صَبوحًا شرَّه غير مُنْجَلي
قال ابن هشام: وقوله: «وكلنا» وقوله: «ويلقوا صَبوحًا»: عن غير ابن إسحاق.

شعر صفية في بكاء حمزة:

قال ابن إسحاق: وقالت صَفِيَّة بنت عبد المطلب تبكي أخاها حمزة بن عبد المطلب:

أسائلة أصحابُ أحدَ مخافةً بناتُ أبي من أعجم وخبير
فقال الخبير إنَّ حمزة قد ثوى وزيرُ رسولِ الله خيرُ وزير
دعاه إلهُ الحقِّ ذو العرشِ دعوةً إلى جنَّةٍ يحيا بها وسُرور
فذلك ما كُنَّا نرجي ونرتجي لَحْمزة يومَ الحشر خيرَ مصير
فوالله لا أنساك ما هبت الصبا بكاءً وحزنًا مخضري ومسير
على أسد الله الذي كان مذرَّها^(١) يذود عن الإسلام كلَّ كفور
فيا لَيْت شلوي^(٢) عند ذاك وأعظمي لدى أضْبَع تغتادني ونُسر
أقولُ وقد أغلى النعي عَشيرتي جزي الله خيرًا من أخٍ ونَصير

قال ابن هشام: وأنشدني بعضُ أهل العلم بالشعر قولها:

بكاءً وحزنًا مخضري ومسير

شعر نعم في بكاء شماس

قال ابن إسحاق: وقالت: نعم، امرأة شماس بن عثمان، تبكي شماسًا، وأصيب يوم أُحد:

يا عينُ جودي بفيضٍ غيرِ إِبساسٍ^(٣) على كريمٍ من الفُثيانِ أباسٍ
صَغِبَ البديهةَ ميمونٍ نقيبته حَمالِ ألويةِ رِقابِ أفراسٍ

شعر نعيم

يا عينُ جودي بفيضٍ غيرِ إِبساسٍ

(٢) شلوي: جسدي.

(١) مذرَّها: سيدًا.

(٣) إِبساس: غير قليل.

أَقُولُ لَمَّا أَتَى النَّاعِي لَهُ جَزَعًا أَوْدَى الْجَوَادُ وَأَوْدَى الْمُطْعَمَ الْكَاسِي
وَقُلْتُ لَمَّا خَلَّتْ مِنْهُ مَجَالِسُهُ لَا يُبْعَدُ اللَّهُ عَنَّا قُرْبَ شَمَّاسٍ

شعر أبي الحكم في تعزية نعم:

فَأَجَابَهَا أَخُوهَا، وَهُوَ أَبُو الْحَكَمِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ يَزْبُوعَ، يَعَزِّيْهَا، فَقَالَ:
أَقْنَى حَيَاءَكَ فِي سِتْرِ وَفِي كَرَمٍ فَإِنَّمَا كَانَ شَمَّاسٌ مِنَ النَّاسِ
لَا تَقْتُلِي النَّفْسَ إِذْ حَانَتْ مَنِيَّتُهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ يَوْمَ الرُّوْعِ وَالْبَاسِ
قَدْ كَانَ حَمْزَةً لَيْثَ اللَّهِ فَاصْطَبِرِي فَذَاقَ يَوْمَئِذٍ مِنْ كَأْسِ شَمَّاسٍ

الإبساس: أَنْ تَسْتَدِرَّ لَبَنَ النَّاقَةِ بِأَنْ تَمْسَحَ ضَرْعَهَا، وَتَقُولَ لَهَا: بَسْ بَسْ فَاسْتَعَارَتْ هَذَا الْمَعْنَى لِلدَّمْعِ الْفَائِضِ بغير تَكْلُفٍ وَلَا اسْتِذْرَارٍ لَهُ.

وقولها: صَغَبَ الْبَدِيهَةُ، أَي: بَدِيهَتُهُ لَا تُعَارِضُ وَلَا تُطَاقُ، فَكَيْفَ رَوِيَّتُهُ وَاحْتِفَالُهُ.

شعر كعب اللامي:

وفي شعر كعب:

بَكَتْ عَيْنِي وَحَقَّ لَهَا بَكَاهَا وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ

وَضَعِ الْمَقْصُورَ فِي مَوْضِعِهِ، وَالْمَمْدُودَ فِي مَوْضِعِهِ، لِأَنَّ الْبُكَاءَ مَقْصُورٌ بِمَعْنَى الْحُزْنَ وَالْغَمَّ، وَإِنْ كَانَ مَمْدُودًا فَهُوَ الصُّرَاخُ، وَكَذَلِكَ قِيَاسُ الْأَصْوَاتِ أَنْ تَكُونَ عَلَى فُعَالٍ، فَقَوْلُهُ: حَقَّ لَهَا بُكَاهَا، أَي: حَقَّ لَهَا حَزْنُهَا، لِأَنَّهُ الَّذِي يَحِقُّ دُونَ الصُّرَاخِ. ثُمَّ قَالَ: وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلَا الْعَوِيلُ، أَي: لَيْسَ يَنْفَعُ الصُّبْحَاخُ وَلَا الصُّرَاخُ، وَلَا يُجْدِي عَلَى أَحَدٍ، فَتَنَزَلَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ مَنَزَلَتِهَا.

وقوله: حَقَّ لَهَا، أَي: حَقٌّ، وَالْأَصْلُ: حَقَّقَ عَلَى فِعْلٍ، فَبَكَاهَا: فَاعِلٌ لَا مَفْعُولٌ، وَكُلُّ فِعْلٍ إِذَا أُرِدَتْ الْمُبَالَغَةُ فِي الْأَمْرِ وَمَعْنَى التَّعَجُّبِ نَقَلْتُ الضَّمَّةَ مِنْ عَيْنِ الْفِعْلِ إِلَى فَائِهِ، فَتَقُولُ: حُسْنٌ زَيْدٌ، أَي: حَسُنَ جَدًّا، فَإِنْ لَمْ تُرْزَ مَعْنَى التَّعَجُّبِ لَمْ يَجْزِ إِلَّا الضَّمُّ أَوْ التَّسْكِينُ، تَقُولُ: كَبُرَ زَيْدٌ وَكَبِيرٌ، وَلَا تَقُولُ: كُبِرَ إِلَّا مَعَ قَضْدِ التَّعَجُّبِ. قَالَ الشَّاعِرُ [الْأَخْطَلُ]:

فَقُلْتُ: اقْتُلُوهَا عَنْكُمْ بِمَزَاجِهَا وَحُبَّ بِهَا مَقْتُولَةً حِينَ تُقْتَلُ

شعر هند بعد عودتها من أحد:

وقالت هند بنت عتبة، حين انصرف المشركون عن أحد:

رجعتُ وفي نفسي بَلابلٌ^(١) جَمَّةٌ وقد فاتني بعضُ الذي كانَ مَطْلِبِي
مِنْ أَصْحَابِ بَدْرِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ بني هاشمٍ منهم ومن أهل يثرب
ولكنني قد نِلْتُ شيئًا ولم يكن كما كنتُ أرجو في مسيري ومزكبي
قال ابن هشام: وأنشدني بعضُ أهل العلم بالشعر قولها:

وقد فاتني بعض الذي كان مطلبي

وبعضهم يُنكرها لهند، والله أعلم^(٢).

يعني الخمر. وقال آخر: [سهم بن حنظلة الغنوي]:

لم يمنع القومُ مِنِّي ما أَرَدْتُ ولم أَغْطِيَهُمْ ما أَرَادُوا حُسْنَ ذا أَدْبَا
أي حَسَن، وقال آخر:

ألا حُبَّ بالبيت الذي أنت زائرُه

وقال: بالبيت، لأن معناه كمعنى أخيب بالبيت تعجبًا. وقول كعب:

أبا يَغْلَى لك الأركانُ هَدَّتْ

كان حمزة يُكنى أبا يَغْلَى بابنه يَغْلَى، ولم يَعِشْ لحمزة ولدٌ غيرُه، وأَغْقَبَ يَغْلَى خَمْسَةَ
من البنين، ثم انقرض عَقِبُهُمْ فيما ذكر مُضْعَبٌ وَيُكْنَى حمزة أيضًا أبا عُمارة، وقد تقدم ذكره
في المبعث، بهذه الكُنية، قيل: إن عُمارة بنت له كُني بها، وهي التي وقع ذكرها في السُّنن
للدَّارَقُطَني: أن مَوْلى لَحْمَزَةَ مات، وترك بنتًا فَوَرِثَتْ منه النصف، وورثت بنتُ حَمَزَةَ النصف
الآخر، ولم يُسَمَّها في السنن، ولكن جاء اسمها في كتاب أحكام القرآن لبكر بن العلاء والله
أعلم، وقد رُوي أن الولاء كان لها، وأنها كانت المُعْتَقَّة لا حَمَزَةَ.

(١) بلابل: شكوك.

(٢) اشتملت غزوة أحد على كثير من الأحكام الفقهية، والحكم العظيمة، والآيات العجيبة أورد الإمام
العلامة ابن القيم منها الكثير في الزاد. فانظره هناك (٣/ ٢١١ - ٢٤٢). رحمه الله تعالى رحمة واسعة
وجزاه الله عنا كل وجمعنا الله وإياه في جنته بفضل منه رحمة - دون سابقة عذاب - تحت لواء نبينا
وقائدنا وأسرتنا - محمد ﷺ. وجزاه الله عنا خير ما جازى نبيًا عن أمته ورسولاً إلى قومه.

ذكر يوم الرجيع

في سنة ثلاث مقتل خبيب وأصحابه

قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال: حدّثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المِطْلَبِي، قال: حدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، قال: قدّم على رسول الله ﷺ بعد أحد رهط من غُضَل والقارة.

نسب غُضَل والقارة:

قال ابن هشام: غُضَل والقارة، من الهُون بن خُزَيْمة بن مُدْرِكَة.

قال ابن هشام: ويقال: الهُون، بضم الهاء.

قال ابن إسحاق: فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلامًا، فابعث معنا نفرًا من أصحابك يُفَقِّهوننا في الدين، ويُقرئونا القرآن، ويُعلِّموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول

مقتل خبيب وأصحابه^(١)

وذكر غُذَر غُضَل والقارة، وهما بَطْنان من بني الهُون، والهُون هم بنو الرِّيش وَيَشِيعُ ابْنِي الهُون بن خُزَيْمة، وقد تقدّم التعريف بمعنى القارة، وبالمثل جَرَى فيهم، والقارة الحرة^(٢)، وذكرنا السبب في تسميتهم بها.

وذكر أن أصحاب خُبَيْب كانوا سِتَّةً، وفي الجامع الصحيح للبخاري أنهم كانوا عَشْرَةً، وهو أصح، والله أعلم.

(١) انظر الواقدي (٣٤٤) الطبقات (٣٩/١/٢) تاريخ الطبري (٢٩/٣) البداية (٦٣/٤) المواهب (١٣٠/١) جوامع السيرة لابن حزم (٢١٤) البخاري (١٠٣/٥) أحمد في مسنده (٧٩/٥).

(٢) الحرة: أرض ذات حجارة سوداء كأنها أحرقت.

الله ﷺ نفرًا ستة من أصحابه، وهم: مرثد بن أبي مرثد الغنوي، حليف حمزة بن عبد المطلب؛ وخالد بن البكير اللثي، حليف بني عدي بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، أخو بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس؛ وخبيب بن عدي، أخو بني جحجبي بن كلفة بن عمرو بن عوف، وزيد بن الدثنة بن معاوية، أخو بني بياضة بن عمرو بن زريق بن عبد حارثة بن غضب بن جشم بن الخزرج؛ وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس.

وأمر رسول الله ﷺ على القوم مرثد بن أبي مرثد الغنوي فخرج مع القوم. حتى إذا كانوا على الرجيع، ماء لهذيل بناحية الحجاز، على صدور الهدأة غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هذيلًا؛ فلم يرع القوم، وهم في رحالهم، إلا الرجال بأيديهم السيوف، قد غشوهم؛ فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم، فقالوا لهم: إنا والله ما نريد قتلکم، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئًا من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم.

مقتل مرثد وابن البكير وعاصم:

فأما مرثد بن أبي مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهدًا ولا عقدًا أبدًا؛ فقال عاصم بن ثابت:

ما علّتي وأنا جلد نابل والقوس فيها وتر غنابل

وذكر أسماء السّنة، وقد نسبهم فيما تقدّم، فأما خبيب فهو من بني جحجبي بن كلفة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، وزيد بن الدثنة بن معاوية مقلوب من الدثنة والثدن استرخاء اللحم.

وذكر فيهم عاصم بن ثابت وقوله:

ما علّتي وأنا جلد نابل والقوس فيها وتر غنابل

والغنابل: الشديد، وكأنه من العبالة، وهي القوّة، والنون زائدة، والعبالة أيضًا: شجرة صلبة، وفي الخبر أن عصا موسى كانت من عبالة، وقد روي أن عصا موسى كانت من عین ورقة آس الجنة^(١)، ويجوز أن يكون منحوتًا من أصلين: من العنن والتبل، كأنه يُصيب ما عزّله بنبله.

(١) البحث في عصا يوسف عليه الصلاة والسلام وكيفيتها وطولها ووصفها، علم لا ينفع وجهل لا يضر، ولو كان في الأمر خيرًا لجاء وصفها وكيفيتها إلى غير ذلك في القرآن أو على لسان النبي ﷺ في السنة «الصحيحة»، فما وجدت من وصفها في كتب التفسير فارم به.

تَزِلُّ عَنْ صَفْحَتِهَا الْمَعَابِلُ الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلُ
وَكُلُّ مَا حَمَّ إِلَالُهُ نَازِلُ بِالْمَرَّةِ وَالْمَرَّةِ إِلَيْهِ آئِلُ
إِنْ لَمْ أَقَاتِلْكُمْ فَأُمِّي هَابِلُ

قال ابن هشام: هابل: ثاكل.

وقال عاصم بن ثابت أيضًا:

أَبُو سُلَيْمَانَ وَرِيشُ الْمُقْعَدِ وَضَالَةٌ مِثْلُ الْجَحِيمِ الْمُوقِدِ
إِذَا النَّوَاجِي افْتَرِشَتْ لَمْ أَرْعَدِ وَمُجْنَأٌ مِنْ جِلْدِ ثَوْرِ أَجْرَدِ
وَمُؤْمِنٌ بِمَا عَلَى مُحَمَّدِ

وقال عاصم بن ثابت أيضًا:

أَبُو سُلَيْمَانَ وَمِثْلِي رَامِي وَكَانَ قَوْمِي مَعْشَرًا كَرَامًا
وَكَانَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ يُكْنَى: أَبَا سُلَيْمَانَ. ثُمَّ قَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ وَقُتِلَ صَاحِبَاهُ.

وذكر قوله: أَبُو سُلَيْمَانَ وَرِيشُ الْمُقْعَدِ.

قوله: أَبُو سُلَيْمَانَ، أَي: أَنَا أَبُو سُلَيْمَانَ قَدْ عُرِفْتُ فِي الْحُرُوبِ، وَعِنْدِي نَبْلٌ رَاشِهَا
الْمُقْعَدُ، وَكَانَ رَاشِئًا صَانِعًا. وَرِيشٌ: السَّهْمُ الْمَحْمُودُ فِيهِ اللَّوَامُ، وَهُوَ أَنْ تَكُونَ الرَّيْشَةُ بِطَنْهَا
إِلَى ظَهْرِ الْأُخْرَى، وَاللُّغَابُ يَعْكُسُ ذَلِكَ، أَنْ يَكُونَ ظَهْرُ وَاحِدَةٍ إِلَى ظَهْرِ الْأُخْرَى، وَهُوَ
الظُّهَارُ أَيْضًا، وَهُوَ اللَّوَامُ أَخَذَ اللَّامُ وَهُوَ السَّهْمُ الْمَرِيشُ قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

كَرَّكَ لِأَمْنَيْنِ عَلَى نَابِلِ

وَسُئِلَ رُؤْبَةُ عَنْ مَعْنَى هَذَا الْبَيْتِ، فَقَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمَتِي،
وَكَانَتْ فِي بَنِي دَارِمٍ قَالَتْ: سَأَلْتُ امْرَأَ الْقَيْسِ، وَهُوَ يَشْرَبُ طِلَاءً لَهُ مَعَ عَلَقَمَةَ بْنِ عَبْدِةَ: مَا
مَعْنَى قَوْلِكَ:

كَرَّكَ لِأَمْنَيْنِ عَلَى نَابِلِ

فَقَالَ: مَرَرْتُ بِنَابِلٍ وَصَاحِبُهُ يَنَاولُهُ الرَّيْشَ لُؤْمًا وَظُهُارًا، فَمَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَسْرَعَ مِنْهُ، وَلَا
أَحْسَنَ فَشَبَّهْتُ بِهِ، ذَكَرَ هَذَا أَبُو حَنِيفَةَ. وَقَوْلُهُ: وَضَالَةٌ، أَي: سِهَامٌ قِدَاحُهَا مِنَ الضَّالِّ، وَهُوَ
السُّدْرُ. قَالَ الشَّاعِرُ [ذُو الرُّمَّةِ]:

قَطَعْتُ إِذَا تَخَوَّفْتُ الْعَوَاطِي ضُرُوبَ السُّدْرِ غُبْرِيَا وَضَالَا

حماية الدبر لعاصم:

فلما قُتِلَ عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه، لبييعوه من سُلَافَة بنت سَعْد بن شُهَيْد، وكانت قد نَذَرَتْ حين أصاب ابنها يوم أحد: لئن قَدَرْتُ على رأس عاصم لتَشْرَبَنَّ في

فَالْعُبْرِيُّ منها ما كان على شَطُوطِ الْأَنْهَارِ، وَالضَّالُّ ما كان في الْبَرِّيَّةِ، وَالْعَوَاطِي هي الماشية تَغْطُو أي تَتَنَاوَلُ، وَإِنَّمَا تَتَنَاوَلُ أَطْرَافَ الشَّجَرِ في الصَّيْفِ، فَمَعْنَاهُ: قَطَعْتُ هَذِهِ الصَّحْرَاءَ فِي هَذَا الْوَقْتِ، وَتَخَوَّفْتُ: أَي تَنْقَضَتْ مِنْ قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧]. وَذَكَرَ أَنَّ حُجَيْرَ بْنَ أَبِي إِهَابٍ هُوَ الَّذِي اشْتَرَى خُبَيْبًا، وَكَانَ خُبَيْبٌ قَدْ قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ نَوْفَلٍ أَخَا حُجَيْرٍ لِأُمِّهِ، وَقَالَ مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ: اشْتَرَى خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ، لِأَنَّهُ قَتَلَ أَبَاهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَالْمَعْنَى قَرِيبٌ مِمَّا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ.

وقوله: مَاوِيَّةُ بنت حُجَيْرٍ بِالْوَاوِ، رَوَاهُ يُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَرَوَاهُ غَيْرُهُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ: مَارِيَّةُ بِالرَّاءِ، وَبِالْوَاوِ وَقَعَ فِي النُّسخِ الْعَتِيقَةُ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ هِشَامٍ، كَمَا رَوَاهُ ابْنُ بَكِيرٍ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَنْ اشْتِقَاقِ هَذَا الْاسْمِ فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ، فَأَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ، وَذَكَرْنَا أَنَّ الْمَارِيَّةَ بِالتَّخْفِيفِ هِيَ الْبَقَرَةُ، وَبِتَشْدِيدِ الْيَاءِ: الْقَطَاةُ الْمَلَسَاءُ، وَأَمَّا الْغَلَامُ الَّذِي أَعْطَتْهُ الْمُدَيَّةُ، فَقِيلَ: هُوَ أَبُو عَيْسَى بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ نَوْفَلٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، قَالَ الزَّيْبِرُ: وَهُوَ جَدُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ الَّذِي يَرُوي عَنْهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ.

وَذَكَرَ أَنَّ أَبَا مَيْسَرَةَ هُوَ الَّذِي طَعَنَ خُبَيْبًا فِي الْخَشْبَةِ، وَهُوَ أَبُو مَيْسَرَةَ بْنُ عَوْفٍ بْنُ السَّبَّاقِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ، وَالَّذِي طَعَنَهُ مَعَهُ عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ يُكْنَى أَبُو سَرْوَعَةَ، وَيُقَالُ: إِنَّ أَبَا سَرْوَعَةَ وَعُقْبَةَ أَخَوَانِ أَسْلَمَا جَمِيعًا وَلِعُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ حَدِيثٌ وَاحِدٌ فِي الرِّضَاعِ، وَشَهَادَةُ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ فِيهِ. وَحَدِيثُهُ مَشْهُورٌ فِي الصُّحَاخِ، فِيهِ أَنَّهُ قَالَ: تَزَوَّجْتُ بِنْتَ أَبِي إِهَابٍ بْنِ عَزِيزٍ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ، سَوْدَاءُ، فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُكُمَا، وَذَكَرَ الْحَدِيثُ وَزَادَ فِيهِ الدَّارِقُطْنِيُّ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ سَوْدَاءُ تَسْأَلُ، فَلَمْ نُعْطِهَا شَيْئًا، فَقَالَتْ: إِنِّي وَاللَّهِ أَرْضَعْتُكُمَا، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ - ﷺ - وَقَالَ: إِنَّهَا كَاذِبَةٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كَيْفَ؟» وَقَدْ قِيلَ: فَطَلَّقَهَا، وَنَكَحْتَ ضَرِيبَ بْنَ الْحَارِثِ، فَوَلَدَتْ لَهُ أُمَّ قِتَالٍ، وَهِيَ امْرَأَةُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، وَأُمُّ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ، وَنَافِعُ ابْنِ جَابِرٍ، وَاسْمُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الَّتِي طَلَّقَهَا عُقْبَةُ: غُنَيْيَّةٌ، وَتُكْنَى أُمَّ يَخِي، وَذَكَرَ اسْمُهَا أَبُو الْحَسَنِ الدَّارِقُطْنِيُّ فِي الْمُؤْتَلَفِ وَالْمُخْتَلَفِ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ أَبُو عَمَرَ فِي كِتَابِ النِّسَاءِ، وَلَا كَثِيرٌ مِمَّنْ أَلْفَ فِي الْحَدِيثِ.

وَذَكَرَ قِصَّةَ عَاصِمٍ خَيْنَ حَمَتِهِ الدَّبْرُ. الدَّبْرُ هَاهُنَا: الزَّنَابِيرُ، وَأَمَّا الدَّبْرُ فَصَغَارُ الْجَرَادِ، وَمِنْهُ يُقَالُ: مَاءٌ دَبْرٌ قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ، قَالَ: وَقَدْ يُقَالُ لِلنَّحْلِ أَيْضًا: دَبْرٌ بِفَتْحِ الدَّالِ وَاحِدَتِهَا

قَحْفَه الخمر، فَمَنَعَتَه الدَّبْرُ، فلما حَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُم الدَّبْرُ قالوا: دَعُوهُ يُمَسِّي فتذهب عنه، فَنَأْخُذْهُ. فَبَعَثَ اللهُ الْوَادِيَّ، فَاحْتَمَلَ عَاصِمًا، فَذَهَبَ بِهِ. وَقَدْ كَانَ عَاصِمٌ قَدْ أَعْطَى اللهُ عَهْدًا أَنْ لَا يَمَسَّهُ مُشْرِكٌ، وَلَا يَمَسُّ مُشْرِكًا أَبَدًا، تَنْجُسًا؛ فَكَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ الدَّبْرَ مَنَعَتْهُ: يَحْفَظُ اللهُ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ، كَانَ عَاصِمٌ نَذَرَ أَنْ لَا يَمَسَّهُ مُشْرِكٌ، وَلَا يَمَسُّ مُشْرِكًا أَبَدًا فِي حَيَاتِهِ، فَمَنَعَهُ اللهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ، كَمَا امْتَنَعَ مِنْهُ فِي حَيَاتِهِ.

مصرع خبيب وابن طارق وابن الدثنة:

وَأَمَّا زَيْدُ بْنُ الدَّثَنَةِ وَخُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ طَارِقٍ، فَلَانُوا وَرَقُوا وَرَغَبُوا فِي الْحَيَاةِ، فَأَعْطُوا بِأَيْدِيهِمْ، فَأَسْرَوْهُمْ، ثُمَّ خَرَجُوا إِلَى مَكَّةَ، لِيَبِيعُوهُمْ بِهَا، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالظُّهْرَانِ انْتَزَعَ عَبْدُ اللهِ بْنُ طَارِقٍ يَدَهُ مِنَ الْقِرَانِ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ، وَاسْتَأْخَرَ عَنْهُ الْقَوْمَ، فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى قَتَلُوهُ، فَقَبْرَهُ، رَحِمَهُ اللهُ، بِالظُّهْرَانِ؛ وَأَمَّا خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ وَزَيْدُ بْنُ الدَّثَنَةِ فَقَدِمُوا بِهِمَا مَكَّةَ.

قال ابن هشام: فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة.

دبرة، قال: ويقال له: خَشَرَمٌ، وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، هَذِهِ رَوَايَةُ أَبِي عُبَيْدٍ عَنِ الْأَضْمَعِيِّ، وَرَوَايَةٌ غَيْرُهُ عَنْهُ أَنَّ وَاحِدَتَهُ: خَشْرَمَةٌ. وَالتَّوَلُّ جَمَاعَةُ النُّحْلِ أَيْضًا، وَلَا وَاحِدَ لَهَا، وَكَذَلِكَ التَّوْبُ وَاللُّوبُ. وَمِنَ اللَّوْبِ: حَدِيثُ زَبَّانِ بْنِ قَسْوَرٍ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - وَهُوَ نَازِلٌ بِوَادِي الشُّوْحَطِ فَكَلَّمْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ مَعَنَا لُوبًا لَنَا - يَعْنِي نَحْلًا - كَانَتْ فِي عَيْلِمَ لَنَا بِهِ طَرْمٌ وَشَمْعٌ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَضْرَبَ مِيتِينَ فَأَنْتَجَ حَيًّا، وَكَفَّتْهُ بِالثَّمَامِ، يَعْنِي نَارًا مِنْ زَنْدَيْنِ، وَنَحَسَهُ يَعْنِي: دُخْنَهُ، فَطَارَ اللَّوْبُ هَارِبًا، وَدَلَّى مِشْوَارَهُ فِي الْعَيْلِمِ فَاشْتَارَ الْعَسَلُ، فَمَضَى بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: «مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ مَنْ سَرَقَ وَقَوْمٌ، فَأَضَرَّ بِهِمْ، أَفَلَا تَبْعَتُمْ أَثَرَهُ، وَعَرَفْتُمْ خَبْرَهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُ دَخَلَ فِي قَوْمٍ لَهُمْ مَنَعَةٌ، وَهُمْ جِيرَانُنَا مِنْ هَذِيلٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: «صَبْرَكَ صَبْرَكَ تَرُدُّ نَهْرَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ سَعَتْهُ كَمَا بَيْنَ اللَّقِيْقَةِ وَالسَّحِيْقَةِ يَتَسَبَّبُ جَزْيًا بِعَسَلٍ صَافٍ مِنْ قَدَّاهِ مَا تَقْيَاهُ لُوبٌ، وَلَا مَجَّهُ ثُوبٌ»^(١). فَالْعَيْلِمُ الْبُثْرُ، وَأَرَادَ بِهَا هَاهُنَا قُبَّةَ النَّحْلِ أَوِ الْخَلِيَّةِ، وَقَدْ يُقَالُ لِمَوْضِعِ النَّحْلِ إِذَا كَانَ صَدْعًا فِي جَبَلٍ: شَيْقٌ، وَجَمْعُهُ: شَيْقَانٌ، وَيُقَالُ: لِكُلِّ دُخَانٍ نُحَاسٌ، وَلَا يُقَالُ: أَيَّامٌ إِلَّا لِدُخَانِ النَّحْلِ خَاصَّةً، يُقَالُ: آمَهَا يَثْوُمُهَا إِذَا دَخَنَهَا، قَالَهُ أَبُو حَنِيفَةَ.

(١) أخرجه الدارقطني (٧٣) في المؤتلف. وقال: حديثه [يعني ابن قيس - أو قيسور]: منكر.

قال ابن إسحاق: فابتاع خُبَيْبًا حُجَيْرُ بن أَبِي إِهَابِ التَّمِيمِيّ، حليف بني نوفل، لِعُقْبَةَ بن الحارث بن عامر بن نوفل، وكان أبو إِهَابِ أَخَا الحارث بن عامر لأمه لقتله بأبيه.

قال ابن هشام: الحارث بن عامر، خال أبي إِهَابِ، وأبو إِهَابِ، أحد بني أُسَيْدِ بن عمرو بن تميم، ويقال: أحد بني عُدَسِ بن زيد بن عبد الله بن دارم، من بني تميم.

مثل من وفاء ابن الدثنة للرسول:

قال ابن إسحاق: وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقته بأبيه، أمية بن خلف، وبعث به صفوان بن أمية مع مولى له، يقال له: نسطاس، إلى التميم، وأخرجوه من الحرم ليقته. واجتمع رهط من قريش، فيهم أبو سفيان بن حرب؛ فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدًا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه، وأنت في أهلِكَ؟ قال: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكة تؤذيه، وأني جالس في أهلي. قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمدٍ محمدًا؛ ثم قتله نسطاس، يرحمه الله.

مقتل حجر بن عدي:

فصل: وذكر أن خُبَيْبًا أول من سنَّ الرُّكْعَتَيْنِ عند القتل. قوله: هذا يدلُّ على أنهما سُئِلَا جاريةً، وكذلك فعلهما حُجْرُ بن عَدِيٍّ بن الأذبر حين قتله معاوية - رحمة الله - وذلك أن زيادًا كتب من البصرة إلى معاوية يذكر أن حُجْرًا وأصحابه، قد خرجوا على السلطان، وشقوا عصا المسلمين، ووجه مع الكتاب بك فيه شهادة سبعين رجلًا فيهم الحسن بن أبي الحسن البصري وابن سيرين والربيع بن زياد وجماعة من عليّة التابعين ذكرهم الطبري^(١) يشهدون بما قال زياد من خروج حُجْرِ بن عَدِيٍّ عليه، وكان حُجْرٌ شديد الإنكار للظلم، غليظًا على الأمراء، وأنكر على زياد أمورًا من الظلم فخرج عليه، ولم يكن قصده الخروج على معاوية، فلما حُمِلَ حُجْرٌ إلى معاوية في خمسة من أصحابه، قال له: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له معاوية: أو أنا للمؤمنين أمير؟! ثم أمر بقتله، فعند ذلك صلى حُجْرُ الركعتين، ثم لقي معاوية عائشة بالمدينة، فقالت له: أما اتقيت الله يا معاوية في حُجْرِ بن عدي وأصحابه؟ فقال: أو أنا قتلتهم، إنما قتلهم من شهد عليهم، فلما أكرت عليه، قال لها: دعيني وحُجْرًا

(١) انظر (٢٦٩/٥) ط. دار المعارف المصرية.

مقتل خبيب وحديث دعوته:

وأما خَبِيبُ بن عَدِيٍّ، فحدَّثني عبدُ الله بنُ أبي نَجِيحٍ، أنه حَدَّثَ عن مَاورِيَّةَ، مَولاةِ حُجَيْرِ بن أبي إَهَابٍ، وكانت قد أسلمت، قالت: كان خَبِيبٌ عِنْدِي، حُبَسَ في بيتي، فلقد أَطْلَعْتُ عليه يومًا، وإن في يده لَقُطْفًا من عِنَبٍ، مثلُ رأسِ الرَّجُلِ يأكل منه، وما أعلم في أرضِ الله عنبًا يُؤْكَلُ.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني عاصم بن عُمر بن قَتادة وعبد الله بن أبي نَجِيحٍ جميعًا أنها قالت: قال لي حين حَضَرَهُ القَتْلُ: ابعثني إِلَيَّ بِحَديدَةٍ أَتَطَهَّرُ بها للقتل، قالت: فَأَعْطَيْتُ غَلامًا من الحَيِّ المَوْسَى، فقلت: ادخُلْ بها على هذا الرجل البيت؛ قالت: فوالله ما هو إلا أن وَلَّى الغَلامُ بها إِلَيَّ، فقلت: ماذا صَنَعْتُ! أَصابَ والله الرجلُ ثأْرَهُ بِقتْلِ هذا الغَلامِ، فيكون رجلاً برجلٍ، فلما ناوله الحَديدَةَ أَخَذَهَا من يده ثم قال: لَعَمْرُكَ، ما خَافْتُ أُمُكَ غَدْرِي حين بَعَثْتُكَ بهذه الحَديدَةِ إِلَيَّ! ثم خَلَّى سَبِيلَهُ.

قال ابن هشام: ويقال: إن الغَلامَ ابْنُهَا.

قال ابن إسحاق: قال عاصم: ثم خرجوا بخَبِيبٍ، حتى إذا جاءوا به إلى التَّنْعِيمِ لِيَصْلُبُوهُ، قال لهم: إن رأيْتُمْ أن تَدْعُونِي حتى أَزْكَعَ رُكْعَتَيْنِ فافعلوا؛ قالوا: دُونَكَ فَازْكَعْ. فركع رُكْعَتَيْنِ أتمهما وأحسنهما، ثم أَقْبَلَ على القوم فقال: أَمَّا والله لولا أن تَظُنُّوا أَنِّي إِنما طَوَّلْتُ جَزَعًا من القتل لاستكثرتُ من الصَّلَاةِ. قال: فكان خَبِيبُ بنُ عَدِيٍّ أَوَّلَ من سَنَّ هَاتِيْنِ الرُّكْعَتَيْنِ عِنْدَ القَتْلِ لِلْمُسْلِمِينَ. قال: ثم رَفَعُوهُ على خَشَبَةٍ، فلما أوثقوه، قال: اللَّهُمَّ إِنَّا قد بَلَّغْنَا رِسَالَةَ رَسولِكَ، فبَلِّغْهُ الغَدَاةَ ما يُصْنَعُ بنا؛ ثم قال: اللَّهُمَّ أَحْصِهِم عَدَدًا، واقتُلْهُمْ بَدَدًا ولا تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا. ثم قتلوه رَحِمَهُ اللهُ.

فكان مَعاوِيَةُ بن أبي سُفْيَانَ يقول: حَضَرْتُهُ يومئذ فيمن حَضَرَهُ مع أبي سُفْيَانَ، فلقد رَأَيْتُهُ يُلقِينِي إلى الأرضِ فَرَقًا من دَعْوَةِ خَبِيبٍ، وكانوا يقولون إن الرجل إذا دُعِيَ عليه، فاضْطَجَعَ لِحِجْبِهِ زالت عنه.

فإني مُلَاقِيهِ غَدًا على الجَاذَةِ^(١)، قالت: فأين عَزَبَ^(٢) عَنْكَ حِلْمُ أبي سُفْيَانَ؟ فقال: حين غاب عني مثلك من قومي.

(١) يعني يوم القيامة.

(٢) عَزَبَ: أي غاب.

قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عُبَادٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ، عَنْ أَبِيهِ عُبَادٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ سَمِعْتَهُ يَقُولُ: مَا أَنَا وَاللَّهِ قَتَلْتُ خُبَيْبًا، لِأَنِّي كُنْتُ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَبَا مَيْسِرَةَ، أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، أَخَذَ الْحَرْبَةَ فَجَعَلَهَا فِي يَدِي، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي وَبِالْحَرْبَةِ، ثُمَّ طَعَنَهُ بِهَا حَتَّى قَتَلَهُ.

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا، قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اسْتَعْمَلَ سَعِيدَ بْنَ عَامِرٍ بْنِ حَذِيمٍ الْجُمَحِيِّ عَلَى بَعْضِ الشَّامِ، فَكَانَتْ تُصِيبُهُ غَشِيَّةٌ، وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرِي الْقَوْمِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَقِيلَ: إِنَّ الرَّجُلَ مُصَابٌ؛ فَسَأَلَهُ عُمَرُ فِي قَدَمَةٍ قَدِمَهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: يَا سَعِيدُ، مَا هَذَا الَّذِي يُصِيبُكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا بِي مِنْ بَأْسٍ، وَلَكِنِّي كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ خُبَيْبَ بْنَ عَدِيٍّ حِينَ قُتِلَ، وَسَمِعْتُ دَعْوَتَهُ، فَاللَّهُ مَا خَطَرْتُ عَلَى قَلْبِي وَأَنَا فِي مَجْلَسٍ قَطُّ إِلَّا غَشِيَ عَلَيَّ، فَزَادَتْهُ عِنْدَ عُمَرَ خَيْرًا.

قال ابن هشام: أَقَامَ خُبَيْبٌ فِي أَيْدِيهِمْ حَتَّى انْقَضَتْ الْأَشْهُرُ الْحَرَمُ، ثُمَّ قَتَلُوهُ.

لِمَ صَارَتْ صَلَاةُ خُبَيْبٍ سُنَّةً؟

وإنما صارَ فعلُ خُبَيْبٍ سُنَّةً حَسَنَةً. وَالسُّنَّةُ إِنَّمَا هِيَ أَقْوَالُ مِنَ النَّبِيِّ - ﷺ - وَأَفْعَالُ وَإِقْرَارٌ، لِأَنَّهُ فَعَلَهَا فِي حَيَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاسْتُخْسِنَ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِ، وَاسْتَحْسَنَهُ الْمُعَلِّمُونَ، مَعَ أَنَّ الصَّلَاةَ خَيْرٌ مَا خُتِمَ بِهِ عَمَلُ الْعَبْدِ، وَقَدْ صَلَّى هَاتَيْنِ الرُّكْعَتَيْنِ أَيْضًا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مَوْلَى النَّبِيِّ - ﷺ - وَذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ طَاهِرٍ بْنُ طَاهِرٍ الْإِسْبِيلِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْغَسَّانِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عُمَرَ النَّمَرِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الْوَارِثِ بْنُ سُفْيَانَ بْنِ جَبْرُونَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ قَاسِمُ بْنُ أَصْبَغٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ مَعِينٍ: أَخْبَرَنَا قَالَ: أَخْبَرَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكِيرٍ الْمَصْرِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: بَلَّغَنِي^(١) أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ اكْتَرَى مِنْ رَجُلٍ بَغْلًا مِنَ الطَّائِفِ اشْتَرَطَ عَلَيْهِ الْكَرِّيُّ أَنْ يُنْزِلَهُ حَيْثُ شَاءَ، قَالَ: فَمَالَ بِهِ إِلَى خَرِبَةٍ، فَقَالَ لَهُ: انْزِلْ فَتَزَلْ، فَإِذَا فِي الْخَرِبَةِ قَتْلَى كَثِيرَةٌ، قَالَ: فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَهُ، قَالَ: دَعْنِي أَصَلِّي رُكْعَتَيْنِ، قَالَ: صَلِّ، فَقَدْ صَلَّيْتُ قَبْلَكَ هَؤُلَاءِ فَلَمْ تَنْفَعْهُمْ صَلَاتُهُمْ شَيْئًا، قَالَ: فَلَمَّا صَلَّيْتُ أَتَانِي، لِيَقْتُلَنِي، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، قَالَ: فَسَمِعَ صَوْتًا: لَا تَقْتُلْهُ، قَالَ: فَهَابَ ذَلِكَ فَخَرَجَ يَطْلُبُ أَحَدًا، فَلَمْ يَرِ شَيْئًا، فَرَجَعَ إِلَيَّ، فَنَادَيْتُ: يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ

(١) انقطاع.

ما نزل في سرية الرجيع من القرآن

قال: قال ابن إسحاق: وكان مما نزل من القرآن في تلك السرية، كما حدثني مولى لآل زيد بن ثابت، عن عكرمة مولى ابن عباس، أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

قال: قال ابن عباس: أما أصيبت السرية التي كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع، قال رجال من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا (هكذا)، لا هم قعدوا في أهليهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم! فأنزل الله تعالى في ذلك من قول المنافقين، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذي أصابهم، فقال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي لما يظهر من الإسلام بلسانه، ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾، وهو مخالف لما يقول بلسانه، ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾: أي ذو جدال إذا كلمك وراجعك.

ثلاثاً، فإذا أنا بفارس بيده حربة حديد في رأسها شغلة من نارٍ قطعنه بها، فأنفذه من ظهره، فوقع ميتاً، ثم قال: لما دعوت المرة الأولى يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة، فلما دعوت المرة الثانية يا أرحم الراحمين، كنت في السماء الدنيا، فلما دعوت المرة الثالثة يا أرحم الراحمين أتيتك.

ما أنزل الله من القرآن في حق خبيب وأصحابه

فصل: وذكر ابن إسحاق ما أنزل الله تعالى في خبر خبيب وأصحابه من قول المنافقين فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ [البقرة: ٢٠٤] الآية، وأكثر أهل التفسير على خلاف قوله: وأنها نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، رواه أبو مالك عن ابن عباس، وقاله مجاهد، وقال ابن الكلبي: كنت بمكة، فسئلت عن هذه الآية فقلت: نزلت في الأخنس بن شريق، فسمعني رجل من ولده، فقال لي: يا هذا إنما أنزل القرآن على أهل مكة، فلا تُسمَّ أحداً ما دمت فيها، وكذلك قالوا في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] نزلت في ضهيى بن سنان حين هاجر، وترك جميع ماله لقرينش ويدعونه يهاجر بنفسه إلى الله ورسوله، واستشهد ابن هشام على تفسير الألد بقول مهلهل، قال: واسمه امرؤ القيس، ويقال: عدي، وقد صرح مهلهل باسم نفسه في الشعر الذي استشهد به ابن هشام، فقال:

صَرَبْتُ صَدْرَهَا إِلَيَّ وَقَالَتْ يَا عَدِيًّا لَقَدْ وَقَّتْكَ الْأَوَاقِي

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الألد: الذي يشغب، فتشتد خصومته؛ وجمعه: لُد. وفي كتاب الله عز وجل: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾. وقال المهلهل بن ربيعة التغلبي، واسمه امرؤ القيس؛ ويقال: عدي بن ربيعة:

إِنْ تَحْتَ الْأَحْجَازِ حَدًّا وَلِينَا وَخَصِيمًا أَلْدًا مِغْلَاقٍ

ويروى ذا مِغْلَاقٍ، فيما قال ابن هشام: وهذا البيت في قصيدة له، وهو الألدُد. قال الطرمّاح بن حكيم الطائي يصف الحزباء:

يُوفِي عَلَى جِذْمِ الْجَذُولِ كَأَنَّهُ خَضَمَ أَبْرًا عَلَى الْخُضُومِ أَلْدُدُ

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾: أي خرج من عندك ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ أي لا يحب عمله ولا يرضاه. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ وَمِنَ النَّاسِ مَن

وفيه البيت الذي ذكر ابن هشام:

إِنْ تَحْتَ الْأَخْجَارِ حَدًّا وَلِينَا وَخَصِيمًا أَلْدًا مِغْلَاقٍ^(١)

ويروى: مِغْلَاقٍ بالغين المعجمة، والمِغْلَاقُ: اللسان، وأما المِغْلَاقُ: بالغين مُعْجَمَةً، فالقول الذي يُغْلِقُ فَمَ الْخَضَمِ وَيُسَكِّتُهُ. وبعده:

حَيَّةٌ فِي الْوَجَارِ أَزْبَدُ لَا يَنْفَعُ مِنْهَا السَّلِيمُ نَفْثُ الرَّاقِي

وسمي مهلهلاً بقوله:

لَمَّا تَوَقَّلَ فِي الْكُرَاعِ هَجِيئُهُمْ هَلْهَلْتُ أَثَارُ جَابِرًا أَوْ صَنِيلًا^(٢)

هَلْهَلْتُ: أي كذت وقاربت، وأما الألد، فهو من اللدّيدتين، وهما جانباً العنق، فالألد الذي يريغ الخجّة من جانب إلى جانب، يقال: تركته يتلدد، وقال الزّجاج: الخصام جمع في هذه الآية، ولا يستقيم أن يكون معناه المخاصمة، لأن أفعل الذي يراد به التفضيل إنما يكون بعض ما أضيف إليه، تقول: زيد أفصح الناس، ولا تقول: زيد أفصح الكلام.

(١) مغلّاق: أي ذا لسان جِدِل.

(٢) جابر وصنبل: رجلان من تغلب.

يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿١﴾ : أي قد شَرَوْا أنفسهم من الله بالجهاد في سبيله، والقيام بحقه، حتى هلكوا على ذلك، يعني تلك السَّريَّة.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: يَشْرِي نفسه: يبيع نفسه؛ وشَرَوْا: باعوا. قال يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري:

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لَيْتَنِي من بعد بُرْدٍ كُنْتُ هَامَهُ
برد: غلام له باعه: وهذا البيت في قصيدة له، وشَرَى أيضًا: اشترى.

قال الشاعر:

فَقُلْتُ لَهَا لَا تَجْزَعِي أُمَّ مَالِكٍ على ابْنَيْكَ إِنْ عَبْدٌ لَيْمٌ شَرَاهُمَا

شعر خبيب حين أريد صلبه:

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل في ذلك من الشعر، قول خبيب بن عدي، حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا لصلبه.

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر يُنكرها له.

لَقَدْ جَمَعَ الْأَحْزَابُ حَوْلِي وَأَلْبُوا	قبائلهم واستَجَمَعُوا كُلَّ مَجْمِع
وَكُلُّهُمْ مُبْدِي الْعَدَاوَةِ جَاهِدُ	عَلَيَّ لِأَنِّي فِي وِثَاقٍ بِمَضْبِع ^(١)
وَقَدْ جَمَعُوا أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ	وَقُرْبَتُ مِنْ جَذَعٍ طَوِيلٍ مُمْنَعٍ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي	وَمَا أَرْصِدُ الْأَحْزَابُ لِي عِنْدَ مَصْرَعِي
فَذَا الْعَرْشِ، صَبَّرَنِي عَلَى مَا يُرَادُّ بِي	فَقَدْ بَضَعُوا الْحَمَى وَقَدْ يَاسَ مَطْمَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ	يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شَلُو مُمَزَّعٍ

قال الشيخ الحافظ رضي الله عنه: وهذا الذي قاله حَسَنٌ إِنْ كَانَ أَلَدٌ مِنْ هَذَا الْبَابِ الَّذِي مُؤَنَّثُهُ الْفُعْلَى، أما إِنْ كَانَ مِنْ بَابِ أَفْعَلَ الَّذِي مُؤَنَّثُهُ فَعْلَاءٌ نَحْوُ: أَخْرَسُ وَخَرَسَاءُ، فَالْخَصَامُ مُصَدَّرٌ خَاصِمَتُهُ، وَهُوَ ظَاهِرٌ قَوْلِ الْمُفْسِّرِينَ، فَإِنَّهُمْ فَسَرُوهُ بِالشَّدِيدِ الْخَصُومَةِ، فَالَّذِي إِذَا مِنْ صِفَةِ الْمُخَاصِمَةِ، وَإِنْ وُصِفَ بِهِ الرَّجُلُ مَجَازًا، وَيُقْوَى هَذَا قَوْلُهُ: وَخَصِيمًا

(١) مضبغ: آلة يُشَقُّ بِهَا الْجِلْدُ.

وقد خَيَّرُونِي الْكُفْرَ وَالْمَوْتَ دُونَهُ
وما بي حِذَارِ الْمَوْتِ، إِنِّي لَمَيِّتٌ
فوالله ما أَرْجُو إِذَا مِتُّ مُسْلِمًا
فَلَسْتُ بِمُبْدٍ لِلْعَدُوِّ تَخْشَعَا
وقد هَمَلْتُ عَيْنَايَ مِنْ غَيْرِ مَجْزَعٍ
ولكن حِذَارِي جَحْمٍ^(١) نَارِ مُلْفَعٍ^(٢)
على أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي
وَلَا جَزْعًا إِنِّي إِلَى اللَّهِ مَرْجِعِي

شعر حسان في بكاء خبيب

وقال حسان بن ثابت يبيكي خبيبا:
ما بال عَيْنِيكَ لَا تَرْقَا مَدَامُعُهَا
على خَبِيبٍ فَتَى الْفِثْيَانِ قَدْ عَلِمُوا
فَاذْهَبْ خُبَيْبُ جَزَاكَ اللَّهُ طَيِّبَةً
مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ
فِيمَ قَتَلْتُمْ شَهِيدَ اللَّهِ فِي رَجُلٍ
قال ابن هشام: ويروى: «الطرق» وتركنا ما بقي منها، لأنه أقذع فيها.

قال ابن إسحق: وقال حسان بن ثابت أيضا يبيكي خبيبا:

يا عين جُودِي بَدَمْعٍ مِنْكَ مَنْسَكَبٍ
وَأَبْكِي خُبَيْبًا مَعَ الْفِثْيَانِ لَمْ يَوْبِ
صَفْرًا تَوَسَّطَ فِي الْأَنْصَارِ مَنْصِبُهُ
سَمَحَ السَّجِيَّةَ مَخْضًا غَيْرَ مُؤْتَشِبِ

أَلَدُّ، وَلَمْ يُضِفْهُ، وَلَا قَالَ أَلَدُّ مِنْ كَذَا، فَجَعَلَهُ مِنْ بَابِ أَصَمَ وَأَشَمَ وَنَحْوِهِ، وَيَقْوِيهِ أَيْضًا
قَوْلُهُمْ فِي الْجَمْعِ: قَوْمٌ لُدُّ، رَوَتْ عَائِشَةُ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - أَنَّهُ قَالَ: ﴿أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ
الْخَصِمُ الْأَلَدُّ﴾^(٤) وَقَرَأَ ابْنُ مَحِيصَنٍ ﴿وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالْهَاءِ، وَرَفَعَ
الْهَاءَ مِنْ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى، أَيُّ: وَيَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قَلْبِهِ.

عدس في شعر حسان في خبيب

وذكر شِعْرَ حَسَّانَ فِي قِصَّةِ خُبَيْبٍ.

(١) جحيم: نار قوية.
(٢) ملفع: متوقد.
(٣) أوعث: تعثر عمله.
(٤) أخرجه مسلم والبخاري (١٣٨/٧).

قد هاجَ عَيْنِي عَلَى عِلَاتِ عَبْرَتِهَا إِذْ قِيلَ نُصَّ إِلَى جِذْعٍ مِنَ الْخَشَبِ
يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْغَادِي لِطَيْتِهِ أَبْلَغَ لَدَيْكَ وَعِيدًا لَيْسَ بِالْكَذِبِ
بَنِي كُهَيْبَةَ أَنَّ الْحَرْبَ قَدْ لَقِحتُ مَخْلُوبُهَا الصَّابُ إِذْ تُمَرَى لِمُخْتَلَبِ
فِيهَا أُسُودُ بَنِي النَّجَّارِ تَقْدُمُهُمْ شَهْبُ الْأَسْنَةِ فِي مُغْصُوصٍ لَجِبِ

قال ابن هشام: وهذه القصيدة مثل التي قبلها، وبعض أهل العلم بالشعر ينكرهما لحسان، وقد تركنا أشياء قالها حسان في أمر خبيب لما ذكرت.

قال ابن إسحق: وقال حسان بن ثابت أيضًا:

لو كَانَ فِي الدَّارِ قَرْمٌ مَاجِدٌ بَطْلٌ أَلُوِي مِنَ الْقَوْمِ صَقْرٌ خَالُهُ أَنَسُ
إِذْ وَجَدْتَ خُبِيْبًا مَجْلِسًا فَمَسَحَا وَلَمْ يُشَدَّ عَلَيْكَ السُّجُنُ وَالْحَرَسُ
وَلَمْ تَسْقُكْ إِلَى التَّنْعِيمِ زِعْنَفَةً مِنْ الْقِبَائِلِ مِنْهُمْ مَنْ نَفَتْ عُدُسُ
دَلُّوكَ غَدْرًا وَهُمْ فِيهَا أَوَّلُو خُلْفٍ وَأَنْتَ ضَيْمٌ لَهَا فِي الدَّارِ مُخْتَبَسُ

قال ابن هشام: أنس: الأصم السلمي: خال مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف. وقوله: «من نفث عدس» يعني حجير بن أبي إهاب، ويقال: الأعشى بن زُرارة بن النباش الأسدي، وكان حليفًا لبني نوفل بن عبد مناف.

وقوله فيه:

من القبائل منهم من نفث عدس

قوله: من نفث عدس، يعني: حجير بن أبي إهاب بن عرين، وهو ينتسب إلى بني عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة، ويقال: بل هو من بني ربيعة بن مالك بن حنظلة، ومن هاهنا ذكر نفث بني عدس له، من أجل الاختلاف في نسبه. وعدس بضم الدال في تميم، وهو هذا، وكل عدس في العرب سواه فهو بفتح الدال، وهو من عدس في الأرض إذا ذهب فيها، والله أعلم، فمن المفتوح الدال عدس بن عبيد في الأنصار، ثم في بني النجار، وهو جد أبي أمية أسعد بن زُرارة وقد قال بعض النسابين في عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم الذي تقدم ذكره: عدس بفتح الدال، والأول أعرف وأشهر.

مَنْ اجتمعوا لقتل خبيب:

قال ابن إسحاق: وكان الذين أجلبوا على خبيب في قتله حين قُتل من قُرَيْش: عكرمة بن أبي جهل، وسعيد بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود، والأخنس بن شريق الثقفي، حليف بني زُهْرَة، وعُبَيْدَة بن حَكِيم بن أُمَيَّة بن حارثة بن الأوقص السلمي، حليف بني أُمَيَّة بن عبد شمس، وأُمَيَّة بن أبي عتبة، وبنو الحَضْرَمي.

شعر حسان في هجاء هذيل لقتلهم خبيبا:

وقال حسان أيضا يهجو هذيلًا فيما صنعوا بخبيب بن عدي:

أَبْلَغُ بَنِي عَمْرِو بَأْنَ أَخَاهُمُ	شَرَاهُ امْرُؤٌ قَدْ كَانَ لِلْغَدْرِ لَازِمًا
شَرَاهُ زُهَيْرُ بَنِ الْأَغَرِّ وَجَامِعُ	وَكَانَا جَمِيعًا يَرْكَبَانِ الْمَحَارِمَا
أَجَرْتُمْ فَلَمَّا أَنْ أَجَرْتُمْ غَدَرْتُمْ	وَكُنْتُمْ بِأَكْنَافِ الرَّجِيعِ لَهَاذِمًا
فَلَيْتَ خُبَيْبًا لَمْ تَخُنْهُ أَمَانَةٌ	وَلَيْتَ خُبَيْبًا كَانَ بِالْقَوْمِ عَالِمًا

قال ابن هشام: زهير بن الأغَرِّ وجامع: الهذليَّان اللذان باعا خبيبا.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضًا:

إِنْ سَرَّكَ الْغَدْرُ صِرْفًا لَا مِزَاجَ لَهُ فَاتِ الرَّجِيعَ فَسَلْ عَنْ دَارِ لِيْخِيَانِ

دعوة خبيب على قاتليه:

وذكر قول خبيب حين رفعوه في الخشبة: اللهم أَحْصِهِمْ عَدَدًا، واقتُلْهُمْ بَدَدًا، فمن رواه بِدَدًا بكسر الهاء، فهو مصدر بمعنى التَّبَدُّد، أي: ذوي بَدَدٍ. فإن قيل: فهل أُجِيتَ فيهم دعوة خبيب، والدعوة على تلك الحال من مثل ذلك العبد مُسْتَجَابَةٌ^(١)؟

قلنا: أصابت منهم مَنْ سبق في علم الله أن يموتَ كافرًا، ومن أسلم منهم فلم يَغْنِهْ خُبَيْبٌ ولا قصده بدعائه، ومن قُتل منهم كافرًا بعد هذه الدعوة، فإنما قُتِلُوا بِدَدًا غير مُعْسِكِرِينَ ولا مُجْتَمِعِينَ كاجتماعهم في أَحَدٍ، وقبل ذلك في بدر، وإن كانت الخَنْدَقُ بعد قِصَّةِ خُبَيْبٍ فقد قُتل منهم آحَادٌ فيها مُتَبَدِّدُونَ، ثم لم يكن لهم بعد ذلك جَمْعٌ ولا معسكر غَزَوْا فيه، فنفذت الدعوة على صورتها وفيمن أراد خُبَيْبٌ - رحمه الله - وحاشا له أن يكره إيمانهم وإسلامهم.

(١) قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾.

قَوْمٌ تَوَاصَوْا بِأَكْلِ الْجَارِ بَيْنَهُمْ فَالْكَلْبِ وَالْقِرْدِ الْإِنْسَانِ مِثْلَانِ
لَوْ يَنْطِقُ التَّيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطُبُهُمْ وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَأْنٍ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَنْشَدَنِي أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ قَوْلَهُ:

لَوْ يَنْطِقُ التَّيْسُ يَوْمًا قَامَ يَخْطُبُهُمْ وَكَانَ ذَا شَرَفٍ فِيهِمْ وَذَا شَأْنٍ
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا يَهْجُو هُذَيْلًا:

سَأَلْتُ هُذَيْلُ رَسُولَ اللَّهِ فَاحِشَةً ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا سَأَلَتْ وَلَمْ تُصِيبْ
سَأَلُوا رَسُولَهُمْ مَا لَيْسَ مُغْطِيَهُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ، وَكَانُوا سُبَّةَ الْعَرَبِ
وَلَنْ تَرَى لَهُذَيْلٌ دَاعِيًا أَبَدًا يَدْعُو لِمَكْرُمَةٍ عَنْ مَنْزِلِ الْحَرْبِ
لَقَدْ أَرَادُوا خِلَالَ الْفُحْشِ وَنَحَهُمْ وَأَنْ يُحِلُّوا حَرَامًا كَانَ فِي الْكُتُبِ
وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا يَهْجُو هُذَيْلًا:

لِعُمَيْرٍ لَقَدْ شَانَتْ^(١) هُذَيْلُ بْنُ مُذْرِكٍ أَحَادِيثُ لِيْخْيَانٍ صَلَّوْا بِقَبِيحِهَا
أَنَاسٌ هُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ فِي صَمِيمِهِمْ بِمَنْزِلَةِ الزَّمْعَانِ^(٢) دُبَّرَ الْقَوَادِمِ
هُمْ غَدَرُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ وَأَسْلَمْتُ أَمَانَتُهُمْ ذَا عِفَّةٍ وَمَكَارِمِ
رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ غَدَرًا وَلَمْ تَكُنْ هُذَيْلُ تَوَقَّى مُنْكَرَاتِ الْمَحَارِمِ
فَسَوْفَ يَرَوْنَ النَّصْرَ يَوْمًا عَلَيْهِمْ بِقَتْلِ الَّذِي تَخْمِيهِ دُونَ الْحَرَائِمِ
أَبَابِيلُ دُبَّرَ شَمْسٍ دُونَ لَحْمِهِ حَمَتِ لَحْمَ شَهَادِ عِظَامِ الْمَلَا حِمِ
لَعَلَّ هُذَيْلًا أَنْ يَرَوْا بِمَصَابِهِ مَصَارِعَ قَتْلَى أَوْ مَقَامًا لِمَاتِمِ
وَتُوقِعَ فِيهِمْ وَقْعَةَ ذَاتِ صَوْلَةٍ يُوَافِي بِهَا الرُّكْبَانُ أَهْلَ الْمَوَاسِمِ
بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ رَسُولَهُ رَأَى رَأْيَ ذِي حَزْمٍ بِلِيْخْيَانِ عَالِمِ
قُبَيْلَةٍ لَيْسَ الْوَفَاءُ يُهْمُهُمْ وَإِنْ ظَلِمُوا لَمْ يَذْفَعُوا كَفَّ ظَالِمِ
إِذَا النَّاسُ حَلُّوا بِالْفَضَاءِ رَأَيْتَهُمْ بِمَجْرَى مَسِيلِ الْمَاءِ بَيْنَ الْمَخَارِمِ
مَحَلَّهُمْ دَارُ الْبَوَارِ وَرَأَيْتَهُمْ

(١) شانت: عابت.

(٢) الزمعان: سفلة القوم.

وقال حسان بن ثابت يهجو هذيلًا:

لَحَى اللهُ لِحْيَانَا فَلَنَيْسَتْ دِمَاؤُهُمْ
هَمُّو قُتِلُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ ابْنَ حُرَّةٍ
فَلَوْ قُتِلُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ بِأَسْرِهِمْ
قَتِيلٌ حَمَتُهُ الدَّبْرُ بَيْنَ بُيُوتِهِمْ
فَقَدْ قَتَلْتَ لِحْيَانَ أَكْرَمِ مِنْهُمْ
فَأَفَ لِلْحِيَانِ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
قُبَيْلَةٍ بِاللُّؤْمِ وَالْغَدْرِ تَغْتَرِي
فَلَوْ قُتِلُوا لَمْ تُوفِ مِنْهُ دِمَاؤُهُمْ
فَالَا أُمْتُ أَذْعَرُ هُذَيْلًا بَغَارَةٍ
بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ وَالْأَمْرِ أَمْرِهِ
يُصْبِحُ قَوْمًا بِالرَّجِيعِ كَأَنَّهُمْ

وقال حسان بن ثابت أيضًا يهجو هذيلًا:

فَلَا وَاللَّهِ، مَا تَدْرِي هُذَيْلُ
وَلَا لَهُمْ إِذَا اغْتَمَرُوا وَحَاجُّوا
وَلَكِنَّ الرَّجِيعَ لَهُمْ مَحَلٌّ
كَأَنَّهُمْ لَدَى الْكُنَّاتِ أَضْلًا
هُمْ غَرُّوا بِذِمَّتِهِمْ خُبَيْبًا
أَصَافِ مَاءُ زَمْزَمٍ أَمْ مَشُوبُ
مَنْ الْحَجَرَيْنِ وَالْمَسْعَى نَصِيبُ
بِهِ اللَّؤْمُ الْمُبِينُ وَالْعُيُوبُ
تُيُوسُ بِالْحِجَازِ لَهَا نَبِيبُ
فَبُئْسَ الْعَهْدُ عَهْدُهُمُ الْكَذُوبُ

قال ابن هشام: آخرها بيتًا عن أبي زيد الأنصاري.

شعر حسان في بكاء خبيب وأصحابه

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يبكي خبيبا وأصحابه:

ابن كهية في شعر حسان

فصل: وذكر أشعار حسان في خبيب وأصحابه، وليس فيهم معنى خفي، ولا لفظ غريب وخشي، فيحتاج إلى تفسيره، ولكن في بعضها:

بني كهينة أن الحرب قد لقيحت

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأُكْرِمُوا وَأُثِيبُوا
رَأْسَ السَّرِيَّةِ مَرْثَدَ وَأَمِيرَهُم وابن البُكَيْرِ إِمَامَهُمْ وَخُبَيْبُ
وَابْنُ لَطَارِقٍ وَابْنُ دَثْنَةَ مِنْهُمْ وافاه ثُمَّ حِمَامُهُ الْمَكْتُوبُ

جعل كُهَيْبَةَ كَأَنَّهُ اسْمٌ عَلَّمَ لِأُمَّهُمْ، وهذا كما يقال: بَنِي ضَوْطَرَى وَبَنِي الْغُبَرَاءِ وَبَنِي
دَرْزَةَ قَالَ الشَّاعِرُ:

أَوْلَادُ دَرْزَةَ أَشْلَمُوكَ وَطَارُوا

وهذا كله اسْمٌ لِمَنْ يُسَبُّ، وَعِبَارَةٌ عَنِ السُّفْلَةِ مِنَ النَّاسِ، وَكُهَيْبَةُ مِنَ الْكُهْبَةِ، وَهِيَ
الْغُبْرَةُ، وَهَذَا كَمَا قَالُوا: بَنِي الْغُبَرَاءِ، وَأَكْثَرُ أَشْعَارِ حَسَّانَ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ، قَالَ فِيهَا مِنْ
هَذَا، لَأَنَّهُمْ إِخْوَةُ الْقَارَةِ، وَالْمُشَارِكُونَ لَهُمْ فِي الْغَدْرِ بِخُبَيْبٍ وَأَصْحَابِهِ، وَهَذَا هَذَا وَخُزَيْمَةُ
أَبْنَاءُ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسٍ وَعَظْلُ الْقَارَةِ مِنْ بَنِي خُزَيْمَةَ.

حول العلم وضعه من التنوين مع الخفض:

وقوله: وَابْنُ لَطَارِقٍ، وَابْنُ دَثْنَةَ مِنْهُمْ، حَذَفَ التَّنْوِينَ كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ: شُلْتُ يَدَا
وَخَشِيَّ مِنْ قَاتِلٍ، وَلَوْ أَنَّهُ حَذَفَ التَّنْوِينَ نَصَبَ، وَجَعَلَهُ كَالِاسْمِ الَّذِي لَا يَنْصَرَفُ، وَهُوَ
فِي مَوْضِعِ الْخَفْضِ مَفْتُوحٌ، لَكَانَ وَجْهًا وَقِيَاسًا صَحِيحًا، لِأَنَّ الْخَفْضَ تَابِعُ التَّنْوِينِ، فَإِذَا زَالَ
التَّنْوِينُ زَالَ الْخَفْضُ، لِثَلَا يَلْتَبَسُ بِالْمُضَافِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ، لِأَنَّ ضَمِيرَ الْمُتَكَلِّمِ، وَإِنْ
كَانَ يَاءً فَقَدْ يَحْذَفُ، وَيَكْتَفِي بِالْكَسْرِ مِنْهُ، وَزَوَالُ التَّنْوِينِ فِي أَكْثَرِ مَا لَا يَنْصَرَفُ إِنَّمَا هُوَ
لِاسْتِغْنَاءِ الْاسْمِ عَنْهُ، إِذْ هُوَ عَلَامَةُ الْإِنْفِصَالِ عَنِ الْإِضَافَةِ، فَكُلُّ اسْمٍ لَا يُتَوَهَّمُ فِيهِ الْإِضَافَةُ لَا
يَحْتَاجُ إِلَى التَّنْوِينِ، لَكِنَّهُ إِذَا لَمْ يُنَوَّنْ لَمْ يُخَفَّضْ، لَمَّا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّبَاسُّهِ بِالْمُضَافِ إِلَى
الْمُتَكَلِّمِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَشْعَارِ أَحَدٍ: كَنَارِ أَبِي حُبَاجٍ وَالظُّبَيْنَا بَفَتْحِ الْبَاءِ مِنْ حُبَاجٍ فِي
مَوْضِعِ الْخَفْضِ، وَكَانَ حَقُّ كُلِّ عَلَمٍ أَلَّا يُنَوَّنَ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَعْنٍ عَنِ الْإِضَافَةِ كَمَا لَمْ يُنَوَّنْ جَمِيعُ
أَنْوَاعِ الْمَعَارِفِ، وَلَكِنَّهُ نَوَّنَ مَا نُوِّنَ مِنْهُ لِلْسُرِّ الَّذِي بَيَّنَّاهُ فِي أَسْرَارِ مَا لَا يَنْصَرَفُ مِنَ الْأَسْمَاءِ،
وَقَدْ أَمْلَيْنَا فِي ذَلِكَ جُزْءًا، وَلَكِنْ الْخَفْضُ فِي طَارِقٍ وَوَخَشِيٍّ مَزُورِيٍّ، وَوَجْهُهُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ
ضَرُورَةً شَعَرَ، وَلَمْ يَكُنْ فِي كَلَامِهِمْ لَمْ يُتَّبِعُوا الْخَفْضَ فِيهِ التَّنْوِينُ إِذْ لَا يُتَوَهَّمُ إِضَافَتُهُ إِلَى
الْمُتَكَلِّمِ، إِذْ لَا يَقَعُ إِلَّا نَادِرًا فِي شَعَرٍ، فَالْلُبْسُ فِيهِ بَعِيدٌ.

اشتقاق اسم خبيب وهذيل:

وقوله:

وابن البُكَيْرِ إِمَامَهُمْ وَخُبَيْبُ

والعاصم المقتول عند رَجِيعِهِمْ كَسَبَ المَعَالِي إِنَّهُ لَكَسُوبٌ
مَنَعَ المُقَادَةَ أَنْ يَنَالُوا ظَهْرَهُ حَتَّى يُجَالِدَ إِنَّهُ لَنَجِيبٌ
قال ابن هشام: ويروى: حتى يجادل إنه لنجيب.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يُنكر لحسان.

قال ابن إسحاق: فأقام رسولُ الله ﷺ بَقِيَّةَ شَوَّالٍ وذَا القَعْدَةِ وذَا الحِجَّةِ - وَوَلَّى تِلْكَ
الحِجَّةَ المَشْرُكُونَ - والمَحْرَمُ، ثُمَّ بَعَثَ رسولُ الله ﷺ أَصْحَابَ بَثْرَ مَعُونَةٍ فِي صَفَرٍ، عَلَى
رَأْسِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ أُحُدٍ.

أَرْدَفَ حَرْفَ الرَّوِيِّ بَيَاءً مَفْتُوحٌ مَا قَبْلَهَا، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِيهِ مَرَّتَيْنِ. وَخَبِيبٌ فِي اللُّغَةِ
تَصْغِيرُ خَبٍّ، وَهُوَ الْمَاكِرُ مِنَ الرِّجَالِ الْخُدَاعِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَصْغِيرُ خَابٍ مِنَ الْخَبِيبِ،
فَيَكُونُ مِنْ بَابِ تَصْغِيرِ التَّرْخِيمِ، وَهُوَ الَّذِي يَنْبَنِي عَلَى حَذْفِ الزَّوَائِدِ، وَأَمَّا هُذَيْلٌ فَقَالُوا فِيهِ:
إِنَّهُ مُصَغَّرُ تَصْغِيرِ التَّرْخِيمِ، لِأَنَّهُ مِنْ هُوَذَلِ الرَّجُلِ بِبَوْلِهِ إِذَا بَاعَدَ بِهِ، فَكَأَنَّهُ تَصْغِيرُ مُهُوَذِلٍ عَلَى
حَذْفِ الزَّوَائِدِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَصْغِيرُ هُذُلٍ، وَهُوَ التَّلُّ الصَّغِيرُ مِنَ الرَّمْلِ عَلَى تَصْغِيرِ
التَّرْخِيمِ أَيْضًا.

سالت بدون همزة:

وقوله:

سالت هُذَيْلُ رسولُ الله فَاحِشَةٌ

ليس على تسهيل الهمزة في سالت، ولكنها لغةٌ بدليل قولهم: تَسَائِلُ الْقَوْمُ، وَلَوْ كَانَ
تَسْهِيلًا، لَكَانَتِ الهمزةُ بَيْنَ بَيْنٍ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ وَزْنُ الشَّعْرِ بِهَا، لِأَنَّهَا كَالْمُتَحَرِّكِ، وَقَدْ ثَقُلَ
أَلِفًا سَاكِئَةً كَمَا قَالُوا: الْمِنْسَاءُ^(١)، وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ لَا يُقَاسُ عَلَيْهِ، وَإِذَا كَانَتْ سَالًا لُغَةً فِي سَأَلَ
فِيَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ الْمَضَارِعُ يَسِيلُ، وَلَكِنْ قَدْ حَكَى يُونُسُ: سِلْتُ تَسَالُ مِثْلَ خِفْتُ تَخَافُ، هُوَ
عِنْدَهُ مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الرِّجْلَانِ يَتَسَايِلَانِ، وَقَالَ النَّحَّاسُ وَالْمُبَرِّدُ: يَتَسَاوِلَانِ،
وَهُوَ مِثْلُ مَا حَكَى يُونُسُ.

(١) المنساة: أي العصا.

حديث بئر معونة

سبب إرسال بعث بئر معونة :

وكان من حديثهم، كما حدثني أبي إسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وغيره من أهل العلم، قالوا: قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر مُلاعبُ الأسيئة على رسول الله ﷺ المدينة، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، ودعاه إليه، فلم يُسلم ولم يتعد من الإسلام، وقال: يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد، فدعَوْهم إلى أمرك، رجوتُ أن يستجيبوا لك؛ فقال رسول الله ﷺ: إني أخشى عليهم أهل نجد؛ قال أبو براء: أنا لهم جار، فابعثهم فليدعُوا الناس إلى أمرك.

خبر بئر معونة^(١)

قال ابن إسحاق: وكانوا أربعين رجلاً، والصحيح أنهم كانوا سبعمين، كذا وقع في صحيح البخاري ومسلم^(٢).

ملاعب الأسيئة وإخوته ومعوذ الحكماء :

وذكر أبا براء مُلاعبَ الأسيئة، وأنه أجار أصحاب بئر معونة من أهل نجد، وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، سُمي مُلاعبَ الأسيئة في يوم سوبان، وهو يوم كانت فيه وقعة في أيام جبلة، وهي أيام حروب كانت بين قيس وتميم، وجبلة اسم لهضبة عالية، وقد تقدم طرّف من هذا الحديث في أول الكتاب، وكان سبب تسميته في يوم سوبان مُلاعبَ الأسيئة أن أخاه الذي يقال له فارس قُرْزِل، وهو طفيل بن مالك، وقد ذكرنا في أول الكتاب معنى قُرْزِل، كان أسلمه في ذلك اليوم، وقر فقال شاعر:

قَرَزْتُ وَأَسْلَمْتُ ابْنَ أُمِّكَ عَامِرًا يُلَاعِبُ أَطْرَافَ الْوَشِيحِ الْمُرْغَزِ

فَسُمِّي مُلَاعِبَ الْأَسِيَّةِ، وَمُلَاعِبُ الرُّمَاحِ. قال لبيد:

وإِنْنِي مُلَاعِبُ الرُّمَاحِ وَمِذْرَةُ الْكَتِيبَةِ الرَّدَاحِ

(١) انظر البداية (٧١/٤) تاريخ الطبري (٥٤٥/٢) الواقدي (٣٤٦/١) الكامل (٦٣/٢) النويري (١٣٠/١٧) عيون الأثر (٦١/٢) الطبقات (٣٩/١/٢) الدلائل (٢٣٨/٣) ابن حزم (٢١٧) الاكتفاء (١٤٢/٢) المنتظم (١٩٨/٣) المواهب (١٣٣/١) الزاد (٢٤٦/٣).

(٢) انظر البخاري (٢٩٧/٧) ومسلم في الإمارة (٣١) وأحمد (١٣٧/٣) (٢١٠/٢٧٠/٢٨٩).

رجال البعث :

فبعث رسول الله ﷺ المُنذر بن عمرو، أخا بني ساعدة، المُغْنِق لِيَمُوت في أربعين رجلاً من أصحابه، من خيار المسلمين : منهم : الحارثُ بن الصُّمَّة، وحَرام بن مَلْحان أخو بني عَدِيّ بن النُّجَّار، وعُزوةُ بن أسماء بن الصَّلْتِ السُّلَمي، ونافع بن بُدَيْل بن وَرْقَاء الخُزَاعِيّ، وعامر بن فهيرة، مولى أبي بكر الصديق، في رجال مُسَمَّين من خيار المسلمين . فساروا حتى نزلوا ببئر مَعُونَة، وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سُليم، كلا البلدين منها قريب، وهي إلى حرّة بني سُليم أقرب .

عامر يقتل صحابيًا :

فلما نزلوها بعثوا حَرام بن مَلْحان بكتابِ رسولِ الله ﷺ - إلى عَدُوّ الله عامر بن الطُّفَيْل ؛ فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم بني عامر، فأبوا أن يُجيبوه إلى ما دعاهم إليه، وقالوا: لن نُخْفِرَ أبا براء، وقد عقد لهم عقدًا وجوارًا؛ فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُليم من عُصَيَّة ورِغْل وذُكْوَان، فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غَشَوْا القَوْمَ، فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم،

وهو عَمُّ لَبِيد بن ربيعة، وكانوا إخوةَ خَمْسَة: طُفَيْلُ فارِس قُرْزِل، وعامِرٌ مُلَاعِبُ الأَسِنَّة، ورَبِيعَةُ المُقْتَرِين وهو والد لبيد، وعُبَيْدَةُ الوَضَّاح، ومعاوية مُعَوِّذُ الحُكَمَاء وهو الذي يقول:

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا
وفي هذا الشعر يقول:

يَعُوذُ مِثْلَهَا الحُكَمَاءُ بَعْدِي إِذَا مَا الأَمْرُ فِي الحَدَثَانِ نَابَا
وبهذا البيت سُمِّي مُعَوِّذُ الحُكَمَاء .

شعر لبيد عن ملاعب وإخوته أمام النعمان :

وإياهم عَنَى لَبِيدُ حِينَ قَالَ بَيْنَ يَدَيِ النُّعْمَانِ بنِ المُنْدِرِ:

نَحْنُ بَنِي أُمِّ البَنِينِ الأَرْبَعَةِ الْمُطْمِعُونَ الجَفْنَةَ المُدْغَدَعَةَ
والضَّارِبُونَ الهَامَ تَحْتَ الخَيْضَعَةِ يَا رَبَّ هِنَجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَةِ

ثم ذكر الرُّبَيْعُ بن زِيَادٍ [العَبْسِي] فقال:

مَهْلًا أَبَيْتَ اللُّغْنَ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ

ثم قاتلوهم حتى قُتلوا من عند آخرهم، يرحمهم الله، إلا كعب بن زيد، أخا بني دينار بن النجار، فإنهم تركوه وبه رَمَق، فارتث^(١) من بين القتلى، فعاش حتى قُتل يوم الخندق شهيداً، رحمه الله.

ابن أمية والمنذر وموقفهما من القوم بعد علمهما بمقتل أصحابهما:

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري، ورجل من الأنصار، أحد بني عمرو بن عوف.

قال ابن هشام: هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح.

قال ابن إسحق: فلم يُنبئهما بمُصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر، فقلا: والله إن لهذه الطير لساناً، فأقبلا لينظرا، فإذا القوم في دمائهم، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة. فقال الأنصاري لعمرو بن أمية: ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ، فتخبره الخبر، فقال الأنصاري: لكن ما كنت لأرغب بنفسِي عن موطن قُتل فيه المنذر بن عمرو، وما كنت لتُخبرني عنه الرجال؛ ثم قاتل القوم حتى قُتل، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً؛ فلما أخبرهم أنه من مُضر، أطلقه عامر بن الطفيل، وجزّ ناصيته، وأعتقه عن رَقبة زعم أنها كانت على أمه.

إلى آخر الرجز في خبر طويل، إنما قال: الأربعة، وهم خمسة، لأن أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك، لا كما قال بعض الناس، وهو قول يُغزى إلى الفراء أنه قال: إنما قال أربعة، ولم يقل خمسة من أجل القوافي، فيقال له: لا يجوز للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن، وأعجب من هذا أنه استشهد به على تأويل فاسد تأوله في قوله سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ [الرحمن: ٤٦] وقال: أراد جنة واحدة، وجاء بلفظ التثنية، لتتفق رؤوس الآي، أو كلاماً هذا معناه، فصمّي صمّام ما أشنع هذا الكلام، وأبعده عن العلم، وفهم القرآن: وأقل هيبة قائله من أن يتبوأ مفعده من النار، فحذار منه حذار. ومما يدلّك أنهم كانوا أربعة حين قال لييد هذه المقالة أن في الخبر ذكر يتم لييد وصغر سنّه، وأن أعمامه الأربعة استضعفوه أن يَدْخلوه معهم على النعمان حين همّهم ما قاولهم به الربيع بن زياد، فسمعهم لييد يتحدثون بذلك، ويهتمون له، فسألهم أن يَدْخلوه معهم على النعمان، وزعم أنه سيفجّمه فتهاوّنوا بقوله، حتى اختبروه بأشياء مذكورة في الخبر، فبان بهذا كله أنهم كانوا أربعة، ولو سكت الجاهل لقلّ الخلاف والحمد لله.

(١) ارتث: أي رفع جريحاً.

قتل العامريين :

فخرج عمرو بن أميَّة، حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة^(١)، أقبل رجلان من بني عامر.

قال ابن هشام: ثم من بني كلاب، وذكر أبو عمرو المدني أنهما من بني سليم.

قال ابن إسحق: حتى نزلا معه في ظل هو فيه. وكان مع العامريين عقد من رسول الله ﷺ وجوار، لم يعلم به عمرو بن أميَّة، وقد سألهما حين نزلا، ممن أنتما؟ فقالا: من بني عامر، فأمهلهم، حتى إذا ناما، عدا عليهما فقتلهما، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثورة من بني عامر، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ، فلما قدم عمرو بن أميَّة على رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر، قال رسول الله ﷺ: «لقد قتلت قتيلين، لأدينهما!».

كراهية الرسول عمل أبي براء:

ثم قال رسول الله ﷺ: هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارها متخوفا. فبلغ ذلك أبا براء، فشق عليه إخفار عامر إياه، وما أصاب أصحاب رسول الله - ﷺ بسببه وجواره؛ وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة.

ابن فهيرة والسماء

قال ابن إسحق: فحدثني هشام بن عروة، عن أبيه: أن عامر بن الطفيل كان يقول: مَنْ رَجُلٌ مِنْهُمْ لَمَّا قُتِلَ رَأَيْتَهُ رُفِعَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى رَأَيْتَ السَّمَاءَ مِنْ دُونِهِ؟ قَالُوا: هُوَ عَامِرُ بْنُ فَهَيْرَةَ.

مصير ابن فهيرة

وذكر ابن إسحق عن هشام بن عروة عن أبيه أن عامر بن الطفيل قال يومئذ: مَنْ رَجُلٌ لَمَّا طَعَنَتْهُ رُفِعَ حَتَّى رَأَيْتُ السَّمَاءَ مِنْ دُونِهِ. هذه رواية البكائي عن ابن إسحق، وروى يونس بن بكير عنه بهذا الإسناد أن عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك، وقال للنبي عليه السلام: مَنْ رَجُلٌ يَا مُحَمَّدُ لَمَّا طَعَنَتْهُ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ؟ فَقَالَ: هُوَ عَامِرُ بْنُ فَهَيْرَةَ وَرَوَى

(١) هي قرقرة الكدر: موضع بناحية المعدن قريب من الأرحضية، بينه وبين المدينة ثمانية برد، وقناة واد يأتي من الطائف.

سبب إسلام ابن سلمى:

قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض بني جَبَّار بن سَلْمَى بن مالك بن جعفر، قال: - وكان جَبَّار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم - (قال) فكان يقول: إن مما دعاني إلى الإسلام أني طعنت رجلاً منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره، فسمعتة يقول: فُزْتُ والله! فقلت في نفسي: ما فاز! ألسْتُ قد قتلْتُ الرجل! قال: حتى سألت بعد ذلك عن قوله، فقالوا: للشهادة؛ فقلت: فاز لعمرو الله.

شعر حسان في تحريض بني أبي براء على عامر:

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يحرض بني أبي براء على عامر بن الطفيل:

بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَلَمْ يَرُغْكُم	وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدٍ
تَهَكُّمُ عَامِرٍ بِأَبِي بَرَاءٍ	لِيُخَفِّرَهُ وَمَا خَطَأُ كَعْمَدٍ
أَلَا أَبْلِغُ رَبِيعَةَ ذَا الْمَسَاعِي	فَمَا أَحْدَثَتْ فِي الْحَدَثَانِ بَعْدِي
أَبُوكَ أَبُو الْحُرُوبِ أَبُو بَرَاءٍ	وَخَالَكَ مَا جَدُّ حَكَمَ بَنُ سَعْدٍ

نسب حكم وأم البنين:

قال ابن هشام: حكم بن سعد: من القَيْن بن جَسْر؛ وأم البنين: بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صَغَصعة وهي أم أبي براء.

عبد الرَّزَّاقِ وابنُ المُبَارَكِ أن عامر بن فُهَيْرَةَ التَّمِيسَ في القَتْلَى يومئذ، فَقِد، فيرون أن الملائكة رفعته أو دَفَنَتْه.

أم البنين الأربعة:

وذكر قول حسان:

بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَلَمْ يَرُغْكُم	وَأَنْتُمْ فِي ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدٍ
وهذه أم البنين التي ذكر لييد في قوله:	

نحن بني أم البنين الأربعة

واسمها: لَيْلى بنتُ عامر - فيما ذكروا وقد ذكر ابن هشام نسبها، ولم يذكر اسمها.

طعن ربيعة لعامر:

قال ابن إسحاق: فحمل ربيعة (بن عامر) بن مالك على عامر بن الطفيل، فطعنه بالرمح، فوقع في فخذه، فأشواه، ووقع عن فرسه، فقال: هذا عمل أبي براء، إن أمت قدمي لعمي، فلا يتبعن به، وإن أعش فسأرى رأيي فيما أتى إلي.

مقتل ابن ورقاء ورثاء ابن رواحة له:

وقال أنس بن عباس السلمي، وكان خال طعيمة بن عدي بن نوفل، وقتل يومئذ نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي:

تركتُ ابنَ ورقاءِ الخزاعيِّ ثاويًا بمُغْتَرَكٍ تَسْفِي عليه الأعاصِرُ
ذكرتُ أبا الزَّيَّانِ لما رأيته وأيقنتُ أني عند ذلك ثائر
وأبو الزَّيَّانِ: طُعيمة بن عدي.

وقال عبدُ الله بن رَواحة يبيكي نافع بن بديل بن ورقاء:

رَحِمَ اللهُ نافعَ بن بديلٍ رحمةَ المُبتَغى ثواب الجهادِ
صابر صادق وفي إذا ما أكثرَ القومُ قال قولَ السُّدادِ

شعر حسان في بكاء قتلى بئر معونة:

وقال حسان بن ثابت يبيكي قتلى بئر معونة، ويخصُّ المُنذر بن عمرو:

على قَتْلَى مَعُونَةٍ فاستهلي بدفعِ العَيْنِ سَحًّا غير نَزْرٍ
على خَيْلِ الرُّسُولِ غداةَ لاقوا مَنايَاهُم ولاقَتْهُم بِقَدْرٍ

وذكر قول أنس بن عباس السلمي:

تركتُ ابنَ ورقاءِ الخزاعيِّ ثاويًا بمُغْتَرَكٍ تَسْفِي عليه الأعاصِرُ
ذكرتُ أبا الزَّيَّانِ لما رأيته وأيقنتُ أني عند ذلك ثائرُ

الزبان أو الريان:

هكذا وقع في النسخة أبا الزبان، وفي رواية إبراهيم بن سعد: أبا الريان بالراء المهملة، وبالياء أخت الواو، وهكذا ذكره الدارقطني في المؤتلف والمختلف، كما في رواية إبراهيم بن سعد.

أَصَابَهُمُ الْفَنَاءُ بَعَثَ قَوْمٌ نُخُونُ عَقْدُ حَبْلِهِمْ بَغْدَرُ
فِيَا لَهْفِي لِمُنْذِرٍ إِذْ تَوَلَّى وَأَعْنَقُ فِي مَنِيَّتِهِ بَصْبَرُ
وَكَائِنٌ قَدْ أَصِيبُ غَدَاةَ ذَاكُم مَنْ أَبْيَضَ مَا جِدَ مِنْ سَرِّ عَمْرُو
قال ابن هشام: أنشدني آخرها بيتا أبو زيد الأنصاري.

شعر كعب في يوم بئر معونة:

وأنشدني لكعب بن مالك في يوم بئر معونة، يُعَيِّرُ بني جعفر بن كلاب:
تَرَكْتُمْ جَارَكُمْ لِبَنِي سُلَيْمٍ مَخَافَةَ حَرْبِهِمْ عَجْزًا وَهُونًا
فَلَوْ حَبَلًا تَنَاوَلَ مِنْ عُقِيلٍ لَمَدَ بِحَبْلِهَا حَبَلًا مَتِينًا
أَوِ الْقُرْطَاءِ مَا إِنْ أَسْلَمُوهُ وَقَدْ مَا وَقَوْا إِذْ لَا تَفُونَا

نسب القرطاء

قال ابن هشام: القرطاء: قبيلة من هوازن، ويروى «من نفيل» مكان «من عقيل»، وهو الصحيح؛ لأن القرطاء من نفيل قريب.

القرطاء

وذكر شعر كعب وفيه: أَوِ الْقُرْطَاءِ مَا إِنْ أَسْلَمُوهُ. القرطاء: هم بنو قُرْطٍ وقُرَيْطٍ وقُرَيْطٍ، وهم أَبْنُطٌ من بني عَامِرٍ ثم من بني كِلَابٍ.

شيء منسوخ:

ولما قتل أصحاب بئر معونة نزل فيهم قرآن، ثم رُفِعَ: أَنْ أَبْلَغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا
فَرَضِي عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ، فثبت هذا في الصحيح؛ وليس عليه رَوْنَقُ الإعجاز، فيقال: إنه لم
يُنْزَلْ بهذا النظم، ولكن بِنَظْمٍ مُعْجَزٍ كَنَظْمِ الْقُرْآنِ.

فإن قيل: إنه خَبَرٌ والخَبَرُ لا يدخله النسخ، قلنا: لم يُنسخ منه الخبر، وإنما نُسخَ منه
الحكم، فإنَّ حُكْمَ الْقُرْآنِ أَنْ يُتْلَى فِي الصَّلَاةِ، وَأَنْ لَا يَمَسَّهُ إِلَّا طَاهِرٌ، وَأَنْ يُكْتَبَ بَيْنَ
الْبُؤْحَيْنِ، وَأَنْ يَكُونَ تَعْلَمُهُ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ، فَكُلُّ مَا نُسخَ، وَرَفَعَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْأَحْكَامُ،
وإن بقي محفوظًا، فإنه منسوخٌ، فإن تضمن حكمًا جاز أن يبقى ذلك الحكم معمولًا به،
وأنكرت ذلك المعتزلة، وإن تضمن خبرًا بقي ذلك الخبر مُصَدِّقًا به، وأحكام التلاوة منسوخة

عنه، كما قد نزل: «لو أن لابن آدمَ واديين من ذهبٍ لابتغى لهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»^(١).

ويُروى: لا يملأ عيني ابن آدمَ، وفم ابن آدمَ، كل ذلك في الصحيح، وكذلك روي: وادياً من مالٍ أيضاً، فهذا خبرٌ حقٌّ، والخبر لا يُنسخ، ولكن يُسَخ من أحكام التلاوة له، وكانت هذه الآية أعني قوله: لو أن لابن آدمَ في سورة يونس بعد قوله: كأن لم تغن بالأمس كذلك نُفصل الآيات لقوم يتفكرون، كذلك قال ابن سلام، وأما الحكم الذي بقي، وكان قرأنا يُتلى: «فالشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنِيَا، فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالاً مِنْ اللَّهِ، وَلَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَإِنْ ذَلِكَ كُفِّرَ بِكُمْ»^(٢)، فهذا حكمٌ كان نسخُه جائزاً حين نسخ حكم التلاوة، وكان جائزاً أن يبقى حكم التلاوة، وينسخ هذا الحكم بخلاف هذا الخبر كما تقدّم.

(١) أخرجه البخاري (١١٥/٨) وأحمد (١٦٨/٣) والترمذي (٣٧٩٣) وابن ماجه (٤٢٣٥) وابن حبان (٤٨٤ - موارد).

(٢) انظر أحمد (١٨٣/٥) والبيهقي (٢١١/٨) والدارمي (١٧٩/٢) والقرطبي في تفسيره (٨٩/٥) وفتح الباري (٦٥/٩).

أمر إجلاء بني النضير في سنة أربع

بنو النضير يأتَمرون بالرسول ﷺ:

قال ابن إسحق: ثم خرج رسولُ الله ﷺ إلى بني النضير يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَّةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ مِنْ بَنِي عَامِرٍ، اللَّذَيْنِ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِي، لِلْجَوَارِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَقَدَ لَهُمَا، كَمَا حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، وَكَانَ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَيْنَ بَنِي عَامِرٍ عَقْدٌ وَحِلْفٌ.

فَلَمَّا أَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَّةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ، قَالُوا: نَعَمْ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ، نُعِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ، مِمَّا اسْتَعَنْتَ بِنَا عَلَيْهِ. ثُمَّ خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا الرَّجُلَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ هَذِهِ - وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بَيُوتِهِمْ قَاعِدٌ - فَمَنْ رَجُلٌ يَعْلُو عَلَى هَذَا الْبَيْتِ، فَيُلْقَى عَلَيْهِ صَخْرَةٌ، فَيَرِيحُنَا مِنْهُ؟ فَانْتَدَبَ لِذَلِكَ عَمْرُو بْنُ جِحَاشٍ بْنُ كَعْبٍ، أَحَدُهُمْ، فَقَالَ: أَنَا لَذَلِكَ، فَصَعِدَ لِيُلْقَى عَلَيْهِ صَخْرَةٌ كَمَا

غزوة بني النضير وما نزل فيها^(١)

ذكر ابن إسحق هذه الغزوة في هذا الموضع، وكان ينبغي أن يذكرها بعد بذرٍ، لما روى عقيل بن خالد وغيره عن الزُّهري، قال: كانت غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ بَعْدَ بَذَرٍ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ.

(١) انظر الواقدي (٣٦٣/١) الطبقات (٤٠/٢/١) تاريخ الطبري (٥٥٠/٢) البداية (٧٤/٤) الكامل (٦٤/٢) الاكتفاء (١٤٦/٢) المنتظم (٢٠٣/٣) ابن حزم (١٨١) عيون الأثر (٦١/٢) السيرة الحلبية (٣٤٤/٢) الشامية (٩/٤) أنساب الأشراف (١٦٣/١) الدرر لابن عبد البر (١٦٤) النويري (١٣٧/١٧). وانظر البخاري (٨٨/٥) الدلائل (١٧٦/٣) (٣٥٤) الفتح (٣٢٩/٧).

قال، ورسولُ الله ﷺ في نَفَرٍ من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي، رضوان الله عليهم.

الله يُعلم نبيّه بما دبّروا:

فأتى رسولُ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما أراد القومُ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، فلما استلبث النبيُّ ﷺ أصحابه، قاموا في طلبه، فلَقُوا رجلاً مُقبلاً من المدينة، فسألوه عنه؛ فقال: «رأيتُه داخلاً المدينة». فأقبل أصحابُ رسول الله ﷺ، حتى انتهوا إليه ﷺ، فأخبرهم الخبرَ، بما كانت اليهودُ أرادت من الغدر به، وأمر رسولُ الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم، والسَّير إليهم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

قال ابن إسحق: ثم سار النَّاسُ حتى نزل بهم.

قال ابن هشام: وذلك في شهر ربيع الأول، فحاصروهم ستَّ ليالٍ؛ ونزل تحريم الخمر.

حصار الرسول لبني النضير:

قال ابن إسحق: فتحصَّنوا منه في الحصون، فأمر رسولُ الله - ﷺ - بقطع النَّخيل والتَّحريق فيها، فنادَوْه: أن يا محمد، قد كنتَ تُنهي عن الفساد، وتعييه على مَنْ صنَّعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟

قطع اللينة وتأويله:

وذكر نزول رسول الله - ﷺ - ببني النضير، وسيره إليهم حين نقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه، وهموا بقتله، فلما تحصَّنوا في حصونهم وحرق نخلهم نادَوْه أن يا محمد، قد كنتَ تُنهي عن الفساد وتعييه، وذكر الحديث. قال أهل التأويل: وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شيء، حتى أنزل الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾ [الحشر: ٥] الآية. واللينة ألوان الثمر ما عدا العجوة والبرني ففي هذه الآية أن النبي - ﷺ - لم يحرق من نخلهم إلا ما ليس بقوة للناس، وكانوا يفتاتون العجوة، وفي الحديث: «العجوة من الجنة»^(١)، وثمرها يغذو أحسن غذاء، والبرني أيضاً كذلك. وقال أبو

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٦٦ / ٢٠٦٨) وابن ماجه (٣٥٤٣ / ٣٥٤٥) وأحمد (٣٠١ / ٢) / ٣٠٥) والدارمي (٣٣٨ / ٢).

تحريض الرهط لهم ثم محاولتهم الصلح:

وقد كان رَهْط من بني عَوْف بن الخزرج، منهم (عدُو الله) عبدُ الله بن أبي ابن سلول، ووديعة، ومالك بن أبي قَوْقل، وسُوَيْد وداعِس، قد بعثوا إلى بني النُّضِير: أن اثبتوا وتمنعوا، فإنَّا لن نُسلمكم، إن قوتلتُم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خَرَجنا معكم، فترَبَّصوا ذلك من نَضْرهم، فلم يفعلوا، وقَذَف الله في قلوبهم الرُّعب، وسألوا رسولَ الله ﷺ أن يُجْلِيَهُمْ ويكفَّ عن دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحَلَقَة، ففعل. فاحتملوا من أموالهم ما استقلَّت به الإبلُ، فكان الرجلُ منهم يَهْدِه بيته عن نِجَافِ بابه، فيضعه على ظَهر بعيْره، فينطلق به. فخرجوا إلى خَيْبَر ومنهم مَنْ سار إلى الشام.

من هاجر منهم إلى خيبر:

فكان أشرفُهم مَنْ سار منهم إلى خَيْبَر: سلامُ بن أبي الحَقِيق، وكنانة بن الرِّبيع بن أبي الحَقِيق، وحَيِّي بن أخطب. فلما نزلوها دان لهم أهلها.

قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حَدَّث: أنهم استقلُّوا بالنساء والأبناء والأموال، معه الدُّفوف والمزامير، والقيان يَغزفن خلفهم، وإنَّ فيهم لَأُمَّ عَمْرٍو صاحبةَ عُرْوَة بن الورد العبسي، التي ابتاعوا منه، وكانت إحدى نساء بني غِفَار، بزُهَاءٍ وفَخْرٍ ما رُئي مثله من حيٍّ من الناس في زمانهم.

تقسيم الرسول أموالهم بين المهاجرين:

وخلَّوا الأموال لرسول الله ﷺ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصَّة، يضعها حيث يشاء، فقَسَمها رسولُ الله ﷺ على المهاجرين الأولين دون الأنصار. إلا أن سَهْل بن حُنَيْف وأبا دُجَانَة سِمَاك بن خَرْشَة ذكرا فقرا، فأعطاهما رسولُ الله ﷺ.

حنيفة: معناه بالفارسية حِمْلٌ مُبَارَكٌ، لأن بَرَّ معناه: حِمْلٌ، ونبي معناه جَيِّدٌ، أو مُبَارَكٌ فَعَرَّبته العربُ، وأدخلته في كلامها، وفي حديث وفد عبد القيس أن رسولَ الله - ﷺ - قال لهم، وَذَكَرَ الْبَرَنِيُّ: إنه من خير تَمَرِكُم، وإنه دواءٌ وليس بِدَاءٍ، رواه منهم مَزِيدَةُ الْعَصْرِيِّ، ففي قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ﴾ ولم يقل: من نَخْلَةٍ على العموم: تنبيهٌ على كراهة قطع ما يُقْتَاتُ وَيَغْدُو من شَجَرِ الْعَدُوِّ إذا رُجِي أن يصيرَ إلى المسلمين، وقد كان الصُّدِيق - رضي الله عنه - يوصي الجيوشَ ألا يَقْطَعُوا شَجَرًا مُثْمِرًا، وأخذ بذلك [أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو] الأوزاعي، فإِذَا تَأَوَّلُوا حديثَ بني النُّضِير، وإِذَا رَأَوْه خَاصًّا لِلنَّبِيِّ عليه السلام، ولم

من أسلم من بني النضير:

ولم يُسلم من بني النضير إلا رجلان: يامين بن عمر، أبو كعب بن عمرو بن جحاش؛ وأبو سعد بن وهب، أسلما على أموالهما فأخرزاها.

تحريض يامين على قتل ابن جحاش:

قال ابن إسحاق: - وقد حدثني بعض آل يامين: أن رسول الله ﷺ قال ليامين: ألم تر ما لقيت من ابن عمك، وما هم به من شائي؟ فجعل يامين بن عمر لرجل جعل جُعلًا على أن يقتل له عمرو بن جحاش، فقتله فيما يزعمون.

ما نزل في بني النضير من القرآن

ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته. وما سلط عليهم به رسوله ﷺ، وما عمل فيه فيهم، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذا احتملوها. ﴿فَاغْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ وكان لهم من الله نقمة، ﴿لَعَذَّبْنَا فِي الدُّنْيَا﴾: أي بالسيف، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ مع ذلك. ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾. واللين: ما خالف العجوة من النخل ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾: أي فبأمر الله قطعت، لم يكن فسادًا، ولكن كان نقمة من الله ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾.

يختلفوا أن سورة الحشر نزلت في بني النضير، ولا يختلفوا في أموالهم، لأن المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب، وإنما قذف الرعب في قلوبهم وجلّوا عن منازلهم إلى خيبر، ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم، فقسمها النبي ﷺ - بين المهاجرين، ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار، إذ كانوا قد ساهموا في الأموال والديار، غير أنه أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما، وقال غير ابن إسحاق: وأعطى ثلاثة من الأنصار، وذكر الحارث بن الصمة فيهم.

حول أول سورة الحشر

وقوله سبحانه: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: ٢]. أي: يُخْرِبُونَهَا مِنْ دَاخِلٍ، والمؤمنون من خارج، وقيل: معنى بأيديهم بما كسبت أيديهم من نقض العهد، وأيدي المؤمنين، أي: بجهادهم.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: اللينة: من الألوان، وهي ما لم تكن برنيّة ولا عَجوة من النخل،
فيما حدّثنا أبو عُبيدة. قال ذو الرّمة:

كَأَنَّ قُتُودِي فَوْقَهَا عُشٌّ طَائِرٌ عَلَى لِينَةٍ سَوَقَاءَ تَهْفُو جُنُوبَهَا
وهذا البيت في قصيدة له.

﴿وما أفاء الله على رسوله منهم﴾ - قال ابن إسحاق: يعني من بني النضير - ﴿فَمَا
أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي له خاصة.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: أوجفتم: حركتم وأتعبتم في السير. قال تميم بن أبي بن مُقبل أحد
بني عامر بن صَغَصعة:

مذاويد بالبيض الحديثِ صقالها عن الرّكب أحيانًا إذا الركبُ أوجفوا
وهذا البيت في قصيدة له، وهو الوجيف. (و) قال أبو زيد الطائي، واسمه
حرّملة بن المُنْذِر:

مُسْنَفَاتُ كَأَنَّهُنَّ قَنَا الْهِنْدَ لِطُولِ الْوَجِيفِ جَذَبَ الْمَرُودَ
وهذا البيت في قصيدة له.

وقوله: (لأَوَّلِ الْحَشْرِ)، روى موسى بن عُقْبَةَ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: إِلَى أَيْنَ تَخْرُجُ يَا مُحَمَّدٌ؟
قال: إِلَى الْحَشْرِ، يعني: أَرْضَ الْمَحْشَرِ، وهي الشَّامُ، وقيل: إِنَّهُمْ كَانُوا مِنْ بَسْطٍ لَمْ يُضْبَهُمْ
جَلَاءُ قَبْلَهَا، فَلِذَلِكَ قَالَ: لأَوَّلِ الْحَشْرِ، وَالْحَشْرُ: الْجَلَاءُ، وقيل: إِنَّ الْحَشْرَ الثَّانِي، هُوَ
حَشْرُ النَّارِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ فَتَحْشُرُ النَّاسَ إِلَى الْمَوْقِفِ، تَبَيَّتْ مَعَهُمْ، حَيْثُ بَاتُوا،
وَتَقِيلُ مَعَهُمْ قَالُوا، وَتَأْكُلُ مَنْ تَخْلَفُ، وَالآيَةُ مُتَضَمِّنَةٌ لِهَذِهِ الْأَقْوَالِ كُلِّهَا، وَلِزَائِدِ عَلَيْهَا، فَإِنْ
قَوْلُهُ: لأَوَّلِ الْحَشْرِ يُؤْذِنُ أَنَّ ثَمَّ حَشْرًا آخَرَ، فَكَانَ هَذَا الْحَشْرُ وَالْجَلَاءُ إِلَى خَيْبَرَ، ثُمَّ أَجْلَاهُمْ
عُمَرُ مِنْ خَيْبَرَ إِلَى تَيْمَاءَ وَأَرِيحَا، وَذَلِكَ حِينَ بَلَغَهُ التَّثْبُتُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَبْقَيْنَ
دِينَانَ بِأَرْضِ الْعَرَبِ»^(١).

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٤٦٣/٦).

قال ابن هشام: السُّنَاف: البِطَان. والوجيف (أيضاً): وجيف القلب والكبد، وهو الضَّربان. قال قيس بن الخطيم الظَّفري:

إِنَّا وَإِنْ قَدَّمُوا الَّتِي عِلْمُوا أَكْبَادُنَا مِنْ وَرَائِهِمْ تَجِف
وهذا البيت في قصيدة له.

﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى لله وللرسول﴾ - قال ابن إسحاق: ما يُوجِف عليه المسلمون بالخيول والركاب، وفتح بالحرب عنوة لله وللرسول - ﴿ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلاً يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾. يقول: هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين، على ما وضعه الله عليه.

ثم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ يعني عبد الله بن أبي وأصحابه، ومن كان على مثل أمرهم ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: يعني بني النضير، إلى قوله: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: يعني بني قينقاع. ثم القصة.. إلى قوله: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

ما قيل في بني النضير من الشعر:

وكان مما قيل في بني النضير من الشعر قول ابن لُقَيْم العِثمي، ويقال: قاله قيس بن بخر بن طريف. قال ابن هشام: قيس بن بخر الأشجعي - فقال:

وقوله: ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: ٢]، يقال: نَزَلَتْ فِي قَتْلِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ.

وقوله تعالى: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ [الحشر: ٧]. ورُوي عن مالك أنه قال: هم بنو قريظة، وأهل التأويل على أنها عامة في جميع القرى الْمُفْتَتَحَةِ على المسلمين وإن اختلفوا في حُكْمِهَا، فرأى قوم قَسَمَهَا كَمَا تُقَسَمُ الْغَنَائِمُ، ورأى بعضهم للإمام أن يَقْفَهَا، وسيأتي بيان هذه المسألة في غزوة خيبر إن شاء الله.

أَهْلِي فِدَاءَ لَامِرِي غَيْرِ هَالِكِ
يَقِيلُونَ فِي جَمْرِ الْغَضَاةِ وَبُدِّلُوا
فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا بِمُحَمَّدٍ
يَوْمَ بِهَا عَمَرَوْ بِنُ بُهْثَةٍ إِنَّهُمْ
عَلَيْهِنَّ أَبْطَالُ مَسَاعِيرُ فِي الْوَعَى
وَكُلُّ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ مَهْنَدُ
فَمَنْ مُبْلَغُ عَنِّي قُرَيْشًا رِسَالَةً
بَأَنَّ أَخَاكُمْ فَاعْلَمَنَّ مُحَمَّدًا
فَدِيثُوا لَهُ بِالْحَقِّ تَجَسُّمُ أُمُورِكُمْ
نَبِيٍّ تَلَاقَتْهُ مِنْ اللَّهِ رَحْمَةً
فَقَدْ كَانَ فِي بَذْرِ لَعْمَرِي عِبْرَةً
غَدَاةً أَتَى فِي الْخَزَرْجِيَّةِ عَامِدًا

أَحَلَّ الْيَهُودَ بِالْحَسِيِّ الْمُزْنَمِ^(١)
أَهْنِضِبْ عُودِي بِالْوَدِيِّ الْمُكَمَّمِ
تَرَوْا خَيْلَهُ بَيْنَ الصَّلَا^(٢) وَيَزْمَرِ
عَذْوٍ وَمَا حَيَّ صَدِيقُ كُمُجْرِمِ
يَهْزُونَ أَطْرَافَ الْوَشِيحِ^(٣) الْمُقَوْمِ
تُؤَوِّرُنَّ مِنْ أَزْمَانٍ عَادٍ وَجُرْهَمِ
فَهَلْ بَعْدَهُمْ فِي الْمَجْدِ مِنْ مُتَكَرَّمِ
تَلِيدُ النَّدَى بَيْنَ الْحَجَّونِ وَزَمَزَمِ
وَتَسْمُوا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى كُلِّ مِعْظَمِ
وَلَا تَسْأَلُوهُ أَمْرَ غَيْبٍ مُرْجَمِ
لَكُمْ يَا قُرَيْشًا وَالْقَلِيبِ الْمُلَمَّمِ
إِلَيْكُمْ مُطِيعًا لِلْعَظِيمِ الْمُكَرَّمِ

وذكر شِعْرُ الْعَبْسِيِّ فِي إِجْلَاءِ الْيَهُودِ، فَقَالَ:

أَحَلَّ الْيَهُودَ بِالْحَسِيِّ الْمُزْنَمِ

يريد: أَحَلَّهُمْ بَارِضَ غُرْبَةٍ، وَفِي غَيْرِ عَشَائِرِهِمْ، وَالزَّيْنِمُ وَالْمُزْنَمُ: الرَّجُلُ يَكُونُ فِي الْقَوْمِ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ، أَيْ أَنْزَلَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْحَسِيِّ، أَيْ: الْمُبْعَدُ الطَّرِيدُ، وَإِنَّمَا جُعِلَ الطَّرِيدُ الدَّلِيلُ حَسِيًّا لِأَنَّهُ غُرْضَةُ الْأَكْلِ، وَالْحَسِيُّ وَالْحَسُوُّ مَا يُحْسَى مِنَ الطَّعَامِ حَسَوًا، أَيْ أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ عَلَى أَكْلِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِالْحَسِيِّ مَعْنَى الْغَذِيِّ مِنَ الْغَنَمِ، وَهُوَ الصَّغِيرُ الضَّعِيفُ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الرُّغْيَ، يُقَالُ: بُدِّلُوا بِالْمَالِ الدَّثَرِ وَالْإِبِلِ الْكُومِ رُذَالَ الْمَالِ وَغِذَاءَ الْغَنَمِ، وَالْمُزْنَمُ مِنْهُ، فَهَذَا وَجْهٌ يَحْتَمَلُ، وَقَدْ أَكْثَرُ النَّقِيرُ عَنِ الْحَسِيِّ فِي مَضَانِهِ مِنَ اللَّغَةِ فَلَمْ أَجِدْ نَصًّا شَافِيًّا أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِ أَبِي عَلِيٍّ: الْحَسِيَّةُ، وَالْحَسِيُّ مَا يُحْسَى مِنَ الطَّعَامِ، وَإِذَا قَدْ وَجَدْنَا الْغَذِيَّ وَاحِدَ غِذَاءِ الْغَنَمِ، فَالْحَسِيُّ فِي مَعْنَاهُ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ أَنْ يُقَالَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَالْمُزْنَمُ أَيْضًا: صِبَاغُ الْإِبِلِ، وَسَائِرُ هَذَا الشَّعْرِ مَعَ مَا يَعْدَهُ مِنَ الْأَشْعَارِ لَيْسَ فِيهِ عَوِيصٌ مِنَ الْغَرِيبِ، وَلَا مُسْتَعْلَقٌ مِنَ الْكَلَامِ.

(١) المزمم: من دخل في قوم وليس منهم.

(٢) الصلا: وسط الظهر.

(٣) الوشيح: الرماح.

مُعَانَا بِرُوحِ الْقُدُسِ يُنْكِي عَدُوَّهُ رَسُولاً مِنَ الرَّحْمَنِ حَقًّا بَعْلَمَ
رَسُولاً مِنَ الرَّحْمَنِ يَثْلُو كِتَابَهُ فَلَمَّا أَنْارَ الْحَقُّ لَمْ يَتَلَعَّثَمْ
أَرَى أَمْرَهُ يَزْدَادُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ عَلُّوا لِأَمْرِ حَمِّهِ اللَّهُ مُحْكَمَ
قال ابن هشام: عمرو بن بُهثة، من غَطَفَان. وقوله: «بالحسيّ المزنم» عن غير ابن إسحق:

قال ابن إسحق: وقال عليّ بن أبي طالب: يذكر إجلاء بني النضير، وقَتْل كعب بن الأشرف.

قال ابن هشام: قالها رجلٌ من المسلمين غير عليّ بن أبي طالب، فيما ذكر لي بعضُ أهل العلم بالشعر، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلّي:

عرفتُ وَمَنْ يَغْتَدِلُ يَغْرِفُ	وَأَيْقَنْتُ حَقًّا وَلَمْ أَضْدِفِ
عَنِ الْكَلِمِ الْمُحْكَمِ الْإِلَاءِ مِنْ	لَدَى اللَّهِ ذِي الرَّأْفَةِ الْأَرَأَفِ
رِسَائِلُ تُذَرِّسُ فِي الْمُؤْمِنِينَ	بِهَنْ أَصْطَفَى أَحْمَدَ الْمُضْطَفَى
فَأُضْبِحَ أَحْمَدُ فِينَا عَزِيزًا	عَزِيزَ الْمَقَامَةِ وَالْمَوْقِفِ
فِيهَا أَيُّهَا الْمُوْعِدُوه سَفَاهَا	وَلَمْ يَأْتِ جَوْرًا وَلَمْ يَغْنُفِ
أَلَسْتُمْ تَخَافُونَ أَدْنَى الْعَذَابِ	وَمَا آمِنُ اللَّهَ كَالْأَخُوفِ
وَأَنْ تُضْرَعُوا تَحْتَ أَسْيَافِهِ	كَمَضْرَعِ كَعْبِ أَبِي الْأَشْرَفِ
غَدَاةَ رَأَى اللَّهُ طُغْيَانَهُ	وَأَعْرَضَ كَالْجَمَلِ الْأَجْنَفِ ^(١)
فَأَنْزَلَ جَبْرِيلَ فِي قَتْلِهِ	بِوَحْيٍ إِلَى عَبْدِهِ مُلْطَفِ

الكاهنان:

وما ذكر من أمر الكاهنين فهما قُرَيْظَةُ والنُّضِيرُ، وفي الحديث: يخرج في الكاهنين رجل يَدْرُسُ الْقُرْآنَ دَرْسًا لَمْ يَدْرُسْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ، وَلَا يَدْرُسُهُ أَحَدٌ بَعْدَهُ^(٢)، فكانوا يَرَوْنَهُ أَنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبِ الْقُرَظِيِّ وهو محمد بن كعب بن عطية، وسيأتي خبرُ جَدِّهِ عَطِيَّةَ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، وَالْكَاهِنُ فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى الْكَاهِلِ، وهو الذي يقوم بِحَاجَةِ أَهْلِهِ، إِذَا خَلَفَ عَلَيْهِمْ، يُقَالُ: هُوَ كَاهِنُ أَبِيهِ وَكَاهِلُهُ، قاله الهروي، فيحتمل أن يكون سُمِّيَ الْكَاهِنَانِ بهذا.

(١) الأجنف: المنحني الظهر.

(٢) أخرجه أحمد (١١/٦) والبيهقي في الدلائل (٤٩٩/٦).

فَدَسَّ الرَّسُولُ رَسُولًا لَهُ
فَبَاتَتْ عَيُونٌ لَهُ مُغُولَاتٍ
وَقُلْنَ لِأَحْمَدَ ذَرْنَا قَلِيلًا
فَخَلَّاهُمْ ثُمَّ قَالَ أَظْعَنُوا^(١)
وَأَجَلَى النَّضِيرِ إِلَى غُرْبَةٍ
إِلَى أَذْرِعَاتٍ رُدَّافَى وَهُمْ
فَأَجَابَهُ سَمَاكُ الْيَهُودِيِّ، فَقَالَ:

إِنْ تَفَخَّرُوا فَهُوَ فَخْرٌ لَكُمْ
غَدَاةَ غَدَوْتُمْ عَلَى حَتْفِهِ
بِمَقْتَلِ كَغِبِ أَبِي الْأَشْرَفِ
وَلَمْ يَأْتِ غَدْرًا وَلَمْ يُخْلِفْ

خروج بني النضير إلى خيبر:

فصل: وذكر ابن إسحاق خروج بني النضير، إلى خيبر، وأنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموال معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفون خلفهم، وإن فيهم لأمم عمرو صاحبة عروة بن الورد التي ابتاعوا منه، وكان إحدى نساء بني غفار. انتهى كلام ابن إسحاق، ولم يذكر اسمها في رواية البكائي عنه، وذكره في غيرها، وهي سلمى، قال الأضمعي: اسمها: لَيْلَى بنت شغواء، وقال أبو الفرج: هي سلمى أم وهب امرأة من كنانة، كانت ناكحة في مزيعة، فأغار عليها عروة بن الورد، فسباها، وذكر الحديث، وقول أبي الفرج إنها من كنانة لا يدفع قول ابن إسحاق إنها من غفار، لأن غفار من كنانة غفار بن مليل بن ضمرة بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. وعروة بن الورد بن زيد، ويقال: ابن عمرو بن ناشب بن هذم بن عوذ بن غالب بن قطنعة بن عبس، فهو عبسي غطفاني قيسي، لأن عبسا هو ابن بغيض بن ريث بن غطفان قال فيه عبد الملك بن مروان: ما يسرني أن أحدا من العرب ولدني إلا عروة بن الورد لقوله:

أَتَهَزَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتَ، وَقَدْ تَرَى
إِنِّي أَمْرُؤُ عَافِي إِنَائِي شِرْكَةً
أَقْسَمُ جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ
بِجِسْمِي مَسَّ الْحَقُّ وَالْحَقُّ جَاهِدُ
وَأَنْتَ أَمْرُؤُ عَافِي إِنَائِكَ وَاحِدُ
وَأَخْسُو قَرَاخَ الْمَاءِ وَالْمَاءِ بَارِدُ^(٤)

(١) أظعنوا: ارتحلوا.

(٣) الأنف: السابق.

(٢) دحورًا: مهزومين.

(٤) انظر الأمالي للقالبي (٢/٢٠٤).

فَعَلَ اللَّيَالِي وَصَرَفَ الدُّهُورَ يُدِيلُ مِنَ الْعَادِلِ الْمُنْصِيفِ
بِقَتْلِ النَّضِيرِ وَأَخْلَافِهَا وَعَقْرِ النَّخِيلِ وَلَمْ تُقْطَفِ
فَإِنْ لَا أُمْتُ نَأْتُكُمْ بِالْقَنَا وَكُلِّ جُسامٍ مَعَا مَرْهَفِ
بَكْفٍ كَمِيٍّ بِهِ يَخْتَمِي مَتَى يَلْقَى قِرْنًا لَهُ يُثْلِفِ
مَعَ الْقَوْمِ صَخْرٌ وَأَشْيَاغُهُ إِذَا غَاوَرَ الْقَوْمَ لَمْ يَضْعُفِ
كَلَيْثٌ بِتَرْجٍ حَمَى غِيْلَهُ أَخِي غَابَةً هَاصِرٍ أَجْوَفِ

شعر كعب في إجلاء بني النضير وقتل ابن الأشرف:

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف:

لَقَدْ خَزَيْتُ بِغَدْرَتِهَا الْحُبُورُ^(١) كَذَاكَ الدَّهْرُ ذُو صَرْفٍ يَدُورُ
وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبِّ عَزِيزٍ أَمْرُهُ أَمْرٌ كَبِيرُ
وَقَدْ أَوْقُوا مَعَا فَهَمًا وَعِلْمًا وَجَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ النَّذِيرُ
نَذِيرٌ صَادِقٌ أَدَى كِتَابًا وَأَيَاتٍ مُبَيِّنَةً تُنِيرُ
فَقَالُوا: مَا أَتَيْتَ بِأَمْرِ صِدْقٍ وَأَنْتَ بِمَنْكَرٍ مَنَا جَدِيرُ
فَقَالَ: بَلَى لَقَدْ أَتَيْتُ حَقًّا يُصَدِّقُنِي بِهِ الْفَقِيمُ الْخَبِيرُ
فَمَنْ يَتَّبِعْهُ يُهْدَ لِكُلِّ رُشْدٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ يُجْزَ الْكَفُورُ
فَلَمَّا أَشْرَبُوا غَدْرًا وَكُفْرًا وَحَادَ بِهِمْ عَنِ الْحَقِّ الثُّفُورُ
أَرَى اللَّهَ النَّبِيَّ بِرَأْيٍ صِدْقٍ وَكَانَ اللَّهُ يَخْكُكُمْ لَا يَجُورُ
فَأَيَّدَهُ وَسَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ نَصِيرُهُ نِعْمَ النَّصِيرُ

وكان يقال: مَنْ قَالَ: إِنْ حَاتَمَا أَسْمَحُ الْعَرَبِ، فَقَدْ ظَلَمَ عُرْوَةَ بْنَ الْوَزْدِ، قَالَ أَبُو الْفَرَجِ: وَكَانَ عُرْوَةُ يَتَرَدَّدُ عَلَى بَنِي النَّضِيرِ، فَيَسْتَقْرِضُهُمْ إِذَا احتَاجَ، وَيَبِيعُ مِنْهُمْ إِذَا غَنِمَ، فَرَأَوْا عِنْدَهُ سَلْمَى، فَأَعْجَبَتْهُمْ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَبِيعَهَا، مِنْهُمْ فَأَبَى فَسَقَوْهُ الْخَمْرَ، وَاحْتَالُوا عَلَيْهِ، حَتَّى ابْتَاعُوهَا مِنْهُ، وَأَشْهَدُوا عَلَيْهِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ:

سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكَنُّفُونِي عِدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورِ

(١) الحبور: جمع حبر، وهو العالم اليهودي.

فغودر منهم كَغِبْ صَرِيْعًا
على الكَفَّينِ ثُمَّ وقد عَلَّته
بأمر محمَّدٍ إذ دَسَّ لَيْلًا
فَمَا كَرِهَ فَأَنْزَلَهُ بِمَكْرٍ
فَتِلْكَ بنو النَّضِيرِ بدارِ سَوَاءٍ
غَدَاةً أَتَاهُمْ فِي الزَّخْفِ رَهَوًا^(٢)
وَعَسَّانَ الْحُمَاةَ مُوَازِرُوهُ
فَقَالَ السُّلَمُ وَيَحْكُمُ فَصَدُّوا
فَذَاقُوا غِبَّ أَمْرِهِمْ وَبِالَاءٍ
وَأَجَلُوا عَامِدِينَ لَقَيْنُقَاعَ

فَذَلَّتْ بَعْدَ مَضْرَعِهِ النَّضِيرِ
بِأَيْدِينَا مُشْهَرَّةٌ ذُكُورُ
إِلَى كَغِبٍ أَخَا كَغِبٍ يَسِيرِ
وَمَحْمُودٌ أَخُو ثِقَّةٍ جَسُورِ
أَبَارَهُمْ^(١) بِمَا اجْتَرَمُوا الْمُبِيرِ
رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ بِهِمْ بَصِيرِ
عَلَى الْأَعْدَاءِ وَهُوَ لَهُمْ وَزِيرِ
وَحَالَفَ أَمْرَهُمْ كَذِبَ وَزُورِ
لِكُلِّ ثَلَاثَةٍ مِنْهُمْ بَعِيرِ
وَعُودَرٍ مِنْهُمْ نَخْلٌ وَدُورِ

شعر سَمَّاك فِي الرَّدِّ عَلَى كَعْبٍ:

فَأَجَابَهُ سَمَّاكُ الْيَهُودِيَّ، فَقَالَ:

أَرِقْتُ وَضَافَنِي هَمٌّ كَبِيرُ
أَرَى الْأَخْبَارَ تُنْكِرُهُ جَمِيعًا
وَكَانُوا الدَّارِسِينَ لِكُلِّ عِلْمٍ
قَتَلْتُمْ سَيِّدَ الْأَخْبَارِ كَغَبًّا

بَلِيلٍ غَيْرُهُ لَيْلٌ قَصِيرُ
وَكُلُّهُمْ لَهُ عِلْمٌ خَبِيرِ
بِهِ التَّوْرَةُ تَنْطِقُ وَالزُّبُورُ
وَقَدِّمًا كَانَ يَأْمَنُ مَنْ يُجِيرِ

وَرُوي أَيْضًا أَنَّ قَوْمَهَا افْتَدَوْهَا مِنْهُ، وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّهَا لَا تَخْتَارُ عَلَيْهِ أَحَدًا، وَلَا تَفَارِقُهُ، فَاخْتَارَتْ قَوْمَهَا، فَندَمَ، وَكَانَ لَهُ مِنْهَا بَنُونَ، فَقَالَتْ لَهُ: وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ أَرْخَتْ سِتْرًا عَلَى بَعْلِ مِثْلِكَ أَغْضَ طَرْفًا، وَلَا أَتَدَّى كَفًّا وَلَا أَغْنَى غِنَاءً، وَإِنَّكَ لَرَفِيعُ الْعِمَادِ^(٣)، كَثِيرُ الرَّمَادِ^(٤)، خَفِيفٌ عَلَى ظَهْوَرِ الْخَيْلِ، ثَقِيلٌ عَلَى مِثْوَنِ الْأَعْدَاءِ، رَاضٍ لِلْأَهْلِ وَالْجَارِ، وَمَا كُنْتُ لِأَوْثَرِ عِنِكَ أَهْلِي، لَوْلَا أَنِّي كُنْتُ أَسْمَعُ بَنَاتِ عَمِّكَ يَقْلُنَ: فَعَلْتَ أَمَةً عَزُورَةً، وَقَالَ: أَمَةُ عَزُورَةٍ، فَأَجَدَ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْتَ، وَاللَّهِ لَا يَجَامِعُ وَجْهِي وَجْهَ غُطْفَانِيَّةٍ أَبَدًا، فَاسْتَوْصِ بِبَنِيكَ

(١) أَبَارَهُمْ: أَهْلُهُمْ.

(٢) رَهَوًا: يَسِيرُ سِيرًا خَفِيفًا.

(٣) رَفِيعُ الْعِمَادِ: قِيلَ رَفِيعُ النَّسَبِ.

(٤) كَثِيرُ الرَّمَادِ: كُنَايَةٌ عَنِ الْكَرَمِ، لِكَثْرَةِ مَا يُطْبَخُ فِي الدَّارِ. وَانْظُرْ حَدِيثَ أُمِّ زَرْعٍ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمَا.

تَدَلَّى نَحْوَ مُحَمَّدٍ أَخِيهِ وَمَحْمُودٌ سَرِيرَتَهُ الْفُجُورُ
فَغَادَرَهُ كَأَن دَمًا نَجِيغًا يَسِيلُ عَلَى مَدَارِعِهِ غَبِيرُ
فَقَدْ وَأَبْيَكُمْ وَأَبِي جَمِيغًا أَصِيبَتْ إِذْ أَصِيبَ بِهِ النَّضِيرُ
فَإِنْ نَسَلَمَ لَكُمْ نَتْرَكَ رِجَالًا بَكَغَبٍ حَوْلَهُمْ طَيْرٌ تَدُورُ
كَأَنَّهُمْ عَتَائِرُ يَوْمٍ عِيدِ تُذْبَحُ وَهِيَ لَيْسَ لَهَا نَكِيرُ
بَبِيضٍ لَا تُلِيقُ لَهُنَّ عَظْمًا صَوَافِي الْحَدِّ أَكْثَرُهَا ذُكُورُ
كَمَا لَا قَيْثُ مِنْ بَأْسٍ صَخْرُ بِأُخْدٍ حَيْثُ لَيْسَ لَكُمْ نَصِيرُ

شعر ابن مرداس في امتداح رجال بني النضير:

وقال عباس بن مرداس أخو بني سليم يمتدح رجال بني النضير:

لَوْ أَنَّ أَهْلَ الدَّارِ لَمْ يَتَصَدَّعُوا رَأَيْتَ خِلَالَ الدَّارِ مَلْهَى وَمَلْعَبَا
فَإِنَّكَ عَمْرِي هَلْ أُرِيكَ ظَعَائِنَا سَلَكَ عَلَى رُكْنِ الشُّطَاةِ فَتِيَابَا
عَلِيهِنَّ عَيْنٌ مِنْ ظَبَاءٍ تَبَالَةٍ أَوَانِسُ يُصْبِغِينَ الْحَلِيمَ الْمُجْرِبَا
إِذَا جَاءَ بَاغِي الْخَيْرِ قُلْنَ فُجَاءَةً لَهُ بِوُجُوهِ كَالدَّنَانِيرِ مَرْحَبَا
وَأَهْلًا فَلَا مَمْنُوعَ خَيْرٍ طَلَبْتَهُ وَلَا أَنْتَ تَخْشَى عِنْدَنَا أَنْ تُؤْنَبَا
فَلَا تَحْسِبْنِي كُنْتُ مَوْلَى ابْنِ مِشْكَمٍ سَلَامٌ وَلَا مَوْلَى حَيٍّ ابْنِ أَخْطَبَا

شعر خوات في الرد على ابن مرداس:

فأجابه خوات بن جبير، أخو بني عمرو بن عوف، فقال:

تُبَكِّي عَلَى قَتْلَى يَهُودَ وَقَدْ تَرَى مِنْ الشُّجُو لَوْ تَبْكِي أَحَبَّ وَأَقْرَبَا
فَهَلَّا عَلَى قَتْلَى بَبَطْنِ أَرِينِقِ بَكَيْتَ وَلَمْ تُغُولِ مِنَ الشُّجُو مُسْهَبَا
إِذَا السُّلَمُ دَارَتْ فِي صَدِيقِ رَدَدَتَهَا وَفِي الدِّينِ صَدَادًا وَفِي الْحَرْبِ ثَغْلَبَا
عَمَدَتْ إِلَى قَدْرِ لِقَوْمِكَ تَبْتَغِي لَهُمْ شَبَهَا كَيْمَا تَعَزَّ وَتَغْلَبَا

خيرًا، قال: ثم تزوجها بعده رجل من بني النضير، فسألها أن تُثْنِي عليه في نادي قومه، كما أثنت على عُرْوَةَ، فقالت: اغفني، فإني لا أقول إلا ما علمته، فأبى أن يُغْفِيَهَا، فجاءت حتى وقفت على النادي، وهو فيه، فقالت: عَمُوا صَبَاحًا، ثم قالت: إن هذا أَمَرَنِي أَنْ أَثْنِي عليه بما علمت فيه، ثم قالت له: والله إن شَمَلْتِكَ لَا التِّفَافَ، وإن شُرِبَكَ لَا شَتِيفَافَ، وإن

فإنك لما أن كلفتَ تمدحاً
رحلتَ بأمرٍ كنتَ أهلاً لمثله
فهلاً إلى قومٍ ملوكٍ مدحتهم
إلى معشر صاروا ملوكاً وكُرموا
أولئك أخرى من يهودَ بمذحة

شعر ابن مرداس في الرد على خوات:

فأجابه عباس بن مرداس السلمي، فقال:

هجوتَ صريحَ الكاهنين وفيكم
أولئك أخرى لو بكيتَ عليهم
من الشكر إن الشكر خيرٌ مغبةً
فكنتَ كمن أمسى يقطع رأسه
فبك بني هارون واذكر فعالهم
أخواتٍ أذر الدمع بالدمع وابكهم
فإنك لو لاقيتهم في ديارهم
سراعٌ إلى العليا كرامٌ لدى الوغى

لمن كان عيباً مدحه وتكذبا
ولم تُلَفِ فيهم قائلاً لك مَرَحياً
تَبَنُّوا من العزِّ المؤثِّل منصباً
ولم يُلَفِ فيهم طالبُ العُزفِ مجدباً
تراهم وفيهم عِزة المجد تُرتباً

لهم نَعَمٌ كانت من الدهر تُرتباً
وقومك لو أدوا من الحق مَوْجِباً
وأوفى فعلاً للذي كان أضوباً
ليَبْلُغَ عزاً كان فيه مُرْكِباً
وقتلهم للجوع إذ كنتَ مُجدباً
وأعرض عن المَكْرُوه منهم ونكبا
لأُلفيتَ عما قد تقول مُنكباً
يُقال لباغِي الخير أهلاً ومَرحباً

ضَجَعَتِكَ لا انْجَعَفَ، وإنك لَتَشَبَعَ ليلة تُضَافُ، وتنامُ لَيْلَةً تخافُ، فقال له قومه: قد كنتَ في غِنَى عن هذا، وفيها يقول عُروَةُ بن الوَرْدِ^(١):

أرقتُ وصُحبتِي بِمَضِيقِ غُمَقٍ
إذا قُلْتُ استهلّ على قديد
سَقَى سَلَمَى، وأَيْنَ مَحَلُّ سَلَمَى
إذا حَلَّتْ بأرضِ بني عَلِيٍّ
ذكرتُ منازلاً من أُمٍّ وهَبٍ
وآخرُ مَفْهَدٍ من أُمٍّ وهَبٍ

لِبَرْقٍ في تَهَامَةٍ مُسْتَطِيرٍ
يحور ربابه حور الكسير
إذا حَلَّتْ مُجَاوِرَةَ السَّرِيرِ
وأهلك بين أُمِّرةٍ وكبيرٍ
مَحَلُّ الحيِّ أسفل ذي النُّقيرِ
مُعَرَّسُنا فَوَيْقَ بني النُّضِيرِ

(١) انظر الأغاني للأصبهاني (٧٥/٣) مع بعض النقص والتغير.

شعر لكعب أو ابن رواحة في الرد على ابن مرداس :

فأجابه كعب بن مالك، أو عبد الله بن رواحة، فيما قال ابن هشام، فقال :

لَعَمْرِي لَقَدْ حَكَّتْ رَحَى الْحَرْبِ بَعْدَ	أَطَارَتْ لُؤْيًا قَبْلُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
بَقِيَّةَ آلِ الْكَاهِنِينَ وَعِزُّهَا	فَعَادَ ذَلِيلًا بَعْدَ مَا كَانَ أَغْلَبَا
فَطَاخَ سَلَامٌ وَابْنُ سَغِيَّةٍ عَنُوءَ	وَقِيدَ ذَلِيلًا لِلْمَنَايَا ابْنُ أُخْطَبَا
وَأَجْلَبَ يَبْغِي الْعِزَّ وَالذَّلَّ يَبْتَغِي	خِلَافَ يَدَيْهِ مَا جَنَى حِينَ أَجْلَبَا
كَتَارَكَ سَهْلَ الْأَرْضِ وَالْحَزْنَ هَمَّهُ	وَقَدْ كَلَنَ ذَا فِي النَّاسِ أَكْدَى وَأَصْعَبَا
وَشَأْسٌ وَعَزَالٌ وَقَدْ صَلِيَا بِهَا	وَمَا غُيِّبَا عَنْ ذَاكَ فِيمَنْ تَغَيَّبَا
وَعَوْفٌ بَنَ سَلْمَى وَابْنُ عَوْفٍ كِلَاهُمَا	وَكَعْبُ رَئِيسُ الْقَوْمِ حَانَ وَخُيَّبَا
فَبُغْدَا وَسُخْقًا لِلنَّضِيرِ وَمِثْلَهَا	إِنْ أَعْقَبَ فَتَحَّ أَوْ إِنْ اللَّهُ أَعْقَبَا

قال ابن هشام: قال أبو عمرو المدني: ثم غزا رسول الله ﷺ بعد بني النضير بني المضطلق. وسأذكر حديثهم إن شاء الله في الموضع الذي ذكره ابن إسحق فيه.

وَقَالَتْ: مَا تَشَاءُ، فَقُلْتُ: أَلْهُو	إِلَى الْإِصْبَاحِ آثَرَ ذِي أُثِيرِ
بِأَنَسَةِ الْحَدِيثِ رُضَابُ فِيهَا	بُعَيْدَ النَّوْمِ كَالْعِنَبِ الْعَصِيرِ
أَطَعْتُ الْأَمِيرِينَ بِصَرْمِ سَلْمَى	فَطَارُوا فِي بِلَادِ الْيَسْتَعُورِ
سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكَنَّفُونِي	عِدَاةُ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورِ
وَقَالُوا لَيْسَتْ بَعْدَ فِدَاءٍ سَلَمِ	بِمُغْنٍ مَا لَدَيْكَ وَلَا فَقِيرِ
وَلَا وَأَبِيكَ لَوْ كَالْيَوْمِ أَمْرِي	وَمَنْ لَكَ بِالتَّدْبِيرِ فِي الْأُمُورِ
إِذَا لَمَلَكْتَ عِضْمَةً أُمٌّ وَهَبِ	عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَسَكِ الصُّدُورِ
فِيَا لِلنَّاسِ كَيْفَ غَلَبْتُ نَفْسِي	عَلَى شَيْءٍ وَيَكْرَهُهُ ضَمِيرِي

قوله: السرير موضع في ناحية كنانة، وقوله: اليستعور: هو موضع قبل حرّة المدينة، فيه عِضَاهُ مِنْ سَمَرٍ وَطَلْحٍ، وقال أبو حنيفة: اليستعور شجر يُسْتَاكُ بِهِ، يَنْبُتُ بِالسَّرَاةِ، وَالْيَسْتَعُورُ أَيْضًا مِنْ أَسْمَاءِ الدَّوَاهِي، وَالْيَاءُ فِي الْيَسْتَعُورِ أَصْلِيَّةٌ، فَهَذَا شَرَحَ مَا أَوْمَأَ إِلَيْهِ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ عَمْرٍو، وَإِنَّمَا هِيَ أُمٌّ وَهَبٍ كَمَا تَكَرَّرَ فِي شِعْرِهِ.

غزوة ذات الرقاع^(١) في سنة أربع

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى، ثم غزا نجدًا مُحارب وبني ثعلبة من غطفان، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري، ويقال: عثمان بن عفان، فيما قال ابن هشام.

لِمَ سَمِيَتْ بِذَاتِ الرَّقَاعِ؟

قال ابن إسحاق: حتى نزل نخلًا، وهي غزوة ذات الرقاع.

قال ابن هشام: وإنما قيل لها: غزوة ذات الرقاع، لأنهم رَقَعُوا فيها راياتهم، ويقال: ذات الرقاع: شجرة بذلك الموضع، يقال لها: ذات الرقاع.

قال ابن إسحاق: فلقني بها جمعًا عظيمًا من غطفان، فتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم بعضًا حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف بالناس.

غزوة ذات الرقاع

وسُمِّيَتْ ذات الرقاع، لأنهم رَقَعُوا فيها راياتهم في قول ابن هشام، قال: ويقال ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع يقال لها: ذات الرقاع، وذكر غيره أنها أرض فيها بُقْعٌ سَوْدٌ، وبُقْعٌ بَيْضٌ، كأنها مُرَقَّعة بِرِقَاقٍ مختلفة، فسميت ذات الرقاع لذلك، وكانوا قد نزلوا فيها في تلك الغزاة، وأصح من هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري من طريق أبي موسى الأشعري، قال: «خرجنا مع النبي - ﷺ - في غزاة، ونحن سِتَّةُ نَفَرٍ بيننا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَتَقَبَّثَ أَقْدَامُنَا، وَتَقَبَّثَ قَدَمَايَ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، فَكُنَّا نُلْفُ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرْقَ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةُ ذَاتِ الرَّقَاعِ، لَمَّا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الْخِرْقِ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا، ثُمَّ كَرِهَ ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَذْكَرَهُ، كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ»^(٢).

(١) انظر الواقدي (٣٩٥/١) الطبري (٥٥/٢) البداية والنهاية (٨٣/٤) الطبقات (٤١/١/٢) الكامل (٦٦/٢) الدلائل (٣٦٩/٣) المنتظم (٢١٤/٣) النويري (١٥٨/١٧) السيرة الحلبية (٣٥٣/٢) ابن حزم (١٨٢) الاكتفاء (١٥٢/٢) عيون الأثر (٧٢/٢) البخاري (١١٣/٥) ومسلم (١٧/١٢ - نووي) الزاد (٢٥٠/٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥/٧) ومسلم (١٨/٦).

صلاة الخوف

قال ابن هشام: حَدَّثَنَا عبد الوارث بن سعيد الثَّورِيُّ - وكان يُكنى: أبا عُبيدة - قال: حَدَّثَنَا يونس بن عُبيد، عن الحسن بن أبي الحسن، عن جابر بن عبد الله في صلاة الخَوْفِ، قال: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بطائفة ركعتين ثم سَلَّمَ، وطائفة مُقبلون على العدو. قال: فجاءوا فصلَّى بهم ركعتين أُخريين، ثم سَلَّمَ.

قال ابن هشام: وحَدَّثَنَا عبد الوارث، قال: حَدَّثَنَا أيوب، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: صَفَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَفَيْنِ، فركع بنا جميعًا، ثم سجدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وسجد الصفُّ الأول، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم، ثم تأخَّر الصفُّ الأول، وتقدَّم الصفُّ الآخر حتى قاموا مقامهم ثم ركع النبي ﷺ بهم جميعًا ثم سجد النبي ﷺ وسجد الذين يلونه معه، فلما رفعوا رؤوسهم سجد الآخرون بأنفسهم، فركع النبي ﷺ بهم جميعًا، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سَجْدَتَيْنِ.

صلاة الخوف^(١)

فصل: وذكر صلاة الخوف، وأوردها من طُرُقٍ ثلاثٍ، وهي مَرْوِيَّةٌ بِصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ أَكْثَرُ مِمَّا ذَكَرَ. سمعت شيخنا أبا بكرٍ - رحمه الله - يقول: فيها سِتُّ عَشْرَةَ رَوَايَةٍ، وقد خرج المصنفون أصحَّها، وخرَّج أبو داود منها جُمْلَةً، ثم اختلف الفقهاء في التَّرجيح، فقال طائفة: يعمل منها بما كان أشبه بظاهر القرآن، وقالت طائفة: يُجْتَهِدُ فِي طَلَبِ الْآخِرِ مِنْهَا، فإنه الناسخ لما قبله، وقالت طائفة: يُؤْخَذُ بِأَصَحِّهَا نَقْلًا، وأَعْلَاهَا رُوَاةً، وقالت طائفة - وهو مذهب شيخنا: يُؤْخَذُ بِجَمِيعِهَا عَلَى حَسَبِ اخْتِلَافِ أَحْوَالِ الْخَوْفِ، فإذا اشْتَدَّ الْخَوْفُ، أُخِذَ بِأَيْسَرِهَا مُؤَنَّةً، فإذا تَفَاقَمَ الْخَوْفُ صَلُّوا بِغَيْرِ إِمَامٍ لِقَبْلَةٍ أَوْ لَغَيْرِ قَبْلَةٍ، وقد رَوَى ابْنُ سَلَامٍ عَنْ طَائِفَةٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّ صَلَاةَ الْخَوْفِ، قَدْ تَوَوَّلَ إِلَى أَنْ تَكُونَ أَرْبَعُ تَكْبِيرَاتٍ، وذلك عِنْدَ مَغَمَّةِ الْقِتَالِ، وسيأتي بَقِيَّةُ الْقَوْلِ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ فِي خَبَرِ بَنِي قُرَيْظَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ومما تخالف به صَلَاةُ الْخَوْفِ حُكْمُ غَيْرِهَا أَنَّهُ لَا سَهْوَ فِيهَا عَلَى إِمَامٍ، وَلَا عَلَى مَأْمُومٍ رَوَاهُ الدَّارِقُطَنِيُّ بِسَنَدٍ ثَابِتٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا سَهْوَ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ»^(٢).

(١) انظر أبو داود (١٢٣٦) بتحقيقي. والنسائي (١٧٧/٣) وأحمد (٦٠/٥٩/٤). والتخريج السابق أيضًا. وانظر الفتح (٣٣٥/٦) والزاد (٢٥٢/٣).

(٢) أخرجه الدارقطني (٣٧٧/١) بتحقيقي.

قال ابن هشام: حَدَّثَنَا عبد الوارث بن سعيد التُّورِي قال: حَدَّثَنَا أيوب عن نافع، عن ابن عمر، قال: يقوم الإمام وتقوم معه طائفة، وطائفة مما يلي عدوهم، فيركع بهم الإمام ويسجد بهم، ثم يتأخرون فيكونون مما يلي العدو، يتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة، ويسجد بهم، ثم تصلي كل طائف بأنفسهم ركعة، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة، وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة.

هم غورث بن الحارث بقتل الرسول:

قال ابن إسحاق: وحدثني عمرو بن عبّيد، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله: «أن رجلاً من بني مُحارب، يقال له: غُورَث، قال لقومه من غُطَفان ومُحارب: ألا أقتل لكم محمداً؟ قالوا: بلى، وكيف تقتله؟ قال: أفتك به. قال: فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس، وسيف رسول الله ﷺ في حجره، فقال: يا محمد، أنظر إلى سيفك هذا؟ قال: نعم - وكان مُحَلَّى بفضة، فيما قال ابن هشام - قال: فأخذه فاستلّه، ثم جعل يهزه، ويهمهم فيكِبته الله، ثم قال: يا محمد، أما تخافني؟ قال: «لا، ولا أخاف منك؟» قال: أما تخافني وفي يدي السيف، قال: «لا، يَمْنَعُنِي الله منك». ثم عمد إلى سيف رسول الله ﷺ، فردّه عليه^(١). قال: فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان: أنها إنما أنزلت في عمرو بن جحاش، أخي بني النضير وما هم به، فالله أعلم أي ذلك كان.

قصة جمل جابر

قال ابن إسحاق: وحدثني وهب بن كيسان، عن جابر بن عبد الله، قال: خرجت مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذات الرقاع من نخل، على جمل لي ضعيف، فلما قفل

رفع المنصوب

فصل: وذكر حديث جابر حين أبطأ به جملة فنخسه النبي ﷺ - نخسات، فخرج

(١) أخرجه مسلم (٥٧٦) وأحمد (٣٦٤/٣) والطبري في تاريخه (٨٦/٢) وابن سعد في الطبقات (٤٤/١/٢) والبيهقي في الدلائل (٣٧٥/٣) وأبو نعيم في الدلائل (٦٢/١). مع اختلاف. وإسناد ابن إسحاق فيه ضعف.

رسول الله ﷺ، قال: جعلت الرفاق تمضي، وجعلت أتخلف، حتى أدركني رسول الله ﷺ، فقال: «ما لك يا جابر؟» قال: قلت: يا رسول الله، أبطأني جملي هذا؛ قال: «أنخه»؛ قال: فأنخته، وأناخ رسول الله ﷺ؛ ثم قال: «أعطني هذه العصا من يدك، أو اقطع لي عصا من شجرة»؛ قال: ففعلت. قال: فأخذها رسول الله ﷺ فنخسه بها نخسات، ثم قال: «اركب»، فركبت، فخرج والذي بعثه بالحق، يواهي ناقته مواهقة.

قال: وتحدثت مع رسول الله ﷺ، فقال لي: «أتبيعني جملك هذا يا جابر؟» قال: قلت: يا رسول الله، بل أهبه لك؛ قال: «لا، ولكن بغنيه»، قال: قلت: فسمنيه يا

يواهي ناقته مواهقة. المواهقة كالمسابقة، والمجاراة، وأنشد سيويه لأوس بن حجر:

تواهي رجلاها يداها ورأسه لها قتب خلف الحقيبة رادف

رفع يداها ورجلاها رفع الفاعل، لأن المواهقة، لا تكون إلا من اثنين، فكل واحد منهما فاعل في المعنى كما ذكروا في قول الراجز:

قد سالم الحيات منه القدما الأفعوان والشجاع الشجعما

[وذا قزنين ضمورا ضرزما^(١)]

هكذا تأوله سيويه، ولعل هذا الشاعر كان من لغته أن يجعل التثنية بالالف في الرفع والنصب والخفض كما قال:

تزود منا بين أذناه طغنة دعته إلى هابي الثراب عقيم

وكما قال الآخر:

قد بلغا في المجد غايتها

وهي لغة بني الحارث بن كعب، قاله أبو عبيد. وقال النحاس في الكتاب المقتنع: هي أيضا لغة الخثعم وطىء وأبطن من كنانة، والبيت أعني: تواهي رجلاها يداها، هو لأوس بن حجر الأسدي، وليس ممن هذه لغته، فالييت إذا على ما قاله سيويه.

مساومة جابر في جملة وما فيه من الفقه^(٢):

وذكر مساومة النبي ﷺ لجابر في الجمل، حتى اشتراه منه بأوقية، وأنه أعطاه أولاً دزهما، فقال: لا إذا تغبطني يا رسول الله؛ فإن كان أعطاه الدزهم مازحا، فقد كان يمزح،

(٢) انظر الحديث في البخاري (١٣٢/٣).

(١) الضرزم: المسنة.

رسول الله؛ قال: «قد أخذته بدرهم»؛ قال: قلت: لا، إذن، تَغْنِنِي يا رسول الله! قال: «فبدرهمين»؛ قال: قلت: لا. قال: فلم يزل يرفع لي رسول الله ﷺ في ثمنه حتى بلغ الأوقية. قال: فقلت: أفقد رضىت يا رسول الله؟ قال: «نعم»؛ قلت: فهو لك، قال:

ولا يقول إلا حقًا، فإذا كان حقًا، ففيه من الفقه إباحة المكايسة الشديدة في البيع، وأن يُعْطَى في السلعة ما لا يُشَبِّه أن يكون ثمنًا لها بنص الحديث، وفي دليله أن من اشترى سلعة بما لا يُشَبِّه أن يكون لها ثمنًا، وهو عاقل بصير، ولم يكن في البيع تدليس عليه، فهو بيع ماضٍ لا رجوع فيه، وزوي من وجه صحيح أنه كان يقول له كلما زاد له درهمًا قد أخذته بكذا والله يغفر لك، فكأنه عليه السلام أراد بإعطائه إيَّاه درهمًا درهمًا أن يكثر استغفاره له، وفي جمل جابر هذا أمور من الفقه سوى ما ذكرنا، وذلك أن طائفة من الفقهاء احتجوا به في جواز بيع وشرط^(١)، لأن النبي - ﷺ - شرط له ظهره إلى المدينة، وقالت طائفة: لا يجوز بيع وشرط، وإن وقع فالشرط باطل، والبيع باطل^(٢)، واحتجوا بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب عن جد أبيه عبد الله بن عمرو بن العاصي أن النبي - ﷺ - «نهى عن شرط وبيع، وعن بيع وسلف»^(٣).

شعيب لا يروي عن أبيه وإنما عن جده:

وقد روى أبو داود هذا الحديث، فقال: عن عمرو بن شعيب عن أبيه شعيب عن أبيه محمد بن عبد الله بن عمرو عن أبيه عبد الله بن عمرو.

وهذه رواية مُستَغْرَبَةٌ عند أهل الحديث جدًا، لأن المعروف عندهم أن شعيبًا إنما يروي عن جده عبد الله، لا عن أبيه محمد لأن أباه محمدًا مات قبل جده عبد الله، فقف على هذه التنبيهة في هذا الحديث، فقل من تنبه إليها، وقالوا: حجة في حديث جابر لما فيه من الاضطراب، فقد روي أنه قال: أفقرني ظهره إلى المدينة، وزوي أنه قال: استثنيت ظهره إلى المدينة، وروي أنه قال: شرط لي ظهره، وقال البخاري: الاشتراط أكثر وأصح، وكذلك اضطربوا في الثمن، فقالوا: بغته منه بأوقية، وقال بعضهم: بأربع أواق، وقال بعضهم: بخمس أواق، وقال بعضهم: بخمسة دنانير، وقال بعضهم: بأربعة دنانير، وقال بعضهم: هو في معنى الأوقية، وكل هذه الروايات قد ذكرها البخاري، وقال مسلم في بعض رواياته: دينارين ودرهمين، وقالت طائفة بإبطال الشرط، وجواز البيع، واحتجوا بحديث بريرة حين

(١) وهو مذهب أحمد والبخاري. (٢) وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي.

(٣) «باطل». قاله ابن تيمية رحمه الله تعالى في الفتاوى (٦٣/١٨). وانظر السلسلة الضعيفة للعلامة الألباني حفظه الله تعالى وأمتع به (٤٩١).

«قد أخذته». قال: ثم قال: «يا جابر، هل تزوجت بعد؟» قال: قلت: نعم يا رسول الله، قال: «أثيباً أم بكراً؟» قال: قلت: لا، بل ثيباً؛ قال: «أفلاً جاريةً تلاعبها وتلاعبك!» قال: قلت: يا رسول الله، إن أبي أصيب يوم أُحُدٍ وترك بناتٍ له سبعا، فنكحتُ امرأةً جامعةً، تجمع رؤوسهنَّ، وتقوم عليهنَّ؛ قال: «أصبنت إن شاء الله، أما إننا لو قد جئنا صرارا أمرنا بجزور فنحرت، وأقمنا عليها يومنا ذاك، وسمعت بنا، فنقضت نمارقها» قال: قلت: والله يا رسول الله ما لنا من نمارق؛ قال: «إنها ستكون، فإذا أنت قدِمْتَ فاعمل عملاً كَيْساً». قال: فلما جئنا صرارا أمر رسولُ الله ﷺ بجزور فنحرت، وأقمنا عليها ذلك اليوم؛ فلما أمسى رسولُ الله ﷺ دخل ودخلنا، قال: «فحدثتُ المرأةَ الحديثَ»، وما قال لي رسولُ الله ﷺ قالت: فدُونك، فسمع وطاعة. قال: فلما أصبحتُ أخذتُ برأسَ الجمل، فأقبلتُ به حتى أنخته على باب رسول الله ﷺ، قال: ثم جلستُ في المسجد قريبا منه، قال: وخرج رسولُ الله ﷺ، فرأى الجمل، فقال: «ما هذا؟»

باعها أهلها من عائشة، واشتروا الولاء فأجاز النبي ﷺ البيع وأبطل الشرط، واستعمل مالكُ هذه الأحاديثَ أجمع، فقال: بإبطالِ البيعِ والشرطِ على صورة، وبجوازهما على صورة أخرى، وبإبطال الشرطِ وجوازِ البيعِ على صورة أيضاً، وذلك بينُ في المسائل لمن تدبرها، وأبين ما توجد مُحْكَمَةُ الأصولِ مُسْتَثْمَرَةُ الْجَنَّا والفُصولِ في كتاب المقدمات لابنِ رُشدٍ، فليُنظرها هنالك من أرادها^(١).

الحكمة من مساومة النبي لجابر:

فصل: ومن لطيف العلم في حديث جابر بعد أن تعلم قطعاً أن النبي ﷺ - لم يكن يفعل شيئاً عبثاً بل كانت أفعاله مَقْرُونَةً بِالْحِكْمَةِ ومؤيَّدةً بِالْعِصْمَةِ، فاشترأه الجمل من جابر ثم أعطاه الثمن، وزاده عليه زيادةً، ثم ردَّ الجمل عليه، وقد كان يمكن أن يعطيه ذلك العطاء دون مُساوِمَةٍ في الجمل، ولا اشتراءٍ ولا شرطٍ ولا توصيلٍ، فالحِكْمَةُ في ذلك بديعةٌ جداً، فلتُنظر بعين الاعتبار، وذلك أنه سأل: هل تزوجت، ثم قال له: هَلَا بِكَرًا، فذكر له مَقْتَلُ أبيه، وما خَلَفَ من البناتِ، وقد كان عليه السلامُ قد أخبر جابراً بأنَّ الله، قد أحيا أباه، وردَّ عليه رُوحَه، وقال: ما تشتهي فأزيدك، فأكد عليه السلامُ هذا الخبرَ بمثل ما يُشبهه، فاشترى منه الجمل، وهو مَطِيئَتُهُ، كما اشترى الله تعالى من أبيه، ومن الشُّهداءِ أنفسهم بثمانٍ هو الجَنَّةُ، ونفسُ الإنسانِ مَطِيئَتُهُ، كما قال عُمَرُ بن عبد العزيز - رضي الله عنه - إن نفسي

(١) انظر بداية المجتهد (٢/١٣٢).

قالوا: يا رسول الله، هذا جمل جاء به جابر، قال: «فأين جابر؟» قال: فدُعيتُ له، قال: فقال: «يا ابن أخي خذ برأس جملك، فهو لك، ودعاً بلالاً، فقال له: اذهب بجابر، فاعطه أوقية» قال: فذهبت معه، فأعطاني أوقيةً، وزادني شيئاً يسيراً. قال:

مَطِيتِي، ثم زادهم زيادةً فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، ثم ردَّ عليهم أنفسهم التي اشترى منهم فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية، فأشار عليه السلام باشتراؤه الجمل من جابر وإعطائه الثمن وزيادته على الثمن، ثم ردَّ الجمل المُشْتَرى عليه، أشار بذلك كُله إلى تأكيد الخبر الذي أَخْبَرَ به عن فعل الله تعالى بأبيه، فتشاكل الفعل مع الخبر، كما تراه، وحاش لأفعاله أن تخلو من حكمة، بل هي كلها ناظرة إلى القرآن ومُنْتَزَعَةٌ منه ﷺ.

سياقه الحديث عن عمرو بن عبيد:

فصل: وحدث عن عمرو بن عبيد عن الحسن بن جابر، وذكر حديث غُورِث، وقد ذكره البخاري فقال فيه: غُورِثُ بن الحارث، وقد ذكره الخطابي، فقال فيه: إنه لما هم بقتل النبي - ﷺ - رمي بالزُلْخَة فنذر السيف من يده، وسقط إلى الأرض. الزُلْخَة: وجع يأخذ في الصُّلب، وأما روايته الحديث عن عمرو بن عبيد فأعجب شيء سياقته إياه عن عمرو بن عبيد، وقد رواه الأثبات عن جابر، وعمرو بن عبيد مُتَّفَقٌ على وَهْنِ حديثه، وترك الرواية عنه، لما اشتهر من بدعته، وسوء نحلته، فإنه حُجَّةُ الْقَدَرِيَّةِ، فيما يُسْنِدُونَ إلى الحسن - رضي الله عنه - من القول بالقدر، وقد برأه الله منه، وكان عند الله وجيهاً، وأما عمرو بن عبيد بن دأب، فقد كان عظيماً في زمانه عالي الرتبة في الِوَرَع، حتى افتن به، وبمقالته أمة فصاروا قَدَرِيَّةً، وقد نُبِزَ بمذهبه قومٌ من أهل الحديث، فلم يَنْقُط حديثهم، لأنهم لم يجادلوا على مذهبهم، ولا طَعَنُوا في مُخَالِفِيهِمْ من أهل السنة، كما فعل عمرو بن عبيد. فَمِمَّنْ نُبِزَ بِالْقَدَرِ ابْنُ أَبِي ذُئْبٍ وَقَتَادَةُ وَدَاوُدُ بْنُ الْحَصَنِ وَعَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جَعْفَرٍ، وطائفة سواهم من الأثبات في علم الحديث، وعمرو بن عبيد يُكْنَى أبا عُثْمَانَ وأبوه عبيد بن دأب كان صاحب شُرْطَةٍ فيما ذكروا وسمع يوماً ناساً في ابنه هذا خيرُ الناسِ ابنُ شَرِّ الناسِ، فالتفت إليهم، وقال: وما يعجبكم من هذا؟ هو كإبراهيم وأنا كآزر، وكان أبو جعفر المنصور، يقول بعد موت عمرو بن عبيد: ما بقي أحدٌ يُسْتَحْيَا منه بعد عمرو، وكان يقول:

كُلُّكُمْ خَاتِلٌ صَيِّدٌ كُلُّكُمْ يَمْشِي رُوَيْدٌ غَيْرَ عَمْرِو بْنِ عَبِيدٍ

وقد نُبِزَ ابن إسحق بالقدر أيضاً، وروايته عن عمرو بن عبيد تُؤَيِّدُ قول من عزاه إليه، والله أعلم.

فوالله ما زال يَنُمِّي عندي، ويُرى مكانه من بيتنا، حتى أُصيب أمس فيما أُصيب لنا، يعني يوم الحرّة.

وقعة الحرّة وموقف الصحابة منها:

فصل: وذكر قول جابر فوالله ما زال يَنُمِّي عندنا، ويُرى مكانه من بيتنا حتى أُصيب فيما أُصيب منا يوم الحرّة يعني: وقعة الحرّة التي كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يدَي مُسلم بن عُقبة المُرِّي الذي يُسمّيه أهل المدينة مُشرف بن عُقبة، وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية وأخرجوا مروان بن الحَكَم وبني أمية، وأمروا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الذي غسّلت أباه الملائكة يوم أُحد، ولم يوافق على هذا الخلع أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم. روى البخاري أن عبد الله بن عمر لما أرجف أهل المدينة بيزيد دعا بنيه ومواليه، وقال لهم: إنّا قد بايعنا هذا الرجل على بِنَةِ الله وبِنَةِ رسوله، وإنه والله لا يبلغني عن أحد منكم أنه خلع يدًا من طاعته إلا كانت الفِئصل بيني وبينه، ثم لزم بيته، ولزم أبو سعيد الخدري بيته، فدخل عليه في تلك الأيام التي انْتَهَبَت المدينة فيها، ف قيل له: من أنت أيها الشيخ؟ فقال: أنا أبو سعيد الخدري صاحب النبي - ﷺ - فقالوا له: قد سمعنا خبرك، ولِنَعْم ما فعلت حين كَفَفْتَ يدك، ولَزِمْتَ بيتك، ولكن هات المال، فقال قد أخذه الذين دخلوا قبلكم عليّ، وما عندي شيء، فقالوا: كذبت وتنفقوا لحيتته، وأخذوا ما وجدوا حتى صُوف الفرش، وحتى أخذوا زوجين من حَمَام كان صبيانه يلعبون بهما. وأما جابر بن عبد الله الذي كنا بِمَسَاقِ حديثه، فخرج في ذلك اليوم يطوف في أزقة المدينة والبيوت تُتَهَبُّ، وهو أعمى، وهو يَغْثُر في القَتلى، ويقول: تَعَسَ مَنْ أخاف رسول الله ﷺ، فقال له قائل: ومن أخاف رسول الله؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أخاف المدينة، فقد أخاف ما بين جنبي»^(١)، فحملوا عليه ليقتلوه، فأجاره منهم مروان، وأدخله بيته، وقُتِل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة، وقُتِل من أخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان، فقد ذكروا أن امرأة من الأنصار دخل عليها رجل من أهل الشام، وهي تُرضع صبيها، وقد أخذ ما كان عندها، فقال لها: هات الذهب، وإلا قَتَلْتُكَ، وقَتَلْتُ صَبِيَّكَ، فقالت: ويحك إن قتلت فابوه أبو كبشة صاحب النبي - ﷺ - وأنا من النسوة اللاتي بايغن رسول الله - ﷺ - وما خُنْتُ الله في شيء بايعة رسول الله عليه، فانتفض الصبي من حجرها، ونذيتها في فيه، وضرب به الحائط حتى انشردماغه في الأرض والمرأة تقول: يا بُنَيَّ لو كان عندي شيء نفديك به، لفديتك، فما خرج من البيت حتى اسودّ نصف وجهه، وصار مثله في الناس.

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٥٤/٣٩٣).

ابن ياسر وابن بشر، وقيامهما على حراسة جيش الرسول وما أُصيبا به :

قال ابن إسحاق: وحدثني عمي صدقة بن يسار، عن عقيل بن جابر، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً، أتى زوجها وكان غائباً، فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد ﷺ دمًا، فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً، فقال: «من رجل يكلؤنا ليلتنا (هذه)؟» قال: فانتدب رجل من المهاجرين، ورجل آخر من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله، قال: «فكونا بفم الشعب». قال: وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادي، وهما عمّار بن ياسر وعبد بن بشر، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب، قال الأنصاري للمهاجري أيّ الليل تحب أن أكفيكه: أوله أم آخره؟ قال: بل أكفني أوله، قال: فاضطجع المهاجري فنام، وقام الأنصاري يصلي، قال: وأتى الرجل، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيّة القوم. قال: فرمى بسهم فوضعه فيه، قال: فنزعه ووضعه، فثبت قائماً، قال: ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه. قال: فنزعه فوضعه، وثبت قائماً، ثم عاد له بالثالث، فوضعه فيه، قال: فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد، ثم أهبّ صاحبه فقال: اجلس فقد أثبت، قال: فوثب، فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به، فهرب، قال: ولما رأى المهاجري ما

قال المؤلف: وأحسب أن هذه المرأة جدّة للصبي، لا أمّا له، إذ يبعد في العادة أن تباع النبي عليه السلام، وتكون يوم الحرّة في سنّ من تُرضع. والحرّة التي يُعرف بها هذا اليوم يقال لها: حرّة زُهرة، وفي الحديث أن النبي ﷺ - وقف بها، وقال: ليقتلن بهذا المكان رجال هم خيار أمتي بعد أصحابي، ويذكر عن عبد الله بن سلام، أنه قال: لقد وجدت صفتها في كتاب يهود بن يعقوب الذي لم يدخله تبديل، وأنه يقتل فيها قوم صالحون يجيئون يوم القيامة وسلاخهم على عواتقهم، وذكر الحديث. وعرفت حرّة زُهرة بقرية كانت لبني زُهرة قوم من اليهود، وكانت كبيرة في الزمان الأول، ويقال: كان فيها ثلاثمائة صائغ، ذكر هذا الزبير في فضائل المدينة له: وكانت هذه الوقعة سنة ثلاث وستين، وقد كان يزيد بن معاوية قد أعذر إليهم فيما ذكروا، وبذل لهم من العطاء أضعاف ما يُعطي الناس واجتهد في استمالتهم إلى الطاعة، وتحذيرهم من الخلاف، ولكن أبى الله إلا ما أراد، والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون: ﴿تِلْكَ أُمّةٌ قد خَلَتْ لها ما كَسَبَتْ ولكم ما كَسَبْتُمْ ولا تُسألون عما كانوا يعملون﴾ [البقرة: ١٣٤، ١٤١].

بالأنصاري من الدماء، قال: سبحان الله! أفلا أهببتي أول ما رماك؟ قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها، فلما تابع علي الرمي ركعت فأذنتك، وأيم الله، لولا أن أضيّع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه، لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها.
قال ابن هشام: ويقال: أنفذها.

رجوع الرسول:

قال ابن إسحق: ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة الرقاع، أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً.

غزوة بدر الآخرة^(١) في شعبان سنة أربع

خروج الرسول:

قال ابن إسحق: ثم خرج في شعبان إلى بدر، لميعاد أبي سفيان، حتى نزل.

استعماله ابن أبي على المدينة:

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول الأنصاري.

معنى الربيثة:

فصل: وذكر حديث^(٢) الأنصاري والمهاجري، وهما عبّاد بن بشر، وعمّار بن ياسر، وأن رجلاً من العدو رمى الأنصاري بسهم، وهو يصلي لما علم أنه ربيثة القوم. الربيثة هو الطليعة، يقال: رباً على القوم يزباً فهو رباء وربيثة قال الشاعر [الهذلي]:

رَبَاءُ شَمَاءٍ لَا يَأْوِي لِقُلَّتِهَا إِلَّا السَّحَابُ وَالْأَوْبُ وَالسَّبَلُ

فرباء: فعّال من ربا إذا نظر من مكان مرتفع، وشماء، يريد هضبة شماء، وإنما قالوا: ربيثة بهاء التانيث، وطليلة؛ لأنهما في معنى العين، والعين مؤنثة، تقول: ثلاث أعين، وإن كانوا رجالاً، يعني الطلائع، لأن الطليعة والربيثة إنما يُراد منه عينه الناظرة، كما تقول في ثلاثة أعبد: أغتقت ثلاث رقاب، فتؤنث، لأن الرقبة تَرْجَمَةٌ عن جميع العبد، كما أن العين

(١) انظر الطبري (٤١/٣) ابن سيد الناس (٥٣/٢) المواهب (٩٣/٢) ابن سعد في الطبقات (٥٩/٢) الزاد (٢٥٥/٣).

(٢) أخرجه أبو داود في الطهارة (١٩٨ - بتحقيقي) وأحمد (٣٤٤/٣).

رجوع أبي سفيان في رجاله:

قال ابن إسحاق: فأقام عليه ثمانِي ليالي ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مَجَنَّة، من ناحية الظَّهران، وبعض الناس يقول: قد بلغ عُسفان، ثم بدا له في الرجوع، فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلاَّ عام خصيب تَزعون فيه الشَّجر، وتشربون فيه اللبن، وإنَّ عامكم هذا عامٌ جذب، وإنِّي راجعٌ، فارجعوا فرجع الناس. فسماهم أهل مكة جيش السَّويق، يقولون: إنما خرجتم تشربون السَّويق.

الرسول ومخشي الضمري:

وأقام رسولُ الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده فأتاه مَخْشِي بن عَمْرٍو الضَّمْرِي، وهو الذي كان وادَّعه على بني ضَمْرَة في غزوة ودَّان، فقال: يا محمد، أجيئتَ للقاء قُريش على هذا الماء؟ قال: «نعم، يا أخا بني ضَمْرَة، وإن شئتَ مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالِدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك»، قال: لا والله يا محمد، ما لنا بذلك منك من حاجة.

الذي هو الطَّلِيعَةُ كذلك، ويجوز أن تكونَ الهاءُ في رِبِيَّةٍ وطلِيعَةٍ للمبالغة، كما هي في عَلامَةٍ ونَسَابَةٍ، فعلى الوجه الأول تقول: ثَلَاثَ طَلَائِعَ، وثَلَاثَ رِبَايَا في جمع رِبِيَّةٍ، كما تقول: ثَلَاثَ أَغْنِيْنَ، لأنه بابٌ واحدٌ من التَّأْنِيثِ، وإذا كانت الهاءُ للمبالغة قلت: ثَلَاثَةٌ وأَرْبَعَةٌ، لأنك تقصد التذكير، لأن هاءَ المبالغة لا توجب تأنيثَ المُسَمَّى، ولأنها في الصِّفَةِ، والصِّفَةُ بعد الموصوف؛ ولذلك تقول: هذا عَلامَةٌ، ولا تقول: هذه عَلامَةٌ بخلافِ الرِّقَبَةِ والعَيْنِ، لأنك تقول في العبد الذكر: هذه رَقَبَةٌ فاغْتَقْهَا، وفي العين: هذه طَلِيعَةٌ، وهذه عَيْنٌ، وأنت تعني الرجل. هذا معنى الفرق بينهما.

فقه الحديث:

وفي هذا الحديث من الفقه صَلَاةَ الْمَجْرُوحِ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا، كما فعل عمرُ بن الخطَّابِ، وقد ترجم بعضُ المصنِّفين عليه لموضع هذه الفقه، وفيه مُتَعَلِّقٌ لمن يقول: إن غُسْلَ النَّجَاسَةِ، لا يُعَدُّ في شُرُوطِ صَحَّةِ الصَّلَاةِ، وفيه من الفقه أيضًا تعظيمُ حُرْمَةِ الصَّلَاةِ، وأنَّ لِلْمُصَلِّي أن يَتِمَّادَى عليها، وإن جَرَّ إليه ذلك القتلُ، وتفويت النفس، مع أن التعرُّضَ لفَوَاتِ النفس، لا يَحِلُّ إلاَّ في حَالِ الْمُحَارَبَةِ، ألا ترى إلى قوله: لولا أن أَضِيعَ ثَغْرًا أَمَرَنِي رسولُ الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أَقْطَعَهَا أو أَفْئِذَهَا، يعني: السورة التي كان يقرؤها.

معبد وشعره في ناقة للرسول هوت

فأقام رسول الله ﷺ ينتظر أبا سُفيان، فمرّ به مَعْبُدُ بن أبي مَعْبُد الخُزاعي، فقال،
وقد رأى مكان رسول الله ﷺ وناقته تهوي به.

قد نَفَرْتُ مِنْ رُفْقَتِي مُحَمَّدٍ وَعَجْوَةٌ مِنْ يَثْرِبٍ كَالْعَنْجَدِ
تَهْوِي عَلَى دِينَ أَبِيهَا الْأَثْلَدِ قَدْ جَعَلْتُ مَاءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِي
وماء ضَجْنَانَ لَهَا ضَحَى الْغَدِ

شعر لابن رواحة أو كعب في بدر:

وقال عبدُ الله بن رَوَاحَةَ في ذلك - قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاري
لكعب بن مالك:

وَعَدْنَا أبا سُفْيَانَ بَدْرًا فَلَمْ نَجِدْ لَمِيعَادِهِ صِدْقًا وَمَا كَانَ وَافِيَا
فَأَقْسِمَ لَوْ وَافَيْنَا فَلَقَيْنَا لَأُبْتُ دَمِيمًا وَافْتَقَدْتُ الْمَوَالِيَا
تَرَكْنَا بِهِ أَوْصَالَ عُثْبَةَ وَابْنَهُ وَعَمْرًا أبا جَهْلٍ تَرَكْنَاهُ ثَاوِيَا
عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ أَفْ لَدِينَكُمْ وَأَمْرَكُمْ السَّيِّئِ الَّذِي كَانَ غَاوِيَا
فإِنِّي وَإِنْ عَنَّفْتُمُونِي لِقَائِلُ فِدَى لِرَسُولِ اللَّهِ أَهْلِي وَمَالِيَا
أَطْعَمْنَاهُ لَمْ نَعْدْلُهُ فِينَا بَغْيِرَهُ شِهَابًا لَنَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ هَادِيَا

شعر حسان في بدر

وقال حسان بن ثابت في ذلك:
دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا جَلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ^(١)

حول رجز معبد وشعر حسان وأبي سُفيان

وذكر قول مَعْبُد:

وعجوة من يثرب كالْعَنْجَدِ

الْعَنْجَدُ: حَبُّ الزَّيْبِيبِ، وقد يقال للزبيب نفسه أيضًا عَنَجَدٌ، وأما العنب، فيقال:
لِعَجْمِهِ: الْفِرْصَدُ. وَالْأَثْلَدُ: الْأَقْدَمُ مِنَ الْمَالِ الثَّلِيدِ.

وأما قول حسان:

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ.....

(١) العوارك: جوانب القوس من مجرى الوتر.

بأيدي رجالٍ هاجروا نحو ربهم
إذا سَلَكْتَ للغور من بطنٍ عالٍ
أَقْمْنَا على الرُّسِّ النَّزُوعَ ثَمَانِيَا
بِكُلِّ كُمَيْتٍ جَوْزُهُ نِصْفُ خَلْقِهِ
تَرَى العَرْفَجَ^(١) العَامِيَّ تَذَرِي أَصُولَهُ
فَإِنْ تَلَقَّ فِي تَطَوَّافِنَا وَالتَّمَاثِينَا
وَإِنْ تَلَقَّ قَيْسُ بْنُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بَعْدَهُ
فَأَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي رِسَالَةً

وَأَنْصَارِهِ حَقًّا وَأَيْدِي الْمَلَائِكِ
فَقُولَا لَهَا لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَالِكَ
بِأَزَعَنْ جَرَّارٍ عَرِيضِ الْمَبَارِكِ
وَقُبِّ طَوَالٍ مُشْرِفَاتِ الْحَوَارِكِ
مَنَاسِمُ أَخْفَافِ الْمَطِيِّ الرَّوَاتِكِ^(٢)
فُرَاتِ بْنِ حَيَّانٍ يَكُنْ رَهْنَ هَالِكِ
يُزْدُ فِي سَوَادٍ لَوْنُهُ لَوْنُ حَالِكِ
فَإِنَّكَ مِنْ غَرِّ الرِّجَالِ الصَّعَالِكِ

شعر أبي سُفْيَانَ فِي الرَّدِّ عَلَى حَسَّانَ

فَأَجَابَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ:

أَحْسَانُ إِنَّا يَا ابْنَ آكِلَةِ الْفَغَا^(٣)
خَرَجْنَا وَمَا تَنْجُو الْيَعَافِيرَ^(٤) بَيْنَنَا
إِذَا مَا انْبَعَثْنَا مِنْ مُنَاحٍ حَسِبْتَهُ
أَقَمْتَ عَلَى الرُّسِّ النَّزُوعَ تُرِيدُنَا
عَلَى الزَّرْعِ تَمْشِي خَيْلُنَا وَرِكَابُنَا

وَجَدَّكَ نَفْتَالُ الْحُرُوقِ كَذَلِكَ
وَلَوْ وَأَلَتْ مَنَّا بِشَدِّ مُدَارِكِ
مُدَمَّنْ أَهْلُ الْمَوْسِمِ الْمُتَعَارِكِ
وَتَتْرَكُنَا فِي النَّخْلِ عِنْدَ الْمَدَارِكِ
فَمَا وَطِئَتْ أَلْصَقْنَهُ بِالذِّكَادِكِ

جَمْعُ فَلَجٍ، وَهُوَ الْمَاءُ الْجَارِي، سُمِّيَ فَلَجًا، لِأَنَّهُ قَدْ خَذَّ فِي الْأَرْضِ، وَفَرَّقَ بَيْنَ جَانِبَيْهِ مَا أَخُوذُ مِنْ فَلَجِ الْأَسْنَانِ، أَوْ مِنَ الْفَلَجِ وَهُوَ الْقَسْمُ، وَالْفَالِجُ مَكِّيَالٌ يُقَسَّمُ بِهِ، وَالْفَلَجُ وَالْفَالِجُ بَعِيرٌ ذُو سَنَامَيْنِ، وَهُوَ مِنْ هَذَا الْأَصْلِ، وَرَوَاهُ أَبُو حَنِيفَةَ بِالْحَاءِ وَقَالَ: الْفَلَجَةُ الْمَزْرَعَةُ.

وَذَكَرَ شِعْرَ أَبِي سُفْيَانَ:

أَحْسَانُ إِنَّا يَا ابْنَ آكِلَةِ الْفَغَا

الْفَغَا: ضَرْبٌ مِنَ الثَّمَرِ، وَيُقَالُ: هِيَ غَبَرَةٌ تَغْلُو، الْبُسْرُ، وَالْغَفَالَةُ فِي الْفَغَا.

(٢) الرواتك: البعير يمشي بطيئًا.

(٤) اليعافير: الغزلان.

(١) العرفج: رمال لا طريق فيها.

(٣) الفغا: التمر قبل أن ينضج.

أَقْمَنَّا ثَلَاثًا بَيْنَ سَلْعٍ وَفَارِعٍ بِجُرْدِ الْجِيَادِ وَالْمَطِيِّ الرِّوَاتِكِ
حَسِبْتُمْ جِلَادَ الْقَوْمِ عِنْدَ قِبَابِهِمْ كَمَا خَذِكُمْ بِالْعَيْنِ^(١) أَرْطَالَ آنَكَ^(٢)
فَلَا تَبْعَثِ الْخَيْلَ الْجِيَادَ، وَقُلْ لَهَا عَلَى نَحْوِ قَوْلِ الْمُغْصِمِ الْمَتَمَاسِكِ
سَعِدْتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ كَانَ أَهْلُهَا فَوَارِسُ مِنْ أَبْنَاءِ فَهْرِ بْنِ مَالِكِ
فَإِنَّكَ لَا فِي هَجْرَةٍ إِنْ ذَكَرْتَهَا وَلَا حُرْمَاتِ الدِّينِ أَنْتَ بِنَاسِكَ
قال ابن هشام: بقيت منها أبيات تركناها. لقبح اختلاف قوافيها. وأنشدني أبو زيد الأنصاري هذا البيت:

خَرَجْنَا وَمَا تَنْجُو الْيَعَاظِيرُ بَيْنَنَا

وَالْبَيْتَ الَّذِي بَعْدَهُ لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ فِي قَوْلِهِ:

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا

وأنشدني له فيها بيته: «فأبلغ أبا سفيان».

وفيه:

كَمَا خَذِكُمْ بِالْعَيْنِ أَرْطَالَ آنَكَ

ألفيت على هذا البيت في حاشية أبي بحر ما هذا نصه: ذكر مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ فِي الطَّبَقَاتِ لَهُ هَذَا الْبَيْتُ:

حَسِبْتُمْ جِلَادَ الْقَوْمِ حَوْلَ بُيُوتِكُمْ كَأَخَذِكُمْ فِي الْعَيْنِ أَرْطَالَ آنَكَ
ووصل به بأن قال: فقال أبو سفيان بن حربٍ لأبي سفيان بن الحارث: يا ابن أخي: لم جعلتها آنَكَ إِنْ كَانَتْ لِفِضَّةٍ بَيِّضَاءَ جَيِّدَةً.

وقوله:

سَعِدْتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ كَانَ أَهْلُهَا

وفي حاشية الشيخ: شَقِيتُمْ بِهَا وَغَيْرُكُمْ أَهْلُ ذِكْرِهَا.

وقوله:

خَرَجْنَا وَمَا تَنْجُو الْيَعَاظِيرُ بَيْنَنَا

اليعافير: الظُّبَاءُ الْعُفْرُ يريد أنهم لكثرة عددهم لا تنجوا منهم اليعافير.

(٢) آنَكَ: متالم.

(١) العين: أي المال الحاضر.

غزوة دومة الجندل في شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحاق: ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة، فأقام من مقدم رسول الله ﷺ بها أشهرًا حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهي سنة أربع ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل.

قال ابن هشام: في شهر ربيع الأول، واستعمل على المدينة سباع بن عرفة الغفاري.

قال ابن إسحاق: ثم رجع رسول الله ﷺ قبل أن يصل إليها، ولم يلق كيدًا، فأقام بالمدينة بقية سنته.

غزوة دومة الجندل^(١)

قال أبو عبيد البكري: سميت دومة الجندل بدومي بن إسماعيل، كان نزلها.

(١) انظر الواقدي (٤٠٢/١) الطبري (٥٦٤/٢) البداية (٩٢/٤) الطبقات (٤٤/١/٢) ابن حزم (١٨٤) النويري (١٦٢/١٧) أنساب الأشراف (١٦٤/١) المنتظم (٢١٥/٣) السيرة الحلبية (٣٦٢/٢) الشامية (٣٨٤/٤) الدلائل (٣٨٩/٣) عيون الأثر (٧٥/٢) الزاد (٢٥٦/٣) ابن سيّد الناس (٥٤/٢) شرح المواهب (٩٤/٢ - ٩٥).

غزوة الخندق في شوال سنة خمس

تاريخها:

حدّثنا أبو محمد بن عبد الملك بن هشام: قال: حدّثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن محمد بن إسحاق المطلبّي، قال: ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس.

اليهود تحرّض قريشاً:

فحدّثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير بن عروة بن الزبير، ومَن لا أتهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، ومحمد بن كعب القرظي، والزُّهري، وعاصم بن عمر بن

غزوة الخندق (١)

وحَفَرُ الخَنْدَق لم يَكُنْ من عَادَةِ العَرَب، ولكنه من مَكَايِدِ الفُرسِ وحُروبِها، ولذلك أشار به سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ، وأَوَّلُ مَنْ خَنْدَقَ الخَنَادِقَ من مُلُوكِ الفُرسِ فيما ذكر الطبري «مِنْوَشَهْرُ بن أبيرج بن أَفْرِيدُون وقد قيل في أَفْرِيدُون: إنه ابن إسحاق عليه السلام، وأكثرهم يقول فيه: هو ابن أَثَقِيَّان، وهو أَوَّلُ من اتخذ آلَهُ الرُّمِّي، وإلى رأسِ ستين سنة من مُلْكِهِ بُعِثَ موسى عليه السلام، وقد تقدّم ذكر الكَمَائِنِ في الحروب، وأن أَوَّلَ من فعلها بُخْتَنْصَرُ في قول الطبري.

(١) انظر البداية (٩٢/٤) الطبري (٥٦٤/٢) الكامل (٧٠/٢) الطبقات (٧٤/١/٢) الواقدي (٤٤٠/٢) إمتاع الأسماع (٢١٧/١) المنتظم (٢٢٧/٣) الاكتفاء (٣٨/٢) عيون الأثر (٧٦/٢) الزاد (٢٦٩/٣) السيرة الحلبيّة (٤٠١/٢) الشامية (٥١٢/٤) النويري (١٦٦/١٧) والدلائل (٣٩٢/١٣) البخاري (١٠٧/٥) ومسلم (١٤٥/١٢ - نووي).

قَتَادَةَ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَغَيْرَهُمْ مِنْ عِلْمَائِنَا، كُلَّهُمْ قَدْ اجْتَمَعَ حَدِيثُهُ فِي الْحَدِيثِ عَنْ الْخَنْدَقِ، وَبَعْضُهُمْ يَحَدِّثُ مَا لَا يَحَدِّثُ بِهِ بَعْضٌ، قَالُوا: إِنَّهُ كَانَ مِنْ حَدِيثِ الْخَنْدَقِ أَنَّ نَفَرًا مِنَ الْيَهُودِ، مِنْهُمْ: سَلَامُ بْنُ أَبِي الْحَقِّيقِ النَّضْرِيِّ، وَحُيَيْبُ بْنُ أَخْطَبِ النَّضْرِيِّ، وَكِنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحَقِّيقِ النَّضْرِيِّ، وَهَوْدَةُ بْنُ قَيْسِ الْوَائِلِيِّ، وَأَبُو عَمَّارِ الْوَائِلِيِّ، فِي نَفَرٍ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، وَنَفَرٍ مِنْ بَنِي وَائِلٍ، وَهُمْ الَّذِينَ حَزَبُوا الْأَحْزَابَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، خَرَجُوا حَتَّى قَدِمُوا عَلَى قُرَيْشِ مَكَّةَ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى حَزْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالُوا: إِنَّا سَنَكُونُ مَعَكُمْ عَلَيْهِ، حَتَّى نَسْتَأْصِلَهُ - فَقَالَتْ لَهُمْ قُرَيْشٌ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، إِنَّكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَالْعِلْمِ بِمَا أَصْبَحْنَا نَخْتَلِفُ فِيهِ نَحْنُ وَمُحَمَّدٌ أَفَدِينُنَا خَيْرٌ أَمْ دِينُهُ؟ قَالُوا: بَلْ دِينُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ، وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ (مِنْهُ) فَهُمْ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَخْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ؟﴾: أَيِ النَّبِيِّ، ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾.

اليهود تحرّض غطفان:

قَالَ: فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ لِقُرَيْشٍ، سَرَّهُمْ وَنَشِطُوا لِمَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ، مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاجْتَمَعُوا لِذَلِكَ وَاتَّعَدُوا لَهُ. ثُمَّ خَرَجَ أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنْ يَهُودَ، حَتَّى جَاءُوا غُطْفَانَ، مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ مَعَهُمْ عَلَيْهِ، وَأَنَّ قُرَيْشًا قَدْ تَابَعُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَاجْتَمَعُوا مَعَهُمْ فِيهِ.

خروج الأحزاب من المشركين

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ، وَقَائِدُهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ؛ وَخَرَجَتْ غُطْفَانُ، وَقَائِدُهَا عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَذْرِ، فِي بَنِي فَزَازَةَ؛ وَالْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ بْنُ أَبِي

وَذَكَرَ تَحْزِيبَ بَنِي قُرَيْظَةَ الْأَحْزَابِ، وَنَسَبَ طَائِفَةً مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، فَقَالَ فِيهِمُ النَّضْرِيُّ، وَهَكَذَا تَقِيدُ فِي النُّسخَةِ الْعَتِيقَةِ، وَقِيَاسُهُ: النَّضِيرِيُّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ قَوْلِهِمْ: ثَقَفِيٌّ وَقُرَشِيٌّ، وَهُوَ خَارِجٌ عَنِ الْقِيَاسِ، وَإِنَّمَا يَقَالُ: فَعَلِيٌّ فِي النَّسَبِ إِلَى فَعِيلَةٍ.

عينه بن حصن

وَذَكَرَ قَائِدَ غُطْفَانَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ، وَهُوَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، وَاسْمُهُ حُذَيْفَةُ، وَسُمِّيَ: عُيَيْنَةُ

حارثة المُرِّي، في بني مُرَّة؛ ومُسعر بن رُخيلة بن نُويرة بن طَريف بن سُحمة بن عبد الله بن هلال بن خُلاوة بن أشجع بن ريث بن عطفان، فيمن تابعه من قومه من أشجع.

حفر الخندق وتخاذل المنافقين وجد المؤمنين:

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ، وما أجمعوا له من الأمر، صَرَب الخندق على المدينة، فعمل فيه رسول الله ﷺ تَزْغِيًا للمسلمين في الأجر، وعَمَل معه المسلمون فيه، قَدَاب فيه ودأبوا. وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين، وجعلوا يُوزَّون بالضعيف من العمل ويتسلَّلون إلى أهليهم بغير عِلْم من رسول الله ﷺ، ولا إذن، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة، من الحاجة التي لا بدَّ له منها، يذكر ذلك لرسول الله ﷺ، ويستأذنه في اللّحوق بحاجته فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله، رغبةً في الخير، واحتسابًا له.

ما نزل في حق العاملين في الخندق:

فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة في الخير، والطاعة لله ولرسوله ﷺ.

ثم قال تعالى، يعني المنافقين الذين كانوا يتسلَّلون من العمل، ويذهبون بغير إذن من النبي ﷺ: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

لِشَرِّ كَانَ بِعَيْنِهِ، وهو الذي قال فيه عليه السلام: «الأخْمَقُ الْمُطَاعُ»، لأنه كان من الجَرَّارِينَ تَتَّبَعُهُ عَشْرَةُ آلَافٍ قَنَاقَةً، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: «إِنْ شَرَّ النَّاسِ مَنْ وَدَّعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ»^(١)، وفي رواية أخرى: أنه قال: «إِنِّي أَدَارِيهِ، لَأَنِّي أَخْشَى أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ خَلْقًا كَثِيرًا»، وفي هذا بيان معنى الشَّرِّ الذي اتَّقَى منه، وكان دخل على النبي ﷺ بغير إذن، فلما قال له:

(١) أخرجه البخاري (١٦/٨) ومسلم في البر والصلة (٧٣) وعبد الرزاق في مصنفه (٢٠٤٤).

تفسير بعض الغريب:

قال ابن هشام: اللواذ: الاستار بالشيء عند الهرب، قال حسان بن ثابت:
وَقُرَيْشٌ تَفِرُّ مِنَّا لِوَاذًا أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَ مِنْهَا الْحُلُومُ
وهذا البيت في قصيدة له قد ذكرتها في أشعار يوم أحد.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾.

قال ابن إسحاق: من صدق أو كذب.

﴿وَيَوْمَ يُزْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

المسلمون يرتجزون في الحفر:

قال ابن إسحاق: وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين، يقال له جُعِيل، سمّاه رسول الله ﷺ: عَمْرًا، فقالوا:

سَمَّاهُ مِنْ بَعْدِ جُعَيْلِ عَمْرًا وَكَانَ لِلْبَائِسِ يَوْمًا ظَهْرًا

فإذا مرّوا «بعمرو» قال رسول الله ﷺ: «عمرًا»، وإذا مرّوا «بظهر» قال رسول الله ﷺ: «ظهرًا».

الآيات التي ظهرت في حفر الخندق:

قال ابن إسحاق: وكان في حفر الخندق أحاديثٌ بلغّني، فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسول الله ﷺ، وتحقيق نبوّته، عاين ذلك المسلمون.

فكان مما بلغني أن جابر بن عبد الله كان يحدث: أنه اشتدّت عليهم في بعض الخندق كُذبة، فشكّوها إلى رسول الله - ﷺ - فدعا بإناء من ماء، فتفل فيه، ثم دعا بما

«أين الإذن؟» قال: ما استأذنت على مُضَرِّي قبلك، وقال: ما هذه الحُمَيْرَاءُ معك يا محمد؟ فقال: «هي عائشة بنت أبي بكر»، فقال: طَلُفْهَا، وَأَنْزِلْ لَكَ عَنْ أُمِّ الْبَنِينَ، فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ تَذَكَّرُ مِنْ جَفَائِهِ، أَسْلَمَ، ثُمَّ ارْتَدَّ، وَأَمِنْ بَطْلِيحَةَ حِينَ تَنْبَأُ وَأُخِذَ أَسِيرًا، فَاتَى بِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسِيرًا، فَمَنْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَزَلْ مُظْهِرًا لِلْإِسْلَامِ عَلَى جَفَوْتِهِ وَغُنْجُهِيتِهِ وَلَوْثَةِ أَغْرَابِيَّتِهِ حَتَّى مَاتَ. قال الشاعر:

وَإِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنْ غُنْجُهِيتِي وَلَوْثَةِ أَغْرَابِيَّتِي لِأَدِيبُ

شاء الله أن يَدْعُو به، ثم نَضَح ذلك الماء على تلك الكُذْبة، فيقول من حَضَرها: فوالذي بَعَثه بالحق نبيًا، لانهالت حتى عادت كالثيب، لا ترد فأسًا ولا مِسْحاة.

قال ابن إسحاق: وحدثني سَعِيد بن مِينَا أَنه حَدَّث: أَن ابْنَةَ لَبْشِير بن سعد، أخت النعمان بن بشير، قالت: دَعَتْنِي أُمِّي عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ، فَأَعْطَتْنِي حَفْنَةً مِنْ تَمَرٍ فِي ثَوْبِي، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ بُنْيَةٍ، أَذْهَبِي إِلَى أَبِيكَ وَخَالِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بِغَدَائِهِمَا، قَالَتْ: فَأَخَذْتُهَا، فَانْطَلَقْتُ بِهَا، فَمَرَرْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَلْتَمِسُ أَبِي وَخَالِي؛ فَقَالَ: «تَعَالَى يَا بُنْيَّةُ مَا هَذَا مَعَكَ؟» قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا تَمَرٌ، بَعَثْتَنِي بِهِ أُمِّي إِلَى أَبِي بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ، وَخَالِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ يَتَغَدَّيَانِهِ؛ قَالَ: «هَاتِيه»؛ قَالَتْ: فَصَبَبْتُهُ فِي كَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَا مَلَأْتُهُمَا، ثُمَّ أَمَرَ بِثَوْبٍ فُبَسَطَ لَهُ، ثُمَّ دَحَا بِالتَّمَرِ عَلَيْهِ، فَتَبَدَّدَ فَوْقَ الثَّوْبِ، ثُمَّ قَالَ لِلْإِنْسَانِ عِنْدَهُ: «اصْرُخْ فِي أَهْلِ الْخَنْدَقِ: أَنْ هَلُمَّ إِلَى الْغَدَاءِ»، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَلَيْهِ، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ، وَجَعَلَ يَزِيدُ، حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَنْهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْقُطُ مِنْ أَطْرَافِ الثَّوْبِ.

قال ابن إسحاق: وحدثني سَعِيد بن مِينَا، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: عَمِلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْخَنْدَقِ، فَكَانَتْ عِنْدِي شُوبِيهَةٌ، غَيْرُ جَدِّ سَمِينَةٍ. قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَوْ صَنَعْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ قَالَ: فَأَمَرْتُ امْرَأَتِي، فَطَحَنَتْ لَنَا شَيْئًا مِنْ شَعِيرٍ، فَصَنَعَتْ لَنَا مِنْهُ خَبْزًا، وَذَبَحَتْ تِلْكَ الشَّاةَ، فَشَوَيْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَلَمَّا أُمْسَيْنَا وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِنْصِرَافَ عَنِ الْخَنْدَقِ - قَالَ: وَكُنَّا نَعْمَلُ فِيهِ نَهَارَنَا، فَإِذَا أُمْسَيْنَا رَجَعْنَا إِلَى أَهْلَانَا - قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ لَهُ شُوبِيهَةً كَانَتْ عِنْدَنَا، وَصَنَعْنَا مَعَهَا شَيْئًا مِنْ خَبْزِ هَذَا الشَّعِيرِ فَأُحِبُّ أَنْ تَنْصَرِفَ مَعِيَ إِلَى مَنْزِلِي، وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ يَنْصَرِفَ مَعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحْدَهُ. قَالَ: فَلَمَّا أَنْ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ أَمَرَ صَارِخًا فَصَرَخَ: أَنْ أَنْصَرِفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ؛ قَالَ: قُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! قَالَ: فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ مَعَهُ؛ قَالَ: فَجَلَسَ وَأَخْرَجْنَاهَا إِلَيْهِ. قَالَ: فَبَرَكَ وَسَمِيَ (اللَّهُ)، ثُمَّ أَكَلَ، وَتَوَارَدَهَا النَّاسُ، كُلَّمَا فَرَّغَ قَوْمٌ قَامُوا وَجَاءَ نَاسٌ، حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَنْهَا.

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثْتُ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: ضَرَبْتُ فِي نَاحِيَةِ مِنَ الْخَنْدَقِ، فَطَلَّطْتُ عَلَى صَخْرَةٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَرِيبٌ مِنِّي؛ فَلَمَّا رَأَيْتِي أَضْرِبُ وَرَأَيْتُ شِدَّةَ الْمَكَانِ عَلَيَّ، نَزَلَ فَأَخَذَ الْمِغُولَ مِنْ يَدِي، فَضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً لَمَعَتْ تَحْتَ الْمِغُولِ بَرَقَةٌ،

وَذَكَرَ حَلِيزَةَ الْخَلْدَقِ، وَأَنَّهُ عَرَضَتْ لَهُ صَخْرَةٌ، وَوَقَعَ فِي غَيْرِ السَّيْرِ عَبْلَةٌ وَهِيَ الصَّخْرَةُ الصَّمَاءُ، وَجَمِيعُهَا عِبَلَاتٌ، وَيُقَالُ لَهَا: الْعِبْلَاءُ وَالْأَعْبَلُ أَيْضًا، وَهِيَ صَخْرَةٌ بِيضَاءُ.

قال: ثم ضرب به ضربة أخرى، فلمعت تحته برقة أخرى؛ قال: ثم ضرب به الثالثة، فلمعت تحته برقة أخرى. قال: قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب؟ قال: «أوقد رأيت ذلك يا سلمان؟» قال: قلت: نعم؛ قال: «أما الأول فإن الله فتح عليّ بها اليمن؛ وأما الثانية فإن الله فتح عليّ بها الشام والمغرب، وأما الثالثة فإن الله فتح عليّ بها المشرق».

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول، حين فتحت هذه الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده: افتتحوا ما بدا لكم، فوالذي نفس أبي هريرة بيده، ما افتتحت من مدينة ولا تفتتحنها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمدًا ﷺ مفاتيحها قبل ذلك.

قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة، بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومن

البرقات التي لمعت:

وذكر أنه لمعت له من تلك الصخرة برقة بعد برقة، وخرجه النسوي من طريق البراء بن عازب بآتم مما وقع في السيرة، قال: لما أمرنا رسول الله ﷺ - أن نخفر الخندق عرض لنا حجر لا يأخذ فيه المعول، فأخذ المعول، وقال: «بسم الله»، فضرب ضربة فكسر ثلث الصخرة، وقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكان هذا»، قال: ثم ضرب أخرى، وقال: «بسم الله»، وكسر ثلثا آخر، قال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن»، ثم ضرب ثالثة، وقال: «بسم الله»، فقطع الحجر، وقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر باب صنعاء [من مكاني هذا الساعة]^(١)». وقوله: «فأسأ ولا مسحاة». المسحاة: مفعلة من سحوت الطين، إذا قشرت، ويقال لحد الفأس والمسحاة: الغراب، ولنصليهما: الفعال بكسر الفاء، قاله أبو عبيد في حديث سلمان التيمي عن أبي عثمان النهدي أنه عليه السلام حين ضرب في الخندق قال:

بِسْمِ اللَّهِ وَبِهِ بَدِينَا وَلَوْ عَبْدُنَا غَيْرَهُ شَقِينَا حَبِّدَا رَبًّا وَحَبِّدَا دِينَا

تحقيق اسم زغابة:

وقوله: حتى نزلوا بين الجرف وزغابة. زغابة اسم موضع بالغين المنقوطة والزاي

(١) أخرجه أحمد (٣٠٣/٤) وابن أبي شيبة (٤٢٢/١٤) والبيهقي في الدلائل (٤٢١/٣).

تَبِعَهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ، وَأَقْبَلَتْ غَطَفَانُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ، حَتَّى نَزَلُوا بِذَنْبِ نَقْمَى، إِلَى جَانِبِ أَحَدٍ. وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ، حَتَّى جَعَلُوا ظُهُورَهُمْ إِلَى سَلْعٍ، فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَضَرَبَ هُنَالِكَ عَسْكَرَهُ، وَالْخَنْدُقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

قال ابن إسحق: وأمر بالذّراري والنساء فجعلوا في الآطام.

تحريض حِي بن أخطب لكعب بن أسد:

وخرج عدوّ الله حِيّ بن أخطب النّضريّ، حتّى أتى كعب بن أسد القرظي، صاحب عَقْد بني قُريظة وعَهْدَهُمْ، وكان قد وادّع رسول الله ﷺ على قومه، وعاقده على ذلك وعاهده؛ فلما سمع كعبُ حِيّ بن أخطب أغلق دونه باب حِصْنِهِ، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتّح له، فناداه حِيّ: وَيْحَكَ يَا كَعْبُ! افتح لي، قال: ويحك يا حِيّ: إنك امرؤ مَشْؤُومٌ، وإني قد عاهدتُ محمداً، فلستُ بناقضٍ ما بيني وبينه ولم أرَ منه إلا وفاء

المفتوحة: وذكره البكري بهذا اللفظ بعد أن قدم القول بأنه زُعَابَةٌ بضم الزاي والعين المهملة، وحكي عن الطبري أنه قال في هذا الحديث بين الجُرف والغابة، واختار هذه الرواية وقال: لأن زُعَابَةً لا تُعْرَفُ. قال المؤلف: والأعرف عندي في هذه الرواية رواية مَنْ قال: زُعَابَةٌ بِالْغَيْنِ المنقوطة، لأن في الحديث المسند أنه عليه السلام، قال في ناقةٍ أهداها إليه أَعْرَابِي، فكافأه بِسِتٍّ بَكَرَاتٍ، فلم يرض، فقال عليه السلام: «أَلَا تَعْجَبُونَ لِهَذَا الْأَعْرَابِي! أَهْدَى إِلَيَّ نَاقَةً أَعْرِفُهَا بَعِينَهَا، كَمَا أَعْرِفُ بَعْضَ أَهْلِي ذَهَبَتْ مِنِّي يَوْمَ زُعَابَةٍ، وَقَدْ كَافَأَتْهُ بِسِتٍّ فَسَخِطَ». الحديث، وقال: «ذَنْبٌ نَقِمٌ وَنَقَمَى مَعًا».

يقتل في الذروة والغارب:

وذكر حِيّ بن أخطب، وما قال لكعب، وأنه لم يَزَلْ يَفْتَلُ فِي الذَّرْوَةِ وَالْغَارِبِ. هذا مَثَلٌ، وأصله في البعير، يَسْتَضِعُّ عَلَيْكَ فَتَأْخُذُ الْقِرَادُ مِنْ ذُرْوَتِهِ وَغَارِبِ سِنَامِهِ، وَتَفْتَلُ هُنَاكَ، فَيَجِدُ الْبَعِيرُ لَذَّةً فَيَأْنَسُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَضَرِبَ هَذَا الْكَلَامُ مَثَلًا فِي الْمُرَاوَضَةِ وَالْمُخَاتَلَةِ، وكذلك جاء في حديث ابن الزُّبَيْرِ حين أراد عائشة على الخروج إلى البصرة، فأبت عليه، فجعل يَفْتَلُ فِي الذَّرْوَةِ وَالْغَارِبِ حتّى أجابته. وقال الحطيئة:

لَعَمْرُكَ مَا قِرَادُ بَنِي بَغِيضٍ إِذَا نُزِعَ الْقِرَادُ بِمُسْتَطَاعٍ
يريد: أنهم لا يُخَدَعُونَ وَلَا يَسْتَذْلُونَ.

وَصِدْقًا؛ قَالَ: وَيَحْكُ افْتَحْ لِي أَكْلَمَكَ؛ قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنِ اغْلَقْتَ دُونِي إِلَّا تَخَوَّفْتَ عَلَى جَشِيشَتِكَ^(١) أَنْ أَكَلَ مَعَهَا مِنْهَا، فَأَحْفَظَ الرَّجُلُ، فَفَتَحَ لَهُ، فَقَالَ: وَيَحْكُ يَا كَعْبُ، جِئْتُكَ بَعَزُ الدَّهْرِ وَبِخَرِ طَامٍ، جِئْتُكَ بِقُرَيْشٍ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا، حَتَّى أَنْزَلْتُهُمْ بِمُجْتَمَعٍ مِنْ رُومَةٍ، وَبِغَطَفَانٍ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا حَتَّى أَنْزَلْتُهُمْ بِذَنْبٍ نَقَمَى إِلَى جَانِبِ أَحَدٍ، قَدْ عَاهَدُونِي وَعَاقَدُونِي عَلَى أَنْ لَا يَبْرَحُوا حَتَّى نَسْتَأْصِلَ مُحَمَّدًا وَمَنْ مَعَهُ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ كَعْبُ: جِئْتَنِي وَاللَّهِ بِذُلِّ الدَّهْرِ، وَبِجَهَامٍ^(٢) قَدْ هَرَّاقَ مَاءَهُ، فَهُوَ يُرْعِدُ وَيُتْرِقُ، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، وَيَحْكُ يَا حُيَيَّ! فَدَغَنِي وَمَا أَنَا عَلَيْهِ، فَإِنِّي لَمْ أَرِ مِنْ مُحَمَّدٍ إِلَّا صِدْقًا وَوَفَاءً. فَلَمْ يَزَلْ حُيَيَّ بِكَعْبٍ يَفْتِلُهُ فِي الذُّرْوَةِ وَالْغَارِبِ، حَتَّى سَمَحَ لَهُ، عَلَى أَنْ أَغْطَاهُ عَهْدًا مِنْ اللَّهِ وَمِيثَاقًا: لَنْ رَجَعْتَ قُرَيْشَ وَغَطَفَانَ، وَلَمْ يُصِيبُوا مُحَمَّدًا أَنْ أَدْخَلَ مَعَكَ فِي حَصْنِكَ حَتَّى يُصِيبَنِي مَا أَصَابَكَ. فَنَقَضَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ عَهْدَهُ، وَبَرَىءَ مِمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

التحرّي عن نقض كعب للعهد

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبرُ وإلى المسلمين، بعث رسولُ الله ﷺ سعدَ بنَ معاذَ بنَ النعمانِ، وهو يومئذ سيّد الأوس، وسعدُ بنُ عبادة بنِ دُلَيْمٍ، أحدُ بني ساعدة بنِ كعب بنِ الخزرج وهو يومئذ سيّد الخزرج ومعهما عبدُ الله بنُ رَواحة، أخو بني الحارث بنِ الخزرج، وخَوَّاتُ بنُ جُبَيْرٍ، أخو بني عمرو بنِ عوف؛ فقال: انطلقوا حتى تنظروا، أحقَّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَالْحَنُوا لِي لَحْنًا أَعْرِفُهُ، وَلَا تَفْتُّوا فِي أَعْضَادِ النَّاسِ.

اللحن^(٣)

وذكر قول النبي - ﷺ - الْحَنُوا لِي لَحْنًا أَعْرِفُهُ، وَلَا تَفْتُّوا فِي أَعْضَادِ النَّاسِ.

اللَّحْنُ: الْعُدُولُ بِالْكَلَامِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ النَّاسِ إِلَى وَجْهٍ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا صَاحِبُهُ، كَمَا أَنَّ اللَّحْنَ الَّذِي هُوَ الْخَطَأُ عُذُولٌ عَنِ الصَّوَابِ الْمَعْرُوفِ.

- (١) جَشِيشَتِكَ: طَعَامٌ يُصْنَعُ مِنَ الْقَمْحِ. (٢) جَهَامٌ: سَحَابٌ لَا مَاءَ فِيهِ. (٣) لَحْنٌ: اللَّامُ وَالْحَاءُ وَالنُّونُ لَهُ بِنَاءٌ أَنْ يَدُلَّ أَحَدُهُمَا عَلَى إِمَالَةٍ شَيْءٍ مِنْ جِهَتِهِ، وَيَدُلُّ الْآخَرُ عَلَى الْفُطْنَةِ وَالذِّكَاءِ. فَأَمَّا اللَّحْنُ بِسُكُونِ الْحَاءِ فإِمَالَةُ الْكَلَامِ مِنْ جِهَتِهِ الصَّحِيحَةِ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ يُقَالُ: لَحْنٌ لَحْنًا. وَهَذَا عِنْدَنَا مِنَ الْكَلَامِ الْمَوْلَدُ؛ لِأَنَّ اللَّحْنَ مُحَدَّثٌ، لَمْ يَكُنْ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِطَبَاعِهِمُ السَّليمة. وَالْأَصْلُ الْآخِرُ اللَّحْنُ: وَهِيَ الْفُطْنَةُ. يُقَالُ: لَحْنٌ يَلْحَنُ لَحْنًا وَهُوَ لَحْنٌ وَلَا حِنَ. مَقَايِيسُ الْلُغَةِ (٢٣٩/٥).

قال: فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، نالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: مَنْ رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد. فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه، وكان رجلاً فيه حدة، فقال له سعد بن عبادة: دع عنك مُشَاتِمَتَهُمْ، فما بيننا وبينهم أَرْبَى من المُشَاتِمَةِ. ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما، إلى رسول الله ﷺ، فسَلَّمُوا عليه، ثم قالوا: عَضَلُ والقَارَةُ، أي كغدر عَضَل والقارة بأصحاب الرجيع، خُبِيب وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين».

قال السيرافي: ما عَرَفْتُ حقيقة معنى النَّخْوِ إِلَّا من معنى اللَّحْنِ الذي هو ضِدُّهُ، فإن اللَّحْنَ عدول عن طريق الصواب، والنَّخْوُ قُضْدٌ إلى الصَّوَابِ، وَأَمَّا اللَّحْنُ بفتح الحاء، فأصله من هذا إِلَّا أنه إذا لَحَنَ لَكَ لِتَفْهَمَ عنه، ففهمت سُمِّيَ ذلك الْفَهْمُ لَحْنًا، ثم قيل لكل من فَهِمَ قد لَحَنَ بكسر الحاء، وأصله ما ذكرناه من الْفَهْمِ عن اللاحن قال الجاحظ في قول مالك بن أسماء [بن خارجة الفزاري]:

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلَحَّنُ أَخِيَا نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

أراد أَنَّ اللَّحْنَ الذي هو الْخَطَأُ قد يُسْتَمْلَحُ، وَيُسْتَطَابُ من الجارية الحديثة السَّنُّ، وَخُطِئَ الْجَاظُ في هذا التَّأْوِيلِ^(١)، وَأُخْبِرَ بما قاله الحجاج بن يوسف لامرأته: هِنْدُ بِنْتُ أَسْمَاءَ بن خَارِجَةَ، حين لَحَنَتْ، فَأَنكَرَ عليها، اللَّحْنَ فَاحْتَجَّتْ بقول أخيها مالك بن أسماء:

وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

فقال لها الحجاج: لم يُرِدْ أخوك هذا، إنما أراد اللَّحْنَ الذي هو التَّوْرِيَةُ والأَلْغَاؤُ، فَسَكَّتْ، فلما حُدِّثَ الجاحظ بهذا الحديث، قال: لو كان بلغني هذا قبل أن أُؤَلَّفَ كتابَ الْبَيَانِ ما قلت في ذلك ما قلت، فقليل له: أَفَلَا تُغَيِّرُهُ؟ فقال: كيف وقد سارت به الْبِغَالُ الشُّهُبُ وَأَنْجَدَ في الْبِلَادِ وَغَارَ.

وكما قال الجاحظ في معنى تَلَحَّنَ أحيانًا قال ابن قتيبة مثله أو قريبًا منه.

وقوله: يَفْتُ في أَغْضَادِ النَّاسِ، أي: يَكْسِرُ من قُوَّتِهِمْ وَيُوْهِنُهُمْ، وضرب الْعَضْدَ مثلاً، وَالْفَتْ: الْكَسْرُ، وقال: في أَعْضَادِهِمْ ولم يقل: يَفْتُ أَعْضَادَهُمْ، لأنه كناية عن الرُّغْبِ الدَّخْلِ في الْقَلْبِ، ولم يُرِدْ كَسْرًا حَقِيقِيًّا، ولا الْعَضْدَ الذي هو الْعَضْوُ، وإنما هو عبارة عما يَدْخُلُ في الْقَلْبِ مِنَ الْوَهْنِ، وهو من أَفْصَحِ الْكَلَامِ.

(١) انظر البيان والتبيين (١/١٤٧/٢٢٥).

ظهور نفاق المنافقين واشتداد خوف المسلمين :

وعظم عند ذلك البلاء، واشتدَّ الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظنَّ المؤمنون كلَّ ظنٍّ، ونَجَم النُّفاق من بعض المنافقين، حتى قال مُعْتَب بن قُشير، أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُل كَنُوز كَسْرَى وقِصر، وأَحَدُنَا اليوم لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ.

أكان معتب منافقاً؟

قال ابن هشام: وأخبرني من أثق به من أهل العلم: أن مُعْتَب بن قُشير لم يكن من المنافقين، واحتجَّ بأنه كان من أهل بدر.

قال ابن إسحاق: وحتى قال أَوْسُ بن قَيْظِي، أحد بني حارثة بن الحارث: يا رسول الله، إن بيوتنا عَوْرَةٌ من العدو، وذلك عن ملأ من رجال قومه، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا، فإنها خارج من المدينة. فأقام رسولُ الله ﷺ وأقام عليه المشركون بضْعًا وعشرين ليلة: قريبًا من شهر، لم تكن بينهم حرب إلا الرَّمْيُ بالنبل والحِصار. قال ابن هشام: ويقال الرَّمْيُ.

الهم بعقد الصلح مع غطفان

فلما اشتدَّ على الناس البلاء، بعث رسولُ الله ﷺ - كما حدَّثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم، عن محمد بن مُسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري - إلى

وذكر أَوْس بن قَيْظِي، وهو القائل: ﴿إِنْ بِيُوتُنَا عَوْرَةٌ﴾^(١) وابنه: عَرَابَةُ بن أَوْسٍ كان سَيِّدًا، ولا صُحْبَةً له، وقد قيل: له صحبة، وقد ذكرناه فيمن استُضْغِرَ يوم أُحُدٍ، وهو الذي يقول فيه الشَّمَاخُ:

إِذَا مَا رَايَةَ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ
وَلِعَرَابَةَ أَخُ اسْمِهِ: كَبَاثَةُ مذكور في الصحابة أيضًا.

مصالحة الأحزاب

فصل: وذكر ما همَّ به النبي ﷺ من مُصَالِحَةِ الْأَحْزَابِ عَلَى ثُلُثِ تَمْرِ الْمَدِينَةِ، وفيه من الفقه جواز إعطاء المال للعدو، إذا كان فيه نظرٌ للمسلمين وجِيبَاةٌ لهم، وقد ذكر أبو عبيد

(١) سورة الأحزاب آية رقم (١٣).

عُيَيْنَ بن حِضْنِ بن حُذَيْفَةَ بن بَذْرٍ، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرِّي، وهما قائدَا غَطَفَانِ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يَزْجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كَتَبُوا الْكِتَابَ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح، إلا المُرَاوَضَةُ في ذلك. فلما أراد رسولُ الله ﷺ أن يفعل، بعث إلى سَعْدِ بن مُعَاذٍ وسَعْدِ بن عُبَادَةَ، فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه، فقالا له: يا رسول الله، أمرًا نُحِبُّه فنصنعه، أم شيئًا أمرك الله به، لا بد لنا من العمل به، أم شيئًا تصنعه لنا؟ قال: «بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رَمَتْكُمْ عن قَوْسٍ واحدة، وكالبوكم من كلِّ جانب، فأردت أن أكسِرَ عنكم من شوكتهم إليَّ أمرٌ ما»؛ فقال له سَعْدُ بن مُعَاذٍ: يا رسول الله، قد كنَّا نحن وهؤلاء القوم على الشُّرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه. وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعًا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزَّنَّا بك وبه، نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا! (والله) ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نُعْطِيهِمْ إلا السَّيفَ حتى يَحْكُمَ الله بيننا وبينهم؛ قال رسولُ الله ﷺ: «فأنت وذاك». فتناول سعدُ بن مُعَاذٍ الصَّحِيفَةَ، فمحا ما فيها من الْكِتَابِ، ثم قال: لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا.

عبور نفر من المشركين الخندق:

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون، وعدوهم محاصروهم، ولم يكن بينهم قتال، إلا أن فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس، أخو بني عامر بن لُؤَيٍّ.

- قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن عبد بن أبي قيس -.

قال ابن إسحاق: وعكرمة بن أبي جهل، وهُبَيْرَةُ بن أبي وهب المخزوميان، وضِرَارُ بن الخطَّابِ الشاعر ابن مرداس، أخو بني محارب بن فهر، تلبَّسوا للقتال، ثم خرجوا على خيلهم، حتى مرّوا بمنازل بني كِنانة، فقالوا: تهَيَّئُوا يا بني كِنانة للحرب، فستعلمون من الفُرسان اليوم، ثم أقبلوا تُغْنِقُ بهم خيلهم، حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لَمَكِيدَةٌ ما كانت العربُ تكيدها.

هذا الخبر، وأنه أمرٌ مَعْمُولٌ به، وذكر أن مُعَاوِيَةَ صَالِحَ مَلِكِ الرُّومِ على الكَفِّ عن ثُغُور الشام بمالٍ دفعه إليه، قيل: كان مائة ألف دينار، وأخذ من الروم رُهْنًا، فغدرت الروم، ونقضت الصلح، فلم ير معاوية قتل الرّهائين، وأطلقهم، وقال: وفاءً بغدرٍ خيرٌ من غدرٍ بغدرٍ، قال: وهو مَذْهَبُ الْأَوْزَاعِيِّ وأهل الشام ألا تُقْتَلَ الرّهائين، وإن غدرَ العدو.

سلمان وإشارته بحفر الخندق

قال ابن هشام: يقال: إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله ﷺ.

وحدثني بعض أهل العلم: أن المهاجرين يوم الخندق قالوا: سلمان مئاً؛ وقالت الأنصار: سلمان مئاً، فقال رسول الله ﷺ: «سلمان مئاً أهل البيت».

مبارزة عليّ لعمر بن عبد ودّ

قال ابن إسحق: ثم تيمّموا مكاناً ضيقاً من الخندق، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج عليّ بن أبي طالب عليه السلام في نفر معه من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تغنيق نحوهم، وكان عمرو بن عبد ودّ قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أحد؛ فلما كان يوم الخندق خرج مغليماً ليرى مكانه. فلما وقف هو وخيله، قال: مَنْ يُبارز؟ فبرز له عليّ بن أبي طالب فقال له: يا عمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألاّ

سلمان مئاً

وذكر قوله عليه السلام: «سَلْمَانُ مِئَا أَهْلَ الْبَيْتِ»^(١) بالنصب على الاختصاص أو على إضمار أعني، وأما الخفض على البدل، فلم يره سيبويه جائزاً من ضمير المتكلم، ولا من ضمير المخاطب، لأنه في غاية البيان، وأجازه الأخفش.

حول مبارزة ابن أدّ لعليّ

فصل: وذكر خبر عمرو بن أدّ العامريّ، ومبارزته لعليّ إلى آخر القصة، ووقع في مغازي ابن إسحق من غير رواية ابن هشام عن البكائي فيها زيادة حسنة، رأيت أن أورها هنا تميمًا للخبر.

قال ابن إسحق: إن عمرو بن أدّ خرج فنادى: هل من مُبارِزٍ؟ فقام عليّ - رضي الله عنه - وهو مُقنَّع بالحديد، فقال: أنا له يا نبيّ الله، فقال: «إنه عمرو اجلس»، وناذى عمرو ألاّ رَجُلٌ يُؤنِّبُهُمْ، ويقول: أين جئتكم التي تزعمون أنه مَنْ قُتِلَ منكم دَخَلَهَا، أفلا تُبرِّزون لي رجلاً، فقام عليّ، فقال: أنا يا رسول الله، فقال: «اجلس إنه عمرو»، ثم نادى الثالثة وقال:

وَلَقَدْ بَحَثْتُ مِنَ النَّدَا ۖ بِجَمْعِكُمْ هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟

(١) أخرجه الحاكم (٥٩٨/٣) والطبراني (٢٦١/٦) والطبري في تاريخه (٩٢/٢) وابن سعد (٥٩/١/٤).

يدهوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل؛ قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله، وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النزال، فقال له: لِمَ يا ابن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك، قال له علي: لكنني والله أحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فغقره، وضرب وجهه، ثم أقبل على علي، فتنازلا وتجاولا، فقتله علي رضي الله عنه. وخرجت خيلهم منهزمة، حتى اقتحمت من الخندق هاربة.

وَوَقَفْتُ إِذْ جَبُنَ الْمُشَى
وَكِذَاكَ إِنِّي لَمِ أَزَلْ
إِنْ الشُّجَاعَةُ فِي الْفَتَى
وَالجُودَ مِنْ خَيْرِ الْغَرَائِزِ

فقال علي، فقال يا رسول الله، أنا له فقال: «إنه عمرو»، فقال: وإن كان عمرا، فأذن له النبي - ﷺ - فمشى إليه علي، حتى أتاه وهو يقول:

لَا تَغْجَلَنَّ فَقَدْ أَتَا
ذُو نِيَّةٍ وَبِصِيرَةٍ
إِنِّي لِأَزْجُو أَنْ أَقْ—
مِنْ ضَرْبَةٍ نَجْلَاءَ يَبْ—
ك مُجِيبُ صَوْتِكَ غَيْرَ عَاجِزٍ
وَالصُّدُقُ مُنْجِي كُلِّ فَائِزٍ
يَمِ عَلَيْكَ نَائِحَةُ الْجَنَائِزِ
قَى ذِكْرُهَا عِنْدَ الْهَزَاهِزِ

فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي، قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا ابن أبي طالب، فقال: غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهريق دمك، فقال له علي رضي الله عنه: ولكنني والله لا أكره أن أهريق دمك، فغضب ونزل فسل سيفه، كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضبا، وذكر أنه كان على فرسه، فقال له علي: كيف أقاتلك وأنت على فرسك، ولكن انزل معي، فنزل عن فرسه، ثم أقبل نحو علي: واستقبله علي - رضي الله عنه - بذرقتيه، فضربه عمرو فيها ففقدتها وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه فشجّه، وضربه علي على حبل العاتق، فسقط، وثار العجاج، وسمع النبي ﷺ التكبير، فعرف أن عليا - رضي الله عنه - قد قتله، فشم يقول علي رضي الله عنه:

أَعَلَيْ تَفْتَحِمُ الْفَوَارِسُ هَكَذَا
فَالْيَوْمَ تَمْنَعُنِي الْفَرَارَ حَفِيطَتِي
عَنِّي وَعَنهُ أَخْرُوا أَصْحَابِي
وَمُصَمِّمٌ فِي الرَّأْسِ لَيْسَ بِنَابِي

قال ابن إسحاق: وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك:

نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةٍ رَأَيْهِ وَنَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِي
فَصَدَدْتُ حِينَ تَرَكْتَهُ مُتَجَدِّلاً^(١) كَالْجُدْعِ بَيْنَ ذَكَادِكِ^(٢) وَرَوَابِي
وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَنَّنِي كُنْتُ الْمُقَطَّرَ بِزُنِي أَثْوَابِي
لَا تَخْسِبُنَّ اللَّهُ خَاذِلَ دِينِهِ وَنَبِيَّهُ يَا مَغْشَرَ الْأَخْزَابِ

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي بن أبي طالب.

أَدَى عُمَيْرٌ حِينَ أُخْلِصَ صَقْلُهُ صَافِي الْحَدِيدَةِ يَسْتَفِيضُ ثَوَابِي
فَعَدَوْتُ أَلْتَمِسُ الْقِرَاعَ بِمُرْهَفٍ عَضِبَ مَعَ الْبِثْرَاءِ فِي أَقْرَابِ
قَالَ ابْنُ عَبْدٍ حِينَ شَدَّ أَلِيَّةَ وَخَلَفْتُ فَاسْتَمَعُوا مِنَ الْكَذَابِ
أَلَّا يَفِرَّ وَلَا يُهْلَلْ فَالْتَقَى رَجُلَانِ يَلْتَقِيَانِ كُلُّ ضِرَابِ^(٣)

وبعده: نصر الحجارة إلى آخر الأبيات، إلا أنه روي: عَبْدَ الْحِجَارَةِ، وَعَبَدْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ، وَرُوي في موضع: وَلَقَدْ بَحِثْتُ، وَلَقَدْ عَجِبْتُ، وَيُروى: فَالْتَقَى أَسْدَانِ يَضْطَرِبَانِ كُلُّ ضِرَابٍ، وفيه إنصاف من علي - رضي الله عنه - لقوله: أَسْدَانِ، ونسبه إلى الشَّجَاعَةِ والنَّجْدَةِ. وقوله: أَدَى عمير إلى قوله: ثوابي، أي: أَدَى إِلَيَّ ثوابي، وَأَحْسَنَ جزائي حين أخلص صقله، ثم أقبل نحو النبي ﷺ، وهو مُتَهَلَّلٌ، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هَلَّا سَلَبْتَهُ دِرْعَهُ، فإنه ليس في العرب دِرْعٌ خير منها، فقال: إني حين ضربته استقبلني بِسَوَاتِيهِ، فَاسْتَخَيَيْتُ ابْنَ عَمِّي أَنْ أُسْتَلَبَهُ، وَخَرَجْتَ خِيْلُهُمْ مُنْهَزِمَةً، حَتَّى اقْتَحَمْتُ الْخَنْدَقَ هَارِبَةً، فَمَنْ هُنَا لَمْ يَأْخُذْ عَلَيَّ سَلَبَهُ، وَقِيلَ: تَنَزَّهَ عَنْ أَخْذِهَا، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا قَتَلُوا الْقَتِيلَ لَا يَسْلُبُونَهُ ثِيَابَهُ.

وقول عمرو لعلي: وَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ، زَادَ فِيهِ غَيْرُهُ: فَإِنْ أَبَاكَ كَانَ لِي صَدِيقًا، قَالَ الزَّبِيرُ: كَانَ أَبُو طَالِبٍ يُنَادِمُ مُسَافِرَ بْنَ أَبِي عَمْرٍو، فَلَمَّا هَلَكَ اتَّخَذَ عَمْرٍو بْنَ وَدٍّ نَدِيمًا، فَلِذَلِكَ قَالَ لِعَلِي حِينَ بَارَزَهُ مَا قَالَ.

(١) متجدلاً: مرمياً.

(٢) ذكادك: الأرض الصعبة.

(٣) أخرجه الحاكم (٣٢/٣) والبيهقي (١٣٢/٩) ومن الدلائل له (٤٣٨/٣).

شعر حسان في عكرمة

قال ابن إسحاق: وألقى عكرمة بن أبي جهل رُمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت في ذلك:

فَرَّ وَأَلْقَى لَنَا رُمَحَهُ لَعَلَّكَ عَكْرِمَ لَمْ تَفْعَلْ
وَوَلَّيْتَ تَعْدُو كَعْدُو الظَّلِيمِ مَا إِنْ تَجُورُ عَنِ الْمَغْدِلِ
وَلَمْ تَلْقَ ظَهْرَكَ مُسْتَأْنَسًا كَأَنْ قَفَاكَ قَفَا فُرْعُلِ
قال ابن هشام: الفُرْعُل: صغير الضباع، وهذه الأبيات في أبيات له.

شعار المسلمين يوم الخندق:

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق وبني قريظة: حم، لا يُنصرون.

حديث سعد بن معاذ:

قال ابن إسحاق: وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري، أخو بني حارثة: أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق، وكان من أخرز حصون المدينة. قال: وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن؛ فقالت عائشة: وذلك قبل أن يُضرب علينا الحجاب، فمرَّ سعد وعليه درع له مُقْلَصَة، قد خرجت منها ذراعه كُلُّها، وفي يده حربته يَرْقُلُ بها ويقول:

لَبْتُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا جَمَلٌ لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

الفرعل

وقول حسان في عكرمة:

كَأَنْ قَفَاكَ قَفَا فُرْعُلِ

الْفُرْعُلُ: وَلَدُ الضَّبْعِ.

وذكر قول سعد:

لَبْتُ قَلِيلًا يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلٌ

هو بيت تمثل به عني به حَمَلٌ بن سَعْدَانَةَ بن حَارِثَةَ بن مَعْقِلِ بن كَعْبِ بن عَلَيمِ بن جَنَابِ الْكَلْبِيِّ. وقوله: يَرْقُدُ بالحربة أي: يُسْرِعُ بها، يقال: اِرْقَدْ وَاِزْمَدْ بمعنى واحد. قال ذو الرُّمَّة:

يَرْقُدُ فِي أَثَرِ عَرَاضٍ وَتَتَبَعُهُ صَهْبَاءُ شَامِيَّةٌ عُثْنُونُهَا حَصِبُ

قال: فقالت له أمه: الحق: أي بني، فقد والله أخرت؛ قالت عائشة: فقلت لها: يا أم سعد، والله لو ددت أن دزع سعد كانت أسبغ مما هي، قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه، فرمي سعد بن معاذ بسهم، فقطع منه الأكحل، رماه كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، حبان بن قيس بن العرقة، أحد بني عامر بن لؤي، فلما أصابه، قال: خذها مني وأنا ابن العرقة، فقال له سعد: عرق الله وجهك في النار، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه، اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة، ولا تمتني حتى تقرر عيني من بني قريظة.

من قاتل سعد؟:

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول: ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجشمي، حليف بني مخزوم.

يعني الريح.

ابن العرقة وأم سعد:

وابن العرقة الذي رمى سعداً هو حبان بن قيس بن العرقة، والعرقة هي قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم [بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي] تكنى أم فاطمة، سميّت العرقة لطيب ريحها، وهي جدة خديجة أم أمها هالة، وحبان هو ابن عبد مناف بن منقذ بن عمرو بن مغيص بن عامر بن لؤي. وأم سعد اسمها: كبشة بنت رافع [بن عبيد].

حول اهتزاز العرش:

وحديث اهتزاز العرش ثابت من وجوه^(١)، وفي بعض ألفاظه أن جبريل عليه السلام نزل حين مات سعد مغتجراً بعمامة من استبرق، فقال: يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء، واهتز له العرش؟ وفي حديث آخر: قال عليه السلام: «لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطؤوا الأرض قبلها»، ويذكر أن قبره وجد منه رائحة المسك، وقال عليه السلام: «لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا منها سعد»^(٢)، وفي كتاب

(١) أخرجه البخاري (٤٤/٥) ومسلم في فضائل الصحابة (١٢٤) وابن ماجه (١٥٨) والبيهقي في الصفات (٣٩٧ - بتحقيقي) والحاكم (٢٠٦/٣) وغيرهم من غيرهم.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤٠٦/١٠).

وقد قال أبو أسامة في ذلك شعراً لعكرمة بن أبي جهل:

أَعِكَرَمَ هَلَّا لُمْتَنِي إِذْ تَقُولُ لِي فِدَاكَ بِأَطَامِ الْمَدِينَةِ خَالِدٌ
أَلَسْتُ الَّذِي أَلْزَمْتُ سَعْدًا مُرِشَّةً لَهَا بَيْنَ أَثْنَاءِ الْمَرَافِقِ عَانِدٌ
قَضَى نَحْبَهُ مِنْهَا سَعِيدٌ فَأَغَوْلْتُ عَلَيْهِ مَعَ الشُّمُطِ الْعَذَارَى النَّوَاهِدُ
وَأَنْتَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنْهُ وَقَدْ دَعَا عُبَيْدَةً جَمْعًا مِنْهُمْ إِذْ يُكَابِدُ
عَلَى حِينٍ مَا هُمْ جَائِرٌ عَنْ طَرِيقِهِ وَآخِرَ مَرْغُوبٍ عَنِ الْقَصْدِ قَاصِدُ
(والله أعلم أي ذلك كان).

قال ابن هشام: ويقال: إن الذي رمى سعدًا خفاجة بن عاصم بن حبان.

الحديث عن جُبْنِ حَسَّان

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد قال:

الدلائل أن النبي ﷺ جلس على قبر سعد حين وضع فيه، فقال: «سبحان الله لهذا العبد الصالح ضُمَّ في قبره ضَمَّةٌ، ثم فرج عنه»، وأما ضَغْطَةُ القبر التي ذكر في الحديث، فقد روي عن عائشة - رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، ما انتفعت بشيء منذ سمعتك تذكر ضَغْطَةَ القبر، وضَمَّتَه [وصوت مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ] فقال: «يا عائشة، إن ضَغْطَةَ القبر على المؤمن أو قال: ضَمَّةُ القبر على المؤمن كَضَمَّةِ الْأُمِّ الشَّفِيقَةِ يَدِيهَا عَلَى رَأْسِ ابْنِهَا، يشكو إليها الصَّدَاعَ، وصوت مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ كَالْكُخْلِ فِي الْعَيْنِ، ولكن يا عائشة وَنِلٌ لِلشَّاكِينَ [في الله] أولئك الذين يُضْغَطُونَ فِي قُبُورِهِمْ ضَغْطُ الْبَيْضِ عَلَى الصَّخْرِ». ذكره أبو سعيد بن الأعرابي في كتاب المعجم^(١).

وذكر ابن إسحاق في رواية [يونس] الشَّيْبَانِي عَنْهُ، قال: حدثني أُمَيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قال: قلت لبعض أهل سعد بن مُعَاذٍ: ما بلغكم في هذا، يعني: الضَّمَّةُ التي انضَمَّهَا القبرُ عليه؟ قال: كان يُقَصِّرُ فِي بَعْضِ الطُّهُورِ مِنَ الْبَوْلِ بَعْضَ التَّقْصِيرِ.

أكان حَسَّانُ جَبَانًا؟

فصل: وذكر حديث حَسَّانَ حين جُعِلَ فِي الْأَطَامِ مَعَ النِّسَاءِ وَالصُّبْيَانِ، وما قالت له صَفِيَّةٌ فِي أَمْرِ الْيَهُودِيِّ حين قَتَلْتَهُ، وما قال لها، وَمَحْمَلُ هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَ النَّاسِ عَلَى أَنْ

(١) أخرجه البيهقي في (٣/٣٦١).

كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع، حصن حسان بن ثابت؛ قالت: وكان حسان بن ثابت معنا فيه، مع النساء والصبيان، قالت صفية: فمر بنا رجل من يهود، فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنو قريظة، وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله ﷺ والمسلمون في نحور عدوهم، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت. قالت: فقلت: يا حسان، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن، وإنني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه، فانزل إليه فاقتله؛ قال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا: قالت: فلما قال لي ذلك، ولم أر عنده شيئاً، احتجرت ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه، فضربته بالعمود حتى تقتله. قالت: فلما فرغت منه، رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسان، انزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل؛ قال: ما لي بسلبه من حاجة يا ابن عبد المطلب.

نعيم يخذل المشركين:

قال ابن إسحاق: وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه، فيما وصف الله من الخوف والشدة، لتظاهر عدوهم عليهم، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

قال: ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان، أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمُرني بما شئت، فقال رسول الله ﷺ: «إنما أنت فينا رجل واحد، فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة»، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتكم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم، لا تقدر أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد

حساناً كان جباناً شديد الجبن، وقد دفع هذا بعض العلماء، وأنكره؛ وذلك أنه حديث منقطع الإسناد، وقال: لو صح هذا لهجي به حسان، فإنه كان يهاجي الشعراء كضرار وابن الزبيري، وغيرهما، وكان يناقضونه ويردّون عليه، فما غيره أحد منهم بجبن، ولا وسمه به، فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق، وإن صح فلعل حسان أن يكون مغتلاً في ذلك اليوم بعلّة من شهود القتال، وهذا أولى ما تأول عليه، وممن أنكر أن يكون هذا صحيحاً أبو عمر رحمه الله في كتاب الدرر له.

وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدّهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نُهْزةً أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تُقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهْناً من أشرافهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تُناجزوه، فقالوا له: لقد أشرت بالرأي.

ثم خرج حتى أتى قُريشاً، فقال لأبي سُفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتُم وُدِّي لكم وفِراقِي محمداً، وإنه قد بلغني أمرٌ قد رأيت عليّ حقاً أن أبلغكموه، نُضْحاً لكم، فاكتموا عَنِّي؛ فقالوا: نفعل، قال: تعلّموا أن معشر يهود قد نَدِموا على ما صَنَعُوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد نَدِمْنَا على ما فَعَلْنَا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القَبيلتين، من قُريش وغطفان رجلاً من أشرافهم فنُعْطِيكَهم، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بَقِيَ منهم حتى نَسْتَأْصِلَهُمْ؟ فأرسل إليهم: أن نعم. فإن بعثت إليكم يهودٌ يلتمسون منكم رُهْناً من رجالكم فلا تَدْفَعُوا إليهم مِنْكُمْ رجلاً واحداً.

ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، إنكم أضلّي وعشيرتي، وأحبّ الناس إليّ، ولا أراكم تتَّهْمُونِي، قالوا: صدقت، ما أنت عندنا يَتَّهَمُ، قال: فاكتموا عَنِّي، قالوا: نفعل، فما أمرك؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم.

فلما كانت ليلة السَّبْت من شَوال سنة خمس، وكان من صُنْعِ الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سُفيان بن حَزْب ورؤوس غطفان إلى بني قُريظة عِكرِمة بن أبي جهل، في نفر من قُريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخفّ والحافر، فاغْدُوا لِلْقِتَالِ حتى تُناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو (يوم) لا نعمل فيه شيئاً، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً، فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نُقاتل معكم محمداً حتى تُعطونا رُهْناً من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً، فإننا نخشى إن ضَرَسْتكم الحرب، واشتدَّ عليكم القتال أن تَنْشَمِرُوا إلى بلادكم وتُتْرَكُونَا، والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه. فلما رجعت إليهم الرُّسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حدّثكم نُعيم بن مسعود لحقّ، فأرسلوا بني قُريظة: إنا والله لا نَدْفَعُ إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تُريدون القتال فاخْرُجُوا فقاتلوا، فقالت بنو قُريظة، حين انتهت الرُّسل إليهم بهذا: إن الذي ذكر لكم نُعيم بن مَسْعُود لحقّ، ما يريد القوم إلا أن يُقاتلوا، فإن

رأوا فرصة انتهبوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم. وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تغطونا رُهناً، فأبوا عليهم وخذّل الله بينهم، وبعث الله عليهم الريح في ليالٍ شاتيّة باردة شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم، وتطرح أبنتهم.

تعرف ما حلّ بالمشرّكين:

(قال): فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم، وما فرّق الله من جماعتهم، دعا حذيفة بن اليمان، فبعثه إليهم، لينظر ما فعل القوم ليلاً.

قال ابن إسحاق: فحدّثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم، يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، قال: فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا. قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي، والله لقد رأيتمنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلى رسول الله ﷺ هويّاً من الليل، ثم التفت إلينا فقال: «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ - يَشْرُطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرّجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟» فما قام رجل من القوم، من شدّة الخوف، وشدّة الجوع، وشدّة البرد، فلما لم يَقم أحد، دعاني رسول الله ﷺ، فلم يكن لي بدّ من القيام حين دعاني، فقال: «يا حذيفة، اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولا تُحدِثَنَّ شيئاً حتى تأتينا». قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تُقرّ لهم قِدرًا ولا نارًا ولا بناء. فقال: يا معشر قريش: لينظر امرؤ مَنْ جليسه؟ قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ قال: فلان ابن فلان.

أبو سُفيان ينادي بالرحيل:

ثم قال أبو سُفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أضبّحتم بدار مُقام، لقد هلك الكراع والخفّ، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدّة الريح ما تروُن، ما تطمئنّ لنا قِدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يَستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جملة وهو مَعقول، فَجَلَسَ عليه، ثم ضربه، فوثب به على ثلاث، فوالله ما أطلق عقاله إلّا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إلي: «أن لا تُحدث شيئاً حتى تأتيني» ثم شئت، لقتلته بسهم.

قال حذيفة: فرجعتُ إلى رسولِ الله ﷺ وهو قائم يصلي في مزط لبعض نسائه،
مراجل.

قال ابن هشام: المراجل: ضرب من وشي اليمن.

فلما رأيته أدخلني إلى رجله، وطرح عليّ طَرَفَ المزط، ثم ركع وسجد، وإني
لفيه، فلما سلّم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قُريش، فانشمروا راجعين إلى
بلادهم.

الانصراف عن الخندق:

قال ابن إسحق: ولما أصبح رسولُ الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعًا إلى المدينة
والمسلمون، ووضعوا السلاح.

غزوة بني قريظة في سنة خمس الأمر الإلهي بحرب بني قريظة

فلما كانت الظهر، أتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ، كما حدّثني الزُّهري، معتمرًا بعمامة
من استبرق، على بَغْلَةٍ عليها رِحالة، عليها قطيفة من ديباج، فقال: أوقد وضعت السلاح
يا رسول الله؟ قال: «نعم»، فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، وما رجعت
الآن إلا من طلب القوم، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني
عامدٌ إليهم فمززل بهم.

فأمر رسولُ الله ﷺ مؤذّنًا، فأذن في الناس، من كان سامعًا مُطيعًا، فلا يصلين
العصرَ إلا ببني قريظة.

واستعمل على المدينة ابنَ أم مكتوم، فيما قال ابن هشام.

عليّ يبلغ الرسول ما سمعه من بني قريظة:

قال ابن إسحق: وقَدّم رسولُ الله ﷺ عليّ بن أبي طالب بَرايته إلى بني قريظة،
وابتدرها الناسُ. فسار عليّ بن أبي طالب، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالةً
قبيحةً لرسول الله ﷺ، فرجع حتى لقي رسولَ الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا
عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: «لِمَ؟ أظنك سمعت منهم لي أذى؟» قال:

نعم يا رسول الله، قال: «لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً». فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم. قال: «يا إخوان القردة، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته؟» قالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً.

جبريل في صورة دحية

ومرّ رسول الله ﷺ بنفَر من أصحابه بالصَّوَرَيْنِ قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال: «هل مرّ بكم أحد؟» قالوا: يا رسول الله، قد مرّ بنا دحية بن خليفة الكلبي، على بغلة بيضاء عليها رحالة، عليها قطيفة ديباج. فقال رسول الله ﷺ: «ذلك جبريل، بُعث إلى بني قريظة يُزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم».

ولما أتى رسول الله ﷺ بني قريظة نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم، يقال لها بئر أنا.

قال ابن هشام: بئر آتى.

الحديث عن الصورين ودحية

فصل: وذكر خروج النبي ﷺ إلى بني قريظة حين مرّ بالصَّوَرَيْنِ، والصَّوْرُ القِطعة من النخل، فسألهم، فقالوا: مرّ بنا دحية بن خليفة الكلبي. هو: دحية بفتح الدال، ويقال: دحية بكسر الدال أيضاً، والدّحية بلسان اليمن: الرئيس، وجمعه دحاء، وفي مقطوع الأحاديث أن النبي ﷺ - رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف دحية، تحت يد كل دحية سبعون ألف ملك، ذكره القُتَيْبِيُّ، ورواه ابن سُنْجَرٍ في تفسيره مُسْنَدًا إلى عبد الله بن الهذيل، رواه عنه أبو التَّيَّاح، وذكر أن حمّاد بن سلمة قال لأبي التَّيَّاح حين حدّثه بهذا الحديث: ما الدّحية؟ قال: الرئيس، وأما نسب دحية فهو ابن خليفة بن فزوة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج، والخَزْرَجُ العَظِيمُ البَطْن ابن زيد مناة بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف بن عُذْرَةَ بن زيد اللات بن رُقَيْدَةَ بن ثور بن كلب يُذكر من جماله أنه كان إذا قَدِمَ المَدِينَةَ لم تَبْقَ مُعَصِرٌ، وهي المَرَاهِقَةُ لِلْحَيْضِ أَلَا خَرَجَتْ تنظر إليه.

فقه لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة

وذكر قوله عليه السلام: «لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة»^(١)، فغربت عليهم الشمس قبلها، فصلّوا العصر بها بعد العشاء الآخرة، فما عابهم الله بذلك في كتابه،

(١) أخرجه البخاري (١٩/٢) ومسلم في الجهاد (٦٩). والبيهقي (١١٩/١٠).

تلاحق الناس بالرسول:

قال ابن إسحاق: وتلاحق به الناس فأتى رجالٌ منهم من بعد العشاء الآخرة، ولم يصلوا العصر، لقول رسول الله ﷺ: «لا يصلين أحدُ العصر إلا بني قريظة»، فشغلهم ما لم يكن منه بدٌ في حربهم، وأبوا أن يصلوا، لقول رسول الله ﷺ: «حتى تأتوا بني قريظة». فصلوا العصر بها، بعد العشاء الآخرة، فما غابهم الله بذلك في كتابه، ولا عَنَّفهم به رسولُ الله ﷺ. حدَّثني بهذا الحديث أبي إسحاق بن يسار، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري.

الحصار:

(قال): وحاصرهم رسولُ الله ﷺ خمسًا وعشرين ليلة حتى جَهدهم الحصار، وقذفَ الله في قلوبهم الرعبَ.

وقد كان حَيِّي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حِصْنهم، حين رجعت عنهم قريش وغطفان، وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه.

ولا عَنَّفهم به رسولُه ﷺ، وفي هذا من الفقه أنه لا يُعَابُ على من أخذ بظاهر حديث أو آية، فقد صَلَّتْ منهم طائفةٌ قبل أن تغرب الشمس، وقالوا: لم يُردِ النبيُّ - ﷺ - إخراج الصلاة عن وقتها، وإنما أراد الحثَّ والإعجال، فما عَنَّفَ أحدٌ من الفريقين، وفي هذا دليل على أن كل مُخْتَلَفٍ في الفروع من المجتهدين مصيب، وفي حكم داود وسليمان في الحرث أصلٌ لهذا الأصل أيضًا، فإنه قال سبحانه: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٩]، ولا يستحيل أن يكون الشيء صَوَابًا في حقِّ إنسانٍ وخطأً في حقِّ غيره، فيكون من اجْتَهَدَ في مسألة فأذاه اجتهاده إلى التحليل مصيبًا في استحلاله، وآخر اجتهد فأذاه، اجتهاده ونظره إلى تحريمها، مُصِيبًا في تحريمها، وإنما المُحَالُ أن يُحْكَمَ في النازلة بِحُكْمَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ في حقِّ شَخْصٍ واحد، وإنما عسر فهمُ هذا الأصل على طائفتين: الظَّاهِرِيَّةَ والمُعْتَزَلَةَ، أما الظَّاهِرِيَّةُ فإنهم عَلَّقُوا الأحكام بالتَّصَوُّصِ، فاستحال عندهم أن يكون النصُّ يأتي بحظرٍ، وإباحةٍ معًا إلا على وَجْهِ النُّسخِ، وأما المعتزلة، فإنهم عَلَّقُوا الأحكامَ بتقبيح العقل وتحسينه، فصار حُسْنُ الفعل عندهم أو قُبْحُهُ صِفَةً عَيْنٍ، فاستحال عندهم أن يَتَّصِفَ فعلٌ بِالْحُسْنِ في حقِّ زَيْدٍ والقبح في حقِّ عَمْرٍو، كما يستحيل ذلك في الألوان، والأكوان وغيرهما من الصفات القائمة بالذوات، وأما ما عدا هاتين الطائفتين من أرباب الحقائق، فليس الحَظَرُ والإباحة عندهم بصفاتٍ أعيانٍ، وإنما هي صفات أحكام، والحكم

نصيحة كعب بن أسد لقومه:

فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير مُنصرف عنهم حتى يُناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلافاً ثلاثاً، فخذوا أيها شئتم، قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدق فوالله لقد تبين لكم أنه لنبيُّ مُرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لا نفارق حكم التَّوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره، قال: فإذا أبيتم عليَّ هذه، فهَلَمْ فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُضلتين السيوف، لم نترك وراءنا ثَقلاً، حتى يَحْكُم الله بيننا وبين محمد، فإن تَهْلِكَ نَهْلِكَ، ولم نترك وراءنا فلا نخشى عليه، وإن نَظْهَر فلعمري لنجدنَّ النساء والأبناء، قالوا: نقتل هؤلاء المساكين! فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتم عليَّ هذه، فإن اللَّيلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمونا فيها، فانزلوا لعلنا نُصِيب من محمد وأصحابه غِرَّة، قالوا: نُفسد سَبْتنا علينا، ونُحدِّث فيه ما لم يحدث مَنْ كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يخف عليك من المَسْخ! قال: ما بات رجل منكم منذ وَلَدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً.

قصة أبي لبابة

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ: أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر، أخا بني عمرو بن عوف، وكانوا حلفاء الأوس، لِنَسْتَشِيرَهُ في أمرنا، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم،

من الله تعالى يَحْكُم بالحظر في النازلة على من أذاه واجتهاده إلى الحظر، وكذلك الإباحة والنَّدْب والإيجاب والكراهة، كلها صفاتُ أحكام، فكلُّ مجتهد وافق اجتهاده وجهًا من التأويل، وكان عنده من أدوات الاجتهاد ما يترفع به عن حَضِيضِ التقليد إلى هَضْبَةِ النَّظَر، فهو مُصِيبٌ في اجتهاده مُصِيبٌ للحكم الذي تَعَبَّد به، وإن تعبد غيره في تلك النازلة بعينها بخلاف ما تَعَبَّد هو به، فلا يُعَدُّ في ذلك إلا على من لا يعرف الحقائق أو عَدَل به الهوى عن أَوْضَحِ الطَّرَائِقِ^(١).

حول قصة أبي لبابة

فصل: وذكر أبا لبابة واسمه رفاعه بن عبد المنذر بن زبير وقيل: اسمه مُبَشِّر، وتَوَبَّته

(١) انظر مزيد بيان بالفتح (٢/١٣٠).

فلما رأوه قام إليه الرجال، وجَهَشَ إليه النساء والصبيان يَبْكُون في وجهه، فرق لهم، وقالوا له: يا أبا لُبابة! أترى أن ننزل على حُكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حَلَقِه، إنه الذبح. قال أبو لُبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفتُ أني قد خبتُ الله ورسوله ﷺ، ثم انطلق أبو لُبابة على وجهه، ولم يأت رسولَ الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عُمود من عُمده، وقال: لا أبرح من عُمده، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوبَ الله عليّ مما صنعت، وعاهد الله: أن لا أطأ بني قريظة أبداً، ولا أرى في بلد خُنت الله ورسوله فيه أبداً.

توبة الله على أبي لُبابة

قال ابن هشام: وأنزل الله تعالى في أبي لُبابة، فيما قال سُفيان بن عُيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن أبي قتادة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

قال ابن إسحاق: فلما بلغ رسولَ الله ﷺ خبره، وكان قد استبطأه، قال: أما إنه لو جاءني لاستغفرتُ له، فأما إذ قد فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه.

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن عبد الله بن قُسيط: أن توبة أبي لُبابة نزلت على رسول الله ﷺ من السَّحَر، وهو في بيتِ أُم سَلَمَةَ. (فَقَالَتْ أُم سَلَمَةَ): فسمعتُ رسولَ الله ﷺ من السَّحَر وهو يضحك. قالت: فقلت: ممّ تضحك يا رسول الله؟ أضحك الله

ورَبَطَه نَفْسَه حتى تاب الله عليه، وذكر فيه أنه أَقْسَمَ ألاَّ يَحُلَّه إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَوَى حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ أَنَّ فَاطِمَةَ أَرَادَتْ حَلَّةً حِينَ نَزَلَتْ تَوْبَتُهُ، فَقَالَ: قَدْ أَقْسَمْتُ أَلَّا يَجْلُنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ فَاطِمَةُ مُضْغَةٌ مِنِّي»^(١)، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى فَاطِمَةَ، فَهَذَا حَدِيثٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مِنْ سَبَبِهَا فَقْدَ كَفَرٍ، وَأَنَّ مِنْ صَلَّيَ عَلَيْهَا، فَقَدْ صَلَّى عَلَى أَبِيهَا - ﷺ - وَفِيهِ: أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخْرُونا عَنْ أَزْوَاجِهِمْ مَا هُمْ بِأَعْيُنِهِمْ فَاصْبِرُوا﴾ [التوبة: ١٠٢] الآية، غَيْرَ أَنَّ الْمَفْسِرِينَ اخْتَلَفُوا فِي ذَنْبِهِ مَا كَانَ، فَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ مَا ذَكَرَهُ فِي السَّيْرَةِ مِنْ إِشَارَتِهِ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَ مِنَ الْمُخَلَّفِينَ: الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَنَزَلَتْ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

(١) أخرجه أحمد (٣٢٦/٤).

سَنَّا؟ قال: «تَيْبَ عَلَى أَبِي لُبَابَةَ»، قالت: قلت: أَفَلَا أُبَشِّرُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «بَلَى، إِنْ شِئْتَ». قال: فَقَامَتْ عَلَى بَابِ حَجْرَتِهَا، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهَا الْحِجَابُ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا لُبَابَةَ، أُبَشِّرُ فَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكَ. قالت: فَثَارَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيُطْلِقُوهُ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي يُطْلِقُنِي بِيَدِهِ، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَارِجًا إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ أَطْلَقَهُ.

قال ابن هشام: أقام أبو لُبَابَةَ مُرْتَبِطًا بِالْجَذْعِ سِتًّا لِيَالٍ، تَأْتِيهِ امْرَأَتُهُ فِي كُلِّ وَقْتِ صَلَاةٍ، فَتَحْلَهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ يَعُودُ فَيُرْتَبِطُ بِالْجَذْعِ، فِيمَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْآيَةِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي تَوْبَتِهِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَخْرُوجُوا اعْتَرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

لَعَلَّ وَعَسَى وَلَيْتَ:

فَإِنْ قِيلَ: لَيْسَ فِي الْآيَةِ نَصٌّ عَلَى تَوْبَتِهِ وَتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ عَسَى مِنَ اللَّهِ وَاجِبَةٌ وَخَبَرٌ صِدْقٍ. فَإِنْ قِيلَ: وَهُوَ سَوَالٌ يَجِبُ الْإِعْتِنَاءُ بِهِ: إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلِسَانِ الْعَرَبِ، وَلَيْسَتْ عَسَى فِي كَلَامِ الْعَرَبِ بِخَبَرٍ، وَلَا تَقْتَضِي وَجُوبًا، فَكَيْفَ تَكُونُ عَسَى وَاجِبَةً فِي الْقُرْآنِ، وَلَيْسَ بِخَارِجٍ عَنْ كَلَامِ الْعَرَبِ؟

وَأَيْضًا: فَإِنَّ لَعَلَّ تَعْطِي مَعْنَى التَّرَجُّيِ، وَلَيْسَتْ مِنَ اللَّهِ وَاجِبَةٌ، فَقَدْ قَالَ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ فَلَمْ يَشْكُرُوا، وَقَالَ: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ فَلَمْ يَتَذَكَّرْ وَلَمْ يَخْشَ، فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ لَعَلَّ وَعَسَى حَتَّى صَارَتْ عَسَى وَاجِبَةً؟.

قُلْنَا: لَعَلَّ تَعْطِي التَّرَجُّيِ، وَذَلِكَ التَّرَجُّيُ مَصْرُوفٌ إِلَى الْخَلْقِ، وَعَسَى مِثْلُهَا فِي التَّرَجُّيِ، وَتَزِيدُ عَلَيْهَا بِالْمُقَارَبَةِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَخْمُودًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٧٩] وَمَعْنَاهُ التَّرَجُّيُ مَعَ الْخَبَرِ بِالْقُرْبِ، كَأَنَّهُ قَالَ قُرْبَ أَنْ يَبْعَثَكَ، فَالتَّرَجُّيُ مَصْرُوفٌ إِلَى الْعَبْدِ، كَمَا فِي لَعَلَّ، وَالْخَبَرُ عَنِ الْقُرْبِ وَالْمُقَارَبَةِ مَصْرُوفٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَخَبَرُهُ حَقٌّ وَوَعْدُهُ حَثْمٌ، فَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْخَبَرِ فَهُوَ الْوَاجِبُ دُونَ التَّرَجُّيِ الَّذِي هُوَ مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَمَصْرُوفٌ إِلَى الْعَبْدِ، وَلَيْسَ فِي لَعَلَّ مِنْ تَضَمُّنِ الْخَبَرِ مِثْلُ مَا فِي عَسَى، فَمَنْ ثَمَّ كَانَتْ عَسَى وَاجِبَةً إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِهَا، وَلَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ لَعَلَّ.

(١) سورة التوبة آية رقم (١٠٢).

إسلام بعض بني هذل:

قال ابن إسحاق: ثم إن ثعلبة بن سغيّة، وأسيد بن سغيّة، وأسد بن عبيد، وهم نفر من بني هذل، ليسوا من بني قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ.

عمرو بن سعدى:

وخرج في تلك الليلة عمرو بن سغدي القرظي، فمرّ بحرس رسول الله ﷺ، وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة، فلما رآه قال: «من هذا؟» قال: أنا عمرو بن سغدي - وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ، وقال: لا أغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام، ثم خلى سبيله. فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة، ثم ذهب فلم يذر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا، فذكر لرسول الله ﷺ شأنه، فقال: ذاك رجل نجاه الله بوفائه. وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة، حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأصبحت رُمته مُلقة، ولا يذرى أين ذهب، فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة، والله أعلم أي ذلك كان.

فإن قيل: فهل يجوز في ليت ما كان في لعل من ورودها في كلام الباري سبحانه، على أن يكون التمني مضرّوفاً إلى العبد، كما كان الترجي في لعل كذلك؟

قلنا: هذا غير جائز، وإنما جاز ذلك في لعل على شرط وصورة، نحو أن يكون قبلها فعل، وبعدها فعل، والأول سبب للثاني نحو قوله: ﴿يَعْظُمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذْكُرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فقال بعض الناس: لعل ها هنا بمعنى كي، أي: كي تذكروه، وأنا أقول: لم يذهب منها معنى الترجي، لأن الموعظة، مما يُرجى أن تكون سبباً للتذكر، فعلى هذه الصورة وردت في القرآن، ونحو قوله أيضاً: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ [هود: ١٢] هي ها هنا توقُّع وتخوف، أي: ما أصابك من التكذيب مما يتخوف ويتوقُّع منه ضيق الصدر، فهذا هو الجائز في لعل، وأما أن ترد في القرآن داخلّة على الابتداء والخبر مثل أن تقول، مُبتدئاً: لعل زيدا يؤمن، فهذا غير جائز، لأن الرب سبحانه لا يترجى، وإن صُرف الترجي إلى حق المخلوق، وموضوعها في كلام العرب أن يكون المتكلم بها لا يستقيم أيضاً إلا على الصورة التي قدمنا من كونها بمعنى: كي، ووقوعها بين السبب والمُسبَّب، وإذا ثبت هذا فلا إشكال في ليت أنها لا تكون في كلام الباري سبحانه، لأن التمني مُحالٌ عليه، والترجى والتوقُّع والتخوف كذلك، حتى تزيلها عن الموضع الذي يكون معناها فيه للمتكلم بها.

تَحْكِيمُ سَعْدٍ فِي أَمْرِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَرِضَاءِ الرَّسُولِ بِهِ

(قال) فلما أصبحوا نزلوا على حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فتَواثبتِ الأوس، فقالوا: يا رسول الله، إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمت. وقد كان رسولُ الله ﷺ قبل بني قُرَيْظَةَ قد حاصر بني قَيْنُقَاعَ، وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه، فسأله إياهم عبدُ الله بنُ أُبَيِّ ابنِ سَلُولَ، فَوَهَبَهُمْ لَهُ. فلما كَلَّمْتَهُ الأوس قال رسولُ الله ﷺ: «أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ؟» قالوا: بلى، قال رسولُ الله ﷺ: «فذاك إلى سعد بنِ مُعَاذٍ». وكان رسولُ الله ﷺ قد جعل سعد بنَ مُعَاذٍ فِي خَيْمَةِ لَامِرَاءَ مِنْ أَسْلَمَ، يُقَالُ لَهَا: رُفَيْدَةٌ، فِي مَسْجِدِهِ، كَانَتْ تُدَاوِي الْجَرْحَى، وَتُخْتَسَبُ بِنَفْسِهَا عَلَى خِدْمَةِ مَنْ كَانَتْ بِهِ ضَيْعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ لِقَوْمِهِ حِينَ أَصَابَهُ السَّهْمُ بِالْخَنْدَقِ: «اجْعَلُوهُ فِي خَيْمَةِ رُفَيْدَةٍ حَتَّى أَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ». فلما حَكَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، أَتَاهُ قَوْمُهُ فَحَمَلُوهُ عَلَى حِمَارٍ قَدْ وَطَّؤُوا لَهُ بِوَسَادَةٍ مِنْ أَدَمَ، وَكَانَ رَجُلًا جَسِيمًا جَمِيلًا، ثُمَّ أَقْبَلُوا مَعَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا أَبَا عَمْرٍو، أَحْسَنْ فِي مَوَالِيكَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - إِنَّمَا وَلَّاكَ ذَلِكَ لِتُحْسِنَ فِيهِمْ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ: «لَقَدْ أَتَى لِسَعْدٍ أَنْ لَا تَأْخُذَهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ». فَرَجَعَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فَنَعَى لَهُمْ رِجَالُ بَنِي قُرَيْظَةَ، قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ سَعْدٌ، عَنْ كَلِمَتِهِ الَّتِي سَمِعَ مِنْهُ. فَلَمَّا انْتَهَى سَعْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ» - فَأَمَّا الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ، فَيَقُولُونَ: إِنَّمَا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأَنْصَارَ، وَأَمَّا الْأَنْصَارُ، فَيَقُولُونَ: قَدْ عَمَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا عَمْرٍو، إِنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ وَلَّاكَ أَمْرَ مَوَالِيكَ لِتَحْكُمَ فِيهِمْ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ، أَنَّ الْحُكْمَ فِيهِمْ لِمَا حَكَمْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، وَعَلَى مَنْ هَاهُنَا، فِي النَّاحِيَةِ الَّتِي فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِجْلَالًا لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ»، قَالَ سَعْدٌ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الرِّجَالُ، وَتُقَسَمَ الْأَمْوَالُ، وَتُسَبَّى الذَّرَارِيُّ وَالنِّسَاءُ.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن علقمة بن وقاص الليثي، قال: قال رسولُ الله ﷺ لسعد: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أزرعة».

من أسماء السماء

فصل: وذكر حكم سعد في بني قُرَيْظَةَ، وقول النبي عليه السلام له: «لقد حكمت فيهم

قال ابن هشام: حَدَّثَنِي بَعْضُ مَنْ أَثَقَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ صَاحٍ وَهُمْ مُخَاصِرُونَ بَنِي قُرَيْظَةَ: يَا كَتِيبَةُ الْإِيمَانِ، وَتَقَدَّمَ هُوَ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا ذَوْقَنَ مَا ذَاقَ حَمْزَةُ أَوْ لَا فُتْحَنَ حِضْنَهُمْ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، نَنْزِلُ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ.

تنفيذ الحكم في بني قريظة

قال ابن إسحاق: ثُمَّ اسْتُنْزِلُوا، فَحَبَسَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ فِي دَارِ بِنْتِ

بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ^(١)، هَكَذَا فِي السِّيَرَةِ: أَرْقَعَةٌ، وَفِي الصَّحِيحِ: «مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ»^(٢)، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، لِأَنَّ الرَّقِيعَ مِنْ أَسْمَاءِ السَّمَاءِ، لِأَنَّهَا رُقِعَتْ بِالنُّجُومِ، وَمِنْ أَسْمَائِهَا: الْجَزْبَاءُ وَبَرْقِعٌ، وَفِي غَيْرِ رِوَايَةِ الْبُكَائِيِّ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ فِي حُكْمِ سَعْدٍ: بِذَلِكَ: طَرَقَنِي الْمَلِكُ سَحَرًا.

فوقية الله سبحانه:

وفيه من الفقه تعليم حسن اللفظ إذا تكلمت بالفوق مُخْبِرًا عَنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ قَالَ: بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، وَلَمْ يَقُلْ: فَوْقَ عَلَى الظَّرْفِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْحُكْمَ نَازِلٌ مِنْ فَوْقٍ، وَهُوَ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا نَحْوُ مَنْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، أَي: يَخَافُونَ عِقَابًا يَنْزِلُ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَهُوَ عِقَابُ رَبِّهِمْ.

فَإِنْ قِيلَ: أَوَلَيْسَ بِجَائِزٍ أَنْ يُخْبَرَ عَنْهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ فَوْقُ سَبْعِ سَمَوَاتٍ؟ قُلْنَا: لَيْسَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَلَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى إِطْلَاقِ ذَلِكَ، فَإِنْ جَازَ فَبَدِيلٍ آخَرَ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ زَيْنَبَ: زَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ نَبِيِّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: أَنْ تَزْوِجَهُ إِثَّاها نَزَلَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ وَلَا يَبْعُدُ فِي الشَّرْعِ وَصْفُهُ سُبْحَانَهُ بِالْفَوْقِ عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، لَا عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي يَسْبِقُ لِلْوَهْمِ مِنَ التَّخْدِيدِ، وَلَكِنْ لَا يَتَلَقَّى إِطْلَاقُ ذَلِكَ الْوَصْفَ مِمَّا تَقَدَّمَ مِنَ الْآيَةِ وَالْحَدِيثَيْنِ لِارْتِبَاطِ حَرْفِ الْجَرِّ بِالْفِعْلِ، حَتَّى صَارَ وَضْفًا لَهُ لَا وَضْفًا لِلْبَارِي سُبْحَانَهُ، وَقَدْ أَمْلَيْنَا فِي حَدِيثِ الْأَمَةِ الَّتِي قَالَ لَهَا: أَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ مَسْأَلَةٌ بَدِيعَةٌ شَافِيَةٌ رَافِعَةٌ لِكُلِّ لَبْسٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

كيسة

فصل: وَذَكَرَ حَبَسَ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي دَارِ بِنْتِ الْحَدَثِ، كَذَا وَقَعَ فِي هَذَا الْكِتَابِ،

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٥٣/١/٢).

(٢) أخرجه البخاري (٨٢/٤) (٧٢/٨) ومسلم في الجهاد (٦٦/٦٤).

الحارث، امرأة من بني النُّجَّار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، التي هي سوقها اليوم، فخنَّدق بها خنادق، ثم بعث إليهم، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، يُخرج بهم إليه أرسالاً، وفيهم عدو الله حَيَّي بن أخطب، وكعب بن أسد، رأس القوم، وهم ست مائة أو سبع مائة، والمُكثَّر لهم يقول: كانوا بين الثمان مائة والتسع مائة. وقد قالوا لكعب بن أسد، وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كعب، ما تراه يُصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لا تَغْلُون؟ ألا ترون الداعي لا يَنْزِع، وأنه من ذهب به منكم لا يَزْجِع؟ هو والله القتل! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ.

مقتل حَيَّي بن أخطب:

وَأَتَيْ بِحَيَّي بن أخطبَ عدو الله، وعليه حُلَّة له فُقَّاحِيَّة - قال ابن هشام: فُقَّاحِيَّة: ضرب من الوشي - قد شَقَّها عليه من كل ناحية قدر أنْمَلَةٍ لثلا يُسَلِّبها، مجموعةٌ يداه إلى عُنْقِه بحبل. فلما نظر إلى رسول الله ﷺ، قال: أما والله ما لُمت نفسي في عداوتك،

والصحيح عندهم بنت الحارث، واسمها: كَيْسَةُ بنت الحارث بن كُرَيْز بن حَبِيب بن عَبْدِ شَمْس، وكانت تحت مُسَيْلَمَةَ الكذاب، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كُرَيْز، وكَيْسَةُ أُخْرَى مذكورة في النساء، وهي بنت عبد الحميد بن عامر بن كُرَيْز، وكَيْسَةُ بنت أبي بَكْرَةَ، روت عن أبيها عن النبي - ﷺ - أنه كان يَنْهَى عن الْحِجَامَةِ يوم الثلاثاء أَشَدَّ النَّهْي، ويقول: «فيه ساعة لا يَرَقُ فيها الدَّم»^(١). وأما كَيْسَةُ بسكون الياء، فهي بنت أبي كَثِير تَزْوِي عن أمِّها عن عائشة في الخمر: «لا طَيِّب الله مَنْ تَطَيَّب بها، ولا شَفِي من اسْتَشْفَى بها»، ذكره البخاري في الأَشْرِبَةِ في بعض روايات الكتاب، ووقع اسمُها في السيرة من غير رواية ابن هشام: زَيْنَب بنت الحارث النَّجَّارِيَّة، فالله أعلم. وأما كَيْسَةُ بنت الحارث، فهي التي أُنْزِل في دارها وفدُ بني حَنِيْفَةَ، وسيأتي ذكرها.

رفيدة:

وذكر رُفَيْدَةَ، وهي امرأة من أسلم الذي كان سَعْدٌ يُمرِّضُ في خيمتها لم يذكرها أبو عُمَر، وزادها أبو علي الغساني في كتاب أبي عُمَر، حدَّثني بتلك الزوائد أبو بكر بن طاهر عنه، وحدَّثني عنه أيضاً عن أبي عمر أنه قال لأبي علي: أمانة الله في عُنُقِك، متى عثرت على اسم من أسماء الصحابة، لم أذكره إلا الحقته في كتابي الذي في الصحابة.

(١) «ضعيف». انظر الموضوعات لابن الجوزي (٢١١/٣).

ولكنه من يَخْذُلِ الله يُخْذَلْ، ثم أقبل على الناس، فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كِتَابٌ وَقَدَرٌ وَمَلَحَمَةٌ كَتَبَهَا الله على بني إسرائيل، ثم جَلَسَ فَضْرِبَتْ عَنْقَهُ.

فقال جَبَلُ بْنُ جَوَّالِ الثُّعْلَبِيِّ:

لَعَمْرُكَ مَا لَمْ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ الله يُخْذَلِ
لجَاهِدَ حَتَّى أَبْلَعَ النَّفْسَ عُذْرَهَا وَقَلْقَلْ يَنْبَغِي الْعِزَّ كُلَّ مُقْلَقَلِ

المرأة القاتل من بني قريظة

قال ابن إسحاق: وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: لم يقتل من نساءهم إلا امرأة واحدة. قالت: والله إنها لعندي تَحَدَّتْ معي، وَتَضَحَّكَ ظَهْرًا وَبَطْنًا، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يقتل رجالها في السُّوقِ، إِذْ هَتَفَ هَاتِفٌ بِاسْمِهَا: أَيْنَ فُلَانَةُ؟ قالت: أنا والله، قالت: قلت لها: ويلك، ما لك؟ قالت: أُقْتِلُ، قلت: ولم؟ قالت: لحدثٍ أحدثته، قالت: فانطلق بها، فَضْرِبْتُ عَنْقَهَا، فَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ: فَوَالله مَا أُنْسَى عَجَبًا مِنْهَا، طِيبَ نَفْسِهَا، وَكَثْرَةَ ضَحْكِهَا، وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهَا تُقْتَلُ.

غزوة الخندق:

فصل: وذكر في غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ ثُعْلَبَةُ بْنُ سَعْيَةَ، وَأَسَدُ بْنُ سَعْيَةَ، وَأُسَيْدُ بْنُ سَعْيَةَ وَهُمْ مِنْ بَنِي هَذَلٍ، وَقَدْ تَكَلَّمْنَا فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى سَعْيَةَ وَسُعْنَةَ بِالنُّونِ، وَذَكَرْنَا الْاِخْتِلَافَ فِي أُسَيْدٍ وَأُسَيْدٍ، وَذَكَرْنَا خَبْرًا عَجِيبًا لَزَيْدِ بْنِ سَعْيَةَ بِالْيَاءِ، وَمَنْ قَالَ مِنَ النَّسَابِينَ هَذَلٌ بِسُكُونِ الدَّالِ فِي بَنِي هَذَلٍ، فَاعْنَى ذَلِكَ عَنْ إِعَادَتِهِ.

قتل المرتدة

وأما حديث المرأة المقتولة من بني قُرَيْظَةَ، ففيها دليل لمن قال بقتل الْمُرْتَدَّةِ مِنَ النِّسَاءِ، أَخْذًا بِعُمُومِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ، فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ»^(١). وفي هذا الحديث مع الْعُمُومِ قُوَّةٌ أُخْرَى، وَهُوَ تَعْلِيْقُ الْحُكْمِ بِالْعِلَّةِ، وَهُوَ التَّبْدِيلُ وَالرُّدَّةُ، وَلَا حُجَّةَ مَعَ هَذَا لِمَنْ زَعَمَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ بَأْنَ لَا تُقْتَلُ الْمَرْأَةُ لِنَهْيِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ، وَلِلْاِخْتِجَاجِ لِلْفَرِيقَيْنِ، وَمَا نَزَلَ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَوْطِنٌ غَيْرُ هَذَا.

(١) أخرجه البخاري (٧٥/٤) والترمذي (١٤٥٨) وأبو داود والنسائي (١٠٤/٧) وابن ماجه (٢٥٣٥) وأحمد (٢١٧/١).

قال ابن هشام: وهي التي طرحت الرّحا على خلّاد بن سويد، فقتلته.

شأن الزبير بن باطا

قال ابن إسحق: وقد كان ثابت بن قيس بن الشّمس، كما ذكر لي ابن شهاب الزّهري، أتي الزبير بن باطا القرظي؛ وكان يُكنّى أبا عبد الرحمن وكان الزبير قد منّ على ثابت بن قيس بن شّمس في الجاهلية. ذكر لي بعض ولد الزبير أنه كان منّ عليه يوم بُعث، أخذه فجزّ ناصيته، ثم خلّى سبيله - فجاءه ثابت وهو شيخ كبير، فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل تعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك، قال: إني قد أردت أن أجزيك بيدك عندي، قال: إن الكريم يَجزي الكريم، ثم أتى ثابت ابن قيس رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إنه قد كانت للزبير عليّ منّة، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي دمه، فقال رسول الله ﷺ: «هو لك»، فأتاه فقال: إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك، فهو لك، قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟ قال: فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، هب لي امرأته وولده، قال: «هُم لك». قال: فأتاه فقال: قد وهب لي رسول الله ﷺ أهلك وولدك، فهم لك، قال: أهل بيتٍ بالحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟ فأتى ثابت رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ماله، قال: هو لك. فأتاه ثابت فقال: قد أعطاني رسول الله ﷺ مالك، فهو لك، قال: أي ثابت، ما فعل الذي كان وجهه مرآة صينية يترأى فيها عذارى الحيّ، كعب بن أسد؟ قال: قُتل، قال: فما فعل سيّد الحاضر والبادي حَيّ بن أخطب؟ قال: قُتل، قال: فما فعل مُقدمتنا إذا شددنا، وحاميتنا إذا فررنا، عزّال بن سَمَوأل؟ قال: قُتل، قال: فما فعل المجلسان؟ يعني بني كعب بن قُريظة وبني عمرو بن قُريظة؟ قال: ذهبوا قُتلوا. قال: فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألحقتني بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، فما أنا بصابر لله قُتلة دلوّ ناضِح حتى ألقى الأحبة. فقدّمه ثابت، فضرب عنقه.

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله: «ألقى الأحبة». قال: يلقاهم والله في نار جهنم خالداً مخلّداً.

الزبير بن باطا

فصل: وذكر حديث ثابت بن قيس مع الزبير بن باطا، وهو الزبيرُ بفتح الزاي وكسر الباء جدُّ الزبير بن عبد الرحمن المذكور في الموطأ في كتاب النكاح، واختلف في الزبير بن عبد الرحمن، فقليل: الزبيرُ بفتح الزاي وكسر الباء كاسم جده، وقيل: الزبير، وهو قول البخاري في التاريخ.

قال ابن هشام: قَبْلَةٌ دَلُو ناضِح. وقال زهير بن أبي سلمى في «قَبْلَةٍ»: وقَابِلٍ يَتَغَنَّى كُلُّمَا قَدَرَتْ عَلَى الْعِرَاقِي يَدَاهُ قَائِمًا دَفَقًا وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: وَيُرْوَى: وقَابِلٍ يَتَلَقَّى، يعني قابل الدلو يتناول.

عطية القرظي ورفاعة

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل كل من أثبت منهم.

قال ابن إسحاق: وحدثني شعبة بن الحجاج، عن عبد الملك بن عمير، عن عطية القرظي، قال: كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بني قريظة كل من أثبت منهم، وكنت غلامًا، فوجدني لم أثبت فخلوا سبيلي.

وذكر فيه قول الزبير:

فما أنا بصابر لله فَثَلَّةٌ دَلُو ناضِح

وقال ابن هشام: إنما هو قَبْلَةٌ دَلُو بالقاف والباء، وقابل الدَلُو هو الذي يأخذها من المُسْتَقَى.

وذكر أبو عبيد الحديث في الأقوال على غير ما قالاه جميعًا، فقال: قال الزبير: يا ثابت الحفني بهم، فلست صابرًا عنهم إفراغة دَلُو.

الإثبات أصل في معرفة البلوغ

وذكر حديث عطية القرظي، وهو جدُّ محمد بن كعب القرظي، وذكر أنه لم يكن أثبت فترك، ففي هذا أن الإثبات أصل في معرفة البلوغ إذا جهل الاختلام، ولم تُعرف سنوؤه.

حَلَّةٌ حَيِّي:

وذكر حَيِّي بن أخطب حين قُدِمَ إلى القتل، وعليه حُلَّةٌ فُقَاحِيَّةٌ. الحَلَّة: إِزَارٌ وَرِدَاءٌ، وأصل تسميتها بهذا إذا كان الثوبان جديدين، كما حُلَّ طِيْهُمَا، فقليل له: حُلَّةٌ لهذا، ثم استمر عليه الاسم، قاله الخطابي.

وقوله: فُقَاحِيَّةٌ نُسِبَتْ إِلَى الْفُقَاحِ، وهو الزَّهْرُ إِذَا انْشَقَّتْ أَكْمَتُهُ، وانْضَرَجَتْ بَرَاعِيمُهُ، وَتَفَتَّقَتْ أَخْفِيَّتُهُ، فيقال له حينئذ: فُقَحَّ وهو فُقَاحٌ. والقَنَابِعُ أيضًا في معنى البراعيم، واحدها: قُنْبَعَةٌ، وأما الْفِقَاقُ بالعين فهو الْفُطْرُ، ويقال له أيضًا: آذَانُ الْكَمَاءَةِ من كتاب النبات.

قال: وحدثني أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صغصعة أخو بني عدي بن النجار: أن سلمى بنت قيس، أم المُنذر، أخت سليط ابن أخت سليط بن قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ، قد صلت معه القبلتين، وبايعته بيعة النساء - سأله رفاعه بن سموأل القرظي، وكان رجلاً قد بلغ، فلاذ بها، وكان يعرفهم قبل ذلك، فقالت: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، هب لي رفاعه، فإنه قد زعم أنه سيصلي ويأكل لحم الجمل، قال: فوهبه لها فاستخيته.

الرسول ﷺ يقسم فيء بني قريظة:

قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ قسّم أموال بني قريظة ونساءهم وأبنائهم على المسلمين، وأعلم في ذلك اليوم سُهمان الخيل وسُهمان الرجال، وأخرج منها الخمس، فكان للفارس ثلاثة أسهم، للفارس سَهمان وللفارسه سهم، وللراجل، من ليس له فرس، سهم. وكانت الخيل يوم بني قريظة ستة وثلاثين فرساً، وكان أول فيء وقعت فيه السُهمان، وأخرج منها الخمس، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم، ومضت السنة في المغازي.

ويروى أيضاً: حُلَّة شَقِيجِيَّةٌ وهو سنح البُسر إذا تلَوْن. قاله الخطابي.

ولكنه مَنْ يَخْذُلُ الله يَخْذَلِ

بنصب الهاء من اسم الله، ويصحح هذه الرواية أن في الخبر قول النبي ﷺ: أَلَمْ يُمَكِّنْ الله منك؟ فقال: بلى، ولقد قَلَقْتُ كُلَّ مُقَلِّقٍ، ولكن من يَخْذُلُكَ يَخْذَلِ، فقوله: يَخْذُلُكَ كقول الآخر في البيت:

ولكنه مَنْ يَخْذُلُ الله يَخْذَلِ

لأنه إنما نَظَمَ في البيت كلام حَيٍّ.

سلمى بنت أيوب:

وذكر حديثه عن أيوب بن عبد الرحمن عن عبد الله بن أبي صغصعة، وألفيت في حاشية الشيخ، قال: وقع في تاريخ البخاري أن أيوب نفسه هو المخبر أن سلمى بنت قيس هي: سلمى بنت أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله وهو الصحيح والله أعلم.

سلمى بنت قيس:

وقوله: عن سلمى بنت قيس، هي: سلمى بنت قيس بن عمرو بن عبّيد بن مالك بن عمرو بن عدي بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار.

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً.

شأن ريحانة:

وكان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة، إحدى نساء بني عمرو بن قريظة، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفي عنها وهي في ملكه، وقد كان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها، ويضرب عليها الحجاب، فقالت يا رسول الله، بل تتركني في ملكك، فهو أخف عليّ وعليك، فتركها. وقد كانت حين سباها قد تعصت بالإسلام، وأبت إلا اليهودية، فعزلها رسول الله ﷺ، ووجد في نفسه لذلك من أمرها. فبينا هو مع أصحابه، إذ سمع وقع نعلين خلفه، فقال: إن هذا لثعلبة بن سعية يبشرني بإسلام ريحانة، فجاءه فقال يا رسول الله، قد أسلمت ريحانة، فسرّه ذلك من أمرها.

ما نزل من القرآن في الخندق وبني قريظة

قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى في أمر الخندق، وأمر بني قريظة من القرآن، القصّة في سورة الأحزاب، يذكر فيها ما نزل من البلاء، ونعمته عليهم، وكفايته إياهم فرج ذلك عنهم، بعد مقالة من قال من أهل النفاق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

تفسير آيات قرآنية

وقوله تعالى: ﴿وَبَلَغْتَ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ﴾ والقلب لا يَنْتَقِلُ من موضعه، ولو انتقل إلى الحَنْجَرَةِ لمات صاحبه، والله سبحانه لا يقول إلا الحق، ففي هذا دليل على أن التكلم بالمجاز على جهة المبالغة فهو حق إذا فهم المخاطب عنك، وهذا كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧]، أي مثله كمثل من يريد أن يفعل الفعل، ويهم به، فهو من مجاز التشبيه، وكذلك هؤلاء مثلهم فيما بلغهم من الخوف والوهل وضيق الصدر كمثل المُنْخَلِيعِ قلبه من موضعه، وقيل: هو على حذف المضاف. تقديره: بلغ وجيف القلوب الحناجر^(١) وأما قوله: ﴿إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨] فلا معنى لحمله على

(١) ويقول العلم الحديث: أن الإنسان إذا بلغ به الخوف بلغة فإن قلبه يتضخم عن حجمه حتى يكاد يصل إلى حنجرة الخائف. فتأمل.

بَصِيرًا ﴿١﴾. والجنود قريش و غطفان وبنو قريظة، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة. يقول الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾. فالذين جاءوهم من فوقهم بنو قريظة، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش و غطفان. يقول الله (تبارك و) تعالى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ لقول مُعْتَب بن قُشَيْر إذ يقول ما قال: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ لقول أوس بن قيطي وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِ مِنْ قَوْمِهِ ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾: أي المدينة.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: الأقطار: الجوانب، وواحدتها: قطر، وهي الأقتار، وواحدتها: قتر.

قال الفرزدق:

كم من غنى فتح الإله لهم به والخيل مُقعية على الأقطار
ويُروى: «على الأقتار». وهذا البيت في قصيدة له.

المجاز، لأنه في صفة هول القيامة، والأمر فيه أشد مما تَقَدَّم، لا سِيَّما وقد قال في أخرى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتُهُمْ هَوَاءً﴾ [إبراهيم: ٤٣]، أي: قد فارق القلب الفؤاد، وبقي فارغاً هَوَاءً، وفي هذا دليل على أنَّ القلب غيرُ الفؤاد، كأن الفؤاد هو غلافُ القلب، ويؤيده قول النبي ﷺ في أهل اليمن: «أَلَيْنُ قُلُوبًا وَأَرْقُ أَفئدة»^(١) مع قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الزمر: ٢٢]. ولم يقل للقاسية أفئدتهم، والقَسْوَةُ ضِدُّ اللين، فتأملهُ^(٢).

(١) أخرجه البخاري، ومسلم وأحمد (٤٨٠/٢).

(٢) ويؤيد أيضاً الفرق بين القلب والفؤاد قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها﴾ [القصص: ١٠] ففرق تعالى بين القلب والفؤاد في آية واحدة. ولبيان الفرق بينهما بإيجاز أقول: القلب هو هذه المضغة كلها التي إن صلحت صلح لها الجسد كله وإن فسدت - والعياذ بالله - فسد الجسد كله. أما الفؤاد فهو لبه وخالصه ومن «فئدة» إذا سَخُن واشتعل، فالقلب يتلقى الآيات المرئية والمسموعة والمقروءة فإذا اشتغل بها وتفاعل معها تولد عن حرارة فيه فكان «فؤاداً». والله أعلى وأعلم - انظر أيضاً رسالة الفرق بين القلب والفؤاد للترمذي.

﴿ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ﴾: أي الرجوع إلى الشرك ﴿لَا تَوَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَذْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ فهم بنو حارثة، وهم الذين همّوا أن يفشلوا يوم أحد مع بني سلمة حين همّتا بالفشل يوم أحد، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبدًا، فذكر لهم الذين أعطوا من أنفسهم، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾: أي أهل النفاق ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: أي إلا دفعًا وتعذيرًا ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾: أي للضغن الذي في أنفسهم ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾: أي إعظامًا له وفرقًا منه ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ﴾: أي في القول بما لا تحبون، لأنهم لا يرجون آخرة، ولا تحملهم حسبة، فهم يهابون الموت هَيِّئَةً مِنْ لَا يَرْجُونَ مَا بَعْدَهُ.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: سلقوكم: بالغوا فيكم بالكلام، فأحرقوكم وأذوكم. تقول العرب: خطيب سلاق، وخطيب مسلق ومُسلّاق. قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

فيهم المجد والسّماحة والنّجدة فيهم والخاطب السلاق

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ قريش وغطفان ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾.

ثم أقبل على المؤمنين فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: أي لئلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، ولا عن مكان هو به.

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به، فقال: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾: أي صبرًا على البلاء وتسليمًا للقضاء، وتصديقًا للحق، لما

وقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٨] أي المخذلين لإخوانهم: فيعوقونهم بالتخذيل عن الطاعة، لقولهم: هلمّ إلينا. تقول: عاقني الأمر عن كذا، وعوقني فلان عن كذا، أي: صرفني عنه.

كان الله تعالى وَعَدَهُمْ وَرَسُولُهُ ﷺ. ثم قال: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾: أي فرغ من عمله، ورجع إلى ربه، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: قضى نَحْبَهُ: مات، والنحب: النفس، فيما أخبرني أبو عبيدة، وجمعه: نحوب، قال ذو الرمة:

عَشِيَّةَ فَرِّ الْحَارِثِيِّونَ بَعْدَ مَا قَضَىٰ نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى الْخَيْلِ هَوْبُرُ
وهذا البيت في قصيدة له. وهوبُر: من بني الحارث بن كعب، أراد: زيد بن هوبُر. والنحب (أيضًا): النذر قال جرير بن الخطفي:

بِطَخْفَةٍ جَالِدْنَا الْمُلُوكَ وَخَيْلُنَا عَشِيَّةَ بِسْطَامٍ جَرَيْنَ عَلَى نَحْبِ
يقول: على نذر كانت نذرت أن تقتله فقتلته، وهذا البيت في قصيدة له. وبسطام: بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني، وهو ابن ذي الجدين: حدثني أبو عبيدة: أنه كان فارس ربيعة بن نزار. وطخفة: موضع بطريق البصرة.

والنحب (أيضًا): الخطار، وهو: الرهان. قال الفرزدق:
وَإِذْ نَحَبَتْ كَلْبٌ عَلَى النَّاسِ أَئِنَّا عَلَى النَّحْبِ أَعْطَى لِلْجَزِيلِ وَأَفْضَلُ
والنحب (أيضًا): البكاء. ومنه قولهم ينتحب. والنحب (أيضًا): الحاجة والهمّة، تقول: ما لي عندهم نَحْبٌ. قال مالك بن نويرة اليزبوعي:

وَمَا لِي نَحْبٌ عِنْدَهُمْ غَيْرَ أَنِّي تَلَمَّسْتُ مَا تَبْغِي مِنَ الشُّدْنِ الشُّجَرِ
وقال نهار بن تَوْسِعة، أحد بني تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

قال ابن هشام: هؤلاء موال بني حنيفة:
وَنَجَّى يَوْسُفَ الثَّقَفِيِّ رَكْضُ دِرَاكُ بَعْدَ مَا وَقَعَ اللَّوَاءُ
ولو أذركنه لَقَضَيْنَ نَحْبًا بِهِ وَلِكُلِّ مُخْطَاةٍ وَقَاءُ
والنحب (أيضًا): السير الخفيف المَرُّ.

قال ابن إسحق: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾: أي ما وعد الله به من نصره، والشهادة على ما مضى عليه أصحابه. يقول الله تعالى: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾: أي ما شكوا وما تردّدوا في دينهم، وما استبدلوا به غيره. ﴿لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ﴾: أي قريشًا وغطفان ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: أي بني قريظة ﴿مَنْ صَيَّاصِيهِمْ﴾، والصياصي: الحصون والآطام التي كانوا فيها.

قال ابن هشام: قال سُحَيْم عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ، وَبَنُو الْحَسْحَاسِ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ:

وَأَصْبَحَتِ الثَّيْرَانُ صَرْعَى وَأَصْبَحَتْ نِسَاءً تَمِيمٍ يَنْتَدِرْنَ الصَّيَّاصِيَا
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. وَالصَّيَّاصِي (أَيْضًا): الْقُرُونُ. قَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِي:
وَسَادَةُ رَهْطِي حَتَّى بَقِيَ تُفْرَدَا كَصِصِيَّةِ الْأَغْضَبِ
يَقُولُ: أَصَابَ الْمَوْتَ سَادَةُ رَهْطِي. وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ الْإِيَادِي:

فَذَعَرْنَا سُخْمَ الصَّيَّاصِي بِأَيْدِيهِ هَنْ نَضْحُ مِنَ الْكُحَيْلِ وَقَارِ

وَذَكَرَ الصَّيَّاصِي وَأَنَّهَا الْخُصُونُ، وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْلِ سُحَيْمٍ يَصِفُ سَيْلًا:

وَأَصْبَحَتِ الثَّيْرَانُ صَرْعَى، وَأَصْبَحَتْ نِسَاءً تَمِيمٍ يَنْتَدِرْنَ الصَّيَّاصِيَا
وَأَلْفَيْتُ فِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ أَبِي بَحْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ: الصَّيَّاصِي: قُرُونُ الثَّيْرَانِ الْمَذْكُورَةِ فِيهِ، لِأَمَاتِهِمْ ابْنُ هِشَامٍ أَنَّهَا الْخُصُونُ وَالْآطَامُ، يَقُولُ: لَمَّا أَهْلَكَ هَذَا السَّيْلُ الثَّيْرَانِ وَغَرَّقَهَا أَصْبَحَتْ نِسَاءً تَمِيمٍ يَنْتَدِرْنَ أَخَذَ قُرُونَهَا، لِيَنْسُجْنَ بِهَا الْبُجْدَ، وَهِيَ: الْأَكْسِيَّةُ، قَالَ: هَذَا يَعْقُوبُ عَنِ الْأَضْمَعِيِّ. وَيَصَحُّ هَذَا أَنَّهُ لَا خُصُونَ فِي بَادِيَةِ الْأَعْرَابِ قَالَ الْمُؤَلِّفُ: وَيَصَحُّ هَذَا التَّفْسِيرُ أَيْضًا رَوَايَةُ أَحْمَدُ بْنُ دَاوُدَ لَهُ، فَإِنَّهُ أَنْشَدَهُ فِي كِتَابِ الثَّبَاتِ لَهُ، فَقَالَ فِيهِ: يَلْتَقِظَنَّ الصَّيَّاصِيَا وَلَمْ يَقُلْ: يَتَدَرْنَ، وَأَنْشَدَ:

فَذَعَرْنَا سُخْمَ الصَّيَّاصِي بِأَيْدِيهِ هَنْ نَضْحُ مِنَ الْكُحَيْلِ وَقَارِ

وهذا البيت في قصيدة له. والصياصي أيضًا: الشوك الذي للنساجين، فيما أخبرني أبو عُبَيْدة. وأنشدني لذريد بن الصَّمَّة الجُشَمي، جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن:

نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَا ح تَنُوشُهُ كَوَفَّعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُمَدَّدِ

وهذا البيت في قصيدة له. والصَّيَاصِي (أيضًا): التي تكون في أزجل الديكة ناتئة كأنها القرون الصَّغار، والصياصي (أيضًا): الأصول. أخبرني أبو عُبَيْدة أن العرب تقول: جَدَّ الله صيصيته: أي أصله.

قال ابن إسحق: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾: أي قتل الرجال، وسبي الذراري والنساء، ﴿وَأَوْزَتْكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا﴾: يعني خَيْرٌ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

إكرام سعد في موته

قال ابن إسحق: فلما انقضى شأن بني قُريظة انفجر بسعد بن مُعَاذ جُرحه، فمات منه شهيدًا.

قال ابن إسحق: حدَّثني مُعَاذ بن رِفَاعَةَ الزُّرْقِي، قال: حدَّثني مَنْ شئت من رجال قومي: أن جبريل عليه السلام أتى رسولَ الله ﷺ حين قُبِضَ سعد بن مُعَاذ من جوف الليل معتجرًا بعمامة من استبرق، فقال: يا محمد، من هذا المَيِّت الذي فُتحت له أبوابُ السماء، واهتزَّ له العرش؟ قال: فقام رسولُ الله ﷺ سريعًا يجرُّ ثوبه إلى سَعْد، فوجده قد مات.

الْكُحَيْلُ: الْقَطْرُنُ، والقَارُ: الزُّفْتُ، شَبَّه السَّوَادَ الَّذِي فِي أَيْدِيهِنَّ بِنَضْحٍ مِنْ ذَلِكَ الْكُحَيْلِ وَالْقَارِ، يَصِفُ بَغْرَ وَخْشٍ، وَأَنشَدَ لِذُرَيْدِ بْنِ الصَّمَّةِ:

كَوَفَّعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُمَدَّدِ

وحمله الْأَضْمَعِيُّ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْبَيْتِ قَبْلَ هَذَا مِنْ أَنَّهَا الْقُرُونُ الَّتِي يُنْسَجُ بِهَا، لَا أَنَّهَا شَوْكٌ كَمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ.

اهتزاز العرش

وذكر اهتزاز العرش، وقد تكلم الناس في معناه، وظنوا أنه مُشْكِلٌ، وقال بعضهم: الاهتزازُ هَاهُنَا بِمَعْنَى الْاسْتِثْبَارِ بِقَدُومِ رُوحِهِ، وقال بعضهم: يريد حَمَلَةَ الْعَرْشِ وَمَنْ عِنْدَهُ

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، عن عُمرة بنت عبد الرحمن قالت: أقبلت عائشة قافلة من مكة، ومعها أسيد بن خضير، فلقية موت امرأة له، فحزن عليها بعض الحزن، فقالت له عائشة: يغفر الله لك يا أبا يحيى، أتحنن على امرأة وقد أصبت بآبن عمك، وقد اهتز له العرش!

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم عن الحسن البصري، قال: كان سعد رجلاً بادئاً، فلما حملة الناس وجدوا له خفة، فقال رجال من المنافقين: والله إن كان لبادئاً، وما حملنا من جنازة أخف منه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «إن له حملة غيركم، والذي نفسي بيده، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد، واهتز له العرش»^(١).

قال ابن إسحاق: وحدثني مُعاذ بن رفاعه، عن محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح، عن جابر بن عبد الله، قال: لما دُفن سعد ونحن مع رسول الله ﷺ، سبَّح رسول الله ﷺ، فسبَّح الناس معه، ثم كبر فكبر الناس معه، فقالوا: يا رسول الله، مم سبَّحت؟ قال: «لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره، حتى فرَّجه الله عنه».

قال ابن هشام: ومجاز هذا الحديث قول عائشة: قال رسول الله ﷺ: «إن للقبر لضمّة لو كان أحد منها ناجياً لكان سعد بن مُعاذ».

قال ابن إسحاق: ولسعد يقول رجل من الأنصار:

وما اهتز عرش الله من موت هالك
سمِعنا به إلا لسعد أبي عمرو

من الملائكة، استبعاداً منهم، لأن يهتز العرش على الحقيقة، ولا بُعد فيه، لأنه مخلوق وتجاوز عليه الحركة، والهزة، ولا يُغدل عن ظاهر اللفظ، ما وُجد إليه سبيل، وحديث اهتزاز العرش لموت سعد صحيح. قال أبو عمر: هو ثابت من طرق متواترة، وما روي من قول البراء بن عازب في معناه: أنه سرير سعد اهتز لم يلتفت إليه العلماء، وقالوا: كانت بين هذين الحيين من الأنصار ضغائن. وفي لفظ الحديث: اهتز عرش الرحمن، رواه أبو الزبير عن جابر يرفعه، ورواه البخاري من طريق الأعمش عن أبي صالح وأبي سفيان كلاهما عن جابر، ورواه من الصحابة جماعة غير جابر، منهم أبو سعيد الخدري، وأسيد بن خضير، ورُميئة بنت عمرو، ذكر ذلك الترمذي. والعجب لما روي عن مالك رحمه الله من إنكاره

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٦/٢/٣).

وقالت أمُّ سعد، حين احتُمل نَعشه وهي تبكيه - قال ابن هشام - وهي كُبَيْشَة بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبحر، وهو خُذْرَة بن عَوْف بن الحارث بن الخزرج:

وَيْلَ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدًا صَرَامَةً وَحَدًا
وَسُودَدًا وَمَجْجَدًا وفارسًا مُعَدًا
سُدَّ بِهِ مَسَدًا يَقْدُ هَامًا قَدًا

يقول رسول الله ﷺ: «كُلُّ نَائِحَةٍ تَكْذِبُ، إِلَّا نَائِحَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ».

شهداء الغزوة:

قال ابن إسحاق: ولم يُستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستّة نفر.

ومن بني عبد الأشهل: سعدُ بن مُعَاذٍ، وأنس بن أوس بن عَتِيكَ بن عمرو، وعبد الله بن سهل. ثلاثة نفر.

ومن بني جُشَم بن الخزرج، ثم من بني سَلَمَة: الطُّفَيْل بن النعمان، وثعلبة بن غَنَمَة. رجلان.

ومن بني النّجار، ثم من بني دينار: كعب بن زيد، أصابه سهم غَرْب، فقتله.

تفسير ابن هشام لبعض الغريب:

قال ابن هشام: سَهْمٌ غَرْبٌ وسَهْمٌ غَرْبٌ، بإضافة وغير إضافة، وهو الذي لا يُعرف من أين جاء ولا من رَمَى به.

قتلى المُشركين:

وقُتل من المُشركين ثلاثة نفر.

من بني عبد الدّار بن قُصَيٍّ: مُنْبَه بن عثمان بن عُبَيْد بن السَّبَّاق بن عبد الدّار، أصابه سهم، فمات منه بمَكَّة.

قال ابن هشام: هو عثمان بن أُمَيَّة بن مُنْبَه بن عُبَيْد بن السَّبَّاق.

للحديث، وكراهيته للتحديث به مع صحّة نقله، وكثرة الرواة له، ولعلّ هذه الرواية لم تصحّ عن مالك والله أعلم.

قال ابن إسحاق: ومن بني مَخْزُوم بن يَقْظَة: نُوْفَل بن عبد الله بن الْمُغْيِرَة، سألوا رسول الله ﷺ أن يبيعهم جَسَدَه، وكان اقتحم الخندق، فتورط فيه، فقتل، فغلب المسلمون على جَسَدَه. فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجة لنا في جَسَدَه ولا بثمنه، فخلّ بينهم وبينه»^(١).

قال ابن هشام: أعطوا رسول الله ﷺ بجسده عشرة آلاف درهم، فيما بلغني عن الزُّهري.

قال ابن إسحاق: ومن بني عامر بن لُؤَيٍّ، ثم من بني مالك بن حِشَل: عمرو بن عَبد ود، قتله عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه.

قال ابن هشام: وحدثني الثقة أنه حدث عن ابن شهاب الزهري أنه قال: قتل عليّ بن أبي طالب يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حِشَل بن عمرو.

قال ابن هشام: ويقال عمرو بن عبد ود، ويقال: عمرو بن عَبد.

شهداء المسلمين يوم بني قريظة:

قال ابن إسحاق: واستشهد يوم بني قُريظة من المسلمين، ثم من بني الحارث بن الخزرج: خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو، طُرحت عليه رَحَى، فَشَدَخَتْهُ شَدْخًا شَدِيدًا، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال: «إن له لأجرَ شهيدين»^(٢).

ومات أبو سنان بن مِخْصَن بن حُرْثان، أخو بني أسد بن خُزيمة، ورسولُ الله ﷺ محاصر بني قُريظة، فدفن في مقبرة بني قُريظة التي يَدْفَنون فيها اليوم، وإليه دفنوا أمواتهم في الإسلام.

البشارة بغزو قريش:

ولما انصرف أهلُ الخَنْدَق عن الخندق، قال رسولُ الله ﷺ فيما بلغني: «لن تَغْزُوكم قريش بعد عامكم هذا، ولكنكم تَغْزُونهم»^(٣). فلم تغزهم قُريش بعد ذلك، وكان هو الذي يَغْزُوها، حتى فتح الله عليه مكة.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤١٩/١٢). (٢) انظر الطبقات (٨٢/٢/٣).

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل (٤٥٨/٣).

ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة

شعر ضرار

وقال ضرار بن الخطّاب بن مزداس، أخو بني مُحارب بن فِهْر، في يوم الخندق:
ومُشفقة تَظُنُّ بنا الظنونا وقد قُذنا عَرْنَدَسَة^(١) طَحُونَا
كَأَنَّ زُهَاءَهَا أَحَدٌ إِذَا مَا بَعَدَتْ أَزْكَائِهِ لِلنَّاطِرِينَا
تَرَى الْأَبْدَانُ فِيهَا مُسْبِغَاتٍ عَلَى الْأَبْطَالِ وَالْيَلْبِ الْحَصِينَا

فصل في أشعار يوم الخندق

شعر ضرار

ذكر فيها شِعْرَ ضِرَارِ بْنِ الْخَطَّابِ:

على الأبطال واليَلْبِ الحَصِينَا

الْيَلْبُ: التَّرْسَةُ، وقيل: الدَّرَقُ، وقيل: بَيْنَضَاتٌ وَدُرُوعٌ كَانَتْ تُتَّخَذُ مِنْ جُلُودِ الْإِبِلِ، ويشهد لهذا قولُ حَبِيب:

هذه الْأَسِنَّةُ وَالْمَادِي^(٢) قَدْ كَثُرَا فلا الصِّيَاصِي لَهَا قَدْرٌ وَلَا الْيَلْبُ

أي: لا حَاجَةَ بَعْدَ وُجُودِ الدُّرُوعِ الْمَادِيَّةِ إِلَى الْيَلْبِ، وبعْدَ الْأَسِنَّةِ إِلَى الصِّيَاصِي، وهي: الْقُرُونُ، وَكَانَتْ أَسْتَهْمَ مِنْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. قال الشاعر:

يُهَزِّهُزُ صَغْدَةٌ جَرْدَاءٌ فِيهَا نَقِيعُ السُّمِّ أَوْ قَرْنٌ مَجِيقُ

(١) عرندسة: حرب طاحنة.

(٢) المادي: سلاح من حديد.

وَجُرَدًا كَالْقِدَاحِ مُسَوَّمَاتٍ
كَأَنَّهُمْ إِذَا صَالُوا وَصُلْنَا
أَنَاسٌ لَا نَرَى فِيهِمْ رَشِيدًا
فَأُخْجِرْنَا هُمْ شَهْرًا كَرِيتًا^(١)
مُزَاوِحُهُمْ وَنَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ
بِأَيْدِينَا صَوَارِمُ مُرْهَفَاتٍ
كَأَنَّ وَمِيضَهُنَّ مُعَرِّيَاتٍ
وَمِيضُ عَقِيقَةٍ^(٢) لَمَعَتْ بَلِيلٍ
فَلَوْلَا خُنْدَقٌ كَانُوا لَدَيْهِ
وَلَكِنْ حَالٌ دُونَهُمْ وَكَانُوا
فَإِنْ نَرَجُلٌ فَإِنَّا قَدْ تَرَكْنَا
إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ سَمِعَتْ نُوحَى
وَسَوْفَ نَزُورُكُمْ عَمَّا قَرِيبٍ
بِجَمْعٍ مِنْ كِنَانَةٍ غَيْرِ عُزْلِ

نُؤْمُ بِهَا الْغُوَاةَ الْخَاطِئِينَ
بِبَابِ الْخُنْدَقِينَ مُصَافِحُونَ
وَقَدْ قَالُوا أَلَسْنَا رَاشِدِينَ
وَكُنَّا قَوْتَهُمْ كَالْقَاهِرِينَ
عَلَيْهِمْ فِي السَّلَاحِ مُدَجِّجِينَ
نَقْدُ بِهَا الْمَفَارِقَ وَالشُّؤُونََا
إِذَا لَاحَتْ بِأَيْدِي مِصْلَتَيْنَا
تَرَى فِيهَا الْعَقَائِقَ مُسْتَبِينَا
لَدَمَرْنَا عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ
بِهِ مِنْ خَوْفِنَا مَتَعَوِّذِينَ
لَدَى أَبْيَاتِكُمْ سَغْدًا رَهِينَا
عَلَى سَغْدٍ يُرَجِّعُنَا الْحَنِينَا
كَمَا زُرْنَاكُمْ مُتَوَازِرِينَ
كَأَسَدِ الْغَابِ قَدْ حَمَتِ الْعَرِينَا

كعب يرد على ضرار

فأجابه كعب بن مالك، أخو بني سلمة، فقال:

وسائلةٌ تُسائلُ ما لَقِينَا
صَبْرُنَا لَا نَرَى لِلَّهِ عَذْلًا
وَكَانَ لَنَا النَّبِيُّ وَزِيرَ صَدَقٍ
نُقَاتِلُ مَعْشَرًا ظَلَمُوا وَعَقُّوا
وَلَوْ شَهِدْتُ رَأَيْنَا صَابِرِينَ
عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَ
بِهِ نَغْلُو الْبَرِيَّةَ أَجْمَعِينَ
وَكَانُوا بِالْعَدَاوَةِ مُرْصِدِينَ

شعر كعب

وذكر في شعر كعب:

فَكُنْتُمْ تَحْتَهَا مُتَكَمِّهِينَ

(١) كريتًا: شديدًا.

(٢) عقيقة: سهم يُرمى به جهة السماء.

نُعَاجِلُهُمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا
تَرَانَا فِي فَضَافِضٍ ^(١) سَابِغَاتٍ ^(٢)
وَفِي أَيْمَانِنَا بِيضٌ خِفَافٌ
يَبَابُ الْخَنْدَقِينَ كَأَنَّ أَسَدًا
فَوَارِسَنَا إِذَا بَكَرُوا وَرَاحُوا
لَنَنْصُرَ أَحْمَدًا وَاللَّهُ حَتَّى
وَيَعْلَمَ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ سَارُوا
بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ
فَإِمَّا تَقْتُلُوا سَغْدًا سَفَاهَا
سَيُذْخِلُهُ جِنَانًا طَيِّبَاتٍ
كَمَا قَدْ زَدَّكُمْ فَلَا شَرِيدًا
خَزَايَا لَمْ تَنَالُوا ثُمَّ خَيْرًا
بِرِيحٍ عَاصِفٍ هَبَّتْ عَلَيْكُمْ

شعر ابن الزبعمري:

وقال عبد الله بن الزبعمري السهمي، في يوم الخندق:

حَتَّى الدِّيارَ مَحَا مَعَارِفَ رَسْمِهَا
فَكَأَنَّمَا كَتَبَ الْيَهُودُ رُسُومَهَا
قَفَزَا كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَلْهُو بِهَا
فَاثْرَكَ تَذْكُرُ مَا مَضَى مِنْ عَيْشَةٍ
وَإِذْكَرُ بَلَاءَ مَعَاشِرٍ وَاشْكُرْهُمْ
طُولُ الْبَيْلَى وَتَرَاوَحُ الْأَحْقَابِ
إِلَّا الْكَنِيفَ وَمَغْقِدَ الْأَطْنَابِ
فِي نِعْمَةٍ بِأَوَانِسٍ أَثْرَابِ
وَمَحِلَّةَ خَلْقِ الْمَقَامِ يَبَابِ
سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ مِنَ الْأَنْصَابِ

متفاعلين من الكَمَةِ وهو العَمَى، والأظهر في الأَكَمَةِ أنه الذي يولد أعمى، وقد قيل فيه: إنه الذي لا يُنْصَرُ بِاللَّيْلِ شَيْئًا، ذكر هذا القول البخاري في التفسير.

(١) فضافيض: دروع واسعة.

(٢) سابغات: رغيدة.

(٣) المراح: المكان الواسع.

(٤) شوسًا: رافعي الرأس.

أَنْصَابُ مَكَّةَ عَامِدِينَ لِيَثْرِبِ
يَدْعُ الْخُزُونَ مَنَاهَجًا مَعْلُومَةً
فِيهَا الْجِيَادُ شَوَازِبُ^(٣) مَجْنُوبَةٌ
مِنْ كُلِّ سَلْهَبَةٍ^(٥) وَأَجْرَدُ سَلْهَبِ
جَيْشٍ عُيَيْنَةٍ قَاصِدٌ بِلَوَائِهِ
قَرْمَانُ^(٦) كَالْبَذَرَيْنِ أَصْبَحَ فِيهِمَا
حَتَّى إِذَا وَرَدُوا الْمَدِينَةَ وَارْتَدَوْا
شَهْرًا وَعِشْرًا قَاهِرِينَ مُحَمَّدًا
نَادُوا بِرِخْلَتِهِمْ صَبِيحَةَ قُلْتُمْ
لَوْلَا الْخَنَادِقُ غَادَرُوا مِنْ جَمْعِهِمْ

فِي ذِي غَيَاطِلَ^(١) جَخْفَلُ جَبْجَابُ^(٢)
فِي كُلِّ نَشْرِ ظَاهِرٍ وَشَعَابِ
قُبُ^(٤) الْبَطُونِ لَوَاحِقِ الْأَقْرَابِ
كَالسَّيِّدِ بَادِرٍ غَفْلَةِ الرُّقَابِ
فِيهِ وَصَخْرٌ قَائِدُ الْأَخْزَابِ
غَيْثُ الْفَقِيرِ وَمَغْقِلُ الْهَرَابِ
لِلْمَوْتِ كُلِّ مُجَرَّبٍ قَضَابُ^(٧)
وَصِحَابُهُ فِي الْجَرْبِ خَيْرُ صَحَابِ
كَذُنَا نَكُونُ بِهَا مَعَ الْخِيَابِ
قَتْلَى لَطَيْرٍ سَغْبُ^(٨) وَذِيَابِ

حَسَّانُ يَرِدُ عَلَى ابْنِ الزَّبْعَرِيِّ

فَأَجَابَهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ، فَقَالَ:

هَلْ رَسَمَ دَارِسَةُ الْمَقَامِ يَبَابِ
قَفَرٍ عَفَا رِهْمُ^(٩) السَّحَابِ رُسُومِهِ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ بِهَا الْحُلُولَ يَزِينُهُمْ
قَدَحَ الدِّيَارِ وَذَكَرَ كُلَّ خَرِيدَةٍ^(١١)

مُتَكَلِّمٌ لِمَحَاوِرِ بَجَابِ
وَهُبُوبُ كُلِّ مُطَلَّةٍ مِرْيَابِ^(١٠)
بَيْضُ الْوُجُوهِ ثَوَاقِبِ الْأَحْسَابِ
بَيْضَاءُ آنَسَةِ الْحَدِيثِ كَعَابِ^(١٢)

مِنْ شَعْرِ حَسَّانِ حَوْلَ أَسْمَاءِ اللَّهِ

وَفِيهِ قَوْلُهُ:

وَجُنُودُ رَبِّكَ سَيِّدِ الْأَرْيَابِ

- | | |
|---|-------------------------|
| (١) غياطل: جمع غيطل، الليل شديد الظلمة. | (٢) جبجباب: كثير العدد. |
| (٣) شواذب: ضامرة ضعيفة. | (٤) قب: دقاق. |
| (٥) سلهب: فرس جسيم. | (٦) قرمان: سيد عظيم. |
| (٧) قضاب: شديد القطع. | (٨) سغب: جائعة. |
| (٩) رهم: مطر خفيف. | (١٠) مرباب: أرض ميتة. |
| (١١) خريدة: حسناء. | (١٢) كعاب: ناهدة الثدي. |

واشكُ الهموم إلى الإله وما ترى
ساروا بأجمعهم إليه وألبوا
جيش عيّنة وابنُ حَزْب فيهم
حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا
وغدوا علينا قادرين بأيديهم
بهُبُوب مُعَصِفَةٍ^(٢) تُفَرِّق جَمْعهم
فكفى الإله المؤمنين قتالهم
من معشر ظَلَموا الرّسول غضاب
أهل القرى وبوادي الأعراب
مُتَخَمِّطُونَ^(١) بحلبة الأحزاب
قتلى الرّسول ومَغْنَم الأسلاب
رُدُّوا بغِيظِهِمْ على الأعقاب
وجُنُودِ رَبِّكَ سيّد الأرباب
وأثابهم في الأجر خير ثواب

فيه شاهد لمن زعم أن السيّد من أسماء الله، وقد كره أكثر العلماء أن يقال في الدعاء: يا سيّدي، وأجازه بعضهم، واحتجّ بحديث ليس إسناده بالقويّ أن النبي - ﷺ - قال له رجل: يا سيّد، فقال: «السيّد الله»^(٣).

وأما مذهب القاضي في مثل هذا من الأسماء التي يُراد بها المدح والتعظيم فذكر الله به جاز ما لم يردّ نهْي عنه، أو تُجمِع الأُمّة على ترك الدعاء به، كما أجمعوا ألاّ يُسمّى بفضيّه، ولا عاقل ولا سَخِيّ، وإن كان في ذلك مدح.

قال المؤلّف: والذي أقول في السيّد: إنه اسمٌ يُعتَبَر بالإضافة، لأنه في أصل الوضع بعض ما أضيف إليه. تقول: فلان سيّد قيس، إذا كان واحداً منهم، ولا يقال: في قيس هو سيّد تميم، لأنه ليس واحداً منهم، فكذلك لا يقال في الله تعالى: هو سيّد الناس، ولا سيّد الملائكة، وإنما يقال: ربُّهم فإذا قلت: سيّد الأرباب، وسيّد الكرماء، جاز، لأن معناه أكرم الكرماء، وأعظم الأرباب، ثم يُشتقُّ له من اسم الرّب فيوصف بالرُّبُوبِيّة ولا يوصف بالسُّودَد، لأنه ليس له على الإطلاق، وقد جاء في شِعْرِ حَسَّان الذي يَرثِي به رسول الله ﷺ:

يا ذا الجلالِ وذا العلا والسُّودَد

يصف الرّب، ولكن لا تقوم الحجة في إطلاق هذه الأسماء إلاّ أن يسمّعها الرسول عليه السلام فلا يُنكرها، كما سمع شِعْر كعب، فلم يُنكره، وإنما وصف على الوجه الذي قدّمناه، وعلى المعنى الذي بيّناه.

(١) خمطا: طابت ريعه.

(٢) معصفة: ريح شديدة.

(٣) «صحيح». أخرجه أبو داود (٤٨٠٦) بتحقيقي. وأحمد (٢٤/٤). وانظر للمحقق «القول الأسني في تفسير الأسماء الحسنی».

مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا^(١) فَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ
وَأَقْرَعَ عَيْنَ مُحَمَّدٍ وَصَحَابِهِ
عَاتِي الْفُؤَادِ مَوْقِعِ ذِي رِيْبَةٍ
عَلِقَ الشَّقَاءُ بِقَلْبِهِ، فَفُؤَادُهُ
تَنْزِيلُ نَضْرٍ مَلِيكِنَا الْوَهَّابِ
وَأَذَلَّ كُلَّ مُكَذِّبٍ مُرْتَابِ
فِي الْكُفْرِ لَيْسَ بِطَاهِرِ الْأَثْوَابِ
فِي الْكُفْرِ آخِرُ هَذِهِ الْأَحْقَابِ

كعب يردّ على ابن الزبير

وأجابه كعب بن مالك أيضًا، فقال:

أَبْقَى لَنَا حَدَثُ الْحُرُوبِ بَقِيَّةً
بَيْضَاءَ مُشْرِفَةِ الذُّرَى وَمَعَاظِنَا^(٣)
كَالْلُوبِ^(٤) يُبْذَلُ جَمُّهَا وَحَفِيلُهَا^(٥)
مِنْ خَيْرِ نَحْلَةٍ^(٢) رَبَّنَا الْوَهَّابِ
حُمِّ الْجُدُوعِ غَزِيرَةِ الْأَخْلَابِ
لِلْجَارِ وَابْنِ الْعَمِّ وَالْمُنْتَابِ

من شعر كعب

وقول كعب:

بَيْضَاءَ مُشْرِفَةِ الذُّرَى وَمَعَاظِنَا

يعني: الآطام، وقوله: مَعَاظِنَا يعني: منابت النخل عند الماء شَبَّهَهَا بمعاطن الإبل، وهي: مَبَارِكُهَا عند الماء.

وقوله: حُمِّ الْجُدُوعِ، وَصَفَهَا بِالْحُمَّةِ، وهي: السَّوَادُ، لأنها تضرب إلى السَّوَادِ، من الخضرة والنَّعْمَةِ، وَشَبَّهَ مَا يُجْتَنَى مِنْهَا بِالْحَلَبِ، فقال: غَزِيرَةُ الْأَخْلَابِ.

وقوله: كَالْلُوبِ، اللُّوبُ: جَمْعُ لُوبَةٍ، وَاللَّابُ جَمْعُ لَابَةٍ وهي: الْحَرَّةُ، يقال: ما بين لَابَتَيْنِهَا مِثْلُ فُلَانٍ، وَلَا يُقَالُ: ذَلِكَ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَقَدْ قَالَ شَيْبُ بْنُ شَيْبَةَ لِرَجُلٍ نَسَبَهُ إِلَى التَّصْحِيفِ فِي حَدِيثِ السَّقَطِ: إِنَّهُ يَظَلُّ مُخْبَنْطًا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ: شَيْبُ: بِالْظَّاءِ مَنْقُوطَةً، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَخْطَأْتُ، إِنَّمَا هُوَ بِالْطَّاءِ. قَالَ الرَّاجِزُ:

إِنِّي إِذَا اسْتَنْشَدْتُ لَا أَخْبَنْطِي وَلَا أُحِبُّ كَثْرَةَ التَّمْطِي

(٢) نحلة: مذهب أو ديانة.

(٤) اللوب: العطاش.

(١) قنطوا: يشسوا.

(٣) المعاطن: مبارك الإبل.

(٥) حفيل: كثير.

وَنَزَائِعًا^(١) مِثْلَ السُّرَّاحِ نَمَى بِهَا
عَرِي الشَّوَى مِنْهَا وَأَزْدَفَ نَحْضَهَا^(٢)
قُودًا^(٣) تَرَّاحَ إِلَى الصِّيَاحِ إِذْ غَدَتْ
وَتَحَوَّطَ سَائِمَةً^(٤) الدِّيارِ وَتَارَةً
حُوشُ^(٥) الْوُحُوشِ مَطَارَةً^(٦) عِنْدَ الْوَعَى
عَلَفَ الشَّعِيرَ وَجِزَّةً لِلْقَضَابِ^(٧)
جُرْزُ الْمُتُونِ وَسَائِرِ الْآرَابِ^(٨)
فَعَلَ الضَّرَاءَ تَرَّاحَ لِلْكُلَّابِ
تُرْدَى الْعَدَا وَتِيثُوبُ بِالْأَسْلَابِ
عُبَسَ الْإِلْقَاءِ مُبِينَةَ الْإِنْجَابِ

فقال له شبيب: أَتَلَحُّنِي وما بين لَابَتْنِهَا أَفْصَحُ مِنِّي، فقال له الرجل: وهذه لَخْنَةُ أُخْرَى، أَوْ لِلْبَضْرَةِ لَابَتَانُ؟! إِنَّمَا اللَّابَتَانُ لِلْمَدِينَةِ وَالْكُوفَةِ.

وقوله: يُبْذَلُ جَمُّهَا وَخَفِيلُهَا، أي: الكثير منها، والمُتَّابُ: الزائر مُفْتَعِلٌ من نَابَ يَتُوبُ إِذَا أَلَمَ.

وقوله: وَنَزَائِعًا مِثْلَ السُّرَّاحِ، يعني: الخيل العربية، التي تُزْعَتُ من الأعداء.

وقوله: مِثْلَ السُّرَّاحِ بِالْجِيمِ، كَذَا وَقَعَ فِي الْأَصْلِ، أي: كل واحد منها كالسُّرَّاحِ، ووقع في الحاشية بالحاءِ، وفسره فقال: جمع سِرْحَانٍ، وهو الذُّئْبُ، وهذا الجمع إنما جاز على تقدير حذف الزائدين من الاسم وهي الألف والنون، ولو جمعه على لفظه، لقال: سَرَّاحِينَ.

وقوله: وَجِزَّةً الْمِقْضَابِ الْمِقْضَابُ: مَزْرَعَةٌ، وَجِزَّتُهَا مَا يُجَزُّ مِنْهَا لِلْخَيْلِ.

وقوله: عَرَى الشَّوَى مِنْهَا، يعني: القوائم. والنَّحْضُ: اللحم. والآراب: المفاصلُ، واحدهما إِرْبٌ، وفي الحديث أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ آرَابٍ.

وقوله: قُودًا، أي: طوالَ الأغْناقِ، والضَّرَاءُ: الكلاب الضَّارِيَّةُ، وفي الحديث: إِنْ قَيْنَا ضِرَاءَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، أي: أَشْدَهُ الضَّارِيَّةُ، وَالْكُلَّابُ: جمع كالب، وهو صاحب الكلاب، الذي يصيد بها.

وقوله: عُبَسَ الْإِلْقَاءِ: جمع عُبُوسٍ.

(٢) المقضاب: المنجل.

(٤) الآراب: الحاجات.

(٦) السائمة: الدابة ترعى.

(٨) مطارة: سريعة.

(١) التزائع: الخيل والإبل.

(٣) النحض: اللحم الكثير.

(٥) قودًا: ممسكًا بقيادتها.

(٧) حوش: ساق.

عَلِفَتْ عَلَى دَعَةٍ فَصَارَتْ بُدْنًا
يَغْدُونَ بِالزَّغْفِ (٣) الْمُضَاعَفِ شَكُّهُ
وَصَوَارِمِ نَزَعِ الصِّيَاقِلِ (٦) غَلْبَهَا (٧)
يَصِلُ الْيَمِينُ بِمَارِنِ (٨) مُتْقَارِبِ
وَأَغْرَ أَزْرَقَ فِي الْقَنَاءِ كَأَنَّهُ
وَكَتِيبَةٌ يَنْفِي الْقِرَانَ قَتِيرَهَا (١١)
جَأَوِي (١٣) مُلْمَلَمَةٌ كَأَن رَمَاحَهَا
يَأْوِي إِلَى ظِلِّ اللَّوَاءِ كَأَنَّهُ
أَغَيْتَ أَبَا كَرِبٍ وَأَغَيْتَ ثُبْعًا

دُخَسَ (١) الْبَضِيعُ (٢) خَفِيفَةُ الْأَقْصَابِ
وَبِمُتْرَصَاتِ (٤) فِي الثُّقَافِ (٥) صِيَابِ
وَبِكُلِّ أَزْوَعٍ مَاجِدِ الْأَنْسَابِ
وَكَلَّتْ وَقِيعَتُهُ إِلَى خَبَابِ (٩)
فِي طُخْيَةِ (١٠) الظُّلْمَاءِ ضَوْءُ شِهَابِ
وَتَرَدَّ حَدٌّ قَوَاحِذِ (١٢) النَّشَابِ
فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ ضَرِيمَةٍ (١٤) غَابِ
فِي صَعْدَةِ الْخَطِيِّ فِيءُ عُقَابِ
وَأَبَتْ بِسَالَتُهَا عَلَى الْأَغْرَابِ

وقوله: دُخَسَ الْبَضِيعُ. اللَّحْمُ الْمُسْتَطِيلُ، والدُّخَيْسُ مِنَ اللَّحْمِ: الكثير.

وقوله: خَفِيفَةُ الْأَقْصَابِ، يعني: جمع قُضْبٍ وهو المِعَى ومنه سُمِّيَ الْجَزَارُ قَصَابًا،
وقوله: يَغْدُونَ بِالزَّغْفِ، أي: بالدروع.

وقوله: شَكُّهُ: حَلَقُهُ وَنَسَجُهُ، وقوله:

وَبِمُتْرَصَاتٍ فِي الثُّقَافِ صِيَابِ

الْمُتْرَصَاتُ: الْمُخَكَّمَةُ، يعني: الرِّمَاحُ الْمُثَقَّفَةُ.

وقوله: نَزَعِ الصِّيَاقِلِ غَلْبَهَا، أي: جُسَاتُهَا وَخُشُونَةُ دَرِئِهَا، يقال: عَلِبَ اللَّحْمُ إِذَا لَمْ
يَكُن رَخْصًا، وَعَلِبَ النَّبَاتُ إِذَا جَسَأَ.

وقوله: بِمَارِنِ مُتْقَارِبِ. الْمَارِنُ: اللَّيْنُ، وَوَقِيعَتُهُ: صَقْلُهُ، وَخَبَابٌ: اسْمُ صَيْقَلٍ.

وقوله: وَأَغْرَ أَزْرَقَ، يعني: الرَّمْحَ، وَطُخْيَةُ الظُّلْمَاءِ، أي: شِدَّتُهَا، وَطَخَاءُ الْقَلْبِ:
ظُلْمَتُهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي السَّفَرِ جَلٍ: «إِنَّهُ يَذْهَبُ بِطَخَاءِ الْقَلْبِ».

(١) دُخَسَ: سَمِيَةٌ.

(٣) الزَّغْفُ: الدَّرْعُ الْوَاسِعَةُ.

(٥) الثُّقَافُ: الرِّمَاحُ.

(٧) غَلْبَهَا: حُدَّهَا.

(٩) خَبَابٌ: الْخَبُّ الْمَخَادَعُ.

(١١) الْقَتِيرُ: رُؤُوسُ الْمَسَامِيرِ فِي الدَّرْعِ.

(١٣) جَأَوِي: غَلِيظَةٌ.

(٢) الْبَضِيعُ: اللَّحْمُ.

(٤) مُتْرَصَاتُ: الرِّمَحُ الْمُثَقَّفَةُ.

(٦) الصِّيَاقِلُ: السِّیُوفُ.

(٨) الْمَارِنُ: الرَّمْحُ الصَّلْبُ.

(١٠) طُخْيَةُ: شِدَّةُ الظُّلَامِ.

(١٢) الْقَوَاحِذُ: السِّهَامُ الشَّدِيدَةُ.

(١٤) ضَرِيمَةٌ: عَزِيمَةٌ.

وَمَوَاعِظَ مِنْ رَبِّنَا نُهْدَى بِهَا بِلِسَانٍ أَزْهَرَ طَيِّبِ الْأَثْوَابِ
عُرِضَتْ عَلَيْنَا فَاشْتَهَيْنَا ذِكْرَهَا مِنْ بَعْدِ مَا عُرِضَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ
حِكْمًا يَرَاهَا الْمُجْرِمُونَ بِزَغْمِهِمْ حَرَجًا وَيَفْهَمُهَا ذَوُو الْأَلْبَابِ
جَاءَتْ سَخِينَةُ كَيْ تُغَالِبَ رَبُّهَا فَلْيُغْلِبَنَّ مُغَالِبُ الْغُلَابِ

قال ابن هشام: حدثني من أثق به، قال: حدثني عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، قال: لما قال كعب بن مالك:

جاءت سَخِينَةُ كَيْ تُغَالِبَ رَبُّهَا فَلْيُغْلِبَنَّ مُغَالِبُ الْغُلَابِ
قال له رسول الله ﷺ: «لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا».

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق:

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبُ يُمَعِمٍ^(١) بَعْضُهُ بَعْضًا كَمَعْمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمُخْرَقِ

وقول كعب:

جاءت سَخِينَةُ كَيْ تُغَالِبَ رَبُّهَا

كان هذا الاسم مما سُمِّيَتْ به قُرَيْشٌ قديمًا، ذكروا أن قُصَيًّا كان إذا ذُبَحَتْ ذبيحة أو نُحِرَتْ نَحِيرَةٌ بمكة أتى بعَجْزِهَا، فصنع منه خَزِيرَةً، وهو لحم يُطْبَخُ بِبُرٍّ فيُطْعَمُهُ النَّاسُ، فَسُمِّيَتْ قُرَيْشٌ بِهَا سَخِينَةً. وقيل: إن العرب كانوا إذا أَسْتَوْا أَكَلُوا الْعِلْهَزَ، وهو الوَبَرُ والدَّم، وتَأَكَل قُرَيْشُ الْخَزِيرَةَ وَالْفَتَّةَ^(٢) فَتَفَسَّتْ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ فَلَقَّبُوهُمْ: سَخِينَةً، ولم تكن قُرَيْشٌ تَكْرَهُ هذا اللَّقَبَ، ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره، ورسول الله - ﷺ - منهم، ولتركه أدبًا مع النبي عليه السلام، إذ كان قُرَشِيًّا، ولقد استنشد عبد الملك بن مَرْوَانَ ما قاله الهَوَازِنِيُّ في قُرَيْشٍ:

يَا شَدَّةَ مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ عَلَى سَخِينَةٍ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ

فقال: ما زاد هذا على أن اسْتَشْنَى، ولم يَكْرَهُ سَمَاعَ التَّلْقِيبِ بِسَخِينَةٍ، فدلَّ هذا على أن هذا اللَّقَبَ لم يكن مكروهًا عندهم، ولا كان فيه تَغْيِيرٌ لَهُمْ بِشَيْءٍ يَكْرَهُ.

شعر آخر لكعب:

وفي شعر كعب أيضًا:

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبُ يُمَعِمٍ بَعْضُهُ

(١) يمعع: يقاتل قتالاً شديداً.

(٢) الفتة: التمر الكثير.

فَلَيَاتِ مَأْسَدَةً تُسَنُّ سِيوفُهَا بين المذاد^(١) وبين جزع الخندق
دَرَبُوا بِضَرْبِ الْمُعْلِمِينَ وَأَسْلَمُوا مُهْجَاتِ أَنْفُسِهِمْ لِرَبِّ الْمَشْرِقِ
فِي غَضَبَةٍ نَصَرَ إِلَهُ نَبِيِّهِ بِهِمْ وَكَانَ بَعْبِدِهِ ذَا مَرْفَقِ
فِي كُلِّ سَابِغَةٍ تَخُطُّ فُضُولُهَا كَالنَّهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمُتَرَفِّقِ
بَيَضَاءٍ مُحْكَمَةٍ كَأَنْ قَتِيرَهَا حَدَقَ الْجَنَادِبِ^(٢) ذَاتَ شَكِّ مُوثِقِ
جَذَلَاءِ^(٣) يَخْفِزُهَا نِجَادٌ مُهَنَّدٌ صَافِي الْحَدِيدَةِ صَارِمِ ذِي رَوْنَقِ

الْمَغْمَعَةُ: صَوْتُ النَّارِ فِيمَا عَظُمَ وَكَثُفَ مِنَ الشَّغَرَاءِ وَالْقَضْبَاءِ وَنَحْوِهَا، وَالْكَلْحَبَةُ صَوْتُهَا فِيمَا دَقَّ كَالسَّرَاجِ وَنَحْوِهِ، وَالْقَطْمَطَةُ: صَوْتُ الْغَلْيَانِ، وَكَذَلِكَ الْغَرْغَرَةُ وَالْجَعَجَعَةُ صَوْتُ الرَّحَى، وَالذَّرْدَبَةُ صَوْتُ الطَّبْلِ.

وقوله: الأَبَاءُ، هُوَ الْقَصْبُ وَاحِدَتَهَا أَبَاءَةٌ، وَالْهَمْزَةُ الْآخِرَةُ فِيهَا بَدَلٌ مِنْ يَاءٍ، قَالَ ابْنُ جَنِيٍّ، لِأَنَّهُ عِنْدَهُ مِنَ الْأَبَايَةِ، كَانَ الْقَصْبُ يَأْبَى عَلَى مَنْ أَرَادَهُ بِمَضْغٍ أَوْ نَحْوِهِ، وَيَشْهَدُ لِمَا قَالَ ابْنُ جَنِيٍّ قَوْلُ الشَّاعِرِ [بِشْرِ بْنِ أَبِي خَازِمٍ]:

يَرَاهُ النَّاسُ أَخْضَرَ مِنْ بَعِيدٍ وَتَمْنَعُهُ الْمَرَارَةُ وَالْإِبَاءُ

وقوله: فَلَيَاتِ مَأْسَدَةً، هِيَ: الْأَرْضُ الْكَثِيرَةُ الْأَسَدِ، وَكَذَلِكَ الْمَسْبَعَةُ الْأَرْضُ الْكَثِيرَةُ السَّبَاعِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَأْسَدَةٌ جَمْعُ أَسَدٍ كَمَا قَالُوا: مَشْيَخَةٌ وَمَغْلَجَةٌ، حَكَى سِيبَوَيْهِ مَشْيَخَةً وَمَشْيُوحَاءَ، وَمَغْلَجَةً وَمَغْلُوجَاءَ، وَالْفَيْتُ أَيْضًا فِي النَّبَاتِ مَسْلُومَاءٌ لَجَمَاعَةِ السَّلَمِ وَمَشْيُوحَاءَ لِلشَّيْخِ بِالْحَاءِ، الْمَهْمَلَةِ، الْكَثِيرِ.

وقوله: تُسَنُّ سِيوفُهَا، بِنَصَبِ الْفَاءِ، وَهُوَ الْأَصْحَحُ عِنْدَ الْقَاضِي أَبِي الْوَلِيدِ، وَوَقَعَ فِي الْأَصْلِ عِنْدَ أَبِي بَحْرٍ: تُسَنُّ سِيوفُهَا بِالرَّفْعِ، وَمَعْنَى الرَّوَايَةِ الْأُولَى: تُسَنُّ أَيُّ: تَضْقِلُ، وَمَعْنَى الرَّوَايَةِ الثَّانِيَةِ أَيُّ: تُسَنُّ لِلْأَبْطَالِ، وَلَمَنْ بَعْدَهَا مِنَ الرِّجَالِ سَنَّةُ الْجُرْأَةِ وَالْإِقْدَامِ.

وقوله في وصف الدُّزَعِ:

جَذَلَاءُ يَخْفِزُهَا نِجَادٌ مُهَنَّدٌ

جَذَلَاءُ: مِنَ الْجَذَلِ، وَهُوَ: قُوَّةُ الْقَتْلِ، وَمِنْهُ الْأَجْدَلُ لِلصَّقْرِ، وَفِي هَذَا الْبَيْتِ دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ امْتِنَاعِ الصَّرْفِ فِي أَجْدَلٍ، وَأَنَّهُ مِنْ بَابِ أَفْعَلَ الَّذِي مُؤَنَّثُهُ فَعْلَاءُ، وَمَنْ صَرَفَهُ شَبَّهَهُ

(٢) الجنادب: الجراد.

(١) المذاد: اسم موضع.

(٣) جذلاء: محكمة.

تَلَكُم مَعَ التَّقْوَى تَكُون لِبَاسَنَا يَوْمَ الْهِيَاجِ وَكُلَّ سَاعَةٍ مَصْدَقٌ
نَصِلَ السُّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ بِخَطُونَا قُدُمًا وَنُلْحِقَهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقْ
فَتَرَى الْجَمَاجِمَ ضَاحِيًا هَامَاتَهَا بَلَّةٌ^(١) الْأَكْفُ كَأَنَّهَا لَمْ تُخْلَقْ

بَارَنْبُ وَأَفْكَلُ، وَهُوَ أضعف الوجهين، وَإِنْ كَانُوا قَدْ قَالُوا فِي جَمْعِهِ: أَجَادِلْ مِثْلَ أَرَانِبْ فَقَدْ قَالُوا أَيْضًا: الْأَجَارِعُ وَالْأَبَاطِحُ فِي جَمْعِ أَجْرَعَ وَأَبْطَحَ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَضْرِفُونَهُمَا مِنْ حَيْثُ قَالُوا فِي الْمُؤَنَّثِ: بَطْحَاءُ وَجَزْعَاءُ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي أَتْرَقَ وَبَرَقَاءُ.

وَقَوْلُهُ: يَخْفِزُهَا نِجَادُ مُهَنْدٍ^(٢)، كَقَوْلِ [أَبِي قَيْسٍ] بْنِ الْأَسْلَتِ فِي وَصْفِ الدَّرْعِ:
أَخْفِزُهَا عَنِّي بِذِي رَوْثٍ أبيضَ مِثْلِ الْمَلِيحِ قِطَاعِ
وَذَلِكَ أَنَّ الدَّرْعَ إِذَا طَالَتْ فَضُولُهَا خَفِزُوهَا، أَي: شَمَرُوهَا فَرَبَطُوهَا بِنِجَادِ السَّيْفِ.
وَقَوْلُهُ:

تَلَكُم مَعَ التَّقْوَى تَكُون لِبَاسَنَا

مِنْ أَجُودِ الْكَلَامِ: وَأَمْلَحُ الِاتِّفَاتَاتِ، لِأَنَّهُ قَوْلٌ انْتَزَعَهُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا وَفَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ وَسَطَ الْقَوْمِ غُرِيَانَا

وَمَوْضِعُ الْإِجَادَةِ وَالْإِحْسَانِ مِنْ قَوْلِ كَعْبٍ أَنَّهُ جَعَلَ لِبَاسَ الدَّرْعِ تَبَعًا لِلْبَاسِ التَّقْوَى، لِأَنَّ حَرْفَ مَعَ تَعْطِي فِي الْكَلَامِ أَنَّ مَا بَعْدَهُ هُوَ الْمَتَّبُوعُ، وَلَيْسَ بِتَابِعٍ، وَقَدْ احْتَجَّ الصَّدِيقُ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ الَّذِينَ آمَنُوا، وَنَحْنُ الصَّادِقُونَ، وَإِنَّمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ أَنْ تَكُونُوا مَعَنَا فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. وَالصَّادِقُونَ هُمُ الْمُهَاجِرُونَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

حَكَمَ بِلَهُ وَمَا بَعْدَهَا:

وَقَوْلُهُ: بَلَّةُ الْأَكْفُ، بِخَفْضِ الْأَكْفِ هُوَ الْوَجْهَ، وَقَدْ رُوِيَ بِالنَّصْبِ، لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ، أَي: دَعِ الْأَكْفُ، فَهَذَا كَمَا تَقُولُ: رُوَيْدَ زَيْدٍ، وَرُوَيْدَ زَيْدٍ بَلَا تَنْوِينٍ مَعَ النَّصْبِ، وَبَلَّةُ كَلِمَةٌ بِمَعْنَى

(١) بِلَّةُ: تَارِكُهُ.

(٢) الْمُهَنْدُ: السَّيِّدُ. وَبَارَكَ اللَّهُ فِي وَلَدِنَا «مُهَنْدٍ». آمِينَ.

نَلْقَى الْعَدُوَّ بِفَخْمَةٍ مَلْمُومَةٍ
وَنُعِدُّ لِلْأَعْدَاءِ كُلِّ مُقْلَصٍ^(١)
تَزْدِي بِفَرْسَانِ كَأَنَّ كَمَاثَهُمْ
صُدُقٌ يُعَاطُونَ الْكُمَاةَ حُثُوفَهُمْ
أَمْرُ الْإِلَهِ بِرَبْطِهَا لِعَدُوِّهِ
لَتَكُونَ غَيْظًا وَحِيَّطًا
وَيُعِينُنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ بِقُوَّةٍ
وَنُطِيعُ أَمْرَ نَبِيِّنَا وَنُجِيبُهُ
وَمَتَى يُنَادِ إِلَى الشَّدَائِدِ نَأْتِيهَا
تَنْفِي الْجُمُوعِ كَقَضْدِ رَأْسِ الْمَشْرِقِ
وَزِدِّ وَمَخْجُولٍ^(٢) الْقَوَائِمِ أَبْلَقٍ^(٣)
عِنْدَ الْهِيَاكِ أَسْوَدَ طَلٍّ مُلْثَقٍ^(٤)
تَحْتَ الْعِمَايَةِ بِالْوَشِيحِ^(٥) الْمُزْهَقِ^(٦)
فِي الْحَرْبِ إِنَّ اللَّهَ خَيْرُ مُوَفِّقٍ
لِلدَّارِ إِنَّ دَلَفَتْ^(٧) خِيُولَ النَّزْقِ^(٨)
مِنْهُ وَصِدْقِ الصَّبْرِ سَاعَةً نَلْتَقِي
وَإِذَا دَعَا لَكْرِيهَةٍ لَمْ نُسَبِّقْ
وَمَتَى نَرِ الْحَوْمَاتِ^(٩) فِيهَا نُغْنِقُ

دَع، وهي من المصادر المضافة إلى ما بعدها وهي عندي من لفظ البله والتَّباله، وهو من الغفلة، لأن من غفل عن الشيء تركه، ولم يسأل عنه، وكذلك قوله: بَلْه الْأَكْفُ، أي: لا تسأل عن الأكف إذا كانت الجماجم ضاحية مُقَطَّعَةً، وفي الحديث: يقول الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت بَلْه ما أَطْلَعْتُهُمْ عَلَيْهِ»^(١٠).

وقوله: بِفَخْمَةٍ مَلْمُومَةٍ، أي: كَتِيبَةٍ مجموعة. وقوله: كَقَضْدِ رَأْسِ الْمَشْرِقِ، الصحيح فيه: ما رواه ابن هشام عن أبي زيد: كرأس قدس المشرق، لأن قُدْسَ جَبَلٍ معروف من ناحية المشرق.

وقوله:

عِنْدَ الْهِيَاكِ أَسْوَدَ طَلٍّ مُلْثَقٍ

الطَّلُّ معروف، واللَّثَقُ ما يكون عن الطَّلِّ من زَلَقٍ وَطِينٍ، والأُسْدُ أَجْوَع ما تكون وأَجْرًا في ذلك الحين.

(٢) محجول: في قوائمه بياض.

(٤) ملثق: كثير الندى.

(٦) المزهق: الذي يصيب الهدف.

(٨) النزق: الصعبة الانقياد.

(١) مقلص: فرس طويل القوام.

(٣) أبلق: أسود فيه بياض.

(٥) وشيح: رماح.

(٧) دلفت: دخلت أو تقدمت.

(٩) الحومات: مواضع القتال الشديدة.

(١٠) أخرجه البخاري (٥١٢/٨ - فتح) ومسلم في الجنة (٢) والترمذي (٣١٩٧) وابن ماجه (٤٣٢٨) وأحمد (٤٣٨/٢) والبيهقي في الصفات (٢٠٨ - بتحقيقي).

مَنْ يَتَّبِعَ قَوْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ فِينَا مُطَاعُ الْأَمْرِ حَقٌّ مُصَدَّقٌ
فَبِذَاكَ يَنْصَرُّنَا وَيُظْهِرُ عِزَّنَا وَيُصِيبُنَا مِنْ نَيْلِ ذَلِكَ بِمِرْفَقٍ
إِنَّ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ مُحَمَّدًا كَفَرُوا وَضَلُّوا عَنْ سَبِيلِ الْمُتَّقِي
قال ابن هشام: أنشدني بيته:

تِلْكَم مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِبَاسِنَا

وبيته:

مَنْ يَتَّبِعَ قَوْلَ النَّبِيِّ

أَبُو زَيْدٍ. وَأَنْشَدَنِي:

تَنْفِي الْجَمْعِ كِرَاسُ قُدْسِ الْمَشْرِقِ

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق:

لَقَدْ عَلِمَ الْأَخْزَابُ حِينَ تَأَلَّبُوا عَلَيْنَا وَرَأَمُوا دِينَنَا مَا نُوَادِعُ
أَضَامِيمٌ^(١) مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ أَضَفَقَتْ وَخِنْدَفٌ لَمْ يَذَرُوا بِمَا هُوَ وَاقِعٌ

قصيدة كعب العينية:

وقوله في العينية:

أَضَامِيمٌ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ أَضَفَقَتْ

واحد الأضاميم: إضمامة، وهو كل شيء مجتمع يُقال: إضمامة من الناس وإضمامة من كُتُبٍ.

قيس عيلان وقيس كبة:

وقوله: من قيس بن عيلان، هو المشهور عند أهل النسب، وبعضهم يقول: إن قيساً هو عيلان لا ابنه، قال: وعرف قيس بن عيلان بفرس، كان له يسمي: عيلاناً، كما عرف قيس كبة من بجيلة بفرس اسمه: كبة، وكان هو وقيس عيلان متجاورين، فكان إذا ذكر أحدهما وقيل: أي القيسين هو، قيل: قيس عيلان أو قيس كبة، وقيل: إن عيلان اسم كلب، كان له، وقيل: عيلان اسم جبل ولد عنده، وقيل: اسم غلام لمضر كان حصنه،

(١) أضاميم: جماعة.

يَذُودُونَنَا عَنْ دِينِنَا وَنَذُودَهُمْ عَنْ الْكُفْرِ وَالرَّحْمَنِ رَاءٍ وَسَامِعٍ
إِذَا غَايَظُونَا^(١) فِي مَقَامِ أَعَانِنَا عَلَى غَيْظِهِمْ نَضُرُّ مِنَ اللَّهِ وَاسِعٍ
وَذَلِكَ حِفْظُ اللَّهِ فِيْنَا وَفَضْلُهُ عَلَيْنَا وَمَنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهَ ضَائِعٍ
هَدَانَا لِدِينِ الْحَقِّ وَاخْتَارَهُ لَنَا وَلِلَّهِ فَوْقَ الصَّانِعِينَ صَنَائِعُ

قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق:

أَلَا أَبْلَغُ قُرَيْشًا أَنْ سَلَعَا وَمَا بَيْنَ الْغُرَيْضِ إِلَى الصَّمَادِ
نَوَاضِحُ فِي الْحُرُوبِ مُدْرَبَاتُ وَخُوصِ ثُقُبَتِ مِنْ عَهْدِ عَادِ
رَوَاكِدُ يَزْخَرُ الْمُرَّارُ فِيهَا فَلَيْسَتْ بِالْجِمَامِ وَلَا الثَّمَادِ

وقيل: كان جوادًا أَتْلَفَ مَالَهُ فَأَدْرَكَهُ عَيْلَةٌ فَسُمِّيَ عَيْلَانٌ، ومما يُخْتَجُّ بِهِ لِلْقَوْلِ الْآخِرِ قَوْلُ
رُؤْبَةٍ^(٢):

وَقَيْسَ عَيْلَانَ وَمَنْ تَقَيَّسَا

شعر كعب في الخندق:

وقوله في الدالية:

وَمَا بَيْنَ الْغُرَيْضِ إِلَى الصَّمَادِ

الْغُرَيْضُ: موضع، والصَّمَادُ: جمع صَمَدٍ، وهو ما غلظ من الأرض.

وقوله: نَوَاضِحُ فِي الْحُرُوبِ. يعني: حُدُوقُ نَخْلٍ تُسْقَى بِالنَّضْحِ، وأراد بالخصوص
آبَارًا، وإنما جعل البئر خَوْصًا لِأَنَّ الْعَيْنَ الْخَوْصَاءَ هِيَ الْغَائِرَةُ، وجمعها خُوصٌ. فعيونُ الماءِ في
الآبَارِ كَذَلِكَ غَائِرَةٌ.

وأنشد أبو عبيد في وصف الإبل:

مَحْبَسَةٌ بُزْلًا كَأَنَّ عَيْونَهَا عَيْونُ الرُّكَايَا أَنْكَزَتْهَا الْمَوَاتِحُ

وقوله: يَزْخَرُ الْمُرَّارُ فِيهَا. الْمُرَّارُ: اسم نهر.

(١) غايظونا: أغضبونا.

(٢) وقيل: هو للعجاج.

كَأَنَّ الْغَابَ وَالْبَرْدِيَّ فِيهَا أَجَشَّ إِذَا تَبَقَّعَ لِلْحَصَادِ
وَلَمْ نَجْعَلْ تِجَارَتَنَا اشْتِراءَ الْحَمِّ يَمُرُّ لَأَرْضِ دَوْسٍ أَوْ مُرَادٍ
بِلَادٌ لَمْ تُثَّرْ إِلَّا لَكَيْمًا نُجَالِدُ إِنْ بِشِطْمِ الْجِلَادِ
أَثَرَ سِكَّةِ الْأَنْبَاطِ فِيهَا فَلَمْ تَرِ مِثْلَهَا جَلْهَاتٍ وَادٍ

وقوله:

كَأَنَّ الْغَابَ وَالْبَرْدِيَّ فِيهَا أَجَشَّ إِذَا تَبَقَّعَ لِلْحَصَادِ
يريد: صوتٌ خَفِيفُ الرِّيحِ، كصوت الأَجَشِّ، وهو الأَبْحُ، وقد يوصف النباتُ أيضًا
بِالْغُتَّةِ من أَجْلِ خَفِيفِ الرِّيحِ فِيهِ، فيقال: رَوْضَةٌ غَنَاءٌ، وقد قيل: إنما ذلك من أَجْلِ صوت
الذُّبَابِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ، قاله أبو حنيفة.

وقوله: تَبَقَّعَ لِلْحَصَادِ، أي: صارت فِيهِ بُقَعٌ بِيضٌ مِنَ الْيَبْسِ، يقال للزَّرْعِ إِذَا صارَ
كَذَلِكَ: أَزْقَاطٌ، وَاسْحَامٌ وَاسْحَارٌ، وَإِذَا أَخَذَ السَّبْلُ الْحَبَّ قِيلَ: أَلْحَمَّ وَأُسْفَى مِنَ السَّفَى،
وَأَشَعَّ مِنَ الشُّعَاعِ بَفَتْحِ الشَّيْنِ وَكسرها، وهو السَّفَى، ويقال: أَسْبَلَ الزَّرْعُ مِنَ السَّبْلِ، كما
يقال: بَعِيرٌ حَظِلٌ وَأَحْظَلُ الْمَكَانُ مِنَ الْحَنْظَلِ، وهي لغة أهلِ الْحِجَازِ، وَبَنُو تَمِيمٍ يَقُولُونَ:
سَبَلٌ، وَأَمَّا هَمْدَانُ فَيَسْمَوْنَ السُّنْبُلَ سُبُولًا، وَالوَاحِدَةُ سَبُولَةٌ فَمِنْ لُغَتِهِمْ أَنَّ يَقَالُ: أَسْبَلٌ،
وَأَمَّا فَخَرَتِ الْأَنْصَارُ فِي هَذَا الشَّعْرِ وَالَّذِي قَبْلَهُ بَنَخِلُهَا وَأَطَامِهَا، إِشَارَةٌ إِلَى عِزِّهَا وَمَنْعَتِهَا،
وَأَنَّهَا لَمْ تُغْلَبْ عَلَى بِلَادِهَا عَلَى قَدِيمِ الدَّهْرِ، كَمَا أُجْلِيَتْ أَكْثَرُ الْأَعَارِبِ عَنْ مَحَالِهَا،
وَأَزَعَجَهَا الْخَوْفُ عَنْ مَوَاطِنِهَا، وَهَذَا الْمَعْنَى أَرَادَ حَسَّانُ فِي قَوْلِهِ:

أَوْلَادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرُ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
لأن إقامتهم حول قبور آبائهم وأجدادهم دليلٌ على مَنْعَتِهِمْ، وَأَلَّا مُغَالِبَ لَهُمْ عَلَى مَا
تَخَيَّرُوهُ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ، وَآثَرُوهُ عِنْدَ ارْتِيَادِهِمْ.

وقوله:

أَثَرْنَا سِكَّةَ الْأَنْبَاطِ فِيهَا

السُّكَّةُ: النَّخْلُ الْمَصْطَفُ، أي: حَرَثْنَاهَا وَغَرَسْنَاهَا، كَمَا تَفْعَلُ الْأَنْبَاطُ فِي أَمْصَارِهَا لَا
تَخَافُ عَلَيْهَا كَيْدَ كَائِدٍ، وَإِيَّاهَا أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَوْلِهِ: «خَيْرُ الْمَالِ سِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ». وَالسُّكَّةُ
أَيْضًا: السُّنَّةُ، وَهِيَ الْحَدِيدَةُ الَّتِي يَشُقُّ بِهَا الْفَدَّانُ الْأَرْضَ، وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا: الْمَانُ، وَهُوَ
تَفْسِيرُ الْأَضْمَعِيِّ، وَفُسِّرَ أَبُو عُبَيْدٍ عَلَى الْمَعْنَى الْآخَرِ، وَأَنَّهَا النَّخْلُ، وَيُقَالُ أَيْضًا: أُبَيْثَتْ
الْأَرْضُ فِي مَعْنَى أُثِيرَتْ، قَالَ أَبُو حَنِيْفَةَ، وَيُرْوَى فِي الْحِمَاسَةِ:

هَلُمَّ إِلَيْهَا قَدْ أُبَيْثَتْ زُرُوعُهَا

على الغايات مُقْتَدِر جواد
من القول المُبَيِّن والسَّداد
لكم مِنَّا إلى شَطْر المَداد
وكلُّ مُطَهَّم سَلِس القِياد
تَدِف دَفِيفَ صَفراءِ الجَراد
تميم الخَلْق من أُخِر وهادي
خيولُ النَّاس في السَّنة الجَماد
إذا نادى إلى الفَزَع المُنادي
تَوَكَّلْنَا على رَبِّ العِبَاد
سوى ضَرْب القَوَانِس والجِهَاد
مِنَ الأَقْوَامِ مِنْ قَارِ وبَادِي
أَرَدْنَاهُ وَأَلَيْنَ فِي الوِدَاد
جِيَاد الجُدُل في الأَرَب الشَّدَاد
كَرِيم غير مُعْتَلِث الزُّنَاد

قَصَرْنَا كُلَّ ذِي حُضِر وطُول
أَجِيبُونَا إلى مَا نَجْتَدِيكُمْ
وإِلَّا فَاصْبِرُوا لِجِلَاد يَوْمٍ
نَصْبُحُكُمْ بِكُلِّ أَخِي حُرُوبٍ
وكلُّ طِمْرَةٍ خَفِقُ حِشَاهَا
وكلُّ مُقَلَّصِ الآرَاب نَهْدٍ
خِيُول لَا تُضَاعُ إِذَا أُضِيعَتْ
يُنَازِعُنَ الأَعِنَّةُ مُضْغِيَاتٍ
إِذَا قَالَتْ لَنَا النُّذْرُ اسْتَعْدُوا
وَقُلْنَا لَنْ يُفَرِّجَ مَا لَقِينَا
فَلَمْ تَرِ عُصْبَةً فِيمَنْ لَقِينَا
أَشَدَّ بِسَالَةٍ مِنَّا إِذَا مَا
إِذَا مَا نَحْنُ أَشْرَجْنَا عَلَيْهَا
قَذَفْنَا فِي السَّوَابِغِ كُلِّ صَقْرِ

أي: أَثِيرَتْ وفي الغريب المصنف:

وَحَقُّ بَنِي شِغَارَةَ أَنْ يَقُولُوا لَصَخْرِ الغَيِّ مَاذَا تَسْتَبِيثُ
وَعَلَطَ أَبُو عُبَيْدٍ [القَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ] فَجَعَلَ تَسْتَبِيثُ مِنْ نَبِيَّةِ الْبُشْرِ، وَهُوَ تَرَابُهَا، وَلَوْ كَانَ
كَذَلِكَ لَقَالَ: تَسْتَبِيثُ بَنُونَ قَبْلَ الْبَاءِ.

وقوله: جَلَهَاتٍ واد.

الْجَلَهَاتُ مِنَ الْوَادِي مَا كَشَفَتْ عَنْهُ السُّيُولُ الشَّغَرَاءُ فَأَبْرَزَتْهُ، وَهُوَ مِنَ الْجَلِّ وَهُوَ
انْحِسَارُ الشَّعْرِ عَنْ مُقَدِّمِ الرَّأْسِ.

وقوله: صَفراءِ الْجَرَادِ، وَهِيَ: الْخَيْفَانَةُ مِنْهَا، وَهِيَ الَّتِي أَلْقَتْ سُرَّأَهَا، أَي: بَيْنُضْهَا،
وَهِيَ: أَخْفُ طَيْرَانَا، وَالْكُتْفَانُ مِنَ الْجَرَادِ أَكْبَرُ مِنَ الْخَيْفَانِ، وَأَوَّلُ أَمْرِ الْجَرَادِ دُودٌ، وَيُقَالُ
لَهُ: الْغَمَصُ يَلْقِيهِ بَحْرُ الْيَمَنِ، وَلَهُ عَلَامَةٌ قَبْلَ خُرُوجِهِ، وَهُوَ بَرْقٌ يَلْمَعُ مِنْ ذَلِكَ الْبَحْرِ سَبْعَ
عَشْرَةَ أَمْرَةً، فَيَعْلَمُونَ بِخُرُوجِ الْجَرَادِ، قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ.

وقوله: غير مُعْتَلِثِ الزُّنَادِ.

أَشْمَ كَأَنَّهُ أَسَدٌ عَبُوسٌ غَدَاةٌ بَدَا بِبَطْنِ الْجَزْعِ غَادِي
يُغَشِّي هَامَةً الْبَطْلَ الْمُذَكِّي صَبِيَّ السَّيْفِ مُسْتَرْخِي النُّحَادِ
لِنُظْهِرَ دِينَكَ اللَّهُمَّ إِنَّا بِكَفِّكَ فَاهْدِنَا سُبُلَ الرُّشَادِ
قال ابن هشام بيته:

قَصَرْنَا كُلَّ ذِي حَضَرٍ وَطَوَّلَ

والبيت الذي يتلوه، والبيت الثالث منه، والبيت الرابع منه، وبيته:

أَشْمَ كَأَنَّهُ أَسَدٌ عَبُوسٌ

والبيت الذي يتلوه، عن أبي زيد الأنصاري.

مسافع يبكي عمرًا في شعره:

قال ابن إسحاق: وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جُمَحْ يبكي عمرو بن عبد ود، ويذكر قتل علي بن أبي طالب إياه:

عَمْرُو بْنُ عَبْدِ كَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ جَزَعُ الْمَذَادِ وَكَانَ فَارِسَ يَلِيلِ
سَمَحُ الْخَلَائِقِ مَاجِدُ ذُو مَرَّةٍ يَبْغِي الْقِتَالَ بِشِكَّةٍ لَمْ يَنْكُلِ
وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ حِينَ وَلَّوْا عَنْكُمْ أَنْ ابْنَ عَبْدِ فِيهِمْ لَمْ يَعْجَلِ
حَتَّى تَكْنُفَهُ الْكُمَاةُ وَكُلُّهُمْ يَبْغِي مَقَاتِلَهُ وَلَيْسَ بِمُؤْتَلِي
وَلَقَدْ تَكْنُفَتِ الْأُسْنَةُ فَارِسًا بِجَنُوبِ سَلْعٍ غَيْرِ نَكْسٍ أَمِيلِ
تَسَلُّ النُّزَالَ عَلَيَّ فَارِسٍ غَالِبٍ بِجَنُوبِ سَلْعٍ، لَيْتَهُ لَمْ يَنْزَلِ
فَازْهَبْ عَلَيَّ فَمَا ظَفِرْتُ بِمِثْلِهِ فَخَرًّا وَلَا لَاقِيَتَ مِثْلَ الْمُغْضَلِ
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِفَارِسٍ مِنْ غَالِبٍ لَاقَى حِمَامَ الْمَوْتِ لَمْ يَتَحَلَّحِلِ
أَعْنِي الَّذِي جَزَعُ الْمَدَادِ بِمُهْرِهِ طَلَبًا لثَارٍ مَعَاشِرَ لَمْ يَخْذُلِ

مسافع يؤنب الفرسان الذين كانوا مع عمرو:

وقال مسافع أيضًا يؤنب فرسان عمرو الذين كانوا معه، فأجلّوا عنه وتركوه:

عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَالْجِيَادُ يَقُودُهَا خَيْلٌ تُقَادُ لَهُ وَخَيْلٌ تُنْعَلُ

الزناد المُعْتَلِثُ: هو الذي لا يدرى من أي عُودٍ هو، وأصل الاعتلاث الاختلاط: يقال: عَلَثْتُ الطَعَامَ إِذَا خَلَطْتَ حِنْطَةً بِشَعِيرٍ، والعلائة: الزُّنْدُ الذي لا يُورِي نَارًا.

أَجَلَّتْ فَوَارِسُهُ وَغَادِرَ رَهْطُهُ رُكْنَا عَظِيمًا كَانَ فِيهَا أَوَّلُ
عَجَبًا وَإِنْ أَغْجَبَ فَقَدْ أَبْصَرْتَهُ مَهْمَا تَسُومُ عَلَيَّ عَمْرًا يَنْزِلُ
لَا تَبْعَدَنَّ فَقَدْ أَصِيبْتُ بِقَتْلِهِ وَلَقِيتُ قَبْلَ الْمَوْتِ أَمْرًا يَثْقُلُ
وَهُبِيرَةُ الْمَسْلُوبِ وَلَى مُذْبِرًا عِنْدَ الْقِتَالِ مَخَافَ أَنْ يُقْتَلُوا
وَضَرَارَ كَأَنَّ الْبَأْسَ مِنْهُ مُحْضَرًا وَلَى كَمَا وَلَى اللَّئِيمُ الْأَغْزَلُ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يُنْكِرُهَا لَهُ. وَقَوْلُهُ: «عَمْرًا يَنْزِلُ» عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

هُبَيْرَةُ يَبْكِي عَمْرًا وَيَعْتَذِرُ مِنْ فِرَارِهِ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهْبٍ يَعْتَذِرُ مِنْ فِرَارِهِ، وَيَبْكِي عَمْرًا، وَيَذْكُرُ قَتْلَ عَلِيٍّ إِيَّاهُ:

لَعَمْرِي مَا وَلَّيْتُ ظَهْرِي خِمْدًا وَأَصْحَابَهُ جُبْنًا وَلَا خِيفَةَ الْقَتْلِ
وَلَكِنِّي قَلْبْتُ أَمْرِي فَلَمْ أَجِدْ لَسِيفِي عَنَاءً إِنْ شَرِبْتُ وَلَا تَبْلِي
وَقَفْتُ فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِي مَقْدَمًا صَدَدْتُ كَضِرْغَامٍ هَزَبِ أَيْ شَبْلٍ
ثَنَى عِظْفَهُ عَنْ قَرْنِهِ حِينَ لَمْ يَجِدْ مَكْرًا وَقَدَمًا كَانَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي
فَلَا تَبْعَدَنَّ يَا عَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا وَحَقَّ لِحُسْنِ الْمَدْحِ مِثْلُكَ مِنْ مِثْلِي
وَلَا تَبْعَدَنَّ يَا عَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا فَقَدْ بَنَتْ مَحْمُودُ الثَّنَا مَا جِدَ الْأَضْلُ
فَمَنْ لِبَطْرَادِ الْخَيْلِ تُقْدَعُ بِالْقَنَا وَلِلْفَخْرِ يَوْمًا عِنْدَ قَرْقَرَةِ الْبُزْلِ
هُنَالِكَ لَوْ كَانَ ابْنُ عَبْدِ لَزَارَهَا وَفَرَجَهَا حَقًّا فَتَى غَيْرُ مَا وَغَلُ
فَعَنَّاكَ عَلَى لَا أَرَى مِثْلَ مَوْقِفِ وَقَفْتُ عَلَى نَجْدِ الْمُقَدَّمِ كَالْفَخْلِ
فَمَا ظَفِرْتُ كَفَّاكَ فخرًا بِمِثَالِهِ أَمِنْتُ بِهِ مَا عِشْتُ مِنْ زَلَّةِ النَّغْلِ

هُبَيْرَةُ يَبْكِي عَمْرًا فِي شَعْرِهِ:

قَالَ هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهْبٍ يَبْكِي عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ، وَيَذْكُرُ قَتْلَ عَلِيٍّ إِيَّاهُ:

لَقَدْ عَلِمْتُ عَلِيًّا لُؤْيِي بْنُ غَالِبٍ لِفَارِسُهَا عَمْرُو إِذَا نَابَ نَائِبُ
لِفَارِسُهَا عَمْرُو إِذَا مَا يَسُومُهُ عَلِيٍّ وَإِنَّ اللَّيْثَ لَا بَدَّ طَالِبُ

عَشِيَّة يَدْعُوهُ عَلِيٌّ وَإِنَّهُ لِفَارِسُهَا إِذْ هَامَ عَنْهُ الْكَائِبُ
فِيَا لَهْفَ نَفْسِي إِنَّ عَمْرًا تَرَكْتُهُ بِيَشْرَبَ لَا زَالَتْ هُنَاكَ الْمَصَائِبُ

حَسَّانُ يَفْتَخِرُ بِقَتْلِ عَمْرٍو:

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يَفْتَخِرُ بِقَتْلِ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ:

بَقِيَّتُكُمْ عَمْرٍو أَبْخَنَاهُ بِالْقَنَا بِيَشْرَبَ نَحْمِي وَالْحُمَاةَ قَلِيلُ
وَنَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِكُلِّ مُهَيَّئِدٍ وَنَحْنُ وُلَاةُ الْحَرْبِ حِينَ نَصُولُ
وَنَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِبَذْرِ فَأُضْبَحَتْ مَعَاشِرُكُمْ فِي الْهَالِكِينَ تَجُولُ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشُّعْرِ يُنْكِرُهَا لِحَسَّانٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا فِي شَأْنِ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ:

أَمْسَى الْفَتَى عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ يَبْتَغِي بَجَنُونٍ يَشْرَبُ ثَأْرَهُ لَمْ يَنْظُرِ
فَلَقَدْ وَجَدَتْ سَيْوفُنَا مَشْهُورَةً وَلَقَدْ وَجَدَتْ جِيَادُنَا لَمْ تُقْصِرْ
وَلَقَدْ لَقِيتَ غَدَاةَ بَذْرِ غُضْبَةٍ ضَرْبُوكَ ضَرْبًا غَيْرَ ضَرْبِ الْحُسْرِ
أُضْبِحَتْ لَا تُدْعَى لِيَوْمٍ عَظِيمَةٍ يَا عَمْرٍو أَوْ لَجْسِيمٍ أَمْرٍ مُنْكَرٍ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشُّعْرِ يُنْكِرُهَا لِحَسَّانٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ أَيْضًا:

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا هِذَمٍ رَسُولًا مُغْلَغَلَةً تَخْبُ بِهَا الْمَطِيُّ
أَكُنْتُ وَلِيِّكُمْ فِي كُلِّ كُزٍّ وَغَيْرِي فِي الرِّخَاءِ هُوَ الْوَلِيُّ
وَمِنْكُمْ شَاهِدٌ وَلَقَدْ رَأَيْتَنِي رُفِعْتُ لَهُ كَمَا اخْتُمِلَ الصَّبِيُّ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَتُرَوَّى هَذِهِ الْأَيَّاتُ لِرَبِيعَةَ بْنِ أُمَيَّةَ الدَّيْلِيِّ، وَيُرَوَّى فِيهَا آخَرُهَا:
كَبَبْتُ الْخَزْرَجِيَّ عَلَى يَدَيْهِ وَكَانَ شِفَاءَ نَفْسِي الْخَزْرَجِيَّ
وَتُرَوَّى أَيْضًا لِأَبِي أُسَامَةَ الْجُشَمِيِّ.

شعر حسان في يوم بني قريظة وبكاء ابن معاذ:

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت في يوم بني قريظة يبكي سعد بن معاذ ويذكر حكمة فيهم:

لقد سَجَمْتُ^(١) من دمع عَيْنِي عِبْرَةً
قَتِيل ثَوَى فِي مَعْرِكٍ فُجِعْتُ بِهِ
عَلَى مِلَّةِ الرَّحْمَنِ وَارِثَ جَنَّةٍ
فَإِنْ تَكْ قَدْ وَدَّعْتَنَا وَتَرَكْتَنَا
فَأَنْتَ الَّذِي يَا سَعْدُ أَبْتَ بِمَشْهَدٍ
بِحُكْمِكَ فِي حَيِّي قُرَيْظَةَ بِالَّذِي
فَوَاقَقَ حُكْمَ اللَّهِ حُكْمُكَ فِيهِمْ
فَإِنْ كَانَ رَبِيبُ الدَّهْرِ أَمْضَاكَ فِي الْأَلَى^(٢)
فَنِغْمَ مَصِيرِ الصَّادِقِينَ إِذَا دُعُوا
وَحُقَّ لَعَيْنِي أَنْ تَفِيضَ عَلَى سَعْدٍ
عُيُونُ ذَوَارِي الدَّمْعِ دَائِمَةُ الْوَجْدِ
مَعَ الشُّهَدَاءِ وَفَدَهَا أَكْرَمُ الْوَفْدِ
وَأَمْسَيْتُ فِي غَبْرَاءِ مُظْلَمَةِ اللَّحْدِ
كَرِيمِ وَأَثْوَابِ الْمَكَارِمِ وَالْحَمْدِ
قَضَى اللَّهُ فِيهِمْ مَا قَضَيْتُ عَلَى عَمْدٍ
وَلَمْ تَعْفُ إِذْ ذُكِرْتُ مَا كَانَ مِنْ عَهْدٍ
شَرَوْا هَذِهِ الدُّنْيَا بِجَنَّاتِهَا الْخُلْدِ
إِلَى اللَّهِ يَوْمًا لِلْوَجَاهَةِ وَالْقَصْدِ

شعر حسان في بكاء ابن معاذ وغيره:

وقال حسان بن ثابت أيضًا، يبكي سعد بن معاذ، ورجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ من الشهداء، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير:

أَلَا يَا لِقَوْمِي هَلْ لَمَّا حُمَ دَافِعُ
تَذَكَّرْتُ عَضْرًا قَدْ مَضَى فَتَهَافَتَتْ
صَبَابَةٌ وَجَدَ ذَكَّرْتَنِي أَحِبَّةً
وَسَعْدٌ فَأُضْحُوا فِي الْجَنَانِ وَأَوْحَشَتْ
وَفَوْا يَوْمَ بَذَرٍ لِلرُّسُولِ وَفَوْقَهُمْ
دَعَا فَأَجَابُوهُ بِحَقِّ وَكُلُّهُمْ
فَمَا نَكَلُوا حَتَّى تَوَلَّوْا جَمَاعَةً
وَهَلْ مَا مَضَى مِنْ صَالِحِ الْعِيشِ رَاجِعُ
بَنَاتُ الْحَشَى وَانْهَلْ مِنْي الْمَدَامِعُ
وَقَتْلَى مَضَى فِيهَا طَفِيلٌ وَرَافِعُ
مَنَازِلَهُمْ فَالْأَرْضُ مِنْهُمْ بِلَاقِعِ^(٣)
ظِلَالُ الْمَنَايَا وَالسُّيُوفِ اللَّوَامِعُ
مُطِيعٌ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعُ
وَلَا يَقْطَعُ الْأَجَالَ إِلَّا الْمَصَارِعُ

(٢) الألى: البشر.

(١) سجمت: سالت.

(٣) بلاقع: قفر.

لأنهم يرجون منه شفاعةً
فذلك يا خَيْرَ الْعِبَادِ بَلَاؤُنَا
لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلَفْنَا
وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ وَخَدَهُ

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا النَّبِيُّونَ شَافِعِ
إِجَابَتُنَا لِلَّهِ وَالْمَوْتُ نَاقِعٌ
لأَوْلَانَا فِي مِلَّةِ اللَّهِ تَابِعُ
وَأَنْ قَضَاءُ اللَّهِ لَا بَدَّ وَاقِعُ

شعر آخر لحسان في يوم بني قريظة:

وقال حسان بن ثابت أيضًا في يوم بني قريظة:

لَقَدْ لَقِيتُ قُرَيْظَةَ مَاسَاهَا
أَصَابَهُمْ بَلَاءٌ كَانَ فِيهِ
غَدَاةٌ أَتَاهُمُ يَهْوَى إِلَيْهِمْ
لَهُ خَيْلٌ مُجَنَّبَةٌ تَعَادَى
تَرْكَنَاهُمْ وَمَا ظَفِرُوا بِشَيْءٍ
فَهُمْ صَزَعَى تَحُومِ الطَّيْرِ فِيهِمْ
فَأَنْذِرْ مِثْلَهَا نُضْحًا قُرَيْشًا
وقال حسان بن ثابت في بني قريظة:

وَمَا وَجَدْتُ لِذُلِّ مَنْ نَصِيرِ
سِوَى مَا قَدْ أَصَابَ بَنِي النَّصِيرِ
رَسُولُ اللَّهِ كَالْقَمَرِ الْمُنِيرِ
بِفُرْسَانِ عَلَيَّهَا كَالصُّقُورِ
دِمَاؤُهُمْ عَلَيْهِمْ كَالْغَدِيرِ
كَذَاكَ يُدَانُ ذُو الْعَنْدِ الْفَجُورِ
مِنَ الرَّحْمَنِ إِنْ قَبِلْتَ نَذِيرِي

لَقَدْ لَقِيتُ قُرَيْظَةَ مَاسَاهَا
وَسَغْدَ كَانَ أَنْذَرَهُمْ بِنُصْحِ
فَمَا بَرَحُوا بِنَقْضِ الْعَهْدِ حَتَّى
أَحَاطَ بِحِضْنِهِمْ مِثْنَا صُفُوفِ

وَحَلَّ بِحِضْنِهَا ذُلٌّ ذَلِيلِ
بِأَنَّ إِلَهُكُمْ رَبُّ جَلِيلِ
فَلَاهُمْ فِي بِلَادِهِمُ الرَّسُولِ
لَهُ مِنْ حَرٍّ وَقَعْتَهُمْ صَلِيلِ

وقال حسان بن ثابت أيضًا في يوم بني قريظة:

تَفَاقَدَ مَغَشَّرُ نَصْرُوا قُرَيْشًا
هُمْ أَوْتُوا الْكِتَابَ فَضَيَّعُوهُ

وَلَيْسَ لَهُمْ بِبِلَدَتِهِمْ نَصِيرِ
وَهُمْ عُمَى مِنَ التَّوْرَةِ بُورِ^(١)

(١) بور: هالكين.

كَفَرْتُمْ بِالْقُرْآنِ وَقَدْ أَتَيْتُمْ
فَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ
شعر أبي سفيان في الردِّ على حسان:

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، فقال:

أَدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعِ
سَتَغْلَمُ أَئِنَّا مِنْهَا بِنُزِهِ
وَحَرَّقَ فِي طَرَائِقِهَا السَّعِيرِ
وَتَعْلَمُ أَيُّ أَرْضَيْنَا تَضِيرُ
فَلَوْ كَانَ التَّخِيلُ بِهَا رِكَابًا
لَقَالُوا لَا مُقَامَ لَكُمْ فَسِيرُوا

شعر ابن جوال في الردِّ على حسان:

وأجابه جبل بن جوال الثعلبي أيضًا، وبكى النضير وقرينة، فقال:

أَلَا يَا سَعْدُ بَنِي مُعَاذٍ
لَعَمْرِكَ إِنَّ سَعْدَ بَنِي مُعَاذٍ
لَمَّا لَقِيَتْ قُرَيْظَةَ وَالنُّضَيْرُ
فَقَالَ لَقَيْنُقَاعَ لَا تَسِيرَا
وَبَدَّلْتَ الْمَوَالِي مِنْ حُضَيْرِ
أَسَيْدًا وَالِدَوَائِرُ قَدْ تَدُورُ
وَأَقْفَرَتِ الْبُؤَيْرَةُ مِنْ سَلَامٍ
كَمَا ثَقُلْتَ بِمَیْطَانِ الصُّخُورِ
وَقَدْ كَانُوا بِبِلَدَتِهِمْ ثِقَالًا
فَلَا رَتْ السُّلَاحُ وَلَا دَثُورُ
وَأَقْفَرَتِ الْبُؤَيْرَةُ مِنْ سَلَامٍ
مَعَ اللَّيْنِ الْخَضَارِمَةِ الصُّقُورِ
وَجَدْنَا الْمَجْدَ قَدْ ثَبَتُوا عَلَيْهِ
بِمَجْدٍ لَا تُغَيِّبُهُ الْبُدُورُ
أَقِيمُوا يَا سَرَاةَ الْأَوْسِ فِيهَا
كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَخْزَاةِ عُورُ
تَرَكَتُمْ قِذْرَكُمْ لَا شَيْءَ فِيهَا
وَقَذَرَ الْقَوْمَ حَامِيَةً تَفُورُ

مقتل سلام بن أبي الحقيق^(١)

الخزرج يستأذنون في قتل ابن أبي الحقيق:

قال ابن إسحاق: ولما انقضى شأن الخندق، وأمر بني قريظة، وكان سلام بن أبي الحقيق، وهو أبو رافع فيمن حَزَب الأحزاب على رسول الله ﷺ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف، في عداوته لرسول الله ﷺ وتحريضه عليه، استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق، وهو بخيبر، فأذن لهم.

التنافس بين الأوس والخزرج في عمل الخير:

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، عن عبد بن كعب بن مالك، قال: وكان مما صنع الله به لرسوله ﷺ أن هذين الحيين من الأنصار والأوس، والخزرج، كانا يتصاولان مع رسول الله ﷺ تصاول الفحلين، لا تصنع الأوس شيئاً عن رسول الله ﷺ غناء إلا قالت الخزرج: والله لا تذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ وفي الإسلام. قال: فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها؛ وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك.

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج: والله لا تذهبون بها فضلاً علينا أبداً؛ قال: فتذاكروا: من رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبي الحقيق، وهو بخيبر؛ فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله، فأذن لهم.

قصة الذين خرجوا لقتل ابن أبي الحقيق:

فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر: عبد الله بن عتيك، ومسعود بن سنان، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة الحارث بن ربيع، وخزاعي بن أسود، حليف لهم من أسلم. فخرجوا وأمر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك، ونهاهم عن أن

مقتل ابن أبي الحقيق

ذكر فيه نفر الخمسة الذين قتلوه، وسمّاهم، وذكر فيهم ابن عتبة أسعد بن حرام، ولا يُعرف أحد ذكره غيره.

(١) انظر البخاري (٢٦٣/٧).

يَقْتُلُوا وَلِيدًا أَوْ امْرَأَةً، فخرجوا حتى إذا قَدَمُوا خَيْبَر، أَتَوْا دَارَ ابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ لَيْلًا، فلم يَدْعُوا بَيْتًا فِي الدَّارِ إِلَّا أَغْلَقُوهُ عَلَى أَهْلِهِ. وَكَانَ فِي عِلْيَةِ لَهُ إِلَيْهَا عَجَلَةٌ قَالَ: فَأَسْنَدُوا فِيهَا حَتَّى قَامُوا عَلَى بَابِهِ، فَاسْتَأْذَنُوا عَلَيْهِ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِمْ امْرَأَتُهُ، فَقَالَتْ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ نَتَلَمَسُ الْمِيرَةَ. قَالَتْ: ذَاكُمْ صَاحِبُكُمْ، فَأَدْخِلُوا عَلَيْهِ، قَالَ: فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ، أَغْلَقْنَا عَلَيْنَا وَعَلَيْهَا الْحَجَرَةُ، تَخَوُّفًا أَنْ تَكُونَ دُونَهُ مَحَاوِلَةً تَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، قَالَتْ: فَصَاحَتِ امْرَأَتُهُ، فَتَوَهَّتْ بِنَا وَابْتَدَرْنَاهُ؛ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ بِأَسْيَافِنَا، فَوَاللَّهِ مَا يَدُلُّنَا عَلَيْهِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ إِلَّا بَيَاضُهُ كَأَنَّهُ قُبْطِيَّةٌ مُلْقَاةٌ. قَالَ: وَلَمَّا صَاحَتِ بِنَا امْرَأَتُهُ، جَعَلَ الرَّجُلُ مَنًّا يَرْفَعُ عَلَيْهَا سَيْفَهُ، ثُمَّ يَذْكُرُ نَهْيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَكْفُ يَدَهُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَفَرَعْنَا مِنْهَا بَلِيلًا. قَالَ: فَلَمَّا ضَرَبْنَاهُ بِأَسْيَافِنَا تَحَامَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ بِسَيْفِهِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَنْفَذَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: قَطْنِي قَطْنِي: أَيَّ حَسْبِي حَسْبِي. قَالَ: وَخَرَجْنَا، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ رَجُلًا

قطني وقد ونون الوقاية:

وذكر في الحديث: قَطْنِي قَطْنِي، قال معناه: حَسْبِي حَسْبِي.

قال المؤلف: وهذه الكلمة أصلها من القَطْ، وهو القَطْعُ، ثُمَّ خُفِّفَتْ وَأُجْرِيَتْ مَجْرَى الْحَرْفِ، وَكَذَلِكَ قَدْ بِمَعْنَى قَطْ هِيَ أَيْضًا مِنَ الْقَدْ، وَهُوَ الْقَطْعُ طَوْلًا، وَالْقَطْ بِالطَّاءِ هُوَ الْقَطْعُ عَرْضًا، يُقَالُ: إِنْ عَلِيًّا - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَانَ إِذَا اسْتَعْلَى الْفَارِسَ قَدَّهُ، وَإِذَا اسْتَعَرَضَهُ قَطَّهَ، وَلَمَّا كَانَ الشَّيْءُ الْكَافِي الَّذِي لَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى غَيْرِهِ يَدْعُو إِلَى قَطْعِ الطَّلَبِ، وَتَرَكِ الْمَزِيدَ جَعَلُوا قَدْ وَقَطْ تُشْعِرُ بِهَذَا الْمَعْنَى، فَإِذَا ذَكَرْتَ نَفْسَكَ قُلْتَ: قَدِّي وَقَطِي، كَمَا تَقُولُ: حَسْبِي، وَإِنْ شِئْتَ أَلْحَقْتَ نَوْنًا، فَقُلْتَ: قَدْنِي، وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ سَكُونِ آخِرِهَا فَكَّرَهُوا تَحْرِيكَهَ مِنْ أَجْلِ الْيَاءِ، كَمَا كَرَهُوا تَحْرِيكَ آخِرِ الْفِعْلِ، فَقَالُوا: ضَرَبَنِي، وَكَذَلِكَ كَرَهُوا تَحْرِيكَ آخِرِ لَيْتَ فَقَالُوا: لَيْتَنِي، وَقَدْ يَقُولُونَ: لَيْتِي وَهُوَ قَلِيلٌ، وَقَالُوا: لَعَلَّنِي وَلَعَلِّي، وَقَالُوا: مِنْ لَدُنِّي فَأَدْخَلُوهَا عَلَى الْيَاءِ الْمَخْفُوضَةِ بِالظَّرْفِ كَمَا أَدْخَلُوهَا عَلَى الْيَاءِ الْمَخْفُوضَةِ بِمِنْ وَعَنْ، فَعَلُوا هَذَا وَقَايَةً لِأَوَاخِرِ هَذَا الْكَلِمِ مِنَ الْخَفْضِ وَخَصُّوا النُّونَ بِهَذَا؛ لِأَنَّهَا إِذَا كَانَتْ تَتَوَيْنَا فِي آخِرِ الْأَسْمِ، آذَنْتْ بِامْتِنَاعِ الْإِضَافَةِ، وَكَذَلِكَ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ الَّتِي سَمَّيْنَا تُشْعِرُ بِامْتِنَاعِهَا مِنَ الْخَفْضِ، وَتُشْعِرُ فِي الْفِعْلِ وَالْحُرُوفِ بِامْتِنَاعِهَا مِنَ الْإِضَافَةِ أَيْضًا، لِأَنَّ الْحَرْفَ لَا يُضَافُ، وَكَذَلِكَ الْفِعْلُ مَعَ أَنَّ النُّونَ مِنْ عِلَامَاتِ الْإِضْمَارِ فِي فَعَلْنَا، وَفَعَلْنَا فِي ضَمِيرِ الْمَفْعُولِ، فَأَمَّا قَدْ وَقَطْ فَاسْمَانِ، وَكَذَلِكَ لَدُنْ، وَلَكِنْ كَرَهُوا تَحْرِيكَ أَوَاخِرِهَا لِشَبْهِهَا بِالْحُرُوفِ. فَإِنْ قِيلَ: فَمَا مَوْضِعُ نِي مِنْ قَوْلِهِ: قَطْنِي؟ قُلْنَا: مَوْضِعُهَا خَفْضٌ بِالْإِضَافَةِ، كَمَا هِيَ فِي لَدُنِّي. فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ تَكُونُ ضَمِيرُ الْمَفْعُولِ وَالْمَنْصُوبِ فِي ضَرَبَنِي وَلَيْتَنِي، ثُمَّ تَقُولُ: إِنَّهَا فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ؟ قُلْنَا: الضَّمِيرُ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ الْيَاءُ وَحْدَهَا فِي الْخَفْضِ

سَيِّءُ الْبَصَرِ، قَالَ: فَوْقَ مِنَ الدَّرَجَةِ فَوِثَّتْ يَدُهُ وَثْنًا شَدِيدًا - وَيُقَالُ: رَجُلُهُ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - وَحَمَلْنَاهُ حَتَّى نَأْتِيَ بِهِ مَنَهْرًا مِنْ عَيُونِهِمْ، فَدَخَلَ فِيهِ. قَالَ: فَأَوْقَدُوا النَّيْرَانَ، وَاشْتَدُّوا فِي كُلِّ وَجْهِ يَطْلُبُونَنَا، قَالَ: حَتَّى إِذَا يَأْتُوا رَجَعُوا إِلَى صَاحِبِهِمْ، فَاسْتَنْفَوْهُ وَهُوَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ. قَالَ: فَقُلْنَا: كَيْفَ لَنَا بِأَنْ نَعْلَمَ بِأَنْ عَدُوَّ اللَّهِ قَدْ مَاتَ؟ قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَّا: أَنَا أَذْهَبُ فَأَنْظُرُ لَكُمْ فَاَنْطَلِقُ حَتَّى دَخَلَ فِي النَّاسِ. قَالَ: فَوَجَدْتُ امْرَأَتَهُ وَرِجَالَ يَهُودٍ حَوْلَهُ وَفِي يَدَيْهَا الْمِصْبَاحُ تَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ، وَتَحَدِّثُهُمْ وَتَقُولُ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ ابْنِ عَتِيكَ، ثُمَّ أَكْذَبْتُ نَفْسِي وَقُلْتُ: أَتَى ابْنُ عَتِيكَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ؟ ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ تَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَتْ: فَاظْ وَاللَّهِ يَعُودُ، فَمَا سَمِعْتُ مِنْ كَلِمَةٍ كَانَتْ أَلَدًا إِلَى نَفْسِي مِنْهَا. قَالَ: ثُمَّ جَاءَنَا الْخَبَرُ فَاحْتَمَلْنَا صَاحِبَنَا فَقَدَمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَتْلِ عَدُوِّ اللَّهِ، وَاخْتَلَفْنَا عِنْدَهُ فِي قَتْلِهِ، كُلُّنَا يَدَّعِيهِ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَاتُوا أَسْيَافَكُمْ»، قَالَ: فَجِئْنَا بِهَا، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ لِسَيْفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَيْسٍ: «هَذَا قَتَلَهُ، أَرَى فِيهِ أَثَرَ الطَّعَامِ».

شعر حسان في قتل ابن الأشراف وابن أبي الحقيق:

قال ابن إسحاق: فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف، وقتل سلام بن أبي الحقيق:

لِلَّهِ دَرٌّ عَصَابَةٌ لَاقَتِيَهُمْ يَا ابْنَ الْحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ

وَالنَّصَبُ، كَمَا أَنَّ الْكَافَ وَالْهَاءَ كَذَلِكَ، وَقَدْ قَالُوا: مَنِي وَعَنِي، وَهُوَ ضَمِيرُ خَفَضٍ، وَفِيهِ النُّونُ، وَقَالُوا: لَيْتِي وَلَعَلِّي، وَهُوَ ضَمِيرُ نَضَبٍ وَلَيْسَ فِيهِ نُونٌ فَإِنْ قِيلَ: فَمَا مَوْضِعُ الْأَسْمِ مِنَ الْإِعْرَابِ إِذَا قُلْتُ: قَطِي وَقَدِي؟ قُلْنَا: إِعْرَابُهُمَا كِإِعْرَابِ حَسْبِي مُبْتَدَأٌ وَخَبْرُهُ مَحذُوفٌ، وَإِنَّمَا لَزِمَ حَذْفُ خَبْرِهِ لَمَّا دَخَلَ مِنْ مَعْنَى الْأَمْرِ، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ جَهَنَّمَ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهَا: قَطِي وَعِزَّتِكَ قَطِي، وَيُرْوَى: قَطْنِي، وَذَلِكَ بَعْدَ قَوْلِهَا: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، فَإِذَا وَضَعْتَ فِيهَا الْقَدَمَ^(١)، وَزُيِّعَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، قَالَتْ: قَطْنِي. وَقَدْ جَمَعَ الشَّاعِرُ بَيْنَ اللَّغَتَيْنِ، فَقَالَ:

قَذَنِي مِنْ نَضْرِ الْحُبَيْنِينَ قَدِي

(١) أي قدم رب العزة سبحانه وتعالى عز وجل الذي ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ والحديث أخرجه البخاري (١٦٨/٨) ومسلم في الجنة (٣٨/٣٧) والترمذي (٣٢٧٢) وأحمد (٢٣٤/٣) والبيهقي في الصفات (٣٤٨ - بتحقيقي) وابن خزيمة في التوحيد (٩٣ - بتحقيقي).

يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ الْخَفَافِ إِلَيْكُمْ مَرَحًا كَأْسَدٍ فِي عَرِينٍ مُغْرِفٍ
حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مَحَلِّ بِلَادِكُمْ فَسَقَوْكُمْ حَثْفًا بَيْضَ دُفْفٍ^(١)
مُسْتَبْصِرِينَ لِنُضْرٍ دِينَ نَبِيَّهِمْ مُسْتَصْغِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْهِفٍ
قال ابن هشام: قوله: «دُفْفٌ»، عن غير ابن إسحاق.

فهذا ما في قَط التي هي بمعنى حَسْبِي، فأما قَطُ المَبْنِيَّةِ عَلَى الضَّمِّ، فهي ظَرْفٌ لما مضى، وهي تقال بالتخفيف والتثنية، وهي من القَطِّ أَيضًا الذي بمعنى القطع، وفي مقابلتها في المستقبل: عَوَّضَ ما فعلته قَطُّ، ولا أفعله عَوَّضٌ مثل قَبْلُ وَيَعْدُ.

(١) الدَّفَف: السيوف السريعة الحادة.

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

عمرو وصحبه عند النجاشي:

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب، عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي، عن حبيب بن أبي أوس الثقفي، قال: حدثني عمرو بن العاص من فيه، قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش، كانوا يرون رأيي، ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله أنني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإنني قد رأيت أمراً، فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد؛ وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير، قالوا: إن هذا الرأي. قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه فله، وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم. فجمعنا له أدماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه.

إسلام عمرو بن العاصي وخالد بن الوليد رحمة الله عليهما^(١)

روينا من طريق أبي بكر الخطيب بإسناد يرفعه أن رسول الله - ﷺ - قال: «يقدم عليكم الليلة رجلٌ حكيم»^(٢)، فقدم عمرو بن العاص مهاجراً، ذكر فيه اجتماعه مع خالد في الطريق

(١) انظر ترجمة عمرو في الإصابة (٢/٣) الاستيعاب (١١٨٤/٢) الطبقات (٢٥٤/٤) (٤٩٣/٧). وانظر

ترجمة خالد بن الوليد رضي الله عنهما في الإصابة (٤١٣/١) الاستيعاب (٦٠٣/٢) تاريخ الصحابة

(٣٤٩) الطبقات (٢٥٢/٤) (٤٩٤/٧) تهذيب الكمال (١٨٧/٨) التهذيب (١٢٤/٣).

(٢) أخرجه الخطيب في الموضح (٣٩/١).

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه. قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده. قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قریش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد. قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أضع، فقال: مرحباً بصديقي، أهديت إلي من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدماً كثيراً؛ قال: ثم قربته إليه، فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه؛ ثم قلت له: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه؛ قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله! قال: قلت: أيها الملك، أكذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه، فإنه والله لعلّ الحق، وليظهرنّ على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده؛ قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم، فبسط يده، فبايعته: على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت أصحابي إسلامي.

اجتماع عمرو مع خالد في الطريق:

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام الميسم، وإن الرجل لنبي، أذهب والله فأسلم، فحتى متى؛ قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم. قال: فقدِمنا المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت، فقلت: يا رسول الله، إني أبايعك على أن يغفر لي وأتقدم من ذنبي، ولا أذكر ما تأخر؛ قال: فقال رسول الله ﷺ: «يا عمرو، بايع، فإن الإسلام يحب ما كان قبله، وإن الهجرة تحب ما كان قبلها؛ قال: فبايعته، ثم انصرفت.

قال ابن هشام: ويقال: فإن الإسلام يحث ما كان قبله، وإن الهجرة تحث ما كان قبلها.

وقول خالد له: والله لقد استقام الميسم. من رواه الميسم بالياء، فهي العلامة، أي: قد تبين الأمر واستقامت الدلالة، ومن رواه المنسم بفتح الميم وبالنون، فمعناه: استقام الطريق ووجبت الهجرة، والمنسم مقدم خف البعير، وكُنّي به عن الطريق للتوجه به فيه.

إسلام ابن طلحة^(١):

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم: أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، كان معهما، حين أسلما.

وذكر الزبير خبر عمرو هذا، وزاد فيه، أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة صحبهما في تلك الطريق، فلما قدما على النبي ﷺ، قال عمرو: وكنت أسنّ منهما، فأردت أن أكيدهما، فقدمتهما قبلي للبيعة، فبايعا، واشترطا أن يغفر من ذنبهما ما تقدم، فأضمرت في نفسي أن نبايع على أن يغفر الله من ذنبي ما تقدم وما تأخر، فلما بايعت ذكرت ما تقدم من ذنبي وأنسيت أن أقول وما تأخر.

ما قاله الضمري للنجاشي:

وذكر فيه قدوم عمرو بن أمية الضمري على النجاشي بكتاب النبي ﷺ، وكان في الكتاب ما تكلم به عمرو بن أمية، فإنه لما قدم عليه قال له: يا أضحمة إن عليّ القول وعليك الاستماع إنك كائنك في الرقة علينا مئا، وكأنا بالثقة بك منك لأننا لم نظن بك خيرا قط إلا نلناه، ولم نخفك على شيء إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك ألا يحيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجور، وفي ذلك وقع الحز وإصابة المفصل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم، وقد فرق النبي عليه السلام رسله إلى الناس فرجأك لما لم يرجعهم له، وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر، فقال النجاشي: أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار بشارة عيسى براكب الجمل، وإن العيان له ليس بأشقى من الخبر عنه، ولكن أغواني من الحبس قليل فأنظرنني حتى أكثر الأعوان وألين القلوب، وسنذكر فيما بعد - إن شاء الله - ما قالته أرسال النبي ﷺ - إلى الملوك، وما ردّت عليها.

الرسل إلى الملوك:

فإن دخية كان رسوله إلى قيصر، وخارجة بن حذافة كان رسوله إلى كسرى، وشجاع بن وهب إلى جبلة بن الأيهم الغساني، وسليط بن عمرو إلى هودّة بن عليّ الحنفي صاحب اليمامة، والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوي [ملك البحرين] والمهاجر بن أبي أمية إلى الحارث بن عبد كلال، وعمرو بن العاصي إلى الجثندي صاحب عمان،

(١) انظر ترجمته في الإصابة (٤٥٨/١) الاستيعاب (٦٨٤/٢) تاريخ الصحابة (٨٧٢) الطبقات (٤٤٨/٥) التهذيب (١٢٤/٧).

شعر ابن الزبعرى في إسلام ابن طلحة وخالد:

قال ابن إسحاق: فقال ابن الزبعرى السهمي:

أَنشُدْ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ حِلْفَنَا وَمُلَقَى نِعَالِ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمُقْبَلِ
وَمَا عَقَدَ الْآبَاءُ مِنْ كُلِّ حِلْفِهِ وَمَا خَالِدٌ مِنْ مِثْلِهَا بِمُحَلِّلِ
أَمِفْتَاحَ بَيْتٍ غَيْرِ بَيْتِكَ تَبْتَغِي وَمَا يُبْتَغَى مِنْ مَجْدِ بَيْتٍ مُؤَثِّلِ^(١)
فَلَا تَأْمَنَنَّ خَالِدًا بَغْدَ هَذِهِ وَعُثْمَانُ جَاءَ بِالذُّهَيْمِ^(٢) الْمُعْضَلِ
وَكَانَ فَتَحَ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ وَصَدْرَ ذِي الْحِجَّةِ، وَوَلَّى تِلْكَ الْحِجَّةَ
الْمُشْرِكُونَ.

وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب مِصرَ، وعَمَرُو بن أُمَيَّة إلى النجاشي كما تقدّم،
ولكل واحد منهم كلام قاله، وشعر نظمه سنذكره بعد إن شاء الله.

السمهرية:

فصل: وما وقع في أشعار السيرة من ذكر السمهرية من الرماح، فمنسوبة إلى سمهر
وكان صنعا فيما زعموا يصنع الرماح، وكانت امرأته رُديئة تباعها، ف قيل للرماح: الرُديئة
لذلك، وأما الماسخية من القسي فمنسوبة إلى ماسخة، واسمها نبيشة بن الحارث أحد بني
نضر بن الأزد، وقال الجعدي:

بِعِيسٍ تُعْطَفُ أَغْنَاقُهَا كَمَا عَطَفَ الْمَاسِخِيُّ الْقِيَانَا

وقد تنسب القسي أيضا إلى زارة وهي امرأة ماسخة. قال صخر الغي:

سَمَخَةٌ مِنْ قِيسٍ زَارَةٌ حَمُ رَاءَ هَثُوفٍ عِدَادُهَا^(٣) غَرْدُ

من كتاب النبات للديثوري، واليزنية منسوبة إلى عبيد الطعان، وهو المعروف بيزن بن
هماذي، والماذية منسوبة إلى ماذي بن يافث بن نوح، قاله الطبري، وزعم أنه أول من عمل
السيوف جم وهو رابع ملوك الأرض.

(٢) الدهيم: الأحمق.

(١) مؤثّل: أصيل الشرف.

(٣) عِدَادُهَا: أي صوتها.

غزوة بني لحيان

«بسم الله الرحمن الرحيم» قال: حدّثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال: حدّثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبّي قال: ثم أقام رسولُ الله ﷺ بالمدينة ذا الحِجَّةَ والمحَرَّمَ وصفرًا وشهرَي ربيع، وخرج في جُمادى الأولى على رأس ستّة أشهر من فتح قُريظة إلى بني لحيانَ يَطلبُ بأصحاب الرّجيع: خُبيب بن عديّ وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشامَ، ليُصيب من القوم غرّة.

فخرج من المدينة ﷺ، واستَعْمَلَ على المدينة ابنَ أمّ مكتوم، فيما قال ابنُ هشام.

قال ابن إسحاق: فسلك على غُراب، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام، ثم على مَحِيص، ثم على البَثراء، ثم صَفَّق ذاتَ اليَسار، فخرج على يَئِن، ثم على صُخَيّرات اليمام، ثم استقام به الطريقُ على المحجّة من طريق مكّة، فأغذ السير سريعًا، حتى نزل على غُرّان، وهي منازل بني لحيان، وغُرّان وادٍ بين آمج وعُسفان، إلى بلد يقال له: ساية، فوجدهم قد حَذَرُوا وتمنّعوا في رؤوس الجبال. فلما نزلها رسولُ الله ﷺ

غزوة بني لحيان^(١)

ليس فيها ما يُشكّل، وفيها من شعر حسان:

لَقُوا سَرَعَانًا يَمْلَأُ السَّرْبَ رَوْعُهُ

(١) انظر البداية (٨١/٤) الطبري (٥٩٥/٢) الطبقات (٥٦/١/٢) الاكتفاء (٢٠٦/٢) المنتظم (٣٤٩/٣) الكامل (٧٨/٢) الواقدي (٥٣٥/٢) الدلائل (٣٦٤/٣) ابن سيّد الناس (٨٣/٢) شرح المواهب (١٤٦/٢).

وأخطأ من غزتهم ما أراد، قال: «لو أنا هبطنا عُسفان لرأى أهل مكة أننا قد جئنا مكة»، فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسفان، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كُراع الغميم، ثم كرّ وراح رسول الله ﷺ قافلاً.

فكان جابر بن عبد الله يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول حين وجه راجعاً: «آيئون تائبون إن شاء الله لرُبنا حامدون، أعوذ بالله من وُعشاء السّفر، وكآبة المُنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال»^(١).

والحديث في غزوة بني لحيان، عن عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، عن عبد الله بن كعب بن مالك؛ فقال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان.

لو أن بني لحيان كانوا تناظروا لقوا عُصَبًا في دارهم ذات مَصدقٍ
لَقُوا سَرَعَانًا يَمْلَأُ السَّرْبَ رَوْعُهُ أَمَامَ طُحُونٍ^(٢) كَالْمَجْرَةِ^(٣) فَيَلْقُ^(٤)

سَرَعَانُ الناس: سُبَّاقُهُمْ، والسَّرْبُ: المال الرّاعي، كأنه جَمْعُ سَارِبٍ، ويقال: هو آمن في سَرْبِهِ إذا لم يُذْعَرْ، ولا خاف على ماله من الغارة، ومن قال: في سَرْبِهِ بكسر السين، فهو مَثَلٌ، لأن السَّرْبَ هو القطيع من الوَحْشِ والطير، فمعنى: آمن في سَرْبِهِ، أي: لم يُذْعَرْ هو نفسه ولا ذِعِرَ أهله، ولهذا المعنى أشار من قال من أهل اللغة: معنى في سَرْبِهِ أي: في نفسه لم يُرِدْ أَنَّ النَّفْسَ يقال لها: سِرْبٌ وإنما أراد أنه لم يُذْعَرْ هو ولا مَنْ مَعَهُ، لا كالأخر الذي تقدّم ذكره، وقيل فيه: آمن في سَرْبِهِ بفتح السين، فكان الواحد آمن في ماله، والآخر آمن في نفسه، ويقال: في سَرْبِهِ، أي: في طريقه أيضًا.

وقوله:

أَمَامَ طُحُونٍ كَالْمَجْرَةِ فَيَلْقُ

يعني: كتيبة، جعلها كالمَجْرَةِ لِلْمَعَانِ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ فِيهَا كَالنُّجُومِ حَوْلَ الْمَجْرَةِ، لأن النجوم - وأكثر ما تكون - حولها، وقد قيل: إن المَجْرَةَ نفسها نجوم صِغَارٌ متلاصقة، فبياضُ المَجْرَةِ من بياضِ تلك النجوم، وقد رُوي في حديث منقطع: أن المَجْرَةَ التي في السماء هي من لُعَابِ حَيَّةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ^(٥)، وفي حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - حين بعثه إلى

(١) انظر البخاري (٩/٣) والترمذي (٣٤٤٧/٣٣٤٠) وأبو داود وأحمد (٢٥٦/١) والدارمي (٢٩٠/٢) وابن حبان (٩٦٩ - ٩٧٠ - موارد).

(٢) طحون: حرب عظيمة.

(٣) المَجْرَةُ: آلة للجز والقطع.

(٤) الفيلق: الجيش العظيم.

(٥) لا صحة لقصة الحية هذه.

ولكنهم كانوا وباراً^(١) تتبعت شهاب حجاز غير ذي متنفق

اليمن قال له: «إنك ستقدم على قوم يسألونك عن المجرة، فقل لهم: هي من عرق الأفعى التي تحت العرش»، لكن إسناد هذا الحديث ضعيف عند أهل النقل لا يُعرج عليه^(٢)، ذكره العقيلي، وعن علي أنها شرج السماء الذي تنشق منه، وأما قول المنجمين غير الإسلاميين في معنى المجرة، فذكر لهم القاضي في النقض الكبير نحواً من عشرة أقوال وأكثر، منها ما يجوزه العقل، ومنها ما هو شبه الهذيان، والله أعلم.

ويجوز أن يكون قوله كالمجرة، أي: أثر هذه الكتيبة الطحون كأثر المجرة نُقِشَ ما مرّت عليه، وتكنسه. والفيلق: فيعل من الفلق وهي الداهية، كأنها تفلق القلوب، وهي: الفلقة أيضاً. قال ابن أحرر:

قد طرقت بكرها أم طبق فدبروه خبراً ضخماً العنق
فقل: وما ذاك؟ قال:

موت الإمام فلقة من الفلق

(٢) بل موضوع كما يظهر عليه.

(١) وباراً: كثير الوبر.

الفهرس

٣ ذكر نصارى نجران وما أنزل الله فيهم
٤ تأويل كن فيكون
٦ تفسير ما نزل من ال عمران في وفد نجران
٦ تأويل آيات محكمات
١٠ احتجاج القسيسين للتثليث
١٢ ما نزل من القرآن في بيان آيات عيسى عليه السلام
١٢ احتجاجهم لألوهية عيسى
١٩ بُذ من ذكر المنافقين
٢٤ ذكر من اعتل من أصحاب رسول الله ﷺ
٢٩ تاريخ الهجرة
٢٩ غزوة ودان
٣١ غزوة عبدة بن الحارث
٣٥ سرية حمزة إلى سيف البحر
٣٨ غزوة بواط
٣٨ غزوة العشيرة
٤٠ تكنية علي بابي تراب
٤٢ سرية عبد الله بن جحش
٤٥ الرسول ﷺ يستنكر القتال في الشهر الحرام
٤٨ غزوة بدر الكبرى
٤٩ ذكر رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب
٥٢ خروج عقبة

٥٢	المجمره والألوة
٦٧	ابن غزية وضرب الرسول له في بطنه بالقدح
٦٨	مناشدة الرسول ربه النصر
٧١	تحريض المسلمين على القتال
٧٧	شهود الملائكة وقعة بدر
٧٩	الغلامان اللذان قتلأ أبا جهل
٨١	خبر عكاشة بن محصن
٨٤	طرح المشركين في القلب
٩٠	ذكر الفياء ببدر
١٠٣	أسر أبي العاص بن الربيع
١٠٥	خروج زينب إلى المدينة تأهبها وإرسال الرسول رجلين ليصحبها
١٠٥	ما أصاب زينب من قريش عند خروجها ومشورة أبي سُفيان
١٠٩	إسلام أبي العاص بن الربيع
١١٣	إسلام عمير بن وهب
١١٥	هل تجسّد إبليس في غزوة بدر
١١٧	المطمعون من قريش
١١٩	نزول سورة الأنفال
١١٩	ذكر ما أنزل الله في بدر
١٣٣	ما نزل في الأسارى والمغانم
١٣٧	مَن شهد بدرًا من المسلمين
١٦٤	مَن استشهد من المسلمين يوم بدر
١٦٧	مَن قتل ببدر من المشركين
١٧٦	ذكر أسرى قريش يوم بدر
١٨٤	أشعار يوم بدر
٢٢٠	غزوة بني سليم بالكُذَرِ
٢٢٧	سَريّة زيد بن حارثة إلى القردة
٢٣٠	مقتل كعب بن الأشرف
٢٣٧	أمر محيصة وحويصة
٢٤٠	غزوة أُحد
٢٤٤	رؤيا رسول الله ﷺ
٢٤٩	أمر أبي دجانة

٢٥٣	مقتل حمزة
٢٥٨	عن مقتل حنظلة
٢٦٢	حديث الزبير عن سبب الهزيمة
٢٦٢	الصارخ يوم أُحُد
٢٦٩	قتل الرسول لأبي بن خلف
٢٧٤	حول بعض رجال أُحُد
٢٨١	أمر القتلى بأُحُد
٢٨٢	ما نزل في النهي عن المثلة
٢٨٣	صلاة الرسول على حمزة والقتلى
٢٨٤	دفن عبد الله بن جحش مع حمزة
٢٨٥	دفن الشهداء
٢٨٨	غسل السيوف
٢٨٨	خروج الرسول في أثر العدو ليرهبه
٢٩٢	مقتل أبي عزة ومعاوية بن المغيرة
٢٩٤	ذكر ما أنزل الله في أُحُد من القرآن
٢٩٧	النهي عن الربا
٢٩٧	الحض على الطاعة
٢٩٨	ذكر ما أصابهم وتعزيتهم عنه
٢٩٩	دعوة الجنة للمجاهدين
٣٠٠	ذكر شجاعة المجاهدين من قبل مع الأنبياء
٣٠٢	تحذيره إياهم من إطاعة الكفار
٣٠٥	ما نزل في الغلول
٣٠٧	الترغيب في الجهاد
٣٠٧	الشهادة والشهداء
٣١٢	ذكر مَنْ استشهد بأُحُد من المهاجرين
٣٢١	ذكر ما قيل من الشعر يوم أُحُد
٣٦١	ذكر يوم الرجيع
٣٦١	مقتل خبيب وأصحابه
٣٦٩	ما نزل في سَرِيَّة الرجيع من القرآن
٣٨٢	ابن فهيرة والسماء
٣٨٥	نسب القرطاء

٣٨٧	أمر إجلاء بني النضير في سنة أربع
٤٠١	غزوة ذات الرقاع
٤٠٢	صلاة الخوف
٤١٠	غزوة بدر الآخرة في شعبان سنة أربع
٤١٥	غزوة دومة الجندل
٤١٦	غزوة الخندق
٤١٧	خروج الأحزاب من المشركين
٤٢٣	التحرّي عن نقض كعب للعهد
٤٢٥	مصالحة الأحزاب
٤٢٧	سلمان وإشارته بحفر الخندق
٤٣٦	الأمر الإلهي بحرب بني قريظة
٤٣٧	جبريل في صورة دحية
٤٣٩	قصة أبي لبابة
٤٤٠	توبة الله على أبي لبابة
٤٤٣	تحكيم سعد في أمر بني قريظة ورضاء الرسول به
٤٥٠	ما نزل من القرآن في الخندق وبني قريظة
٤٥٥	اهتزاز العرش
٤٥٩	ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة
٤٨١	مقتل سلام بن أبي الحقيق
٤٨٥	إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد
٤٨٩	غزوة بني لحيان